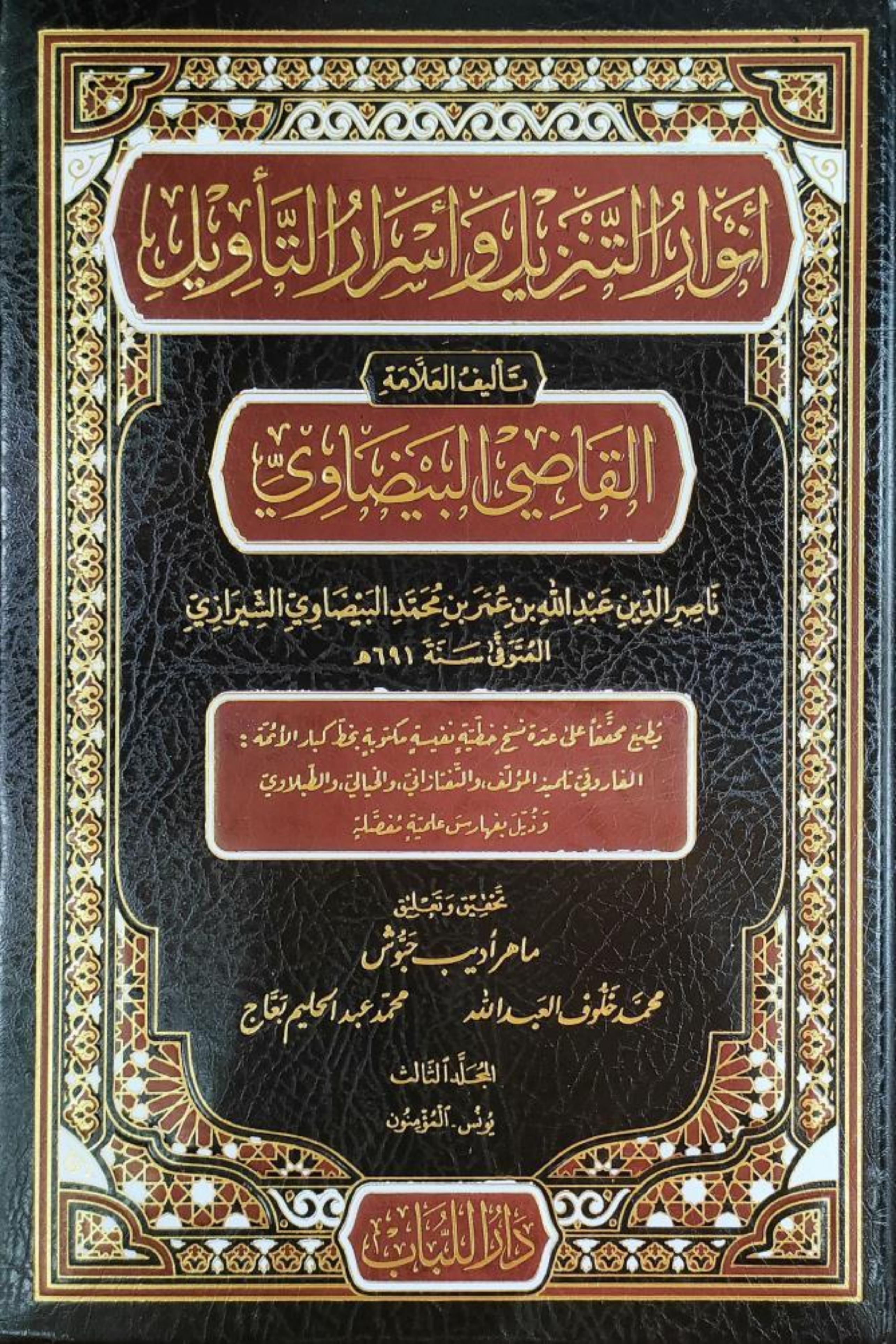
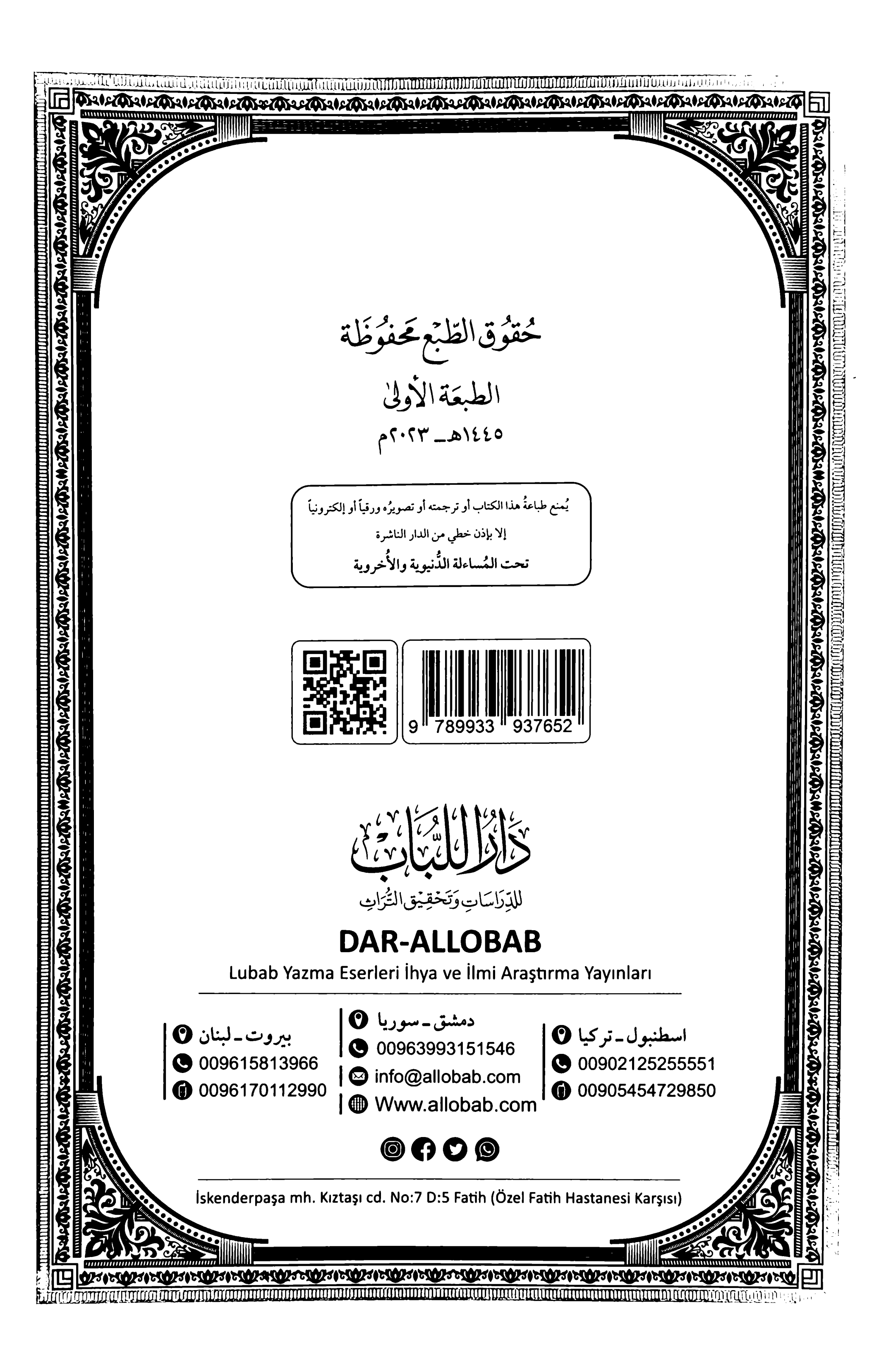

أنوار التنزيل وأسرار التأويل
تأليف العلامة
القاضي البيضاوي
ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي
المتوفى سنة ٦٩١هـ
يُطبع محققاً على عدة نسخ خطية نفيسة مكتوبة بخط كبار الأئمة :
الفاروقي تلميذ المؤلف، والتفتازاني، والخيالي، والطبلاوي
وذُيل بفهارس علمية مفصلة
تحقيق وتعليق
ماهر أديب حبّوش
محمد خلوف العبد الله
محمد عبد الحليم بعّاج
المجلد الثالث
يونس - المؤمنون
دار اللباب


أنوار التنزيل وأسرار التأويل
(٣)



الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

9 789933 937652

دار اللُّباب

للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا

00902125255551

00905454729850

دمشق - سوريا

00963993151546

info@allobab.com

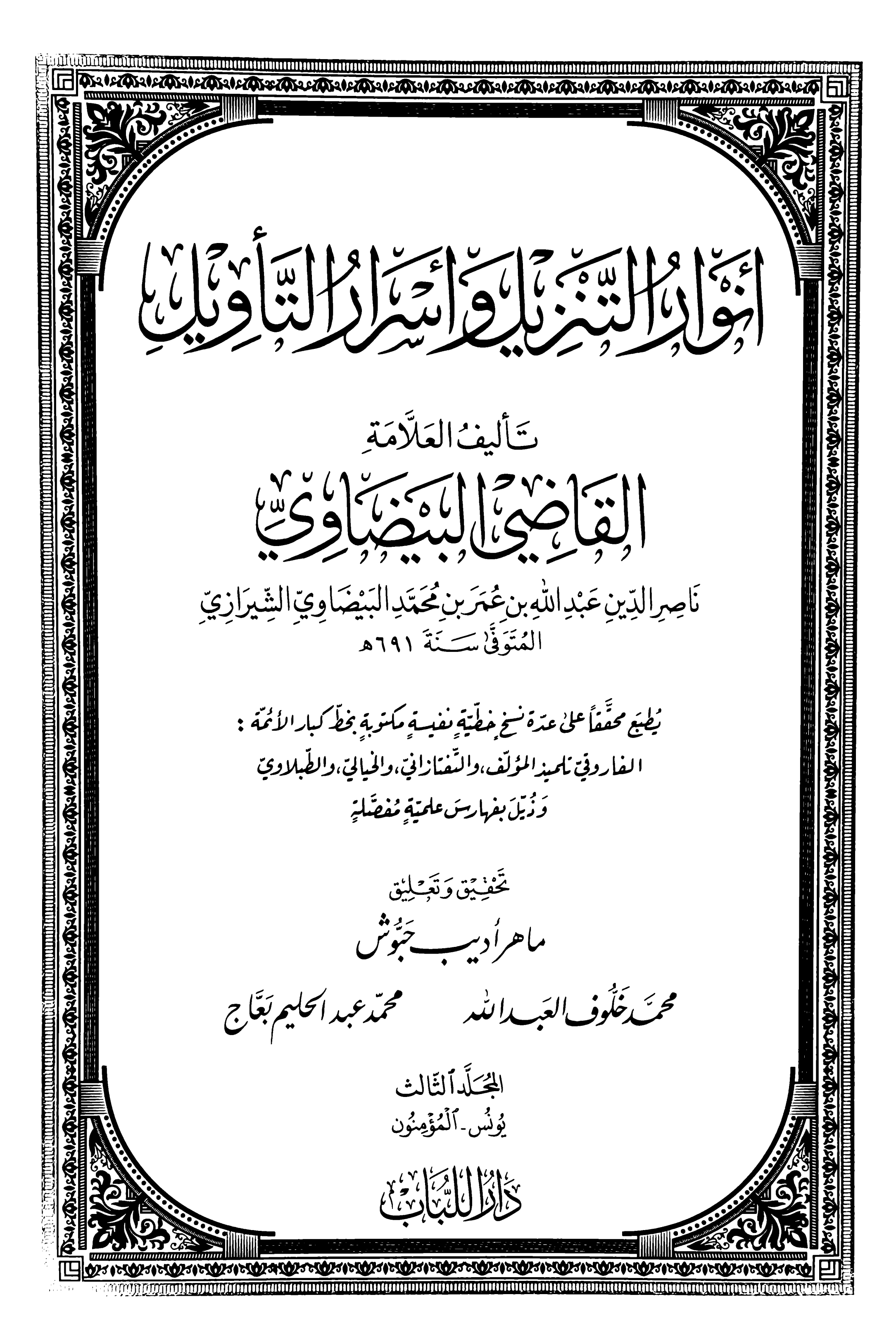
Www.allobab.com

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)



أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف العلاّمة

القاضي البيضاوي

ناصر الدين عبد الله بن عُمَر بن محمّد البيضاويّ الشّيرازيّ

المتوفّى سنة ٦٩١هـ

يُطبع محققاً على عدة نسخ خطّيّة نفيسة مكتوبة بخطّ كبار الأئمّة:

الفاروقي تلميذ المؤلّف، والتّفتازاني، والخياليّ، والطّبلاوي

وذُيّل بفهارس علميّة مفصّلة

تحقيق وتعليق

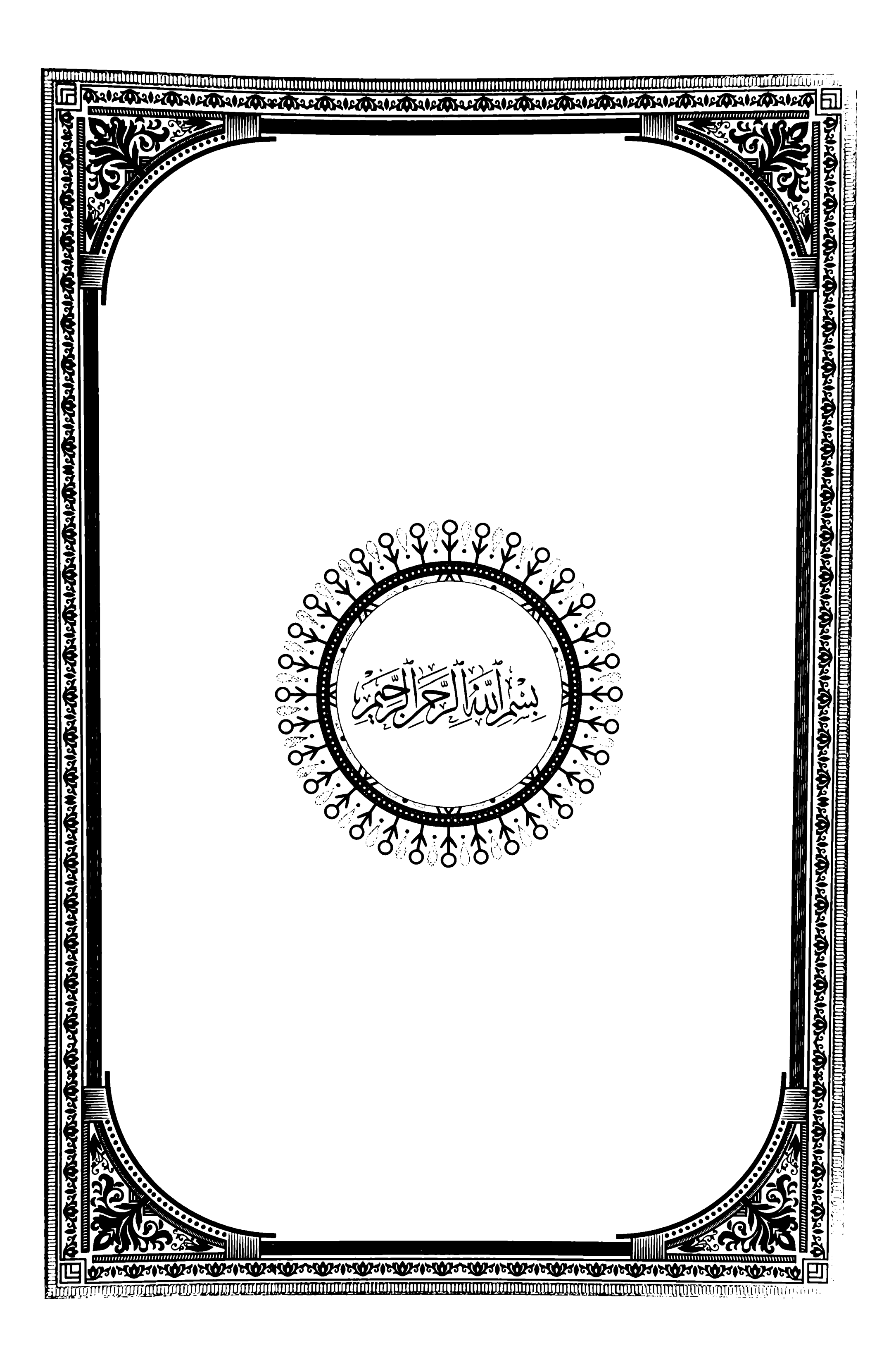
ماهر أديب حبّوش

محمّد خلوف العبد الله   محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الثالث

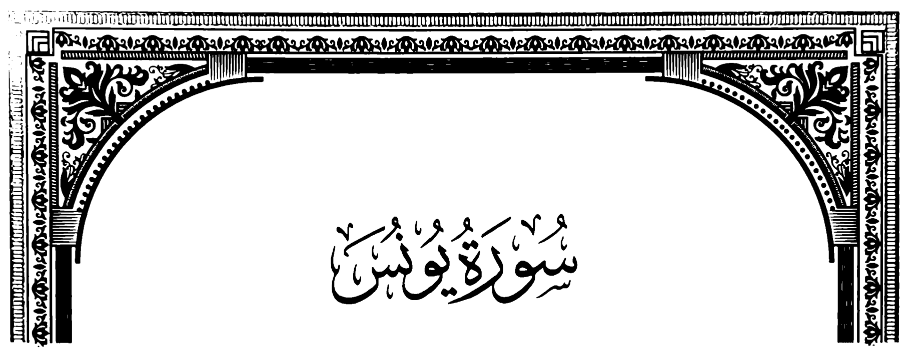
يونس - المؤمنون

دار اللّباب


بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ يُونُسَ



مكيَّةٌ(1)، وهي مئةٌ وتسعُ آياتٍ(2)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓر﴾ فخَّمَها ابنُ كَثيرٍ ونافِعٌ [برواية قالون] وحَفْصٌ، [وقرأ ورشٌ بين اللفظينِ(3)]، وأمالَها الباقونَ إجراءً لألفِ الرَّاءِ مُجرَى المُنقلبَةِ مِن اليَاءِ(4).

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إشارةٌ إلى ما تَضمَّنَته السَّورةُ أو القُرآنُ من الآيِ،

---

(١) وقد وقع فيها اختلاف كثير فصله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣١٤)، فقال:
روى عطيَّة وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكيّة، وبه قال الحسن وعكرمة.
وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدنيّ، أوّلها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية.
وقالَ مقاتل: هي مكيّة غير آيتين، قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ والتي تليها.
وقالَ بعضهم: هي مكيّة إلّا آيتين، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ والتي تليها.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٣)، وفيه: «وهي مئة وعشر آيات في الشّامي وتسع في عدد الباقين، اختلافها ثلاث آيات...».

(٣) ما بين معقوفين زيادة من نسخة الطبلاوي، وقوله: «وقرأ رش بين اللفظين»؛ أي: وقرأ ورش ألِفَ (را) بين بين؛ أي: بين لفظ الألف وبين لفظ الياء بحيث لا يتلفظ بالألف من مخرجها بتمامها ولا الياء بتمامها، بل يتلفظ بين الألف والياء متساوي الطرفين. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٣٨٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

والمرادُ مِن الكتابِ أحدُهُما، ووَصفَهُ بالحكيمِ لاشتمالِهِ على الحِكَمِ، أو لأنَّهُ كلامٌ حَكيمٌ، أو مُحْكَمٌ آياتُه لم يُنْسَخْ شيءٌ مِنْهَا.

(٢) ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ استفهامُ إنكارٍ للتَّعجُّبِ، و﴿عَجَبًا﴾ خبرُ ﴿كانَ﴾، واسمُه: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾، وقُرِئَ بالرَّفعِ[١] على أنَّ الأمرَ بالعَكسِ[٢]، أو على أنَّ ﴿كانَ﴾ تامَّةٌ و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ بدلٌ مِن ﴿عَجَبًا﴾، واللَّامُ للدَّلالَةِ على أنَّهُم جعلوهُ أعجوبَةً لهم[٣] فيوجهونَ[٤] نحوَهُ إنكارَهُم واستهزاءَهُم.

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: مِن أفناءِ رجالِهِم[٥] دونَ عظيمٍ مِن عُظمائِهِم.

قيلَ: كانُوا يَقولونَ: العجبُ أنَّ اللهَ لم يجِد رسولًا يرسلُه إلى النَّاسِ إلَّا يتيمَ

---

(١) نسبت لابن مسعود. انظر: «الكشاف» (٤/ ٨)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٠٢)، و«البحر» (١٢/ ١٠).

(٢) قوله: «على أن الأمر بالعكس»؛ أي: أن يكون (عجبٌ) اسم كان وهو نكرةٌ، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ خبرًا، وهو معرفةٌ. وهو عكس المعروف في كلام العرب، فالأصل الإخبارُ عنِ المعرفَةِ بالنَّكرَةِ. وفي جوازه عكسه مقالٌ. ولعلَّ المصنِّفَ اختار كونه جائزًا مطلقًا أو في باب النواسخ مطلقًا أو إذا كانت مدخولة للنفي أو ما في حكمه كالاستفهام الإنكاري. انظر: «حاشية الخفاجي»، «حاشية القونوي» (٩/ ٣٨٢).

(٣) قوله: «واللام للدلالة...» إلى آخره أشارة إلى أن لام ﴿لِلنَّاسِ﴾ ليست متعلقة بـ﴿عَجَبًا﴾ على طريق المفعولية كما في قولهم: عجبت لزيدٍ من كذا، بل على طريق البيان بمعنى أن هذا التعجب لهم كما في قوله: (هيت لك) بمعنى: هذا الخطاب لك. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٤٧)، «حاشية التفتازاني» (٢٧٣/ أ).

(٤) في نسخة التفتازاني: «أعجوبة فوجهوا». وفي نسخة الخيالي: «أعجوبة لهم يوجهون».

(٥) قولُهُ: (إلى أَفْناءِ رجالِهِم) هذهِ العبارَةُ وإنِ استُعمِلَتْ في خمولِ النسبِ فليسَ بمُرادٍ؛ لأنَّ نسبَهُ فيهِم وشرفَهُ نارٌ على علمٍ، بل المُرادُ أنَّهُ ممَّن لم يشتهرْ بالجاهِ والمالِ الَّذينَ اعتقدوا أنَّهُ سببُ العزِّ والإجلالِ لجهلِهِم وجاهليَّتِهِم. انظر: «حاشية الخفاجي».

أبي طالبٍ[١]. وهو مِن فَرطِ حَماقَتِهم وقُصورِ نَظَرِهم على الأُمورِ العاجِلَةِ، وجهلِهِم بحَقيقَةِ الوَحيِ والنُّبوَّةِ.

هذا وأنه عليه السَّلامُ لم يَكُن يَقصُرُ عَن عُظَمَائِهِم فيما يَعتبِرونه[٢] إلَّا في المالِ، وخِفَّةُ الحالِ أعوَنُ شيءٍ في هذا البابِ، ولذلك كانَ أكثرُ الأنبياءِ قبلَه كذلك.

وقيلَ: تعجَّبُوا مِن أنَّه بعثَ بشرًا رسولًا كما سبقَ ذكرُه في سورةِ الأَنعامِ.

﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ ﴿أَنْ﴾ هي المفسِّرَةُ[٣]، أو المخفَّفَةُ مِن الثَّقيلَةِ فتكونُ في مَوضعِ مفعولِ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عمَّمَ الإنذارَ إذ قلَّما مِن أَحَدٍ ليس فيه ما يَنبَغِي أن ينذرَ منه، وخصَّصَ البِشارةَ[٤] إذ ليسَ للكُفَّارِ ما يَصِحُّ أن يبشَّرُوا به.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأنَّ لَهُم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ سابقةً ومنزلةً رفيعةً، سُمِّيَت قدمًا لأنَّ السَّبقَ بها؛ كمَا سُمِّيَت النِّعمَةُ يَدًا لأنَّها تُعطَى باليدِ، وإضافَتُها إلى الصِّدقِ لتَحقُّقِهَا والتَّنبيهِ على أنَّهُم إنَّما يَنالونَها بصدقِ القولِ والنيَّةِ.

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعنونَ الكِتابَ وما جاءَ بِهِ الرَّسولُ.

﴿لسِحْرٌ مُبين﴾ وقرأَ ابنُ كَثيرٍ والكوفيُّونَ ﴿لَسَٰحِرٌ﴾[٥] علـى أنَّ الإشارةَ إلى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥).

(٢) في نسخة الطبلاوي: «فيما يعتبر».

(٣) قولُهُ: (أنْ هيَ المُفسِّرَةُ)؛ أي: لمفعولِ الإيحاءِ المُقدَّرِ، وشرطُها موجودٌ؛ وهوَ أن يتقدَّمَ عليها ما فيهِ معنى القولِ دونَ حروفِهِ كالإيحاءِ نحوُ: كتبتُ إليهِ أنْ قمْ. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٤) قولـه: «عمـم الإنـذار»؛ أي: فـي النـاس حيث لـم يخصصهم بشـيء، «وخصـص البشـارة»؛ أي: بالمؤمنيـن. انظـر: «حاشـية الأنصـاري» (٣/ ١٤٧).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

الرَّسولِ، وفيه اعترافٌ بأنَّهُم صادَفُوا مِن الرَّسولِ أُمورًا خارقَةً للعَادَةِ مُعجِزَةً إيَّاهُم عَنِ المُعارضَةِ.

وقُرِئَ: «ما هذا إلَّا سِحرٌ مُبين»[1].

(٣) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الَّتي هي أصولُ المُمكِنَاتِ ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يُقدِّرُ أمرَ الكائناتِ على ما اقتضَتْهُ حِكمَتُه وسبَقَتْ به كَلِمَتُه، ويُهيِّئُ بتَحريكِهِ أسبابَها وينزلُها مِنهُ.

والتَّدبيرُ: النَّظرُ في أدبارِ الأُمورِ لتَجِيءَ مَحمودَةَ العاقِبَةِ.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ تقريرٌ لعَظَمتِهِ وعزِّ جلالِه، وردٌّ على مَن زعمَ أن آلهتَهُم تَشفَعُ لهم عندَ اللهِ، وفيه إثباتُ الشَّفاعَةِ لِمَن أذِنَ له.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الموصوفُ بتلكَ الصِّفاتِ المُقتَضِيَةِ للأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا غير، إذ لا يُشارِكُه أحدٌ في شيءٍ مِن ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدُوهُ بالعبادةِ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتفكَّرُونَ أدنى تَفكُّرٍ فينبِّهَكُم على أنَّه المُستَحِقُّ للرُّبوبيَّةِ والعبادَةِ لا ما تعبدونَه.

(٤) ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالمَوتِ أو النُّشورِ لا إلى غيرِه فاستعدُّوا لِلقائِه.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مُؤكِّدٌ لنَفسِهِ لأنَّ قولَه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وعدٌ مِن اللهِ.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ آخَرُ مُؤكِّدٌ لغيرِهِ وهو ما دلَّ عليهِ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعدَ بدئِه وإهلاكِه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بعدلِه، أو: بعَدالَتِهم وقيامِهم على العَدلِ في أمورِهم، أو: بإيمانِهم لأنَّه

---

(١) نسبت لأبيٍّ رضي الله عنه. انظر: «الكشاف» (٤/ ١٠)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٠٣)، و«البحر» (١٢/ ١٤).

العَدلُ القَوِيمُ كما أنَّ الشركَ ظُلمٌ عَظيمٌ، وهو الأوجَهُ لِمُقابلةِ قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٌ مِّنۡ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ فإنَّ معناه: ليَجزِيَ الَّذينَ كفَرُوا بشرابٍ مِن حَميمٍ وعذابٍ أليمٍ بسببِ كُفرِهم، لكنَّه غَيَّرَ النَّظمَ للمُبالغَةِ في استحقاقِهم للعِقابِ، والتَّنبيهِ على أنَّ المقصودَ بالذَّاتِ مِن الإبداءِ والإعادةِ هو الإثابةُ، والعِقابُ واقعٌ بالعَرَضِ، وأنَّه تعالى يتولَّى إثابةَ المُؤمنينَ بما يليقُ بلُطفِهِ وكَرمِهِ ولذلك لم يعيِّنْهُ، وأمَّا عقابُ الكفرةِ فكأنَّه داءٌ ساقَه إليهم سوءُ اعتقادِهم وسوءُ أفعالِهم.

والآيةُ كالتَّعليلِ لقولِه: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ فإنَّه لَمَّا كانَ المقصودُ مِن الإبداءِ والإعادةِ مجازاةَ اللهِ المكلَّفينَ على أعمالِهم كانَ مرجعُ الجَميعِ إليه لا محالةَ.

ويؤيِّدُه قراءةُ مَن قرأَ: ﴿أَنَّه يَبۡدَأُ﴾ بالفتحِ[1]؛ أي: لأنَّه، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَنصوبًا أو مَرفوعًا بما نَصبَ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أو بما نصبَ ﴿حَقًّا﴾.

(٥) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾؛ أي: ذاتَ ضياءٍ، وهو مصدرٌ كقِيامٍ، أو جمعُ ضَوءٍ كسِيَاطٍ وسَوْطٍ، والياءُ فيه مُنقَلِبَةٌ عَن الواوِ.

وعن ابنِ كَثيرٍ: ﴿ضِئاء﴾ بهمزتينِ في كلِّ القُرآنِ على القلبِ بتَقديمِ اللَّامِ على العينِ[2].

﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾؛ أي: ذا نُورٍ، أو سُمِّيَ[3] نُورًا للمُبالغَةِ، وهو أَعَمُّ مِن الضَّوءِ كما عرفتَ[4].

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٢) هي رواية قنبل عن ابن كثير، انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

قوله: «بتقدم اللام»: هي الهمزة «على العين»: وهي الواو، ثم قلبت الواو همزةً لتطرُّفِها بعد ألفٍ زائدةٍ ككساء. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥٠).

(٣) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «وسُمِّي نورًا»، وأشار إلى الفرق الخفاجي في «حاشيته» ورجَّح المثبت.

(٤) قوله: «وهو أعم من الضوء كما عرفت»؛ أي: في سورة البقرة عند قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ من أنَّ =

وقيلَ: ما بالذاتِ ضَوءٌ وما بالعَرَضِ نورٌ، وقد نبَّهَ سُبحانَه بذلك على أنَّه خلقَ الشَّمسَ نَيِّرَةً في ذاتها والقمرَ نَيِّرًا بعَرَضِ مقابلةِ الشَّمسِ والاكتسابِ[١] منها.

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضَّميرُ لكُلِّ واحدٍ؛ أي: قَدَّرَ مَسيرَ كلِّ واحدٍ مِنهُمَا منازلَ، أو قدَّرَه ذا مَنازِلَ، أو للقَمرِ[٢]، وتخصيصُهُ بالذِّكرِ لسرعَةِ سيرِهِ، ومُعاينَةِ منازلِه، وإناطةِ أحكامِ الشَّرعِ به، ولذلك[٣] علَّلَه بقولِه: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾: وحسابَ الأوقاتِ من الأشهُرِ والأيامِ في مُعاملاتِكُم وتَصرُّفاتِكُم.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: إلَّا مُلْتَبِسًا بالحقِّ، مُراعِيًا فيه مُقتضَى الحِكمَةِ البالغةِ.

﴿نُفصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يعلَمُونَ﴾ فإنَّهُم المُنتفِعونَ بالتَّأمُّلِ فيها.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ والبَصريَّانِ وحَفصٌ: ﴿يُفَصِّلُ﴾ باليَاءِ[٤].

= الضياءَ أقوى من النور ولذا ينسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر. انظر: (١/ ١٠٢) من هذا الكتاب، و«حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥٠).

(١) في نسخة الطبلاوي: «والاكتساء».

(٢) قولـه: «أو للقمـر»؛ عطفٌ على «لـكل واحـدٍ» أي: أو الضمير للقمـر. انظر: «حاشـية الأنصاري» (٣/ ١٥٠)، «حاشـية القونوي» (٩/ ٣٩٥).

(٣) وقولُهُ: (ولذلكَ... إلخ)؛ أي: ولإناطة أحكام الشرع به كما هو الظاهر من سوق كلامه، أو لأجل أنه تعالى قدر مسير كل واحد منهما منازل، والحاصل أن ذلك إشارة إلى تقدير المسير؛ فإن معرفة عدد السنين وحساب الأوقات ليست مختصة بسير القمر كما عرفت غايته أن أكثر أحكام الشرع منوط بسيره، ولا يقتضي ذلك التخصيص. ويؤيده تفسير المصنف لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٣٩٦).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١)، و«النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٦) ـ ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مِن أنواعِ الكائناتِ ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ على وُجودِ الصَّانعِ ووحدَتِهِ وكمالِ عِلْمِه وقُدرَتِه ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ العواقِبَ فإنَّه يحمِلُهُم على التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ.

(٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يَتوقَّعُونَهُ؛ لإنكارِهِم البَعْثَ وذُهولِهِم بالمَحسوساتِ عمَّا وَراءَها.

﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِن الآخرةِ لغَفلَتِهِم عَنْهَا ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: وسَكَنُوا إليها مُقْصِرِينَ[1] هِمَمَهُم على لذائذِها وزَخارِفِها، أو سَكَنُوا فيها سكونَ مَن لا يُزعَجُ عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾: لا يَتفكَّرونَ فيها لانهِمَاكِهِم فيما يضادُّها، والعَطفُ إما لتَغايُرِ الوَصفَيْنِ، والتَّنبيهِ على أنَّ الوَعيدَ على الجمعِ بينَ الذُّهولِ عَن الآياتِ رأسًا، والانهماكِ في الشَّهواتِ بحيثُ لا تخطرُ الآخرَةُ ببالِهِم أصلًا.

وإمَّا لِتَغايُرِ الفَريقَيْنِ، والمرادُ بالأَوَّلِيْنَ مَن أنكَرَ البَعْثَ ولم يرَ إلَّا الحياةَ الدُّنْيَا، وبالآخِرينَ مَن ألهاهُ حبُّ العَاجِلِ عَن التَّأمُّلِ في الآجلِ والإعدادِ له.

(٨) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾: بما واظَبُوا عليه وتمرَّنُوا به مِن المَعاصِي.

(٩) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾: بسببِ إيمانِهِم إلى سُلوكِ سَبيلٍ يؤدِّي إلى الجنَّةِ.

---

(١) «مُقْصِرِين» بضمِّ الميم وسكون القاف؛ من أقصَرَ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥١). وقال الخفاجي: كانَ حقُّهُ أن يقولَ قاصرينَ؛ لأنَّ أقصرَ معناهُ كفَّ معَ القدرَةِ لا بمعنى الاقتصارِ الَّذي عناهُ. انظر: «حاشية الخفاجي».

أو: لإدراكِ الحقائقِ[١]؛ كمَا قالَ عليه السَّلامُ: «مَن عَمِلَ بما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعلَم»[٢].

أو لِمَا يُرِيدُونَه في الجَنَّةِ[٣]، ومَفهُومُ التَّرتيبِ[٤] وإنْ دلَّ على أنَّ سببَ الهِدايَةِ هو الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالح، لكنْ دلَّ مَنطوقُ قَولِه: ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ على استقلالِ الإيمانِ بالسَّببيَّةِ، وأن العملَ الصالحَ كالتَّتمَّةِ والرَّدِيفِ له.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ استئنافٌ، أو خَبَرٌ ثانٍ، أو حالٌ مِن الضَّميرِ المَنصوبِ على المعنى الأخيرِ، وقولُه: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ خبرٌ، أو حالٌ آخرُ منهُ أو مِن ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، أو متعلِّقٌ بـ﴿تَجْرِى﴾ أو «يهدِي».

(١٠) - ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: دعاؤُهم فيها: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: اللهمَّ إنَّا نُسبِّحُكَ تَسبيحًا.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ ما يُحَيِّي به بعضُهُم بَعضًا، أو تحيةُ الملائِكَةِ إيَّاهُم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: وآخرُ دُعائِهم ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أن يقولُوا ذلك.

---

(١) قوله: «أو لإدراك الحقائق»؛ اللام فيه وفيما بعده بمعنى (إلى)؛ معطوفٌ على «إلى سلوك سبيل». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

(٣) «أو لما يريدونه» عطفٌ على «لإدراك الحقائق». انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤٠٠).

(٤) قوله: «ومفهوم الترتيب»؛ أي: ترتيب الهداية على الإيمان والعمل الصالح. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥٢).

ولعلَّ المعنى: أنَّهُم إذا دَخَلُوا الجنَّةَ وعايَنُوا عظمَةَ اللهِ وكِبرياءَهُ مَجَّدُوه ونَعتُوهُ بنعوتِ الجَلالِ، ثمَّ حيَّاهُم الملائِكَةُ بالسَّلامَةِ عَن الآفاتِ والفوزِ بأَصنافِ الكراماتِ، أو اللهُ تعالى، فحَمِدُوهُ وأَثْنَوا عليه بصِفَاتِ الإكرامِ.

و«أنْ» هي المُخفَّفَةُ من الثَّقيلَةِ، وقد قُرِئَ بها وبنصبِ «الحمدَ»[1].

(١١) ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾: ولو يسرِّعُهُ إليهم ﴿اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾ وُضعَ موضِعَ: «تَعجيلَه لهم بالخيرِ»؛ إشعارًا بسرعَةِ إجابَتِه لَهُم في الخيرِ حتَّى كأنَّ استِعجالَهُم به تَعجيلٌ لَهُم، أو بأنَّ المرادَ[2]: شرٌّ استَعجَلُوه؛ كقولِهِم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وتقديرُ الكَلامِ: ولو يعجِّلُ اللهُ للنَّاسِ الشرَّ تَعجيلَهُ للخيرِ حين استعجَلُوهُ استِعجالًا كاستِعجالِهِم بالخَيرِ، فحُذِفَ منه ما حُذِفَ لدَلالَةِ البَاقي عليه.

﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأُمِيتُوا وأُهلِكُوا.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿لقَضَى﴾ على البناءِ للفاعلِ[3]، وهو اللهُ تَعالى. وقُرِئَ: «لقضَيْنَا»[4].

---

(١) أي: (أنَّ الحمدَ لله) بالتشديد ونصبِ (الحمد). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١) عن بلال بن أبي بردة الأشعري وابن محيصن، وزاد ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٠٨) نسبتها ليعقوب.

(٢) قوله: «أو بأن المراد» عطفٌ على «بسرعة إجابته لهم». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٤) أي: (لقضَيْنا إليهم أجلَهم)، نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٨)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٠٨)، و«البحر» (١٢/ ٢٩). ووقع في مطبوع «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١): (لقفينا) ولعله تحريف.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عطفٌ عَلى فعلٍ محذوفٍ دَلَّت عليهِ الشَّرطيَّةُ[1]؛ كأنَّه قيلَ: ولكِن لا نُعجِّلُ ولا نَقضِي فنَذَرُهُم إِمهالًا لهم واستِدْرَاجًا.

(١٢) - ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ لإزالَتِه مُخلِصًا فيه.

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: مُلقِيًا لجنبِه؛ أي: مُضطَجِعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ وفائدَةُ التَّردِيدِ: تعميمُ الدُّعاءِ لجَميعِ الأحوالِ أو لأصنافِ المضارِّ.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾: مَضى على طَريقَتِه واستمرَّ على كُفرِهِ، أو: مرَّ عَن موقفِ الدُّعاءِ لا يرجعُ إليه.

﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾: كأنَّه لم يَدعُنا، فخُفِّفَ وحُذفَ ضميرُ الشَّأنِ كمَا قال[2]:

وَنَحْـرٍ مُشْـرِقِ اللَّـون ... كَـأَنْ ثَـدْيَاهُ حُقَّـانِ

﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾: إلى كشفِ ضرٍّ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك التَّزيينِ ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن الانهماكِ في الشَّهواتِ والإعراضِ عَن العباداتِ.

---

(١) قوله: «عطف على محذوف دلت عليه الشرطية»؛ يريد أنه لا يصح العطف على شرط (لو) ولا على جوابها؛ لانتفائها، لأن (لو) يجعل المثبت منفيًّا، وهذا مقصودٌ إثباته، ولو عطف عليه لكان منفيًّا أيضًا، وهو خلاف المقصود، وفي هذا المقام وجوهٌ لكن ما اختاره المصنِّف هو المعول عليه. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤٠٧).

(٢) لا يعرف قائله، وهو في «كتاب سيبويه» (١/ ٢٨١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٠)، و«الصحاح» (مادة: أنن)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٢٣٧)، برواية:

ووجـه مشـرق النحـر

وله روايات أخرى أوردها البغداديُّ في «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٩٨)، والشاهد فيه بطلان عمل (كأن) إذا خففت.

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: حين ظَلَمُوا بالتَّكذيبِ واستعمالِ القُوَى والجوارحِ لا على ما يَنبَغِي.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحُجَجِ الدَّالَّةِ على صِدْقِهِم، وهو حالٌ مِن الواوِ بإضمارِ «قد» أو عطفٌ على ﴿ظَلَمُوا﴾.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: وما استقامَ لَهُم أن يُؤمِنُوا؛ لفسادِ استِعدادِهِم، وخذلانِ اللهِ لهم، وعلمِهِ بأَنَّهُم يموتونَ على كفرِهِم، واللَّامُ لتأكيدِ النَّفي.

﴿كَذَلِكَ﴾ مثلَ ذلك الجزاءِ، وهو إهلاكُهُم بسببِ تكذيبِهِم للرُّسُلِ وإصرارِهِم عليه بحيثُ تحقَّقَ أنَّه لا فائدةَ في إمهالِهِم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: نَجزِي كلَّ مُجرِمٍ، أو: نجزيكُم، فوضعَ المُظهَرَ مَوضِعَ الضَّميرِ للدلالةِ على كمالِ جرمِهِم وأنَّهُم أعلامٌ فيه.

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾: استَخْلَفناكُم فيها بعدَ القُرونِ الَّتي أهلَكْنَاها استخلافَ مَن يَخْتَبِرُ.

﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أَتعملونَ خَيرًا أو شَرًّا فنعامِلَكُم على مُقتَضَى أَعمالِكُم، و﴿كَيْفَ﴾ معمولُ ﴿تَعْمَلُونَ﴾[1]؛ فإنَّ مَعنى الاستفهامِ يحجبُ أن يعملَ فيه ما قبلَهُ، وفائدَتُه: الدَّلالَةُ على أنَّ المعتبرَ في الجزاءِ جهاتُ الأفعالِ وكيفيَّاتُها لا هيَ مِن حيثُ ذاتُها، ولذلك يَحسُنُ الفعلُ تارةً ويقبُحُ أُخرى.

---

(١) قوله: «و﴿كَيْفَ﴾ معمول ﴿تَعْمَلُونَ﴾»؛ أي: لا معمول (ننظر)؛ لأن لـ﴿كَيْفَ﴾ صدر الكلام، فلا يتقدمه عامله، وظاهر كلامه ان ﴿كَيْفَ﴾ مفعول ﴿تَعْمَلُونَ﴾ كما يفصح عنه قوله: «أتعملون خيرًا أم شرًّا»، وجمهور النحاة على أنه حال من ضمير ﴿تَعْمَلُونَ﴾، و(ننظر) بمعنى (نعلم)؛ أي: لنعلم جوابَ ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٥٤).

(١٥) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني: المشركينَ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ﴾: بكتابٍ آخرَ نقرؤُهُ ليسَ فيه ما نَستبعِدُه مِن البَعثِ والثَّوابِ والعِقابِ بعدَ الموتِ، أو ما نكرهُهُ مِن معايبِ آلِهَتِنا.

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأنْ تجعلَ مكانَ الآيةِ المُشتَمِلَةِ على ذلك آيةً أُخْرَى، ولعلَّهُم سَأَلُوا ذلك كي يُسعِفَهُم إليه فيُلْزِموه.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما يصحُّ لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾: مِن قِبَلِ نَفْسِي، وهو مصدَرٌ استُعمِلَ ظرفًا، وإنَّما اكتُفِيَ بالجوابِ عن التَّبديلِ لاستلزامِ امتناعِهِ امتناعَ الإتيانِ بقرآنٍ آخرَ[١].

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ تعليلٌ لـ﴿مَا يَكُونُ﴾، فـإنَّ المتَّبعَ لغيرِهِ في أمرٍ لم يَستَبِدَّ بالتَّصرُّفِ فيه بوجهٍ، وجوابٌ للنَّقضِ بنَسْخِ بعضِ الآياتِ ببعضٍ[٢]، وردٌّ لِمَا عَرَّضُوا له بهذا السُّؤالِ مِن أنَّ القُرآنَ كلامُهُ واختِراعُهُ، ولذلك قيَّدَ التَّبديلَ في الجوابِ وسَمَّاهُ عِصيانًا فقالَ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ أي: بالتَّبديلِ ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وفيه إيماءٌ بأنَّهُم استَوْجَبُوا العذابَ بهذا الاقتراحِ.

(١٦) ـ ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ غيرَ ذلك ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أعلَمَكُم بهِ على لِساني.

وعن ابنِ كَثيرٍ: ﴿ولأَدْرَاكُم﴾ بلامِ التَّأكيدِ[٣]؛ أي: لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُه عليكم

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «بقرآن غير هذا».

(٢) قوله: «وجوابٌ للنَّقضِ بنسخِ بعضِ الآياتِ ببعضٍ» أي: جواب لنقض الكفرة بنسخ بعض الآيات ببعض بأن قالوا: كيف تدعي أنك لا تقدر على التبديل من تلقاء نفسك وقد وقع التبديل منك بالنسخ لبعض الآيات؟ فقولك منقوض بهذا. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

(٣) هي قراءة قنبل ورواية أبي ربيعة ـ وهو محمد بن إسحاق بن وهب الربعي المكي أنبل أصحاب =

ولأعلمَكُم به على لسانِ غَيرِي، والمعنى: أنَّه الحَقُّ الَّذي لا محيصَ عنه لو لم أُرسَلْ به لأُرسِلَ به غيرِي.

وقُرِئَ: «ولا أَدْرَأكُم»، «ولا أَدْرَأْتُكُم» بالهمزِ فيهما[1] على لغَةِ مَن يقلِبُ الألِفَ المُبدلَةَ مِن الياءِ همزةً، أو على أنَّه مِن الدَّرْءِ بمَعْنَى الدَّفعِ؛ أي: ولا جعَلْتُكُم بتِلاوَتِه خُصَمَاءَ تَدْرَؤونَنِي بالجِدالِ، والمعنى: أنَّ الأمرَ بمَشيئَةِ اللهِ لا بمَشيئَتِي حتَّى أجعلَهُ على نحوِ ما تَشتَهونَهُ، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ بقولِه:

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: مقدارَ أربعينَ سَنَةً ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: من قبلِ القُرآنِ لا أتلوهُ ولا أعلمُهُ، فإنَّه إشارةٌ إلى أنَّ القُرآنَ مُعجِزٌ خارِقٌ للعَادةِ، فإنَّ مَن عاشَ بينَ أَظهُرِهِم أربعينَ سنَةً لم يُمَارِس فيهَا عِلْمًا ولم يُشاهِدْ عالِمًا، ولم يُنشِئْ قَرِيضًا ولا خطبَةً، ثمَّ قرأَ عليهِمْ كِتابًا بذَّتْ[2] فَصاحَتُهُ فصاحَةَ كلِّ مِنْطِيقٍ، وعَلَا كلَّ مَنثورٍ ومَنظومٍ، واحتوَى على قواعدِ عِلْمَي الأُصولِ والفُروعِ، وأعرَبَ عَن أقاصيصِ الأوَّلينَ وأحاديثِ الآخِرينَ على ما هيَ عليه= عُلِمَ أنَّه مُعلَّمٌ[3] بهِ مِن اللهِ.

= البزي في وقته ـ عن البزي عن ابن كثير، انظر: «التيسير» (ص: ١٢١)، و«معرفة القراء الكبار» للذهبي (١/ ٤٥٤).

(١) الأولى ذكرها العكبري في «إملاء ما من به الرحمن» (ص: ٦٦٩)، والثانية نسبت لابن عباس وابن سيرين والحسن وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٩)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٣)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٣٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، و«المحتسب» (١/ ٣٠٩)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١١٠)، و«الكشاف» (٤/ ٢٤)، و«البحر» (١٢/ ٣٨).

(٢) «بذَّت»؛ بذال معجمة مشددة، أي: غلبت. والقريض: الشِّعرُ. والمِنطيق؛ بالكسر: البليغ.

(٣) قوله: «عُلِمَ» خبرٌ لإنَّ في قوله: «فإن من عاش»، انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤١٨)، وقوله: «معلم به»؛ من التعليم أو الإعلام. انظر: «حاشية الخفاجي».

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا تَستعمِلُونَ عُقولَكُم بالتَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ فيه لتعلَمُوا أنَّه ليسَ إلَّا مِن اللهِ.

(١٧) ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تفادٍ ممَّا أَضافُوه إليه كنايةً، أو تَظليمٌ للمُشركينَ بافترائِهم على اللهِ في قولِهم: إنَّه لذُو شريكٍ وذُو ولدٍ.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ فكفرَ بها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

(١٨) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ لأنَّه جمادٌ لا يقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ، والمعبودُ يَنبَغِي أن يكونَ مُثيبًا ومُعاقبًا حتَّى تعودَ عِبادَتُه بجلبِ نَفعٍ أو دفعِ ضرٍّ.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ﴾ الأوثانُ ﴿شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾: تشفَعُ لَنا فيما يُهِمُّنا مِن أُمورِ الدُّنيَا، أو في الآخرةِ إن يَكُن بعثٌ، وكأنَّهُم كانُوا شاكِّينَ فيه، وهذا من فرطِ جَهالتِهِم حيثُ تركوا عبادةَ المُوجِدِ الضارِّ النَّافعِ إلى عبادةِ ما يُعلَمُ قطعًا أنَّه لا يَضرُّ ولا يَنفعُ على توهُّمِ أنَّه ربَّما يشفَعُ لهم عندَهُ.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾: أتخبِّرونَه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ وهو أنَّ له شَريكًا، وفيه تقريعٌ وتهكُّمٌ بهم؛ أو: هؤلاءِ شُفعاؤنا عندَهُ[1]، وما لا يعلَمُه العالِمُ بجميعِ المعلوماتِ لا يكونُ له تَحقُّقٌ ما.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ حالٌ مِن العائدِ المحذوفِ[2] مؤكِّدةٌ للنَّفي مُنبِّهةٌ

---

(١) قوله: «أو هؤلاء شفعاؤنا عنده» بدل من قوله: «إن له شريكًا». وعبارة «الكشاف» (٤/ ٢٦): أتخبرونه بكونهم شفعاءَ عنده. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤٢١).

(٢) قوله: «حال من العائد المحذوف»: هو مفعولُ ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: بما لا يعلمُه. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤٢٢).

على أنَّ ما يعبدونَ من دونِ اللهِ إمَّا سَماويٌّ وإمَّا أَرضيٌّ، ولا شيءَ مِن الموجوداتِ فيهِمَا إلَّا وهو حادثٌ مَقهورٌ مثلُهُم لا يليقُ أن يُشرَكَ به.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عـن إشراكِهم، أو عَن الشُّركاءِ الَّذيـنَ يُشـرِكُونَهُم به.

(١٩) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مَوجودينَ على الفطرةِ، أو مُتفقينَ على الحقِّ، وذلك في عهدِ آدمَ عليه السَّلامُ إلى أن قتلَ قابيلُ هابيلَ، أو بعدَ الطُّوفانَ، أو على الضَّلالِ[1] في فترةٍ مِن الرُّسُلِ.

﴿فَٱخْتَلَفُواْ﴾ باتباعِ الهَوَى والأباطيلِ، أو ببعثةِ الرُّسُلِ[2]، فتبعَتهُم طائفةٌ وأصرَّت أخـرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ الحكمِ بينَهُم أو العذابِ الفاصلِ بينَهُم إلى يومِ القيامَةِ فإنَّه يومُ الفَصْلِ والجزاءِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجِلًا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإهلاكِ المبطلِ وإبقاءِ المحقِّ.

(٢٠) ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: مِـن الآيـاتِ الَّتـي اقترَحُوها.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هـو المُختـصُّ بعلمِـهِ فلعلَّـهُ يعلَـمُ فـي إنـزالِ الآياتِ المُقترحَـةِ مِـن مَفاسـدَ تَصْـرِفُ عَـنْ إنزالِها.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لنزولِ ما اقترَحْتُموهُ ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لِمَا يفعَلُ اللهُ بِكُم بجُحُودِكُم ما نزلَ عليه[3] من الآياتِ العِظَامِ واقتراحِكُم غيرَه.

---

(١) قوله: «أو على الضلال» معطوفٌ على «الحق». انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) قولُهُ: «باتِّباعِ الهوى والأباطيلِ... إلخ» ناظرٌ إلى كونِ الاتِّفاقِ في الحقِّ. وقولُهُ: «أو ببعثَةِ الرُّسلِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ» ناظرٌ إلى كونِهِ في الضَّلالِ. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٣) في نسخة الطبلاوي: «ما نزلَ عليَّ».

(٢١) ـ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾: صِحَّةً وسَعَةً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ كقَحطٍ ومَرضٍ ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالطَّعنِ فيها والاحتيالِ في دَفعِها.

قيلَ: قُحِطَ أهلُ مكَّةَ سبعَ سنينَ حتَّى كادُوا يَهْلِكونَ، ثمَّ رَحِمَهُم اللهُ بالحَيا[١] فطَفِقُوا يقدَحُونَ في آياتِ اللهِ ويَكيدونَ رسولَهُ[٢].

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ مِنكُم، قد دبَّرَ عِقابَكُم قبلَ أَنْ تُدبِّرُوا كيدَكُم، وإنَّما دلَّ على سُرعَتِهِم المفضَّلِ عليها كلمةُ المُفاجأةِ الواقعةُ جوابًا لـ«إذا» الشَّرطيَّةِ.

والمكرُ: إخفاءُ الكَيدِ، وهوَ مِن اللهِ إمَّا الاستدراجُ أو الجزاءُ على المكرِ.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ تحقيقٌ للانتقامِ، وتَنبيهٌ على أنَّ ما دبَّرُوا في إخفائِهِ لم يخفَ على الحفَظَةِ فضلًا أَنْ يَخْفَى على اللهِ.

وعَن يَعقوب: ﴿يمكرون﴾ بالياءِ[٣]؛ ليُوافِقَ ما قبلَه.

(٢٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾: يحمِلُكُم على السَّيرِ ويُمكِّنُكُم منه، وقرأَ ابن عامرٍ: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾ بالنون والشين[٤] من النَّشْرِ.

﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: في السُّفنِ ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾: بمَنْ فيها؛ عَدَلَ عن الخطابِ إلى الغَيْبَةِ للمُبالغَةِ؛ كأنَّه تذكِرَةٌ لغَيرِهم ليتعجَّبَ من حالَهُم ويُنكِرَ عليهِم.

---

(١) الحَيَا؛ بالقصر والمدِّ: المطر، والمراد به: الخصب. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) روى نحوه البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليِّنَـةِ الهُبـوبِ ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾: بتلـكِ الرِّيـحِ ﴿جَآءَتْهَا﴾ جـوابُ ﴿إِذَا﴾، والضَّميـرُ للفلـكِ أو الرِّيـحِ الطَّيِّبَةِ بمَعنـى: تَلَقَّتْهـا ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: ذاتُ عَصـفٍ شَـديدَةُ الهُبوبِ.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يمكِنُ مجيءُ الموجُ مِنْه.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أُهْلِكُوا وسُدَّت عليهِم مَسالِكُ الخَلاصِ كمَنْ أحاطَ بهِ العَدُوُّ.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِن غيرِ إشراكٍ؛ لتراجُعِ الفطرةِ[1] وزَوالِ المُعارِضِ مِن شدَّةِ الخوفِ، وهو بدلٌ مِن «ظنُّوا» بدلَ اشتمالٍ لأنَّ دعاءَهُم مِن لَوازِمِ ظنِّهم.

﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ عَلـى إرادةِ القـولِ، أو مفعـولُ ﴿دَعَوُاْ﴾ لأنَّه مِن جملةِ القَولِ.

(٢٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ إجـابـةً لدُعـائِهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فاجؤوا الفسادَ فيها وسارَعُوا إلى ما كانُوا عليه ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: مُبطِلِينَ فيه، وهو احترازٌ عن تَخريبِ المُسلمينَ ديارَ الكَفَرةِ وإحراقِ زُروعِهِم وقلعِ أَشجارِهِم فإنَّها إفسادٌ بحقٍّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ فإنَّ وَبالَهُ عليكُم، أو أنَّه على أمثالِكُم وأبناءِ جنسِكُم.

﴿مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مَنفعَةُ الحياةِ الدُّنيَا لا تَبْقَى ويَبْقَى عقابُها، ورَفعُه على أنَّه خبرُ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ صلتُه، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: ذلك متاعُ الحياةِ الدُّنيا و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ خبرُ ﴿بَغْيُكُمْ﴾.

---

(١) أي: لرجوعهم إلى الفطرة. انظر: «حاشية الخفاجي».

ونَصَبَهُ حفصٌ [١] على أنَّه مَصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: تتمتَّعونَ متاعَ الحياةِ الدُّنيا، أو مَفعولُ البَغيِ لأنَّه بمَعنَى الطلبِ، فيكونُ الجارُّ مِن صِلَتِه والخبرُ محذوفًا، تقديرُهُ: بَغْيُكُم متاعَ الحَياةِ الدُّنيا مَحذورٌ أو ضلالٌ، أو مَفعولُ فعلٍ دلَّ عليه البَغيُ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ خبرٌ ﴿بَغْيُكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في القيامَةِ ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاءِ عليهِ.

(٢٤) ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: حالُهـا العَجيبَـةُ فـي سـرعةِ تَقضِّيهـا وذهابِ نَعيمِهَا بعـدَ إقبالِها واغترارِ النَّاسِ بهـا ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: فاشـتبَكَ بسـببِهِ حتَّـى خالـطَ بعضُـهُ بَعْضًـا ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾: مـن الـزُّروعِ والبُقولِ والحَشيشِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: حُسْنَها وبهجتَها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: وتَزيَّنَتْ بأصنافِ النَّباتِ وأشكالِها وألوانِها المُختَلِفَةِ كعَروسٍ أَخذَتْ مِن ألوانِ الثِّيابِ والزِّينِ فتزيَّنَتْ بها.

و﴿ٱزَّيَّنَتْ﴾ أصلُهُ: تزيَّنَت، فأُدغمَ، وقَدْ قُرِئَ على الأَصلِ [٢].

و: «أَزْيَنَـتْ» علـى أَفْعَلَتْ [٣] مِن غيرِ إعـلالٍ كـ: أَغْيَلَـتْ [٤]، والمعنى: صارَتْ ذاتَ زينةٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) نسبت لابن مسعود وأبي بن كعب، وزيد بن علي والأعمش. انظر: «الكشاف» (٤/ ٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١١٤)، و«البحر» (١٢/ ٦٠).

(٣) نسبت لمالك بن دينار الأعرج ونصر بن عاصم وأبي العالية والحسن بخلاف وقتادة وأبي رجاء بخلاف والشعبي وعيسى الثقفي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، و«المحتسب» (٢/ ٣١١)، و«الكامل» للهُذَلي (ص: ٣٨٧).

(٤) أي: سقت ولدها الغيل، وهو اللبن ترضعه ولدها وهي حامل. انظر: «القاموس» (مادة: غيل).

و: «ازْيَانَّتْ» كـ: ابْيَاضَّتْ[1].

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: مُتمكِّنونَ مِن حَصدِها ورفعِ غلَّتِها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: ضَرَبَ زَرْعَها ما يجتاحُه ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا﴾: فجعلنا زرعَهَا، ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهًا بما حُصدَ مِن أصلِه ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾: كأن لم يَغْنَ زرعُها؛ أي: لم يَلْبَثْ[2]، والمضافُ مَحذوفٌ في المَوضِعَينِ للمُبالغَةِ[3].

وقُرِئَ بالياءِ على الأصلِ[4].

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: فيما قُبيلَه[5]، وهو مثلٌ في الوَقتِ القَريبِ، والمُمثَّلُ به مَضمونُ الحِكايَةِ وهو زوالُ خضرةِ النَّباتِ فجأةً وذهابُه حطامًا بعدما كانَ غضًّا، والتفَّ وزيَّنَ الأرضَ حتَّى طمعَ فيه أهلُهُ، وظَنُّوا أنَّه قد سلمَ مِن الجوائحِ، لا الماءُ[6] وإنْ وَلِيَه حَرفُ التَّشبيهِ لأنَّه مِن التَّشبيهِ المُركَّبِ[7].

---

(١) نسبت لأبي عثمان النَّهْدي، وعوف بن أبي جميلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، و«المحتسب» (١/ ٣١١ ـ ٣١٢)، «المحرر الوجيز» (٣/ ١١٤).

(٢) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «ينبت»، والمثبت من نسخة التفتازاني؛ وقد أشار إلى النسختين الخفاجي في «الحاشية» والقونوي في «الحاشية» (٩/ ٤٣٤). ورجَّحا المثبتَ.

(٣) قوله: «والمضاف»؛ أي: وهو الزرعُ «محذوف في الموضعين»؛ أي: في ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا﴾، وفي ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٦١).

(٤) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١١٥)، و«البحر» (١٢/ ٦٢). وقوله: «على الأصل»؛ أي: بإرجاع الضمير مذكرًا إلى الزرع المضاف المحذوف، فحينئذ تفوت المبالغة المذكورة، ولذا رجح المصنف القراءة بالتاء. انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٤٣٥).

(٥) قوله: «فيما قبيله»؛ أي: قُبَيلَ أمرنا، لا: قُبَيلَ الأمسِ، على ما يوهمُه كلامُه، كأنه قيل: كأنْ لم تغنَ آنفًا. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٦١).

(٦) قوله: «لا الماءُ» عطف على «مضمونُ الحكاية». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٦١).

(٧) قوله: «وإن وليه»؛ أي: الماءَ «حرف التشبيه»؛ أي: في قوله ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ «فإنه»؛ أي: التشبيهَ =

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنَّهم المنتفِعونَ بهِ.

(٢٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دارِ السَّلامةِ مِن التَّقضِّي[1] والآفةِ، أو: دارِ اللهِ، وتَخصيصُ هذا الاسمِ أيضًا للتَّنبيهِ على ذلك، أو: دارٍ يسلِّمُ اللهُ والمَلائكَةُ فيها على مَن يدخلُهَا، والمرادُ: الجنَّةُ ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بالتَّوفيقِ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ هو طريقُهَا، وذلك: الإسلامُ والتَّدرُّعُ بلباسِ التَّقوَى.

وفي تَعميمِ الدَّعوَةِ وتخصيصِ الهِدايَةِ بالمَشيئَةِ دليلٌ على أنَّ الأمرَ غيرُ الإرادةِ، وأنَّ المصرَّ على الضَّلالِ لم يُرِدِ اللهُ رُشدَهُ.

(٢٦) ـ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: المثوبةُ الحُسْنَى ﴿وَزِيَادَةٞ﴾: وما يزيدُ على المثوبةِ تَفضُّلًا؛ كقولِه: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور: ٣٨].

وقيلَ: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مثلُ حسناتِهم والزِّيادةُ عَشرُ أَمثالِها إلى سبعِ مئةِ ضعفٍ أو أكثَرَ.

وقيلَ: الزِّيادَةُ: مغفرةٌ مِن اللهِ ورضوانٌ.

وقيلَ: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: الجنَّةُ، والزِّيادَةُ: اللقاءُ[2].

= المذكورَ «من التشبيه المركب» حيثُ شبَّهَ حالَ الدُّنيا في سرعة تقضـِّيها وانقراضِ نعيمِها بعدَ الإقبالِ بحالِ نباتِ الأرضِ في جفافِه وذهابِـه حُطامًا بعدما التفَّ وتكاثفَ وزيَّنَ الأرضَ بخُضرتِه واختلاطِه بالماء. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٦١).

(١) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «النقص». وقوله: «مِنَ التَّقضِّي»؛ أي: الانقضاءِ والزَّوالِ لخلودِهم فيها. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) قال السيوطي: ما أنصفَ المُصنِّفُ حيثُ جعلَ هذا القولَ آخرَ الأقوالِ وأَضْعفَها، ورجَّحَ عليهِ غيرَهُ، وهو الثَّابتُ عَن رسولِ اللهِ ﷺ نصًّا في تفسيرِ هذه الآيةِ، فيما أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه»، عن أصحابِه أبي بكرِ الصِّديقِ وحذيفةَ وأبي مُوسى وعبادةَ بنِ الصَّامتِ وغَيرِهِم، والأحاديثُ والآثارُ بهذا التَّفسيرِ كثيرَةٌ أورَدْتُها في «تَفسيري المأثورِ» [«الدر المنثور» (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩)]. ولعلَّ =

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: لا يَغشاهَا ﴿قَتَرٌ﴾: غُبْرةٌ فيها سَوادٌ ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هَوانٌ، والمعنى: لا يرهقُهم ما يَرْهَقُ أهلَ النَّارِ، أو: لا يَرهَقُهم ما يوجبُ ذلك مِن حزنٍ وسُوءِ حالٍ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمونَ لا زوالَ فيهَا ولا انقراضَ لنَعيمِهَا، بخلافِ الدُّنيا وزَخارِفِهَا.

(٢٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ عَطفٌ على قولِه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ على مَذهَبِ مَن يُجَوِّزُ: «في الدَّارِ زَيدٌ والحجرةِ عمرٌو»[(١)].

أو «الذينَ» مُبتدأٌ والخبرُ: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ على تَقديرِ: وجزاءُ الَّذينَ كسَبُوا السَّيِّئاتِ جزاءُ سَيِّئَةٍ بمثلِها؛ أي: أَنْ تُجازَى سيئةٌ بسَيِّئَةٍ مِثلِها لا يزادُ عليها، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الزِّيادةَ هي الفضلُ أو التَّضعيفُ[(٢)].

= المُصنِّفَ سَها عندَ كتابةِ هذا المَوضعِ، ومَشى عليه قَوْلُ الزَّمخشريِّ [«الكشاف» (٤/ ٣٨)]: «وزَعمَت المُشبِّهَةُ والمُتحيِّزَةُ أنَّ الزِّيادةَ النَّظرُ إلى وجهِ اللهِ، وجاؤوا بحديثٍ مَرقوعٍ». وذكر أصحاب الحواشي نحو ذلك في اعتراضهم على المصنِّفِ.

ولفظ الحديث الذي رواه مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

(١) يعني: الَّذينَ معطوفٌ على الَّذينَ المجرورِ الَّذي هوَ معَ جارِّهِ خبرٌ، (وجزاءُ سيئَةٍ) معطوفٌ على الحُسنى الَّذي هوَ مبتدأٌ، وفيها مسألة العطف على معمولي عاملين. وفي جوازه خلافٌ وتفصيلٌ في كتب النحو. انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٠٤ ـ ٦٠٦)، و«حاشية الخفاجي».

(٢) قولُهُ: (وفيهِ تنبيهٌ على أنَّ الزِّيادَة هيَ الفضلُ أوِ التَّضعيفُ) تبعَ فيهِ الزَّمخشريَّ، وهو مُخالفٌ للمأثورِ في تفسيرِها، والمُرادُ بالفضلِ أن يفضلَ على العملِ، ويزيدَ عليهِ. انظر: «حاشية الخفاجي».

أو: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ أو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ؛ فـ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾ مُبتدَأٌ خبرُه مَحذوفٌ؛ أي: فجزاءُ سَيِّئَةٍ بمثلِها واقعٌ، أو: ﴿بِمِثۡلِهَا﴾ على زيادَةِ الباءِ، أو تقديرِ: مُقدَّرٍ بمثلِها.

﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ وقُرِئَ بالياءِ[1].

﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾: ما مِن أحدٍ يعصمُهم من سَخَطِ الله، أو: من جهةِ اللهِ، أو: من عندِه؛ كما يكونُ للمؤمنينَ.

﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ لفَرطِ سَوادِهَا وظُلمَتِها، و﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالٌ من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ والعامِلُ فيه: ﴿أُغۡشِيَتۡ﴾ لأنَّه العامِلُ في ﴿قِطَعٗا﴾ وهو مَوصوفٌ بالجارِّ والمَجرورِ، والعامِلُ في الموصوفِ عامِلٌ في الصِّفَةِ، أو: مَعنى الفعلِ في ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾[2].

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ والكِسائِيُّ ويَعقوبُ: ﴿قِطْعا﴾ بالسُّكونِ[3]، فعلى هذا يَصِحُّ أَنْ يكونَ ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ صفَةً لَهُ أو حَالًا منه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ممَّا يَحتجُّ به الوعيديَّةُ[4]، والجوابُ: أنَّ الآيَةَ في الكُفَّارِ؛ لاشتِمالِ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على الشِّركِ والكُفرِ، ولأنَّ ﴿الذينَ أحسَنُوا﴾ يَتناوَلُ أَصحابَ الكَبيرةِ مِن أَهلِ القِبلَةِ فلا يَتناوَلُهُم قَسيمُهُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١) عن بعضهم.

(٢) قوله: «أو معنى الفعل من الليل»؛ عطفٌ على ﴿أُغۡشِيَتۡ﴾؛ يعني متعلقه المقدَّر. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١)، و«النشر» (٢/ ٢٨٣).

(٤) الوَعيديَّة: القائلون بوجوب إثابة الطائع وتعذيب العاصي. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٦٤).

(٢٨) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الفَريقينِ جميعًا ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ الزَمُوا مَكانَكُم حتَّى تَنظُرُوا ما يُفعَلُ بكُمْ.

﴿أَنتُمْ﴾ تأكيدٌ للضَّميرِ المُنتقِلِ إليه مِن عاملِه ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليهِ، وقُرِئَ بالنَّصبِ على المفعولِ معه(١).

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرَّقْنا بينَهُم وقطَّعْنا الوُصَلَ(٢) الَّتي كانَتْ بينَهُم.

﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ مجازٌ عَن براءةِ ما عَبَدُوهُ مِن عِبادَتِهِم، وأنَّهُم إنَّما عَبدُوا في الحقيقةِ أهواءَهُم ـ لأنَّها الآمرَةُ بالإشراكِ ـ لا ما أشرَكُوا به.

وقيلَ: يُنطِقُ اللهُ الأصنامَ فتُشافِهُهم بذلك مَكانَ الشَّفاعَةِ الَّتي توقَّعُوا(٣) مِنْها.

وقيلَ: المرادُ بالشُّركاءِ: الملائِكَةُ والمَسيحُ، وقيلَ: الشَّياطينُ.

(٢٩) ـ ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنَّه العَالِمُ بكُنْهِ الحالِ.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿إِن﴾ هي المُخفَّفَةُ مِن الثَّقيلَةِ، واللَّامُ هيَ الفارِقَةُ.

(٣٠) ـ ﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المَقامِ ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبرُ ما قدَّمَتْ مِن عملٍ فتعاينُ نفعَه وضرَّه.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿تَتْلُو﴾ مِن التِّلاوَةِ(٤)؛ أي: تَقرأُ ذكرَ ما قدَّمَتْ، أو من التُّلوِّ؛ أي: تَتْبعُ عملَها فيقودُها إلى الجنَّةِ أو إلى النَّارِ.

---

(١) أي: (وشركاءكم)، انظر: «الكامل» للهُذلي (ص: ٥٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٤٢)، و«البحر» (١١/ ٨٠).

(٢) في نسخة التفتازاني: «الوصلة». والوُصَلُ جمعُ الوُصلةِ.

(٣) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «يتوقعون».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

وقُرِئَ: «نَبْلُو» بالنُّونِ ونصبِ «كلَّ» وإبدالِ «ما» منه[١]، والمعنى: نَختَبِرُها؛ أي: نفعَلُ بها فعلَ المختبِرِ لحالِها المتعرِّفِ لسَعادَتِها وشَقاوَتِها بتعرُّفِ ما أسلَفَتْ مِن أَعمَالِهَا، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بهِ: نُصِيبُ بالبلاءِ ـ أي: بالعذاب ـ كلَّ نَفسٍ عاصِيَةٍ بسببِ ما أسلفَتْ مِن الشرِّ، فتكونُ «ما» مَنصوبةً بنزعِ الخافضِ.

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى جزائِهِ إيَّاهُم بما أسلَفُوا.

﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾: ربِّهِم ومُتولِّي أَمْرِهِم على الحَقيقَةِ، لا ما اتَّخذوهُ مَولًى.

وقُرِئَ: «الحقَّ» بالنَّصبِ[٢] على المدحِ أو المصدرِ المُؤكِّدِ[٣].

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾: وضاعَ عَنْهُم ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ مِن أنَّ آلِهَتَهُم تشفَعُ لَهُم، أو: ما كانُوا يدَّعُونَ أنَّها آلِهَةٌ.

(٣١) ـ ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: مِنْهُمَا جميعًا، فإنَّ الأَرزاقَ تحصُلُ بأَسبابٍ سَماوِيَّةٍ وموادَّ أَرضيَّةٍ، أو مِن كُلِّ واحدٍ مِنْهُما توسعةً عليكُمْ.

وقيلَ: ﴿مِّنَ﴾ لبيانِ ﴿مَن﴾ على حذفِ المضافِ؛ أي: مِن أهلِ السَّماءِ والأَرضِ.

﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾: أمَّنْ يَستطيعُ خلقَهُما وتَسوِيَتَهُما، أو: مَن يحفَظُهُما مِن الآفاتِ مَع كثرَتِها وسُرعَةِ انفعالِهِما مِن أَدْنَى شَيءٍ.

---

(١) نسبت لعاصم في رواية عنه. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣)، و«البحر» (١١/ ٨٣). وهي خلاف المشهور عن عاصم. وجاء في «الكامل» للهذلي (ص: ٥٦٧): (نتلوا) بالنون والتاء: أبو حاتمٍ عن هارون عن عاصِم (كُلَّ) نصب. وقوله: «وإبدال» معطوفٌ على (نصب) لا على المقروء. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٦٧) عن الحسن، و«الكشاف» (٤/ ٤٤) دون نسبة.

(٣) قوله: «على المدح» كقولك: (الحمدُ لله أهلَ الحمد)، «أو المصدر المؤكد»؛ أي: تأكيد قوله: ﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كقولك: (هذا عبد الله الحقَّ لا الباطلَ). انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٤).

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: ومَن يُحيِي ويُميتُ، أو: مَن يُنشِئُ الحيوانَ مِن النُّطفَةِ والنُّطفَةَ مِنه.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: ومَن يَلِي تَدبيرَ أَمرِ العالمِ وهوَ تَعميمٌ بعدَ تَخصيصٍ.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ إذ لا يقدرونَ على المكابرةِ والعِنادِ في ذلك لفَرْطِ وُضوحِه.

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أنفسَكُم عقابَهُ بإشراكِكُم إيَّاهُ ما لا يُشاركُه في شَيءٍ مِن ذلك.

(٣٢) ـ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: المُتولِّي لهذه الأُمورِ المُستحقُّ للعبادةِ هو ربُّكُم الثَّابتُ رُبوبيَّتُهُ؛ لأنَّه الَّذي أنشأَكُم وأحياكُمْ ورَزَقَكُم ودبَّرَ أُمورَكُم.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: ليسَ بعدَ الحقِّ إلَّا الضَّلالُ، فمَنْ تَخطَّى الحَقَّ الَّذي هو عبادةُ اللهِ وقعَ في الضَّلالِ.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عَن الحَقِّ إلى الضَّلالِ؟

(٣٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: كمَا حَقَّت الرُّبُوبِيَّةُ للهِ، أو أنَّ الحقَّ بعدَهُ الضَّلالُ، أو أنَّهُم مَصروفونَ عَن الحقِّ= حقَّتْ كَلِمَةُ اللهِ وحكمُهُ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾: تمرَّدُوا في كُفرِهِم، وخرجوا عن حدِّ الاستصلاحِ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ مِن الكَلِمَةِ، أو تَعليلٌ لحقيَّتِها، والمرادُ بها: العِدَةُ بالعَذابِ.

(٣٤) ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ جَعَلَ الإعادةَ كالإبداءِ في الإلزامِ بها لظُهورِ بُرهانِها، وإن لَمْ يُساعِدُوا عَلَيْهَا، ولذلك أُمرَ الرَّسولُ عليه السَّلامُ بأَنْ ينوبَ عَنْهُم في الجوابِ فقالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ لأنَّ لَجَاجَهُم لا يَدَعُهُم أن يَعترِفُوا بها.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرَفونَ عَن قصدِ السَّبيلِ.

(٣٥) - ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾ بنصبِ الحججِ وإرسالِ الرُّسلِ والتَّوفيقِ للنَّظرِ والتَّدبُّرِ، و«هَدَى» كما يُعدَّى بـ«إلى» لتَضمُّنِه مَعنى الانتهاءِ، يُعدَّى باللَّامِ للدلالَةِ على أنَّ المُنتَهَى غايَةُ الهدايةِ، وأنَّها لم تتوجَّه نحوَهُ على سبيلِ الاتِّفاقِ[1]، ولذلك عُدِّيَ بها ما أسندَهُ إلى اللهِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ أَمِ الَّذي لا يَهتَدِي إلَّا أن يُهْدَى، مِن قولِهِم: «هُدِيَ بنفسِه»: إذا اهتَدَى، أو: لا يَهدِي غيرَهُ إلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ، وهذا حالُ أشرافِ شُركائِهِم كالمَلائِكَةِ والمسيحِ وعُزَيْرٍ.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وورشٌ عَن نافِعٍ وابنُ عامرٍ ﴿يَهَدِّي﴾ بفتحِ الهاءِ وتَشديدِ الدَّالِ، ويَعقوبُ وحَفصٌ بالكَسرِ والتَّشديدِ، والأصلُ: يَهْتَدِي، فأُدغِمَ وفُتِحَت الهاءُ بحركَةِ التَّاءِ، أو كُسِرَت لالتقاءِ السَّاكِنَينِ.

وروى أبو بكرٍ: ﴿يِهِدِّي﴾ بإتباعِ الياءِ الهاءَ.

وقرأَ أبو عمرٍو بالإدغامِ المُجرَّدِ ولم يبالِ بالتقاءِ السَّاكِنَينِ لأنَّ المُدغَمَ في حُكمِ المُتحرِّكِ، وعن نافعٍ بروايةِ قالون مِثلُه[2].

---

(١) قوله: «وأنَّها لم تتوجَّه نحوَهُ على سبيلِ الاتِّفاقِ» الضمير في: «وأنها» للهداية، وفي: «نحوه» للمنتهى، والمعنى: أن الهداية لم تتوجه نحو المنتهى من غير قصدٍ وإرادة، بل تتوجه نحوه على سبيل القصد والإرادة. انظر: «حاشية الخفاجي»، وحاشيتي ابن التمجيد والقونوي (٩/ ٤٥٧).

(٢) وملخص ما ورد فيها من قراءات: ابن كثير وابن عامر وورش وأبو عمرو في أحد الوجهين: بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وأبو جعفر بخلاف عن ابن جماز وقالونُ في أحد وجهيه كذلك مع إسكان الهاء، وحمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، ويعقوب وحفص بفتح الياء وكسر الهاء، وأبو بكر كذلك مع كسر الياء، وقرأ أبو عمرو وقالون وابن جماز في وجههم الثاني باختلاس الفتحة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٣).

وقُرِئَ: «إلا أَنْ يُهَدَّى»[1] على المُبالغَةِ.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما يَقتَضِي صريحُ العَقلِ بُطلانَه.

(٣٦) ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يَعتَقِدُونَ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ مُستَنِدًا إلى خيالاتٍ فارِغَةٍ وأَقيِسَةٍ فاسِدَةٍ؛ كقياسِ الغائبِ على الشَّاهدِ والخالقِ على المخلوقِ بأَدْنَى مُشاركَةٍ مَوهومَةٍ.

والمـرادُ بالأكثـرِ: الجَميعُ، أو مَـن يَنتَمِـي مِنْهُـم إلى تَمييـزٍ ونَظَـرٍ ولا يرضَى بالتَّقليـدِ الصِّرْفِ.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: مِـن العـلمِ والاعتقادِ الحقِّ ﴿شَيْئًا﴾ مِن الإغناءِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَفعولًا به و﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ حالًا مِنْهُ.

وفيـه دليـلٌ علـى أنَّ تحصيـلَ العلـمِ فـي الأصـولِ واجـبٌ والاكتفـاءَ بالتَّقليدِ والظـنِّ غيـرُ جائزٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وَعيدٌ على اتِّباعِهِم الظَّنَّ وإعراضِهِم عَن البُرهانِ.

(٣٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: افتراءً مِـن الخَلقِ ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مطابقٌ لِمَا تَقدَّمَه مِن الكتبِ الإلهيَّةِ المشهودِ على صِدْقِها ولا يكونُ كذبًا، كيفَ وهوَ لكونِهِ مُعجِزًا دونَها عيارٌ عليهَا شاهِدٌ على صِحَّتِها، ونصبُهُ بأَنَّه خَبَرٌ لـ«كان» مقدَّرًا، أو عِلَّةٌ لفعلٍ مَحذوفٍ تقديرُه: ولكن أنزلَهُ اللهُ تصديقَ الذي.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على تَقديرِ: ولكنْ هوَ تَصديقُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١) عن أبي الحارث الذماري.

(٢) أي: (ولكن تصديقُ الذي بين يديه وتفصيلُ)، نسبت لعيسى بنِ عمرَ والزَّعْفراني وابن أبي عبلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكامل» للهُذَلي (ص: ٥٦٨).

﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وتفصيلَ ما حقَّقَ وأثبتَ مِن العقائد والشَّرائعِ.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: مُنتفِيًا عنه الرَّيبُ، وهو خبرٌ ثالثٌ داخلٌ في حكمِ الاستدراكِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ حالًا مِن ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ فإنَّه مَفعولٌ في المعنى، وأَنْ يكونَ استِئنافًا.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبرٌ آخرُ تقديرُهُ: كائنًا مِن ربِّ العالمينَ، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو ﴿تفصيل﴾ و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضٌ، أو بالفعلِ المعلَّلِ بهما[1]، ويجوزُ أَنْ يكونَ حالًا مِن ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ أو الضَّميرِ في ﴿فِيهِ﴾.

ومساقُ الآيةِ بعدَ المنعِ عَن اتِّباعِ الظنِّ لبيانِ ما يجبُ اتِّباعُهُ والبرهانِ عليه.

(٣٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمَّدٌ، ومعنى الهمزةِ فيه للإنكارِ.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغَةِ وحُسنِ النَّظمِ وقوَّةِ المَعنى على وَجهِ الافتراءِ؛ فإنَّكُم مِثلي في العَربيَّةِ والفَصاحَةِ وأشدُّ تمرُّنًا في النَّظمِ والعِبارَةِ.

﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ومع ذلك فاستَعينُوا بمَنْ أَمْكَنَكُم أَنْ تَستَعِينُوا به ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: سِوَى اللهِ تَعالى فإنَّه وحدَهُ قادِرٌ على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّه اختلَقَهُ.

(٣٩) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾: بل سَارعُوا إلى التَّكذيبِ ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾: بالقُرآنِ أوَّلَ ما سَمِعوه قبلَ أن يتدبَّرُوا آياتِه ويُحيطُوا بالعلمِ بشَأنِه، أو: بما جهلوهُ ولم يُحيطُوا به علمًا مِن ذكرِ البَعثِ والجَزاءِ وسائرِ ما يُخالِفُ دينَهُم.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: ولم يَقِفُوا بعدُ على تأويلِه ولم تَبْلُغ أَذهانُهُم مَعانِيَه، أو: لَمْ يَأتِهِم بعدُ تَأويلُ ما فيه مِن الإخبارِ بالغُيوبِ حتَّى يَتبيَّنَ لهم أنَّه صِدقٌ أَمْ كَذِبٌ.

---

(١) قوله: «أو بالفعل»؛ أي: أو متعلق بالفعل «المعلل بهما»؛ أي: وهو أنزله. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧٠).

والمعنى: أنَّ القُرآنَ مُعجِزٌ من جهَةِ اللَّفظِ والمعنى، ثمَّ إنَّهُم فاجؤوا تكذيبَهُ قَبْلَ أَنْ يَتدبَّرُوا نظمَهُ ويَتفحَّصُوا مَعناه.

ومَعنى التَّوقُّعِ في «لمَّا»: أنَّه قَدْ ظهرَ لَهُم بالآخرةِ إعجازُهُ لَمَّا[1] كرَّرَ عليهِم التَّحدِّيَ فرازُوا[2] قُواهُم في مُعارضَتِه فتضاءَلَت دونَها، أو لَمَّا شاهَدُوا وقوعَ ما أخبرَ به طبقًا لإخبارِهِ مرارًا فلَمْ يُقلِعُوا عَنِ التَّكذيبِ تَمرُّدًا وعِنادًا.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أنبياءَهُم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيهِ وَعيدٌ لَهُم بمثلِ ما عُوقِبَ بهِ مَن قَبلَهُم.

(٤٠) ـ ﴿وَمِنۡهُم﴾: ومِن المُكذِّبينَ ﴿مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾: مَن يُصدِّقُ بهِ في نَفسِهِ ويَعلَمُ أنَّه حَقٌّ ولكن يعانِدُ، أو: مَن سيُؤمِنُ به ويَتوبُ عَن كُفرِهِ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ في نفسِهِ لفَرطِ غَباوَتِه وقِلَّةِ تَدبُّرِهِ، أو فيما يُستقبلُ بل يموتُ على الكُفرِ ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: بالمُعانِدينَ أو بالمُصرِّينَ.

(٤١) ـ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: وإنْ أَصرُّوا على تكذيبِكَ بعدَ إلزامِ الحُجَّةِ ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡ﴾: فتبرَّأْ مِنْهُم فقَد أَعْذَرْتَ، والمعنى: لي جَزاءُ عَمَلِي ولَكُم جَزاءُ عَمَلِكُم حَقًّا كانَ أو باطِلًا.

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: لا تُؤاخَذُونَ بعملي ولا أُؤاخَذُ بعَمَلِكُم، ولِمَا فيهِ مِن إيهامِ الإعراضِ عنهم وتخليَةِ سَبيلِهِم قيلَ: إنَّه مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

---

(١) «لما»، بكسر اللامِ التعليلية، أو بفتحها بمعنى (حين)، وكذلك في «لما شاهدوا». انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) في نسخة الطبلاوي: «فزادوا»؛ تحريف. ومعنى «رازوا»: جرَّبوا وامتحنوا.

(٤٢) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأتَ القُرآنَ وعَلَّمْتَ الشَّرائِعَ، ولكِنْ لا يقبلونَ كالأصمِّ الَّذي لا يَسمَعُ أَصْلًا.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: تقدِرُ على إسماعِهِم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولو انضمَّ إلى صَمَمِهِم عدمُ تَعقُّلِهِم، وفيه تَنبيهٌ على أنَّ حَقيقَةَ استماعِ الكَلامِ فَهْمُ المَعنى المقصودِ منه، ولذلكَ لا تُوصَفُ به البهائمُ، وهو لا يَتأتَّى إلَّا باستعمالِ العَقلِ السَّليمِ في تَدبُّرِه، وعُقولُهُم لَمَّا كانَتْ مَؤُوفةً[1] بمُعارضَةِ الوهمِ ومُشايعَةِ الإلفِ والتَّقليدِ تعذَّرَ إِفهامُهُم الحِكَمَ والمعانيَ الدَّقيقَةَ فلم يَنتفِعُوا بسردِ الألفاظِ عليهم غيرَ ما ينتفِعُ به البَهائِمُ من كلامِ النَّاعقِ.

(٤٣) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويُعايِنُونَ دلائلَ نُبوَّتِكَ ولكن لا يُصدِّقُونَ.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾: تقدِرُ على هدايتِهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: وإن انضمَّ إلى عدمِ البَصرِ عدمُ البَصيرَةِ، فإنَّ المَقصودَ مِن الإبصارِ هو الاعتبارُ والاستبصارُ، والعمدةُ في ذلك البَصيرَةُ، ولذلك يَحْدِسُ الأعمى المُستبصِرُ ويتفطَّنُ ما لا يُدرِكُه البَصيرُ الأحمقُ.

والآيةُ كالتَّعليلِ للأمرِ بالتَّبرِّي والإعراضِ عَنْهُم.

(٤٤) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ بسلبِ حواسِّهِم وعُقولِهِم ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بإفسادِهَا وتَفويتِ مَنافِعِها عليها، وفيه دليلٌ على أنَّ للعبدِ كَسْبًا، وأنَّه ليسَ مَسلوبَ الاختيارِ بالكُلِّيَّةِ كما زعمَت المُجْبِرَةُ.

ويجوز أن يكونَ وعيدًا لهم بمَعنى: أنَّ ما يحيقُ بهم يومَ القيامةِ مِن العذابِ عَدلٌ مِن اللهِ لا يَظلِمُهُم به ولكنَّهُم ظَلَمُوا أنفُسَهُم باقترافِ أسبابِه.

---

(١) قوله: «مؤوفة»؛ أي: مشوبة بالآفات. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧١).

(٤٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يَستقصِرونَ مدَّةِ لبثِهم في الدُّنيا أو القبورِ لهولِ ما يرونَ، والجملَةُ التَّشبيهيَّةُ في موضِعِ الحالِ؛ أي: يحشُرُهُم مُشبَّهينَ بمَن لَمْ يَلبَثْ إلَّا ساعةً، أو صفةٌ لـ«يومَ» والعائدُ مَحذوفٌ تقديرُهُ: كأَنْ لَمْ يَلبَثُوا قبلَه، أو لِمَصدَرٍ مَحذوفٍ؛ أي: حشرًا كأَنْ لم يلبثُوا قبلَهُ.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرفُ بَعضُهُم بَعضًا كأنَّهُم لم يَتعارَفُوا إلَّا قَليلًا، وهذا أوَّلَ ما نُشِرُوا ثمَّ ينقطِعُ التَّعارُفُ لشِدَّةِ الأمرِ عَلَيهِم، وهو حالٌ أُخرى مُقدَّرَةٌ، أو بيانٌ لقولِه: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾، أو مُتعلِّقُ الظَّرفِ والتَّقدير: يتعارفونَ يومَ يَحشُرُهُم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ استئنافٌ للشَّهادةِ على خُسرانِهم والتَّعجُّبِ مِنه، ويجوزُ أن يكونَ حالًا مِن الضَّميرِ في ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ على إرادةِ القَولِ.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ لطرقِ استعمالِ ما مُنِحُوا مِن المَعَاونِ في تَحصيلِ المعارِفِ، فاستكسبُوا بها جهالاتٍ أدَّتْ بهم إلى الرَّدَى والعَذابِ الدَّائمِ.

(٤٦) ـ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: نُبصِّرَنَّكَ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ مِن العَذابِ في حَياتِكَ كما أَراه يومَ بَدرٍ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُرِيَكَ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنُريكَهُ في الآخرةِ، وهو جوابُ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وجوابُ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ مَحذوفٌ مثلَ: فذاكَ.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مُجازٍ عليه، ذَكَرَ الشَّهادةَ وأرادَ نَتيجتَها ومُقتضاهَا، ولذلك رتَّبَها على الرُّجوعِ بـ﴿ثُمَّ﴾، أو: مؤدٍّ شهادتَهُ على أفعالِهم يومَ القِيامَةِ.

(٤٧) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مِن الأُمَمِ الماضيَةِ ﴿رَّسُولٌ﴾ يُبعَثُ إليهِم ليَدعُوَهُم إلى الحقِّ ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبيِّنَاتِ فكَذَّبُوه ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بينَ الرَّسولِ ومُكذِّبيهِ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدلِ، فأُنجِيَ الرَّسولُ وأُهلِكَ المكذِّبونَ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقيلَ: مَعناه: لكلِّ أمَّةٍ يومَ القِيامَةِ رسولٌ تُنسبُ إليه، فإذا جاءَ رَسولُهُم الموقفَ

لِيَشهدَ عليهم بالكفرِ والإيمانِ قُضِيَ بينَهُم بإنجاءِ المُؤمِنِينَ وعِقابِ الكافِرِينَ[١]؛ كقولِه: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الزمر: ٦٩].

(٤٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ استِبعادًا له واستِهزاءً به ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ خطابٌ مِنْهُم للنَّبيِّ والمُؤمنينَ.

(٤٩) ـ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيفَ أَملِكُ لَكُم فأَستعجلَ في جَلبِ العَذابِ إِلَيْكُم ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ أَملِكَهُ؟ أو: و[٢]لكنْ ما شاءَ اللهُ مِن ذلك كائنٌ.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروبٌ لهلاكِهِم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: لا يَتأخَّرُونَ ولا يَتقدَّمونَ، فلا تستعجِلُوا فسَيَحِينُ[٣] وَقتُكُم ويُنجَزُ وعدُكُم.

(٥٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الَّذي تَستعجِلُونَ به ﴿بَيَٰتًا﴾: وقتَ بياتٍ واشتغالٍ بالنَّومِ ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حينَ كُنتُم مُشتغلينَ بطلبِ مَعاشِكُم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أيَّ شيءٍ من العَذابِ يَستعجِلُونَهُ وكلُّهُ مَكروهٌ لا يلائِمُ الاستعجالَ، وهو مُتعلِّقٌ بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ لأنَّه بمعنى: أَخبروني.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وُضعَ مَوضِعَ الضَّميرِ للدلالةِ على أنَّهُم لجُرمِهِم يَنبغِي أن يَفزعُوا مِن مَجيءِ الوعيدِ[٤] لا أن يَستعجلوهُ، وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ وهو: يندَمُوا على الاستعجالِ، أو: يعرفُوا خَطَأَهُ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «المؤمن وعقاب الكافر».

(٢) «الواو» زيادة من نسخة الخيالي.

(٣) في نسخة الطبلاوي: «فسيجيء»، وقد أشار الخفاجي إلى النسختين، قال: وهما بمعنىً. وقوله: «ويُنجز وعدكم» بالبناء للمجهول. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٤) في نسخة الخيالي: «العذاب» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الجَوابُ ﴿مَّاذَا﴾ كقولِكَ: إن أتيتُكَ ماذا تُعطِيني؟ وتَكونُ الجُملَةُ مُتعلِّقَةً بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، أو قولَه[1]:

(٥١) ـ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ بمَعنى: إن أتاكُم عذابُهُ آمَنْتُم به بعدَ وُقوعِهِ حينَ لا يَنفَعُكُم الإيمانُ؟ و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ اعتراضٌ، ودخولُ حَرفِ الاستفهامِ على «ثُمَّ» لإنكارِ التَّأخيرِ.

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ على إرادةِ القَولِ؛ أي: قيلَ لَهُم إذا آمَنُوا بعدَ وُقوعِ العَذابِ: آلآن آمَنْتُم به.

وعَن نافعٍ: ﴿آلَان﴾ بحذفِ الهَمزةِ وإلقاءِ حَرَكتِهَا على اللَّامِ[2].

﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تَكذيبًا واستهزاءً.

(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عطفٌ على «قيلَ» المُقدَّر: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ المُؤلمَ على الدَّوامِ ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ مِن الكُفرِ والمَعاصِي.

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: ويَستَخبِرُونَكَ ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أحقٌّ ما تقولُ مِن الوَعدِ وادِّعاءِ النُّبُوَّةِ؟ تقولُه بجدٍّ أَمْ باطلٍ تهزلُ به؟ قاله حُيَيُّ بن أخطبَ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ[3].

والأظهَرُ أَنَّ الاستفهامَ فيه على أصلِه؛ لقولِه: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾.

---

(١) قوله: «أو قوله»؛ بالنصب عطفٌ على ﴿مَّاذَا﴾ بعد قوله: «ويجوز أن يكون الجواب». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧٤)، ووقع في نسخة التفتازاني: «أو بقوله»، وهو خطأ. والمصنِّفُ تبعَ في هذا الزَّمخشريَّ في «الكشاف» (٤/ ٥٦)، ورُدَّ بأنه في غايَةِ البعدِ؛ لأنَّ ثمَّ حرفُ عطفٍ لم يسمعْ تصديرُ الجوابِ بهِ، والجُملَةُ المصدَّرَةُ بالاستفهامِ لا تقعُ جوابًا بدونِ الفاءِ. انظر: «البحر المحيط» (١٢/ ١١٣ ـ ١١٤)، و«حاشية الخفاجي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٢).

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٢٠) عن قتادة ومقاتل.

وقيلَ: إنَّهُ للإنكارِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: «آلحقُّ هو»[1] فإنَّه فيه تَعريضٌ بأنَّه باطِلٌ.

و﴿أَحَقٌّ﴾ مُبتدأٌ والضَّميرُ مُرتفِعٌ بِهِ سادٌّ مَسَدَّ الخبَرَ، أو خبرٌ مُقدَّمٌ، والجملةُ في موقعِ النَّصبِ بـ﴿يَسْتنبئونَكَ﴾.

﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: إنَّ العذابَ لكائنٌ، أو: ما أدَّعيهِ لثابتٌ.

وقيلَ: كِلَا الضَّميرينِ للقُرآنِ، و﴿إِى﴾ بمَعنى: نعم، وهو مِن لَوازمِ القَسَمِ ولذلك يُوصَلُ بواوِه في التَّصديقِ فيقال: إي واللهِ، ولا يقالُ «إي» وحدَه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتينَ العَذابَ.

(٥٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالشِّركِ أو التَّعدِّي على الغيرِ ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن خَزائِنِها وأموالِها ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: لجَعَلَتْهُ فِديَةً لها مِن العَذابِ، مِن قَولِهِم: افتَدَاهُ، بمَعنى: فَدَاهُ.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ لأنَّهُم بُهِتُوا بما عايَنُوا ممَّا لم يَحْتَسِبُوه مِن فَظاعَةِ الأَمرِ وهَوْلِه فلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَنْطِقُوا.

وقيلَ: «أَسَرُّوا النَّدامةَ»: أخلَصُوهَا؛ لأنَّ إِخفاءَهَا إخلاصُها، أو لأنَّه يُقالُ: «سِرُّ الشَّيءِ» لخالصتِه، مِن حيثُ إنَّها تَخفَى ويُضَنُّ بها.

وقيلَ: أظهَرُوهَا، مِن قولِهم: أَسَرَّ الشَّيءَ وأَشَرَّهُ: إذا أظهَرَهُ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ليسَ تكريرًا؛ لأنَّ الأوَّلَ قَضاءٌ بينَ الأَنبيَاءِ ومُكذِّبِيهِم، والثَّاني مجازاةُ المُشركينَ على الشركِ أو الحكومةُ بين الظَّالِمينَ والمَظلومينَ، والضَّميرُ[2] إنَّما يَتناوَلُهُم لدَلالةِ الظُّلمِ عَلَيهِم.

---

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣١٢)، و«الكشاف» (٤/ ٥٧)، عن الأعمش.

(٢) قوله: «والضمير»؛ أي: في ﴿بَيْنَهُم﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧٥).

(٥٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقريرٌ لقُدرَتِهِ تَعالى علـى الإثابَةِ والعِقابِ.

﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: ما وعدَهُ مِن الثَّوابِ والعِقابِ كائنٌ لا خُلْفَ فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّهُم لا يَعلمونَ ـ لقُصورِ عَقلِهِم ـ إلَّا ظاهِرًا مِن الحَياةِ الدُّنيَا.

(٥٦) ـ ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيَا، فهُوَ يقدرُ عليهِمَا في العُقبى؛ لأنَّ القادِرَ لذَاتِه لا تزولُ قُدرَتُهُ، والمادَّةُ القابِلَةُ بالذَّاتِ للحَياةِ والموتِ قابلَةٌ لهمَا أَبَدًا.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالموتِ أو النُّشورِ[1].

(٥٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: قَدْ جاءَكُم كِتابٌ جامِعٌ للحِكمَةِ العَمَليَّةِ الكاشِفَةِ عَن مَحاسنِ الأَعمالِ ومَقابِحِها المُرغِّبَةِ في المَحاسنِ والزَّاجرَةِ عَن المَقابحِ، والحكمةِ النَّظَريَّةِ التي هي شِفاءٌ لِمَا في الصُّدورِ مِـن الشُّكوكِ وسُوءِ الاعتقادِ، وهُدًى إلى الحقِّ واليَقينِ ورَحمةٌ للمُؤمنينَ، حيثُ أُنزلَت عَلَيهِم فنجَوا بها مِن ظُلماتِ الضَّلالِ إلى نورِ الإيمانِ، وتَبدَّلَت مَقاعِدُهُم مِن طَبقاتِ النِّيرانِ بمَصاعِدَ مِن دَرجاتِ الجنانِ، والتَّنكيرُ فيها للتَّعظيمِ.

(٥٨) ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ بإنزالِ القُرآنِ، والباءُ مُتعلِّقَةٌ بفعلٍ يُفسِّرُهُ قولُه: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾؛ فإنَّ اسمَ الإشارَةِ بمنزِلَةِ الضَّميرِ، تَقديرُهُ: بفَضلِ اللهِ وبرَحمَتِهِ فليَعْتَنُوا ـ أو فليَفْرَحُوا ـ فبذلك فليفرحوا، وفائدةُ ذلك التَّكريرِ: التَّأكيدُ والبَيانُ بعدَ الإجمالِ، وإيجابُ اختِصاصِ الفَضلِ والرَّحمَةِ بالفَرَحِ.

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «والنشور».

أو بفعلٍ دَلَّ عليه ﴿قَدْ جَآءَتْكُم﴾، و«ذلك» إشارةٌ إلى مَصدَرِه؛ أي: فبمَجِيئِها فليَفْرَحُوا.

والفاءُ[١] بمَعنى الشَّرطِ؛ كأنَّه قيلَ: إنْ فَرِحُوا بشَيءٍ فبهِمَا ليَفْرَحُوا، أو للرَّبطِ بما قَبْلَها والدَّلالةِ عَلى أنَّ مَجيءَ الكِتابِ الجامعِ بينَ هذه الصِّفاتِ مُوجِبٌ للفَرحِ، وتَكريرُها للتَّأكيدِ؛ كقولِه[٢]:

وإذا هَلَكْـتُ فعنـدَ ذلـك فاجزَعِـي

وعَـن يعقـوبَ: ﴿فَلْتَفْرَحُـوا﴾ بالتَّاءِ على الأصـلِ المرفـوضِ[٣]،............

---

(١) في نسخة التفتازاني: «والفاء الأولى». وقد أشار إلى النسختين الخفاجيُّ في «حاشيته»، وكأنه رجح المثبت؛ لأنه يحتمل الفاء الأولى أو الثانية، وتكون الأخرى زائدة، وكلا القولين فيه وجه. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) عجزُ بيتٍ للنمرِ بن تولب في «ديوانه» (ص: ٨٤)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ١٣٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٧٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٣١٤). وصدرُه:

لا تجزَعي إن مُنْفِسًا أهلكْتُهُ ....

والمَعنى: لا تجزَعِي على ما أتلَفْتُه من المالِ؛ فإني أُحصِّلُ لك أمثالَه، ولكن اجزعي إذا هَلكتُ فإنَّك لا تَجدينَ مِن يخلفُ عليك مثلي، وكان النَّمِرُ قد نزلَ به في الجاهليَّةِ أخوانِ فعقرَ لهما أربعَ قلائِصَ فلامَتْه على ذلك. انظر: «تلخيص الشواهد» لابن هشام (ص: ٥٠٠).

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٣٣٣)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٥). وذكرها الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٨) عن الحسن. وعزاها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، وابن جني في «المحتسب» (١/ ٣١٣) للنبي ﷺ، وزاد ابن جني: عثمان بن عفان وأُبي بن كعب رضي الله عنهما، والحسن وأبي رجاء ومحمد بن سيرين والأعرج، وأبي جعفر بخلاف، والسلمي وقتادة والجحدري وهلال بن يَسَاف، والأعمش بخلاف، وعباس بن الفضل وعمرو بن فائد. وانظر التعليق الآتي.

وقوله: «على الأصل المرفوض»؛ أي: قرئت على أصلها المتروك، وهو أمر المخاطب لا الغائب، =

وقـد رُوِيَ مَرفوعًـا[١] ويُؤَيِّـدُه أنَّه قُـرِئَ: «فافْرَحُوا»[٢].

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِـن حُطـامِ الدُّنيـا، فإنَّها إلى الـزَّوالِ، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ «ذلك».

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿تَجْمَعونَ﴾[٣] على مَعنى: فبذلك فليَفْرَحِ المُؤمِنُونَ فهوَ خَيرٌ ممَّا تَجمَعُونَ أيُّها المُخاطَبونَ.

= وذلك أن أصل الأمر أن يكون بحرف اللام مع المضارع، لكن لما كثر أمر المخاطب حذفوا اللام مع حرف المضارعة الذي هو التاء، وبقي ما بعده ساكنًا، فاحتيج إلى همزة الوصل ليقع الابتداء بها، فإذا أتي بأمر المخاطب فقد استعمل الأصل المتروك فيه. انظر: «المحتسب» (ص: ١/ ٣١٣)، و«حاشية الخفاجي».

(١) روي ذلك عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا، والصواب الوقف، فقد رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٦٢ ـ تفسير) عن أُبيِّ بنِ كعبٍ قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أَقرأَ عليكَ القرآنَ»، قال: قُلْتُ: سَمَّاني لك ربِّي؟ قال: «نَعَمْ»، فتَلَا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: بكتاب اللهِ وبالإسلامِ خَيرٌ مما يجمعون.

والصواب أن المرفوع من هذا الحديث ينتهي عند قوله: «نعم»، ويشهد لذلك أن الحديث رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩)، عن أنس رضي الله عنه، وينتهي عند قوله: «نعم».

أما الآية فقد جاء في كثير من الروايات أن الذي قرأها هو أبي رضي الله عنه، وأنه قرأ فيها: ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ بالتاء، انظر: «مصنف ابن ابي شيبة ـ تحقيق محمد عوامة» (٣٠٩٣٧)، و«مسند أحمد» (٢١٢٣٧)، و«خلق أفعال العباد» للبخاري (٥٣٤)، و«سنن أبي داود» (٣٩٧٩)، و«شرح معاني الآثار» (٥٥٨٧).

(٢) نسبت لُأبيِّ بنِ كعب رضي الله عنه. انظر: «المحتسب» (١/ ٣١٣)، و«الكشاف» (٤/ ٦١)، وزاد العُكبَريُّ في «إعراب القراءات الشواذ» (١/ ٦٤٨) نسبتها لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٢).

(٥٩) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ جعلَ الرِّزْقَ مُنْزَلًا لأنَّه مُقدَّرٌ في السَّماءِ محصَّلٌ بأسبابٍ مِنْهَا، و﴿مَّآ﴾ في مَوضعِ النَّصبِ بـ﴿أَنزَلَ﴾، أو بـ﴿أَرَءَيْتُم﴾ فإنَّه بمَعنى: أَخبِرُوني.

و﴿لَكُم﴾ دلَّ على أنَّ المُرادَ مِنه ما حَلَّ، ولذلك وبَّخَ على التَّبعيضِ فقالَ: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ مثلَ: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التَّحريمِ والتَّحليلِ فتقولونَ ذلك بحُكْمِه.

﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نِسبَةِ ذلك إليهِ، ويَجوزُ أَنْ تكونَ المُنفصلَةُ مُتَّصِلَةً بـ﴿أَرَءَيْتُم﴾ و﴿قُلْ﴾ مُكَرَّرٌ للتَّأكيدِ.

وأن[1] يكونَ الاستفهامُ[2] للإنكارِ، و﴿أَمْ﴾ مُنقطعَةً، ومَعنى الهمزةِ فيها تقريرٌ لافترائِهم على اللهِ.

(٦٠) ـ ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: أيُّ شيءٍ ظَنُّهُم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيحسبونَ أن لا يُجازَوْا عليه؟ وهو مَنصوبٌ بالظنِّ، ويدلُّ عليه أنَّه قُرِئَ بلفظِ الماضي[3] لأنَّه كائنٌ، وفي إبهامِ الوعيدِ تَهديدٌ عَظيمٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيثُ أنعمَ عليهم بالعَقلِ وهَداهُم بإرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتبِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعمَةَ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «ويجوز أن».

(٢) أي في: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧٩).

(٣) أي: (وما ظَنَّ) نسبت لعيسى بن عمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ٦٣).

(٦١) ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾: ولا تكونُ في أمرٍ، وأصلُهُ الهَمزُ مِن شَأَنْتُ شَأْنَهُ: إذا قَصَدْتَ قَصْدَه، والضَّميرُ في ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾ له؛ لأنَّ تِلاوةَ القُرآنِ مُعظَمُ شأنِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ، أو لأن القِراءَةَ تَكونُ لشَأنٍ، فيكونُ التَّقدير: مِن أَجلِهِ، ومَفعولُ ﴿تَتْلُوا۟﴾[١]: ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ على أنَّ ﴿مِن﴾ تبعيضيَّةٌ، أو مَزيدَةٌ لتأكيدِ النَّفيِ.

أو للقُرآنِ[٢] وإضمارُهُ قبلَ الذِّكرِ ثمَّ بَيانُهُ تَفخيمٌ لَهُ، أو للهِ.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ تعميمٌ للخِطابِ بعدَ تَخصيصه بمَن هو رَأسُهُم[٣]، ولذلكَ ذُكِرَ حيثُ خَصَّ ما فيه فخامَةٌ، وذكرَ حيثُ عَمَّ ما يتناوَلُ الجَليلَ والحَقيرَ.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: رُقباءَ مُطَّلِعينَ عليه ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تَخوضونَ فيه وتَنْدَفِعونَ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: ولا يَبْعُدُ عَنه ولا يَغيبُ عَن علمِه.

وقرأَ الكِسائيُّ بكسرِ الزَّايِ هنا وفي (سبأ)[٤].

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: مُوازِنِ نملةٍ صَغيرةٍ أو هَباءٍ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: في الوجودِ والإمكانِ؛ فإنَّ العامَّةَ لا تعرِفُ مُمكِنًا غيرَهُما ليسَ فيهِما ولا مُتَعلِّقًا بهما، وتَقديمُ الأرضِ لأنَّ الكَلامَ في حالِ أَهلِهَا، والمقصودُ منه: البُرهانُ على إحاطةِ علمِهِ بها.

---

(١) قوله: «ومفعول ﴿تَتْلُوا۟﴾؛ أي: على الوجهين». انظر: «حاشية القونوي» (٩/ ٥٠٧).

(٢) قوله: «أو للقرآن» عطف على «له»؛ يعني: أن ضميرَ ﴿مِنْهُ﴾ للشأن، أو للقرآن. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٧٩).

(٣) قوله: «بعد تخصيصه بمن هو رأسهم»؛ أي: وهو النبي ﷺ في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٨٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ كلامٌ برأسِهِ مُقرِّرٌ لِمَا قبلَهُ، و«لا» نافِيَةٌ و﴿أَصۡغَرَ﴾ اسمُها و﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ خبرُها.

وقرأَ حمزَةُ ويَعقوبُ بالرَّفعِ[1] على الابتداءِ والخبرِ، ومَن عطفَ على لفظِ ﴿مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ وجعلَ الفتحَ بدلَ الكسرِ لامتناعِ الصَّرفِ، أو على محلِّهِ معَ الجارِّ، جعلَ الاستثناءَ مُنقطِعًا.

والمرادُ بالكتابِ: اللوحُ المَحفوظِ.

(٦٢) - ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الَّذين يَتولَّوْنَهُ بالطَّاعَةِ ويَتولَّاهُم بالكَرامَةِ ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ مِن لُحوقِ مَكروهٍ ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ بفَواتِ مَأمولٍ. والآيَةُ كمُجْمَلٍ فسَّرَه قولُه:

(٦٣) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. وقيلَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ بيانٌ لتَوَلِّيهم لهُ.

(٦٤) - ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهو ما بَشَّرَ به المتَّقينَ في كتابِه وعلى لسانِ نَبيِّهِ، وما يُريهِم مِن الرُّؤيَا الصَّالِحَةِ، وما يَسنحُ لهم من المكاشَفاتِ، وبُشرى المَلائكَةِ عندَ النَّزعِ ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بتَلَقِّي المَلائكةِ إيَّاهُم مُسلِّمينَ مُبشِّرينَ بالفوزِ والكَرامَةِ. بيانٌ لتولِّيهِ لهم.

ومحلُّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ النَّصبُ أو الرَّفعُ على المدحِ، أو على وَصفِ الأَوْلِيَاءِ، أو على الابتداءِ وخبره: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾.

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تَغييرَ لأقوالِهِ ولا إخلافَ لِمَواعيدِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى كونِهم مُبشَّرينَ في الدَّارينِ ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ هذه

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣)، و«النشر» (٢/ ٢٨٥).

الجملَةُ والتي قبلَهَا اعتراضٌ لتحقيقِ المبشَّرِ به وتعظيمِ شَأنِه، وليسَ مِن شرطِهِ أن يقَعَ بعدَهُ كلامٌ يتَّصِلُ بما قبلَهُ.

(٦٥) ـ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: إشراكُهُم وتَكذيبُهُم وتَهديدُهُم.

وقرأَ نافِعٌ: ﴿يُحْزِنْكَ﴾ مِن أحزنَهُ[1]، وكِلاهُمَا بمَعنًى.

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ استئنافٌ بمَعنى التَّعليلِ، ويدلُّ عليه القِراءَةُ بالفَتحِ[2]؛ كأنَّه قيلَ: لا تحزَنْ بقولِهِم ولا تُبالِ بهم؛ لأنَّ الغلبَةَ للهِ جَمِيعًا لا يملِكُ غيرُهُ شيئًا مِنْها، فهوَ يقهَرُهُم ويَنصرُكَ عليهِم.

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِهِم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعزماتِهِم فيُكافِئُهُم علَيْها.

(٦٦) ـ ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن المَلائِكَةِ والثَّقَلينِ، وإذا كانَ هؤلاءِ الَّذينَ هُم أشرَفُ المُمكِنَاتِ عَبِيدًا لا يصلحُ أحدٌ مِنْهُم للرُّبوبيَّةِ فمَا لا يَعقلُ مِنْها أحَقُّ أن لا يكونَ له نِدًّا أو شريكًا، فهو كالدَّليلِ على قولِه: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: شُركاءَ على الحقيقَةِ وإن كانُوا يُسَمُّونَها شركاءَ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولُ ﴿يَدْعُونَ﴾ ومفعولُ ﴿يَتَّبِعُ﴾ مَحذوفٌ دلَّ عليه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتَّبعونَ يقينًا وإنَّما يتبعونَ ظنَّهُم أنَّها شُركاءُ.

ويجوزُ أَنْ تكونَ «ما» استفهاميَّةً مَنصوبةً بـ﴿يَتَّبِعُ﴾، أو موصولةً مَعطوفةً على ﴿مَن﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٩)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٢) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ٦٨).

وقُرِئَ: «تدعون» بالتَّاءِ[(١)]، والمعنى: وأيَّ شيءٍ يتبعُ الَّذينَ تدعونَهُم شركاءَ مِن الملائكةِ والنَّبيِّين؟ أي: أنَّهُم لا يتَّبعونَ إلَّا اللهَ ولا يعبدونَ غيرَهُ فما لَكُم لا تتَّبعونَهُم فيه؟ كقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] فيكونُ إلزامًا بعدَ بُرهانٍ، وما بعدَهُ مصروفٌ عَن خِطابِهِم لبيانِ سَندِهِم ومنشأ رَأيِهِم.

﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾: يكذبونَ فيما يَنسبونَ إلى اللهِ، أو يَحْزِرونَ ويقدِّرونَ أنَّها شُركاءُ تَقديرًا باطِلًا.

(٦٧) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ تنبيهٌ على كمالِ قُدرَتِه وعَظيمِ نِعمَتِه المتوحِّدِ هو بهمَا؛ ليدلَّهم على تفرُّدِه باستحقاقِ العِبادَةِ.

وإنَّما قال: ﴿مُبۡصِرًا﴾ ولم يقل: لتُبصِرُوا فيه، تفرقَةً بين الظَّرفِ المجرَّدِ والظَّرفِ الَّذي هو سببٌ[(٢)].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّرٍ واعتبارٍ.

(٦٨) ـ ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾؛ أي: تَبنَّاه ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له عن التَّبنِّي فإنَّه لا يَصِحُّ إلَّا ممَّنْ يُتَصوَّرُ له الولدُ، وتعجيبٌ[(٣)] مِن كلمتِهم الحمقاءِ.

﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عِلَّةٌ لتَنزُّهِه، فإنَّ اتِّخاذَ الولدِ سببٌ عَن الحاجةِ.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تقريرٌ لغِناهُ.

---

(١) نسبت لعلي رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ٦٩).

(٢) قوله: «تفرقة بين الظرف المجرد»؛ أي: عن التسبُّبِ، وهو النهارُ «والظرف الذي هو سبب» وهو الليلُ؛ لأنَّه سببٌ للسُّكون. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٨٣).

(٣) في نسخة الطبلاوي ونسخة الخيالي: «وتعجب». وقد أشار إلى النسختين الخفاجي والقونوي، ورجَّحَ القونويُّ المثبتَ. انظر: «حاشية الخفاجي»، و«حاشية القونوي» (٩/ ٥٢٢).

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ نفيٌ لِمُعارضٍ ما أقامَهُ مِن البرهانِ؛ مُبالغةً في تَجهيلِهِم وتحقيقًا لبُطلانِ قَولِهِم، و﴿بِهَٰذَآ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿سُلْطَٰنٍۭ﴾ أو نعتٌ له، أو بـ﴿عندكُم﴾ كأنَّه قيلَ: إنْ عِندَكُم في هذا سلطانٌ.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخٌ وتَقريعٌ على اختِلافِهِم وجهلهم، وفيهِ دَليلٌ على أنَّ كلَّ قَولٍ لا دليلَ عليهِ فهو جهالةٌ، وأنَّ العَقائدَ لا بدَّ لها مِن قاطعٍ، وأنَّ التَّقليدَ فيها غيرُ سائغٍ.

(٦٩) ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ باتِّخاذِ الولدِ وإضافةِ الشَّريكِ إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا يَنْجُونَ مِن النَّارِ ولا يفوزونَ بالجنَّةِ.

(٧٠) ـ ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ خبرُ مُبتدأٍ مَحذوفٍ؛ أي: افتراؤُهُم متاعٌ في الدُّنيا يُقِيمونَ بهِ رئاسَتَهُم في الكفرِ، أو: حياتُهُم ـ أو: تقلُّبُهُم ـ متاعٌ، أو مبتدأٌ خبرُهُ مَحذوفٌ؛ أي: لهم تمتُّعٌ في الدُّنيَا.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموتِ فيلقونَ الشَّقاءَ المؤبَّدَ ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: بسببِ كُفرِهِم.

(٧١) ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: خبرَهُ مع قومِه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾: عَظُمَ عليكُم وشقَّ ﴿مَّقَامِى﴾: نَفْسِي؛ كقولِكَ: فعلتُ كذا لِمَكانِ فلانٍ، أو: كوني وإقامَتِي بينكُم مدَّةً مَديدةً، أو: قيامِي على الدَّعوَةِ.

﴿وَتَذْكِيرِى﴾ إيَّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وَثِقْتُ به ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: فاعزِمُوا عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أي: مع شُركائِكُم، ويؤيِّدُه القراءَةُ بالرَّفعِ[1] عطفًا على الضَّميرِ المتَّصِلِ، وجازَ مِن غيرِ أَنْ يُؤكَّدَ؛ للفَصلِ.

---

(١) وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٥).

وقيلَ: إنَّه مَعطوفٌ على ﴿أَمْرَكُمْ﴾ بحذفِ المُضافِ؛ أي: وأمرَ شُركائِكُم.

وقيلَ: إنَّه مَنصوبٌ بفعلٍ مَحذوفٍ تَقديرُهُ: «وادعُوا شُركاءَكُم»، وقَد قُرِئَ به[1].

وعن نافعٍ: ﴿فَاجمَعُوا﴾ مِن الجمعِ[2]، والمعنى: أمرُهُم بالعزمِ، أو الاجتماعِ على قَصدِه والسَّعيِ في إهلاكِه على أيِّ وَجهٍ يُمكِنُهُم؛ ثقةً باللهِ وقلةَ مُبالاةٍ بِهِم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قَصدِي ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مَستورًا واجعَلُوه ظاهِرًا مكشوفًا، مِن غَمَّه: إذا سترَهُ، أو: ثمَّ لا يَكُن حالُكُم عليكُم غمًّا إذا أهلَكْتُمُوني وتخلَّصْتُم مِن ثقلِ مَقامِي وتَذكيرِي.

﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾: أدُّوا ﴿إِلَيَّ﴾ ذلك الأمرَ الَّذي تُريدونَ بي.

وقُرِئَ: «ثمَّ أَفْضُوا إليَّ» بالفاءِ[3]؛ أي: انتَهُوا إليَّ بشرِّكُم، أو: ابرُزُوا إليَّ، مِن أَفْضَى: إذا خرجَ إلى الفَضاءِ.

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تُمهِلُونِي.

(٧٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرَضْتُم عن تَذكيرِي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ يوجبُ تَولِّيكُم لثقلِهِ عليكُم واتِّهامِكُم إيَّايَ لأجلِهِ، أو: يفوتُنِي لتَولِّيكُم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ما ثَوابي عَلى الدَّعوةِ والتَّذكيرِ ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تَعلُّقَ لـه بِكُم،

---

(١) أي: (فأَجمِعوا أمركم وادْعُوا شركاءكم)، نسبت لأبيٍّ وابن مسعود رضي الله عنهما. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٣٥)، و«القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٣٠٧)، و«الكشاف» (٤/ ٧٣)، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣١٤) بلفظ: (وادْعُوا شُركاءَكم ثم اجمَعوا أَمْرَكم).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٥) من رواية رويس عن يعقوب. والمشهور عن نافع: ﴿فَأَجْمِعُوٓا﴾ كالجمهور.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«المحتسب» (١/ ٣١٥)، عن السري بن ينعم.

يُثيبُني بِهِ آمَنْتُم أو تَوَلَّيْتُم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المُنْقادِينَ لِحُكمِهِ لا أخالِفُ أمرَهُ ولا أرجو غيرَهُ.

(٧٣) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فأصرُّوا على تكذيبِهِ بعدَما ألزَمَهُم الحجَّةَ وبيَّنَ أنَّ تولِّيهم ليسَ إلَّا لِعنادِهِم وتَمرُّدِهِم، لا جَرَمَ حقَّتْ عليهِم كلمةُ العَذابِ.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ من الغرقِ ﴿وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وكانُوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ مِن الهالكينَ به ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالطُّوفانِ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ تعظيمٌ لِمَا جَرَى عليهِم، وتحذيرٌ لِمَن كذَّبَ الرَّسولَ عليه السَّلامُ، وتسليةٌ له.

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أَرْسَلْنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: مِن بعدِ نُوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كلَّ رَسولٍ إلى قومِه ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزاتِ الواضحَةِ المبيِّنَةِ لدَعْوَاهُم.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: فما استقامَ لَهُم أَنْ يُؤمِنُوا لشدَّةِ شَكِيمَتِهِم في الكُفرِ وخذلانِ اللهِ إيَّاهُم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: بسببِ تَعوُّدِهِم تكذيبَ الحقِّ وتمرُّنِهِم عليه قبلَ بعثِه الرُّسُلَ.

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بخذلانِهِم لانهِمَاكِهِم في الضَّلالِ واتِّباعِ المألوفِ، وفي أمثالِ ذلك دليلٌ على أنَّ الأفعالَ واقعةٌ بقدرةِ اللهِ وكسبِ العَبدِ وقد مرَّ تحقيقُ ذلك.

(٧٥) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ مِن بعدِ هؤلاءِ الرُّسُلِ ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالآياتِ التِّسعِ[1] ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن اتِّباعِهما[2] ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ معتادينَ الإجرامَ[3] فلذلك تَهاوَنُوا برِسالةِ رَبِّهِم فاجترَؤُوا على رَدِّهَا.

---

(١) هيَ العصا واليدُ البيضاءُ والطُّوفانُ والجرادُ والقمَّلُ والضَّفادعُ والدَّمُ والطمسُ وفلقُ البحرِ. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٢) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «اتباعها».

(٣) قوله: «الإجرام»؛ بفتح الهمزة وكسرها، على الجمع والإفراد؛ أي: الذنوب العظيمة أو فعل الذنب =

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعَرَفوهُ بتَظاهُرِ المُعجِزاتِ القاهِرَةِ المزيحةِ للشكِّ ﴿قَالُوٓاْ﴾ مِن فرطِ تَمرُّدِهِم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ أنَّه سِحرٌ، أو فائِقٌ في فنِّهِ واضِحٌ فيما بينَ إخوانِه.

(٧٧) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنَّه لسِحرٌ، فحُذفَ المَحكيُّ المقولُ[١] لدلالةِ ما قبلَه عليهِ، ولا يَجوزُ أن يكونَ: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ لأنَّهُم بَتُّوا القولَ، بل هو استئنافٌ بإنكارِ ما قالوهُ، اللهمَّ إلَّا أَنْ يكونَ الاستفهامُ فيه للتَّقريرِ والمحكيُّ مَفهومُ قولِهم.

ويجوزُ أَنْ يكونَ مَعنى ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أَتعيبونَهُ، مِن قولِهِم: «فلانٌ يخافُ القالَةَ» كقولِه: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠] فيَستغني عَن المفعولِ.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ مِن تمامِ كلامِ مُوسَى عليهِ السَّلام للدَّلالةِ على أنَّه ليسَ بسحرٍ، فإنَّهُ لو كانَ سِحْرًا لاضمحلَّ ولم يُبطِلْ سحرَ السَّحَرَةِ، ولأنَّ العالِمَ بأنَّه لا يفلِحُ السَّاحرُ لا يَسحَرُ.

أو مِن تمامِ قَولِهِم إنْ جُعلَ ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ محكيًا؛ كأنَّهُم قالُوا: أجِئْتَنا بالسِّحرِ تطلبُ به الفلاحَ ولا يفلحُ السَّاحِرونَ.

(٧٨) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتَصرِفَنا، واللَّفْتُ والفَتْلُ أخوانِ ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ مِن عبادَةِ الأَصنامِ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: المُلْكُ فيها، سُمِّيَ بها لاتِّصافِ الملوكِ بالكِبْرِ، أو: التكبُّرُ على النَّاسِ باستِتْباعِهِم.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقينَ فيما جِئتُمَا به.

= العظيم. انظر: «حاشية الخفاجي».

(١) في نسخة التفتازاني: «محكي القول».

(٧٩) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿بكُلِّ سَحَّارٍ﴾[1].

﴿عَلِيمٍ﴾: حاذِقٍ فيه.

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾؛ أي: الَّذي جِئتُم بهِ هو السِّحرُ لا ما سَمَّاهُ فِرعونُ وقومُه سِحْرًا.

وقرأ أبو عَمرٍو: ﴿آلسِّحْرُ﴾[2] على أنَّ ﴿مَآ﴾ استفهاميَّةٌ مرفوعةٌ بالابتداءِ، و﴿جِئْتُم بِهِ﴾ خبرُها، و﴿آلسِّحْرُ﴾ بَدلٌ مِنه، أو خبرُ مُبتدأ محذوفٍ تَقديرُهُ: أهوَ السِّحرُ، أو مبتدأٌ خبرُه مَحذوفٌ؛ أي: آلسِّحرُ هُوَ؟

ويجوزُ أَنْ ينتصبَ ﴿مَآ﴾ بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَهُ تقديرُه: أيَّ شيءٍ أَتَيتُم[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: سيمحَقُه، أو: سيُظهرُ بُطلانَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لا يُثبِّتُهُ ولا يُقوِّيهِ. وفيه دليلٌ على أنَّ السِّحرَ إفسادٌ وتَمويهٌ لا حقيقةَ له.

(٨٢) ـ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: ويُثبِّتُه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامرِهِ وقَضاياه، وقُرِئَ: «بكَلِمَتِه»[4] ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

(٨٣) ـ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ في مبدأِ أمرِهِ ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: إلَّا أولادٌ مِن أولادِ قومِهِ بَنِي إسرائيلَ، دَعاهُم فلَمْ يُجيبوهُ خَوْفًا مِن فِرعَوْنَ إلَّا طائفةً مِن شُبَّانِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٣) قوله: «ويجوز أن ينتصب ﴿مَآ﴾...»؛ أي: ويجوز أن تكون ﴿مَآ﴾ استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدَّرٍ بعدها ـ لأن لها صدر الكلام ـ ويكون ﴿جِئْتُم بِهِ﴾ مفسِّرًا لذلك الفعل المقدر، وتكون المسألة من باب الاشتغال، والتقدير: أي شيء أتيتم جئتم به. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٤/ ٥٩٧).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢) عن بعضهم.

وقيلَ: الضَّميرُ لفِرعَوْنَ، والذُّرِّيَّةُ طائفَةٌ مِن شُبَّانِهِم آمَنُوا بِهِ، أو مُؤمِنُ آلِ فِرعَوْنَ وامرأَتُهُ آسيَةُ وخازِنُهُ وزَوْجَتُهُ وماشِطَتُهُ.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: مع خَوْفٍ مِنْهُم، والضَّميرُ لـ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وجمعُهُ على ما هو المعتادُ في ضَميرِ العُظَماءِ، أو على أنَّ المُرادَ بـ﴿فِرْعَوْنَ﴾: آلُهُ؛ كمَا يُقالُ: رَبيعَةُ ومُضَرُ، أو للذُّرِّيَّةِ، أو للقَوْمِ.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: أَنْ يُعَذِّبَهُم فِرْعَوْنُ، وهو بَدَلٌ مِنْهُ أو مَفعولُ ﴿خَوْفٍ﴾، وإفرادُهُ بالضَّميرِ للدَّلالَةِ على أنَّ الخوفَ مِن الملأِ كانَ بسببِهِ.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لغالِبٌ فيها ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكِبْرِ والعُتُوِّ حتَّى ادَّعَى الرُّبُوبيَّةَ واسترَقَّ أسباطَ الأنبياءِ.

(٨٤) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا رَأَى تَخَوُّفَ المُؤمنينَ به: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ وَثِقُوا به واعتمَدُوا عليهِ ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مُستَسْلِمينَ لقَضاءِ اللهِ مُخلِصِينَ لهُ، وليسَ هذا مِن تَعليقِ الحُكمِ بشَرْطَيْنِ، فإنَّ المعلَّقَ بالإيمانِ وجوبُ التَّوكُّلِ فإنَّه المُقتضي لهُ، والمَشروطَ بالإسلامِ حصولُه فإنَّهُ لا يُوجَدُ مع التَّخليطِ، ونَظيرُهُ: «إن دعاكَ زيدٌ فأجِبْهُ إنْ قَدرْتَ».

(٨٥) ـ ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لأنَّهم كانُوا مُؤمنينَ مُخلصينَ ولذلك أُجيبَتْ دَعْوَتُهُم.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضِعَ فِتنَةٍ ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا تُسَلِّطْهُم علينا فيَفْتِنُونَنا.

(٨٦) ـ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مِن كيدِهِم وشُؤمِ مُشاهدَتِهِم.

وفي تَقديمِ التَّوكُّلِ عَلى الدُّعاءِ تَنبيهٌ على أنَّ الدَّاعِيَ يَنبَغِي أَنْ يَتوكَّلَ أولًا لتُجابَ دَعْوَتُه.

(٨٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾؛ أي: اتَّخذَا مَباءَةً[1] ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ تَسكنونَ فيها، أو ترجِعونَ إليها للعِبادَةِ.

﴿وَٱجْعَلُواْ﴾ أنتُمَا وقَومُكُما ﴿بُيُوتَكُمْ﴾: تلك البيوتَ ﴿قِبْلَةً﴾: مُصلًّى، وقيلَ: مَسَاجِدَ مُتوجِّهَةً نحوَ القِبلَةِ، يَعني: الكعبةَ، وكانَ مُوسى يُصلِّي إِلَيْهَا ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فيها؛ أُمِرُوا بذلك أوَّلَ أَمْرِهِم لئلَّا يظهرَ عليهِم الكفَرَةُ فيُؤْذُوهُم ويَفتِنُوهُم عن دينِهُم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنُّصرَةِ في الدُّنْيَا والجَنَّةِ في العُقْبَى.

وإنَّما ثَنَّى الضَّميرَ أَوَّلًا لأنَّ التَّبوُّءَ للقَومِ واتِّخاذَ المَعابد ممَّا يَتعاطاه رُؤوسُ القَوْمِ بتَشاوُرٍ، ثمَّ جَمَعَ لأنَّ جعلَ البُيوتِ مَساجِدَ والصَّلاةَ ممَّا يَنْبَغي أَنْ يفعلَهُ كلُّ أحدٍ، ثمَّ وحَّدَ لأنَّ البشارةَ في الأصلِ وَظيفَةُ صاحبِ الشَّريعَةِ.

(٨٨) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾: ما يتزيَّنُ بهِ مِن اللباسِ والمراكبِ ونحوهما ﴿وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وأنواعًا مِن المالِ.

﴿ربَّنا لِيَضِلُّوا عن سَبيلِكَ﴾[2] دعاءٌ عليهِم بلَفظِ الأَمرِ بما عَلِمَ مِن مُمارَسَةِ أَحوالِهِم أنَّه لا يَكونُ غيرُهُ، كقولِك: «لعنَ اللهُ إبليسَ».

وقيلَ: اللَّامُ للعاقِبَةِ، وهي مُتعلِّقَةٌ بـ﴿ءَاتَيْتَ﴾.

ويَحتمِلُ أَنْ تكونَ للعلَّةِ؛ لأنَّ إيتاءَ النِّعمِ على الكُفرِ استِدراجٌ وتَثبيتٌ

---

(١) قوله: «اتخذوا مباءة»؛ أي: منزلاً. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٨٩).

(٢) قراءة: ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياء من الثلاثي هي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع، والظاهر أن ما سيأتي من التفسير عليها، وقرأ باقي السبعة: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الرباعي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

علـى الضَّـلالِ، ولأَنَّهـم لَمَّـا جَعَلُوها سـبَبًا فـي الضَّـلالِ فكأَنَّهُـم أُوتوهَـا ليَضِلُّوا، فيكـونُ ﴿رَبَّنَا﴾ تكريـرًا لـلأوَّلِ تأكيـدًا وتَنبيهًا علـى أنَّ المَقصودَ عَـرْضُ ضَلالِهِم وكُفْرانِهِـم تَقدِمَـةً لقولِه:

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أَهْلِكْهَـا، والطَّمْـسُ: المَحْـقُ[1]، وقُـرِئَ: «اطمُسْ» بالضَّمِّ[2].

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: وأَقْسِها واطبَعْ عليها حتَّى لا تَنْشَرِحَ للإيمان.

﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ جوابٌ للدُّعاءِ، أو دُعاءٌ بلفظِ النَّهيِ، أو عَطفٌ على ﴿لِيَضِلُّوا﴾ وما بينَهُما دعاءٌ مُعترضٌ.

(٨٩) ـ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ يَعني: مُوسَى وهارون؛ لأنَّه[3] كانَ يُؤَمِّنُ.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: فاثْبُتَا على ما أنتُمَا عليه مِن الدَّعوَةِ وإلزامِ الحُجَّةِ، ولا تستعجِلَا فإنَّ ما طَلَبْتُمَا كائنٌ ولكنْ في وقتِه، رُوِيَ أنَّه مكَثَ فيهِمْ بعدَ الدُّعاءِ أربعينَ سَنَةً.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: طريقَ الجَهلَةِ في الاستعجالِ، أو عدمِ الوثوقِ والاطمِئنانِ بوعدِ اللهِ.

وعن ابنِ عامرٍ: ﴿ولا تَتَّبِعانِ﴾ بالنُّونِ الخَفيفَةِ وكسرِهَا لالتقاءِ السَّاكنينِ، «ولا تَتْبعانِّ» مِن «تبعَ»، «ولا تَتْبَعَانِ» أيضًا[4].

---

(١) في نسخة الخيالي: «المحو»، والمحقُ هو المحوُ هنا، وأشار إلى النسختين الخفاجيُّ في «حاشيته».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢ ـ ٦٣) عن عمر بن علي بن الحسن والشعبي.

(٣) في هامش نسخة الخيالي: «أي لأن هارون».

(٤) ذكر عن ابن عامر ثلاث قراءات:

تشديد التاء مع تخفيف النون وهي رواية ابن ذكوان عنه في المشهور. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٣)، و«النشر» (٢/ ٢٨٦). ولا خلاف في تشديد التَّاء في المشهور. =

(٩٠) ـ ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾؛ أي: جَوَّزْنَاهُم في البَحرِ حتَّى بَلَغُوا الشطَّ حافِظينَ لَهُم. وقُرِئَ: «وَجَوَّزْنَا»[1] وهو مِن (فَعَّلَ) المُرادِفِ لـ(فاعَلَ)؛ كضَعَّفَ وضَاعَفَ.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾: فأدركَهُم، يُقالُ: تَبِعتُه حتَّى أَتْبَعْتُه[2].

﴿فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًا﴾: باغينَ وعادينَ، أو: للبَغْيِ والعَدْوِ. وقُرِئَ: «وعُدُوًّا»[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾: لَحِقَه ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾؛ أي: بأَنَّهُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسرِ[4] على إِضمَارِ القَوْلِ، أو الاستئنافِ بدلًا وتَفْسِيرًا لـ﴿ءَامَنتُ﴾.

فنكبَ عَن الإيمانِ أوانَ القَبُولِ وبالغَ فيه حينَ لا يُقبَلُ.

= وتخفيف التاء مع تشديد النون، وهي روايةٌ عن ابن ذكوان كما في «السبعة» و«النشر»، وجاء في «البدور الزاهرة» (ص: ١٥٠): ولكن هذا الوجه قال فيه الداني: إنه غلط ممن رواه عن ابن ذكوان، فلا يقرأ به.

وتخفيفهما، هي رواية الأخفش الدمشقي (وهو هارون بن موسى أبو عبد الله التغلبي، وكان ثقة معمرًا، وتوفي سنة: ٢٩٢) عن أصحابه عن ابن عامر. انظر: «الحجة» للفارسي (٤/ ٢٩٣)، و«النشر» (٢/ ٢٨٧).

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات»: (ص: ٦٣)، و«الكشاف» (٤/ ٨٥)، عن الحسن.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «تبِعْتُهُ وأتبَعْتُه»، وأشار إلى النسختين الأنصاري في «حاشيته» (٣/ ١٩٢)، ومعنى: (تبعته حتى أتبعته): مشيتُ مِن بعدِهِ حتَّى لحقتُهُ؛ أي: وصلتُ لهُ. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات»: (ص: ٦٣)، و«الكشاف» (٤/ ٨٦)، عن الحسن. وزاد ابن خالويه نسبتها لأبي رجاء وعكرمة وقتادة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٩١) ـ ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾: أتؤمِنُ الآنَ وقَدْ أَيِسْتَ مِن نَفْسِكَ ولم يَبْقَ لكَ اختِيَارٌ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبلَ ذلك مُدَّةَ عُمرِكَ ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾: الضَّالِّينَ المُضِلِّينَ عَنِ الإيمانِ.

(٩٢) ـ ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾: نبعدُكَ ممَّا وقعَ فيه قومُكَ مِن قَعْرِ البحرِ ونجعلُكَ طافِيًا، أو نُلقيكَ على نجوةٍ[1] مِن الأرضِ ليراكَ بَنُو إسرائيلَ.

وقرأَ يعقوبُ: ﴿نُنْجِيكَ﴾ مِنْ أَنْجَى[2].

وقُرِئَ: «نُنَحِّيكَ» بالحاءِ[3]؛ أي: نُلقيكَ بناحيةِ السَّاحلِ.

﴿بِبَدَنِكَ ﴾ في مَوضعِ الحالِ؛ أي: ببدنِكَ عاريًا عَنِ الرُّوحِ، أو: كامِلًا سويًّا، أو: عريانًا مِن غيرِ لباسٍ، أو: بدرعِكَ، وكانَتْ له درعٌ مِن الذهبِ يعرفُ بها.

وقُرِئَ: «بأبدانِكَ»[4]؛ أي: بأجزاءِ البَدنِ كلِّها؛ كقَولِهِم: هوى بأجرامِهِ، أو: بدُروعِكَ؛ كأنَّه كانَ مُظاهِرًا بينَها[5].

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾: لِمَن وراءَكَ علامةً، وهم بنو إسرائيلَ إذ كانَ في نُفوسِهِم مِن عَظَمتِهِ ما خيَّلَ إليهِم أنَّه لا يهلكُ، حتَّى كذَّبُوا موسَى عليهِ السَّلامُ حينَ أخبرَهُم بغرقِهِ، إلى أَنْ عايَنُوه مطَّرَحًا[6] على ممرِّهِم مِن السَّاحلِ.

---

(١) النَّجْوةُ: المكان المرتفع.

(٢) التخفيف قراءة يعقوب، وقرأ باقي العشرة بالتشديد. انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «المحتسب» (١/ ٣١٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٣)، عن أبيٍّ وابن السميفع وغيرهما. وذكرها ابن الجزري في «النشر» (١/ ١٦) عن ابن السميفع وأبي السمال مثالًا على ما نقله غير الثقة مما غالب إسناده ضعيف.

(٤) انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٨٩)، عن أبي حنيفة.

(٥) قوله: «مظاهرًا بينها»؛ أي: لبس بعضها فوق بعض، ظاهر بين ثوبين؛ أي: طارَقَ بينهما وطابَقَ.

(٦) في نسخة الخيالي: «مطروحاً». وفي نسخة الطبلاوي: «منطرحًا».

أو: لِمَن يأتي بعدكَ مِن القُرونِ إذا سَمِعُوا مآلَ أمرِكَ ممَّنْ شاهدَكَ عبرةً ونكالًا عَن الطُّغيانِ، أو حُجَّةً[1] تدلُّهُم على أنَّ الإنسانَ على ما كانَ عليهِ مِن عظمِ الشَّأنِ وكبرياءِ الملكِ مملوكٌ مقهورٌ بعيدٌ عَن مَظانِّ الرُّبوبيَّةِ.

وقُرِئَ: «لِمَنْ خلَقَكَ»[2]؛ أي: لِخَالِقِكَ آيةً كسائرِ الآياتِ؛ فإنَّ إفرادَهُ إيَّاكَ بالإلقاءِ إلى السَّاحلِ دليلٌ على أنَّه تعمُّدٌ منه لكَشفِ تَزويرِكَ وإماطَةِ الشُّبهَةِ في أَمرِكَ، وذلك دليلٌ على كمالِ قُدرَتِه وعِلْمِهِ وإرادَتِه، وهذا الوَجْهُ أيضًا مُحتَمَلٌ على المشهورِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾ لا يتفكَّرُونَ فيهَا ولا يعتبرونَ بهَا.

(٩٣) ـ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أَنْزَلْنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: مَنزِلًا صالِحًا مَرْضِيًّا وهو الشَّامُ ومِصْرُ ﴿وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾: مِن اللذائذِ.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: فمَا اختلَفُوا في أمرِ دينِهم إلَّا مِن بعدِ ما قَرَؤُوا التَّوراةَ وعلِموا أحكامَها، أو: في أمرِ مُحمَّدٍ ﷺ إلَّا مِن بعدِ ما علمُوا صِدقَهُ بنُعوتِه ونِظامِ مُعجِزاتِه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيَميزُ المحِقَّ مِن المبطِلِ بالإنجاءِ والإهلاكِ.

(٩٤) ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ مِن القصصِ على سَبيلِ الفَرْضِ والتَّقديرِ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنَّهُ مُحقَّقٌ عندَهُم ثابتٌ في كتبِهم على نحوِ ما ألقَيْنَا إليكَ، والمرادُ: تَحقيقُ ذلك، والاستشهادُ بما في الكُتُبِ المتقدِّمَةِ،

---

(١) قوله: «أو حجة» عطف على «عبرة».

(٢) نسبت لعلي رضي الله عنه في «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٨٣)، ونسبها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٤٩) لابن السميفع وأبي المتوكل وأبي الجوزاء.

وأنَّ القُرآنَ مُصدِّقٌ لِمَا فيها، أو وصفُ أهلِ الكتابِ بالرُّسوخِ في العلمِ بصحَّةِ ما أُنزلَ إليه، أو تهييجُ الرَّسولِ وزيادَةُ تثبيتِهِ، لا إمكانُ وُقوعِ الشَّكِّ له، ولذلك قالَ عليهِ السَّلامُ: «لا أشكُّ ولا أسألُ»[1].

وقيلَ: الخطابُ للنَّبيِّ والمرادُ به أمَّتُهُ، أو لكلِّ مَن يسمَعُ؛ أي: إن كنتَ أيُّها السَّامِعُ في شَكٍّ ممَّا أنزَلْنا على لسانِ نَبيِّنَا إليك، وفيه تنبيهٌ على أنَّ مَن خالجَتْهُ شُبهَةٌ في الدِّينِ ينبغي أن يسارِعَ إلى حلِّهَا بالرُّجوعِ إلى أهلِ العِلْمِ.

﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ واضحًا أنَّه لا مدخلَ للمِرْيَةِ فيه بالآياتِ القاطعةِ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ بالتَّزَلْزُلِ عمَّا أنتَ عليه مِن الحزمِ واليَقينِ.

(٩٥) ـ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أيضًا مِن بابِ التَّهييجِ والتَّثبيتِ وقطعِ الأَطماعِ عنه كقَوْلِه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ ثبتَتْ عليهِم ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنَّهُم يَموتونَ على الكُفرِ أو يُخلَّدونَ[2] في العذابِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكذبُ كلامُه ولا يَنتَقِضُ قَضاؤُه.

(٩٧) ـ ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فإنَّ السَّببَ الأَصليَّ لإيمانِهم ـ وهو تعلُّقُ إرادَةِ اللهِ تَعالى بهِ ـ مَفقودٌ ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وحينئذٍ لا يَنفَعُهُم كمَا لا يَنفَعُ فِرعَوْنَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٩)، وفي «مصنفه» (١٠٢١١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٨) عن قتادة مرسلاً. وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٤٠): مُعضَل.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «ويخلدون».

(٩٨) ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾: فهـلَّا كانَـتْ قريـةٌ مِن القُرَى الَّتـي أهلَكْنَاها آمنَـتْ قبـلَ مُعاينَةِ العَذابِ ولـم تُؤخِّر إليها كمـا أَخَّرَ فِرعـون ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأَنْ يقبلَهُ اللهُ مِنْهَا ويكشـفَ العـذابَ عَنْها.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكنَّ قومَ يُونُس ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ أوَّلَ ما رَأَوْا أمارَةَ العذابِ ولم يُؤخِّرُوهُ إلى حُلولِه ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

ويجـوزُ أَنْ تكـونَ الجُملَـةُ في مَعنـى النَّفيِ لتَضمُّـنِ حرفِ التَّحضيـضِ مَعناه، فيكـونُ الاسـتثناءُ مُتَّصِـلًا لأنَّ المُـرادَ مِـن القُـرَى أهاليهَـا؛ كأنَّه قـالَ: ما آمَـنَ أهلُ قريَـةٍ مِـن القُـرَى العاصِيَـةِ فنَفَعَهُم إيمانُهُـم إلَّا قومَ يُونُـسَ، ويؤيِّدُهُ قـراءَةُ الرَّفعِ في «قومُ»[1] علـى البَدلِ.

﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى آجالِهم.

رُوِيَ أنَّ يُونُسَ عليهِ السَّلامُ بُعثَ إلى نِينوَى مِن المَوْصِلِ فكذَّبوهُ وأصَرُّوا عليهِ، فوعدَهُم بالعذابِ إلى ثلاثٍ، وقيلَ: إلى أربعينَ، فلمَّا دَنَا الموعدُ غامَت السَّماءُ غيمًا أسوَدَ ذا دُخانٍ شَديدٍ فهبطَ حتَّى غشيَ مَدينَتَهُم، فهابُوا فطَلَبُوا يونُسَ فلَمْ يَجِدُوهُ، فأيقَنُوا صِدقَهُ، فلبسُوا المُسُوحَ[2] وبَرَزُوا إلى الصَّعيدِ بأنفُسِهم ونِسائِهم وصِبْيَانِهم ودَوَابِّهم، وفرَّقُوا بينَ كلِّ والدَةٍ وولدِها، فحنَّ بعضُهَا إلى بَعْضٍ وعَلَت الأَصواتُ والعَجيجُ، وأَخْلَصُوا التَّوبَةَ وأظهَرُوا الإيمانَ وتَضَرَّعُوا إلى اللهِ، فرَحِمَهُم وكشَفَ عَنْهُم، وكانَ يومَ عاشوراءَ يومَ الجُمعةِ[3].

---

(١) رويت عن الجَرْمي والكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٣)، و«الكشاف» (٤/ ٩٤).

(٢) المُسُوح؛ جمعُ مِسْح، وهو اللباس؛ أي: لبسوا الألبسة الخلقة تذلُّلاً. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١)، عن وهب، وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٥) نحوه عن سعيد بن جبير.

(٩٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ بحيثُ لا يَشذُّ منهُم أحدٌ.

﴿جَمِيعًا﴾: مُجتمعينَ على الإيمانِ لا يَختَلِفُونَ فيه، وهو دليلٌ على القَدَرِيَّةِ في أنَّه تَعالى لَمْ يَشَأْ إيمانَهُم أَجمَعِينَ، فإنَّ مَن شاءَ إيمانَهُ يؤمِنُ لا مَحالةَ، والتَّقييدُ بمَشيئَةِ الإلجاءِ خلافُ الظَّاهرِ.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لَمْ يَشَأِ اللهُ مِنْهُم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ وترتيبُ الإكراهِ على المَشيئَةِ بالفَاءِ، وإيلاؤُهَا حرفُ الاستِفهامِ للإنكارِ، وتَقديمُ الضَّميرِ على الفعلِ؛ للدَّلالَةِ على أنَّ خِلافَ المَشيئةِ مُستَحيلٌ فلَا يُمكِنُ تحصيلُهُ بالإكراهِ عليه فضلًا عن الحثِّ والتَّحريضِ عليه؛ إذ رُوِيَ أنَّه كانَ حَرِيصًا على إيمانِ قومِه شديدَ الاهتِمامِ به فنزلَتْ، فلذلك قرَّرَه بقولِه:

(١٠٠) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ باللهِ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلَّا بإرادَتِهِ وألطافِهِ وتَوفيقِهِ، فلا تُجْهِدْ نفسَكَ في هُداهَا فإنَّه إلى اللهِ.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذابَ، أو الخذلانَ فإنَّه سببُهُ. وقُرِئَ بالزَّايِ[١].

وقرأَ أبو بكرٍ: ﴿ونَجْعَل﴾ بالنونِ[٢].

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يَستَعمِلُونَ عُقولَهُم بالنَّظرِ في الحججِ والآياتِ، أو: لا يعقلونَ دلائلَهُ وأحكامَهُ لِمَا عَلى قُلوبِهِم مِن الطَّبعِ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قولُه:

(١٠١) ـ ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾؛ أي: تَفكَّرُوا ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِن عَجائبِ صُنعِهِ ليدلَّكُم على وحدَتِه وكمالِ قُدرَتِهِ، و﴿مَاذَا﴾ إنْ جُعِلَت استفهاميَّةً عَلَّقَتْ ﴿ٱنظُرُوا۟﴾ عَن العَملِ.

---

(١) نسبت للأعمش، انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٩٨)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٤٥)، و«البحر المحيط» (١٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في علمِ اللهِ وحُكمِهِ، و«ما» نافيةٌ، أو استفهاميَّةٌ في مَوضعِ النَّصبِ.

(١٠٢) ـ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾: مثلَ وَقائِعِهِم ونزولِ بأسِ اللهِ بِهِم إذْ لا يَستَحِقُّونَ غيرَه، مِن قولِهم: «أيامُ العَرَبِ» لوَقَائِعِها.

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لذلك، أو: فانتَظِرُوا هَلاكِي إنِّي مَعَكُم مِن المُنتَظِرينَ هلاكَكُم.

(١٠٣) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عطفٌ علـى مَحذوفٍ دلَّ عليهِ: ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ كأنَّه قيلَ: نُهلكُ الأُممَ ثمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ومَن آمنَ بهم، على حكايةِ الحالِ الماضيةِ.

﴿كذلكَ حقًّا علينا نُنَجِّ المؤمنين﴾ كذلكَ الإِنجاءِ ـ أو: إنجاءً كذلك ـ نُنجِّي مُحمَّدًا وصَحبَهُ حينَ نهلكُ المُشركينَ، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراضٌ، ونصبُه بفعلِهِ المقدَّرِ، وقيلَ: بدلٌ مِن ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

وقرأ حفصٌ والكسائيُّ: ﴿نُنْجِ المُؤمنين﴾ مخفَّفًا[1].

(١٠٤) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب لأهلِ مكَّةَ: ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ وصحَّتِه ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ فهَذا خُلاصَةُ ديني اعتقادًا وعَمَلًا، فاعرِضُوهَا على العقلِ الصِّرْفِ، وانظُرُوا فيهَا بعَيْنِ الإِنصافِ؛ لتَعْلَمُوا صِحَّتَها وهو أنِّي لا أَعبدُ ما تَخلقُونَهُ وتَعْبدُونَهُ ولكِنْ أَعْبُدُ خالِقَكُم الَّذي يوجِدُكُم ويَتوفَّاكُم، وإنَّما خصَّ التَّوَفِّيَ بالذِّكرِ للتَّهديدِ.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما دلَّ عليهِ العقلُ ونطَقَ بهِ الوَحيُ، وحَذْفُ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

الجـارُّ مِـن ﴿أَنْ﴾ يجـوزُ أَنْ يكونَ مِنَ المُطَّـردِ مَع «أنْ» و«أنَّ» وأن يكـونَ مِن غيرِه، كقولِه[1]:

أَمَرْتُـكَ الخَيْـرَ فافْعَـلْ مَـا أُمِـرْتَ بِـهِ

(١٠٥) ـ ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطفٌ على ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ غـيرَ أنَّ صِـلَةَ «أنْ» محـكيَّةٌ بصِيغَةِ الأمرِ، ولا فرقَ بينَهُمَا في الغَرَضِ لأنَّ المقصود وَصْلُها بمَا يتضمَّنَ مَعنى المَصدرِ لتَدُلَّ معَهُ عليهِ، وصِيَغُ الأفعالِ كلُّهَا كذلك سواءٌ الخبرُ مِنْهَا والطَّلَبُ، والمَعنى: وأُمِرْتُ بالاستقامَةِ في الدِّينِ والاستِدادِ فيه بأداءِ الفرائضِ والانتِهاءِ عَن القَبائحِ، أو: في الصَّلاةِ باستِقبالِ القِبْلَةِ.

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ مِن الدِّينِ أو الوجهِ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(١٠٦) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ بنَفسِهِ إنْ دعوتَه أو خذلْتَه.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإنْ دَعَوْتَه ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ جزاءٌ للشَّرطِ وجَوابٌ لسُؤالٍ مُقدَّرٍ عَن تَبعَةِ الدُّعاءِ.

(١٠٧) ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: وإنْ يُصِبْكَ به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ يرفَعُه ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلَّا اللهُ.

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾: فلا دافعَ ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الَّذي أرادَكَ بـه، ولعلَّهَ ذكرَ

---

(١) صـدر بيـت ورد فـي «الكتـاب» (١/ ٣٧)، و«خزانـة الأدب» (١/ ٣٣١)، وغيرهـا، واختلـف فـي نسبته، قـال البغدادي: نسـب لعمرو بن معـدي كرب، وللعباس بـن مرداس، ولزرعة بن السـائب، ولخفاف بن ندبة. وعجزه:

فقـد تركتُـكَ ذا مالٍ وذا نَشَـبِ

وقد تقدم عند تفسير الآية (٦٨) من سورة البقرة.

الإرادةَ معَ الخَيرِ والمسَّ معَ الضُّرِّ ـ مع تَلازُمِ الأَمرينِ ـ للتَّنبيهِ على أنَّ الخيرَ مُرادٌ بالذَّاتِ وأنَّ الضُّرَّ إنَّما مَسَّهُم لا بالقصدِ الأَوَّلِ.

ووضعُ الفَضلِ مَوضِعَ الضَّميرِ للدَّلالَةِ على أنَّه مُتفَضِّلٌ بما يُريدُ بِهِمْ مِن الخَيرِ لا استحقاقَ لهم عليه، ولم يَستَثْنِ لأنَّ مُرادَ اللهِ لا يُمكِنُ رَدُّه.

﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فتعرَّضُوا لرَحْمَتِه بالطَّاعَةِ ولا تيأَسُوا مِن غُفْرانِه بالمَعصِيَةِ.

(١٠٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: رسولُهُ والقُرآنُ، ولَمْ يبقَ لَكُمْ عُذرٌ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بالإيمانِ والمُتابعَةِ ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ نفعَهُ لها.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكُفرِ بِهِما ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأنَّ وبالَ الضَّلالِ علَيْهَا.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظٍ مَوكولٍ إليَّ أمرُكُم وإنَّما أنَا بَشيرٌ ونَذيرٌ.

(١٠٩) ـ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ بالامتثالِ والتَّبليغِ ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على دَعْوَتِهِم وتحمُّلِ أَذِيَّتِهِم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بالنُّصْرَةِ أو بالأمرِ بالقِتَالِ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ إذ لا يُمكِنُ الخَطأُ في حكمِه؛ لاطِّلاعِهِ على السَّرائرِ اطِّلاعَهُ على الظَّواهرِ.

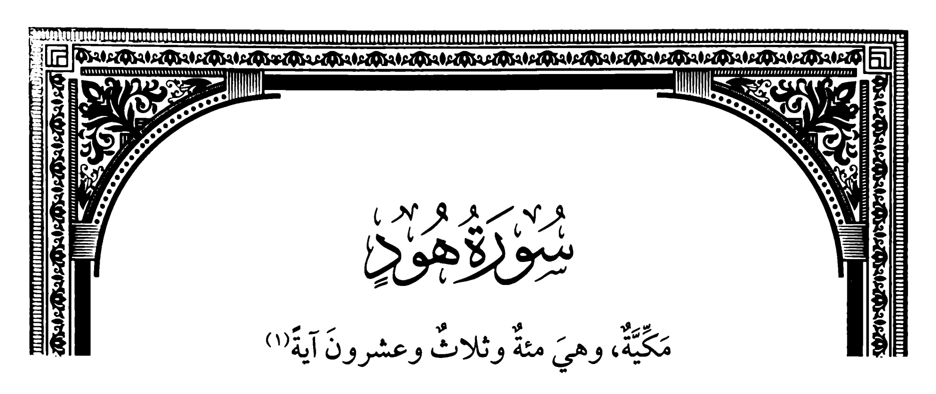
عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ يُونُسَ أُعطِي مِن الأجرِ عشرَ حَسَناتٍ بعَدَدِ مَن صدَّقَ بيُونُسَ وكذَّبَ به، وبعَدَدِ مَن غرقَ مع فِرعونَ»[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٥٦)، والواحدي في «التفسير الوسيط» (٢/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال: هذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك. وقد تقدم الكلام عليه، وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ هُودٍ



سُورَةُ هُودٍ

مَكِّيَّةٌ، وهيَ مئةٌ وثلاثٌ وعشرونَ آيةً(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ مُبتدأٌ وخبرٌ، أو ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مُبتدَأٍ مَحذوفٍ.

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نُظِمَتْ نَظْمًا مُحكَمًا لا يعتريهِ اختلالٌ مِن جهَةِ اللَّفظِ والمعنى.

أو: مُنِعَت مِن الفَسادِ والنَّسخِ فإنَّ المُرادَ آياتُ السُّورَةِ، وليس فيها مَنسوخٌ.

أو: أُحكِمَت بالحُجَجِ والدَّلائلِ.

أو: جُعِلَت حَكِيمَةً، مَنقولٌ من «حَكُمَ» بالضَّمِّ: إذا صارَ حَكِيمًا؛ لأنَّها مُشتَمِلَةٌ على أُمَّهاتِ الحِكَمِ النَّظَرِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالفوائدِ: مِن العَقائدِ والأحكامِ والمَواعظِ والأخبارِ، أو بجَعْلِهَا سُوَرًا، أو بالإنزالِ نجمًا نَجمًا، أو فصِّلَ فيهَا ولُخِّصَ ما يُحتاجُ إليهِ.

وقُرِئَ: «ثمَّ فَصَلَتْ»(2)؛ أي: فَرَقَتْ بينَ الحَقِّ والباطلِ.

و: «أَحْكَمْتُ آياتِه ثمَّ فَصَلْتُ» على البناءِ للمُتكلِّمِ(3).

---

(1) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٥)، وفيه: «وهي مئة وإحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي، اختلافها سبع آيات...».

(2) نسبت لعكرمة والضحاك والجحدري وزيد بن علي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٣)، و«المحتسب» (١/ ٣١٨)، و«الكشاف» (٤/ ١٠٨)، و«البحر المحيط» (١٢/ ١٩٦).

(3) انظر: «الكشاف» (٤/ ١٠٨) دون نسبة. وذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (١٢/ ١٩٧) وعزاها للزمخشري، وكأنه لم يقف عليها عند غيره على الرغم من استقصائه في جمع القراءات.

و﴿ثُمَّ﴾ للتَّفاوُتِ في الحكمِ، أو للتَّراخِي في الإخبارِ.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صِفَةٌ أُخرى للكِتابِ، أو خبرٌ بعدَ خَبرٍ، أو صِلَةٌ لـ﴿أُحْكِمَتْ﴾ أو ﴿فُصِّلَتْ﴾، وهو تقريرٌ لإحكامِهَا وتَفصيلِهَا على أكمَلِ ما يَنْبَغِي باعتبارِ ما ظهرَ أمرُهُ وما خَفِيَ.

(٢) ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لأَنْ لا تَعبُدُوا، وقيلَ: «أنْ» مفسِّرةٌ؛ لأنَّ في تَفصيلِ الآياتِ مَعنى القولِ[1]، ويجوزُ أَنْ يكونَ كلامًا مُبتدأً للإغراءِ على التَّوحيدِ، أو الأمرِ بالتَّبرِّي عن عبادَةِ الغَيرِ؛ كأَنَّهُ قيلَ: تركَ عبادةِ غيرِ اللهِ، بمعنى: الْزَموهُ، أو: اتركوها تَرْكًا.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾: مِن اللهِ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالعقابِ على الشِّركِ والثَّوابِ على التَّوحيدِ.

(٣) ـ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: ثمَّ توصَّلُوا إلى مَطلُوبِكُم بالتَّوبةِ، فإنَّ المُعْرِضَ عَن طريقِ الحَقِّ لا بدَّ له مِن رجوعٍ.

وقيلَ: استغفِرُوا مِن الشِّركِ ثمَّ تُوبُوا إلى اللهِ بالطَّاعةِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ثُمَّ﴾ لتفاوُتِ ما بين الأمرينِ.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعيِّشْكُم في أمنٍ ودعَةٍ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو آخرُ أَعمارِكُم المُقدَّرَةِ، أو: لا يُهلِكْكُم بعذابِ الاستئصالِ، والأَرزاقُ والآجالُ وإن كانَت مُتعلِّقَةً بالأعمالِ لكنَّها مُسمَّاةٌ بالإضافَةِ إلى كلِّ أحدٍ فلا تتغيَّرُ[2].

---

(١) كأنه قيل: «قال: لا تعبدوا إلاَّ الله». انظر: «الكشاف» (٤/ ١٠٨).

(٢) قوله: «والأرزاق والآجال» بمعنى: الأعمار «متعلقة بالأعمال»؛ أي: المأخوذةِ من قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ بمعنى أنها مترتِّبةٌ عليها عادةً «لكنها مسماة»؛ أي: معيَّنةٌ عند الله تعالى «بالإضافة إلى كل أحد، فلا تتغير» بعملٍ ولا بتركِه، وأما نحوُ خبرِ: «صلةُ الرَّحِمِ تزيدُ في العُمرِ» فمحمولٌ على زيادةِ البركةِ، أو على زيادةِ ما في اللوح المحفوظ، لا ما في أمِّ الكتاب، وهو ما كتبَه في الأزَلِ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٠١).

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾: ويعطِ كلَّ ذِي فَضْلٍ في دِينِه جزاءَ فضلِه في الدُّنيَا والآخرةِ[١]، وهو وعدٌ للموحِّدِ التَّائبِ بخيرِ الدَّارينِ.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: وإن تتولَّوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: يوم القِيامَةِ، وقيلَ: يوم الشَّدائدِ، وقد ابتُلوا بالقحطِ حتَّى أكلُوا الجِيَفَ.

وقُرِئَ: «وإِنْ تُوَلُّوا» مِن وَلَّى[٢].

(٤) ـ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعُكُم في ذلك اليَومِ، وهو شاذٌّ عن القِياسِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على تَعذيبِهِم أشدَّ عَذابٍ، وكأنَّه تَقريرٌ لكِبَرِ اليَومِ.

(٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يَثْنونَها عَن الحقِّ ويَنحرِفُونَ عنه، أو: يعطفونَها على الكُفرِ وعَداوةِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ، أو: يُوَلُّونَ ظُهورَهُم.

وقُرِئَ: «تَثْنُونِي» بالتَّاءِ واليَاءِ[٣] مِن اثْنَوْنَى وهو بناءُ المُبالغَةِ.

و: «تَثْنَوِنُّ»[٤] وأصلُه: تَثْنَوْنِنُ مِن الثِّنِّ وهـو الكلأُ الضَّعيفُ، أرادَ بِهِ ضعفَ قلوبِهِم، أو مُطاوعَةَ صُدورِهِم للثَّنْي.

---

(١) في نسخة الخيالي: «في الدُّنيا أو في الآخرة».

(٢) نسبت لعيسى بن عمر، ومحمد بن السَّمَيْفَعِ اليَماني، والأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٣)، و«المحتسب» (١/ ٣١٨).

(٣) نسبت القراءة بالتاء لجمع من الأئمة منهم ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد، ويحيى بن يعمر وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«المحتسب» (١/ ٣١٨)، و«البحر» (١٢/ ٢٠٢).

والقراءة بالياء نسبت لابن عباس ومجاهد وابن أبي إسحاق وابن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«البحر» (١٢/ ٢٠٢).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«المحتسب» (١/ ٣١٩)، عن ابن عباس، وزاد في «البحر» (١٢/ ٢٠٢) نسبتها لعروة وابن أبزى والأعشى.

و: «تَثْنَئِنُّ»[١] مِن اثْنَأَنَّ كـ: ابْيَأَضّ بالهمزَةِ، و: «تَثْنَوِي»[٢].

﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: مِن اللهِ بسرِّهِم، ولا يُطلِعَ رَسولَهُ والمُؤمنينَ عليه.

قيلَ: إنَّها نَزَلَت في طائفَةٍ مِن المشركينَ قالُوا: إذا أرخَيْنَا سُتورَنَا واستَغْشَيْنَا ثِيابنَا وطَوَيْنَا صُدورَنَا على عَداوَةِ مُحمَّدٍ كيفَ يَعلَمُ[٣]؟

وقيلَ: نَزَلَت في المُنافقينَ[٤]. وفيه نظرٌ إذ الآيةُ مَكِّيَّةٌ والنِّفاقُ حدثَ بالمدينَةِ.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: ألا حينَ يَأوُونَ إلى فِراشِهِم ويَتغطَّونَ بثِيابِهِم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قُلوبِهِم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأَفْواهِهِم، يَستَوِي في عِلْمِه سِرُّهُم وعَلَنُهُم، فكيفَ يَخْفَى عليه ما عَسَى يُظهِرُونَهُ؟

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بالأسرارِ ذاتِ الصُّدورِ، أو بالقلوبِ وأحوالِها.

---

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣١٩)، و«البحر» (١٢/ ٢٠٢) عن عروة ومجاهد.

(٢) ذكرها في «الكشاف» (٤/ ١١١) دون نسبة، وانظر هذه القراءات مع زيادة عليها ومَن قرأ بكل منها في «البحر» (١٢/ ٢٠٢). وقد عُنينا بضبطها وتخريجها في تحقيقنا للكتاب المذكور والحمد لله.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٨). وقال السيوطي في «الحاشية» (٧/ ٣١٢): «الثَّابتُ في «صَحيحِ البُخاري» أنَّها نزلَتْ في ناسٍ كانوا يستحيونَ أَنْ يَتخلَّوا أو يجامِعوا فيُفضُوا بفُروجِهم إلى السَّماءِ، فعلى هذا ثنيُ الصُّدورِ على ظاهرِه لا مجازٌ ولا كنايَةٌ». قلت: رواه البخاري (٤٦٨١) و(٤٦٨٢) عن ابن عباس. وهذا رغم صحته إلا أن فيه ملاحظة لطيفة ذكرها العلامة الطيب بن عاشور في «التحرير والتنوير» (١١/ ٣٢٢) حيث قال: «وهذا التَّفسيرُ لا يناسبُ موقع الآية ولا اتِّساقَ الضَّمائر، فلعل مراد ابن عباسٍ أنَّ الآيةَ تَنْطَبِقُ على صنيعِ هؤلاء ولَيس فِعلُهُم هو سببُ نزولِها».

(٤) رواه الطبري (١٢/ ٣١٧) عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: من رسول الله ﷺ؛ كان المنافقون إذا مرُّوا به ثنى أحدهم صدره، ويطأطئ رأسه، فقال الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الآية. ولعله إن صح فينسحب عليه ما قاله الطيب بن عاشور في خبر ابن عباس السابق.

(٦) ـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: غِذاؤُها ومَعاشُها؛ لتكفُّلِه إيَّاه تَفضُّلًا ورحمةً، وإنَّما أتى بلفظِ الوُجوبِ تَحقيقًا لوُصولِه وحملًا على التَّوكُّلِ فيه.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: أماكِنَها في الحياةِ والمماتِ، أو الأصلابِ والأرحامِ، أو مساكنَها مِن الأرضِ حينَ وُجدَتْ بالفعلِ ومُودَعَها مِن الموادِّ والمقارِّ حينَ كانَتْ بعدُ بالقوَّةِ.

﴿كُلٌّ﴾: كلُّ واحدٍ مِن الدَّوابِّ وأحوالِها ﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ مذكورٌ في اللوحِ المحفوظِ.

وكأنَّه أريدَ بالآية بيانُ كونِه عالِمًا بالمَعلوماتِ كلِّها، وبما بعدَها بيانُ كونِه قادرًا على المُمكِنَاتِ بأسرِهَا، تَقريرًا للتَّوحيدِ، ولِمَا سبقَ مِن الوَعدِ والوَعيدِ.

(٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: خلَقَهما وما فيهِمَا كمَا مَرَّ بَيانُه في الأَعرافِ، أو: ما في جِهَتَي العُلْوِ والسفلِ، وجمَعَ السَّماواتِ دونَ الأرضِ لاختلافِ العُلْوِيَّاتِ بالأصلِ والذَّاتِ دونَ السُّفليَّاتِ.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبلَ خلقِهما، لم يَكُن حائِلٌ بينَهُما، لا أنَّه كانَ مَوضوعًا على متنِ الماءِ، واستُدلَّ به على إمكانِ الخلاءِ، وأنَّ الماءَ أوَّلُ حادثٍ بعدَ العرشِ مِن أجرامِ هذا العالَمِ.

وقيلَ: كانَ الماءُ على متنِ الرِّيحِ، واللهُ أعلَمُ بذلك.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ مُتَعلِّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلَقَ ذلكَ كخلقِ مَن خلَقَ ليُعامِلَكُم معاملةَ المُبتلِي لأحوالِكُم كيفَ تعمَلُون؟ فإنَّ جُملةَ ذلك أسبابٌ ومَوَادُّ لوُجودِكُم ومَعاشِكُم وما تَحتاجُ إليه أَعمالُكُم، ودَلائلُ وأَماراتٌ تَستَدِلُّونَ بها وتَستنبطونَ مِنْها.

وإنَّما جازَ تَعليقُ فعلِ البَلْوَى لِمَا فيه مِن مَعنى العلمِ مِن حيثُ إنَّه طَريقٌ إليهِ كالنَّظرِ والاستماعِ، وإنَّما ذكرَ صِيغَةَ التَّفضيلِ والاختبارِ الشَّاملِ لِفِرَقِ المكلَّفينَ باعتبارِ الحُسْنِ والقُبْحِ؛ للتَّحريضِ على أحاسِنِ المَحاسنِ، والتَّحضيضِ على التَّرقِّي دائمًا في مراتبِ العلمِ والعَمَلِ، فإنَّ المُرادَ بالعَملِ ما يعُمُّ عملَ القَلبِ والجَوارحِ، ولذلك قالَ النَّبيُّ ﷺ: «أيُّكم أحسَنُ عَقْلًا، وأورَعُ عَن مَحارمِ اللهِ، وأسرَعُ في طاعةِ اللهِ»[(١)]، والمعنى: أيُّكم أكمَلُ عِلْمًا وعَمَلًا.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما البعثُ، أو القولُ به، أو القرآنُ المتضمِّنُ لذكرِه، إلَّا كالسِّحرِ في الخَديعَةِ أو البُطلانِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿إلا ساحِرٌ﴾[(٢)] على أنَّ الإشارةَ إلى القائلِ.

وقُرِئَ: «أنَّكُم» بالفتحِ[(٣)] على تضمُّنِ ﴿قُلْتَ﴾ مَعنى: ذَكَرْتَ، أو يكونُ «أنَّ» بمعنى «علَّ» أي: ولئن قلتَ علَّكُم مَبعوثونَ، بمَعنى: توقَّعُوا بَعْثَكُم ولا تَبتُّوا بإنكارِهِ لَعَدُّوهُ مِن قَبيلِ ما لا حقيقةَ له مُبالغَةً في إنكارِه.

---

(١) رواه داود بن المحبر في كتاب «العقل»، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣١ - زوائد)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٢٥)، وداود بن المحبر ساقط كما في «الكافي الشاف» (ص: ٨٦). وقال الدارقطني: كتاب «العقل» وضعه أربعة: وضعه ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه داود بن المحبر منه فركبه بأسانيد غير ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي وركبه بأسانيد أخرى. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤) عن عيسى.

(٨) ـ ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ الموعودَ ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾: إلى جماعَةٍ مِن الأوقاتِ قليلةٍ ﴿لَّيَقُولُنَّ ﴾ استهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾: ما يمنعُهُ مِن الوُقوعِ؟

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ كيومِ بَدرٍ ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾: ليسَ العَذابُ مَدفوعًا عَنْهُم، و﴿يَوْمَ ﴾ منصوبٌ بخبرِ ﴿لَيْسَ﴾ مُقدَّمٌ عليه، وهو دليلٌ على جوازِ تَقديمِ خبرِهَا عليها.

﴿وَحَاقَ بِهِم ﴾: وأحاطَ بهِمْ، وضعَ الماضي موضِعَ المُستقبلِ تَحقيقًا ومُبالغَةً في التَّهديدِ.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾؛ أي: العذابُ الَّذي كانُوا به يَستَعجلونَ، فوضعَ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ مَوضِعَ «يَستعجِلُونَ» لأنَّ استعجالَهم كانَ استهزاءً.

(٩) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾: ولِئِنْ أعطيناهُ نِعمَةً بحيثُ يَجِدُ لَذَّتَها ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ ﴾: ثمَّ سَلَبْنَا تلكَ النِّعمةَ منه ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾: قَطوعٌ رجاءَهُ مِن فضلِ اللهِ لقِلَّةِ صَبرِهِ وعدمِ ثِقَتِه به ﴿كَفُورٌ ﴾: مبالغٌ في كفرانِ ما سلفَ لَهُ مِن النِّعمَةِ.

(١٠) ـ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ كصِحَّةٍ بعدَ سَقَمٍ، وغِنًى بعدَ عَدَمٍ، وفي اختلافِ الفِعْلَينِ نكتَةٌ لا تَخْفَى.

﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾؛ أي: المصائبُ الَّتي ساءَتْنِي.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾: بَطِرٌ بالنِّعَمِ مُغتَرٌّ بها ﴿فَخُورٌ﴾ على النَّاسِ مَشغولٌ عَن الشُّكرِ والقيامِ بحقِّها.

وفي لفظِ الإذاقَةِ والمسِّ تَنبيهٌ على أنَّ ما يَجِدُه الإنسانُ في الدُّنيا مِن النِّعَمِ والمِحَنِ كالأُنموذَجِ لِمَا يَجِدُه في الآخرةِ، وأنَّه يقَعُ في الكفرانِ والبطرِ بأدنى شيءٍ؛ لأنَّ الذَّوقَ: إدراكُ الطعمِ، والمسَّ مبدأُ الوُصولِ.

(١١) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضَّرَّاءِ إيمانًا باللهِ واستِسْلَامًا لقضائِه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ شكرًا لآلائِه سابقِها ولاحِقِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذُنوبِهِم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ أقلُّهُ الجنَّةُ، والاستثناءُ مِن ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ لأنَّ المُرادَ به الجنسُ، فإذَا كانَ مُحَلًّى باللَّامِ أفادَ الاستغراقَ، ومَن حملَهُ على الكفارِ لسَبْقِ ذِكرِهِم جعلَ الاستثناءَ مُنقَطِعًا.

(١٢) ـ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ تتركُ تَبليغَ بعضِ ما يُوحَى إليك ـ وهو ما يُخالِفُ رأيَ المشركينَ ـ مخافَةَ ردِّهِم واستِهزَائِهِم، ولا يلزَمُ مِن تَوقُّعِ الشَّيءِ ـ لوُجودِ ما يَدْعُو إليه ـ وقوعُهُ؛ لجوازِ أنْ يكونَ[١] ما يَصرفُ عنه وهو عصمَةُ اللهِ الرُّسُلَ عَن الخيانَةِ في الوحيِ والتقيةِ[٢] في التَّبليغِ هاهنا[٣].

﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾: وعارضٌ لك أحيانًا ضيقُ صَدرِكَ بأَنْ تَتْلُوَهُ عليهِم مخافَةَ ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ ينفقُه في الاستتباعِ كالملوكِ ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدِّقُهُ.

وقيلَ: الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ مُبهَمٌ يفسِّرُه ﴿أَن يَقُولُواْ﴾.

---

(١) كتب تحتها في نسخة الطبلاوي: «أي: يوجد»، على أنه من «كان» التامة، وانظر التعليق الآتي.

(٢) «التقية»: الترك بسبب الخوف. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) قوله: «هاهنا» من نسخة الطبلاوي والخيالي، وفي نسخة التفتازاني بدلاً منه: «مانع». وفي «حاشية شيخ زاده» (١٠/ ٣٥): «مانعًا»، وفي «حاشية القونوي» (١٠/ ٣٥): «مانعًا هاهنا» والمعنى على هذا واضح، أما على ما أثبتناه وهو الموافق لما في «حاشية الشهاب»، و«حاشية ابن التمجيد» (١٠/ ٣٥) فيستقيم المعنى بجعل «يكون» في قوله: «لجواز أن يكون ما يصرف...» تامة بمعنى: يوجد، كما ذكر الشهاب وابن التمجيد وكما شرحت في نسخة الطبلاوي على ما تقدم في التعليق السابق.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: ليسَ عليكَ إلَّا الإنذارُ بما أُوحِيَ إليك ولا عليكَ رَدُّوا أو اقترَحُوا فما بالُكَ يضيقُ به صدرُكَ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ فتوكَّلْ عليهِ فإنَّه عالِمٌ بحَالِهِم وفاعلٌ بهم جزاءَ أَقوالِهِم وأَفعالِهِم.

(١٣) ـ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ «أم» مُنقَطِعَةٌ والهاء لِـ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في البَيانِ وحُسنِ النَّظمِ، تَحدَّاهُم أَوَّلًا بعشرِ سُوَرٍ، ثمَّ لَمَّا عَجَزُوا عنها سَهَّلَ الأمرَ عليهم وتحدَّاهُم بسورَةٍ، وتوحيدُ المثلِ باعتبارِ كلٍّ واحدٍ.

﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾: مُخْتَلَقَاتٍ مِن عندِ أَنفُسِكُم إن صحَّ أَنِّي اختَلَقْتُه مِن عندِ نَفسي، فإنَّكُم عربٌ فُصَحاءُ مِثلي تَقدِرُونَ على مثلِ ما أقدِرُ عليه، بَلْ أَنْتُم أقدَرُ لتَعَلُّمِكُم القصصَ والأشعارَ، وتعوُّدِكُم القَريضَ والنَّظمَ.

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلـى المعاونَـةِ علـى المعارضَـةِ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّـه مُفْتَـرًى.

(١٤) ـ ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ بإتيانِ ما دَعَوْتُم إليه، وجمعُ الضَّميرِ: إمَّا لتَعظيمِ الرَّسولِ، أو لأنَّ المؤمنينَ أيضًا كانُوا يَتحَدَّوْنَهُم، وكانَ أمرُ الرَّسولِ متناولًا لَهُم مِن حيثُ إنَّه يجبُ اتِّباعُهُ عليهِم في كلِّ أمرٍ إلَّا ما خصَّهُ الدَّليلُ، وللتَّنبيهِ على أنَّ التَّحدِّيَ ممَّا يوجِبُ رُسوخَ إيمانِهِم وقوَّةَ يَقينِهِم فلا يغفلونَ عنه، ولذلك رتَّبَ عليهِ قوله:

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾: مُلْتَبِسًا بما لا يعلَمُهُ إلَّا اللهُ ولا يقدِرُ عليه سِواهُ.

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: واعلَمُوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ لأنَّه العالمُ القادِرُ بما لا يعلَمُ ولا يقدِرُ عليه غيرُه، ولظهورِ عَجزِ آلِهتِهِم، ولتَنصيصِ هذا الكلامِ الثَّابتِ صدقُهُ بإعجازِهِ عليه[1]، وفيه تَهديدٌ وإقناطٌ مِن أَنْ يُجيرَهُمْ مِن بأسِ اللهِ آلهتُهُم.

---

(١) قوله: «ولتنصيص هذا الكلام»؛ أي: وهو قوله: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ «الثَّابت صدقه» صفة لـ(هذا الكلام) «بإعجازه» متعلق بـ(صدقُه) «عليه» متعلق بـ(تنصيص). انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٠٨).

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: ثابتونَ على الإسلامِ راسِخُونَ فيه مُخلِصُونَ إذا تَحقَّقَ عِندَكُم إعجازُهُ مُطلَقًا.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الكُلُّ خطابًا للمُشركينَ، والضَّميرُ في ﴿لم يستجيبوا﴾ لِمَن استعظَمَ؛ أي: فإن لم يَستجِيبُوا لكم إلى المُظاهرَةِ لعَجزِهِم، وقد عَرَفْتُم مِن أَنفُسِكُم القُصورَ عَن المُعارضَةِ، فاعلَمُوا أنَّه نظمٌ لا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ، وأنَّه منزلٌ مِن عندِهِ، وأنَّ ما دَعاكُم إليه مِن التَّوحيدِ حقٌّ، فهل أنتم داخِلُونَ في الإسلامِ بعدَ قِيامِ الحُجَّةِ القاطِعَةِ؟ وفي مثلِ هذا الاستفهامِ إيجابٌ بَليغٌ؛ لِمَا فيه مِن مَعْنَى الطَّلَبِ والتَّنبيهِ على قيامِ الموجِبِ وزوالِ العذرِ.

(١٥) ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانِه وبِرِّهِ ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾: نوصِلْ إليهِم جزاءَ أعمالِهِم في الدُّنْيا مِن الصِّحَّةِ والرِّئاسَةِ وسَعَةِ الرِّزقِ وكثرةِ الأَولادِ.

وقُرِئَ: «يُوَفِّ» بالياءِ[1]؛ أي: يُوَفِّ اللهُ.

و: «تُوَفَّ» على البناءِ للمَفعولِ[2].

و: «نُوفِي» بالتَّخفيفِ والرَّفعِ[3] لأنَّ الشَّرطَ ماضٍ؛ كقولِه:

---

(١) نسبت لطلحة بن مصرف وميمون بن مهران، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٦)، و«البحر» (١٢/ ٢٢٠).

(٢) أي: (تُوَفَّ إليهم أعمالُهم). انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٠) عن الزعفراني، و«الكشاف» (٤/ ١١٩)، و«البحر» (١٢/ ٢٢٠) دون نسبة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«الكشاف» (٤/ ١١٩)، و«البحر» (١٢/ ٢٢١)، عن الحسن.

وَإِنْ أَتَـاهُ كَرِيـمٌ يَـوْمَ مَـسْغَـبَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِـبٌ مَالِـي وَلَا حَـرِمُ[1]

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنقصونَ شَيئًا مِن أُجورِهم.

والآيةُ في أهلِ الرِّياءِ، وقيلَ: في المنافقينَ، وقيلَ: في الكفرةِ وبرِّهِم.

(١٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ مُطلَقًا في مُقابلَةِ ما عَمِلُوا؛ لأنَّهُم استَوْفَوْا ما تَقتَضِيهِ صُوَرُ أَعمالِهِم الحَسَنَةِ وبَقِيَتْ لَهُم أَوزارُ العَزائِمِ السَّيِّئَةِ.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ لأنَّه لَمْ يبقَ لَهُ ثَوابٌ في الآخرةِ أو لَمْ يَكُن؛ لأنَّهُم لَمْ يُريدُوا بِهِ وجهَ اللهِ، والعُمدَةُ في اقتضاءِ ثوابِها هو الإخلاصُ، ويجوزُ تَعليقُ الظَّرفِ بـ﴿صَنَعُواْ﴾ على أنَّ الضَّميرَ للدُّنْيَا.

﴿وَبَٰطِلٞ﴾ في نفسِه ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأنَّه لَمْ يُعْمَل على ما يَنبَغِي، وكأنَّ كلَّ واحِدَةٍ مِن الجُملتينِ عِلَّةٌ لِمَا قبلَها.

وقُرِئَ: «وباطلًا»[2] على أنَّهُ مَفعولُ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ و«ما» إبهاميَّةٌ أو في مَعنى المصدرِ[3]؛ كقولِه:

وَلَا خَارِجًـا مِـن فِـيَّ زُورُ كَلَامِ[4]

و: «بَطَلَ» على الفعلِ[5].

---

(١) هو من معلقة زهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوان زهير» بشرح الشنتمري (ص: ١٥٣)، و«الكتاب» (٣/ ٦٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٩/ ٧٠)، وتقدم عند تفسير الآية (٧٨) من سورة النساء.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤) عن أبيٍّ، و«المحتسب» (١/ ٣٢٠) عن أبيٍّ وابن مسعود.

(٣) إبهاميَّةً بمعنى: وباطلاً أَيَّ باطلٍ كانوا يعملون، وبمعنى المصدر على: وبَطَل بُطلانًا ما كانوا يعملون. انظر: «الكشاف» (٤/ ١٢٠).

(٤) عجز بيت للفرزدق، وهو في ديوانه (٢/ ٢١٢)، و«الكتاب» (١/ ٣٤٦)، وأراد كما قال سيبويه: ولا يخرج خروجًا. وتقدم عند تفسير الآية (٧٩) من سورة النساء.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«البحر» (١٢/ ٢٢١)، عن يحيى بن يعمر وزيد بن علي.

(١٧) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: برهانٍ مِن اللهِ يَدُلُّهُ على الحقِّ والصَّوابِ فيما يأتيهِ ويذَرُهُ، والهَمزَةُ لإنكارِ أن يُعْقِبَ مَن هذا شأنُهُ هؤلاءِ المُقصِرِينَ هِمَمَهُم وأفكارَهُم على الدُّنيَا، وأن يُقارَبَ بينَهُم في المنزلةِ، وهو الَّذي أغنَى عَن ذكرِ الخبرِ وتَقديرُه: أفمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ كمَن يُريدُ الحَياةَ الدُّنْيَا، وهو حكمٌ يَعُمُّ كلَّ مُؤمِنٍ مُخلِصٍ.

وقيلَ: المرادُ بِهِ النَّبِيُّ عليهِ السَّلامُ، وقيلَ: مؤمِنُو أهلِ الكِتابِ.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويَتْبعُ ذلك البرهانَ الَّذي هو دليلُ العَقْلِ ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: شاهدٌ مِن اللهِ يشهَدُ بصِحَّتِه، وهو القُرآنُ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: ومِن قبلِ القُرآنِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني: التَّوراةَ، فإنَّها أيضًا تَتْلُوهُ في التَّصديقِ.

أو البيِّنَةُ هو القرآنُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ مِن التِّلاوَةِ، والشَّاهِدُ جبريلُ أو لسانُ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ على أنَّ الضَّميرَ له، أو من التُّلُوِّ والشاهدُ ملكٌ يحفَظُهُ، والضَّميرُ في «يتلوهُ» إمَّا لـ«مَن»، أو للبيِّنَةِ باعتبارِ المعنى، ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ جملةٌ مبتدأَةٌ.

وقُرِئَ: «كتابَ» بالنَّصبِ[1] عَطفًا على الضَّميرِ في ﴿يتلوه﴾؛ أي: يتلو القرآنَ شاهِدٌ ممَّنْ كانَ على بيِّنَةٍ دالَّةٍ على أنَّهُ حَقٌّ كقولِه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠] ويقرأُ من قبلِ القرآنِ التَّوراةَ.

﴿إِمَامًا﴾: كتابًا مُؤتَمًّا به في الدِّينِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ على المنزلِ عليهِم؛ لأنَّهُ الوُصلَةُ إلى الفوزِ بخيرِ الدَّارينِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى مَن كانَ على بَيِّنَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مِن أهلِ مَكَّةَ ومَن تحزَّبَ مَعَهُم على رَسولِ اللهِ ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يَرِدُها لا مَحالةَ.

---

(١) نسبت لمحمد بن السائب الكلبي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤).

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: مِن المَوعِدِ، أو القرآنِ. وقُرِئَ «مُرية» بالضَّمِّ[1]، وهما: الشكُّ.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لقِلَّةِ نَظَرِهِم واختلالِ فِكْرِهِم.

(١٨) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كأنْ أسندَ إليه ما لَمْ يُنزِلْهُ، أو نفى عنهُ ما أنزلَهُ ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في الموقفِ بأَنْ يُحبَسُوا وتُعْرَضَ أَعْمَالُهُم.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ من الملائكةِ والنَّبيِّينَ، أو مِن جَوارِحِهِم، وهو جمعُ شاهِدٍ كأَصحابٍ، أو شهيدٍ كأَشْرافٍ:

﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ تهـويلٌ عظيمٌ ممَّا يحيقُ بهم حينئذٍ لظُلمِهِم بالكذبِ على اللهِ.

(١٩) ـ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عَن دينِه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: ويصفونَها بالانحرافِ عَن الحقِّ والصَّوابِ، أو: يبغونَ أهلَها أَنْ يَعُوجُوا بالردَّةِ.

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: والحالُ أنَّهم كافرونَ بالآخرةِ، وتكريرُ ﴿هُمْ﴾ لتأكيدِ كُفْرِهِم واختصاصِهِم بهِ.

(٢٠) ـ ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كانُوا مُعجزينَ اللهَ في الدُّنيَا أن يُعاقِبَهُم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونَهُم مِن العقابِ، ولكنَّه أَخَّرَ عِقابَهُم إلى هذا اليَومِ ليكونَ أشدَّ وأدوَمَ.

---

(١) نسبت لعلي رضي الله عنه والحسن وقتادة وأبي عبد الرحمن السُّلَمي وأبي رجاء وغيرهم، وهي لغة أسد وتميم، والكسر لغة أهل الحجاز. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«الكامل» للهُذَلي (ص: ٥٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٩)، و«البحر» (١٢/ ٢٢٦).

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ استئنافٌ. وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿يُضعَّف﴾ بالتَّشديدِ[1].

﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ لتصامِّهم عن الحقِّ وبُغضِهم له ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ لتَعامِيهم عَن آياتِ اللهِ، وكأنَّهُ العِلَّةُ في مُضاعفَةِ العَذابِ.

وقيلَ: هو بيانُ ما نفاهُ مِن وِلايَةِ الآلهةِ بقولِه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ فإنَّ ما لا يسمَعُ ولا يُبصِرُ لا يَصلُحُ للوِلايةِ، وقولُه: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ اعتراضٌ.

(٢١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باشتراءِ عبادَةِ الآلهَةِ بعبادةِ اللهِ.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ مِن الآلهةِ وشَفاعتِها.

أو: خسرُوا بما بدَّلُوا وضاعَ عَنْهُم ما حصَّلُوا، فلم يبقَ مَعَهُم سِوَى الحَسرةِ والنَّدامَةِ.

(٢٢) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ لا أحدَ أبيَنُ وأكثرُ خُسرانًا مِنْهُم.

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: اطمأنُّوا إليه وخَشَعُوا له، من الخَبْتِ: وهو الأرضُ المُطمَئِنَّةُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمونَ.

(٢٤) ـ ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: الكافرِ والمُؤمنِ ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ يجوزُ أَنْ يُرادَ بهِ:

تَشبيهُ الكافرِ بالأَعْمَى لتَعاميهِ عَن آياتِ اللهِ، وبالأصمِّ لتَصامِّه عَن استِماعِ كَلامِ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«التيسير» (ص: ٨١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

اللهِ وتَأَبِّيهِ عَن تَدبُّرِ مَعانيه، وتَشبيهُ المُؤمِنِ بالسَّميعِ والبَصيرِ لأنَّ أمرَهُ بالضِّدِّ، فيكونُ كلٌّ مِنْهُما مُشبَّهًا باثنينِ باعتبارِ وَصفينِ.

أو تَشبيهُ الكافرِ بالجامعِ بين العَمَى والصَّممِ والمؤمنِ بالجامعِ بينَ ضِدَّيْهِمَا، والعاطفُ لعطفِ الصِّفَةِ على الصِّفَةِ كقولِه:

الصَّابِــحِ فالغَانِـــمِ فالآيِـــبِ[1]

وهذا مِن بابِ اللفِّ والطِّباقِ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾: هل يَستَوِي الفَريقانِ ﴿مَثَلًا﴾؛ أي: تمثيلًا[2]، أو صِفَةً، أو حالًا.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضَربِ الأمثالِ والتَّأمُّلِ فيها.

(٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحًا إلى قومِهِ أَنِّي لَكُمْ﴾ بأنِّي لَكُم. وقرأَ نافِعٌ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ وحمزةُ بالكسرِ[3] على إرادةِ القَولِ.

---

(١) قطعة من بيت لابن زيابة التيمي، وهو في «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ١٠٩)، و«خزانة الأدب» (٥/ ١١٠)، وتقدم عند تفسير الآية (٤) من سورة البقرة. وتمامه:

يَـا لَهـفَ زَيَّابَـةَ للحـارِثِ الصْـ ... ـصَـابِـحِ فالـغَـانِــم فالآيِـبِ

(٢) فـي نسـخة الطبلاوي: «ممثلًا»، ومثله في «حاشية القونوي» (١٠/ ٦٠)، و«حاشية الأنصاري» (٣/ ٢١٤)، والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في «حاشية الشهاب»، و«حاشية شيخ زاده» (٤/ ٦٣٦)، وذكر شيخ زاده أنه على هذا يكون المثل اسما بمعنى التمثيل كالسلام بمعنى التسليم. قال: «و﴿مَثَلًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل، والأصل: هل يستوي مثَلُهما؛ أي: تشبيههما».

قلت: ولفظ الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٢٦): «﴿مَثَلًا﴾ تشبيها» يؤيد هذا، و«ممثلاً» يحتمل المصدرية فيكون كالتمثيل، ويحتمل أن يكون اسم مفعول وإليه يشير كلام القونوي حيث قال: والمعنى: «لا يستويان ممثلاً إذ ممثَّل الأول هو الكافر كالجامع بين العمى والصمم، وممثَّل الثاني المؤمن كالجامع بين السمع والبصر النافعين». وعلى كل فالمؤدى واحد.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أبيِّنُ لكُم مُوجِباتِ العَذابِ ووجهَ الخَلاصِ.

(٢٦) - ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بدلٌ مِن ﴿أَنِّي لَكُمْ﴾[1] أو مفعولُ ﴿مُّبِينٌ﴾، ويجوزُ أَنْ تكونَ ﴿أَن﴾ مُفسِّرةً مُتعلِّقةً بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ﴿نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلمٍ، وهو في الحقيقةِ صِفةُ المعذِّب[2]، لكنْ يُوصفُ به العذابُ وزمانُه على طريقةِ: «جَدَّ جِدُّهُ» و«نهارُكَ صائِمٌ» للمُبالَغةِ.

(٢٧) - ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ لا مَزيَّةَ لكَ علينا تَخُصُّكَ بالنبوَّةِ ووجوبِ الطَّاعةِ.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أَخِسَّاؤُنا، جمعُ أَرْذَل فإنَّه بالغَلبَةِ صارَ مِثلَ الاسمِ كالأكبرِ، أو أرذُلٍ جمعُ رَذْلٍ.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾: ظاهرَ الرَّأيِ مِن غيرِ تَعمُّقٍ؛ مِن البُدُوِّ، أو: أولَ الرَّأيِ مِن البدءِ، والياءُ مُبدلَةٌ مِن الهمزةِ لانكسارِ ما قبلَها.

وقرأَ أبو عَمرٍو بالهمزِ[3].

وانتصابُهُ بالظَّرفِ على حَذفِ المُضافِ؛ أي: وقتَ حُدوثِ بادي الرَّأيِ، والعاملُ فيه: ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾ وإنَّما استَرْذَلُوهُم لذلك، أو لفَقْرِهم فإنَّهم لَمَّا لم يَعْلَمُوا إلَّا ظاهرًا مِن الحياةِ الدُّنيا كانَ الأحظُّ بها أشرَفَ عِنْدَهُم والمحرومُ مِنْهَا أرذَلَ.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾: لك ولِمُتَّبِعيكَ[4] ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يُؤهِّلُكُم للنُّبُوَّةِ واستحقاقِ المُتابعَةِ.

---

(١) البدلية على قراءة الفتح. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) بكسر الذال المشددة؛ أي: الله لأنه الموجد للألم. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٤) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «لك ولمن اتَّبعك».

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ إيَّاكَ في دَعْوَى النُّبوَّةِ وإيَّاهُم في دَعْوَى العلمِ بصِدْقِكَ، فغلَّبَ المخاطبُ على الغائبينَ.

(٢٨) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أَخبِرُوني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: حجَّةٍ شاهِدَةٍ بصِحَّةِ دَعْوَايَ ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بإيتاءِ البيِّنَةِ أو النبوَّةِ ﴿فعَمِيَتْ عليكُمْ﴾: فخَفِيَتْ عليكُم فلَم تَهْدِكُم، وتوحيدُ الضَّميرِ لأنَّ البَيِّنَةَ في نفسِها هي الرَّحمَةُ، أو لأنَّ خفاءَهَا يوجبُ خفاءَ النَّبوَّةِ، أو على تقديرِ: فعَمِيَتْ عليكُم بعدَ البيِّنَةِ، وحذفُها للاختصارِ، أو لأنَّه لكلِّ واحدَةٍ مِنْهُما.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾[1]؛ أي: أُخْفِيَت.

وقُرِئَ: «فعَمَّاهَا»[2] على أنَّ الفعلَ للهِ.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أَنُلْزِمُكُم على الاهتداءِ بها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تختارونَها ولا تتأمَّلُونَ فيها؟ وحيثُ اجتمعَ ضميرانِ وليسَ أَحدُهُما مرفوعًا وقدَّمَ الأعرفُ مِنْهُما جازَ في الثَّاني الفَصْلُ والوَصْلُ.

(٢٩) - ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التَّبليغِ، وهو وإِنْ لم يَذْكُر فمعلومٌ ممَّا ذُكرَ ﴿مَالًا﴾: جعلًا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنَّهُ المَأمولُ مِنه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ جوابٌ لَهُم حينَ سَألوا طردَهُم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ فيخاصِمونَ طارِدَهُم عندَهُ، أو: إنهم يلاقونَهُ ويَفوزونَ بقُربِهِ فكيفَ أطردُهُم؟

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بلقاءِ رَبِّكُم، أو: بأقدارِهِم، أو: في الْتماسِ طَرِدِهِم، أو: تتسفَّهُونَ عليهِمْ بأنْ تَدْعوهُم أراذِلَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) نسبت لأبي وابن مسعود رضي الله عنهما. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٣٨٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤).

(٣٠) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ بدفعِ انتقامِه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ وهم بتلكَ الصِّفَةِ والمثابةِ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ لتعرِفُوا أنَّ الْتِماسَ طَرْدِهِم وتوقيفَ الإيمانِ عليه ليسَ بصَوابٍ.

(٣١) ـ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: رزقُهُ وأموالُه حتَّى جَحَدْتُم فَضْلِي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ عطفٌ على ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ولا أقولُ لكم: أنا أعلَمُ الغيبَ، حتَّى تكذبوني استبعادًا، أو حتَّى أعلَمَ أنَّ هؤلاءِ اتَّبعوني باديَ الرَّأيِ مِن غيرِ بَصيرَةٍ ولا عقدِ قلبٍ، وعلى الثَّاني يجوزُ عَطْفُه على ﴿أَقُولُ﴾.

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ حتَّى تَقولُوا: ما أنتَ إلَّا بشرٌ مِثلُنا.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: ولا أقولُ في شأنِ مَن استَرْذَلْتُمُوهُم لفَقرِهِم: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنَّ ما أعدَّه اللهُ لَهُم في الآخرةِ خيرٌ ممَّا آتاكُمْ في الدُّنيَا.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئًا مِن ذلك.

والازدراءُ: افْتِعالٌ مِن زَرَى عليه: إذا عابَهُ، قُلِبَت تاؤُه دَالًا لتُجانسِ الزَّايَ في الجَهرِ، وإسنادُهُ إلى الأعيُنِ للمُبالغَةِ، والتَّنبيهِ على أنَّهُم استَرْذَلُوهُم بادِيَ الرُّؤيَةِ مِن غيرِ رَوِيَّةٍ بما عايَنُوا مِن رَثاثَةِ حالِهِم وقِلَّةِ مَنالِهِم دونَ تَأمُّلٍ في مَعانيهِم وكَمالاتِهِم.

(٣٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصَمْتَنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطَلْتَه، أو أتيتَ بأنواعِه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِن العَذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدَّعوَى والوَعيدِ، فإنَّ مُناظرتَكَ لا تُؤثِّرُ فينا.

(٣٣) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلًا أو آجِلًا ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفعِ العَذابِ أو الهربِ مِنه.

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ شرطٌ ودليلُ جوابٍ، والجملةُ

دليلُ جوابِ قولِه: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وتقديرُ الكلامِ: إنْ كانَ اللهُ يريدُ أَنْ يُغوِيَكُم فإِنْ أردْتُ أَنْ أنصَحَ لَكُم لا يَنفعُكُم نُصحِي، ولذلك نقول: لو قالَ الرَّجلُ: «أنتِ طالِقٌ إِنْ دَخلْتِ الدَّارَ إِنْ كَلَّمْتِ زَيْدًا» فدَخلَتْ ثمَّ كَلَّمَتْ لم تَطْلُق، وهو جوابٌ لِمَا أَوهَموا مِن أنَّ جدالَه كَلامٌ بلَا طائلٍ، وهو دليلٌ على أنَّ إرادَةَ اللهِ يَصِحُّ تَعلُّقُها بالإغواءِ وأنَّ خِلافَ مُرادِه مُحالٌ.

وقيلَ: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: أَنْ يُهْلِكَكُم، مِن غَوِيَ الفَصِيلُ غَوًى: إذا بَشِمَ فهَلَك.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: خالقُكُم والمُتصرِّفُ فيكُم وَفْقَ إرادَتِه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيُجازِيكُم على أَعمالِكُم.

(٣٥) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾: وبالُه. وقُرِئَ: «أَجْرامِي» على الجمعِ[1].

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾: مِن إجرامِكُم في إسنادِ الافتراءِ إليَّ.

(٣٦) ـ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أَقْنَطَهُ اللهُ مِن إيمانِهِم ونَهاهُ أَنْ يَغْتَمَّ بما فَعَلُوهُ مِن التَّكذيبِ والإيذاءِ.

(٣٧) ـ ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: مُلْتَبِسًا بأعيُنِنَا، عبَّرَ بكثرَةِ آلةِ الحسِّ ـ الَّذي به يُحفظُ الشَّيءُ ويُراعَى عَن الاختلالِ والزَّيغِ ـ عن المُبالغَةِ في الحفظِ والرِّعايَةِ على طريقَةِ التَّمثيلِ.

﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليكَ كيفَ تَصْنَعُها.

---

(١) نسبها الهذلي في «الكامل في القراءات» (ص: ٣٨٨) للزعفراني، وذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤) وقال: حكاه الفراء. وبالعودة لـ«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣) فهو لم يذكرها قراءة بل تجويزًا في المعنى، ولفظه: وجاء فِي التفسير: فَعَلَيَّ آثامي، فلو قرئت: (أجرامي) على التفسير كَانَ صوابًا.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: وَلَا تُراجِعْنِي فيهِمْ ولا تَدْعُنِي باستدفاعِ العَذابِ عَنْهُم.

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكومٌ عَلَيهِم بالإغراقِ فلا سبيلَ إلى كَفِّهِ.

(٣٨) ـ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيَةٍ ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾: استهزَؤُوا به بعمَلِه[1] السَّفينةَ؛ فإنَّه كانَ يَعمَلُها في برِّيَّةٍ بَعيدَةٍ مِن الماءِ أوانَ عزَّتِه، وكانُوا يضحَكُونَ مِنهُ ويقولون: صِرتَ نَجَّارًا بعدما كنتَ نبيًّا.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا أخذَكُم الغَرَقُ في الدُّنيا والحَرْقُ في الآخرةِ، وقيلَ: المرادُ بالسُّخريةِ الاستِجْهَالُ.

(٣٩) ـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني به إيَّاهُم وبالعذابِ الغرقَ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾: وينزلُ، أو: يَحِلُّ عليه حلولَ الدَّينِ الَّذي لا انفكاكَ عنه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ وهو عذابُ النَّارِ.

(٤٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ غايةٌ لقولِه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ وما بينَهُما حالٌ مِن الضَّميرِ فيه، أو ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي الَّتي يَبتَدِئُ بعدَها الكلامُ.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: نبعَ الماءُ مِنْهُ وارتفَعَ كالقِدْرِ تفورُ، و﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: تَنُّورُ الخُبزِ، ابتدأَ منهُ النُّبوعُ على خرقِ العادةِ، وكانَ في الكوفَةِ في موضعِ مَسجِدِهَا[2]، أو في الهندِ[3]، أو بعينِ وردَةَ مِن أرضِ الجزيرةِ[4].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «لعمله». وعبارة «الكشاف»: ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ ومن عمله السفينة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨) عن محمد بن علي بلفظ: فار التَّنُّورُ مِن مسجدِ الكوفة مِن قِبَلِ أبوابِ كِنْدَةَ. وقال: وروي عن حذيفة والشعبي ومجاهد نحو ذلك، وقد روي عن علي. وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٥) عن الشعبي: أنه كان يحلف بالله ما فار التَّنُّور إلا من ناحية الكوفة.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣١١) من طريق النَّضْرِ أبي عمرَ الخَزَّاز، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ. وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: النضر ضعفوه.

(٤) عين وردة: هو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٧ و١٨٠). =

وقيلَ: ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: وَجهُ الأَرضِ، أو أشرفُ مَوضِعٍ فيهَا.

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السَّفينَةِ ﴿مِن كُلٍّ﴾: مِن كلِّ نوعٍ مِن الحيواناتِ المُنتفَعِ بها ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: ذكرٍ وأُنثَى، هذا على قراءَةِ حَفْصٍ، والباقونَ أَضَافُوا[١] على مَعنى: احملِ اثنينِ من كلِّ زوجين؛ من كلِّ صنفٍ ذكرٍ ومن كلِّ صِنفٍ أُنثى.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطفٌ على ﴿زَوْجَيْنِ﴾ أو ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ والمرادُ: امرأَتُه وبنوهُ ونِساؤُهُم.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ بأنَّه مِن المُغرقينَ، يريدُ ابنَه كنعانَ وأُمَّهُ واعلةَ فإنَّهما كانا كافِرَينِ.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾: والمؤمنينَ مِن غيرِهم ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ كانُوا تِسعَةً وسبعينَ: زوجتُهُ المسلمَةُ وبنوه الثَّلاثَةُ حامٌ وسامٌ ويافِثُ ونساؤُهُم، واثنانِ وسَبعونَ رَجُلًا وامرأةً مِن غيرِهِم[٢].

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ اتَّخذَ السَّفينَةَ في سنتينِ من السَّاجِ، وكانَ طُولُها ثَلاثَ مئةِ ذراعٍ وعرضُها خمسينَ، وسمكُها ثلاثينَ، وجعلَ لها ثلاثةَ بُطونٍ، فحملَ في أسفَلِهَا الدَّوابَّ والوحشَ، وفي أوسَطِها الإنسَ، وفي أعلاهَا الطَّيرَ[٣].

= وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: العين التي بالجزيرة عين الوردة.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي، وفيه: فركب نوح السفينة معه بنوه هؤلاء (أي: الثلاثة المذكورين) وكنائنه نساء بنيه هؤلاء وثلاثة وسبعون من بني شيث ممن آمن به فكانوا ثمانين في السفينة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٤)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (٨/ ١٩٧)، عن ابن عباس.

(٤١) ـ ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾؛ أي: صِيرُوا فيها، وجعلَ ذلك ركوبًا لأنَّها في الماءِ كالمركوبِ في الأرضِ ﴿بسم الله مُجْراها ومُرْساها﴾ مُتَّصِلٌ بـ﴿ٱرۡكَبُواْ﴾ حالٌ مِن الواوِ؛ أي: اركَبُوا فيها مُسَمِّينَ اللهَ، أو قائلينَ: باسم اللهِ وقتَ جريِها وإرسائِهَا، أو مكانَهُما، على أنَّ المُجرَى والمُرسَى للوَقتِ أو المكانِ، أو للمصدرِ والمضافُ مَحذوفٌ كقَوْلِهِم: آتيك خفوقَ النَّجمِ[١].

وانتِصابُهُما بمَا قدَّرْناهُ حالًا[٢]، ويجوزُ رَفعُهُما بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾[٣] على أنَّ المرادَ بهما المصدَرُ، أو جُملَةٌ مِن مُبتدَأٍ وخبرٍ؛ أي: إجراؤُهَا بسمِ اللهِ، على أنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ خبرٌ، أو صِلَةٌ والخبرُ مَحذوفٌ[٤]، وهي إمَّا جُملَةٌ مُقتضَبةٌ لا تعلقَ لها بما قبلَها، أو حالٌ مُقدَّرَةٌ مِن الواوِ أو الهاءِ[٥].

---

(١) قوله: «أو للمصدر، والمضاف محذوف» تقديره: وقتَ إجرائها وإرسائها. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٢١).

قلت: فهو على هذا عائد إلى معنى الوقت في المجرى والمرسى، ويدل عليه عبارة «الكشاف» (٤/ ١٤١) ففيه: اركبوا فيها مُسمِّينَ اللهَ، أو قائلين: بسم الله وقتَ إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المُجرى والمُرْسى للوقت، وإمَّا لأنهما مصدران كالإجراء والإِرْساء حُذف منهما الوقتُ المضاف؛ كقولهم: خُفوقَ النَّجم ومَقْدَمَ الحاجِّ، ويجوز أن يراد مكانُ الإجراء والإرساء.

(٢) قوله: «وانتصابهما بما قدرناه حالًا»؛ أي: وهو «مسمِّينَ اللهَ»، أو «قائلِينَ: باسمِ اللهِ». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٢١).

(٣) قوله: «ويجوز رفعهما»؛ أي: على الفاعلية (بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾)؛ أي: استقرَّ باسم الله إجراؤها وإرساؤها. المصدر السابق.

(٤) قوله: «أو صلةٌ»؛ أي: أو صلة الإجراء والإرساء على أنهما مصدران «والخبر محذوف» تقديرُه: إجراؤها وإرساؤها بسم الله واقعان أو كائنان. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٠/ ٨٢).

(٥) قوله: «أو حال مقدرة»؛ بمعنى: اركبوا فيها مقدِّرِين الإجراء والإرساء؛ لأنهما لم يكونا حالَ الركوب فيها؛ كقولك: اركب الفرسَ سائراً على اسم الله. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٢١).

ورُوِيَ أنَّه كانَ إذا أرادَ أَنْ تَجرِيَ قالَ: بسمِ اللهِ، فجَرَتْ، وإن أرادَ أن تَرْسُوَ قالَ: بسمِ اللهِ، فرَسَتْ[1].

ويجوزُ أَنْ يكونَ الاسمُ مُقحَمًا كقولِه:

ثـمَّ اسـمُ السَّـلامُ عَلَيْكُمَـا[2]

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وعاصِمٌ بروايَةِ حفصٍ: ﴿مجريها﴾ بالفتحِ مِن جرى[3].

وقُرِئَ: «مَرساها» أيضًا مِن رَسَا، وكلاهِمُا يَحتمِلُ الثَّلاثةَ[4].

و: «مُجريهَا ومُرْسِيها» بلفظِ الفاعلِ[5] صِفَتينِ لله.

﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لولا مَغفِرَتُه لفَرَطاتِكُم ورَحمَتُه إيَّاكُم لَمَا نَجَّاكُم.

(٤٢) ـ ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ مُتَّصِـلٌ بمَحذوفٍ دلَّ عليه ﴿ٱرْكَبُواْ﴾؛ أي: فرَكِبُوا مُسـمِّينَ وهـي تَجرِي وهُم فيهـا ﴿فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾: فـي مَوجٍ مِـن الطُّوفانِ، وهو

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٤١٦) عن الضحاك.

(٢) جزء من بيت للبيد بن ربيعة الشاعر المشهور، وهو في «ديوانه» (ص: ٥١)، و«الكشاف» (٤/ ١٤١)، وتمامه:

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ومَـن يَـبْكِ حولًا كاملًا فقد اعتذرْ

قال الزمخشري: ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها؛ أي: بقدرته وأمره.

(٣) وباقي السبعة بالضم، واتفق العشرة على ضم الميم في ﴿مُرساها﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٤)، و«النشر» (٢/ ٢٨٨).

(٤) أي: (مَجْراها ومَرْساها) بفتح الميم من جَرَى ورَسَى: إما مصدرين، أو وقتين، أو مكانين. نسبت لابن مسعود وعيسى الثقفي والأعمش وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ١٤٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٧٢)، و«البحر» (١٢/ ٢٦٠).

(٥) نسبت لمجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«الكشاف» (٤/ ١٤٢)، و«البحر» (١٢/ ٢٦٠).

مـا يرتفِعُ مِـن الماءِ عنـدَ اضطِرَابِه كلُّ مَوجَـةٍ مِنْهَا كجَبَـلٍ في تَراكُمِهَـا وارتِفاعِهَا.

وما قيلَ مِن أنَّ الماءَ طبَّقَ ما بينَ السَّماءِ والأَرضِ وكانَت السَّفينَةُ تجري في جَوفِهِ= ليسَ بثابتٍ، والمشهورُ أنَّه علا شوامِخَ الجبالِ خمسةَ عشرَ ذِرَاعًا، وإن صَحَّ فلعلَّ ذلك قبلَ التَّطبيقِ.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعانَ. وقُرِئَ: «ابنَها»، و: «ابنَهَ» بحذفِ الأَلفِ[1]، على أنَّ الضَّميرَ لامرأتِه وكانَ رَبيبَهُ.

وقيلَ: كانَ لغيرِ رِشدَةٍ لقولِه تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: ١٠][2]. وهو خَطَأٌ؛ إذ الأنبياءُ عُصِمَت مِن ذلك، والمرادُ بالخيانَةِ: الخيانةُ في الدِّينِ.

وقُرِئَ: «ابناه» على النُّدبةِ[3]، ولكونِها حِكايةً سُوِّغَ حذفُ الحرفِ.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عزلَ فيه نفسَهُ عَن أبيهِ أو عَن دِينِهِ، مَفْعِلٌ للمَكانِ مِن عَزَلَهُ عنهُ: إذا أبعدَه.

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ فـي السَّـفينَةِ، والجُمهـورُ كَسَـرُوا اليـاءَ لِيَـدُلَّ علـى ياءِ الإضافَـةِ المَحذوفَـةِ فـي جميـعِ القـرآنِ، غيـرَ ابنِ كثيـرٍ فإنَّه وقـفَ عليها فـي لُقمانَ فـي الموضـعِ الأوَّلِ باتِّفاقِ الـرُّواةِ، وفي الثَّالثِ في روايـةِ قُنْبُلٍ[4]، وعاصِـمٍ فإنَّه فتحَ

---

(١) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٢)، و«الكشاف» (٤/ ١٤٣) الأولى عن عليٍّ رضي الله عنه، والثانية عن محمد بن عليٍّ وعروة بن الزبير.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٧)، ولفظه: «عن سعيد عن قتادة قال: سمعت الحسن، يقرأ هذه الآية: (إنه ليس من أهلك إنه عَمِلَ غيرَ صالحٍ)، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنَه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف».

(٣) نسبت للسدي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«النشر» (٢/ ٢٨٩).

هاهنا اقتصارًا على الفَتحِ مِن الألفِ المبدلَةِ مِن ياءِ الإضافَةِ، واختلفَ الرواةُ عنه في سائرِ المَواضعِ[١].

وقد أدغمَ الباءَ في الميمِ أبو عمرٍو والكِسائيُّ وحَفْصٌ لتَقارُبِهِمَا[٢].

﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الدِّينِ أو الانعزالِ[٣].

(٤٣) ـ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أَنْ يُغرِقَنِي ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: إلَّا الرَّاحِمُ وهوَ اللهُ تَعالى، أو: إلَّا مكانَ مَن رَحِمَهُم اللهُ وهُم المُؤمنونَ، ردَّ بذلك أن يكونَ اليومَ مُعتصَمٌ مِن جبلٍ ونحوِه يعصِمُ اللائذَ به إلَّا مُعتصَمَ المؤمنين وهوَ السَّفينَةُ.

وقيلَ: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمَعنى: لا ذا عِصْمَةٍ؛ كقولِه: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

وقيلَ: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ؛ أي: لكِنْ مَن رَحِمَهُ اللهُ يَعصِمُه.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾: بينَ نُوحٍ وابنِه، أو بين ابنِه والجبلِ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾: فصارَ مِن المُهلَكِينَ بالماءِ.

(٤٤) ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ نودِيَا بما يُنادَى به أُولو العِلمِ، وأُمِرَا بمَا يُؤمَرُونَ، تمثيلًا لكَمالِ قُدرَتِه وانقيادِهِما لِمَا يشاءُ تَكوينَهُ فيهِمَا بالآمرِ

---

(١) روى حفص عن عاصم فتحَ الياء في كلِّ القرآن، وروى أبو بكر عنه فتحَ الياء هنا فقط، وكَسْرَها في سائر القرآن. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) قرأ بالإظهار قالون والبزي وخلاَّد بخُلف عنهم، وقرأه بالإظهار بلا خلافٍ ورش وابن عامر، وخَلَف عن حمزة، وفي اختياره، وأبو جعفر، والباقون بالإدغام قولًا واحدًا، وهم: قنبل ويعقوب وأبو عمرو والكسائي وعاصم. انظر: «التيسير» (ص: ٤٥)، و«النشر» (٢/ ١١)، و«البدور الزاهرة» (ص: ١٥٦).

(٣) في نسخة الخيالي: «والاعتزال».

المُطاعِ الَّذي يأمرُ المنقادَ لِحُكمِه المُبادِرَ إلى امتثالِ أمرِه؛ مَهابةً مِن عَظَمَتِه وخَشيةً مِن أليمِ عِقابِهِ.

والبَلْعُ: النَّشْفُ،، والإقلاعُ: الإمساكُ.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: نقصَ ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأُنجزَ ما وعدَ مِن إهلاكِ الكافرينَ وإنجاءِ المُؤمنينَ.

﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: واستقرَّتِ السَّفينةُ ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾: جبلٌ بالموصلِ، وقيلَ: بالشَّامِ، وقيلَ: بآمُل.

رُوِيَ أنَّه ركبَ السَّفينةَ عاشرَ رجبٍ ونزلَ عنها عاشِرَ المحرَّمِ، فصامَ ذلك اليومَ وصارَتْ سُنَّةً[1].

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هلاكًا لَهُم، يُقال: بَعِدَ بُعْدًا وبَعَدًا: إذا أَبْعد بُعدًا بعيدًا بحيثُ لا يُرجَى عَوْدُه، ثمَّ استُعيرَ للهَلاكِ وخُصَّ بدُعاءِ السُّوءِ.

والآيةُ في غايةِ الفَصاحَةِ؛ لفَخامةِ لفظِهَا وحُسنِ نَظمِهَا، والدَّلالةِ على كُنْهِ الحالِ مع الإيجازِ الخالي عَن الإخلالِ، وفي إيرادِ الأخبارِ على البناءِ للمَفعولِ دلالةٌ على تَعظيمِ الفاعلِ، وأنَّه مُتعيِّنٌ في نفسِهِ مُستَغْنٍ عَن ذكرِه إذ لا يذهَبُ الوَهمُ إلى غيرِه؛ للعلمِ بأنَّ مِثلَ هذه الأَفعالِ لا يَقدِرُ عليه سِوَى الواحدِ القَهَّارِ.

(٤٥) ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾: وأرادَ نِداءَهُ، بدَليلِ عَطفِ قولِه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فإنَّهُ نِداءٌ.

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: وإنَّ كلَّ وَعْدٍ تَعِدُهُ حقٌّ لا يَتطرَّقُ إليه الخُلْفُ، وقد

---

(١) قطعة من خبر طويل رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠ ـ ٤١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٠) عن قتادة بلفظ: هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم، فقال لمن معه: من كان منكم اليوم صائمًا فليتم صومه، ومن كان مفطرًا فليصم.

وعـدتَ أَنْ تُنْجِـيَ أهلِـي فمـا حالُه؟ أو: فما لـه لم يَنْجُ؟ ويجـوزُ أَنْ يكونَ هـذا النِّداءُ قبـلَ غرَقِه.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنَّك أعلَمُهُم وأعدَلُهُم، أو لأنَّكَ أكثَرُ حِكْمَةً مِن ذَوِي الحِكَمِ، على أنَّ الحاكِمَ مِن الحكمَةِ كالدَّارعِ مِن الدِّرعِ.

(٤٦) - ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لقطعِ الوِلايَةِ بينَ المُؤمِنِ والكافرِ، وأشارَ إليهِ بقَولِه: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فإنَّه تَعليلٌ لنَفْيِ كونِه مِن أَهلِه، وأصلُهُ: إنَّه ذو عَمَلٍ فاسِدٍ، فجعلَ ذاتَهُ ذاتَ العملِ للمُبالغَةِ كقولِ الخَنساءِ تَصِفُ ناقَةً:

تَرْتَـعُ مَـا رَتَـعَتْ حَـتَّـى إِذَا ادَّكَـرَتْ فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْبَـالٌ وَإِدْبَـارُ[1]

ثمَّ بدَّلَ الفاسِدَ بغيرِ الصَّالحِ تَصْرِيحًا بالمناقضَةِ بينَ وَصفَيْهِمَا، وانتفاءِ ما أوجبَ النَّجاةَ لِمَن نَجَا مِن أَهلِه عَنْه.

وقرأَ الكِسائيُّ ويعقوب: ﴿إنَّه عَمِلَ غيرَ صالحٍ﴾[2]؛ أي: عَمِلَ عَمَلًا غيرَ صالحٍ.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ما لا تعلَمُ أصوابٌ هو أم ليسَ كذلك؟ وإنَّما سَمَّى نِداءَهُ سُؤالًا لتضمُّنِ ذكرِ الوعدِ بنَجاةِ أهلِهِ استنجازَهُ في شأنِ وَلدِه، أو استفسارَ المانعِ للإنجازِ في حقِّهِ، وإنَّما سَمَّاه جهلًا وزجرَ عنه بقولِه: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لأنَّ استثناءَ مَن سبقَ عليه القولُ مِن أهلِهِ قد دلَّهُ على الحالِ وأغناه عَن السُّؤالِ، لكنْ شغلَهُ حبُّ الولدِ عنه حتَّى اشْتَبَهَ الأمرُ عليه.

وقـرأَ ابنُ كَثيـرٍ بفتحِ الـلَّامِ والنُّونِ الشَّـديدةِ، وكذا نافـعٌ وابنُ عامرٍ غيـرَ أنَّهُما كَسَـرا النُّـونَ علـى أنَّ أصلَـهُ: تَسـأَلنَّنِي، فحُذفَـت نـونُ الوِقايَـةِ لاجتمـاعِ النُّونـاتِ

(١) للخنساء انظر: «الديوان» (ص: ٤٨)، و«الكتاب» (١/ ٣٣٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٥)، و«النشر» (٢/ ٢٨٩). د

وكُسِرَت الشَّـديدةُ لليَـاءِ ثـمَّ حُذِفَـت اكتفـاءً بالكَسـرةِ، وأَثْبتَهـا نافعٌ بروايـةِ ورشٍ في الوصـل[1].

(٤٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ فيمـا يُسـتقبلُ ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾: مـا لا عِلـمَ لـي بصِحَّتِـه ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾: وإن لم تَغفِـرْ لي ما فَـرَطَ مِنِّي من السُّـؤالِ ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ بالتَّوبَةِ والتَّفضُّلِ عليَّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

(٤٨) ـ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾: انزِلْ مِن السَّفينةِ مُسَلَّمًا مِن المكارهِ مِن جِهَتِنا، أو: مُسلَّمًا عليك.

﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾: ومباركًا عليك، أو زياداتٍ في نَسْلِكَ حتَّى تَصيرَ آدمًا[2] ثانيًا.

وقُرِئَ: «اهبُط» بالضَّمِّ[3]، «وبركةٍ» على التَّوحيدِ[4] وهو الخيرُ النَّامِي.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾: وعلى أُمَمٍ هم الَّذينَ معكَ، سُمُّوا أُمَمًا لتَحزُّبِهِم، أو لتَشَعُّبِ الأُمَمِ مِنْهُم، أو: وعلى أُمَمٍ ناشئةٍ ممَّنْ معكَ، والمرادُ بهم المؤمنونَ؛ لقولِه: ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾؛ أي: وممَّن معكَ أُمَمٌ سنُمَتِّعُهُم في الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخرةِ، والمرادُ بهم الكفَّارُ مِن ذُرِّيَّةِ مَن معَه، وقيلَ: هُمْ قَومُ هودٍ وصالحٍ ولُوطٍ وشُعَيبٍ، والعذابُ: ما نزلَ بهم.

---

(١) وأثبتها في الوصلِ أيضًا لكنْ بعد النون الخفيفة أبو عمرٍو، وكذا أَثْبتها يعقوبُ من العشرة في الحالين. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥)، و«النشر» (٢/ ٢٩٢).

(٢) قوله: «حتى تصير آدمًا ثانيًا»؛ أي: كآدمَ في كثرة نَسْلِه، وإنما صرَفَه؛ لأنَّه الآنَ في معنى النكرة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ١٠٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن عيسى.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن عبد العزيز بن يحيى الكناني.

(٤٩) ـ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى قصَّةِ نُوحٍ، ومحلُّهَا الرَّفعُ بالابتداءِ وخبرُها: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾؛ أي: بَعضُها ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ خبرٌ ثانٍ والضَّميرُ لها[١]؛ أي: مُوحاةٌ إليك، أو حالٌ مِن الأنباءِ، أو هو الخبرُ و﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ مُتعلِّقٌ به أو حالٌ من الهاءِ.

﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ خبرٌ آخرُ؛ أي: مجهولةٌ عِندَكَ وعندَ قومِكَ مِن قبلِ إيحائِنَا إليك، أو حالٌ من الهاءِ في ﴿نُوحِيهَا﴾، أو الكافِ في ﴿إِلَيْكَ﴾؛ أي: جاهِلًا أنتَ وقومُكَ بها، وفي ذكرِهِم تنبيهٌ على أنَّه لَمْ يَتعلَّمْهُ إذ لم يُخالِطْ غيرَهُم، وأنَّهُم مع كَثرَتِهِم لَمَّا لَمْ يَسْمَعوهُ فكيفَ بواحدٍ[٢] منهم.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على مشاقِّ الرِّسالةِ وأذيَّةِ القَومِ كما صبرَ نوحٌ ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدُّنيَا بالظَّفرِ وفي الآخرةِ بالفوزِ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عَن الشِّركِ والمَعاصِي.

(٥٠) ـ ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، و﴿هُودًا﴾ عطفُ بيانٍ.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدَهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وقُرِئَ بالجرِّ[٣] حملًا على المجرورِ وحدَه.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على اللهِ باتِّخاذِ الأَوْثانِ شُركاءَ وجَعْلِهَا شُفَعاءَ.

(٥١) ـ ﴿يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خاطبَ كُلُّ رَسولٍ بِهِ قومَه؛ إزاحَةً للتُّهمَةِ، وتَمحيصًا للنَّصيحَةِ، فإنَّها لا تنجَعُ ما دامَتْ مَشُوبَةً بالمَطامِعِ.

---

(١) قوله: «والضمير لها»؛ أي: للقصة، والرابط لجملة الخبر. انظر: «حاشية القونوي» (١٠/ ٢٢٦).

(٢) في نسخة التفتازاني: «يؤخذ»، وفي نسخة الطبلاوي: «برجل».

(٣) وهي قراءة الكسائي، وقرأ الباقون بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تَستعمِلُونَ عُقولَكُم فتَعرِفُوا المُحِقَّ مِن المُبطِلِ والصَّوابَ مِن الخَطأِ.

(٥٢) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: اطلُبُوا مَغفرةَ اللهِ بالإيمانِ ثمَّ توسَّلُوا إليها بالتَّوبةِ، وأيضًا التَّبرُّؤُ عن الغيرِ إنَّما يكونُ بعدَ الإيمانِ باللهِ والرَّغبةِ فيمَا عِندَهُ.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثيرَ الدرِّ ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: ويُضاعِفْ قُوَّتَكُم، وإنَّما رَغَّبَهُم بكثرةِ المَطرِ وزيادةِ القُوَّةِ لأنَّهُم كانُوا أصحابَ زُروعٍ وعماراتٍ.

وقيلَ: حبَسَ اللهُ عَنهُم القطرَ وأعقَمَ أرحامَ نِسائِهم ثلاثَ سنين[1]، فوعدَهُم هودٌ عليهِ السَّلامُ على الإيمانِ والتَّوبَةِ بكَثرةِ الأَمطارِ وتَضاعُفِ القُوَّةِ بالتَّناسُلِ.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾: ولا تُعرِضُوا عمَّا أدعوكُم إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾: مُصرِّينَ على إجرامِكُم.

(٥٣) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحُجَّةٍ تَدُلُّ على صِحَّةِ دَعواكَ، وهو لفَرْطِ عِنادِهِم وعَدمِ اعتدادِهِم بما جاءَهُم مِن المُعجِزاتِ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا﴾: بتاركِي عِبادَتِهِم ﴿عَن قَوْلِكَ﴾: صادرينَ عَن قولِكَ، حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿تاركي﴾.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إقناطٌ له مِن الإجابةِ والتَّصديقِ.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾: ما ﴿نَّقُولُ إِلَّا﴾ قولَنا: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾؛ أي: أصابَكَ، مِن عَراهُ يَعرُوهُ: إذا أصابَه.

---

(١) في نسخة الخيالي: «ثلاثين سنة» والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٨٢)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٤٤٤)، و«الكشاف» (٤/ ١٥٤)، وغيرها.

﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجُنونٍ لسَبِّكَ إيَّاهَا وصَدِّكَ عَنْها، ومِن ذلك تَهذِي وتَتكَلَّمُ بالخُرافاتِ، والجُملَةُ مَقُولُ القَولِ، و﴿إِلَّا﴾ لغوٌ لأنَّ الاستثناءَ مُفرَّغٌ.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أجابَ به عن مَقالَتِهِم الحَمقاءِ بأنْ أشهَدَ اللهَ تَعالى على بَراءَتِه مِن آلِهَتِهِم وفراغِه عَن إضرارِهِم تأكيدًا لذلك وتَثبيتًا له، وأَمَرَهُم بأَنْ يَشهَدُوا عليه استهانَةً بهِمْ، وأَنْ يُجمِعُوا على الكيدِ في إهلاكِهِ مِن غيرِ إنظارٍ، حتَّى إذا اجتَهَدُوا فيه ورَأَوْا أنَّهم عَجَزُوا عَن آخرِهِم ـ وهُم الأقوِيَاءُ الأَشِدَّاءُ ـ أَنْ يَضُرُّوهُ لم يبقَ لَهُم شبهَةٌ؛ لأنَّ آلِهَتَهُم الَّتي هي جمادٌ لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ لا تتمكَّنُ مِن إضرارِهِ انتقامًا منه.

وهَذا مِن جُملَةِ مُعجزاته، فإنَّ مواجهةَ الواحدِ الجمَّ الغَفيرَ من الجبابرةِ الفُتَّاكِ العِطاشِ إلى إراقَةِ دمِهِ بهذا الكَلامِ ليس إلَّا لثِقَتِه باللهِ، وتثبطَهُم عَن إضرارِه ليسَ إلَّا بعِصمَتِه إيَّاه، ولذلكَ عَقَّبَه بقولِه:

(٥٦) ـ ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ تقريرًا له، والمَعنى: إنَّكُم وإن بَذَلْتُم غايَةَ وُسعِكُم لم تَضُرُّونِي فإنِّي مُتوكِّلٌ على اللهِ واثقٌ بكَلامِه، وهو مالِكِي ومالكُكُم، لا يَحيقُ بي ما لم يُرِدْه، ولا تقدرونَ على ما لم يُقدِّرْه، ثمَّ بَرْهَن عليه بقولِه:

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾؛ أي: إلَّا وهوَ مالِكٌ لها قادِرٌ علَيْهَا يُصَرِّفُها على ما يريدُ بها، والأخذُ بالنَّواصِي تَمثيلٌ لذلك.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي إنَّه على الحقِّ والعدلِ لا يَضيعُ عندَهُ معتصِمٌ ولا يَفوتُه ظالمٌ.

(٥٧) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: فإنْ تَتوَلَّوْا ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾: فقَدْ أدَّيتُ ما عليَّ مِن الإبلاغِ وإلزامِ الحُجَّةِ، فلا تفريطَ مِنِّي ولا عُذرَ لَكُم، فقَدْ أَبلَغْتُكُم ما أُرسِلْتُ بهِ إليكُم.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ استئنافٌ بالوَعيدِ لَهُم بأَنَّ اللهَ يُهْلِكُهُم ويَستَخْلِفُ قَوْمًا آخرينَ في دِيارِهِم وأَموالِهِم، أو عطفٌ على الجوابِ بالفاءِ، ويؤيِّدُه القراءَةُ بالجَزمِ[١] على الموضعِ كأَنَّه قيلَ: وإِنْ تَتَوَلَّوْا يَعْذُرْني رَبِّي ويَستَخْلِفْ.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتولِّيكُم ﴿شَيْـًٔا﴾ مِن الضَّرَرِ، ومَن جَزَمَ «يَسْتَخْلِفْ» أسقطَ النُّونَ مِنه[٢].

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيبٌ فلا تَخْفَى عليه أَعمالُكُم ولا يَغفُلُ عَن مَجازاتِكُم، أو: حافظٌ مُستَوْلٍ عليه فلا يمكنُ أَنْ يَضُرَّهُ شَيءٌ.

(٥٨) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابُنا، أو: أمرُنا بالعذابِ ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ وكانُوا أربعةَ آلافٍ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ تكريرٌ لبيانِ ما نجَّاهُم منه وهو السَّمومُ، كانَتْ تدخلُ أنوفَ الكَفَرةِ وتخرجُ مِن أَدبارِهِم فتقطِّعُ أعضاءَهُم، والمرادُ به: تَنْجِيَتُهُم مِن عذابِ الآخرةِ أيضًا، والتَّعريضُ بأَنَّ المُهلَكِينَ كما عُذِّبُوا في الدُّنيا بالسَّمومِ فهم مُعذَّبونَ في الآخرةِ بالعَذابِ الغَليظِ.

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ أَنَّثَ اسمَ الإشارةِ باعتبارِ القَبيلَةِ، أو لأنَّ الإشارةَ إلى قُبورِهِم وآثارِهِم ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: كفرُوا بها ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ لأَنَّهُم عَصَوْا رَسُولَهُم، ومَنْ عَصَى رَسُولًا فكأَنَّما عَصَى الكُلَّ لأَنَّهُم أُمِرُوا بطاعَةِ كُلِّ رَسولٍ.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يعني: كُبَراءَهُم الطَّاغينَ، و﴿عَنِيدٍ﴾ مِن عَنَدَ عَنْدًا

---

(١) أي: في (يستخلف) وكذلك: (ولا تضرُّوه)، نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٢)، و«الكشاف» (٤/ ١٥٨)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٨٢).

(٢) انظر التعليق السابق.

وعَنَدًا وعُنُودًا: إذا طَغَى، والمعنى: عَصَوْا مِن دَعاهُم إلى الإيمانِ وما يُنجيهِم، وأطاعُوا مَن دَعَاهُم إلى الكُفرِ وما يُرديهِم.

(٦٠) ـ ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: جُعِلَت اللَّعنَةُ تابِعَةً لَهُم في الدَّارينِ تَكُبُّهُم في العَذابِ ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾: جَحَدُوهُ وكَفَرُوا نِعَمَهُ، أو: كَفَرُوا بِهِ، فحُذِفَ الجارُّ.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ دعاءٌ عليهِمْ بالهَلاكِ، والمُرادُ بِهِ: الدَّلالَةُ على أنَّهُم كانُوا مُسْتَوْجِبينَ لِمَا نزلَ عليهِمْ بسببِ ما حُكِيَ عَنْهُم، وإنَّما كرَّرَ ﴿أَلَا﴾ وأعادَ ذِكرَهُم تَفظيعًا لأَمرِهِم وحَثًّا على الاعتبارِ بحالِهِم.

﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿عاد﴾ وفائدَتُه: تمييزُهُم عَن عادٍ الثَّانيَةِ عادِ إِرَمَ، والإيماءُ إلى أنَّ[1] استحقاقَهُم للبُعدِ بما جَرَى بينَهُم وبينَ هُودٍ.

(٦١) ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: هو كوَّنَكُم مِنْها لا غيرُه، فإنَّه خلَقَ آدمَ ومَوادَّ النُّطَفِ الَّتي خُلِقَ نَسلُهُ مِنْها مِن التُّرابِ.

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: عَمَّرَكُم فيها واستَبْقَاكُم، مِن العمرِ، أَوْ: أقدَرَكُم على عِمارَتِها وأمرَكُم بها.

وقيلَ: هو مِن العُمْرَى بمعنى: أَعْمَرَكُم فيهَا دِيارَكُم ويرثُها مِنْكُم بعدَ انصرامِ أَعمارِكُم، أو: جَعَلَكُم مُعمِّرِينَ دِيارَكُم تَسكُنُونَها مُدَّةَ عُمرِكُم ثُمَّ تَتْرُكونَها لِغَيرِكُم.

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: قريبُ الرَّحمةِ ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه.

---

(١) «أن» ليست في نسخة التفتازاني.

(٦٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ ـ لِمَا نَرى فيكَ مِن مَخايلِ الرُّشدِ والسَّدادِ ـ أَنْ تكونَ لَنَا سَيِّدًا ومُستشارًا[1] في الأمورِ، أو: أَنْ تُوافِقَنا في الدِّينِ، فلمَّا سَمِعْنَا هذا القَوْلَ مِنكَ انقطَعَ رَجاؤُنَا عنكَ.

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ على حكايةِ الحالِ الماضِيَةِ.

﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ مِن التَّوحيدِ والتَّبرِّي عَن الأَوثانِ ﴿مُرِيبٍ﴾: موقِعٍ في الرِّيبَةِ، مِن أَرَابَهُ، أو: ذي رِيبَةٍ، على الإسنادِ المَجازيِّ مِن أرابَ في الأَمرِ.

(٦٣) ـ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: بيانٍ وبَصيرَةٍ، وحرفُ الشَّكِّ باعتبارِ المُخاطَبينَ ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نُبوَّةً ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: فمَنْ يَمْنَعُني مِن عَذابِه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغِ رِسالَتِه والمنعِ عَن الإشراكِ بهِ.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ إذَنْ باستِتْبَاعِكُم إيَّاي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: غيرَ أَنْ تُخسِرُوني بإبطالِ ما مَنَحني اللهُ به والتَّعرُّضِ لعَذابِه، أو: فمَا تَزيدونَني بما تَقولونَ لي غيرَ أَنْ أنسبَكُم إلى الخُسرانِ.

(٦٤) ـ ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ انتصبَ ﴿ءَايَةً﴾ على الحالِ، وعامِلُها معنى الإشارةِ، و﴿لَكُمْ﴾ حالٌ مِنْها تَقدَّمَت عليهَا لتَنكيرِهَا.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: تَرْعَ نباتَها وتَشرَبْ ماءَها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجِلٌ لا يَتراخَى عَن مَسِّكُم لها بالسُّوءِ إلَّا يَسيرًا وهو ثلاثةُ أيامٍ.

(٦٥) ـ ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾: عيشُوا في مَنازِلِكُم، أو في دارِكُم الدُّنيا ﴿ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ الأربعاءَ والخَميسَ والجُمعَةَ ثمَّ تَهلِكُونَ ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾؛ أي: غيرُ مَكذوبٍ فيه، فاتُّسِعَ فيه بإجرائِهِ مُجرى المفعولِ به؛ كقولِه:

---

(١) في نسخة التفتازاني: «أو مستشارًا».

ويـوم شَـهِدْنَاهُ سُـلَيْمًا وَعَامِـرًا[(١)]

أو: ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ على المجازِ، وكأنَّ الواعِدَ قالَ له: «أفي بِكَ» فإنْ وَفَى به صدَقَهُ وإلَّا كذبَهُ.

أو: وعدٌ غيرُ كذبٍ، على أنَّه مصدَرٌ كالمجلودِ والمعقولِ.

(٦٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾؛ أي: ونجَّيْناهُم مِن خزيِ يومئذٍ، وهـو هَـلَاكُهُم بالصَّيحَةِ، أو ذُلُّـهُـم وفَضِيحَتُهُم يومَ القِيامَةِ.

وقرأ نافعٌ والكسائيُّ: ﴿يومَئِذٍ﴾ بالفتحِ على اكتساءِ المُضافِ البناءَ مِن المضافِ إليه هنا وفي المعارجِ في قولِه: ﴿مِنْ عَذَابِ يومَئِذٍ﴾ [المعارج: ١١][(٢)].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادرُ على كُلِّ شَيءٍ والغالِبُ عليهِ.

(٦٧) ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ قـد سـبـقَ تَفسيرُ ذلك في سُورَةِ الأعرافِ.

(٦٨) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ قرأ حفصٌ وحمزةُ: ﴿إِنَّ ثَمُودَا۟﴾ هاهنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين، ونوَّنه الكسائيُّ بخفض الدالِ في قولِه: ﴿أَلَا بُعْدًا لثمودٍ﴾[(٣)] ذهابًا إلى الحيِّ أو الأبِ الأكبرِ.

---

(١) صدر بيت لرجل من بني عامر، وهو في «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٧٨)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٧)، وعجزه:

قليـلٍ سِـوى الطَّعْـنِ النَهـالِ نَوافِلُـهْ

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٣) في النسخ الثلاث: «نوَّنه أبو بكرٍ هاهنا وفي النَّجم، والكسائيُّ في جميع القرآنِ، وابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عمرٍو في قوله: ﴿ألا بعدًا لثمودٍ﴾»، والمثبت من نسخة ذكرها بعض المحشين، وقالوا: وهو =

(٦٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ يَعني: المَلائِكَةَ، قيلَ: كانُوا تِسعَةً، وقيل: ثلاثَةً: جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: ببشارةِ الوَلَدِ، وقيلَ: بهلاكِ قَومِ لُوطٍ.

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: سَلَّمْنا عليكَ سلامًا، ويجوزُ نَصبُه بـ﴿قَالُوا۟﴾ على مَعنى: ذكروا سلامًا.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: أمرُكُم ـ أو: جَوابي ـ سَلامٌ، أو: وعليكُم سَلامٌ، رفعَهُ إجابةً بأحسنَ مِن تحيَّتِهِم.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿سِلْمٌ﴾[1] وكذلك في الذَّارِيَاتِ، وهما لُغتَانِ كحِرْمٍ وحَرَامٍ، وقيلَ: المرادُ بِهِ الصلحُ.

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: فمَا أبطأَ مجيئُه بِهِ، أو: فمَا أبطأَ في المجيءِ به، أو: فمَا تأخَّرَ عنه، والجارُّ مُقدَّرٌ أو مَحذوفٌ[2].

والحنيذُ: المَشويُّ بالرَّضْفِ، وقيلَ: الَّذي يَقطرُ وَدَكُهُ، مِن حَنَذْتُ الفرسَ: إذا عرَّقتَهُ بالجِلالِ[3]؛ لقولِه: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

= الموافق لما في كتب القراءات، لا ما في الأخرى المذكورة في النسخ الثلاث. انظر: «حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١٠/ ٣٣). وانظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) قوله: «فما أبطأ مجيئه به...» إلى آخره: ذكر في تفسير الآية ثلاثةَ أوجهٍ: في تفسير ﴿لَبِثَ﴾ وجهين: (أبطأ) كما في الوجهين الأولين، و(تأخَّرَ) في الوجه الثالث، وفي فاعله وجهين أيضًا: ﴿أَن جَآءَ﴾ في الوجه الأول و(إبراهيم) في الوجهين الأخيرين. وذكر في الأخيرين أنَّ الجارَّ ـ وهو (في) في أولهما، و(عن) في ثانيهما ـ مقدَّر أو محذوف. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٣٥).

(٣) الوَدَكُ: الدَّسَم، وعَرَّقتُه: هيأتُه للعرق بالدِّثَار، والجِلاَلُ: جمع جُلٍّ بضمها وتفتح، وهو ما يُدثَّر به =

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يَمُدُّونَ إليهِ أيديَهُم ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أنكرَ ذلك مِنهُم وخافَ أَنْ يُرِيدُوا به مكروهًا، ونَكِرَ وأَنْكَرَ واستَنْكَر بمعنًى.

والإيجاسُ: الإدراكُ، وقيلَ: الإضمارُ.

﴿قَالُوا﴾ له لَمَّا أحسُّوا منهُ أثرَ الخَوفِ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنَّا مَلائِكَةٌ مُرسلَةٌ إليهِم بالعَذابِ، وإنَّما لم نَمُدَّ إليه أَيدِيَنا لأَنَّا لا نَأكلُ.

(٧١) ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ وراءَ السِّترِ تسمَعُ مُحاورَتَهم، أو: على رُؤوسِهِم للخَدَمَةِ ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورًا بزوالِ الخيفَةِ، أو بهلاكِ أهلِ الفَسادِ، أو بإصابةِ رَأيِها فإنَّها كانَتْ تَقولُ لإبراهيمَ: اضمُمْ إليكَ لُوطًا فإني أعلَمُ أنَّ العذابَ يَنزِلُ بهذا القومِ.

وقيلَ: ﴿فَضَحِكَتْ﴾: فحاضَتْ[1]، قالَ:

وعَهْدِي بسَلْمَى ضَاحِكًا في لُبابَةٍ وَلَمْ يَعْدُ حُقًّا ثَدْيِهَا أَنْ تَحَلَّمَا[2]

= الخيل ويُصان، ومعناه على التفسير الثاني: أنَّ الدَّسَمَ الذي يتقاطر منه كالعرق الذي يسيل من الدابة المجللة بالدثار. انظر: «حاشية الشهاب».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٢) عن عكرمة. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٦) عن مجاهد وعكرمة. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٥) عن ابن عباس.

وتعقب هذا الوجه ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ٤١٠) بقوله: «ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت، إذ لا عجب في حمل من تحيض، والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل».

وللآلوسي في «روح المعاني» (١٢/ ١٦ ـ ١٧) مناقشة حسنة بين المؤيدين لهذا القول والمعارضين له فلتنظر ثمة.

(٢) في نسخة التفتازاني: «تحلبا». والبيت ذكره العوتبي في «الإبانة» (٣/ ٤١٢)، ونسبه للباهلي، ولم أقف على اسمه، وقال الشهاب في «الحاشية»: معناه: إنه قريب العهد بها طفلة، يصف صغر سنها، =

ومنه ضَحِكَت السَّمُرَةُ: إذا سالَ صَمْغُها.

وقُرِئَ بفتحِ الحاءِ[1].

﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ نصبَهُ ابنُ عامرٍ وحمزَةُ وحَفصٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ما دلَّ عليهِ الكَلامُ، وتَقديرُه: ووَهَبْناها مِن وِراءِ إسحاقَ يعقوبَ.

وقيلَ: إنَّه مَعطوفٌ على مَوضِعِ ﴿بِإِسْحَـٰقَ﴾ أو على لفظِ ﴿إسحاق﴾، وفَتْحتُه للجَرِّ فإنَّه غيرُ مَصروفٍ. ورُدَّ للفَصلِ بينَهُ وبينَ ما عُطِفَ عليه بالظَّرفِ.

وقرأَ الباقونَ بالرَّفعِ[2] على أنَّه مُبتدأٌ خبرُه الظَّرفُ؛ أي: ويعقوبُ مَولودٌ من بعدِهِ.

وقيلَ: الوراءُ وَلَدُ الوَلَدِ[3]. ولعلَّه سُمِّيَ بِهِ لأنَّه بعدَ الولدِ، وعلى هذا تكونُ

= و(لبابة) بباءين موحدتين في النسخ، ولم يضبطوه، لكن منهم من فسَّره بثوب يُغطَّى به، ومنهم من فسره بجماعة النساء، و(تحلَّما) ظهرت حلمتهما، وهي رأس الثدي، وفي نسخة: تحلَّبا بالباء، كأنَّ معناه خروج لبنهما.

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٢٣) عن محمد بن زياد الأعرابي، وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن بعضهم.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، عن الشعبي.

وروى معناه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ و٤٨٠) عن ابن عباس والحسن:

أما الأول: فرواه عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: مَن هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني، قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾، فولد الولد هم الوراء.

وأما الثاني: فرواه عن أبي اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى أبي موسى الأشعري، قال: كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، قال الحسن: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

إِضافَتُه إلى إسحاقَ ليسَ مِن حيثُ إن يعقوبَ وراءَهُ، بَلْ مِن حيثُ إنَّهُ وراءَ إبراهيمَ مِن جِهَتِه، وفيه نَظَرٌ.

والاسمانِ يُحتمَلُ وقوعُهُما في البِشارَةِ كيَحْيَى، ويحتملُ وقوعُهُما في الحكايةِ بعدَ أَنْ وُلِدَا فسُمِّيَا به.

وتوجيهُ البِشارَةِ إليها للدَّلالةِ على أنَّ الولدَ المُبَشَّرَ بِهِ يكونُ مِنْها، ولأنَّها كانَتْ عقيمَةً حريصَةً على الولدِ.

(٧٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: يا عَجَبًا، وأصلُه في الشَّرِّ فأُطلِقَ في كلِّ أمرٍ[١] فَظيعٍ.

وقُرِئَ باليَاءِ على الأصلِ[٢].

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ ابنةُ تِسعينَ، أو تِسعٍ وتِسعينَ ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي﴾: زَوْجِي، وأصلُه: القائِمُ بالأمرِ ﴿شَيْخًا﴾ ابنُ مئةٍ وعِشرينَ، ونصبُهُ على الحالِ، والعامِلُ فيها مَعنى اسمِ الإشارةِ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[٣] على أنَّه خَبرُ مَحذوفٍ؛ أي: هـو شَيخٌ، أو خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو هو الخبرُ و﴿بَعْلِي﴾ بدلٌ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ يعني: الولدَ مِن هَرِمَيْنِ، وهو استِعجابٌ مِن حيثُ العادةُ دونَ القُدرَةِ، ولذلك قالُوا:

(٧٣) ـ ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ مُنكرِينَ عليهَا، فإنَّ خوارِقَ العاداتِ باعتبارِ أهلِ بَيتِ النُّبوَّةِ ومَهبطِ المُعجزاتِ، وتخصيصَهم بمزيدِ

---

(١) في نسخة الخيالي: «فأطلق في كل موضع»، وفي نسخة الطبلاوي: «فأطلق على كل أمر».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن الحسن وابن قطيب.

(٣) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٢٣) عن الأعمش، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن ابن مسعود.

النعم والكراماتِ ليسَ ببِدْعٍ ولا حقيقٍ بأَنْ يَستغرِبَهُ عاقِلٌ فضلًا عمَّنْ نَشَأَتْ وشابَتْ في مُلاحظَةِ الآياتِ.

و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نَصبٌ على المَدحِ، أو النِّداءِ لقَصدِ التَّخصيصِ كقَولِهِم: «اللهمَّ اغفِرْ لَنا أَيَّتُها العِصابَةُ».

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: فاعلٌ ما يَستَوجِبُ بِهِ الحمدَ ﴿مَّجِيدٌ﴾ كثيرُ الخَيرِ والإحسانِ.

(٧٤) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: ما أوجَسَ مِن الخِيفَةِ، واطمَأَنَّ قلبُه بعِرفانِهِم ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بدلَ الرَّوعِ ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ يُجادِلُ رسلَنا في شَأنِهِم، ومُجادلتُه إيَّاهُم قولُه: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، وهو إمَّا جَوابُ «لَمَّا» جيءَ به مُضارعًا على حكايةِ الحالِ أو لأنَّه في سِياقِ الجوابِ بمَعنى الماضي كجوابِ «لو»، أو دليلُ جوابِه المحذوفِ مثل: اجترأَ على خِطابِنا، أو: شَرَعَ في جِدالِنا، أو متعلِّقٌ به مُقامٌ مُقامَه مثلَ: أخذَ ـ أو: أقبلَ ـ يُجادِلُنا.

(٧٥) ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غيرُ عَجولٍ على الانتقامِ مِن المُسيءِ إليه ﴿أَوَّٰهٌ﴾: كثيرُ التَّأَوُّهِ مِن الذُّنوبِ والتَّأَسُّفِ على النَّاسِ ﴿مُّنِيبٌ﴾: راجِعٌ إلى اللهِ، والمقصودُ مِن ذلك بيانُ الحاملِ له على المجادلَةِ، وهو رِقَّةُ قَلبِه وفَرْطُ تَرحُّمِه.

(٧٦) ـ ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ على إرادةِ القَولِ؛ أي: قالت الملائكةُ: يا إبراهيمُ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدالِ.

﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قدَّرَه بمقتضَى قضائِه الأزليِّ بعَذابِهِم وهو أعلَمُ بحالِهِم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: مَصروفٍ بجدالٍ ولا دعاءٍ ولا غيرِ ذلك.

(٧٧) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: ساءَهُ مَجيئُهُم لأنَّهُم جاؤوا في صورَةِ غِلمانٍ، فظنَّ أنَّهُم أناسٌ فخافَ عليهم أَنْ يقصدَهُم قومُهُ فيعجزَ عَن مُدافَعتِهِم

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ والكسائيُّ: ﴿سيء﴾ و﴿سيئتْ﴾ بإشمامِ السينِ الضمَّ، وفي العنكبوت والملك، والباقون بإخلاصِ حركة السين[١].

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: وضاقَ بمكانِهِم صدرُهُ، وهو كِنايَةٌ عن شدَّةِ الانقباضِ للعَجزِ عَن مُدافعَةِ المكروهِ والاحتيالِ فيه.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديدٌ، مِن عَصَبَه: إذا شدَّه.

(٧٨) - ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُسرعونَ إليه كأنَّهُم يدفعونَ دفعًا لطلبِ الفاحِشَةِ مِن أضيافِه.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾: ومن قبلِ ذلك الوَقتِ ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الفواحشَ، فتمرَّنُوا بها ولم يَستَحْيُوا منها حتَّى جاؤوا يُهرَعونَ لها مُجاهرينَ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فدَى بهنَّ أضيافَهُ كرمًا وحَمِيَّةً، والمَعنى: هؤلاءِ بَناتي فتزوَّجُوهنَّ، وكانُوا يطلبونَهُنَّ قبلُ فلا يجيبهُمْ؛ لخبثِهِم وعدمِ كَفاءَتِهم، لا لحرمَةِ المسلماتِ على الكفَّارِ فإنَّه شَرْعٌ طارئٌ، أو مبالغةً[٢] في تَناهي خبثِ ما يرومونَهُ حتَّى إنَّ ذلك أهونُ منه، أو إظهارًا لشدَّةِ امتعاضِه[٣] مِن ذلك كَيْ يَرِقُّوا له.

وقيلَ: المرادُ بالبناتِ نساؤُهُم، فإنَّ كلَّ نبيٍّ أبو أمَّتِه من حيثُ الشَّفقَةُ والتَّربيَةُ، وفي حرفِ ابنِ مَسعودٍ: «وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُم وهو أَبٌ لَهُم»[٤].

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) قوله: «مبالغة» عطف على قوله: «كرمًا». انظر: «حاشية القونوي» (١٠/ ١٤٩).

(٣) كتب تحتها في نسخة الخيالي: «غضبه».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥)، ورويت عن أبي بن كعب رضي الله عنه في «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٢١١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في «المستدرك» (٣٥٥٦).

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: أنظَفُ فِعلًا، أو أقلُّ فُحشًا؛ كقولِك: «الميتةُ أطيَبُ مِن المَغصوبِ وأحلُّ مِنه»(١).

وقُرِئَ: «أطهَرَ» بالنصبِ(٢) على أنَّ ﴿هُنَّ﴾ خبرُ ﴿بَنَاتِي﴾ كقولِك: «هذا أخي هُو» لا فصلٌ فإنَّه لا يقعُ بينَ الحالِ وصاحبِها.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ الفواحشِ، أو بإيثارِهنَّ عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولا تفضَحونِ، مِن الخِزْيِ، أو: ولا تُخجِلونِ، مِن الخِزايَةِ بمَعنى الحياءِ.

﴿فِي ضَيْفِي﴾: في شَأنِهم، فإنَّ إخزاءَ ضيفِ الرَّجُلِ إخزاؤُهُ.

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يهتَدي إلى الحقِّ وَيَرْعَوِي عَن القَبيحِ.

(٧٩) ـ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجَةٍ ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ وهو إتيانُ الذُّكرانِ.

---

(١) قوله: «أقل فحشا»؛ أي: قبحًا، وهو ما إذا لم يكن بطريق التزوج، فإن فيه فحشًا أيضا لكن الفحش في فعلتهم أشد وأشنع، كما أنّ الميتة والمغصوب لا حلَّ فيهما، ولكنه جعل الميتة لعدم تعلق حق الغير أحل منه، فالصيغة مجاز فيه، وهذا استعمال لأفعل قريب من نمط: الخل أحلى من العسل. انظر: «حاشية القونوي» (١٠/ ١٥٠).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن ابن مروان وعيسى بن عمر، و«المحتسب» (١/ ٣٢٥) عن سعيد بن جبير والحسن بخلاف ومحمد بن مروان وعيسى الثقفي وابن أبي إسحاق. وقد نقل سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٩٦) عن يونس أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: احتبى ابنُ مروان في ذِه في اللحن ـ يقول: لحنَ، كما تقول: اشتمل بالخطأ ـ وذلك أنه قرأ: (هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم)، فنصب.

وفي «شرح الكتاب» لأبي سعيد السيرافي (٣/ ١٦٢): وذكر الأصمعي أنه قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: إنّ عيسى بن عمر حدثنا أنَّ ابن مروان قرأ: (هنّ أطهرَ) بالنّصب، فقال: (احتبى ابن مروان في لحنه).

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قَوِيتُ بنَفسِي على دَفعِكُم ﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: إلى قَوِيٍّ أَتمنَّعُ به عَنْكُم، شبَّههُ بركنِ الجبلِ في شِدَّتِه.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَخِي لُوطًا كانَ يَأوِي إلى رُكنٍ شَديدٍ»[١].

وقُرِئَ: «أَوْ آوِيَ» بالنَّصبِ بإضمارِ «أنْ»[٢]؛ كأَنَّهُ قالَ: لو أنَّ لي بِكُم قوَّةً أو أُوِيًّا.

وجوابُ «لو» مَحذوفٌ تَقديرُهُ: لدَفَعْتُكُم.

رُوِيَ: أنَّه أغلقَ بابَهُ دونَ أَضيافِه وأخذَ يُجادِلُهُم مِن وَراءِ البابِ، فتَسوَّرُوا الجدارَ، فلَمَّا رَأَت الملائكةُ ما عَلى لُوطٍ مِـن الكربِ ﴿قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ﴾: لَن يَصِلُوا إلى إضرارِكَ بإِضرارِنَا، فهَوِّنْ عليكَ ودَعْنَا وإِيَّاهُم، فخَلَّاهُم أَنْ يدخُلوا، فضربَ جِبريلُ بجَناحِه وُجوهَهُم فطَمَسَ أَعيُنَهُم وأعماهُم، فخرَجُوا يقولون: النَّجاءَ النَّجاءَ، فإِنَّ في بيتِ لوطٍ سَحرةً[٣].

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ بالقَطْعِ مِن الإسراءِ، وقرأَ ابنُ كثيرٍ ونافِعٌ بالوصلِ حيثُ وقعَ في القُرآنِ مِن السُّرَى[٤].

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بطائفَةٍ منه ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولا يتخلَّفْ، أو: ولا ينظرْ إلى ورائِه، والنَّهيُ في اللَّفظِ لـ﴿أَحَدٌ﴾ وفي المَعنى لِلُوطٍ.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٦) عن شيبة وأبي جعفر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن حجاج عن ابن جريج، وعن أبي بكر بن عبد الله، وعن قتادة عن حذيفة، دخل حديث بعضهم في بعض.

وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٨) عن ابن عباس. والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن السدي.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ استثناءٌ مِن قولِه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ ويدلُّ عليه أنَّه قُرِئ: «فأسرِ بأهلكَ بقطعٍ مِن اللَّيلِ إلَّا امرأتَكَ»[١]، وهذا إنَّما يَصِحُّ على تأويلِ الالتفاتِ بالتَّخلُّفِ، فإنَّه إن فسِّرَ بالنَّظرِ إلى الوراءِ في الذَّهابِ ناقضَ ذلك قراءةَ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو بالرَّفعِ[٢] على البدلِ مِن ﴿أَحَدٌ﴾، ولا يجوزُ حملُ القراءتينِ على الرِّوايتينِ ـ في أنَّه خَلَّفَها مع قومِها[٣]، أو أخرجَها فلَمَّا سَمِعَت صوتَ العَذابِ التَفَتَتْ وقالت: يا قوماه! فأدركَها حجرٌ فقتلَها[٤] ـ لأنَّ القواطِعَ لا يَصِحُّ حملُها على المَعاني المتناقضَةِ[٥].

والأَوْلَى جعلُ الاستثناءِ في القِراءتينِ مِن قولِه: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ مثلُه في قولِه تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦]، ولا يَبعدُ أن يكونَ أكثرُ القرَّاءِ على غيرِ الأفصَحِ، ولا يلزَمُ من ذلك أمرُها بالالتفاتِ، بل عدمُ نهيِها عنه استصلاحًا، ولذلك علَّلَه على طريقةِ الاستئنافِ بقولِه: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ولا يحسُنُ جعلُ الاستثناءِ مُنقطِعًا على قراءةِ الرَّفعِ.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ كأنَّه علَّةُ الأمرِ بالإسراءِ ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ جوابٌ لاستعجالِ لوطٍ واستبطائِه العَذابَ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٢٤)، و«المصاحف» لابن أبي داود (ص: ١٧٧)، و«الكشاف» (٤/ ١٧٩)، و«البحر» (١٢/ ٣٢٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٠٩) عن المفسرين.

(٤) رواه بنحوه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٥١٧) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٥) يعني: القراءتان الثَّابتتان قطعا لا يجوز حملهما على ما يوجب بطلان إحداهما. وانظر: «روح المعاني» (١٢/ ٤٥).

(٨٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابُنا، أو: أمرُنا به، ويُؤيِّدُه الأصلُ[١]، وجَعْلُ التَّعذيبِ مسبَّبًا عنه بقولِه: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ فإنَّه جوابُ «لَمَّا»، وكانَ حقُّه: جعَلُوا عاليَها؛ أي: الملائكةُ المأمورونَ به، فأسندَ إلى نَفسِهِ مِن حيثُ إنَّه المُسبِّبُ تَعظيمًا للأمرِ، فإنَّه رُوِيَ أنَّ جبريلَ عليهِ السَّلامُ أدخلَ جناحَهُ تحتَ مَدائِنِهم ورفعَها إلى السَّماءِ حتَّى سمعَ أهلُ السَّماءِ نُباحَ الكلابِ وصياحَ الدِّيَكَةِ ثمَّ قلبَها عليهِم[٢].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على المُدنِ، أو: على شذاذِها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: مِن طينٍ مُتحجِّرٍ؛ كقولِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، وأصلُه: سَنْكِكَل[٣] فعُرِّبَ.

وقيلَ: إنَّه مِن أسجَلَهُ: إذا أرسَلَهُ، أو أدرَّ عَطِيَّتَهُ، والمعنى: مِن مثلِ الشَّيءِ المرسَلِ، أو: من مثل العطيَّةِ في الإدرارِ.

أو مِن السجلِّ؛ أي: ممَّا كتبَ اللهُ أن يُعذِّبَهُم به.

وقيلَ: أصلهُ: مِن سِجِّين؛ أي: مِن جَهنَّم، فأُبدِلَت لامُه نونًا.

﴿مَّنضُودٍ﴾: نُضِدَ مُعَدًّا لعذابِهم، أو: نُضِدَ في الإرسالِ بتتابُعِ بَعضِه بعضًا[٤] كقطارِ الأمطارِ، أو: نُضِدَ بعضُه على بَعضٍ وأُلصِقَ به.

---

(١) قوله: «ويؤيده الأصل»؛ أي: أن الأصلَ في إطلاق الأمرِ الحقيقةُ.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٦)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه موقوفًا. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦) عن سعيد بن جبير، و(١٢/ ٥١٧ ـ ٥١٨) عن قتادة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد بعضهم فيه: (حجر وطين).

(٤) في نسخة التفتازاني: «بعضه على بعض».

(٨٣) ـ ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ مُعْلَمةً للعَذابِ، وقيلَ: مُعْلمةً ببياضٍ وحُمرَةٍ، أو بسِيمَا تتميزُ به عَن حجارةِ الأرضِ، أو باسمِ مَن يُرمَى به.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزَائِنِه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ فإنَّهُم بظُلمِهِم حَقيقٌ بأَنْ تُمطِرَ عَلَيهِم، وفيهِ وَعيدٌ لكلِّ ظالمٍ، وعنهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: أنَّه سألَ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ فقالَ: «يعني: ظالِمِي أُمَّتِك، ما مِن ظالمٍ مِنْهُم إلَّا وهو بعُرْضِ حجرٍ يسقُطُ عليهِ مِن ساعةٍ إلى ساعَةٍ»(١).

وقيلَ: الضَّميرُ للقُرَى؛ أي: هيَ قَريبَةٌ مِن ظالِمِي مَكَّةَ يَمرُّونَ بها في أَسفارِهِم إلى الشَّامِ.

وتذكيرُ البَعيدِ على تَأويلِ الحجرِ أو المكانِ.

(٨٤) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أرادَ: أولادَ مَدْيَنَ بنِ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، أو أهلَ مَدْينَ وهو بلدٌ بناهُ فسُمِّيَ باسمِه.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أمَرَهُم بالتَّوحيدِ أوَّلًا فإنَّه مِلاكُ الأَمرِ، ثمَّ نَهاهُم عمَّا اعتادُوهُ مِن البَخْسِ المُنافِي للعَدلِ المخلِّ بحِكمَةِ التَّعاوُضِ.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: بسَعَةٍ تُغنيكُمْ عَن البخسِ، أو: بنعمَةٍ حقُّها أَنْ تَتفَضَّلُوا على النَّاسِ شُكرًا عليهَا لا أن تنقصُوا حُقوقَهُم، أو: بسَعَةٍ فلا تُزيلُوها بما أنتُم عليه، وهو في الجملةِ عِلَّةُ النَّهيِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥١٩) من حديث أنس رضي الله عنه بلا إسناد. قال الولي العراقي: ذكره الثعلبي بغير إسناد، ولم أقف له على إسناد. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٧٢٠).

وقوله: «وهو بعرض حجر» قال الشهاب في «الحاشية»: بضم العين المهملة وسكون الراء المهملة والضاد المعجمة؛ أي: مستعد ومعرَّض له، من قولهم: هو عرضة للَّوائم.

﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ لا يَشذُّ مِنه أحدٌ مِنكُم.

وقيلَ: عذابٌ مُهلِكٌ، مِن قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] والمرادُ: عذابُ يومِ القِيامَةِ أو عذابُ الاستئصالِ، وتَوصيفُ اليومِ بالإحاطةِ وهي صِفَةُ العَذابِ لاشتمالِه عليه.

(٨٥) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ صَرَّحَ بالأمرِ بالإيفاءِ بعدَ النَّهيِ عَن ضِدِّهِ؛ مُبالَغَةً وتَنبيهًا على أنَّه لا يَكفيهِم الكَفُّ عَن تَعمُّدِ التَّطفيفِ، بَلْ يَلزَمُهُم السَّعيُ في الإيفاءِ ولو بزيادَةٍ لا يَتأَتَّى دونَها[1].

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعَدلِ والسَّوِيَّةِ مِن غَيرِ زِيادَةٍ ولا نُقصانٍ، فإنَّ الازديادَ إيفاءٌ، وهو مَندوبٌ غيرُ مَأمورٍ به، وقد يكونُ مَحظورًا[2].

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ تَعميمٌ بعدَ تَخصيصٍ، فإنَّه أَعَمُّ مِن أَنْ يكونَ في المقدارِ أو في غيرِهِ، وكذا قولُه: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ فإنَّ العُثُوَّ يعمُّ تنقيصَ الحُقوقِ وغيرَه مِن أنواعِ الفَسادِ.

وقيلَ: المرادُ بالبخسِ: المكسُ؛ كأخذِ العُشورِ في المُعاملاتِ، والعُثُوِّ: السَّرِقَةُ وقطعُ الطَّريقِ والغارَةُ.

وفائدةُ الحالِ: إخراجُ ما يُقصدُ به الإصلاحُ كما فعلَهُ الخضرُ عليهِ السَّلامُ.

وقيلَ: معناهُ: ولا تعثَوْا في الأرضِ مُفسِدينَ أمرَ دينِكُم ومَصالِحَ آخرَتِكُم.

---

(١) قولـه: «ولـو بزيـادَةٍ لا يَتأَتَّـى دونَهـا»؛ أي: الزيـادة التي لا يتأتَّـى الإيفـاءُ بدونها لازمـة؛ لأنّ ما لا يتـم الواجـب إلَّا بـه واجـب، فـلا ينافـي قولـه الآتي: «مـن غير زيـادة ولا نقصـان». قاله الشـهاب في «الحاشـية».

(٢) قوله: «وقد يكون محظورًا»؛ أي: كما في الرِّبا. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٤٥).

(٨٦) ـ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: ما أبقاهُ لَكُم مِن الحلالِ بعدَ التَّنزُّهِ عمَّا حرَّمَ عَلَيْكم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ ممَّا تجمَعونَ بالتَّطفيفِ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: بشرطِ أَنْ تُؤمِنُوا، فإِنَّ خَيْرِيَّتَها باستتباعِ الثَّوابِ مع[1] النَّجاةِ، وذلك مَشروطٌ بالإيمانِ، أو: إن كنتُم مُصَدِّقينَ لي في قَوْلِي لَكُم.

وقيل البَقيَّةُ: الطاعَةُ؛ كقولِه: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

وقُرِئَ: «تقيَّةُ الله» بالتاء[2]، وهي تَقواه الَّتي تكفُّ عَن المَعاصِي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ أحفَظُكُم عن القَبائحِ، أو أحفَظُ عليكُم أعمالَكُم فأُجازِيكُم علَيْها، وإنَّما أنا ناصِحٌ مُبَلِّغٌ، وقد أَعْذَرْتُ حينَ أَنْذَرْتُ.

أو: لستُ بحافظٍ عليكُم نِعَمَ[3] اللهِ لو لم تتركُوا سوءَ صَنيعِكُم.

(٨٧) ـ ﴿قالوا يا شعيبُ أَصَلَوَاتُكَ تأمرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤنا﴾ مِن الأصنامِ، أجابُوا به ـ بعدَ أمرِهم بالتَّوحيدِ ـ على الاستهزاءِ به والتَّهكُّمِ بصَلاتِه، والإشعارِ بأَنَّ مِثلَهُ لا يدعو إليه داعٍ عَقليٌّ، وإنَّما دعاكَ إليه خطراتٌ ووساوسُ من جنسِ ما تُواظِبُ عليه، وكانَ كثيرَ الصَّلاةِ فلذلك جمعُوا وخَصُّوا بالذِّكرِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ على الإفرادِ[4]، والمعنى: «أصلاتُكَ تَأمُرُكَ بتكليفِ أَنْ نتركَ؟» فحُذِفَ المضافُ؛ لأنَّ الرَّجُلَ لا يُؤمَرُ بفعلِ غيرِه.

﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ عطفٌ على ﴿مَا﴾؛ أي: وأَنْ نتركَ فِعلَنا ما نشاءُ في أموالنا.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «بعد».

(٢) نسبت للحسن. انظر: «البحر المحيط» (١٢/ ٣٣٧).

(٣) في نسخة التفتازاني: «نعمة».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٧)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

وقُرِئَ بالتَّاءِ فيهما[١] على أنَّ العَطفَ على ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾.

وهو جوابُ النَّهيِ عَن التَّطفيفِ والأمرِ بالإيفاءِ[٢].

وقيلَ: كانَ يَنهاهُم عَن تَقطيعِ الدَّراهِمِ والدَّنانيرِ، وأرادوا به ذلك[٣].

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ تهكَّمُوا به وقَصَدُوا وَصفَهُ بضدِّ ذلك، أو علَّلُوا إنكارَ ما سَمِعُوا منه واستبعادَه بأنَّه مَوسومٌ بالحِلمِ والرُّشدِ المانعَين عن المبادرَةِ إلى أمثالِ ذلك.

(٨٨) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ إشـارةٌ إلـى ما آتاهُ اللهُ مِن العِلْمِ والنُّبوَّةِ.

﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ إشارةٌ إلى ما آتاهُ مِن المالِ الحَلالِ.

وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ تَقديرُه: فهل يَسَعُ لي مع هذا الإنعامِ الجامعِ للسَّعاداتِ الرُّوحانيةِ والجسمانيَّةِ أن أخونَ في وحيِهِ وأُخالِفَهُ[٤] في أمرِه ونهيِه، وهو اعتذارٌ عمَّا أنكَرُوا عليهِ مِن تَغييرِ المألوفِ والنَّهيِ عَن دينِ الآباءِ، والضَّميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ لله؛ أي: مِن عندِه وإعانته بلا كدٍّ مِنِّي في تَحصيلِه.

---

(١) أي: «أو أنْ تَفْعَلَ في أموالِنا ما تَشاءُ»، نسبت للسلمي والضحاك بن قيس، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥)، ونسبها الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٨٦) لابن أبي عبلة.

(٢) قوله: « وهو جوابُ النَّهيِ عَن التَّطفيفِ والأمرِ بالإيفاءِ»؛ هذا في المعطوف وهو قولهم: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ...﴾ أما قولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ ...﴾ فهو جواب النهي عن عبادة غير الله بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ فإن الأمر بالشيء في ضمنه النهي عن غيره. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٠/ ١٧٤).

(٣) قوله: «وأرادوا به ذلك»؛ أي: أرادوا بالفعل المدلول عليه بقولهم: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾ ذلك التقطيع والحذف للدراهم والدنانير في معاملاتهم. المصدر السابق.

(٤) في نسخة الخيالي: «وأخالف» وفي نسخة الطبلاوي: «فأخالفه».

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾؛ أي: وما أريدُ أَنْ آتيَ ما أنهاكُم عنه لأَستَبِدَّ به، فلو كانَ صَوابًا لآثرتُهُ ولم أُعْرِض عنه فَضلًا عَن أَنْ أنهَى عنه، يُقالُ: خالَفْتُ زَيدًا إلى كذا: إذا قصدتَهُ وهو مولٍّ عنه، وخالَفْتُه عنه: إذا كانَ الأمرُ بالعَكسِ.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾: ما أريدُ إلَّا أَنْ أُصلِحَكُم بأمري بالمعروفِ ونَهيِي عَن المنكَرِ ما دمتُ أَستطيعُ الإصلاحَ، فلو وجدتُ الصَّلاحَ فيما أنتُم عليه لَمَا نَهَيْتُكُم عنه.

ولهذه الأجوبَةِ الثَّلاثةِ على هذا النَّسقِ شَأنٌ وهو: التَّنبيهُ على أنَّ العاقِلَ يجبُ أَنْ يُراعِيَ في كلِّ ما يأتيهِ ويذرُهُ أحدَ حُقوقٍ ثلاثَةٍ: أهمُّها وأَعلاها: حقُّ اللهِ، وثانيها: حقُّ النَّفسِ، وثالثُها: حقُّ النَّاسِ، وكلُّ ذلك يَقتَضي أَنْ آمرَكُم بما أمرتُكُم به وأنهاكُم عمَّا نَهَيْتُكُم عنه.

و﴿ما﴾ مَصدريَّةٌ واقعَةٌ موقِعَ الظَّرفِ، وقيلَ: خبريَّةٌ بدلٌ مِن ﴿ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾؛ أي: المقدارَ الَّذي استطَعْتُه، أو: إصلاحَ ما استطَعْتُه، فحُذِفَ المُضافُ[1].

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: وما توفيقي لإصابَةِ الحقِّ والصَّوابِ إلَّا بهدايَتِه ومَعونَتِه.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ فإنَّه القادِرُ المُتمكِّنُ مِن كلِّ شَيءٍ، وما عداهُ عاجِزٌ في حَدِّ ذاتِه، بل مَعدومٌ ساقِطٌ عَن دَرجةِ الاعتبارِ، وفيه إشارةٌ إلى محضِ التَّوحيدِ الَّذي هو أَقْصَى مَراتبِ العلمِ بالمبدأِ.

﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ إشارةٌ إلى مَعرِفَةِ المعادِ، وهو أيضًا يفيدُ الحَصْرَ بتَقديمِ الصِّلَةِ عَلى الفعل.

---

(١) تفصيل ما ذكر: أن ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ إما ظرفٌ؛ أي: مدَّةَ استطاعتي للإصلاح، وما دُمتُ متمكِّنًا منه، لا آلو فيه جُهْدًا، أو بدلٌ من ﴿ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾؛ أي: المقدارَ الذي استطعتُه منه، ويجوز أن يكون على تقديرِ حذفِ المضاف، على قولك: إلَّا الإصلاحَ إصلاحَ ما استطعتُ. انظر: «الكشاف» (١٨٨/٤).

وفي هذه الكلماتِ: طلبُ التَّوفيقِ لإصابَةِ الحَقِّ فيما يأتيه ويَذَرُه مِن اللهِ، والاستعانةُ بهِ في مجامِعِ أَمرِهِ، والإقبالُ عليه بشراشرِه، وحسمُ أطماعِ الكُفَّارِ، وإظهارُ الفراغِ عَنْهُم وعدمِ المبالاةِ بمُعاداتِهِم، وتَهديدُهم بالرُّجوعِ إلى اللهِ للجَزاءِ.

(٨٩) - ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يَكسِبَنَّكُم ﴿شِقَاقِىٓ﴾ معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرقِ ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ مِن الرِّيحِ ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ مِن الرَّجفَةِ.

و«أَنْ» بصِلَتِها ثاني مفعولَي «جَرَمَ» فإنَّه يُعدَّى إلى واحدٍ وإلى اثنينِ كـ«كَسَبَ».

وعن ابنِ كثيرٍ: «يُجْرِمَنَّكُم» بالضَّمِّ [1]، وهو منقولٌ مِن المتعدِّي إلى مفعولٍ، والأوَّلُ أفصَحُ فإنَّ «أَجْرَمَ» أقلُّ دَورانًا على ألسنَةِ الفُصَحاءِ.

وقُرِئَ: «مثلَ» بالفتحِ [2] لإضافَتِه إلى المبنيِّ كقولِه:

لَـمْ يَمْنَعِ الشُّـرْبَ منها غيرَ أَنْ نَطَقَتْ ... حَـمَـامَـةٌ فـي غُصـونٍ ذاتِ أَوْقَالِ [3]

---

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٢٧) عن يحيى بن وثاب والأعمش. والمشهور عن ابن كثير بفتح الياء كقراءة الجماعة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥) عن مجاهد وابن أبي إسحاق وابن كثير في رواية، و«الكشاف» (٤/ ١٩٠) عن أبي حيوة ونافع. والمشهور عن ابن كثير وكذا عن نافع الضم كقراءة الجماعة.

(٣) البيت لأبي قيس بن الأسلت كما في «خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٤٠٨)، ثم قال (٣/ ٤١٣): وقد نسبه الزَّمخشري في بعض كتبه إِلَى الشماخ وقد راجعت ديوانه فلم أجده فيه، ونسبه بعض شرَّاح شواهد «كتاب سيبويه» لرجل من كِنانة، ونسبه بعض فضلاء العجم فِي «شرح أبيات المفصل» تبعاً للزمخشري فِي «شرح أبيات الكتاب» لأبي قيس بن رِفاعة الأنصارِيّ، ولم يُوجد فِي كتب الصَّحَابَة من يُقال له: أبو قيس بن رِفاعة، وإنما الموجود قيس بن رِفاعة.

قلت: وذكر أبو محمد السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٧١) أنه لأبي قيس بن رِفاعة من الأنصار، وهو في «الكتاب» (٢/ ٣٢٩) منسوب للكناني، وورد البيت دون نسبة في «معاني القرآن» =

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ زمانًا أو مَكانًا، فإن لم تَعْتَبِرُوا بمَنْ قبلَهُم فاعتَبِرُوا بهم.

أو: ليسوا ببعيدٍ مِنْكُم في الكفرِ والمساوئِ فلا يبعدُ عَنْكُم ما أصابَهُم.

وإفرادُ البعيدِ لأنَّ المرادَ: وما إهلاكُهُم ـ أو: وما هُمْ ـ بشَيءٍ بعيدٍ، ولا يبعدُ أَنْ يُسوَّى في أمثالِه بينَ المُذكَّرِ والمؤنَّثِ لأَنَّه على زِنَةِ المصادرِ كالصَّهيلِ والشَّهيقِ.

(٩٠) ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ عمَّا أَنْتُم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: عظيمُ الرَّحمةِ للتَّائبينَ ﴿وَدُودٌ﴾ فاعلٌ بِهِم مِن اللُّطفِ والإحسانِ ما يفعل البَليغُ المودَّةِ بمَن يَوَدُّهُ، وهو وعدٌ على التَّوبَةِ بعدَ الوَعيدِ على الإصرارِ.

(٩١) ـ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾: ما نفهَمُ ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ كوُجوبِ التَّوحيدِ وحرمَةِ البخسِ، وما ذكرْتَ دليلًا عليهما؛ لقُصورِ عَقلِهِم وعدمِ تَفكُّرِهِم.

وقيلَ: قالوا ذلكَ استِهانَةً بكَلامِهِ، أو لأنَّهُم لم يُلْقُوا إليه أذهانَهم لشِدَّةِ نفرَتِهِم عنه.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لا قوَّةَ لك فتَمتَنِعَ مِنَّا إِنْ أَرَدْنا بكَ سُوءًا[1]، أو: مَهينًا لا عزَّ لك.

= للفراء (١/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٩) و(٥/ ٥٢).

ضمير «منها» راجع للناقة، و«الشربَ» مفعول «يمنع» و«غيرَ» فاعله، لكنه بني على الفتح جوازًا لإضافته إلى مبنيٍّ، وروي الرّفعُ أيضا. و«نطقت»: صوَّتت وصدحت، عبر عنه بالنطق مجَازًا. و«في» بمعنى: على. و«ذات» بالجرِّ صفة لـ«غصونٍ» لا بالرَّفع صفةً لـ«حمامةٌ» كما وهم بعض شراح شواهد «المفصل». والأوقال: جمع «وَقْلٍ» بفتح الواو وسكون القاف، وفي «كتاب النَّبات» للدينوري: المقل إذا كان رطباً لم يدرك فهو البهش فإذا يبس فهو الوقل، والدَّوم: شجر المقل. وأنشد هذا البيت. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٤٠٩).

(١) في نسخة الخيالي: «إن أردناك بسوء».

وقيلَ: أَعْمَى بلُغَةِ حِمْيَرَ، وهو مع عدمِ مُناسبتِهِ يردُّهُ التَّقييدُ بالظَّرفِ، ومنَعَ بعضُ المعتزلَةِ استنباءَ الأعمى قياسًا على القضاءِ والشهادة، والفرقُ بَيِّنٌ.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: قومُكَ وعزَّتُهُم عندَنا لكونِهِم على مِلَّتِنا لا لخوفٍ مِن شَوكتِهم فإنَّ الرَّهطَ مِن الثلاثةِ إلى العشرةِ، وقيلَ: إلى السَّبعةِ.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناكَ برَمْيِ الأحجارِ، أو بأصعبِ وَجهٍ.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فتمنعَنا عِزَّتُك عَن الرَّجمِ.

وهذا ديدنُ السَّفيهِ المَحجوجِ؛ يقابِلُ الحُجَجَ والآياتِ بالسَّبِّ والتَّهديدِ، وفي إيلاءِ ضَميرِهِ حرفَ النَّفيِ تَنبيهٌ على أنَّ الكَلامَ فيهِ لا في ثبوتِ العِزَّةِ، وأنَّ المانِعَ لَهُم عَن إيذائِه عزَّةُ قومِه ولذلك:

(٩٢) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: وجعَلْتُموهُ كالمَنسِيِّ المنبوذِ وراءَ الظَّهرِ بإشراكِكُم بهِ والإهانةِ برَسُولِه، فلا تُبْقونَ عليَّ للهِ وتُبْقونَ عليَّ لرَهطِي، وهو يحتمِلُ الإنكارَ والتَّوبيخَ والردَّ والتَّكذيبَ.

والظِّهْرِيُّ مَنسوبٌ إلى الظَّهرِ، والكسرُ مِن تَغييراتِ النَّسَب.

﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يَخفَى عليه شيءٌ مِنْها فيُجازي عليها.

(٩٣) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سبقَ مِثلُه في سورةِ الأنعامِ، والفاءُ في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥] ثَمَّ للتَّصريحِ بأنَّ الإصرارَ والتَّمكُّنَ فيما عليه سببٌ لذلك، وحذفُها هاهنا لأنَّه جوابُ سائلٍ قالَ: فماذا يكونُ بعدَ ذلك؟ فهوَ أبلَغُ في التَّهويلِ.

﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ عطفٌ على ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ لا لأنَّهُ قَسيمٌ له كقولِك: «ستعلَمُ

الصَّادِقَ والكاذِبَ» بل لأَنَّهُم لَمَّا أَوْعَدُوهُ وكذَّبُوه قالَ: سوفَ تَعلَمُونَ مَن المعذَّبُ والكاذِبُ منِّي ومِنْكم.

وقيلَ: كانَ قِياسُه: ومَن هو صادِقٌ؛ لينصرِفَ الأَوَّلُ إليهم والثَّاني إليه، لكنَّهم لمَّا كانُوا يَدْعونَهُ كاذِبًا قالَ: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ على زَعمِهم.

﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: وانتظروا ما أقولُ لَكُم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظِرٌ، فَعِيلٌ بمَعنى الرَّاقبِ كالصَّريمِ، أو المراقبُ كالعَشيرِ، أو المُرتَقِب كالرَّفيعِ.

(٩٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ إنَّما ذكرَهُ بالواوِ كما في قِصَّةِ عادٍ إذ لم يسبِقْهُ ذكرُ وَعدٍ يجري مَجرى السَّببِ له، بخِلافِ قِصَّتَيْ صالحٍ ولُوطٍ فإنَّه ذُكرَ بعدَ الوَعدِ، وذلك قولُه: ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، وقولُه: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١]، فلذلك جاءَ بفاءِ السَّببيَّةِ.

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قيلَ: صاحَ بِهِم جبريلُ فهلَكوا ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: مَيِّتينَ، وأَصلُ الجُثُومِ: اللُّزُومُ في المَكانِ.

(٩٥) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: كأَنْ لَمْ يُقيمُوا فيها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ شَبَّهَهُم بهِم لأنَّ عَذَابَهُم كانَ أيضًا بالصَّيحَةِ، غيرَ أنَّ صيحَتَهُم كانَتْ مِن تَحتِهِم وصيحَةَ مَدينَ كانَتْ مِن فَوقِهِم.

وقُرِئَ: «بَعُدَت» بالضَّمِّ على الأصلِ[1]؛ فإنَّ الكسرَ تَغييرٌ لتَخصيصِ مَعنى البُعْدِ بما يكونُ بسببِ الهلاكِ، والبُعْدُ مَصدرٌ لهما، والبَعَدُ مَصدرُ المكسورِ.

---

(١) نسبت لمعاذ وعلي رضي الله عنهما، وعيسى بن عمر وأبي عبد الرحمن السُّلَمي وأبي حيوة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥ ـ ٦٦)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٧)، و«الكامل» للهُذلي (ص: ٥٧٣)، و«الكشاف» (٤/ ١٩٦)، و«البحر» (١٢/ ٣٤٩).

(٩٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالتَّوراةِ أو المُعجِزاتِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو المُعجزاتُ القاهِرَةُ، أو العَصا وإفرادُها لأنَّها أبهرُهَا.

ويجوزُ أن يُرادَ بهمَا واحِدٌ؛ أي: ولقَدْ أَرْسَلنَاهُ بالجامعِ بينَ كَونِهِ آياتِنا وسُلطانًا له على نبوَّتِه؛ واضِحًا في نفسِهِ، أو موضحًا إيَّاهَا، فإنْ «أبانَ» جاءَ لازِمًا ومُتَعدِّيًا، والفرقُ بينَهما: أنَّ الآيَةَ تعمُّ الأمارةَ والدَّليلَ القاطِعَ، والسُّلطانَ يَخُصُّ القاطِعَ، والمبينَ يُخَصُّ بما فيه جَلاءٌ.

(٩٧) ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: فاتَّبَعُوا أمـرَهُ بالكـفرِ بمُوسى، أو: فما اتَّبعوا موسى الهادي إلى الحقِّ المؤيَّدِ بالمُعجزاتِ الباهرَةِ، واتَّبعُوا طريقَةَ فِرعونَ المنهمِكِ في الضَّلالِ والطُّغيانِ الدَّاعي إلى ما لا يَخْفَى فَسادُهُ على مَن لَهُ أَدْنَى مُسكَةٍ مِن العَقلِ؛ لفرطِ جَهَالَتِهم وعدمِ استِبْصارِهِم.

﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: مُرشِـدٍ، أو: ذي رُشْـدٍ، وإنَّمـا هـو غَـيٌّ مَحْـضٌ وضَـلالٌ صَريـحٌ.

(٩٨) ـ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إلـى النَّـارِ كمـا كانَ يَقدُمُهـم فـي الدُّنيَـا إلى الضَّـلالِ، يُقالُ: قَـدَمَ، بمَعنـى: تقدَّمَ.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ ذكـرَهُ بلفـظِ الماضـي مُبالغَةً فـي تَحقيقِه، ونزَّلَ لَهُـم النَّارَ مَنزِلَـةَ المـاءِ فسـمَّى إتيانَها مَـورِدًا، ثمَّ قالَ:

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾؛ أي: بِئسَ المورِدُ الَّذي وَرَدُوه النارُ، فإنَّه[1] يُرادُ لتَبريدِ الأَكبادِ وتَسكينِ العطشِ والنَّارُ بالضدِّ.

والآيَـةُ كالدَّليـلِ علـى قولِـه: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾؛ فـإنَّ مَـن هـذا عاقِبَتُه

(١) «فإنه»؛ أي: المورد.

لم يَكُن في أمره رشدٌ، أو تفسيرٌ له على أنَّ المرادَ بالرُّشدِ: ما يكونُ مأمونَ العاقبةِ حميدَها.

(٩٩) ـ ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: يُلعنونَ في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: بئسَ العَوْنُ المُعانُ، أو: العَطاءُ المُعطَى، وأصلُ الرفدِ: ما يُضافُ إلى غيرِه ليَعْمِدَه، والمَخصوصُ بالذمِّ مَحذوفٌ؛ أي: رفدُهُم، وهو اللعنَةُ في الدَّارينِ.

(١٠٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك النبأُ ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ المُهلَكَةِ ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾: مَقصوصٌ عليك.

﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾: مِن تلكَ القُرَى باقٍ كالزَّرعِ القائمِ ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ومِنها عافي الأثرِ كالزَّرعِ المَحصودِ، والجُملَةُ مُستأنفَةٌ، وقيلَ: حالٌ مِن الهاءِ في ﴿نَقُصُّهُ﴾ وليس بصَحيحٍ إذ لا واوَ ولا ضَميرَ.

(١٠١) ـ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكِنا إيَّاهُم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأَنْ عَرَّضُوها له بارتكابِ ما يُوجِبُه ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نَفعَتْهُم ولا قَدرَتْ أن تدفعَ عَنْهُم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ حينَ جاءَهُم عذابُهُ ونقمَتُه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: هلاكٍ، أو تَخسيرٍ.

(١٠٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلُ ذلك الأَخذِ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾، وقُرِئَ: «أَخذَ رَبُّك» بالفعلِ[١]، فيكون محلُّ الكافِ النَّصبَ على المصدرِ.

﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلَها، وقُرِئَ: «إذ»[٢] لأن المَعنى على المُضِيِّ.

---

(١) نسبت لعاصم الجحدري وأبي رجاء العطاردي، انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٧٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥ ـ ٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٠٦).

(٢) نسبت للجحدري. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٧٢).

﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حالٌ مِن ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾، وهي في الحَقيقَةِ لأهلِها، لكنَّها لَمَّا أُقيمَتْ مُقامَها أُجرِيَت عليها، وفائدَتُها: الإشعارُ بأنَّهُم أُخذوا لظُلْمِهِم، وإنذارُ كلِّ ظالمٍ ظلَمَ نفسَهُ أو غيرَهُ مِن وَخامةِ العاقِبَةِ.

﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: وجيعٌ غيرُ مَرجُوٍّ الخلاصُ منه[1]، وهو مُبالغَةٌ في التَّهديدِ والتَّحذيرِ.

(١٠٣) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي فيما نزلَ بالأُمَمِ الهالِكَةِ، أو فيما قصَّهُ اللهُ تَعالى مِن قَصَصِهِم ﴿لَءَايَةً﴾: لعِبرَةً ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يَعتبرُ به عِظَمَهُ[2]؛ لعلمِهِ بأنَّ ما حاقَ بهم أنموذَجٌ ممَّا أعدَّ اللهُ للمُجرمينَ في الآخرةِ، أو ينزجرُ به عَن مُوجِباتِه لعلمِهِ بأنَّها مِن إلهٍ مُختارٍ يُعذِّبُ مَن يَشاءُ ويَرحَمُ مَن يَشاءُ، فإنَّ مَن أنكرَ الآخرةَ وأحالَ فناءَ هذا العالمِ لم يَقُلْ بالفاعلِ المُختارِ، وجعلَ تلكَ الوَقائعَ لأسبابٍ فَلَكيَّةٍ اتَّفقَت في تلك الأيَّامِ لا لذنوبِ المهلَكينَ بها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى يومِ القيامَةِ وعذابِ الآخرةِ، دلَّ عليه: ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: يُجمَعُ له النَّاسُ، والتَّغييرُ للدلالةِ على ثَباتِ مَعنى الجمعِ لليومِ[3]، وأنَّه مِن شأنِهِ لا محالةَ، وأنَّ النَّاسَ لا ينفكُّونَ عنه، فهو أبلَغُ مِن قولِه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «عنه».

(٢) قولُهُ: «يعتبرُ بهِ عِظَمَهُ...» يعني: أنَّ مَن يُقِرُّ بالآخرَةِ وما فيهَا إذا رأى ما وقعَ في الدُّنيا مِنَ العذابِ الأليمِ اعتبرَ بهِ؛ لأنَّهُ قليلٌ مِن كثيرٍ.

(٣) قولُهُ: «والتَّغييرُ»؛ أي: العدولُ عن «يُجمَعُ» إلى ﴿مَّجْمُوعٌ﴾؛ أي: من الفعل إلى اسم المفعول ومُخالفَةُ الظَّاهرِ «للدَّلالَةِ» على أن اليومَ موصوفٌ بذلك الوصفِ وصفاً لازماً، وأن الناس لا ينفكُّون عن الجمع باعتبارِ أنَّ أصلَ الاسمِ الدَّلالَةُ على الثُّبوتِ.

ومَعنى الجمعِ لهُ: الجمعُ لِمَا فيه مِن المحاسبَةِ والمجازاةِ.

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾؛ أي: مَشهودٌ فيه أهلُ السَّماواتِ والأرضينَ، فاتُّسعَ فيه بإجراءِ الظَّرفِ مُجرى المَفعولِ به(١)؛ كقولِه:

فـي محفـلٍ مِـن نَواصِي النَّـاسِ مَشـهودِ(٢)

أي: كثيرٍ شاهِدُوه، ولو جُعلَ اليومُ مَشهودًا في نفسِهِ لبطلَ الغرضُ مِن تَعظيمِ اليوم وتمييزِه، فإنَّ سائرَ الأيَّامِ كذلك.

(١٠٤) ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾؛ أي: اليـومَ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلَّا لانتهـاءِ مُـدَّةٍ مَعـدودَةٍ مُتناهِيَـةٍ، علـى حـذفِ المُضـافِ وإرادةِ مُـدَّةِ التأجيـلِ كلِّهـا بالأجـلِ، لا مُنتهاهـا فإنَّـه غيـرُ مَعدودٍ.

(١٠٥) ـ ﴿يوم يأتي﴾؛ أي: الجزاءُ، أو: اليومُ كقولِه: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥] على أنَّ ﴿يَوْمَ﴾ بمعنى «حينَ»، أو: اللهُ عزَّ وجلَّ، كقولِه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ونحوِه.

---

(١) قولُهُ: «مشهودٌ فيهِ أهلُ السَّماواتِ والأَرَضينَ فاتُّسِعَ فيه..»؛ قال الشهاب في «الحاشية»: أي: أصلُهُ: «مشهودٌ فيهِ» فحُذفَ الجارُّ، وجعلَ الضَّميرُ مفعولًا توسُّعاً فأُقيمَ مقامَ الفاعلِ واستترَ، وليسَ المُرادُ أنَّ اليومَ نفسَهُ مشهودٌ؛ لأنَّ سائرَ الأيَّامِ كذلكَ، بل مشهودٌ فيهِ جميعُ الخلائقِ.

(٢) عجز بيت لأم قيس الضبية كما في «بلاغات النساء» لابن طيفور (ص: ١٧٧)، و«الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ٧٤١)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٨٣)، و«الصحاح» (مادة: نصا). وقبله:

مَـن لِلخصـومِ إذا جَدَّ الضجاجُ بِهم   بـعـدَ ابنِ سـعدٍ ومَـن لِلضمَّرِ القودِ
ومَشْـهَدٍ قـد كَفَيْـتُ الغائبيـن به   فـي محفـلٍ......................

«ومشهدٍ» مجرورٌ معطوفٌ على الخصومِ؛ أي: ومَن لِمَشهدٍ ونادٍ كنتَ تكفي في مهمَّاتِهِ عمَّن غابَ. «نواصي الناس»: رؤساؤهم «مشهود»؛ أي: فيه.

وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿يَأْتِ﴾ بحذفِ الياءِ اجتزاءً عنها بالكسرةِ[١].

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾: لا تتكلَّمُ نفسٌ بما ينفعُ ويُنجي مِن جوابٍ أو شَفاعَةٍ، وهو النَّاصِبُ للظَّرفِ، ويحتملُ نصبُهُ بإضمارِ: اذكُرْ، أو بالانتهاءِ المحذوفِ[٢].

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: إلَّا بإذنِ اللهِ؛ كقولِه: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨] وهذا في موقفٍ، وقولُه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] فـي موقفٍ آخـرَ، أو المأذونُ فيـه هي الجوابـاتُ الحقَّةُ والممنوعُ عنـه هي الأعذارُ الباطِلَةُ.

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ وجبَتْ له النَّارُ بمُقتَضَى الوَعيدِ ﴿وَسَعِيدٌ﴾ وجبَتْ لَهُ الجنَّةُ بمُوْجَبِ الوَعدِ، والضَّميرُ لأَهلِ المَوقفِ وإن لم يُذكر؛ لأنَّه مَعلومٌ مدلولٌ عليه بقولِه: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾، أو للنَّاسِ.

(١٠٦) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزَّفيرُ: إخراجُ النَّفَسِ، والشَّهيقُ: رَدُّهُ، واستعمالُهُما في أوَّلِ النَّهيقِ وآخرِه[٣]، والمرادُ بهما: الدَّلالَةُ على شِدَّةِ كَربِهِم وغمِّهِم، وتَشبيهُ حَالِهِم بمَن استَوْلَت الحرارَةُ على قلبِه وانحصرَ فيه روحُه، أو تشبيهُ صراخِهِم بأصواتِ الحَميرِ.

وقُرِئَ: «شُقُوا» بالضَّمِّ[٤].

---

(١) وأثبتها في الحالين ابن كثير، وأثبتها في الوصل نافع وأبو عَمْرو والكسائيّ. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) الانتهاءُ المحذوفُ: هوَ الَّذي قدَّرَهُ في قولِهِ: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلاَّ لانتهاءِ مُدَّةٍ مَعدودَةٍ.

(٣) قولُهُ: «واستعمالُهُمَا..»؛ أي في الأكثر، وإلا فلا كلام في استعمالهما في غير النهيق وهو صوت الحمير، ثمَّ إنَّ أَوَّلَ النَّهيقِ يحصلُ بإخراجِ النَّفَسِ، وآخرَهُ بإدخالِهِ، وكُنِّيَ بِهِ عنِ الغَمِّ والكربِ؛ لأَنَّهُ يعلو معَهُ النَّفَسُ غالبًا.

(٤) المنطوقُ هنا قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، والمفهوم: ما فُهِم من التقييد بدَوام السماوات والأرض.

(١٠٧) - ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ ليسَ لارتباطِ دَوامِهم في النَّارِ بدَوامِهما؛ فإنَّ النُّصوصَ دالَّةٌ على تأبيدِ دوامِهم وانقطاعِ دَوامِهما، بل للتَّعبيرُ عَن التَّأبيدِ والمُبالغَةِ بما كانَت العربُ يعبِّرونَ به عنه على سَبيلِ التَّمثيلِ، ولو كانَ للارتباطِ لم يلزَمْ أيضًا مِن زَوالِ السَّماواتِ والأَرضِ زوالُ عذابِهم ولا مِن دوامِهِ دَوامُهُمَا إلَّا من قِبَلِ المفهومِ؛ لأنَّ دَوامَهُما كالملزومِ لدَوامِه، وقد عرفتَ أَنَّ المفهومَ لا يقاوِمُ المنطوقَ[1].

وقيلَ: المرادُ: سماواتُ الآخرةِ وأرضُها، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وأنَّ أهلَ الآخرةِ لا بُدَّ لَهُم مِن مُظِلٍّ ومُقِلٍّ.

وفيه نظرٌ؛ لأنَّه تَشبيهٌ بما لا يَعرِفُ أكثر الخلقِ وجودَهُ ودوامَهُ، ومَن عرفَهُ فإنَّما يَعْرِفُه بما يدلُّ على دوامِ الثَّوابِ والعقابِ فلا يُجْدِي له التَّشبيهُ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناءٌ مِن الخلودِ في النَّارِ؛ لأنَّ بعضَهُم وهُم فُسَّاقُ الموحِّدينَ يخرجونَ منها، وذلك كافٍ في صِحَّةِ الاستثناءِ؛ لأنَّ زَوالَ الحُكمِ عَن الكلِّ يكفيهِ زوالُهُ عن البعضِ، وهم المرادُ بالاستثناءِ الثَّاني، فإنَّهُم مُفارِقُونَ عَن الجنَّةِ أيامَ عَذابِهِم، فإنَّ التَّأبيدَ مِن مبدأٍ مُعيَّنٍ يَنتقِضُ باعتبارِ الابتداءِ كما ينتقِضُ باعتبارِ الانتهاءِ، وهؤلاء وإنْ شَقُوا بعِصيانِهم فقد سُعِدُوا بإيمانهم.

ولا يُقالُ: فعَلَى هذا لم يَكُن قولُه: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ تقسيمًا صَحيحًا؛ لأنَّ مِن شَرطِهِ أن تكونَ صِفَةُ كلِّ قسمٍ مُنتفيَةً عَن قَسيمِهِ= لأنَّ ذلك[2] الشَّرطَ حيثُ التَّقسيمُ لانفصالٍ حَقيقِيٍّ أو مانعٍ مِن الجمعِ، وهاهنا المرادُ أنَّ أهلَ الموقف لا يَخرجونَ عَن القِسمينِ، وأنَّ حالَهُم لا يَخْلُو عَن السَّعادةِ والشقاوَةِ، وذلك لا يمنَعُ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦) عن الحسن.

(٢) قوله: «لأن ذلك»؛ علة لقوله: «لا يقال». انظر: «حاشية القونوي» (١٠/ ٢١٢).

اجتماعَ الأمرينِ في شخصٍ باعتبارينِ، أو لأنَّ أهلَ النَّارِ يُنقلونَ مِنْها إلى الزَّمهريرِ وغيرِهِ مِن العذابِ أحيانًا، وكذلك أهلُ الجنَّةِ يُنعَّمونَ بما هو أعلى مِن الجنَّةِ كالاتِّصالِ بجنابِ القُدسِ والفوزِ برضوانِ اللهِ ولقائِه.

أو من أصلِ الحكمِ[1]، والمستثنَى زمانُ تَوقُّفِهم في الموقفِ للحِسابِ؛ لأنَّ ظاهرَهُ يَقتضي أن يكونوا في النَّارِ حينَ يأتي اليومُ، أو مدَّةُ لبثِهم في الدُّنيا والبرزَخِ إن كانَ الحكمُ مُطلقًا غير مقيَّدٍ باليومِ، وعلى هذا التَّأويلِ يحتملُ أن يكونَ الاستثناءُ مِن الخلودِ على ما عرفتَ.

وقيلَ: هو مِن قولِه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

وقيلَ: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمَعنى: سوى؛ كقولِك: «عليَّ ألفٌ إلَّا الألفانِ القَديمانِ»، والمعنى: سوى ما شاءَ ربُّكَ مِن الزِّيادَةِ الَّتي لا آخِرَ لها على مدَّةِ بقاءِ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ مِن غيرِ اعتراضٍ.

(١٠٨) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غيرَ مَقطوعٍ، وهو تَصريحٌ بأنَّ الثَّوابَ لا يَنقَطِعُ، وتنبيهٌ على أنَّ المُرادَ مِن الاستثناءِ في الثَّوابِ ليسَ الانقطاعَ، ولأجلِه فرَّقَ بين الثَّوابِ والعقابِ في التَّأبيدِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائِيُّ وحفصٌ: ﴿سُعِدُواْ﴾ على البناءِ للمَفعولِ[2] مِن سَعَدَهُ اللهُ بمعنى: أَسْعَدَه.

---

(١) قوله: «أو من أصل الحكم»؛ أي: وهو كونُهم في النار، عطفٌ على «من الخلود في النار». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٥٨).

(٢) وقرأ الباقون: ﴿سَعِدُوا﴾ انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

و﴿عَطَآءً﴾ نَصبٌ على المصدرِ المؤكِّدِ؛ أي: أُعْطُوا عطاءً، أو الحالِ مِن ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾.

(١٠٩) ـ ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ بعد ما أُنزلَ عليك من مآلِ النَّاسِ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مِن عبادةِ هؤلاءِ المشركينَ في أنَّها ضَلالٌ مُؤَدٍّ إلى مثلِ ما حلَّ بمَنْ قبلَهُم ممَّن قَصَصْتُ عليك سوءَ عاقبَةِ عِبادَتِهِم، أو من حال ما يعبدونَهُ في أنَّه يضرُّ ولا ينفَعُ.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ استئنافٌ معناه تَعليلُ النَّهيِ عَن المريةِ؛ أي: هُم وآباؤُهُم سواءٌ في الشِّركِ؛ أي: ما يعبدونَ عبادةً إلَّا كعِبادَةِ آبائهِم، أو: ما يعبدونَ شيئًا إلَّا مثلَ ما عَبدُوهُ مِن الأَوثانِ، وقد بلغكَ ما لحقَ آباءَهُم من ذلك فسَيلْحَقُهُم مثلُه؛ لأنَّ التَّماثُلَ في الأسبابِ يَقتَضِي التماثُلَ في المسبَّباتِ.

ومعنى ﴿كَمَا يَعْبُدُ﴾: كما كانَ يعبدُ، فحُذفَ للدلالةِ ﴿قبلُ﴾ عليه.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظَّهُم مِن العَذابِ كآبائِهِم، أو من الرِّزقِ فيكونُ عذرًا لتأخيرِ العذابِ عَنْهُم مع قيامِ ما يُوجِبُه.

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ مِن النَّصيبِ لتَقييدِ التوفيَةِ، فإنَّكَ تَقولُ: وَفَيْتُهُ حقَّهُ، وتريدُ به وفاءَ بعضِهِ ولو مجازًا.

(١١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فآمنَ بِهِ قَومٌ وكفرَ به قومٌ كما اختلفَ هؤلاءِ في القرآنِ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: كلمةَ الإنظارِ إلى يومِ القيامةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزالِ ما يَستَحِقُّهُ المبطِلُ ليتميَّزَ به عَن المحقِّ.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإن كفَّارَ قومِكَ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: مِن القُرآنِ ﴿مُرِيبٍ﴾ مُوْقِعٍ في الرِّيبَةِ.

(١١١) ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: وإنَّ كلَّ المُختلفينَ المؤمنينَ مِنْهُم والكافرينَ، والتَّنوينُ بَدَلُ المضافِ إليه.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو بكرٍ بالتَّخفيفِ مع الإعمالِ[1] اعتبارًا للأصلِ.

﴿لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهم ربُّكَ أعمالَهُم﴾ اللّامُ الأولى موطِّئةٌ للقَسَمِ والثّانيةُ للتَّأكيدِ أو بالعكسِ، و«ما» مزيدَةٌ بينَهُمَا للفصلِ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزةُ ﴿لَّمَّا﴾ بالتَّشديدِ[2] على أنَّ أصلَهُ: لَمِنْ مَا، فقُلِبَت النُّونُ ميمًا للإدغامِ، فاجتمعَتْ ثلاثُ ميماتٍ فحُذِفَت أولاهُنَّ، والمعنى: لَمِنَ الَّذينَ يُوفِّينَهم ربُّكَ جزاءَ أعمالِهِم.

وقُرِئَ: «لَمًّا» بالتَّنوينِ[3]؛ أي: جميعًا؛ كقولِه: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩].

و: «وإنْ كلٌّ لَمَّا»[4] على أنَّ «إنْ» نافيةٌ و«لَمَّا» بمعنى: إلَّا، وقد قُرِئَ بهِ[5].

﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوتُه شَيءٌ منه وإن خَفِيَ.

---

(١) أي: ﴿وإنْ كلاًّ﴾ وانظر التعليق الآتي.

(٢) وتفصيل قراءات السبعة في الآية: قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿وإنْ كلاًّ لمَّا﴾ بتخفيف ﴿إنْ﴾ وتشديد ﴿لَمَّا﴾. وقرأ ابنُ كثير ونافع: ﴿وإنْ كلًّا لَمَا﴾ بتخفيفهما. وقرأ ابنُ عامر وحمزة وحفص عن عاصم ﴿وإنَّ كلًّا لمَّا﴾ بتشديدهما. وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿وإنَّ كلًّا لَمَا﴾ بتشديد ﴿إنَّ﴾ وتخفيف ﴿لَمَا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

(٣) أي: (وإنَّ كلاًّ لَمًّا) نسبت للزهري وسليمان بن أرقم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٨٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٨)، و«الكشاف» (٤/ ٢١١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢١٠).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٨٥) عن الأعمش، و«الكشاف» (٤/ ٢١١) عن أبيٍّ رضي الله عنه، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢١٠) عن الحسن.

(٥) أي: (وإنْ كلٌّ إلاَّ ليوفِّينَّهم)، نسبت لأبيٍّ وابن مسعود والأعمش. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٨٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٨)، و«الكشاف» (٤/ ٢١١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢١٠).

(١١٢) ـ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ لَمَّا بيَّنَ أمرَ المُختلِفِينَ في التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ، وأَطْنَبَ في شرحِ الوعدِ والوَعيدِ، أمرَ رَسولَهُ عليهِ السَّلامُ بالاستقامةِ مثلَما أُمرَ بها، وهي شامِلَةٌ للاستقامةِ في العقائدِ: كالتَّوسُّطِ بينَ التَّشبيهِ والتَّعطيلِ بحيثُ يبقى العقلُ مَصُونًا من[1] الطَّرفينِ، والأعمالِ: مِن تبليغِ الوَحيِ، وبَيانِ الشَّرائعِ كما أُنزلَ، والقيامِ بوظائفِ العِباداتِ مِن غيرِ تَفريطٍ وإفراطٍ مفوِّتٍ للحُقوقِ ونحوها، وهيَ في غايةِ العُسرِ ولذلك قالَ عليهِ السَّلامُ: «شيَّبَتْنِي سورةُ هودٍ»[2].

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾؛ أي: تابَ مِن الشِّركِ والكفرِ وآمنَ معكَ، وهو عطفٌ على المستكنِّ في «استَقِمْ» وإن لم يؤكَّدْ بمُنْفَصِلٍ لقيامِ الفاصلِ مقامَهُ.

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: ولا تخرجُوا عمَّا حُدَّ لَكُم ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مُجازِيكُم عليه، وهو في مَعنى التَّعليلِ للأَمْرِ والنَّهيِ، وفي الآيةِ دليلٌ على وجوبِ اتِّباعِ النُّصوصِ مِن غيرِ تَصرُّفٍ وانحرافٍ بنحو قياسٍ واستحسانٍ.

(١١٣) ـ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: ولا تَمِيلُوا إليهِمْ أَدْنَى مَيْلٍ، فإنَّ الرُّكونَ هو الميلُ اليَسيرُ؛ كالتَّزيِّي بزيِّهِم وتَعظيمِ ذِكْرِهم.

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ برُكُونِكُم إليهم، وإذا كانَ الرُّكونُ إلى مَن وُجدَ مِنهُ ما يُسمَّى ظُلمًا كذلك، فما ظنُّكَ بالرُّكونِ إلى الظَّالمينَ ـ أي: الموسومينَ بالظُّلمِ ـ ثمَّ بالميلِ إليهِمْ كلَّ الميلِ، ثمَّ بالظُّلمِ نَفسِهِ والانهماكِ فيهِ؟

---

(١) في نسخة التفتازاني: «عن».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»، قال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عبّاسٍ إلا من هذا الوجه».
وذكر الدارقطني هذا الحديث وأطال الكلام عليه في «علله» (١/ ١٩٤ ـ ٢١٠) وذكر الاختلاف فيه فلينظر ثمة.

ولعلَّ الآيةَ أبلَغُ ما يُتصوَّرُ في النَّهيِ عن الظُّلمِ والتَّهديدِ عليه، وخطابُ الرَّسولِ ومن معَه مِن المؤمنينَ بها للتَّثبيتِ على الاستقامَةِ الَّتي هي العَدلُ، فإنَّ الزَّوالَ عنها بالميلِ إلى أحدِ طرفي إفراطٍ وتَفريطٍ فإنَّه ظلمٌ على نفسِهِ أو غيرِهِ، بل ظلمٌ في نفسِهِ[1].

وقُرِئَ: «تِرْكَنُوا»، «فتِمَسَّكُم» بكسرِ التَّاءِ[2] على لغةِ تميمٍ، و: «تُرْكَنُوا» على البناءِ للمَفعولِ[3] مِن أركنَهُ.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: مِن أنصارٍ يمنعونَ العذابَ عَنْكُم، والواوُ للحالِ.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ أي: ثمَّ لا ينصرُكُم اللهُ إذ سبقَ في حكمِهِ أن يعذِّبَكُم ولا يُبقيَ عليكُم.

و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعادِ نَصرِه إيَّاهُم وقد أوعدَهُم بالعذابِ عليه وأوجبَهُ لهم، ويجوزُ أَنْ يكونَ مُنَزَّلًا منزلةَ الفاءِ بمَعنى الاستبعادِ، فإنَّه لَمَّا بيَّنَ أنَّ اللهَ مُعذِّبُهُم وأنَّ غيرَهُ لا يقدرُ على نصرهِمْ أنتجَ ذلك أنَّهُم لا يُنصرونَ أصلًا.

(١١٤) ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: غدوةً وعَشِيَّةً، وانتصابُهُ على الظَّرفِ لأنَّه مُضافٌ إليه ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: وساعاتٍ مِنهُ قريبةً مِن النَّهارِ، فإنَّه مِن أَزْلَفَهُ: إذا قَرَّبَه، وهو جمعُ زُلفَةٍ.

---

(١) قولُهُ: «في نفسِهِ» قال الشهاب: أي: بقطعِ النَّظرِ عن كونِهِ على نفسِهِ أو غيرِهِ؛ لأنَّهُ وضعُ الشَّيءِ في غيرِ محلِّهِ مُطلقًا.

(٢) بالأول قرأ يحيى بن وَثَّاب ومحبوب عن أبي عمرو، وبالثاني ابن وَثَّاب والأعمش وطلحة بن مُصَرِّف بخلاف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦)، و«المحتسب» (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، و«الكامل» للهُذلي (ص: ٥٧٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦)، و«الكامل» للهُذلي (ص: ٥٧٤)، عن ابن أبي عبلة.

وصلاةُ الغداةِ: صلاةُ الصُّبحِ؛ لأنَّها أقرَبُ الصَّلواتِ مِن أوَّلِ النَّهارِ، وصَلاةُ العَشِيَّةِ: العصرُ، وقيلَ: الظُّهرُ والعَصرُ؛ لأنَّ ما بعدَ الزَّوالِ عشيٌّ، وصلاةُ الزُّلفِ: المَغربُ والعِشاءُ.

وقُرِئَ: ﴿وزُلُفًا﴾ بضمَّتينِ[1]، وضمةٍ وسُكونٍ[2]؛ كبُسُرٍ وبُسْرٍ في بُسْرَة.

و: «زُلْفَى»[3] بمَعنى: زُلفَةٍ؛ كقُرْبَى وقُرْبَةٍ.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يُكفِّرْنَها، وفي الحديث: «إنَّ الصَّلاةَ إلى الصَّلاةِ كفَّارَةٌ لِمَا بينَهُما ما اجتُنِبَت الكَبائِرُ»[4].

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ رَجُلًا أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: إنِّي قد أَصَبْتُ مِن امرأةٍ غيرَ أنِّي لَمْ آتِهَا، فنَزَلَت[5].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولِه: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ وما بعدَهُ، وقيلَ: إلى القُرآنِ.

﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عِظَةٌ للمُتَّعظينَ.

(١١٥) - ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الطَّاعاتِ وعن المعاصِي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عدولٌ عَن الضَّميرِ ليكونَ كالبُرهانِ على المقصودِ، ودليلًا على أنَّ الصَّلاةَ والصَّبرَ إحسانٌ، وإيماءً بأنَّهُ لا يُعتَدُّ بهما دونَ الإخلاصِ.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، وباقي العشرة بفتح اللام. انظر: «النشر» (٢/ ٢٩١).

(٢) نسبت لابن محيصن في «المحرر الوجيز» (٣/ ٢١٢)، وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦) عن مجاهد لكن قيدها بالإمالة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦) عن الحسن وابن محيصن واليماني، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢١٢) عن مجاهد.

(٤) رواه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣)، مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ، ورواه الترمذي (٣١١٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٨٦)، مِن حَديثِ أبي اليسر.

(١١٦) ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾: فهلَّا كانَ ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ مِن الرَّأيِ والعقلِ، أو: أُولو فَضلٍ، وإنَّما سُمِّيَ بقيَّةً لأنَّ الرَّجُلَ يَستبقِي أفضَلَ ما يُخرِجُهُ، ومنه يُقالُ: فلانٌ مِن بقيَّةِ القَومِ؛ أي: مِن خِيارِهِم، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَصدَرًا كالتَّقِيَّةِ؛ أي: ذوو إبقاءٍ على أنفُسِهم وصيانةٍ لها مِن العَذابِ، ويُؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: «بَقْيَةٍ»[1] وهي المرَّةُ مِن مصدرِ بَقَاهُ يَبْقِيهِ: إذا راقبَهُ.

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: لكِنْ قليلًا مِنْهُم أنجيناهُم لأنَّهُم كانُوا كذلك، ولا يَصِحُّ اتِّصالُه إلَّا إذا جُعلَ استثناءً مِن النَّفيِ اللازمِ للتَّحضيضِ.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾: ما أُنعِمُوا فيه مِن الشَّهواتِ واهتَمُّوا بتَحصيلِ أَسبابِها وأعرَضُوا عمَّا وراءَ ذلك.

﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: كافرينَ؛ كأنَّه أرادَ أَنْ يبيِّنَ ما كانَ السَّببَ لاستئصالِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وهو فشوُّ الظُّلمِ فيهِم واتِّباعُهُم للهَوَى، وتركُ النَّهيِ عَن المنكراتِ مع الكفرِ.

وقولُه: ﴿وَٱتَّبَعَ﴾ عطفٌ على مضمَرٍ دلَّ عليه الكَلامُ؛ إذ المعنى: فلم يَنهوا عن الفَسادِ واتَّبع الَّذينَ ظلَمُوا، ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ عطفٌ على «اتَّبع» أو اعتراضٌ.

وقُرِئَ: «وأُتْبِعَ»[2]؛ أي: وأُتْبِعُوا جزاءَ مَا أُتْرِفُوا، فتكونُ الواوُ للحَالِ، ويجوزُ أَنْ تفسَّرَ به المشهورَةُ، ويعضُدُه تقدُّمُ الإنجاءِ.

---

(١) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٧٤) ونسبها للهاشمي عن أبي جعفر، وابن أبي أويس عن نافع، وابن حماد عن شيبة.

(٢) نسبت لجعفر بن محمد والضحاك والعلاء بن سَيَابَة، ورواها الحُسَين الجُعفي عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦)، و«المحتسب» (١/ ٣٣١)، و«الكامل» للهُذلي (ص: ٥٧٤).

(١١٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بشركٍ ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيمَا بينَهُم لا يضمُّونَ إلى شركِهِم فَسادًا وتَباغِيًا، وذلك لفَرْطِ رَحمَتِه ومُسامَحتِه في حُقوقِه، ومن ذلك قدَّمَ الفُقهاءُ عندَ تَزَاحُمِ الحُقوقِ حقوقَ العِبادِ.

وقيلَ: المُلْكُ يَبْقَى مَع الشِّركِ[1] ولا يَبْقَى مع الظُّلمِ.

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مُسلمينَ كلَّهِم، وهو دَليلٌ ظاهِرٌ على أنَّ الأمرَ غيرُ الإرادَةِ، وأنَّه تَعالى لم يُرِد الإيمانَ مِن كلِّ أحَدٍ، وأنَّ ما أرادَه يَجِبُ وقوعُه.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بَعْضُهم على الحقِّ وبَعضُهم على الباطلِ لا تَكادُ تَجِدُ اثنينِ يَتَّفِقَانِ مُطلقًا ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: إلَّا ناسًا هَدَاهُم اللهُ مِن فَضلِه فاتَّفقُوا على ما هو أصولُ دينِ الحقِّ والعُمدَةُ فيه.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إن كانَ الضَّميرُ للنَّاسِ فالإشارَةُ إلى الاختِلافِ واللَّامُ للعاقبَةِ، أو إليه وإلى الرَّحمَةِ، وإن كانَ لِـ﴿مَن﴾ فإلى الرَّحْمة.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وعيدُه، أو قولُه للمَلائكَةِ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؛ أي: مِن عُصاتِهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾، أو: منهما أجمعين لا مِن أَحدِهما.

(١٢٠) ـ ﴿وَكُلًّا﴾ وكُلَّ نبأٍ ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: نُخبِرُكَ به ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ بيانٌ لـ﴿كلًّا﴾ أو بدلٌ مِنه، وفائِدَتُه: التَّنبيهُ على المقصودِ مِن الاقتصاصِ وهو زِيادَةُ يَقينِه وطُمأنينةُ قلبِه، وثَباتُ نَفْسِه على أداءِ الرِّسالَةِ واحتمالِ أذى الكُفَّارِ.

أو مفعولٌ، و«كُلًّا» منصوبٌ على المصدرِ بمِعنى: كلَّ نوعٍ مِن أنواعِ الاقتصاصِ نَقُصُّ عليكَ ما نثبِّتُ به فؤادَكَ من أنباءِ الرُّسُلِ.

---

(١) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «الكفر».

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السَّورَةِ، أو الأنباءِ المُقتَصَّةِ عليك ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: ما هُوَ حَقٌّ ﴿وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إشارةٌ إلى سائرِ فوائدِه العامَّةِ.

(١٢١ ـ ١٢٢) ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: على حالِكُم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على حالِنَا ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ بِنا الدَّوائِرَ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزلَ بِكُم نحوُ ما نزلَ على أَمثالِكُم.

(١٢٣) ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خاصَّةً لا يَخْفَى عليه خافِيَةٌ مما فيهِما ﴿وإليه يَرجِعُ الأمرُ كلُّه﴾ فيرجِعُ لا مَحالةَ أمرُهُم وأمرُكَ إليهِ.

وقرأَ نافِعٌ وحَفصٌ: ﴿يُرۡجَعُ﴾ على البناءِ للمَفعولِ[1].

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ فإنَّه كافيكَ، وفي تَقديمِ الأَمرِ بالعِبادَةِ على التَّوكُّلِ تنبيهٌ على أَنَّهُ إنَّما ينفعُ العابِدَ.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أنتَ وهُمْ فيُجازِي ما يَستَحِقُّهُ.

وقَرَأَ نافِعٌ وحَفصٌ وابنُ عامرٍ بالتَّاءِ هُنَا وفي آخرِ النَّملِ[2].

عَن رَسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ هُودٍ أُعطِيَ مِن الأَجرِ عشرَ حَسَناتٍ بعدَدِ مَن صدَّقَ بنُوحٍ ومَن كذَّبَ بِهِ، وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ ولوطٍ وإبراهيمَ ومُوسَىٰ، وكانَ يومَ القِيامَةِ من السُّعداءِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى»[3].

* * *

---

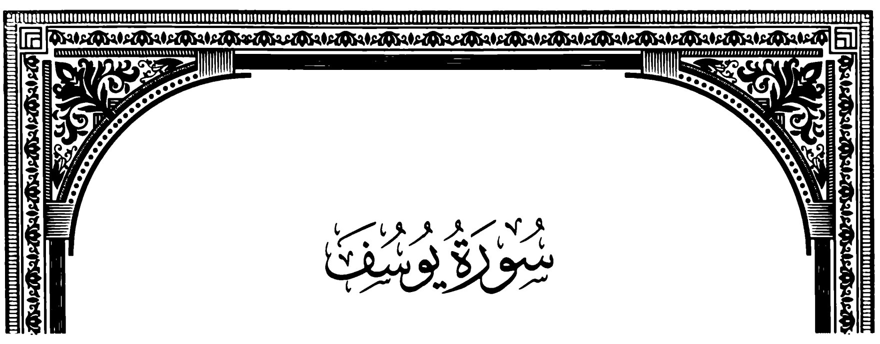
(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

(٣) رواه الواحدي في «التفسير الوسيط» (٢/ ٥٦٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وقال: مصنوع بلا شكٍّ. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه. وانظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٧٢٤)، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ يُوسُفَ



سورة يوسف

مكيَّةٌ، وآيُها مئةٌ وإحدى عشرةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى آياتِ السُّورَةِ وهي المرادُ بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: تلك الآياتُ آياتُ السُّورَةِ الظَّاهرُ أمرُهَا في الإعجازِ، أو الواضِحَةُ مَعانيها، أو المُبِينَةُ لِمَن تَدبَّرَها أَنَّها مِن عندِ اللهِ، أو لليهودِ ما سألوا، إذ رُوِيَ أن عُلَماءَهُم قالوا لكُبراءِ المُشركينَ: سَلُوا مُحمَّدًا لمَ انتقلَ آلُ يعقوبَ مِن الشَّامِ إلى مصرَ، وعن قصَّةِ يوسُفَ؟ فنزلَت[1].

(٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الكِتابَ ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ سَمَّى البعضَ قُرآنًا لأنَّه في الأَصلِ اسمُ جنسٍ يقَعُ على الكُلِّ والبعضِ، وصارَ علَمًا للكلِّ بالغلَبَةِ، ونصبُهُ على الحالِ، وهو في نَفسِهِ إمَّا تَوطِئَةٌ للحَالِ الَّتي هي ﴿عَرَبِيًّا﴾، أو الحالُ لأنَّه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩٦)، «الهداية» لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٤٩٦)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٧)، و«لباب التفاسير» للكرماني (٤/ ٣٣٠).

وذكر معناه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤١١) عن الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبيّ ﷺ، فقالوا: حدّثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عزّ وجلّ: الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ.

مصدَرٌ بمعنى مَفعولٍ، و﴿عَرَبِيًّا﴾ صِفَةٌ له، أو حالٌ مِن الضَّميرِ فيه، أو حالٌ بعدَ حالٍ(١)، وفي كلِّ ذلك خِلافٌ.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ عِلَّةٌ لإنزالِهِ بهذِهِ الصِّفَةِ؛ أي: أنزلناهُ مَجموعًا أو مقروءًا بلُغَتِكُم كي تَفهَمُوه وتُحيطُوا بمعانيه، وتَستَعمِلُوا فيه عُقولَكُم فتَعْلَمُوا أنَّ اقتِصاصَهُ كذلك ممَّنْ لم يتعلَّمِ القَصصَ معجِزٌ لا يُتصوَّرُ إلَّا بالإيحاءِ.

(٣) - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أحسنَ الاقتصاصِ؛ لأنَّهُ اقتُصَّ على أبدعِ الأَساليبِ، أو: أحسنَ ما يُقَصُّ لاشتِمالِه على العَجائبِ والحِكَمِ والآياتِ والعِبَرِ، فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ كالنَّفَضِ(٢) والسَّلَبِ، واشتقاقُهُ مِن قصَّ أثرَهُ: إذا اتَّبعَه.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾: بإيحائِنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يعني: السُّورَةَ.

ويجوزُ أَنْ يُجعلَ ﴿هَذَا﴾ مفعولَ ﴿نَقُصُّ﴾ على أنَّ ﴿أَحْسَنَ﴾ نصبٌ على المَصدَرِ.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عَن هذهِ القِصَّةِ؛ لم تَخطُر ببالكَ ولم

---

(١) قولُهُ: «ونصبُهُ على الحالِ...» قال الشهاب: محصَّلُهُ: أنَّهُ إمَّا حالٌ بعدَ حالٍ، أو ﴿قُرْآنًا﴾ بمعنى «مقروءٍ» فيهِ ضميرٌ مُستتِرٌ و﴿عَرَبِيًّا﴾ حالٌ مِنَ الضَّميرِ المُستتِرِ فهيَ مُتداخلَةٌ، أو ﴿قُرْآنًا﴾ حالٌ و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفتُهُ، وحينَئذٍ فهيَ إمَّا مُوطِّئَةٌ أو غيرُ مُوطِّئَةٍ؛ لأنَّها إن أبقيَتْ على جمودِها مِن غيرِ تأويلٍ بالمُشتقِّ فمُوطِّئَةٌ؛ لأنَّ المقصودَ بالحاليَّةِ وصفُها، إذ هيَ لا تبينُ هيئَةً، وإن أوِّلَتْ بِهِ فغيرُ مُوطِّئَةٍ؛ لأنَّ معنى التَّوطئَةِ: أنَّها تنبئُ أنَّ ما بعدَها هوَ المقصودُ بالحاليَّةِ لا أنَّها حالٌ موصوفَةٌ؛ لعدمِ دلالتِها على الهيئَةِ، ولذا عرَّفَ النُّحاةُ الحالَ المُوطِّئَةَ بأنَّها الجامدَةُ الموصوفَةُ نحوُ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ومعنى قولِهِ: «في نفسِهِ»: بقطعِ النَّظرِ عمَّا بعدَهُ، وعن تأويلِهِ بالمُشتقِّ. وقولُهُ: «بمعنى مفعولٍ»؛ أي: مقروءٍ ومجموعٍ.

(٢) النَّفَضُ - بالتحريك -: ما تساقط من الورق والثمر. انظر: «الصحاح» (مادة: نفض).

تقرَعْ سَمْعَكَ قطُّ، وهو تعليلٌ لكَوْنِه مُوحًى، و«إن» هي المخفَّفَةُ مِن الثَّقيلَةِ واللَّامُ هيَ الفارِقَةُ.

(٤) ـ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدلٌ مِن ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ ـ إنْ جُعِلَ مَفعولًا ـ بدلَ الاشتمالِ، أو مَنصوبٌ بإضمارِ: اذكُرْ.

و﴿يُوسُفُ﴾ عِبْرِيٌّ، ولو كانَ عَربيًّا لصُرِفَ، وقُرِئَ بفَتحِ السِّينِ وكَسرِهَا[١] على التلعُّبِ بهِ، لا على أنَّه مُضارِعٌ بُنِيَ للمَفعولِ أو الفاعلِ مِن آسَفَ؛ لأنَّ المَشهورةَ شَهِدَت بعُجمَتِه.

﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهِم السَّلامُ، وعنه عليهِ السَّلامُ: «الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يَعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»[٢].

﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ أصلُهُ: يا أبي، فعُوِّضَ عَن الياءِ تاءُ التَّأنيثِ لتَناسُبِهما في الزِّيادَةِ، ولذلك قلَبَها هاءً في الوقفِ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ويعقوبُ[٣].

وكسرُها لأنَّها عِوَضُ حرفٍ يُناسِبُها[٤]، وفَتَحَها ابنُ عامرٍ في كلِّ القرآنِ[٥]؛

---

(١) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٦) بكسر السين عن طلحة الحضرمي وابن مصرف وابن وثاب، وفتح السين حكاه الفراء.

(٢) رواه البخاري (٣٣٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» (ص: ٦٠ و١٢٧)، و«النشر» (٢/ ١٣١)، وقول المصنف: «أبو عمرو» خطأ والصواب: «ابن عامر» قال الشهاب في «الحاشية»: وخُطِّئ (يعني: البيضاوي) في نسبة الوقف بالهاء إلى أبي عمرو.

(٤) وهو الياء.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

لأنَّها حركةُ أصلِها، أو لأنَّه كانَ: يا أبتا، فحُذِفَ الألِفُ وبقيَ الفتحَةُ، وإنَّما جازَ: «يا أبتَا» ولم يَجُز: «يا أبتي» لأنَّه جمعٌ بينَ العِوَضِ والمعوَّض.

وقُرِئَ بالضَّمِّ[١] إجراءً لها مُجرَى الأسماءِ المؤنَّثَةِ بالتَّاءِ مِن غيرِ اعتبارِ التَّعويضِ، وإنَّما لم تُسَكَّنْ كأصلِها لأنَّها حَرْفٌ صَحيحٌ مُنزَّلٌ مَنزِلَةَ الاسمِ، فيجبُ تَحريكُها ككافِ الخطابِ.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ مِن الرُّؤيَا لا مِن الرُّؤيةِ؛ لقولِه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾، ولقولِه: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾.

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ رُوِيَ عَن جابرٍ: أَنَّ يَهودِيًّا جاءَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: أخبِرْنِي يا محمَّدُ عَن النُّجومِ الَّتي رآهنَّ يوسفُ، فسكتَ، فنزلَ جِبريلُ فأخبرَهُ بذلك، فقالَ: «إذا أخبرتُكَ هل تسلِمُ؟» قالَ نعم، قالَ: «جِرِيَّان والطَّارقُ والذَّيَّالُ وقابِسٌ وعَمُودان والفَلِيقُ والمصبِّحُ والضَّرُوحُ والفَرْغُ ووَثَّابٌ وذُو الكَتِفَينِ، رآهَا يوسفُ والشَّمسَ والقَمَرَ نزَلْنَ مِن السَّماءِ وسجَدْنَ له» فقالَ اليَهوديُّ: إي واللهِ إنَّها لأسماؤُها[٢].

---

(١) نسبها الهذلي في «الكامل» (ص: ٥٧٥) لابن أبي عبلة.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «التفسير من سننه» (١١١١)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٦٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٣٣٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠- ٢٥١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٩٧)، من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر به. قال ابن حبان: لا أَصْلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكم بن ظهير الفزاريّ الكوفِي كان يشتم أصحاب محمد ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياء الموضوعات.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وكأن واضعه قصد شين الاسلام بمثل =

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ استئنافٌ لبيانِ حالِهم الَّتي رآهُم عليها فلا تكريرَ، وإنَّما أُجرِيَت مُجرى العُقَلاءِ لوَصفِها بصِفَاتِهِم.

(٥) ـ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيرُ ابنٍ، صغَّرَهُ للشَّفقَةِ، أو لصِغَرِ السنِّ لأنَّه كانَ ابنَ اثنتَيْ عشرةَ سنةً. وقرأَ حفصٌ هنا وفي الصافات [١٠٢] بفتح الياء(١).

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾: فيحتالُوا لإهلاكِكَ حيلةً، فَهِمَ يعقوبُ عليهِ السَّلامُ مِن رُؤياهُ أنَّ اللهَ يَصطفيهِ لرِسالَتِه ويُفوِّقُه على إخوتِهِ فخافَ عليه حسدَهُم وبغيَهُم.

والرُّؤيَا كالرُّؤيَةِ غيرَ أنَّها مُختصَّةٌ بما يَكونُ في النَّومِ، فُرِّقَ بينَهُمَا بحَرْفَي التَّأنيثِ كالقُربَةِ والقُرْبَى.

وهي: انطباعُ الصُّورَةِ المُنحَدِرَةِ مِن أفقِ المتخيِّلَةِ إلى الحسِّ المشترَكِ، والصَّادقةُ مِنْهَا إنَّما تَكُونُ باتِّصالِ النَّفْسِ بالمَلَكوتِ لِمَا بينَهُمَا مِن التَّناسُبِ عندَ فَراغِها مِن تَدبيرِ البَدَنِ أَدْنَى فراغٍ، فتَتَصوَّرُ بما فيها ممَّا يَلِيقُ بها مِن المَعاني الحاصِلَةِ هناكَ، ثمَّ إنَّ المُتخيِّلَةَ تحاكِيه بصورَةٍ تُناسِبُه، فترُسلُها إلى الحسِّ المشتركِ فتَصيرُ مُشاهَدةً، ثمَّ إنْ كانَتْ شَديدَةَ المُناسبَةِ لذلك المعنى بحيثُ لا يَكونُ التَّفاوُتُ إلَّا بالكُلِّيَّةِ والجُزئِيَّةِ استَغْنَت الرُّؤيَا عَن التَّعبيرِ، وإلَّا احتاجَتْ إليهِ.

وإنَّما عُدِّي «كادَ» باللَّامِ ـ وهو مُتَعَدٍّ بنفسِهِ ـ لتَضمُّنِه مَعنى فعلٍ يُعَدَّى بِهِ تَأكيدًا، ولذلك أُكِّدَ بالمَصدَرِ وعَلَّلَه بقولِه:

= هذا، وفيه جماعة ليسوا بشيء. وقال الجوزجاني كما في «التهذيب»: الحكم بن ظهير ساقط؛ لميله وأعاجيب حديثه، وهو صاحب حديث نجوم يوسف. قال الشهاب: وتعيينُ هذهِ الكواكبِ وضبطُ أسمائِها لم يتعرَّضوا لهُ هنا، ولم أرَهُ في كلامِ مَن يُوثَقُ بهِ.

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٧).

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهِرُ العَداوَةِ لِمَا فعلَ بآدمَ وحَوَّاءَ، فلا يَأْلُو جهدًا في تَسْوِيلِهِم وإثارَةِ الحَسَدِ فيهِم حتَّى يحمِلَهُم على الكيدِ.

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكمَا اجتباكَ لمثلِ هذه الرُّؤيَا الدَّالَّةِ على شرفٍ وعزٍّ وكَمالِ نفسٍ ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ للنبوَّةِ والمُلْكِ، أو لأمورٍ عظامٍ، والاجتباءُ مِن جَبَيْتُ الشَّيءَ: إذا حصَّلْتَهُ لنفسِكَ.

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلامٌ مُبتدأٌ خارجٌ عن التَّشبيهِ، كأنَّه قيلَ: وهو يعلِّمُك ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: مِن تَعبيرِ الرُّؤيَا؛ لأنَّها أَحاديثُ المَلَكِ إنْ كانَتْ صادقَةً، وأحاديثُ النَّفسِ أو الشَّيطان إن كانَتْ كاذبةً، أو: من تأويلِ غوامضِ كتبِ اللهِ وسُننِ الأنبياءِ وكلماتِ الحُكماءِ، وهو اسمُ جمعٍ للحَديثِ كأَباطيلَ اسمُ جمعٍ للباطلِ.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنُّبُوَّةِ، أو بأن يصلَ نعمةَ الدُّنيا بنِعمَةِ الآخرةِ.

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريدُ به: سائرَ بَنيهِ، ولعلَّه استدلَّ على نُبوَّتِهِم بضَوءِ الكَواكبِ، أو: نسلَه[1].

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾ بالرِّسالَةِ، وقيلَ: على إبراهيمَ بالخلَّةِ والإنجاءِ مِن النَّارِ، وعلى إسحاقَ بإنقاذِهِ مِن الذَّبحِ وفِدائِه بذبحٍ عَظيمٍ[2].

---

(١) «أو نسله» بالنصب عطفاً على «سائرَ بنيه».

(٢) هذا على ما قيل من أنه الذبيح، والصحيح عند أكثر العلماء أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.
وقال الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٩): «وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل».
وقال الشهاب في «الحاشية»: وكونُ الذَّبيحِ إسحاقَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على روايَةٍ، والمشهورُ أنَّهُ إسماعيلُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: مِـن قبلِـكَ، أو: مِـن قبـلِ هذا الوَقـتِ ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطـفُ بيانٍ لـ﴿أَبَوَيْكَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَنْ يَستَحِقُّ الاجتباءَ ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعَلُ الأشياءَ على ما يَنْبَغِي.

(٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾؛ أي: فـي قِصَّتِهِـم ﴿ءَايَٰتٌ﴾: دلائلُ قُدرَةِ اللهِ وحِكمَتِـه، أو: علامـاتُ نُبوَّتِـكَ. وقرأَ ابـن كثير: ﴿آيةٌ﴾[1] ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لِمَن سـأَلَ عَـن قِصَّتِهِم.

والمرادُ بإخوتِه: عَلَّاتُه[2] العشرةُ، وهم: يَهُوذَا ورُوبِيلُ وشَمْعُونُ وَلَاوَى ورِيَالُونَ ويَشْجُرُ ودَيْنَةُ مِن بنتِ خالَتِه لَيَّا تزوَّجَها يَعقوبُ أوَّلًا، فلَمَّا تُوُفِّيَتْ تزوَّجَ أُختَهَا راحيلَ فولَدَتْ لهُ بُنْيَامِينَ ويُوسُفَ، وقيلَ: جمعَ بينَهُما ولم يَكُن الجَمْعُ محرمًا حينئذٍ، وأربعةٌ آخرونَ: دَان ونَفْتَالى وجاد وآشُرُ مِن سُرِّيتين: زُلْفَةَ وبُلْهَةَ.

(٨) ـ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بُنْيَامِينُ، وتَخصيصُهُ بالإضافَةِ لاختِصاصِهِ بالأخوةِ مِن الطَّرفينِ.

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ وحدَهُ؛ لأنَّ «أفعلَ مِن» لا يفرِّقُ فيه بينَ الواحدِ وما فوقَه، والمذكَّرِ وما يقابلُهُ، بخلافِ أَخَويهِ[3] فإنَّ الفرقَ واجبٌ في المحلَّى جائزٌ في المُضافِ.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحالُ أنَّا جَماعَةٌ أقوياءُ أحقُّ بالمَحبَّةِ مِن صَغِيرينِ لا كفايةَ فيهِما، والعُصْبَةُ والعِصابَةُ: العشرةُ فصاعدًا، سمُّوا بذلك لأنَّ الأمورَ تُعصَبُ بهم.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيلِه المَفضولَ، أو لتركِ التَّعديلِ في المحبَّةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) العَلَّات: الإخوة لأب.

(٣) قوله: «بخلاف أخويه»؛ أي: أَخَوَي (أفعَل مِن)، وهما المُحلَّى بـ (أل) كالأفضل، والمضاف كـ: أفضل القوم.

رُوِيَ أنَّه كانَ أحبَّ إليهِ لِمَا يَرَى فيهِ مِن المَخايلِ، وكانَ إخوتُهُ يَحسُدُونَهُ، فلَمَّا رأَى الرُّؤيَا ضاعفَ له المحبَّةَ بحيثُ لم يَصبِرْ عنه، فتبَالَغَ حَسَدُهُم حتَّى حَمَلَهُم على التَّعرُّضِ له.

(٩) ـ ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ مِن جُملَةِ المحكيِّ بعدَ قولِه: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ ﴾ كأنَّهُم اتَّفقُوا على ذلك[1] إلَّا مَن قالَ: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟﴾.

وقيلَ: إنَّما قالَهُ شَمْعونُ أو دَان ورَضِيَ بهِ الآخرونَ.

﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورةً بعيدةً مِن العُمرانِ، وهو مَعنى تَنكيرِهَا وإبهامِها، ولذلك نُصِبَت كالظُّروفِ المُبهمَةِ.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ جوابُ الأَمرِ، والمَعنى: يَصْفُ لَكُم وَجهُ أَبيكُمْ فيُقبِلْ بكُلِّيَّتِه عَلَيكُم، ولا يلتَفِتْ عَنْكُم إلى غيرِكُم، ولا يُنازِعْكُم في مَحبَّتِهِ أَحدٌ.

﴿وَتَكُونُوا۟﴾ جزمٌ بالعَطفِ على ﴿يَخْلُ﴾، أو نصبٌ بإضمارِ «أنْ».

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: مِن بَعدِ يوسُفَ، أو الفراغِ مِن أمرِهِ، أو قَتلِهِ، أو طَرْحِه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تائبينَ إلى اللهِ عمَّا جَنَيْتُم.

أو: صالحينَ مع أَبِيكُم يَصْلُحُ ما بينكُم وبينَهُ بعذرٍ تَمْهدونَهُ.

أو: صالحينَ في أمرِ دُنياكُمْ فإنَّه يَنتَظِمُ لَكُم بعدَه بخلوِّ وَجهِ أَبيكُم.

(١٠) ـ ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: يَهُوذَا[2]، وكانَ أحسَنَهُم فيهِ رَأْيًا، وقيلَ: رُوبيلُ[3]:

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «على الأمر»، وفي نسخة التفتازاني: «على ذلك الأمر».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٦) عن السدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٦)، عن قتادة وابن إسحاق.

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإنَّ القتلَ عَظيمٌ ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: في قعرِهِ، سُمِّيَ بها لغَيْبُوبَتِهِ عَن عَينِ النَّاظرِ.

وقرأَ نافِعٌ: ﴿في غَيَابَاتِ﴾ في الموضعين على الجَمعِ[١]، كأنَّه لتلكَ الجُبِّ غَياباتٌ.

وقُرِئَ: «غَيْبَةِ»[٢]، و: «غَيَّابات» بالتَّشديدِ[٣].

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذْهُ ﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: بعضُ الَّذينَ يَسيرونَ في الأرضِ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ بمَشُورَتِي، أو: إنْ كُنْتُم على أَنْ تَفْعَلُوا ما يُفرِّقُ بينَهُ وبينَ أَبيهِ[٤].

(١١) - ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ لِمَ تَخافُنَا عليه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: ونحنُ نشفِقُ عليهِ ونُريدُ له الخيرَ؟ أرادوا به استِنزالَهُ عَن رأيِهِ في حفظِهِ مِنْهُم لِمَا[٥] تنسَّمَ مِن حَسَدِهِم.

والمَشهورُ: ﴿تَأْمَ۫نَّا﴾ بالإدغامِ بإشمامٍ، وعَن نافِعٍ تركُ الإشمامِ[٦]،..........

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحتسب» (١/ ٣٣٣)، عن الحسن. زاد ابن خالويه نسبتها لمجاهد وهارون عن أبي عمرو.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحتسب» (١/ ٣٣٣)، عن الأعرج.

(٤) عبارة الزمخشري: «إن كنتُم على أنْ تفعلوا ما يحصل به غرضُكم فهذا هو الرأي». انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٤٤).

(٥) «استنزالهُ عن رأيِهِ»؛ أي: تبديلَ رأيِ يعقوبَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في خوفِهِ عليهِ منهُم، و«لِمَا تنسَّمَ» مُتعلِّقٌ بـ«حفظِهِ». قاله الشهاب.

(٦) وهي خلاف المشهور عنه، والذي قرأ بالإدغام الخالص من غير إشمام من العشرة أبو جعفر، وباقي العشرة بالإدغام والإشمام. للضم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٢٧)، و«النشر» (١/ ٣٠٣).

ومِن الشَّواذِّ تركُ الإدغامِ[١] لأنَّهما مِن كَلِمتينِ، و: «تِيمَنَّا» بكسرِ التَّاءِ[٢].

(١٢) ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصَّحراءِ ﴿نَرْتَعْ﴾: نتَّسِعْ في أكلِ الفواكِهِ ونحوِها، مِن الرَّتْعَةِ وهي الخِصْبُ ﴿وَنَلْعَبْ﴾ بالاستباقِ والانتضالِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿نَرْتَعِ﴾ بكسرِ العينِ على أنَّه مِن ارْتَعَى يَرْتَعِي، ونافِعٌ بالكسرِ والياءِ فيه وفي ﴿يَلْعَبْ﴾، وقرأ الكوفيُّونَ ويَعقوبُ بالياءِ والسُّكونِ على إسنادِ الفعلِ إلى يوسفَ[٣].

وقُرِئَ: «يُرْتِعْ»[٤] مِن أرتعَ ماشيَتَهُ.

و: «يرتَعِ ـ بكسرِ العينِ ـ ويَلْعَبُ» بالرفعِ على الابتداءِ[٥].

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أن ينالَهُ مَكروهٌ.

(١٣) ـ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ لشدَّةِ مُفارقَتِه عليَّ وقلَّةِ صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ لأنَّ الأرضَ كانَتْ مَذْأَبَةً.

وقيلَ: رَأَى في المنامِ أنَّ الذِّئبَ قَدْ شدَّ على يوسفَ وكانَ يَحْذَرُهُ عليه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧) عن الأعمش، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٢٣)، عن طلحة بن مصرف.

(٢) نسبت ليحيى بن وثاب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٩٤)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٢٣)، و«البحر» (١٢/ ٢٤).

(٣) قرأ: ﴿نَرْتَعِ ونَلْعَبْ﴾ ابن كثير بخلاف عن قنبل، ﴿نرتعي ونَلْعبْ﴾ قنبل بوجهه الآخر، ﴿نَرْتَعْ ونَلْعَبْ﴾ ابن عامر وأبو عمرو، ﴿يَرْتَعِ ويَلْعَبْ﴾ نافع وأبو جعفر، ﴿يَرْتَعْ ويَلْعَبْ﴾ باقي العشرة. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣ و٢٩٧).

(٤) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٣) عن أبي رجاء.

(٥) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٣)، و«الكشاف» (٤/ ٢٤٥)، عن العلاء بن سَيَابة.

وقد هَمَزَها على الأصل ابنُ كثير، ونافعٌ في رواية قالون، وعاصمٌ وابنٌ عامر، درجًا ووقفًا، وحمزة درجًا[1].

واشتِقاقُهُ مِن تَذاءَبَت الرِّيحُ: إذا هبَّتْ[2] مِن كلِّ جِهَةٍ.

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ لاشتِغالِكُم بالرَّتْعِ واللَّعبِ، أو لقلَّةِ اهتِمامِكُم بحفظِهِ.

(١٤) ـ ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ اللَّامُ مُوطِّئَةٌ للقَسمِ، وجوابُه: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: ضعفاءُ مَغبونونَ، أو: مُستَحِقُّونَ لأنَّ يُدْعَى عليهم بالخسارِ، والواوُ في ﴿وَنَحْنُ﴾ للحالِ.

(١٥) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وعَزَمُوا على إلقائِهِ فيها، والبئرُ: بئرُ بيتِ المقدِسِ، أو بئرٌ بأرضِ الأُردُنِّ، أو بينَ مِصرَ ومَدْيَنَ، أو على ثلاثةِ فراسِخَ مِن مقامِ يعقوبَ، وجَوابُ «لَمَّا» محذوفٌ مثل: فَعَلُوا به ما فَعَلُوا مِن الأذى.

فقَدْ رُوِيَ أَنَّهُم لَمَّا بَرَزُوا بهِ إلى الصَّحراءِ أخذُوا يُؤذونَهُ ويضربونَهُ حتَّى كادُوا يقتلونَهُ، فجعلَ يَصيحُ ويستغيثُ، فقالَ يهوذَا: أمَا عاهَدْتُمونِي أن لَا تَقتلوهُ؟! فأتَوْا بهِ إلى البئرِ فدَلَّوه فيها فتَعلَّقَ بشَفيرِهَا، فربَطُوا يديهِ ونَزَعُوا قميصَهُ ليلطِّخوهُ بالدَّمِ

---

(١) اختلفت النسخ هنا اختلافًا كثيرًا، والمثبت من نسخة أثبتها الأنصاري في «الحاشية» (٣/ ٢٧٣) وقال: «نُسخُ الكتابِ هنا مختلفةٌ بزيادة ونقص، وأقربُها إلى الصحة ما ذُكِر مع أن أبا عمرو يهمزُ من رواية الدوري». وانظر تفصيل مذهب أبي عمرو في هذه المسألة في «النشر» لابن الجزري (١/ ٣٩١ـ٣٩٤).

وملخص ما جاء في هذه القراءة من المتواتر: ورش والكسائيُّ وأبو عَمْرو بخُلفه بغير همز، ووقفًا حمزة، والباقون بالهمز في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) في نسخة الخيالي: «إذا أقبلت»، وفي «الكشاف» (٤/ ٢٤٦): «أتت»، والمعنى واحد في الجميع.

ويَحتالوا بهِ على أَبيهِمْ، وقالَ: يا إخوتاهُ! رُدُّوا علي قميصِي أتوارَى به، فقالوا: ادعُ الأحدَ عشرَ كَوْكَبًا والشَّمسَ والقمرَ يُلبسوكَ ويُؤنِسُوكَ، فلَمَّا بلغَ نصفَها أَلْقوهُ وكانَ فيها ماءٌ فسقطَ فيه، ثمَّ أوى إلى صخرةٍ كانَتْ فيها فقامَ عليها يبكي[١].

فجاءَهُ جِبريلُ بالوحيِ كما قالَ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ وكانَ ابنَ سبعَ عشرةَ سنةً[٢].

وقيلَ: كانَ مُراهِقًا أُوحِيَ إليه في صِغَرِه كما أُوحِيَ إلى يحيى وعِيسَى عليهِمَا السَّلامُ.

وفي القصصِ: أنَّ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ جرِّدَ عَن ثيابِه، فأتاهُ جِبريلُ بقَميصٍ مِن حريرِ الجنَّةِ فألبسَهُ إيَّاه، فدفعَهُ إبراهيمُ إلى إسحاقَ، وإسحاقُ إلى يعقوبَ فجعلَهُ في تَميمَةٍ علَّقَها بيُوسُفَ، فأخرجَهُ جبريلُ وألبسَهُ إيَّاه[٣].

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: لتُحَدِّثنَّهُم بما فعلُوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّك يوسفُ؛ لعُلُوِّ شَأنِكَ وبعدِهِ عَن أوهامِهِم، وطولِ العَهدِ المغيِّرِ للحُلَى والهيئاتِ، وذلك إشارةٌ إلى ما قالَ لَهُم بمِصرَ حينَ دَخلوا عليهِ مُمتارينَ فعرَفَهُم وهم لهُ مُنكِرُونَ، بشَّرَه بما يَؤُولُ إليه أمرُهُ إيناسًا له وتَطييبًا لقلبِهِ.

وقيلَ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مُتَّصِلٌ بـ﴿أوحينا﴾؛ أي: آنسناهُ بالوَحيِ وهُمْ لا يَشعرونَ ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩) عن السدي. وهو من الإسرائيليات؛ قال أبو حيان في «البحر» (١٢/ ٤٢٥): ذكر المفسرون أشياء تتضمن كيفية إلقائه في غيابة الجبِّ ومحاورته لهم بما يلين الصخر، وهم لا يزدادون إلَّا قساوة، ولم يتعرض القرآن الكريم ولا الحديث الصحيح لشيء منها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٠) عن الحسن.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥١٢) دون راو ولا سند.

(١٦) ـ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: آخرَ النَّهارِ. وقُرِئَ: «عُشَيًّا» وهو تصغيرُ عَشِيٍّ[١].

و: «عُشًى» بالضَّمِّ والقَصرِ جمعُ أَعْشَى[٢]؛ أي: عُشْوًا[٣] مِن البُكاءِ.

﴿يَبْكُونَ﴾: مُتباكينَ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا سَمِعَ بُكاءَهُم فزِعَ وقالَ: ما لَكُم يا بنيَّ وأينَ يوسُفُ؟

(١٧) ـ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نتسابقُ في العَدْوِ أو الرَّمي ـ وقد يشتركُ الافتعالُ والتَّفاعلُ كالانتضالِ والتَّناضُلِ ـ ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدِّقٍ لَنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾؛ لِسُوءِ ظَنِّكَ بِنا وفَرطِ مَحبَّتِكَ ليُوسُفَ.

(١٨) ـ ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾؛ أي: ذِي كَذِبٍ، بمعنى: مَكذوبٍ فيه، ويجوزُ أن يكونَ وَصْفًا بالمصدرِ للمُبالغَةِ[٤].

وقُرِئَ: بالنَّصبِ[٥] على الحالِ مِن الواوِ؛ أي: جاؤُوا كاذِبينَ.

و: «كَدِبٍ» بالدَّالِ غيرِ المعجمَةِ[٦]؛ أي: كَدِرٍ، أو: طَرِيٍّ، وقيلَ: أصلُهُ

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٤٩)، و«البحر» (١٢/ ٤٢٨)، عن الحسن.

(٢) رواه عيسى بن ميمون عن الحسن. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٥).

(٣) بوزن: حُمْرًا، أشار إلى أن القياس أن يكون هكذا، لكن على خلاف القياس جاء: (عُشًى). انظر: «حاشية القونوي» (١٠/ ٢٧٣).

(٤) فهو كقولك: «رجل عدل» إما أن يكون بتقدير مضاف؛ أي: ذو عدل، أو أنك وصفته بالمصدر نفسه للمبالغة؛ لأن في الوصف بالمصدر من المبالغة ما ليس في المشتق.

(٥) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٧٥) عن ابن أبي عبلة، و«البحر» (١٢/ ٤٣٠) عن زيد بن علي.

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحتسب» (١/ ٣٣٥)، كلاهما عن الحسن، وزاد ابن خالويه نسبتها لابن عباس، وهي في «الكشاف» (٤/ ٢٥١) عن عائشة، وفي «البحر» (١٢/ ٤٣٠) عن عائشة والحسن.

البَيـاضُ الخـارِجُ عَـن أظفـارِ الأَحـداثِ، فشـبِّهَ بـه الـدَّمُ اللاصِـقُ علـى القَميصِ.

و﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ في مَوضعِ النَّصبِ على الظَّرفِ؛ أي: فوقَ قميصِه، أو على الحالِ مِن الدَّمِ إن جوِّزَ تَقديمُهَا على المجرورِ.

رُوِيَ: أنَّه لَمَّا سَمِعَ بخبرِ يوسُفَ صاحَ وسألَ قَمِيصَهُ[1]، فأخذَهُ وألقاهُ على وجهِهِ وبَكَى حتَّى خضَّبَ وَجهَهُ بدمِ القَميصِ وقالَ: ما رأيتُ كاليومِ ذئبًا أحلمَ مِن هذا، أكلَ ابنِي ولم يُمزِّقْ عليهِ قَمِيصَهُ[2]؟!

ولذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾؛ أي: سَهَّلَت لَكُم وهَوَّنَت في أَعيُنِكُم أمرًا عظيمًا، مِن السَّوَلِ وهو الاسترخاءُ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فَأَمْرِي صَبرٌ جَميلٌ، أو: فصَبْرٌ جَميلٌ أجمَلُ، وفـي الحديثِ: «الصَّبرُ الجَميلُ: الَّذي لا شَكْوَى فيه»[3]؛ أي: إلى الخلقِ.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمالِ ما تَصِفُونَه مِن هَلاكِ يوسُفَ، وهذهِ الجريمَةُ كانَتْ قبلَ استِنْبَائِهِم إن صَحَّ.

(١٩) ـ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رُفقَةٌ يسيرونَ مِن مدينَ إلى مِصرَ، فنزَلُوا قريبًا مِن الجُبِّ وكانَ ذلك بعدَ ثلاثٍ مِن إلقائِهِ فيه.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الَّذي يَرِدُ الماءَ ويَسْتَسْقِي لهم، وكانَ مالكَ بن ذُعرٍ الخُزَاعِيَّ.

---

(١) أي: طلبه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧) عن الحسن والشعبي. وتعقب ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية هذا القول بقوله: كذا قالوا، والذي عندي: أن أمارة الكذب قلةُ الدم المفهومةُ من التَّنكير، ومن التعبير بكونه على القميص، ولو كانت الأمارة عدمَ تمزُّق القميص لكان هو بالتعرُّض أحقَّ.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٢)، عن حبان بن أبي جبلة مرسلاً.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: فأرسَلَهَا في الجُبِّ ليَمْلأَها، فتَدَلَّى بها يوسفُ، فلَمَّا رآهُ ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ نادَى البُشْرَى بشارةً لنَفسِه أو لقومِه، كأنَّه قالَ: تَعالَي فهذا أوانُكِ، وقيلَ: هو اسمُ صاحبٍ له ناداهُ ليُعينَهُ على إخراجِهِ.

وقرأ غيرُ الكُوفِيِّينَ: ﴿يا بُشرايَ﴾ بالإضافة[1].

وقُرِئَ: «يا بشريَّ» بالإدغامِ[2]، وهو لُغَةٌ.

و: ﴿بشرايْ﴾ بالسُّكونِ[3] على قصدِ الوَقفِ.

﴿وَأَسَرُّوهُ﴾؛ أي: الواردُ وأصحابُه مِن سائرِ الرُّفقَةِ.

وقيلَ: أخفُوا أمرَهُ وقالوا لَهُم: دفعه إلينَا أهل الماءِ لنبيعَهُ لهم بمصرَ.

وقيلَ: الضَّميرُ لإخوَةِ يوسُفَ، وذلك أن يَهوذَا كانَ يأتيهِ كلَّ يومٍ بالطَّعامِ، فأتاهُ يومئذٍ فلَمْ يَجِدْه فيها فأخبرَ إخوتَهُ، فأتوا الرُّفقَةَ قالُوا: هذا غلامُنَا أَبَقَ مِنَّا، فاشترَوهُ، وسكتَ يوسُفُ مخافةَ أَنْ يقتلوهُ[4].

﴿بِضَـٰعَةً﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: أَخْفَوهُ مَتاعًا للتِّجارَةِ، واشتِقاقُه مِن البَضْعِ فإنَّه ما بُضِعَ مِن المالِ للتِّجارَةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧) عن ابن أبي إسحاق، و«المحتسب» (١/ ٣٣٥) عنه وعن الحسن وأبي الطفيل والجحدري.

(٣) وهي رواية لورش عن نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٩) عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وذكره ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية، ثم تعقبه بقوله: ولا يخفى ما فيه من الاختلال لحُسن نظم المقال، والإشكالِ من جهة أن التعبير المذكورَ لا يناسب الحال.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ لم يَخْفَ عليه إسرارُهُم، أو صنيعُ إخوَةِ يوسُفَ بأبيهِمْ وأَخيهِمْ.

(٢٠) ـ ﴿وَشَرَوۡهُ﴾: وباعوهُ، وفي مرجعِ الضَّميرِ الوجهانِ، أو: اشتَروهُ مِن إخوَتِه.

﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾: مبخوسٍ؛ لِزَيْفِهِ أو نقصانِه ﴿دَرَٰهِمَ﴾ بدلٌ مِن الثَّمنِ ﴿مَعۡدُودَةٖ﴾: قليلةٍ، فإنَّهُم كانُوا يَزِنونَ ما بلغَ الأوقيَّةَ ويَعُدُّونَ ما دونَها[1].

قيلَ: كانَ عِشرينَ درهمًا، وقيلَ: اثنينِ وعِشرينَ.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾: في يوسفَ ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: الرَّاغبينَ عَنه، والضَّميرُ في و«كانوا» إن كانَ للإخوةِ فظاهرٌ، وإن كانَ للرفقَةِ وكانُوا بائِعينَ فزُهْدُهم فيه: أنَّهُم الْتَقَطوهُ، والملتقِطُ للشَّيءِ مُتهاوِنٌ به خائفٌ مِن انتزاعِهِ مُستعجِلٌ في بيعِه، وإِنْ كانُوا مُتبايِعِينَ فلأنَّهُم اعتَقَدُوا أنَّه آبِقٌ.

و﴿فِيهِ﴾ مُتعلقٌ بـ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ إنْ جُعلَ اللَّامُ للتَّعريفِ، وإن جعلَ بمَعْنى «الذي» فهو مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ يبيِّنُهُ: ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ لأنَّ مُتعلَّقَ الصِّلَةِ لا يتقدَّمُ على الموصولِ.

(٢١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ﴾ وهو العَزيزُ الَّذي كانَ على خَزائنِ مِصرَ واسمُهُ: قطفيرُ، أو إِطْفيرُ، وكانَ الملكُ يومئذٍ ريَّانَ بنَ الوليدِ العِمْليقيَّ، وقد آمنَ بيوسُفَ وماتَ في حياتِه.

وقيلَ: كانَ فرعونَ مُوسى، عاشَ أربعَ مئةٍ بدليلِ قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، والمشهورُ أنَّه مِن أَولادِ فِرعونِ يوسُفَ، والآيةُ مِن قَبيلِ خِطابِ الأولادِ بأحوالِ الآباءِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «دونه».

رُوِيَ أنَّه اشتراهُ العَزيزُ وهو ابنُ سبعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ولبِثَ في مَنزِلِهِ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، واسْتَوْزَرَهُ الرَيَّانُ وهو ابنُ ثلاثينَ، وآتاهُ اللهُ العِلمَ والحِكمةَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنَةً، وتُوفِّيَ وهو ابنُ مئةٍ وعشرينَ سَنةً.

واختَلفَ فيما اشتراهُ به مَن جعلَ شِراءَهُ غيرَ الأوَّلِ؛ فقيلَ: عِشرونَ دِينارًا وزوجا نعلٍ وثوبانِ أبيضانِ. وقيلَ: مثلُه[1] فضَّةً، وقيلَ: ذهبًا.

﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ راعيلَ أو زَلِيخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعَلِي مقامَهُ عندنا كريمًا؛ أي: حسنًا، والمعنى: أحسنِي تَعَهُّدَه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضِياعِنا وأموالِنا ونستظهرَ به في مَصالِحِنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ نتبنَّاه -وكانَ عَقِيمًا- لِمَا تفرَّسَ فيه من الرُّشدِ، ولذلك قيلَ:

أفرسُ النَّاسِ ثلاثةٌ: عزيزُ مِصرَ، وابنةُ شُعَيبٍ الَّتي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكرٍ حينَ استخلَفَ عُمرَ رضيَ اللهُ عنه[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وكما مَكَّنَّا محبَّتَهُ في قلبِ العَزيزِ، أو: كما مكَّنَّاهُ في منزِلِهِ، أو: كما أنجَيْنَاهُ وعَطَفْنَا عليه العزيزَ= مكنَّا له فيهَا.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ عطفٌ على مُضمَرٍ تَقديرُهُ: ليَتَصرَّفَ فيهَا بالعَدْلِ ولِنُعَلِّمَه؛ أي: كانَ القَصدُ في إنجائِهِ وتَمكينِه أن يُقيمَ العَدْلَ ويُدبِّرَ أمورَ النَّاسِ، ويُعلِّمَ مَعانِيَ كتبِ اللهِ وأحكامَهُ فيُنفِّذَها، أو: تعبيرَ المَناماتِ المُنبِّهةِ عَن الحَوادثِ الكائنَةِ؛ ليستَعِدَّ لَهَا ويشتَغِلَ بتَدبيرِهَا قبلَ أَنْ تحلَّ كما فعلَ بسنِيِّه[3].

---

(١) «مثله»؛ أي مثل وزنه.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣)، وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (١١١٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٠٥٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٥٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٠٩) وصححه، عن ابن مسعود موقوفاً.

(٣) قولُهُ: «كما فعلَهُ بسِنِيِّهِ» قال الشهاب في «الحاشية»: بكسرِ السِّينِ والنُّونِ، وتشديدِ الياءِ: جمعُ سنَةٍ =

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ لا يردُّهُ شَيءٌ ولا ينازِعُهُ فيما يَشاءُ، أو: على أمرِ يوسُفَ؛ أرادَ بِهِ إخوةُ يُوسُفَ شيئًا وأرادَ اللهُ غيرَهُ فلَمْ يَكُن إلَّا ما أرادَ اللهُ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الأمرَ كُلَّهُ بيدِهِ، أو: لطائفَ صُنعِهِ وخفايا لُطفِه.

(٢٢) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: مُنتَهى اشتدادِ جسمِهِ وقُوَّتِه، وهو سِنُّ الوُقوفِ ما بينَ الثَّلاثينَ والأربعينَ، وقيلَ: سِنُّ الشَّبابِ ومَبدَؤُهُ بُلوغُ الحُلُمِ.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمةً، وهو العِلْمُ المُؤيَّدُ بالعملِ، أو: حكمًا بينَ النَّاسِ.

﴿وَعِلْمًا﴾ يعني: عِلْمَ تَأويلِ الأحاديثِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيهٌ على أنَّه تَعالى إنَّما آتاهُ ذلك جزاءً على إحسانِهِ في عَمَلِه واتِّقائِهِ في عُنفوانِ أَمرِهِ.

(٢٣) ـ ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: طلَبَتْ مِنه وتَمحَّلَتْ أَنْ يُواقِعَهَا، مِن رادَ يَرُودُ: إذا جاءَ وذهبَ لطَلَبِ شَيءٍ، ومِنْهُ: الرَّائِدُ.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قيلَ: كانَتْ سبعةً، والتَّشديدُ للتَّكثيرِ، أو للمُبالغَةِ في الإيثاقِ.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾؛ أي: أقبِلْ وبادِرْ، أو: تَهَيَّأْتُ، والكَلِمَةُ على الوجهينِ اسمُ فعلٍ بُنِيَ على الفتحِ كـ«أين»، واللَّامُ للتَّبيينِ كالتي في «سَقيًا لك»[1].

وقرأ ابنُ كثيرٍ بضَمِّ التَّاء وفتح الهاء تَشبيهًا له بـ«حيثُ»، ونافِعٌ وابنُ عامرٍ بروايةِ

= بمعنى القحطِ أو بمعنى العامِ، والإضافَةُ إليهِ لأدنى مُلابسَةٍ.

(١) قوله: «سقياً لك» اللام فيه للبيان، وليست متعلقة بالمصدر بل بمحذوف تقديره: أعني لك.

ابن ذكوانَ بفتحِ التَّاء وكسرِ الهاءِ من غيرِ همزٍ كعِيطَ وهي لغةٌ فيه، وقرأَ هشامٌ كذلك إلَّا أنَّه بهمزٍ، وقد روي عنه ضمُّ التَّاء[1].

وقُرِئَ: «هَيْتِ» كجَيْرِ[2].

و: ﴿هِئْتُ﴾ كجِئْتُ مِن هاءَ يَهِيئُ: إذا تَهَيَّأَ[3]، وقُرِئَ: «هُيِّئْتُ لك»[4]، وعلى هذا فاللامُ من صِلَتِه.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعـوذُ بـالله معـاذًا ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الشَّـأنَ ﴿رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ﴾ سـيِّدي قِطفيـرُ أحسَـنَ تعهُّـدِي إذ قالَ لـكِ فـيَّ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، فمَا جـزاؤُهُ أن أخونَـهُ فـي أهلِه.

وقيلَ: الضَّميرُ لله؛ أي: خالقي أحسنَ مَنزِلَتِي بأنْ عطَّفَ عليَّ قلبَهُ، فلا أَعصيهِ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المجازُونَ الحسنَ بالسَّيِّءِ.

وقيلَ: الزناةُ، فإنَّ الزِّنَا ظلمٌ على الزَّاني والمَزْنِيِّ بأهلِهِ.

(٢٤) ـ ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾: قصدَتْ مُخالَطَتَهُ وقَصَدَ مُخالَطَتَها، والهَمُّ بالشَّيءِ: قَصْدُهُ والعَزمُ عليه، ومنهُ: الهُمَامُ، وهو الَّذي إذا همَّ بشَيءٍ أمضَاهُ.

والمرادُ بهَمِّهِ: ميلُ الطَّبعِ ومُنازعَةُ الشَّهوَةِ لا القَصدُ الاختياريُّ، وذلك ممَّا لا

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) أي: بفتح الهاء وكسر التَّاء، نسبت لنصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وعبد الله بن أبي إسحاق وابن محيصن وابن عباس بخلاف وعيسى الثقفي. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٧)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ٥٤٢).

(٣) هي رواية عن هشام كما تقدم.

(٤) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يَدخلُ تحتَ التَّكليفِ، بل الحقيقُ بالمَدحِ والأَجرِ الجَزيلِ مِن اللهِ مَن يَكُفُّ نفسَهُ عن الفعلِ عندَ قِيامِ هذا الهَمِّ أو مشارَفَةِ الهمِّ؛ كقولِك: قتَلْتُهُ لَوْ لم أَخَفِ اللهَ.

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ في قُبحِ الزِّنا وسُوءِ مَغبَّتِه لخالَطَها؛ لشَبَقِ الغُلمَةِ وكثرةِ المُبالغَةِ، ولَا يجوزُ أَنْ يُجعَلَ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ فإنَّها في حُكمِ أَدَواتِ الشَّرطِ فلا يتقدَّمُ عليها جوابُها بَل الجوابُ مَحذوفٌ يُدَلُّ عليهِ[1].

وقيلَ: رأَى جِبريلَ.

وقيلَ: تمثَّلَ له يَعقوبُ عاضًّا على أَنامِلِه، وقيلَ: قِطفيرُ.

وقيلَ: نُودِيَ: يا يوسفُ أنتَ مَكتوبٌ في الأنبياءِ وتعملُ عملَ السُّفهاءِ[2].

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ ذلك التَّثبيتِ ثبَّتْنَاه، أو: الأمرُ مثلُ ذلك.

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: خيانةَ السَّيِّدِ ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: الزِّنا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الَّذينَ أخلَصَهُم اللهُ لطاعَتِه. وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ

---

(١) قولُهُ: «بلِ الجوابُ محذوفٌ يدلُّ عليهِ» وهوَ قولُهُ: (لخالَطَها) كما تقدم.

(٢) وهذا القيلُ وأمثاله من الخرافات والأباطيل التي لا مصدر لها سوى افتراءات أهل الكتاب وأكاذيبهم، وقد قال أبو حيان: طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق.

قال: وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة.

قال: وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين. انظر: «البحر» (١٢/ ٤٤٥).

عامرٍ ويعقوبُ بالكَسرِ في كلِّ القُرآنِ إذا كانَ في أولِه ألفٌ ولامٌ[١]؛ أي: الَّذينَ أخلَصُوا دينَهُم للهِ تَعالى.

(٢٥) ـ ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾؛ أي: تَسابَقَا إلى البابِ، فحُذِفَ الجارُّ أو ضُمِّنَ الفِعلُ مَعنى الابتداءِ، وذلك أَنَّ يوسُفَ فرَّ مِنْهَا ليخرج وأسرعَتْ وراءَه لتمنعَهُ الخروجَ.

﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾: اجتذَبَتْهُ مِن وَرائِه فانقَدَّ قَميصُهُ، والقَدُّ: الشَّقُّ طُولًا، والقَطُّ: الشَّقُّ عَرْضًا.

﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصادَفَا زَوجَها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إيهامًا بأَنَّهَا فرَّتْ مِنهُ تبرئةً لسَاحَتِها عندَ زَوجِها وتغييرِه على يُوسُفَ وإغرائِه به انتقامًا منه، و﴿مَا﴾ نافيَةٌ، أو استِفهامِيَّةٌ بمعنى: أيُّ شيءٍ جَزاؤُهُ إلَّا السِّجنُ؟

(٢٦) ـ ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾: طالَبَتْنِي بالمُؤاتاةِ، وإنَّما قالَ ذلكَ دَفعًا لِمَا عَرَّضَتْه لهُ مِن السِّجنِ أو العَذابِ، ولو لم تَكذِبْ عليهِ ما قالَه.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قيلَ: ابنُ عَمِّها، وقيلَ: ابنُ خالٍ لها صَبيًّا في المهدِ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «تكلَّمَ أربعةٌ صِغارًا: ابنُ ماشِطَةِ فِرعَوْنَ، وشاهِدُ يُوسُفَ، وصاحِبُ جُرَيجٍ، وعِيسَى عليهِ السَّلامُ»[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢٢)، والبزار (٢٤ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. إلا أنه في رواية ابن حبان قال بدل «شاهد يوسف»: «والرابع لا أحفظه». =

وإنَّمَا ألقى اللهُ الشَّهادةَ على لسانِ أهلِها لتكونَ ألزمَ علَيْهَا.

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لأنَّه يَدلُّ على أنَّها قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن قُدَّامِهِ بالدَّفعِ عن نَفسِهَا، أو أنَّه أسرعَ خلفَها فتعثَّرَ بذَيلِهِ فانقَدَّ جَيبُهُ.

(٢٧) - ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأنَّه يَدُلُّ على أنَّها تَبِعَتْه فاجتَذَبَتْ ثوبَهُ فقَدَّتْهُ، والشَّرطيَّةُ محكيَّةٌ على إرادةِ القَوْلِ، أو على أنَّ فِعلَ الشَّهادةِ مِن القولِ، وتسميتُها شهادةً لأنَّها أَدَّت مُؤدَّاها، والجمعُ بينَ ﴿إِن﴾ و﴿كَانَ﴾ على تأويلِ: «إن يُعْلَمْ أنَّه كانَ» ونحوِه، ونظيرُه قولُك: «إن أحسَنْتَ إليَّ فقَدْ أَحْسَنْتُ إليكَ مِن قَبْلُ»، فإنَّ مَعناه: إنْ تَمْنُنْ عَليَّ بإحسانكَ أَمْنُن عَليكَ بإحساني السَّابقِ.

وقُرِئَ: «من قُبُلُ» و«مِن دُبُرُ» بالضَّمِّ[1] لأنَّهما قُطِعَا عَن الإضافةِ كقَبْلُ وبَعْدُ، وبالفتحِ[2] كأنَّهُما جُعِلَا عَلَمينِ للجِهَتينِ فمُنِعَا الصَّرفَ، وبسُكونِ العَينِ[3].

= وروى البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة التي مر عليها الراكب ذو الشارة، وروى مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود، وفيه ذكر تكلُّم ولد المرأة التي أحرقت في الأخدود. فصار ما ذكر في الصحيحين أربعة، ومع حديث ابن عباس يكونون ستة.

(١) نسبت ليحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق والجارود بن أبي سبرة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحتسب» (١/ ٣٣٨)، و«البحر» (١٢/ ٤٥١).

(٢) أي: (من قبُلَ) و: (من دبُرَ). انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٧٠)، و«البحر» (١٢/ ٤٥١)، عن ابن أبي إسحاق.

(٣) يعني: بسكون الباء فيهما مع البناء على الضم، نسبت ليحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق والجارود في رواية عنهم. انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٧٠)، و«البحر» (١٢/ ٤٥١).

(٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾: إن قولَكِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أو: إنَّ السُّوءَ، أو: إنَّ هذا الأمرَ ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: مِن حِيلَتِكُنَّ، والخِطابُ لها ولأَمثالِها، أو لسَائرِ النِّساءِ.

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: فإنَّ كيدَ النِّساءِ ألطَفُ وأعلَقُ بالقَلبِ وأشَدُّ تَأْثِيرًا في النَّفسِ، ولأنَّهنَّ يواجِهْنَ به الرِّجالَ والشَّيطانُ يُوَسْوِسُ به مُسارَقَةً.

(٢٩) ـ ﴿يُوسُفُ﴾ حُذفَ مِنه حرفُ النِّداءِ لقُربِهِ وتفطُّنِه للحَديثِ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتُمْهُ ولا تَذْكُرْه ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ يا رَاعيلُ ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: مِن القَومِ المُذنبينَ، مِن خَطِئَ: إذا أذنَبَ مُتعمِّدًا، والتَّذكيرُ للتَّغليبِ.

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ هي اسمٌ لجمعِ امرأةٍ، وتأنيثُه بـهذا الاعتبارِ غيرُ حَقيقيٍّ ولذلك جُرِّدَ فعلُهُ، وضَمُّ النُّونِ لُغَةٌ فيها.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ ظرفٌ لـ﴿قال﴾؛ أي: أشَعْنَ الحِكايةَ في مصرَ، أو صِفَةُ ﴿نِسْوَةٌ﴾، وكُنَّ خمسًا: زوجَةُ الحاجبِ والسَّاقي والخَبَّازِ والسَّجَّانِ وصاحِبِ الدَّوابِّ [1].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٣١). وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٨٦) عن الكلبي، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٣٠) عن جويبر. وهذا من الأقوال الشائعة في كتب التفسير، وقلما يخلو تفسير من ذكر هؤلاء النسوة، وفيه نظر يظهر بأدنى تأمل، فإن حصر النسوة بامرأة الخباز والساقي وصاحب الدواب غير مناسب للمقام، خصوصًا وأن هؤلاءِ قد لا يكنَّ مما يوازي امرأة العزيز في المكانة، وإنما المناسب هنا أن تكون هؤلاءِ النسوة من زوجات النبلاء والأمراء ونحوهم الَّذينَ هم من طبقة العزيز وما أكثرهم، أما تفسيرهن بالمذكورات أو الاقتصار عليهن ـ وكأنه لم يبق في الدولة على اتساعها وعظمة ملكها سوى زوجات الساقي والخباز وصاحب الدواب ـ فغير ملائم للحال. وسيأتي أن اللاتي استدعهن كن أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات، وهو يؤيد ما ذكرناه.

﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾ تطلبُ مواقعةَ غلامِها إيَّاها.

والعَزيزُ بلِسانِ العَربِ: الملِكُ، وأصلُ فتًى: فَتَيٌ؛ لقولِهِم: فِتيانٌ، والفتوَّةُ شاذٌّ.

﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾: شقَّ شَغَافَ قَلبِها ـ وهو حِجابُهُ ـ حتَّى وصلَ إلى فؤادِهَا ﴿حُبًّاۖ﴾ ونصبُه على التَّمييزِ لصرفِ الفعلِ عنه[1].

وقُرِئَ: «شَعَفَها»[2] مِن شَعَفَ البَعيرَ: إذا هَنَأَهُ بالقَطِرَانِ فأحرقَهُ.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: في ضَلالٍ عَن الرُّشدِ وبُعدٍ عَن الصَّوابِ.

(٣١) ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾: باغتِيَابِهِنَّ، وإنَّما سَمَّاه مَكْرًا لأنَّهنَّ أَخْفَيْنَه كمَا يُخْفِي الماكِرُ مَكْرَه، أو قُلْنَ ذلك لتُرِيَهنَّ[3] يُوسُفَ، أو لأنَّها استَكْتَمَتْهُنَّ سِرَّهَا فأَشَعْنَه[4] علَيْهَا.

﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ تَدعُوهُنَّ، قيلَ: دعَتْ أربعينَ امرَأَةً فيهِنَّ الخَمسُ.

﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾: ما يَتَّكِئْنَ عليهِ مِن الوَسائِدِ.

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ حتَّى يَتَّكِئْنَ والسَّكاكينُ بأَيديهِنَّ، فإذا خرجَ عَلَيهِنَّ يُبْهَتْنَ ويُشْغَلْنَ عن نفوسهنَّ فتقعَ أيديهِنَّ على أيديهِنَّ فيقطعْنَها فيُبَكَّتْنَ

---

(١) قوله: «لصرف الفعل»؛ أي: وهو (شَغَفَ) «عنه»؛ أي: عن الحبِّ، فهو محوَّلٌ عن الفاعل، والأصلُ: شغَفَها حبُّه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٢٨٤).

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١١٩) عن أبي رجاء وعوف الأعرابي، وعزاها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٣٩) لهما ولعلي رضي الله عنه، والحسن بخلاف، ويحيى بن يعمر، وقتادة بخلاف، وثابت البناني، وابن أبي مريم، والأعرج بخلاف، ومجاهد بخلاف، وحميد بخلاف، والزهري بخلاف، وابن محيصن ومحمد بن السميفع وعلي بن حسين بن علي وجعفر بن محمد.

(٣) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «ليرين».

(٤) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «فأفشينه».

بالحُجَّةِ، أو يهابَ يوسفُ مِن مكرِهَا إذا خرجَ وحدَهُ على أربعينَ امرأةً في أيديهنَّ الخناجِرُ.

وقيلَ: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾: طعامًا، أو مجلسَ طعامٍ فإنَّهُم كانُوا يَتَّكِئُونَ للطَّعامِ والشَّرابِ تَرفًا ولذلك نُهِيَ عنه، قالَ جميلٌ:

فظَلِلْنَا بنِعْمَةٍ واتَّكأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِن قُلَلِهْ[١]

وقيلَ: المُتَّكَأُ: طَعامٌ يحزُّ حَزًّا كأنَّ القاطِعَ يَتَّكِئُ عليه بالسِّكِّينِ.

وقُرِئَ: ﴿مُتَّكًا﴾ بحذف الهمزة[٢]، و: «مُتَّكَاءً» بإشباعِ الفتحةِ كمُنْتَزَاحِ[٣].

و: «مُتْكًا» وهو الأُتْرُجُّ[٤]، أو ما يَقطَعُ، مِن مَتَكَ الشَّيءَ: إذا بتكَه[٥].

---

(١) انظر: «ديوان جميل بثينة» (ص: ١٨٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٢٥٧)، و«الصحاح» (مادة: قلل)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١٠/ ٢١).
قال الشهاب في «الحاشية»: اتَّكأْنا: أكلْنا وطعمْنا، والقُلَلُ: جمعُ قلَّةٍ، وهيَ الجرَّةُ، والحلالُ أرادَ بهِ النَّبيذَ. لكن تعقب البغدادي تفسير الحلال بالنبيذ بقوله: ولا يخفى أن حمله على ظاهره أنسب؛ لأن قائله مؤمن وكان في عرفة في موسم الحج.

(٢) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (١/ ٣٩٩).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٣٩)، عن الحسن.
والمنتزاح: البعيد كما ذكر الشهاب في «الحاشية». ويشير بهذا التمثيل إلى قول إبراهيم بن هرمة القرشي في «ديوانه» (ص: ٩٢):

وأنت من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمِّ الرجال بمنتزاحِ

(٤) نسبت لابن عباس وابن عمر وجمع من التابعين. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٣٩)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٣).

(٥) قال الشهاب في «الحاشية»: متكَهُ وبتكَهُ بمعنى: قطعَهُ، والباءُ والميمُ تتعاقَبُ كثيرًا كلازمٍ ولازبٍ.

و: «مَتْكاً»[١] من تكِئ يَتْكأ: إذا اتَّكأ.

﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: عظَّمْنَهُ وهِبْنَ حُسْنَهُ الفائقَ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «رأيتُ يوسُفَ ليلةَ المِعراجِ كالقَمَرِ ليلةَ البَدرِ»[٢].

وقيلَ: كانَ يُرى تلألُؤُ وَجهِهِ على الجُدرانِ.

وقيلَ: «أكبَرْنَ» بمَعْنَى: حِضْنَ، مِن أكبَرَت المَرأةُ: إذا حاضَتْ؛ لأنَّها تدخُلُ الكِبَرَ بالحَيْضِ، والهاءُ ضَميرٌ للمَصدَرِ أو ليوسُفَ على حذفِ اللامِ؛ أي: حِضْنَ لَهُ مِن شدَّةِ الشَّبقِ كما قالَ المُتنبِّي:

خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذَا الجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ في الخُدُورِ العَوَاتِقُ[٣]

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جَرَّحْنَها بالسَّكاكينِ مِن فرطِ الدَّهشَةِ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهًا له من[٤] صفاتِ العَجزِ، وتَعجُّبًا مِن قُدرَتِه على خلقِ مِثلِه، وأصلُه: ﴿حاشا﴾ كما قرأ أبو عَمرٍو في الدَّرْجِ[٥]، فحُذِفَت ألِفُه الأخيرَةُ تَخفيفًا، وهو

---

(١) نسبت للأعرج. انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٧٧)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وفي إسناده أبو هارون العبدي عمارة بن جُوين، وهو متروك كما في «التقريب». وجاء في حديث الإسراء عند مسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه: «... فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن...».

(٣) انظر: «ديوان المتنبي» (٣/ ٨٩)، والرواية فيه: (إذا لحت ذابت)، وهما روايتان كما نقل الشهاب في «الحاشية» عن الواحدي. وأورده برواية المؤلف الثعالبي في «أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه» (ص: ٨٧)، وهي رواية أبي الفتح (ابن جني) كما قال العكبري في «شرح ديوان المتنبي» (٢/ ٣٤٩).

(٤) في نسخة الخيالي: «تنزيها لله عن».

(٥) والباقون: ﴿حَٰشَ﴾ دون ألف، وكذا أبو عمرو وقفًا. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

حـرفٌ يُفيـدُ معنـى التَّنزيـهِ فـي بـابِ الاسـتثناءِ فوُضِـعَ مَوضِـعَ التَّنزيـهِ[١]، والـلَّامُ للبَيـانِ كمـا في قَولِـكَ: سَـقيًا لكَ.

وقُرِئَ: «حاشا اللهِ» بغير لامٍ[٢] بمَعنى: براءةُ اللهِ.

و«حاشًا للهِ» بالتَّنوينِ على تنزيلِهِ مَنزِلَةَ المصدَرِ[٣].

وقيلَ: حاشَا: «فاعَلَ» مِن الحَشَا الَّذي هو النَّاحِيَةُ، وفاعِلُه ضَميرُ يوسُفَ؛ أي: صارَ في ناحيَةٍ للهِ ممَّا يُتوهَّمُ فيه.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ لأنَّ هذا الجَمَالَ غيرُ مَعهودٍ للبَشَرِ، وهو على لُغَةِ الحِجَازِ في إعمالِ «ما» عملَ «ليس» لِمُشاركتِهِمَا في نَفْيِ الحَالِ.

وقُرِئَ: «بشرٌ» بالرَّفعِ على لغَةِ تَميمٍ[٤]، و: «بِشِرًى»[٥]؛ أي: بعبدٍ مُشتَرًى لئيمٍ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فإنَّ الجمعَ بينَ الجمالِ الرَّائقِ والكَمالِ الفَائقِ والعِصمَةِ البَالِغَةِ مِن خواصِّ المَلائِكَةِ، أو لأنَّ جَمالَهُ فوقَ جَمالِ البَشرِ لا يفوقُهُ فيه إلَّا الملَكُ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «التبرئة» في الموضعين.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٤١)، و«الكشاف» (٤/ ٢٧٩)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«الكشاف» (٤/ ٢٧٩)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٦)، عن أبي السمال.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٦٠٠) وعزاها للأعمش، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٢) عن ابن مسعود.

(٥) نسبت للحسن وأبي الحويرث الحنفي. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٤٠)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٨). ونسب ابن عطية لمن قرأ بهذه القراءة أنه قرأ أيضاً: (إن هذا إلَّا مَلِكٌ كريم) بكسر اللام واحد الملوك، فيكون بين الجملتين تناسب ظاهر، والمعنى: ما هذا عبدٌ لئيمٌ يُملك، بل سيدٌ كريمٌ مالك. انظر: «روح المعاني» للآلوسي (١٢/ ٣١٤).

(٣٢) ـ ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾؛ أي: فهوَ ذلك العَبدُ الكَنْعانِيُّ الَّذي لُمْتُنَّنِي في الافتتانِ بهِ قبلَ أنْ تَتصوَّرْنَهُ حقَّ تَصوُّرِه، ولو تَصوَّرْتُنَّه بمَا عَايَنْتُنَّ لعَذَرْتُنَّنِي.

أو: فهذَا هو الَّذي لُمْتُنَّنِي فيه، فوضعَ «ذلك» موضِعَ «هذا» رفعًا لِمَنزِلَةِ المُشارِ إليه.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾: فامتنعَ طَلَبًا للعِصمَةِ، أقرَّتْ لَهُنَّ حينَ عرفتْ أَنَّهُنَّ يعذُرْنَها كَيْ يُعاوِنَّها على إلَانَةِ عريكتِه.

﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾؛ أي: ما آمرُ بهِ، فحُذِفَ الجارُّ، أو: أَمْرِي إيَّاهُ، بمعنى: مُوجَب أَمْرِي، فيكونُ الضَّميرُ ليُوسُفَ.

﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذلَّاءِ، وهو مِن صَغِرَ بالكَسرِ يَصغَرُ صَغَرًا وصَغَارًا، والصَّغيرُ من صَغُرَ بالضَّمِّ صِغَرًا.

وقُرِئَ: «وليَكُونَنَّ»[1]، وهو بخلافِ خطِّ المُصحَفِ لأنَّ النونَ كُتِبَت فيه بالألفِ كـ﴿نسفعًا﴾ [العلق: ١٥] على حكمِ الوَقفِ، وذلكَ في الحقيقَةِ لشَبَهِهَا بالتَّنوينِ.

(٣٣) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ﴾ وقرأَ يَعقوبُ بالفَتحِ على المصدَرِ[2].

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾؛ أي: آثَرُ عندِي مِن مُؤاتاتِها زنًى نظرًا إلى العاقِبَةِ، وإن كانَ هذا ممَّا تَشتهيهِ النَّفسُ وذاك ممَّا تكرَهُهُ، وإسنادُ الدَّعوةِ إليهنَّ جميعًا لأنهنَّ خَوَّفْنَه مِن مُخالَفَتِها وزيَّنَّ له مُطاوَعَتَها أو دَعَوْنَهُ إلى أنفُسِهِنَّ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٨٤)، و«البحر» (١٢/ ٤٧١).

(٢) أي: بفتح السين. انظر: «النشر» (٢/ ٢٩٥).

وقيلَ: إنَّمَا ابتُلِيَ بالسِّجنِ لقولِه هذا، وإنَّما كانَ الأَوْلَى بِهِ أَنْ يَسألَ اللهَ العافِيَةَ، ولذلك ردَّ رَسولُ اللهِ ﷺ على مَن كانَ يَسأَلُ الصَّبرَ[1].

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾: وإن لم تَصرِفْ عني ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ في تحبيبِ ذلك إليَّ وتَحسينِهِ عِندي بالتَّثبيتِ على العِصْمَةِ ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أَمِلْ إلى جانبِهنَّ أَوْ إلى أَنْفُسِهِنَّ بطَبْعِي ومُقتَضَى شَهوَتِي، والصَّبوَةُ: الميلُ إلى الهَوَى، ومنهُ: الصَّبا؛ لأنَّ النُّفوسَ تَستطيبُها وتميلُ إليهَا.

وقُرِئَ: «أَصَبُّ»[2] من الصَّبابَةِ وهي الشَّوقُ.

﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: مِن السُّفهاءِ بارتكابِ ما يَدعونَني إليهِ فإنَّ الحَكِيمَ لا يفعَلُ القَبيحَ.

أو: مِن الَّذينَ لا يَعمَلونَ بما يَعلَمُونَ فإنَّهُم والجُهَّالَ سواءٌ.

(٣٤) - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: فأجابَ اللهُ دُعاءَهُ الَّذي تَضمَّنَه قولُه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ﴾.

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبَّتَه بالعِصمَةِ حتَّى وَطَّنَ نفسَهُ على مَشَقَّةِ السِّجنِ وآثرَهَا على اللذَّةِ المُتضمِّنَةِ للعِصيانِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدُعاءِ المُلتجِئينَ إليه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالِهم وما يُصلِحُهُم.

(٣٥) - ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾: ثمَّ ظهرَ للعَزيزِ وأهلِهِ مِن بعدِ ما رَأَوا الشَّواهدَ الدالَّةَ على براءةِ يوسُفَ كشَهادَةِ الصَّبيِّ وقَدِّ القَميصِ وقَطعِ النِّساءِ أيديَهُنَّ واستعصامِهِ عَنْهُنَّ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٧) وحسنه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨) عن محمد بن السميفع.

وفاعلُ ﴿بَدَا﴾ مُضمَرٌ يفسِّرُه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وذلك لأنَّها خَدَعَتْ زوجَهَا وحَمَلَتْهُ على سَجنِهِ زمانًا حتَّى تُبصِرَ ما يكونُ منه، أو يحسبَ النَّاسُ أنَّه المجرِمُ، فلَبِثَ في السِّجنِ سبعَ سنينَ.

وقُرِئَ بالتَّاءِ[1] على أنَّ بعضَهُم خاطبَ بهِ العَزيزَ على التَّعظيمِ، أو العزيزَ ومَن يليه.

و: «عتَّى» بلغةِ هُذَيلٍ[2].

(٣٦) ـ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾؛ أي: أُدخِلَ يوسفُ السِّجنَ واتَّفقَ أنَّه أُدخِلَ حينئذٍ آخرانِ مِن عبيدِ الملكِ: شرابيُّه وخبَّازُه؛ للاتِّهامِ بأنَّهما يريدانِ أن يَسُمَّاه.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ يعني: الشَّرابيَّ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾؛ أي: في المنامِ، وهي حكايةُ حالٍ ماضيَةٍ.

﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾؛ أي: عِنبًا، وسَمَّاه بمَا يؤُولُ إليه.

﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾؛ أي: الخبَّازُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ تنهَشُ منه.

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: من الَّذينَ يُحسِنُونَ تَأويلَ الرُّؤيَا، أو: مِن العالِمِينَ، وإنَّما قالَا ذلك لأنَّهُما رأياه في السِّجنِ يُذكِّرُ النَّاسَ ويَعْبُرُ رُؤيَاهُم.

أو: مِن المُحسنينَ إلى أهلِ السِّجنِ فأحسِنْ إلينا بتأويلِ ما رَأَينا إن كُنتَ تَعرِفُه.

---

(١) أي: (لَتَسْجُنُنَّه). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٦)، عن الحسن.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٣)، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٦)، و«البحر» (١٢/ ٤٧٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: بتأويلِ ما قَصَصْتُما عليَّ، أو: بتأويلِ الطَّعامِ، يعني: بيانَ ماهِيَّتِه وكيفيَّتِه فإنَّهُ يُشبِهُ تفسيرَ المشكِلِ، كأنَّه أرادَ أَنْ يَدعُوَهُما إلى التَّوحيدِ ويُرشِدَهُما الطَّريقَ القَويمَ قبلَ أن يُسعِفَ إلى ما سألَا منه؛ كما هو طريقَةُ الأنبياءِ والنَّازلينَ مَنازِلَهُم مِن العُلماءِ في الهدايةِ والإرشادِ، فقدَّمَ ما يكونُ مُعجِزَةً لهم مِن الإخبارِ بالغيبِ ليَدُلَّهُما على صدقِهِ في الدَّعوةِ والتَّعبيرِ.

﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا﴾؛ أي ذلك التَّأويلُ ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾: بالإلهامِ والوَحيِ، وليسَ مِن قَبيلِ التَّكهُّنِ والتَّنجيمِ.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ تَعليلٌ لِمَا قبلَهُ؛ أي: عَلَّمَني ذلك لأنِّي تركتُ ملَّةَ أولئك ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

أو كلامٌ مُبتدأٌ لتَمهيدِ الدَّعوةِ وإظهارِ أنَّه مِن بيتِ النُّبوَّةِ؛ لتَقْوى رَغبَتُهُما في الاستماعِ إليه والوثوقِ عليه، ولذلك جوَّزَ للخاملِ أن يَصِفَ نفسَهُ حتَّى يُعرفَ فيُقتبَسَ مِنه.

وتكريرُ الضَّميرُ للدَّلالةِ على اختصاصِهِم، وتأكيدِ كُفرِهِم بالآخرةِ.

﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما صحَّ لنا مَعشرَ الأنبياءِ ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أيِّ شيءٍ كان.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّوحيدُ ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بالوحيِ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: وعلى سائرِ النَّاسِ ببعثِنا لإرشادِهِم وتَثبيتِهِم عليه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ المبعوثِ إليهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذا الفضلَ، فيُعرِضُونَ عنه ولا يَتنبَّهونَ.

أو: مِن فضلِ اللهِ علينا وعليهم بنَصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ، ولكنَّ أكثرَهُم لا ينظرونَ إليها ولا يَستَدِلُّونَ بها، فيُلْغونَها كمَنْ يَكفُرُ النِّعمةَ ولا يشكرُهَا.

(٣٩) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾؛ أي: يا ساكنَيهِ، أو: يا صاحبَيَّ فيه، فأضافَهُما إليه على الاتِّساعِ كقولِه: «يا سَارِقَ اللَّيلَةِ أَهْلَ الدَّارِ»[1].

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: شتَّى مُتَعَدِّدَةٌ مُتساويَةُ الأقدامِ ﴿خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: المتوحِّدُ بالأُلوهيَّةُ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: الغالِبُ الَّذي لا يُعادِلُه ولا يُقاوِمُه غيرُهُ.

(٤٠) ـ ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ خطابٌ لهما ولمَن على دينِهما مِن أَهلِ مِصرَ ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾؛ أي: إلَّا أشياءَ باعتبارِ أسامٍ أطلَقْتُم عليهَا مِن غيرِ حُجَّةٍ تَدلُّ على تحقُّقِ مُسَمَّياتِها فيها، فكأنَّكُم لا تعبدونَ إلَّا الأسماءَ المُجرَّدَةَ.

والمعنى: أنَّكُم سمَّيْتُم ما لم يدلَّ على استحقاقِهِ الأُلوهيَّةَ عَقْلٌ ولا نَقْلٌ آلهةً، ثمَّ أَخَذْتُم تَعبدُونَها باعتبارِ ما تُطلِقُونَ عليْهَا.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ في أمرِ العِبادةِ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ لأنَّه المستحِقُّ لها بالذَّاتِ مِن حَيثُ إنَّه الواجِبُ لذاتِهِ الموجِدُ للكُلِّ والمالكُ لأَمرِهِ.

﴿أَمَرَ﴾ على لسانِ أَنبيائِه ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الَّذي دلَّتْ عليهِ الحُجَجُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: الحقُّ، وأنتُمْ لا تُمَيِّزونَ المُعوجَّ عَن القَويمِ.

وهذا مِن التَّدرُّجِ في الدَّعوةِ وإلزامِ الحُجَّةِ، بيَّنَ لهم أولًا رجحانَ التَّوحيدِ على اتِّخاذِ الآلهةِ على طَريقِ الخطابةِ، ثمَّ بَرهنَ على أنَّ ما يُسمُّونَها آلهةً ويَعبدونَها لا تَستَحِقُّ الإلهيَّةَ، فإنَّ استحقاقَ العبادةِ إمَّا بالذَّاتِ وإما بالغيرِ، وكِلَا القسمينِ مُنتَفٍ

(١) قوله: «فأضافهما إليه»؛ أي: إلى السجنِ «كقوله: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ»؛ أي: فكما أن (الليلةِ) مسروقٌ فيها غيرُ مسروقةٍ، فكذلك السجنُ مصحوبٌ فيه غيرُ مصحوبٍ، وإنما المصحوبُ غيرُه، وهو يوسفُ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٩٠).

عنها، ثمَّ نَصَّ على ما هو الحقُّ القويمُ والدِّينُ المُستقيمُ الَّذي لا يَقتضي العقلُ غيرَهُ ولا يَرتضي العِلمُ دونَه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيَخبِطُونَ في جهالاَتِهم[1].

(٤١) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يعني: الشَّرابيَّ ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾ كما كانَ يَسقيهِ قبلُ، ويعودُ إلى ما كانَ عليه.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ يريدُ به الخبَّازَ ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ فقالا: كَذَبنا، فقالَ:

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: قُطِعَ الأمرُ الَّذي تَستفتيانِ فيه، وهو ما يَؤولُ إليهِ أمرُكُما ولذلك وحَّدَه، فإنَّهُما وإن استَفْتَيَا في أمرينِ لكنَّهُما أرادا استبانَةَ عاقِبَةِ ما نزَلَ بهما.

(٤٢) ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ الظَّانُّ يوسُفُ إنْ ذَكَرَ ذلك عن اجتهادٍ، وإن ذكرَهُ عَن وحيٍ فهو النَّاجي، إلَّا أن يؤوَّلَ الظنُّ باليَقينِ.

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكُرْ حالي عندَ الملكِ كي يُخلِّصَني ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾: فأَنْسَى الشَّيطانُ الشرابيَّ أن يذكرَهُ لربِّهِ، فأضافَ إليه المصدَرَ لمُلابسَتِهِ له، أو على تقديرِ: ذِكْرَ إخبارِ ربِّهِ، أو: أُنسِيَ يوسفُ ذكرَ اللهِ حتَّى استعانَ بغَيرِه، ويؤيِّدُه قولُه عليهِ السَّلامُ: «رَحِمَ اللهُ أخي يوسُفَ لو لم يَقُل: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ لَمَا لَبِثَ في السِّجنِ سبعًا بعدَ الخمسِ»[2].

---

(١) في نسخة الخيالي: «جهالتهم».

(٢) لم أجده مسنداً بهذا اللفظ، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، عن قتادة قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «لو لم يستعن يوسف على ربّه ما لبث في =

والاستعانةُ بالعبادِ في كشفِ الشَّدائدِ وإن كانَتْ مَحمودةً في الجملةِ لكنَّها لا تَليقُ بمَنصبِ الأَنبياءِ.

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضعُ: ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسعِ، مِن البَضْعِ وهو القَطعُ.

(٤٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ لَمَّا دَنا فَرَجُه رأى الملكُ سبعَ بقراتٍ سِمانٍ خرَجْنَ مِن نهرٍ يابسٍ وسبعَ بقراتٍ مَهازيلَ، فابتَلَعَت المَهازيلُ السِّمانَ.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقدَ حَبُّها ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: وسبعًا أُخَرَ يابِساتٍ قد أدركَتْ، فالتوَتِ اليابِساتُ على الخضرِ حتَّى غلَبْنَ علَيْهَا، وإنَّما استغنَى عن بيانِ حالِها بما قصَّ مِن حالِ البَقَراتِ.

= السجن طول ما لبث». ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٨) (١١٦٣٥) عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً أيضاً.

قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلًا عن كلٍّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قُبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن.

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٨) (١١٦٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦)، من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ يوسفَ لولا الكلمةُ التي قالها: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لَبِثَ في السجنِ ما لَبِثَ...» الحديث، وتعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٧٨) بسبب إدراج هذا الحديث في «صحيحه»، وقال: «إنه حديث منكر من هذا الوجه، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها».

وبنحو لفظ ابن حبان رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٤٠) من حديث ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف جدًّا كما قال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية.

وأَجْرَى السِّمانَ على المميِّزِ دونَ المُمَيَّزِ لأنَّ التَّمييزَ بها، ووصَفَ السَّبعَ الثَّانيَ بالعِجافِ لتَعذُّرِ التَّمييزِ بها مُجرَّدًا عن الموصوفِ فإنَّه لبَيانِ الجنسِ[1]، وقياسُهُ: عُجُفٌ؛ لأنَّه جمعُ عَجفاءَ لكنَّه حُمِلَ على ﴿سِمَانٍ﴾ لأنَّه نَقيضُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ عَبِّروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: إن كُنتُم عالِمينَ بعبارَةِ الرُّؤيَا، وهي: الانتقالُ مِن الصُّوَرِ الخَياليَّةِ إلى المَعاني النَّفسانيَّةِ الَّتي هي مثالُها، مِن العُبورِ وهو المجاوزَةُ، و: «عَبَرْتُ الرُّؤيا عِبارةً»، أثبتُ مِن: «عبَّرتُها تَعبيرًا»[2].

واللَّامُ للبَيانِ، أو لتقويَةِ العاملِ فإنَّ الفِعلَ لَمَّا أُخِّرَ عَن مَفعولِه ضَعُفَ فقَوِيَ باللَّامِ كاسمِ الفاعلِ، أو لتَضمُّنِ ﴿تَعْبُرُونَ﴾ مَعنى فعلٍ يُعَدَّى باللَّامِ كأنَّه قيلَ: إنْ كُنتُم تُنتَدَبُونَ لعِبارةِ الرُّؤيَا.

(٤٤) - ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾؛ أي: هذه أضغاثُ أحلامٍ وهي تَخاليطُهَا، جمعُ ضِغْثٍ، وأصلُهُ: ما جُمِعَ مِن أخلاطِ النَّباتِ وحُزِم، فاستُعيرَ للرُّؤيا الكاذبَةِ، وإنَّما جَمَعُوا للمُبالغَةِ في وَصفِ الحُلْمِ بالبُطلانِ؛ كقولِهم: «فلانٌ يركَبُ الخيلَ»، أو لتَضمُّنِهِ أشياءَ مُختلفَةً.

---

(١) قوله: «وأجرى السمان على المميِّز» بكسر الياء، وهو ﴿بَقَرَٰتٍ﴾ «دون المميَّز» بفتحها، وهو ﴿سَبْعَ﴾؛ «لأن التمييز بها»؛ أي: بالسِّمانِ من البقَراتِ، «ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها»؛ أي: بالعِجافِ «مجرداً عن الموصوف»؛ أي: وهو ﴿بَقَرَٰتٍ﴾ «فإنه»؛ أي: التمييزَ «لبيان الجنس»؛ أي: والعِجافُ وصفٌ لا يقومُ البيانُ به وحدَه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٢٩٣).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢٩٨/٤)، وفيه: و«عَبَرْتُ الرُّؤيا» بالتخفيف هو الذي اعتمده الأَثْباتُ المحقِّقون، ورأيتُهم يُنكِرون «عبَّرت» بالتشديد، و«التعبيرَ» و«المعبِّرَ»، وقد عثرتُ على بيت أنشده المبرِّد في كتاب «الكامل» لبعض الأعراب:

رأيتُ رؤيا ثم عبَّرتها وكنتُ للأحْلام عَبَّارا

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يريدون بالأحلامِ: المناماتِ الباطلةَ خاصَّةً؛ أي: ليسَ لها تأويلٌ عندنا، وإنَّما التَّأويلُ للمناماتِ الصَّادقَةِ، كأنَّه مُقدِّمَةٌ ثانيَةٌ للعذرِ في جَهلِهِم بتأويلِه.

(٤٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: مِن صاحِبَي السِّجنِ وهو الشَّرابيُّ ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: وتذكَّرَ يوسفَ بعدَ جماعةٍ مِن الزَّمانِ مُجتمِعَةٍ؛ أي: مُدَّةٍ طَويلَةٍ.

وقُرِئَ: «إِمَّةٍ» بكسرِ الهمزةِ[1] وهي النِّعمَةُ؛ أي: بعدَما أُنعمَ عليه بالنَّجاةِ.

و: «أَمَهٍ»[2]؛ أي: نسيانٍ، يُقالُ: أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهًا: إذا نَسِيَ.

والجملةُ اعتراضٌ، ومَقولُ القولِ: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾؛ أي: إلى مَن عِندَهُ عِلمُهُ، أو إلى السِّجنِ.

(٤٦) ـ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾؛ أي: فأُرسِلَ إلى يوسُفَ فجاءَ وقالَ: يا يوسُفُ، وإنَّما وصفَهُ بالصِّدِّيقِ ـ وهو المبالغُ في الصِّدقِ ـ لأنَّه جرَّبَ أحوالَهُ وعرفَ صِدقَهُ في تَأويلِ رُؤياه ورُؤيا صاحبِهِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٤)، و«الكشاف» (٤/ ٢٩٩)، عن الأشهب العقيلي.

(٢) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٤) عن ابن عباس، وابن عمر بخلاف، وعكرمة ومجاهد بخلاف عنهما، والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشُبيل بن عَزْرَة الضُّبعِي وربيعة بن عمرو وزيد بن علي.
ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٢)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواها الطبري أيضًا عن عكرمة والضحاك ومجاهد.
وذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٩٩) دون نسبة.
ورويت هذه القراءة بسكون الميم، رواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٦) عن مجاهد، وعزاها في «البحر» (١٢/ ٤٩٠) لمجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة. وخطأها الزمخشري، بينما صححها غيره وخطأ الفتح، فقد روى الهروي في «الغريبين» (مادة: أمه) عن شيخه أبي منصور الأزهري، عن المنذري، عن أبي الهيثم قال: (بعد أَمْهٍ) بجزم الميم، و(أَمَهٍ) خطأ.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾؛ أي: في رُؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: أعودُ إلى المَلكِ ومَن عِندَهُ، أو: إلى أهلِ البلدِ؛ إذ قيلَ إنَّ السِّجنَ لم يكُن فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويلَها، أو: فضلَكَ ومَكانكَ. وإنَّما لم يَبُتَّ الكلامَ فيهِمَا لأنَّه لَمْ يَكُن جازِمًا من الرُّجوعِ، فرُبَّما اختُرِمَ دونَهُ، ولا مِن عِلْمِهم بذلك.

(٤٧) ـ ﴿قال تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنينَ دَأْبًا﴾؛ أي: على عادَتِكُم المستمرَّةِ، وانتصابُهُ على الحالِ بمعنى: دائبينَ، أو المصدرِ بإضمارِ فِعلِه؛ أي: تدأبونَ دَأْبًا، وتكونُ الجُملَةُ حالًا.

وقرأَ حَفصٌ: ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة[1]، وكلاهُما مَصدرُ: دَأَبَ في العملِ.

وقيلَ: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ أمرٌ أخرجَهُ في صُورةِ الخبرِ مُبالغَةً؛ لقولِه: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلَّا يَأكُلَهُ السُّوسُ، وهو على الأوَّلِ نَصيحَةٌ خارِجَةٌ عن العبارةِ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السِّنينَ.

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: يأكلُ أهلُهُنَّ ما ادَّخَرْتُم لأَجلِهِنَّ، فأُسندَ إليهنَّ على المجازِ تَطبيقًا بين المعبَّرِ والمُعبَّرِ به.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تُحْرِزونَ لبُذورِ الزِّراعَةِ.

(٤٩) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يُمطَرونَ، مِن الغَيثِ، أو: يغاثونَ مِن القَحطِ، مِن الغوثِ ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما يُعصرُ كالعِنَبِ والزَّيتونِ لكثرةِ الثِّمارِ، وقيلَ: يَحلبونَ الضُّروعَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بالتَّاءِ[1] على تغليبِ المُستفتي.

وقُرِئَ على بناءِ المَفعولِ[2] مِن عَصَرَهُ: إذا أنجاهُ.

ويحتمِلُ أن يكونَ المبنيُّ للفاعلِ منه؛ أي: يغيثُهُم اللهُ ويغيثُ بَعضُهُم بَعْضًا، أو مِن أعصَرَت السَّحابةُ عليهم فعُدِّيَ بنَزعِ الخافضِ أو بتَضمينِهِ مَعنى المطرِ.

وهـذه بشـارةٌ بَشَّـرَهُم بهـا بعـدَ أنْ أَوَّلَ البَقـراتِ السِّـمانَ والسُّـنبلاتِ الخُضـرَ بسِـنينَ مُخصِبَـةٍ، والعجـافَ واليابِسـاتِ بسـنينَ مُجْدِبةٍ، وابتـلاعَ العجافِ للسِّـمانِ بـأكلِ مـا جُمِـعَ فـي السِّـنينَ المُخصبَـةِ فـي السِّـنينَ المُجدبـةِ، ولعلَّـه عَلِـمَ ذلـك بالوَحْـيِ، أو بـأنَّ انتهـاءَ الجَدْبِ بالخصبِ، أو بأنَّ السُّـنَّةَ الإلهيَّةَ على أن يوسِّـعَ على عِبـادِهِ بعدمـا ضيَّـقَ عليهِمْ.

(٥٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ بعد ما جاءَهُ الرَّسولُ بالتَّعبيرِ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليُخرِجَهُ ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ إنَّما تَأَنَّى في الخُروجِ وقَدَّمَ سُؤالَ النِّسوَةِ وفحصَ حالِه لتَظهَرَ براءةُ ساحَتِهِ، ويُعلَمَ أنَّه سُجِنَ ظُلْمًا، فلا يقدرَ الحاسِدُ أَنْ يَتوسَّلَ به إلى تقبيحِ أمرِهِ، وفيه دليلٌ على أنَّه يَنبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ في نَفْيِ التُّهَمِ ويتَّقِيَ مواضِعَها، وعن النَّبيِّ ﷺ: «لو كنتُ مَكانَهُ ولبثتُ في السِّجنِ ما لبثَ لأَسرَعْتُ الإجابةَ»[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) قرئ على بناء المفعول بالياء والتاء، فالياء تنسب لجعفر بن محمد والأعرج وعيسى البصرة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٤)، و«البحر» (١٢/ ٤٩٣). والتاء نسبت لعيسى البصرة. انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٧٠)، و«البحر» (١٢/ ٤٩٣).

(٣) رواه البخاري (٤٦٩٤)، ومسلم (١٥١) بلفظ: «ولو لَبِثْتُ في السجنِ طُولَ ما لبثَ يوسفُ لأجبتُ الدَّاعيَ».

وإنَّما قالَ: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾، ولم يَقُل: «فاسأَلْهُ أن يُفتِّش عَن حالِهنَّ» تَهييجًا له على البَحثِ وتَحقيقِ الحالِ، وإنَّما لم يَتعرَّضْ لسَيِّدَتِه مع ما صَنَعَتْ بهِ كرمًا ومُراعاةً للأَدبِ.

وقُرِئَ: «النُّسوَة» بضمِّ النُّونِ[1].

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ حينَ قُلْنَ لي: أَطِع مَوْلاتكَ، وفيه تَعظيمُ كَيدِهِنَّ، والاستشهادُ بعلمِ اللهِ عليه وعلى أنَّه بَريءٌ ممَّا قُذِفَ به، والوعيدُ لهنَّ على كيدِهِنَّ.

(٥١) - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ قالَ الملِكُ لَهُنَّ: ما شأنُكُنَّ، والخَطبُ: أمرٌ يَحِقُّ أن يخاطَبَ فيه صاحِبُه ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهٌ له وتَعجُّبٌ من قُدرَتِه على خلقِ عَفيفٍ مِثْلِه ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: مِن ذنبٍ.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبتَ واسْتقرَّ، مِن حَصْحَصَ البَعيرُ: إذا ألقى مَبارِكَهُ ليُناخَ، قالَ:

فحَصْحَصَ في صُمِّ الصَّفا ثَفِناتِهِ ... وناءَ بِسَلْمى نَوْءةً ثُمَّ صَمَّما[2]

أو: ظهرَ، مِن حَصَّ شَعرَه: إذا استَأْصَلَه بحيثُ ظهرَت بشرةُ رأسِه.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٥٢)، و«البحر» (١٢/ ٤٩٦)، عن أبي حيوة وأبي بكر عن عاصم.

(٢) البيت لحميد بن ثور، وهو في «ديوانه» (ص: ١٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٣٢٧)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٠)، و«الصحاح» (مادة: حصص وصمم). والضَّميرُ المُستتِرُ في حصحصَ للبعيرِ. وثَفِناتُه: مَباركُه الخمسُ المعروفَةُ. وصمُّ الصَّفا: جمعُ أصمَّ، وهوَ الصُّلبُ مِنَ الحجارَةِ، والصَّفا: الحجارَةُ، لا اسمُ موضعٍ كما تُوهِّمَ. وناءَ بمعنى: أثقلَ ونهضَ. والتَّصميمُ: المضيُّ في الأمرِ. يعني: أنّها ركبَتْ عليهِ وقامَ بها ومضى في سبيلِهِ، وألفُ (صمَّم) للإطلاقِ والإشباعِ، والمُرادُ: تحزُّنُهُ على فراقِ محبوبتِهِ. قاله الشهاب في «الحاشية».

وقُرِئَ على البناءِ للمَفعولِ[(١)].

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولِه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾.

(٥٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ قاله يوسفُ لَمَّا عادَ إليه الرَّسولُ وأخبرَهُ بكَلامِهنَّ؛ أي: ذلك التَّثبُّتُ ليعلمَ العزيزُ ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: بظهرِ الغَيبِ، وهو حالٌ مِن الفاعلِ أو المفعولِ؛ أي: لَمْ أَخُنْهُ وأَنَا غائِبٌ عنه، أو: وهو غائبٌ عني، أو ظرفٌ؛ أي: بمكانِ الغَيبِ وراءَ الأستارِ والأبوابِ المُغلقَةِ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾: لا يُنفِذُه ولا يسدِّدُه، أو: لا يهدي الخائنينَ بكَيْدِهم، فأوقعَ الفعلَ على الكيدِ مُبالغَةً.

وفيه تَعريضٌ براعيلَ في خِيانَتِها زوجَها وتَوكيدٌ لأمانَتِه، ولذلك عقَّبَه بقولِه:

(٥٣) ـ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾؛ أي: لا أُنزِّهُها؛ تنبيهًا على أنَّه لم يُرِدْ بذلك تزكيَةَ نَفسِهِ والعُجْبَ بحالِه، بَل إظهارَ ما أنعمَ اللهُ عليه من العِصمَةِ والتَّوفيقِ.

وعَن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه لَمَّا قالَ: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قالَ له جبريلُ: ولا حينَ همَمْتَ؟ فقالَ ذلك[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ مِن حَيثُ إنَّها بالطَّبعِ مائلةٌ إلى الشَّهواتِ، فتَهُمُّ بها وتَستعملُ القوى والجوارحَ في إثرِها كلَّ الأَوقاتِ.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلَّا وقتَ رحمةِ ربِّي، أو: إلَّا ما رَحِمَه اللهُ مِن النُّفوسِ فعصمَهُ مِن ذلك.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨) عن الحسن ومحمد بن معدان.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعده الزمخشري من الروايات المصنوعة. انظر كلامه في «الكشاف» (٤/ ٣٠٨).

وقيلَ: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ؛ أي: ولكن رحمةُ رَبِّي هي الَّتي تصرفُ الإساءَةَ.

وقيلَ: الآيةُ حِكايَةُ قولِ راعيلَ، والمستثنَى نفسُ يوسُفَ وأضرابِه.

قرأ قالونُ والبَزِّيُّ: ﴿بالسُّوِّ﴾ على قلبِ الهَمزَةِ واوًا ثمَّ الإدغامِ[1].

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يَغفرُ هـمَّ النَّفسِ ويرحَمُ مَن يشاءُ بالعِصمَةِ، أو: يغفِرُ للمُستَغفِرِ لذَنبه المُعترفِ على نَفسِهِ ويَرحمُهُ ما استغفرَهُ واستَرْحَمَه ممَّا ارتكبَهُ.

(٥٤) ـ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعَلْـه خالصًا لنفسِي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾؛ أي: فلَمَّا أَتَوْا بهِ فكَلَّمَه وشاهَدَ مِنهُ الرُّشدَ والدَّهاءَ[2].

﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مَكانةٍ ومَنزِلَةٍ ﴿أَمِينٌ﴾ مؤتمنٌ على كلِّ شَيءٍ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا خرجَ مِن السِّجنِ اغتَسَلَ وتَنظَّفَ ولَبِسَ ثيابًا جُدُدًا، فلمَّا دخلَ على الملِكِ قالَ: اللهمَّ إني أسأَلُكَ مِن خَيرِهِ وأَعوذُ بعِزَّتِكَ وقُدرَتِكَ مِن شَرِّهِ، ثمَّ سلَّمَ عليه ودَعا له بالعِبريَّةِ، فقالَ: ما هذا اللسانُ؟ قالَ: لِسانُ آبائي، وكانَ الملكُ يَعرِفُ سَبعينَ لِسانًا فكَلَّمَه بها، فأجابَهُ بجَميعِهَا فتَعجَّبَ مِنهُ فقالَ: أحبُّ أَنْ أَسمعَ رُؤيايَ مِنكَ، فحَكاهَا ونَعتَ له البَقَراتِ والسَّنابِلَ وأَماكِنَهَا على ما رآها، فأجلَسَهُ على السَّريرِ وفَوَّضَ إليه أَمْرَه[3].

وقيلَ: تُوفِّيَ قِطفيرُ في تلكَ اللَّيالي فنصَّبَهُ مَنصِبَهُ وزَوَّجَ منه راعيلَ، فوَجَدها عَذْراءَ، وولدَ له مِنْها إفرائيمَ ومِيْشَا[4].

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) في نسخة التفتازاني: «والذكاء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٧) عن وهب بن منبه.

(٤) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن وهب بن منبه.

(٥٥) ـ ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: وَلِّني أمرَها، والأَرْضُ: أَرْضُ مِصرَ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لها مِمَّن لا يَستَحِقُّها ﴿عَلِيمٞ﴾ بوجوهِ التَّصرُّفِ فيها، ولعلَّهُ عليهِ السَّلامُ لَمَّا رَأى أَنَّه يَستَعْمِلُه في أَمرِه لا محالةَ آثرَ ما تَعُمُّ فَوائِدُهُ وتجلُّ عَوائِدُه.

وفيهِ دَليلٌ عَلى جَوازِ طلبِ التَّولِيَةِ وإظهارِ أَنَّه مُستعِدٌّ لهَا، والتَّولِّي مِن يدِ الكافرِ إذا عُلِمَ أَنَّه لا سبيلَ إلى إقامَةِ الحقِّ وسياسَةِ الخلقِ إلَّا بالاستظهارِ بهِ.

وعَن مُجاهِدٍ: أنَّ المَلِكَ أسلمَ عَلى يَدِه[1].

(٥٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: فـي أَرضِ مِصرَ ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾: ينزلُ مِن بِلادِهَا حيثُ يَهْوَى. وقَرَأَ ابنُ كَثيرٍ: ﴿نشاءُ﴾ بالنُّونِ[2].

﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾ في الدُّنيَا والآخرَةِ ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بل نوفِّي أجورَهُم عاجِلًا وآجِلًا.

(٥٧) ـ ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ والفَواحِشَ؛ لعِظَمِه ودَوامِهِ.

(٥٨) ـ ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ رُوِيَ أَنَّه لَمَّا استَوْزرَهُ الملكُ أقامَ العدلَ واجتَهدَ في تكثيرِ الزِّراعاتِ وضبطِ الغَلَّاتِ، حتَّى دَخلَت السنونُ المُجدبَةُ وعمَّ القَحطُ مِصرَ والشَّامَ ونَواحِيَهما، وتوجَّه النَّاسُ إليه فباعَها أوَّلًا بالدَّراهمِ والدَّنانيرِ حتَّى لم يبقَ مَعَهُم شيءٌ مِنْهُما، ثمَّ بالحُليِّ والجَواهرِ، ثمَّ بالدَّوابِّ، ثمَّ بالضِّياعِ والعَقارِ، ثمَّ برِقابِهِم حتَّى استرقَّهُم جميعًا، ثمَّ عرضَ الأمرَ على الملكِ فقالَ: الرَّأيُ رَأيُكَ، فأعتقَهُم وردَّ عَليهِمْ أَمْوَالَهُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

وكانَ قَدْ أصابَ كَنْعانَ ما أَصابَ سائرَ البِلادِ، فأرسلَ يَعقوبُ بنيهِ غيرَ بنْيَامِينَ إليه للميرَةِ ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؛ أي: عرَفَهُم يوسفُ عليهِ السَّلامُ، ولم يعرفوهُ؛ لطُولِ العَهدِ، ومُفارَقَتِهِم إيَّاهُ في سنِّ الحَداثَةِ، ونِسيانِهِم إيَّاهُ، وتوهُّمِهِم أنَّه هلكَ، وبُعْدِ حالِهِ الَّتي رأوهُ عَلَيْها مِن حَالِه حينَ فارَقُوهُ، وقلَّةِ تَأمُّلِهِم في حُلاهُ مِن التَّهيُّبِ والاستعظامِ.

(٥٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: أصلَحَهُم بعُدَّتِهِم وأوقرَ رَكائِبَهُم بما جاؤُوا لأجلِهِ، والجَهازُ: ما يعدُّ مِن الأمتِعَةِ للنُّقلَةِ كعُدَدِ السَّفرِ، وما يُحملُ مِن بلدَةٍ إلى أخرى، وما تُزفُّ به المرأةُ إلى زوجِها. وقُرِئَ: «بجِهازِهِم» بالكسرِ[1].

﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ رُوِيَ أنَّه لَمَّا دَخَلُوا عليه قالَ: مَن أنتُم؟ وما أمرُكُم؟ لعلَّكُم عيونٌ، قالُوا: معاذَ اللهِ! نحنُ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شَيخٌ صِدِّيقٌ نَبيٌّ مِن الأنبياءِ اسمهُ يَعقوبُ، قالَ: كَمْ أَنْتُم؟ قالُوا: كُنَّا اثنَي عشرَ فذهبَ أَحدُنَا إلى البريَّةِ فهلكَ، قالَ: فكَمْ أنتُم هاهنا؟ قالُوا: عشرةٌ، قالَ: فأينَ الحادي عشرَ؟ قالُوا: عندَ أبينا يَتسلَّى به عَن الهالكِ، قالَ: فمَن يشهَدُ لَكُم؟ قالُوا: لا يعرفُنا هاهنا مَن يشهَدُ لنا، قالَ: فدَعُوا بعضَكُم عندي رهينةً وائتونِي بأخيكُمْ مِن أَبيكُم حتَّى أصدِّقَكُم، فاقترعُوا فأصابَتْ شمعونَ.

وقيلَ: كانَ يوسفُ يُعطِي لكلِّ نفرٍ[2] حِمْلًا، فسألوهُ حِمْلًا زائدًا لأخٍ لَهُم مِن أَبيهِم، فأعطاهُم وشَرَطَ عليهِمْ أن يأتُوهُ به ليَعلمَ صِدقَهُم.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾: أُتِمُّه ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ للضَّيفِ والمُضيفينَ لَهُم، وكانَ أحسَنَ إنزالَهُم وضِيافتَهُم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨) عن يحيى بن يعمر.

(٢) في نسخة التفتازاني: «نفس».

(٦٠) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾؛ أي: لا تقرَبُوني ولا تدخلُوا دِيارِي، وهو إمَّا نهيٌ، أو نَفيٌ مَعطوفٌ على الجزاءِ.

(٦١) ـ ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنَجْتَهِدُ في طلبِهِ مِن أَبيهِ ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك لا نَتَوانَى فيه.

(٦٢) ـ ﴿وقالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾: لغِلْمانِه الكَيَّالينَ، جمعُ فتًى. وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾[1] على جمعِ الكثرةِ ليوافِقَ قولَهُ: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ فإنَّهُ وكَّلَ بكلِّ رَحْلٍ واحِدًا يُعبِّئ فيهِ بِضاعَتَهُم الَّتي شَرَوا بها الطَّعامَ وكانَتْ نِعالًا وأدمًا، وإنَّما فعلَ ذلك توسيعًا وتَفضُّلًا عليهم، وترفُّعًا مِن أن يأخُذَ ثمنَ الطَّعامِ مِنْهُم، وخَوْفًا مِن أن لا يكونَ عندَ أَبيهِ ما يرجعونَ به.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: لعلَّهُم يَعرِفُونَ حقَّ رَدِّهَا، أو: لكَيْ يَعرِفُوهَا ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفتَحُوا أَوْعِيَتَهُم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلَّ مَعرِفتَهُم ذلك تَدعوهُم إلى الرُّجوعِ.

(٦٣) ـ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾: حُكِمَ بِمَنْعِهِ بعدَ هذا[2] إن لَمْ نذهَبْ ببنْيامِينَ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفَعِ المانعَ مِن الكيلِ ونكْتَلْ مَا نَحتاجُ إليه.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالياءِ[3] على إسنادِهِ إلى الأخِ؛ أي: يكتَلْ لنَفْسِه فينضمَّ اكتِيالُهُ إلى اكتِيالِنَا.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عَن أَنْ ينالَهُ مَكروهٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) بعدها في نسخة التفتازاني: «الرجوع».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٦٤) ـ ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ وقد قُلْتُم في يوسُفَ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ﴿فاللهُ خيرٌ حِفْظًا﴾: فأتوكَّلُ عليهِ وأفوِّضُ أمري إليه ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أَنْ يَرْحَمَني بحِفظِهِ ولا يجمعَ عليَّ مُصيبتينِ، وانتِصابُ ﴿حِفْظًا﴾ على التَّمييزِ، و﴿حَٰفِظًا﴾ على قراءةِ حمزةَ والكِسائيِّ وحَفصٍ[1] يحتملُهُ والحالَ؛ كقولِه: «للهِ دَرُّهُ فارِسًا».

وقُرِئَ: «خَيْرُ حافِظٍ» و: «خَيرُ الحافِظينَ»[2].

(٦٥) ـ ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ وقُرِئَ: «رِدَّتْ»[3] بنقلِ كسرةِ الدَّالِ المدغمةِ إلى الرَّاءِ نَقْلَها في بِيعَ وقِيلَ.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾: ماذا نطلبُ، هَلْ مِن مزيدٍ على ذلك؟ أكرَمَنا وأحسَنَ مَثوانَا وباعَ مِنَّا وردَّ علَيْنا متاعَنَا. أو: لا نطلبُ وراءَ ذلك إحسانًا.

أو: لا نبغي في القَولِ ولا نزيدُ فيما حَكَيْنَا لك مِن إحسانِه.

وقُرِئَ: «ما تَبْغِي» على الخطابِ[4]؛ أي: أيَّ شيءٍ تطلبُ وراءَ هذا مِن الإحسانِ أو من الدَّليلِ على صِدقِنَا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٣١٦)، الأولى عن الأعمش، والثانية نسبها ابن خالويه لابن مسعود. والزمخشري لأبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٥)، عن علقمة بن قيس، وزاد ابن جني نسبتها ليحيى، وهو ابن وثاب كما في «البحر» (١٢/ ٥٠٩) وزاد أبو حيان نسبتها للأعمش.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٤)، و«الكشاف» (٤/ ٣١٧)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٦٠)، و«البحر» (١٢/ ٥١٠)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ استئنافٌ مُوضِّحٌ لقَولِه: ﴿مَا نَبۡغِي﴾، ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ معطوفٌ على مَحذوفٍ؛ أي: رُدَّتْ إلَيْنَا فنَستَظْهِرُ بها ونَميرُ أهلَنا بالرُّجوعِ إلى الملكِ ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ عَن المَخاوفِ في ذَهابِنا وإيابِنا ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾: وَسْقَ بعيرٍ باستِصحابِ أَخينَا.

هـذا إذا كانَـتْ ﴿مَا﴾ استِفهامِيَّةً، فأمَّـا إذا كانَـتْ نافِيَةً احتمَلَ ذلـك، واحتمَلَ أَنْ تكـونَ الجُمَـلُ مَعطوفَـةً علـى ﴿مَا نَبۡغِي﴾؛ أي: لا نبغـي فيمـا نَقولُ ونَميـرُ أهلَنَا ونحفـظُ أخانا.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾؛ أي: مَكيلٌ قَليلٌ لا يَكفينَا، استَقَلُّوا ما كِيلَ لَهُم فأرادوا أن يُضاعِفُوهُ بالرُّجوعِ إلى الملكِ ويزدادوا إليه ما يكالُ لأَخيهِمْ.

ويجوزُ أَنْ تكونَ الإِشارَةُ إلى ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾؛ أي: ذلكَ شَيءٌ قَليلٌ لا يُضايِقُنَا فيه الملكُ ولا يَتعاظَمُهُ.

وقيـلَ: إنَّـه مِـن كلامِ يَعقـوبَ، ومعنـاه: إنَّ حِمـلَ بَعيرٍ شـيءٌ يسيرٌ لا يخاطَرُ لمثلِـهِ بالوَلَدِ.

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ﴾ إذ رأيتُ مِنْكُم ما رأيتُ ﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حتَّى تُعطوني ما أَتوثَّقُ به مِن عندِ اللهِ؛ أي: عهدًا مُؤكَّدًا بذكرِ اللهِ تَعالى ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جوابُ القَسمِ؛ إذ المعنى: حتَّى تَحْلِفُوا باللهِ لتَأْتُنَّنِي به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾: إِلَّا أَنْ تُغلَبُوا فلا تُطيقُوا ذلك، أو: إِلَّا أن تَهلِكُوا جَميعًا، وهو استثناءٌ مُفرَّغٌ من أَعَمِّ الأَحوالِ والتَّقديرُ: لتَأْتُنَّني بِهِ على كلِّ حَالٍ إِلَّا حالَ الإِحاطَةِ بكُم، أو مِن أَعمِّ العِلَلِ على أنَّ قولَه: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ على تأويلِ النَّفي؛ أي: لا تَمتَنِعُونَ مِن الإتيانِ به إِلَّا للإحاطَةِ بِكُم؛ كقولِهِم: «أَقْسَمْتُ باللهِ إِلَّا فَعَلْتَ»؛ أي: ما أَطلُبُ إِلَّا فِعلكَ.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: عهدَهُم ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ مِن طَلَبِ الموثقِ وإتيانِه ﴿وَكِيلٌ﴾ رَقيبٌ مُطَّلِعٌ.

(٦٧) ـ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لأنَّهُم كانُوا ذَوِي جَمالٍ وأُبَّهَةٍ مُشتهِرينَ في مِصرَ بالقُربَةِ والكَرامَةِ عندَ الملكِ، فخافَ عَلَيْهِم أَنْ يَدْخُلوا كوكبَةً واحِدَةً فيُعانوا، ولعلَّه لم يوصِهِم بذلك في الكرَّةِ الأُولى لأنَّهُم كانُوا مجهولينَ حينَئذٍ، أو كانَ الدَّاعي إليها خوفُه على بنْيامِينَ، وللنَّفسِ آثارٌ مِنْهَا العَينُ، والذي يدلُّ عليه قولُه عليهِ السَّلامُ في عَوْذَتِه: «اللهمَّ إنِّي أَعوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التامَّةِ مِن كلِّ هامَّةٍ وعينٍ لامَّةٍ»[1].

﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ممَّا قَضَى عليكُمْ بما أشرتُ به إليكُمْ فإنَّ الحذرَ لا يَمنَعُ القدرَ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يُصيبُكُم لا محالةَ إنْ قَضى عليكُمْ سوءًا ولا يَنفَعُكُم ذلك ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ جمعَ بينَ الحرفينِ في عَطفِ الجُملَةِ على الجملَةِ لتَقدُّمِ الصِّلةِ للاختِصاصِ[2]؛ كأنَّ الواوَ للعَطفِ والفاءَ لإفادةِ التَّسبُّبِ، فإنَّ فِعلَ الأنبياءِ سَببٌ لأَنْ يُقتَدَى بهِمْ.

(٦٨) ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾؛ أي: مِن أَبوابٍ مُتفرِّقَةٍ في البَلدِ ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ رأيُ يَعقوبَ واتِّباعُهُم له ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ممَّا

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧١)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٣٧)، والترمذي في «سننه» (٢٠٦٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٧٨)، عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُعوِّذُ الحسنَ والحُسَينَ فيقول: «أعيذُكُما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، مِن كلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِن كلِّ عينٍ لامَّةٍ».

(٢) «جمع بين الحرفين» هما الواو والفاء «في عطف الجملة على الجملة): وهي ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ «للاختصاص» علة لـ«تقدُّم الصلة». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٠٥).

قَضاهُ عليهِم كما قالَ يَعقوبُ، فسُرِّقوا، وأُخِذَ بنيامينُ بوجدانِ الصُّواعِ في رحلِه، وتَضاعفت المصيبَةُ على يَعقوبَ.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ استثناءٌ مُنقَطِعٌ؛ أي: ولكِنَّ حاجَةً في نفسِه، يعني: شَفقتَهُ عليهِمْ وحرازتَهُ مِن أَنْ يُعانوا.

﴿قَضَاهَا﴾: أظهرَها ووَصَّى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ بالوَحيِ ونصبِ الحُجَجِ، ولذلك قالَ: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ولم يَغترَّ بتَدبيرِه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سِرَّ القَدَرِ، وأنَّه لا يُغْنِي عنهُ الحَذَرُ.

(٦٩) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضَمَّ إليه بنيامينَ على الطَّعامِ، أو في المنزلِ.

رُوِيَ أنَّه أضافَهُم فأجلَسَهُم مَثنًى، فبَقِيَ بنيامينُ وَحِيدًا فبكى وقالَ: لَوْ كانَ أخي يوسفُ حَيًّا لجلسَ معي، فأجلسَهُ معه على مائدَتِه ثمَّ قالَ: لينزِلْ كلُّ اثنينِ بيتًا، وهذا لا ثانيَ له فيكونُ مَعِي، فباتَ عِندَهُ وقالَ له: أَتُحِبُّ أَنْ أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهالك؟ قالَ: مَن يَجِدُ أخًا مِثلكَ؟ ولكن لم يَلِدْكَ يعقوبُ ولا راحيلُ.

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزَنْ، افتعالٌ مِن البُؤسِ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حَقِّنَا.

(٧٠) - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: المِشْرَبَةَ ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قيلَ: كانَتْ مِشْربةً جُعِلَت صاعًا يكالُ به، وقيلَ: كانَت تُسقَى الدَّوابُّ بها ويكالُ فيها.

وكانَتْ مِن فِضَّةٍ، وقيلَ: مِن ذهبٍ.

وقُرِئَ: «وجَعَلَ»[1] على حذفِ جوابِ ﴿فَلَمَّا﴾ تقديرُه: أمهَلَهُم حتَّى انطَلَقُوا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٨) و(٢/ ٥٠)، «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٦٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مُنادٍ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ لعلَّه لَمْ يَقُلْهُ بأمرِ يوسُفَ، أو كانَتْ تَعبِئَةُ السِّقايَةِ والنِّداءُ عليهَا برِضَا بنيامينَ.

وقيلَ: معناهُ: إنَّكُم لسَارقونَ يوسُفَ مِن أَبيهِ، أو: أإنَّكُم لسَارقونَ؟

والعيرُ: القافِلَةُ، وهـو اسمُ الإبلِ الَّتي عليها الأَحمالُ لأنَّها تَعِيرُ ـ أي: تَتردَّدُ ـ فقيلَ لأصحابِها؛ كقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «يا خيلَ اللهِ اركَبِي»[1].

وقيلَ: جمعُ عَيْرٍ، وأصلُها فُعْلٌ كسُقْفٍ فُعلَ به كما فُعِلَ بـ: «بِيضٍ»[2]، تُجُوِّزَ به لقافلَةِ الحَميرِ، ثمَّ استُعيرَ لكل قافِلَةٍ.

(٧١) ـ ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أيُّ شَيءٍ ضاعَ عنْكُم[3]؟ والفقدُ: غيبَةُ الشَّيءِ عَن الحسِّ بحيثُ لا يُعرفُ مكانُه.

وقُرِئَ: «تُفقِدون»[4] مِن أَفْقَدْتُه: إذا وَجَدْتَه فَقِيدًا.

(٧٢) ـ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ قُرِئَ: «صَاعَ»، و: «صَوْعَ» بالضَّمِّ والفَتحِ والعَينِ والغَينِ، و: «صُواغَ» من الصِّياغَةِ[5].

---

(١) رواه هناد في «الزهد» (٢٥)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ١٩١)، والكلاباذي في «بحر الفوائد» (١/ ١٠١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٠٦)، من حديث أنس بن مالك.
ورواه أيضاً ابـن المبارك فـي «الجهـاد» (١٦١)، والحاكم فـي «المسـتدرك» (٣٣٨٦) من حديث أسـير بـن جابر.

(٢) قوله: «فعل به ما فُعل بـبيض»، قال في «الصحاح» (مادة: بيض): جمع الأبيض: بيضٌ، وأصله: «بُيْضٌ» بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرةً لتصح الياء.

(٣) في نسخة الخيالي: «منكم».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٣٢٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٦٤)، عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٥) انظر هذه القراءات في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٦)، =

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ من الطَّعامِ جُعلًا له ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾: كفيلٌ أُؤدِّيهِ إلى مَن رَدَّهُ.

وفيهِ دَليلٌ على جوازِ الجعالَةِ وضمانِ الجُعلِ قبلَ تَمامِ العملِ.

(٧٣) ـ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ قسمٌ فيه مَعنى التَّعجُّبِ، والتَّاءُ بدلٌ مِن البَاءِ مُختصَّةٌ باسمِ اللهِ تَعالى.

﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ استَشْهَدُوا بعِلْمِهِم على براءةِ أَنفُسِهِم لِمَا عَرَفُوا مِنْهُم في كَرَّتَيْ مَجيئِهِم ومَداخَلتِهِمْ للملكِ ممَّا يدلُّ على فَرْطِ أَمانَتِهِم؛ كردِّ البضاعَةِ الَّتي جعلَتْ في رحالِهِم، وكَعْمِ الدَّوابِّ لئلا تتناولَ زرعًا أو طعامًا لأَحدٍ.

(٧٤) ـ ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: فما جَزاءُ السَّارقِ، أو السَّرَقِ، أو الصُّوَاعِ على حذفِ المُضافِ[1] ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعاءِ البَراءَةِ.

(٧٥) ـ ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: جـزاءُ سَـرِقَتِه أخـذُ مَـن وُجِـدَ فـي رَحْلِـه واسـترقاقُهُ، هكـذا كانَ شَـرعُ يَعقـوبَ، وقولُـه: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾

= و«الكشاف» (٤/ ٣٢٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٦٤)، و«البحر» (١٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣). وتلخص مما ذكره المؤلف ست قراءات هي: (صَوْعَ الملكِ) عن أبي رجاء، و: (صُوْعَ الملك) عن عبد الله بن عون، و: (صَوْغَ الملكِ) عن زيد بن علي، و: (صُوْغَ الملك) عن يحيى بن يعمر، و: (صاعَ الملكِ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ومجاهد بخلاف. يضاف إليها (صِواع) بكسر الصاد عن أبي حيوة فتصبح سبعة، كلها من الشاذ، أما المتواتر فهي فقط: ﴿صُوَاعَ﴾ بضم الصاد وبالعين، وانظر بيان هذه القراءات ومن قرأ بكل منها مع تخريجنا لها مفصلة في حواشي «البحر».

(١) قوله: «أو السَّرَق» بفتح الراء: مصدر سرق «أو الصاع على حذف المضاف»؛ أي: سارق الصاع. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٠٨).

تقريـرٌ للحُكْـمِ وإلزامٌ لَهُ، أو خبـرُ ﴿مَن﴾ والفـاءُ لتَضَمُّنِها مَعنى الشَّـرطِ، أو جوابٌ لَهَا علـى أنَّها شَـرطِيَّةٌ.

والجُملَةُ كمَا هيَ خَبرُ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ على إقامَةِ الظَّاهرِ فيها مقامَ الضَّميرِ؛ كأنَّه قيلَ: جزاؤُهُ مَن وجدَ في رَحلِهِ فهوَ هو[1].

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالسَّرقَةِ.

(٧٦) - ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾: فبدَأَ المؤذِّنُ، وقيلَ: يوسفُ؛ لأَنَّهُم رُدُّوا إلى مِصرَ.

﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بِنْيامينَ نَفْيًا للتُّهمَةِ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾؛ أي: السِّقايَةَ، أو الصُّواعَ؛ لأنَّه يذكَّرُ ويؤنَّثُ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ وقُرِئَ: بضمِّ الواوِ، وبقلبِها همزةً[2].

﴿كذلك﴾: مثلَ ذلك الكيدِ ﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ بأنْ علَّمناه إيَّاه وأَوْحَينا بِهِ إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ ملكِ مِصرَ؛ لأنَّ دينَهُ الضَّربُ وتغريمُ ضعفِ ما أخذَ دونَ الاسترقاقِ، وهو بيانٌ للكَيدِ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يجعلَ ذلك الحكمَ حُكمَ الملكِ، فالاستثناءُ مِن أعمِّ الأَحوالِ، ويجوزُ أَنْ يكونُ مُنقَطِعًا؛ أي: لكن أَخذَهُ بمَشيئَةِ اللهِ وإذنِه.

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلمِ كمَا رَفَعْنا درجتَهُ ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ أرفَعُ درجةً منه.

---

(١) قوله: «والجملة»؛ أي: الجملةُ الشرطيةُ «كما هي»؛ أي: بجملتِها «خبر ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ - إلى - فهو هو» زاد «الكشاف»: فوضعَ الجزاءَ موضعَ هو، كما تقول لصاحبك: مَن أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه مَن يقعدُ إلى جنبه فهو هو، رجع الضمير الأول إلى مَن، والثاني إلى الأخ، ثم تقول: فهو أخوه، مقيماً للمُظْهَرِ مقامَ المُضمَر. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٢) أي: (وُعـاء) عـن الحسـن، و: (إعاء) عن سـعيد بـن جبير. انظـر: «المختصر في شـواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«المحتسـب» (١/ ٣٤٨)، و«الكشاف» (٤/ ٣٢٧).

واحتجَّ به(١) مَن زعَمَ أنَّه تَعالى عالِمٌ بذاتِه؛ إذْ لو كانَ ذا علمٍ لكانَ فوقَهُ مَن هُوَ أعلَمُ مِنه.

والجوابُ: أنَّ المرادَ: كلُّ ذي علمٍ مِن الخلقِ؛ لأنَّ الكلامَ فيهم، ولأنَّ العَليمَ هو اللهُ تَعالى، ومَعناهُ: «الذي له العلمُ البالغُ» لغةً، ولأنَّه لا فرقَ بينَهُ وبينَ قَولِنَا: «فوقَ كلِّ العُلماءِ عليمٌ»، وهوَ مَخصوصٌ(٢).

(٧٧) - ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيَامِينُ ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنونَ: يوسُفَ، قيلَ: وَرِثَت عمَّتُه مِن أَبيهَا منطقةَ إبراهيمَ، وكانَتْ تحضنُ يوسفَ وتحبُّهُ، فلمَّا شبَّ أرادَ يَعقوبُ انتزاعَهُ مِنْها، فشَدَّت المِنطَقَةَ على وسطِهِ ثمَّ أظهرَتْ ضَياعَهَا، فتُفحِّصَ عَنْها فوُجِدَت مَحزومَةً عليه، فصارَتْ أحقَّ بِهِ في حُكمِهِم(٣).

وقيلَ: كانَ لأبي أمِّهِ صنمٌ، فسرَقَهُ وكسرَهُ وألقاهُ في الجِيَفِ(٤).

وقيلَ: كانَ في البيتِ عَنَاقٌ أو دجاجةٌ فأعطى السَّائلَ(٥).

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾: أكنَّها ولَمْ يُظهِرْهَا لَهُم، والضَّميرُ للإجابَةِ، أو المقالَةِ، أو نسبةِ السَّرِقَةِ إليه.

وقيلَ: إنَّها كنايَةٌ بشَريطَةِ التَّفسيرِ، ويفسِّرُها قولُه: ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾

---

(١) قوله: «واحتج به» هم المعتزلة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣١٠).

(٢) قوله: «وهو»؛ أي: علمُهم «مخصوص»؛ أي: باللهِ تعالى. المصدر السابق.

(٣) وبقي عندها حتى ماتت. رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٨)، عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٢ - ٢٧٣) عن سعيد بن جبير وقتادة.

(٥) أي: فأعطاه العناق أو الدجاجة. وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٣) قصة الدجاجة عن سفيان بن عيينة، وقصة العناق عن كعب.

فإنَّه بدلٌ مِن «أسرَّهَا» والمعنى: ﴿قَالَ﴾ في نَفسِهِ: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: منزلةً في السَّرِقَةِ لسَرِقَتِكُم أخاكُم، أو في سُوءِ الصَّنيعِ ممَّا كُنْتُم عليه، وتَأنيثُها باعتبارِ الكلمةِ، أو الجملةِ، وفيه نَظرٌ إذ المفسَّرُ بالجُملَةِ لا يكونُ إلَّا ضَميرَ الشَّأنِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: وهو يعلَمُ أنَّ الأمرَ ليسَ كما تَصِفُونَ.

(٧٨) ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ في السنِّ، أو القَدْرِ، ذكروا له حالَهُ استِعطافًا له عليه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾: بدلَهُ، فإنَّ أباهُ ثكلانُ على أخيهِ الهالكِ مُستأنِسٌ به ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا، فأَتْمِم إِحسانَكَ، أو: مِن المُتعوِّدينَ الإحسانَ فلا تغيِّرْ عادتَكَ.

(٧٩) ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ فإِنَّ أخذَ غيرِهِ ظُلْمٌ على فَتْوَاكُم، فلَوْ أخذْنا أحدَكُم مَكانَه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ في مَذهَبِكُم هذا.

أو أن مُرادَهُ: إنَّ اللهَ أذنَ في أخذِ مَن وَجَدْنَا الصَّاعَ في رحلِهِ لِمَصلَحَتِه ورِضاه عليهِ، فلو أَخَذْتُ غيره كنتُ ظالمًا.

(٨٠) ـ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾: يَئِسُوا مِن يوسُفَ وإجابَتِهِ إيَّاهُم، وزيادةُ السِّينِ والتَّاءِ للمُبالغَةِ. وعن البزِّيِّ: ﴿استَايَسُوا﴾ بالألفِ وفتحِ الياء من غير همز، وإذا وقف حمزةُ ألقى حركةَ الهمزةِ على الياء على أصله[1].

﴿خَلَصُواْ﴾: انفرَدُوا واعتزَلُوا ﴿نَجِيًّا﴾: مُتناجينَ، وإنَّما وحدَهُ لأنَّه مَصدرٌ أو بزِنَتِه؛ كمَا قيلَ: هم صَدِيقٌ، وجمعُه: أَنْجِيَةٌ؛ كنَدِيٍّ وأَنْدِيَةٍ.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٩ ـ ١٣٠).

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السِّنِّ وهو رُوبيلُ، أو: في الرَّأْيِ وهو شَمعونُ، وقيلَ: يَهوذَا:

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عَهدًا وَثيقًا، وإنَّما جُعِلَ حَلِفُهم باللهِ موثِقًا منه لأنَّه بإذنٍ مِنْهُ وتَأكيدٍ مِن جِهَتِه.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾: ومن قبلِ هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصَّرْتُم في شَأْنِهِ، و﴿مَا﴾ مزيدَةٌ، ويجوزُ أَنْ تكونَ مَصدريَّةً في مَوقعِ النَّصبِ بالعَطفِ على مفعولِ ﴿تَعْلَمُوٓاْ﴾، ولا بأسَ بالفَصلِ بين العاطفِ والمَعطوفِ بالظَّرفِ، أو على اسمِ ﴿أَنَّ﴾، وخبرُه: ﴿فِي يُوسُفَ﴾، أو ﴿من قَبْلُ﴾.

أو الرَّفعِ بالابتداءِ، والخبرُ ﴿من قَبْلُ﴾، وفيه نظرٌ لأنَّ «قبل» إذا كانَ خبرًا أو صِلَةً لا يُقطَعُ عن الإضافَةِ حتَّى لا ينقصَ.

وأَنْ تكونَ مَوصولةً؛ أي: ما فَرَّطتُموهُ، بمَعنى: ما قَدَّمْتُموهُ في حقِّهِ مِن الجنايَةِ، ومحلُّهُ ما تَقدَّمَ.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: فلَنْ أُفارِقَ أرضَ مِصرَ ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الرُّجوعِ ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: أو يَقضِيَ لي بالخُروجِ مِنْهَا، أو بخلاصِ أَخِي مِنْهُم، أو بالمقاتلَةِ مَعَهُم لتَخليصِهِ.

رُوِيَ أَنَّهُم كَلَّمُوا العزيزَ في إطلاقِهِ فقالَ رُوبيل: أيُّها المَلِكُ! واللهِ لتَتْرُكَنَّا أو لأَصِيحَنَّ صيحَةً تَضَعُ مِنْها الحوامِلُ، ووقفَتْ شُعورُ جسدِهِ فخَرَجَتْ مِن ثيابِهِ، فقالَ يوسُفُ لابنِه: قُمْ إلى جَنبِهِ فمُسَّهُ، وكانَ بَنُو يعقوبَ إذا غَضِبَ أَحَدُهُم فمَسَّهُ الآخرُ ذهبَ غَضَبُه فقالَ رُوبيلُ: مَن هذا؟ إنَّ في هذا البلدِ لبَزْرًا مِن بَزْرِ يَعقوبَ[1].

---

(١) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) عن السدي. وظاهر أنه من الإسرائيليات.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنَّ حكمَهُ لا يكونُ إلَّا بالحقِّ.

(٨١) ـ ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ على ما شاهَدْنا مِن ظاهرِ الأَمرِ.

وقُرِئَ: «سُرِّق»[1]؛ أي: نسبَ إلى السَّرِقَةِ.

﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليهِ ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ بأَنْ رَأَيْنا أنَّ الصُّواعَ استُخرجَ مِن وِعائِه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لباطنِ الحَالِ ﴿حَٰفِظِينَ﴾ فلا نَدرِي أنَّه سَرَقَ، أو سُرِّقَ ودُسَّ الصَّاعُ في رحلِهِ.

أو: وما كنَّا للعَواقِبِ عالمينَ، فلَمْ ندرِ حينَ أَعطيناكَ المَوثِقَ أنَّه سيسرِقُ، أو أنَّكَ تصابُ به كما أُصِبْتُ بيُوسُفَ.

(٨٢) ـ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ يعنُونَ مصرَ، أو قريةً بقُربِها لَحِقَهُم المُنادِي فيها، والمَعنى: أرسِلْ إلى أهلِهَا واسْأَلْهُم عَنِ القِصَّةِ ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحابَ العيرِ الَّتي تَوَجَّهْنَا فيهِم وكُنَّا مَعَهُم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ تأكيدٌ في محلِّ القَسَمِ.

(٨٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: فَلَمَّا رَجَعُوا إلى أبيهِمْ وقالوا له ما قالَ لَهُم أَخُوهُم قالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: زَيَّنَتْ وسَهَّلَت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أَرَدْتُموهُ فقَرَّرْتُموهُ، وإلَّا فمَا أدرَى الملكَ أنَّ السَّارِقَ يؤخَذُ بسَرِقَتِه؟!

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فأَمْرِي صَبرٌ جَميلٌ، أو: فصَبرٌ جَميلٌ أجمَلُ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسُفَ وبنيامينَ وأَخيهِمَا الَّذي توقَّفَ بمِصرَ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي وحالِهِم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَدبيرِها.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٧٠)، عن ابن عباس وغيره.

(٨٤) ـ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وأعرَضَ عَنْهُم كراهَةً لِمَا صادفَ مِنْهُم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ أي: يا أسفي تَعالَ فهذا أوانُكَ، والأسفُ: أَشَدُّ الحُزنِ والحَسرَةِ، والأَلِفُ بَدَلٌ مِن ياءِ المُتكلِّمِ.

وإنَّما تَأَسَّفَ على يُوسُفَ دونَ أَخوَيْهِ والحادِثُ رزؤُهُمَا؛ لأنَّ رِزأَهُ كانَ قاعدَةَ المُصيباتِ، وكانَ غَضًّا آخِذًا بمجامِعِ قَلبِه، ولأنَّه كانَ واثِقًا بحَياتِهِمَا دونَ حَياتِهِ.

وفي الحديثِ: «لَمْ تُعطَ أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ عندَ المُصيبَةِ إلَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ»، ألا ترى إلى يَعقوبَ حين أصابَهُ ما أصابَهُ لم يَستَرْجِعْ وقالَ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾[1].

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ لكَثْرَةِ بُكائِهِ مِن الحُزنِ كأنَّ العَبرةَ مَحَقَتْ سَوادَهُما، وقيلَ: ضَعُفَ بَصَرُهُ، وقيلَ: عَمِيَ. وقُرِئَ: «مِن الحَزَنِ»[2].

وفيه دليلٌ على جوازِ التَّأَسُّفِ والبُكاءِ عندَ التَّفجُّعِ، ولعلَّ أمثالَ ذلك لا يدخلُ تحتَ التَّكليفِ، فإنَّه قَلَّ مَن يَملِكُ نَفسَهُ عندَ الشَّدائِدِ، ولقد بكَى رَسولُ اللهِ ﷺ على ولدِهِ إبراهيمَ وقالَ: «القلبُ يَجزعُ والعَينُ تدمَعُ، ولا نقولُ ما يُسخِطُ الربَّ، وإنَّا عليك يا إبراهيمُ لَمَحْزُونونَ»[3].

---

(١) رواه بهذا اللفظِ الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٧، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦٢٧)، مِن طريقِ سَعيدِ بنِ جُبيرٍ عَن ابنِ عبَّاسٍ، وفي إسناده عبد الله بن محمد بن وهب وهو متروك.
ورَواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٢٤١١) مِن هذا الوَجهِ دونِ قولِه: «ألا ترى إلى يعقوبَ..إلخ»، وفيه محمد بن خالد الطحان، وهو ضعيف كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٣٠). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٩١)، من قول سعيد بن جبير، وقال البيهقي: «رفعه بعض الضعفاء إلى ابن عباس ثم إلى النبي ﷺ».

(٢) نسبها الهذلي في «الكامل» (ص: ٥٧٧) لقتادةَ، وابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٧٢) لابن عباس ومجاهد.

(٣) رواه البخاري (٢٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥)، من حديث أنس رضي الله عنه. وفيهما: «.. ولا نقولُ إلاَّ ما يَرْضَى رَبُّنا..».

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوءٌ مِن الغَيظِ علـى أَولادِه، ممسِكٌ له في قَلبِه لا يظهِرُه، فَعِيلٌ بمَعنى مَفعولٍ كقولِه: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، مِن كَظَمَ السِّقاءَ: إذا شَدَّ على مِلْئِه، أو بمَعنى فاعلٍ كقولِه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] مِن كَظَمَ الغيظَ: إذا اجتَرَعَهُ، وأصلُهُ: كَظَمَ البَعِيرُ جِرَّتَهُ: إذا ردَّهَا في جَوفِهِ.

(٨٥) ـ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾؛ أي: لا تَفْتَأُ ولا تَزالُ تَذْكُرُه تَفَجُّعًا عليه، فحُذفَ كمَا في قَولِه:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا[1]

لأنَّه لا يَلْتَبِسُ بالإِثباتِ، فإنَّ القَسَمَ إذا لَمْ يَكُن مَعَهُ عَلامَةُ الإثباتِ كانَ عَلَى النَّفيِ.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مريضًا مُشْفِيًا على الهَلاكِ.

وقيلَ: الحَرَضُ: الَّذي أذابَهُ هَمٌّ أو مَرَضٌ.

وهُو في الأَصلِ مَصدرٌ، ولذلك لا يُؤنَّثُ ولا يُجمَعُ، والنَّعتُ بالكَسرِ كَـ«دَنَفٍ ودَنِفٍ»، وقد قُرِئَ به[2]، وبضَمَّتينِ كجُنُبٍ[3].

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: مِن الميِّتينَ.

(٨٦) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي﴾: هَمِّي الَّذي لا أقدرُ الصبرَ عليهِ، مِن البَثِّ بمَعنى النَّشرِ ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى أحدٍ مِنْكُم ومنِ غيرِكُم، فخَلُّونِي وشِكَايَتِي.

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» (ص: ١٣٧)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٤)، وعجزه:

ولو قطَّعوا رأسي لدَيكِ وأوْصَالي

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٣٤٠) دون نسبة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٣٤٠)، عن الحسن.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِن صنعِهِ ورَحمَتِه، فإنَّه لا يُخَيِّبُ داعيَهُ ولا يَدَعُ المُلتَجِئَ إليه، أو: مِنَ اللهِ بنَوْعٍ مِن الإلهامِ ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن حَياةِ يُوسفَ.

قيلَ: رأى ملكَ المَوتِ في المَنامِ فسَأَلَهُ عنه، فقالَ: هو حيٌّ.

وقيلَ: عَلِمَ مِن رُؤيَا يوسُفَ أنَّه لا يموتُ حتَّى يَخِرَّ لَهُ إِخوَتُهُ سُجَّدًا[١].

(٨٧) ـ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتَعرَّفُوا مِنْهُما وتَفحَّصُوا عَن حالِهِما، والتَّحسُّسُ: تَطَلُّبُ الإحساسِ.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: ولا تَقْنَطُوا مِن فَرَجِه وتَنفيسِه.

وقُرِئَ: «من رُوح اللهِ»[٢]؛ أي: مِن رَحمَتِه الَّتي يُحيِي بها العبادَ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ باللهِ وصِفَاتِه، فإنَّ العارِفَ لا يقنَطُ مِن رَحمَتِهِ في شيءٍ مِن الأَحوالِ.

(٨٨) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ بعدَما رَجعُوا إلى مِصرَ رَجعَةً ثانيَةً ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: شدَّةُ الجوعِ ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: رَديئَةٍ، أو: قَليلَةٍ، تُردُّ وتُدفَعُ رغبَةً عَنْهَا، مِن أَزْجَيْتُه: إذا دَفَعْتُه، ومِنْهُ: تَزْجِيَةُ الزَّمانِ.

قيلَ: كانَتْ دَراهِمَ زُيوفًا، وقيلَ: صُوفًا وسَمْنًا، وقيلَ: الصنوبرُ وحبَّةُ الخَضراءِ، وقيلَ: الأَقِطُ وسَوِيقُ المقلِ.

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾: فأتِمَّ لنا الكيلَ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بردِّ أَخِينَا، أو: بالمُسامَحَةِ وقَبولِ المُزجاةِ، أو: بالزِّيادَةِ على ما يُساوِيهَا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٩ ـ ٢١٩٠) عن النضر بن عربي.

(٢) نسبت للحسن وقتادة. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٨)، و«الكشاف» (٤/ ٣٤٢).

واختُلِفَ في أنَّ حُرمَةَ الصدقةِ تعمُّ الأَنبياءَ، أو تختصُّ بنَبِيِّنا عليهِ وعليهِم السَّلامُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أحسنَ الجَزاءِ، والتَّصدُّقُ: التَّفضُّلُ مُطلَقًا، ومِنهُ قولُه عليهِ السَّلامُ في القصرِ: «هذه صدَقَةٌ تصدَّقَ اللهُ عليكُم فاقبَلُوا صَدَقَتَهُ»[1]، لكنَّه اختَصَّ عُرْفًا بما يُبتَغى به ثوابٌ مِن اللهِ.

(٨٩) ـ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ أي: هَلْ عَلِمْتُم قُبحَهُ فتُبْتُم عَنْهُ، وفِعلُهُم بأخيهِ: إفرادُهُ عَن يوسُفَ، وإذلالُهُ حتَّى كانَ لا يَستطيعُ أَنْ يُكلِّمَهُم إلَّا بعجزٍ وذلَّةٍ.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ قُبْحَهُ فلذلكَ أَقْدَمْتُم عليهِ، أو: عاقبتَهُ، وإنَّما قالَ ذلك تَنَصُّحًا لَهُم وتَحريضًا على التَّوبَةِ، وشَفقَةً عَلَيهِم لِمَا رَأَى مِن عَجزِهِم وتَمَسْكُنِهِم، لا مُعاتَبَةً وتَثْرِيبًا.

وقيلَ: أعطَوْهُ كِتابَ يَعْقُوبَ في تَخليصِ بنْيَامِينَ، وذَكَرُوا لَهُ ما هوَ فيهِ مِن الحزنِ على فَقدِ يوسُفَ وأخيه، فقالَ لَهُم ذلكَ، وإنَّما جَهَّلَهُم لأنَّ فِعْلَهُم كان[2] فعلَ الجُهَّالِ، أو لأنَّهُم كانُوا حينئذٍ صِبْيانًا طَيَّاشينَ.

(٩٠) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ استفهامُ تَقريرٍ، ولذلك حُقِّقَ بـ«إنَّ» ودخولِ اللَّامِ عليهِ. وقرأَ ابنُ كثيرٍ على الإيجابِ[3].

---

(١) رواه مسلم (٦٨٦) من حديث عمر رضي الله عنه. وقولُهُ: (في القصرِ) أي: في شأنِ القصرِ؛ أي: قصرِ صلاةِ المسافرِ.

(٢) في نسخة الخيالي: «فعلهم ذا».

(٣) والأولى قراءة باقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

قيلَ: عرَفُوهُ برُوائِه وشَمائِلِه حينَ كَلَّمَهُم بهِ[١].

وقيلَ: تَبَسَّمَ فعَرَفُوهُ بثناياهُ.

وقيلَ: رفعَ التَّاجَ عَن رأسِه فرَأَوْا علامَةً بقَرنِهِ تُشبِهُ الشَّامَةَ البَيضاءَ، وكانَتْ لسارةَ ويَعقوبَ مِثْلُهَا.

﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾ مِن أبي وأُمِّي، ذكرَهُ تَعريفًا لنَفْسِهِ به، وتَفخيمًا لشَأْنِه، وإدخالًا له في قولِه: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾؛ أي: بالسَّلامةِ والكرامةِ.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾؛ أي: يَتَّقِ اللهَ ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البَلِيَّاتِ، أو: على الطَّاعاتِ وعَن المَعاصِي.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وَضعَ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مَوضِعَ الضَّميرِ للتَّنبيهِ عَلى أنَّ المحسِنَ مَن جمعَ بينَ التَّقوَى والصَّبرِ.

(٩١) - ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارَكَ علينَا بحُسْنِ الصُّورَةِ وكَمالِ السِّيرَةِ ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: والحالُ أنَّ شأنَنَا أنَّا كُنَّا مُذنبينَ بمَا فعَلْنَا مَعَك.

(٩٢) - ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيبَ عَلَيكُم، تفعيلٌ مِن الثَّرْبِ وهو الشَّحمُ الَّذي يغشَى الكَرِشَ للإزالةِ كالتَّجليدِ[٢]، فاستُعيرَ للتَّقريعِ الَّذي يمزِّقُ العِرْضَ ويُذهبُ ماءَ الوَجهِ.

---

(١) قوله: «روائه» بالضم؛ أي: منظره، وقوله: «به»؛ أي: بما ذُكِر من قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾ إلخ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣١٧).

(٢) قوله: «للإزالة»؛ أي: إزالة الثَّرب، أشار به إلى أن بناء التَّثريبِ للإزالة «كالتجليد»؛ أي: في أنَّ كلاً منهما للإزالة، يقال: جَلَّدتُ الشاةَ: أزَلتُ جِلْدَها، وجَلَّلتُ البعيرَ: أزلت جَلَّه، «فاستعير»؛ أي: التثريبُ «للتقريع»، وحاصل كلامه: أن التثريبَ لغةً: إزالةُ الثَّرْبِ، ثم استُعمِلَ في التقريع الذي ذكرَه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣١٨). وقال الشهاب في «الحاشية»: وجعلُوا «التَّفعِيلَ» للسَّلبِ كالتَّجليدِ بمعنى إزالَةِ الجلدِ فاستُعيرَ للَّوم؛ لأنَّ بإزالَةِ الشَّحم يبدو الهزالُ وما لا يُرضى؛ كما أنَّهُ باللَّومِ تظهرُ العيوبُ، فالجامعُ بينَهُما طريانُ النَّقصِ بعدَ الكمالِ أو إزالَةُ ما بِهِ الكمالُ والجمالُ.

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ مُتعلِّقٌ بالتَّثريبِ، أو بالمقدَّرِ للجارِّ الواقعِ خبرًا لـ﴿لَا تَثۡرِيبَ﴾، والمَعنى: لا أثرِّبُكُم اليومَ الَّذي هو مظنَّتُه، فما ظنُّكُم بسائرِ الأيَّامِ؟

أو بقولِه: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ لأنَّه صفحَ عَن جَرِيمَتِهِم حينئذٍ واعترفوا بها حينَئذٍ.

﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فإنَّه يغفرُ الصَّغائرَ والكَبائرَ ويتفضَّلُ على التَّائبِ.

ومِن كرمِ يوسفَ عليهِ السَّلامُ: أنَّهُم لَمَّا عَرَفُوه أرسَلُوا إليه وقالوا: إنَّك تَدعونَنا بالبكرةِ والعَشيِّ إلى الطَّعامِ ونحنُ نَسْتَحيي منكَ لِمَا فرطَ مِنَّا فيك، فقالَ: إنَّ أهلَ مِصرَ كانُوا ينظرونَ إليَّ بالعينِ الأُولَى ويقولون: سُبحانَ مَن بلَّغَ عَبْدًا بيعَ بعشرينَ دِرْهَمًا ما بلَغَ، ولقد شَرُفتُ بِكُم وعَظُمْتُ في عيونِهِم حيثُ عَلِمُوا أنَّكُم إِخْوَتِي وأني مِن حَفَدَةِ إبراهيمَ.

(٩٣) ـ ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾: القميصُ الَّذي كانَ عليهِ، وقيلَ: القَمِيصُ المتوارَثُ الذي كانَ في التَّعويذِ ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾؛ أي: يرجعُ بَصيرًا؛ أي: ذا بَصَرٍ ﴿وَأۡتُونِي﴾ أنتُمْ وأبي ﴿بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ بنِسائِكُم وذَرَارِيِّكُم ومَوالِيكُم.

(٩٤) ـ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ مِن مِصرَ وخَرَجَت مِن عمرانِها ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لِمَن حَضَرَهُ:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجدَهُ اللهُ ريحَ ما عَبَقَ بقَمِيصهِ مِن ريحِه حينَ أَقبَلَ به إليه يهوذَا مِن ثَمانينَ فَرْسخًا.

﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تَنْسِبونِي إلى الفَنَدِ، وهو نقصانُ عقلٍ يَحدُثُ مِن هَرَمٍ، ولذلك لا يُقالُ: عَجوزٌ مُفنَّدَةٌ؛ لأنَّ نقصانَ عَقْلِها ذاتِيٌّ.

وجوابُ «لولا» محذوفٌ تَقديرُهُ: لصَدَّقْتُموني، أو: لقُلْتُ: إنَّه قَرِيبٌ.

(٩٥) ـ ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الحاضرونَ: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابِكَ عَن الصَّوابِ قِدْمًا[1] بالإفراطِ في مَحبَّةِ يوسُفَ، وإكثارِ ذكرِهِ، وتوقُّعِ لِقائِه.

(٩٦) ـ ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا. رُوِيَ أنَّه قالَ: كمَا أَحْزَنْتُه بحَمْلِ قَميصِه المُلطَّخِ بالدَّمِ إليه فأُفرِحُه بحملِ هذا إليهِ[2].

﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: طرحَ البَشيرُ القَميصَ على وَجهِ يَعقوبَ، أو يعقوبُ نَفسُه ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾: عادَ بَصيرًا لِمَا انتعَشَ فيهِ من القوَّةِ.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن حياةِ يوسُفَ، وإنزالِ الفَرَجِ.

وقيلَ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ﴾ كلامٌ مُبتدأٌ، والمقولُ: ﴿ولا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، أو: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾.

(٩٧) ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ ومِن حَقِّ المعترِفِ بذَنبِهِ أن يُصفَحَ عنه ويُسأَلَ له المغفرةُ.

(٩٨) ـ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أخَّرَه إلى السَّحرِ، أو إلى صلاةِ اللَّيلِ، أو إلى ليلةِ الجمعةِ؛ تحرِّيًا لوقتِ الإجابَةِ، أو إلى أن يَستحِلَّ لهم مِن يوسفَ، أو يعلمَ أنَّه عفَا عنْهُم، فإنَّ عفوَ المظلومِ شَرطُ المغفرةِ، ويؤيِّدُه ما رُوِيَ: أنَّه استقبلَ القبلَةَ قائمًا يدعو، وقامَ يوسفُ خلفَهُ يؤمِّنُ، وقامُوا خلفَهُما أذلَّةً خاشِعينَ، حتَّى نزلَ جِبريلُ وقالَ: إنَّ اللهَ قَدْ أجابَ دَعْوَتَكَ في وُلْدِكَ وعقدَ مَواثِيقَهُم بعدَكَ على النُّبوَّةِ[3].

---

(١) «قِدْمًا» بكسرِ القافِ وسكونِ الدَّالِ المُهملَةِ بمعنى قديمًا. قاله الشهاب في «الحاشية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦)، عن السدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفًا. وانظر التعليق الآتي.

وهو إِنْ صَحَّ فدَليلٌ عَلى نُبوَّتِهِم[1]، وأَنَّ ما صدرَ عَنْهُم كانَ قبلَ استِنْبائِهِم.

(٩٩) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ رُوِيَ أنَّه وجَّهَ إليهِ رَواحِلَ وأَموالًا ليَتحيَّزَ[2] إليه بمَنْ مَعَه، واستَقْبَلَه يوسُفُ والملكُ بأَهلِ مِصرَ، وكانَ أولادُهُ الَّذينَ دَخَلُوا معَهُ مِصرَ اثنين وسَبعينَ رَجُلًا وامرأةً، وكانُوا حينَ خرجُوا مع مُوسَى عليهِ السَّلامُ ستَّ مئةِ ألفٍ وخمسَ مئةٍ وبضعةً وسبعينَ رجلًا سِوَى الذريَّةِ والهَرْمَى.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمَّ إليهِ أباهُ وخالَتَه واعتَنَقَهُما، نَزَّلها مَنزِلَةَ الأُمِّ تنزيلَ العمِّ منزلةَ الأبِ في قولِه: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أو لأنَّ يعقوبَ تَزوَّجَها بعدَ أُمِّهِ والرابَّةُ تُدعَى أمًّا.

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ مِن القَحْطِ وأَصنافِ المكارِه، والمشيئةُ مُتعلِّقَةٌ بالدُّخولِ المكيَّفِ بالأمنِ، والدُّخولُ الأوَّلُ كانَ في مَوضعٍ خارِجَ البلدِ حينَ استَقْبَلَهُم.

(١٠٠) ـ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ تَحِيَّةً وتكْرِمَةً، فإنَّ السُّجودَ كانَ عِندَهُم يَجْرِي مَجراها.

وقيلَ: معناهُ: خَرُّوا لأَجلِهِ سُجَّدًا للهِ شُكرًا.

وقيلَ: الضَّميرُ للهِ، والواوُ لأَبويهِ وإِخوَتِه.

والرَّفعُ مُؤخَّرٌ عَن الخُرورِ وإن قُدِّمَ لَفْظًا للاهتمامِ بتَعظيمِهِ لَهُما.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾: الَّتي رَأَيْتُها أيَّامَ الصِّبا ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى

(١) ولم يصح، فهو من رواية صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس، وقال ابن كثير عند تفسير الآية (١٠١) من هذه السورة: يزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جدًّا.

(٢) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «ليتجهز».

حَقًّا﴾: صِدْقًا ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ولم يَذْكُر الجُبَّ لِئَلَّا يكونَ تَثْرِيبًا عليهم.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: مِن البَادِيَةِ؛ لأَنَّهُم كانُوا أَصحابَ المَواشِي وأهلَ البَدوِ.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾: أفسدَ بينَنا وحرَّشَ، مِن نَزَغ الرَّائِضُ الدَّابَّةَ: إذا نخسَها وحملَها على الجَرْيِ.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾: لَطيفُ التَّدبيرِ له[1] إِذْ ما مِن صَعبٍ إلَّا وتَنْفُذُ فيه مَشيئَتُه ويتسهَّلُ دونَها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بوُجوهِ المَصالحِ والتَّدابيرِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذي يفعَلُ كلَّ شَيءٍ في وقته، وعلى وجهٍ يَقتضي الحكمةَ.

رُوِيَ أنَّ يُوسُفَ طافَ بأَبيهِ عليهِمَا السَّلامُ في خَزائِنِه، فلَمَّا أَدخَلَهُ خَزينَةَ القرطاسِ قالَ: يا بُنيَّ ما أعقَّكَ! عندكَ هذهِ القَراطيسُ وما كتبتَ إليَّ على ثمانِ مراحِلَ؟ قالَ: أمرَنِي جِبريلُ، قالَ: أوَما تسألُه؟ قالَ: أنتَ أبسَطُ مِنِّي إليه فاسأَلْه، قالَ جبريلُ: اللهُ أمرَنِي بذلك لقولِك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قالَ: فهَلَّا خِفْتَنِي[2].

(١٠١) ـ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: بعضَ الملكِ وهو ملكُ مِصرَ ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الكتب، أو الرُّؤيا، و﴿مِن﴾ أيضًا للتَّبعيضِ لأنَّه لم يؤتَ كُلَّ التَّأويلِ.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبدِعَهُما، وانتِصَابُه على أنَّه صِفَةُ المُنادَى أو مُنادًى برأسِه.

---

(١) قوله: «لطيف التدبير له»؛ أي: لما يشاءُ، واللام إن عُلِّقَت بـ(لطيف) فهو للتعليل، أو بـ(التدبير) الذي قدَّرَه فهي صلةٌ له. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٢١).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٤٥). ونسبه النسفي لبعض التفاسير المقبولة.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: ناصِـري ومُتولِّي أَمْـرِي ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِـرَةِ﴾، أو: الَّذي يَتولَّاني بالنِّعمَةِ فيهِما.

﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾: اقبِضْنِـي ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مـن آبائـي، أو: بعامَّـةِ الصَّالحيـنَ فـي الرُّتبَـةِ والكَرامـةِ.

رُوِيَ أنَّ يَعقوبَ أقامَ معَهُ أربعًا وعشرينَ سَنَةً، ثمَّ تُوفِّيَ وأَوْصى أَنْ يُدفنَ بالشَّامِ إلى جنبِ أَبيهِ، فذهبَ به ودَفَنَهُ ثَمَّةَ وعادَ، وعاشَ بعدَهُ ثلاثًا وعِشرينَ سنَةً، ثمَّ تاقَتْ نَفسُهُ إلى الملكِ المخلَّدِ فتمنَّى الموتَ، فتَوفَّاهُ اللهُ طيِّبًا طاهِرًا، فتخاصمَ أهلُ مِصرَ في مَدفَنِه حتَّى همُّوا بالقتالِ، فرأَوْا أَنْ يجعَلُوهُ في صُندوقٍ مِن مرمرٍ ويَدفنوهُ في النِّيلِ بحيثُ يمرُّ عليه الماءُ ثمَّ يَصِلُ إلى مِصرَ ليكونوا شَرَعًا[1] فيهِ، ثمَّ نقلَهُ مُوسَى إلى مدفنِ آبائِه، وكانَ عمرُه مئةً وعِشرينَ سَنةً، وقد وُلِدَ له مِن راعيلَ: إِفْرائيمُ ومَيْشَا، وهو جَدُّ يوشعَ بنِ نونٍ، ورحمةَ امرأةِ أَيُّوبَ.

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذكرَ مِن نبَأِ يوسُفَ، والخطابُ فيهِ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، وهو مُبتدأٌ، و﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ خبرانِ له ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ كالدَّليلِ عليهِما.

والمعنى: إنَّ هذا النَّبأَ غيبٌ لم تَعرِفْهُ إلَّا بالوَحيِ؛ لأنَّك لَمْ تَحضُرْ إخوةَ يُوسفَ حينَ عَزَمُوا على ما همُّوا بهِ مِن أَنْ يجعَلُوه في غيابَةِ الجبِّ وهم يمكرونَ بهِ وبأبيهِ ليُرسِلَهُ مَعَهُم، ومِن المعلومِ الَّذي لا يَخْفَى على مُكَذِّبيكَ أَنَّك ما لَقِيتَ أحدًا سمعَ ذلك فتَعلَّمْتَهُ منه، وإنَّما حُذفَ هذا الشِّقُّ استغناءً بذكرِهِ في غيرِ هذه القِصَّةِ كقولِه: ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

---

(١) «شرعًا» بفتحاتٍ بمعنى: سواء ومنه قولُهُم: أنتُم فيهِ شَرَع؛ أي: سواءٌ. قاله الشهاب في «الحاشية».

(١٠٣) ـ ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ ﴾ على إيمانِهم وبالغتَ في إظهارِ الآياتِ عليهِمْ ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ لعنادِهم وتَصميمِهِمْ على الكُفرِ.

(١٠٤) ـ ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على الإنباءِ، أو القُرآنِ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾: مِن جُعْلٍ كما يفعَلُه حمَلَةُ الأخبارِ، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ﴾: عِظَةٌ مِن اللهِ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامَّةً.

(١٠٥) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ﴾: وكم مِن آيةٍ، والمعنى: وكأيِّ عددٍ شئتَ مِن الدَّلائلِ الدَّالَّةِ على وُجودِ الصَّانعِ وحكمتهِ وكمالِ قُدرتِه وتَوحيدِه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾: على الآياتِ ويُشاهِدُونَها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ لا يَتفكَّرونَ فيها ولا يَعتَبِرونَ بها.

وقُرِئَ: «والأرضُ» بالرَّفعِ[١] على أنَّه مُبتدأٌ خبرُه: ﴿يَمُرُّونَ﴾ فيكونُ لها الضَّميرُ في ﴿عَلَيۡهَا﴾.

وبالنَّصبِ[٢] على: ويطؤونَ الأرضَ.

وقُرِئَ: «والأرضُ يَمْشونَ عَلَيْها»[٣]؛ أي: يتردَّدونَ فيها فيرونَ آثارَ الأُمَمِ الهالكةِ.

(١٠٦) ـ ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ في إقرارِهم بوجودِهِ وخالقيَّتِه ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ بعبادةِ غيرِه، أو باتِّخاذِ الأحبارِ أربابًا ونسبةِ التَّبنِّي إليهِ، أو القولِ بالنُّورِ والظُّلمَةِ، أو النَّظرِ إلى الأسبابِ، ونحو ذلك.

---

(١) نسبت لابن عباس وعكرمة وعمرو بن فائد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٩).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحتسب» (١/ ٣٤٩)، عن السدي

(٣) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٥٠)، و«الكشاف» (٤/ ٣٥٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقيلَ: الآيَةُ في مُشرِكِي مَكَّةَ[١]، وقيلَ: في المنافقينَ[٢]، وقيلَ: في أهلِ الكِتابِ[٣].

(١٠٧) ـ ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبةٌ تغشاهُم وتَشمَلُهم ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾: فجأةً مِن غيرِ سابِقَةِ عَلامَةٍ ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانِها غيرُ مُستعدِّينَ لَهَا.

(١٠٨) ـ ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني: الدَّعوةَ إلى التَّوحيدِ والإعدادَ للمَعادِ، ولذلك فسَّرَ السَّبيلَ بقولِه: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقيلَ: هو حالٌ مِن اليَاءِ.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: بيانٍ وحُجَّةٍ واضِحَةٍ غيرِ عَمْياءَ.

﴿أَنَا۠﴾ تأكيدٌ للمُستَتِرِ في ﴿أدعو﴾، أو ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ لأنَّه حالٌ منه[٤]، أو مبتدأٌ خبَرُه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ عطفٌ عليهِ[٥]، على معنى: ويَدْعو مَن اتَّبَعَني، أو: ومَن اتَّبَعَني على حجةٍ لا على هوًى[٦].

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وأنزِّهُهُ تنزيهًا مِن الشُّركاءِ.

(١٠٩) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ رَدٌّ لقَولِهِم: ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [فصلت: ١٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٢) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب... الحديث. وجويبر متروك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٧ ـ ٢٢٠٨) عن الحسن.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

(٤) «أو على بصيرة»؛ أي: أو تأكيدٌ للمستترِ في ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ «لأنه»؛ أي: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ «حال منه»؛ أي: من المستتر في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٢٥).

(٥) قوله: «عطف عليه»؛ أي: على ﴿أَنَا۠﴾. المصدر السابق.

(٦) قوله: «على معنى ويدعو من اتبعني أو: ومن اتبعني على حجة لا على هوى» من نسخة التفتازاني.

وقيلَ: مَعناه: نَفْيُ استنباءِ النِّساءِ.

﴿يُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ كما أَوحَى[١] إليكَ، ويُمَـيَّزُوا بذلكَ عَن غيرِهِم.

وقرأَ حَفْصٌ: ﴿نُوحِىٓ﴾ في كلِّ القُرآنِ، ووافقَهُ حمزَةُ والكِسائيُّ في سورَةِ الأَنبياءِ [٧]، وحمزةُ والكسائيُّ يُميلانِه على أصلِهما هنا وفي النحلِ والأوَّلِ من الأنبياء[٢].

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ لأنَّ أهلَهَا أعلَمُ وأحلَمُ مِن أهلِ البدوِ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن المُكذِّبينَ بالرُّسلِ والآياتِ فيحذَرُوا تكذيبكَ، أو: مِن المشغوفينَ بالدُّنيَا المتهالِكِينَ عَلَيْها فينقلِعُوا عن حُبِّهَا.

﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: ولدارُ الحالِ أو السَّاعةِ أو الحياةِ الآخرَةِ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ والمَعاصِيَ ﴿أفلا يَعْقِلُونَ﴾: يَستَعْمِلونَ عُقولَهُم ليَعرِفُوا أنَّها خيرٌ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ ويَعقوبُ بالتَّاءِ[٣] حَملًا على قولِه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾؛ أي: قُل لَهُم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

(١١٠) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ غايةُ مَحذوفٍ دلَّ عليهِ الكَلامُ؛ أي: لا يغرُرْهُم تَمادِي أَيَّامِهِم فإنَّ مَن قبلَهُم أُمهِلُوا حتَّى أَيِسَ الرُّسُلُ عَن النَّصرِ عَلَيْهِم في الدُّنيَا، أو عن إيمانِهِم لانهِمَاكِهِم في الكُفرِ مُتَرَفِّهِينَ مُتَمَادينَ فيهِ مِن غيرِ وازِعٍ.

---

(١) في نسخة التفتازاني والخيالي: «كما يوحى».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠). وعبارة: «وحمزة والكسائي يميلانه على أصلهما هنا وفي النحل والأول من الأنبياء» من نسخة التفتازاني.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧).

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾؛ أي: كَذَبَتْهُم أَنْفُسُهُم حين حَدَّثَتْهُم بأَنَّهُم يُنصَرُونَ، أو كَذَّبَهُم القَوْمُ بوعدِ الإيمانِ.

وقيلَ: الضَّميرُ للمُرسلِ إليهِمْ؛ أي: وظنَّ المُرسَلُ إليهِمْ أنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبوهُم بالدَّعوةِ والوَعيدِ.

وقيلَ: الأوَّلُ للمرسلِ إليهِمْ، والثَّاني للرُّسُلِ؛ أي: وظَنُّوا أنَّ الرُّسُلَ قَدْ كُذِبُوا وأُخْلِفُوا فيما وُعِدَ لهم من النَّصرِ، وخُلِّطَ الأمرُ عليهِم.

وما رُوِيَ عَن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الرُّسُلَ ظَنُّوا أَنَّهُم أُخْلِفُوا ما وعدَهُم اللهُ مِن النَّصرِ، إنْ صَحَّ[١] فقَدْ أرادَ بالظنِّ ما يَهْجِسُ في القلبِ على طريقِ الوَسْوَسَةِ.

هذا، وأن المرادَ بِهِ[٢] المُبالغَةُ في التَّراخي والإِمهالِ على سبيلِ التَّمثيلِ.

وقرأَ غيرُ الكُوفِيِّينَ بالتَّشديدِ[٣]؛ أي: وظَنَّ الرُّسُلُ أنَّ القومَ قَد كذَّبوهُمْ فيمَا أَوْعَدوهُم[٤].

---

(١) بل صح فقد رواه البخاري (٤٥٢٤ ـ ٤٥٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٣).

(٢) قولُـهُ: «هـذا وأنَّ المُـرادَ...»؛ أي: الأمـر هـذا، أو: مضى هـذا، وهوَ توجيـهٌ آخرُ لكلامِ ابـنِ عبَّاسٍ رضـيَ اللهُ عنهُمـا بأنَّ المُـرادَ بظنِّهم كـذبَ النَّفسِ فـي حديثِها: المُبالغَـةُ في التَّراخي وطـولِ المدَّةِ علـى طريـقِ التَّمثيـلِ؛ أي: الاسـتعارَةِ التَّمثيليَّةِ بأن شـبَّهَ المُبالغَةَ فـي التَّراخي بظنِّ الكـذبِ باعتبارِ اسـتلزامِ كلٍّ منهُمـا لعـدمِ ترتُّـبِ المطلـوبِ فاسـتعملَ مـا لأحدِهِمـا للآخـرِ. قالـه الشـهاب فـي «الحاشية».

(٣) قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٤) يعني: في هذا الوجهِ الضَّمائرُ للرُّسلِ، و«ما» في «ما أوعدُوهُم» مصدريَّةٌ؛ أي: في إيعادِ الرُّسلِ المُرسَلَ إليهِم. قاله الشهاب في «الحاشية».

وقُرِئَ: «كَذَبُوا» بالتَّخفيفِ وبناءِ الفاعلِ[١]؛ أي: وظَنُّوا أَنَّهم قد كَذَبُوا فيما حَدَّثُوا به عندَ قومِهِم لَمَّا تراخَى عَنْهُم ولم يَرَوْا له أثرًا[٢].

﴿جاءهُم نَصْرُنا فنُنْجِي مَنْ نَشاء﴾: النبيَّ والمُؤمنينَ، وإنَّما لم يُعَيِّنْهُم للدَّلالةِ على أنَّهُم الَّذينَ يَستأهلونَ أن يشاءَ نجاتَهُم لا يشاركُهم فيه غيرُهُم.

وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ ويَعقوبُ على لفظِ الماضي المبنيِّ للمَفعولِ[٣].

وقُرِئَ: «فنَجَا»[٤].

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزلَ بهم، وفيه بيانُ المُستثنَينَ.

(١١١) - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ في قصصِ الأنبيَاءِ وأُمَمِهِم، أو في قِصَّةِ يوسُفَ وإِخْوَتِه ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لذَوِي العُقُولِ المُبرَّأَةِ مِن[٥] شوائبِ الإلفِ والرُّكونِ إلى الحسِّ.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: ما كانَ القُرآنُ حَدِيثًا يُفْتَرى ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِن الكُتبِ الإلهيَّةِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاجُ إليهِ في الدِّينِ؛ إذ ما مِن أَمْرٍ دينيٍّ إلَّا ولَهُ سَنَدٌ مِن القُرآنِ بوسَطٍ أو بغيرِ وَسطٍ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٠)، عن مجاهد، وزاد ابن جني نسبتها لابن عباس والضحاك.

(٢) أي: وظَنَّ الرسل أنهم قد كَذَبوا فيما حَدَّثوا به قومَهم من النُّصرة: إمَّا على تأويل ابن عباس رضي الله عنهما، وإمَّا على أن قومهم إذا لم يَرَوا لموعدهم أثرًا قالوا لهم: إنكم قد كذَبْتُمونا، فيكونون كاذبين عند قومهم. أو: وظنَّ المرسَلُ إليهم أن الرُّسل قد كذَبوا. انظر: «الكشاف» (٤/ ٣٦٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠)، و«النشر» (٢/ ٢٩٦).

(٤) نسبت لمجاهد وابن محيصن والحسن ونصر بن عاصم وغيرهم. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٠٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٨٩)، و«البحر» (١٢/ ٥٨٤).

(٥) في نسخة التفتازاني: «عن».

﴿وَهُدًى﴾ مِـن الضَّـلالِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ يُنـالُ بهـا خيـرُ الدَّارَيْـنِ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَـهُ.

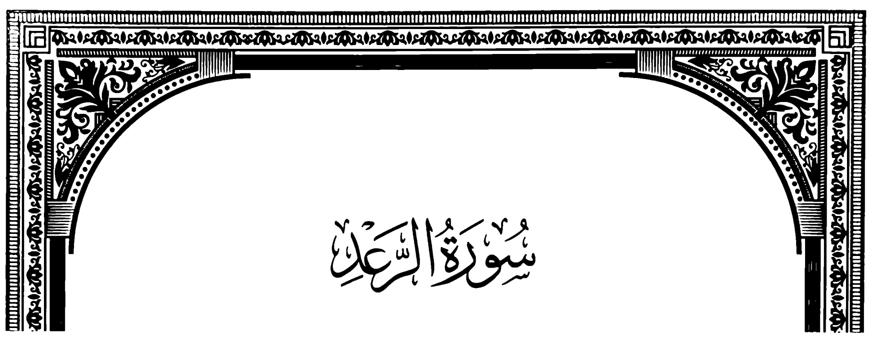
وعـن النَّبـيِّ ﷺ: «عَلِّمُـوا أَرِقَّاءَكُـم سـورةَ يوسـفَ، فإنَّـه أيُّمـا مُسـلمٍ تَلاهـا وعَلَّمَهـا أهلَـهُ ومـا ملكَـتْ يمينُه هوَّنَ اللهُ عليه سـكراتِ المـوتِ، وأعطـاهُ القوَّةَ أن لا يَحسُدَ مُسـلِمًا»[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٩٩)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ الرَّعۡدِ



سُورَةُ الرَّعْدِ

مَدَنِيَّةٌ، وقيل: مَكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية[1]

وآيُها خَمْسٌ وأَرْبعونَ[2]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓمٓر﴾ قيل: معناه: أنا اللهُ أعلَمُ وأَرى[3].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني بالكتابِ: السُّورَةَ، و﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى آياتِها؛ أي: تلكَ الآياتُ آياتُ السُّورَةِ الكامِلَةِ. أو: القُرآنَ[4].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٧٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس مع استثناء آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾. وذكر الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٩) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنها مكية ولم يستثن. وهكذا رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٩)، وفيه: «وهي أربعون وثلاث آيات في الكوفي وأربع في المدنيين والمكي وخمس بَصري وسبع شامي، اختلافها خمس آيات..».

(٣) رواه الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٧٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿الٓر﴾: أنا الله أعلم.

(٤) قوله: «أو القرآنَ» بالنصب عطف على (السورةَ) في قوله: «يعني بالكتاب: السورةَ»؛ فالمعنى آيات هذهِ السُّورة آيات القرآن.

﴿وَالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هو القرآنُ كلُّهُ، ومحلُّهُ الجَرُّ بالعطفِ على ﴿الْكِتَابِ﴾ عَطْفَ العامِّ على الخاصِّ، أو إِحْدَى الصِّفَتينِ على الأخرى[1]، أو الرَّفعُ بالابتداءِ وخبرُه: ﴿الْحَقُّ﴾.

والجملَةُ كالحُجَّةِ على الجُمْلَةِ الأُولى، وتَعريفُ الخبرِ وإنْ دلَّ على اختصاصِ المنزلِ بكونهِ حقًّا فهو أعَمُّ مِن المنزلِ صَرِيحًا أو ضِمْنًا، كالمثبَتِ بالقِياسِ وغيرِه ممَّا نطقَ المنزَلُ بحُسنِ اتِّباعِه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإخلالِهم بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ فيه.

(٢) ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ مبتدأٌ وخَبرٌ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الموصولُ صِفَةً والخبرُ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: أساطينَ، جمعُ عِمادٍ، كإِهَابٍ وأَهَبٍ، أو عَمُودٍ، كأَدِيمٍ وأَدَمٍ[2]. وقُرِئَ (عُمُد) كرُسُلٍ[3].

﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفةٌ لـ﴿عَمَدٍ﴾، أو استئنافٌ للاستشهادِ برُؤيَتِهم السَّماواتِ كذلك، وهو دَليلٌ على وجودِ الصَّانعِ الحَكيمِ، فإنَّ ارتفاعَهَا على سائرِ الأجسامِ المُساوِيَةِ لها في حقيقةِ الجِرْميَّةِ، واختصاصَها بما يَقتَضِي ذلك، لا بدَّ وأَنْ يكونَ بمُخصِّصٍ

---

(١) في نسخة الخيالي: «أو أحد الوصفين على الآخر».

(٢) قوله: «كأَدِيمٍ وأَدَمٍ» قال ابن التمجيد: هذا لا يناسب الممثل؛ فإن العمود ليس على صيغة الأديم. وقال القونوي: شبهه بأديم لأن فعولاً كعمود وفعيلاً كأديمٍ يشتركان في الأحكام، ولا يخفى ما فيه من التشويش والاضطراب...إلى آخر ما قال. انظر: «حاشية ابن التمجيد» مع «حاشية القونوي» (١٠/ ٤٤٧).

(٣) انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٧) عن أبي حيوة، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٩١) عن يحيى بن وثاب، و«البحر» (١٣/ ١٢) عنهما.

ليسَ بجسمٍ ولا جسمانيٍّ يرجِّح بعضَ المُمكِناتِ على بعضٍ بإرادَتِه، وعلى هذا المنهاجِ سائرُ ما ذُكرَ مِن الآياتِ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بالحفظِ والتَّدبيرِ.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: ذلَّلَهما لِمَا أرادَ مِنْهُما، كالحركةِ المُستمرَّةِ على حدٍّ مِن السُّرعةِ ينفعُ في حُدوثِ الكائناتِ وبَقائِها.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لِمُدَّةٍ مُعيَّنَةٍ يُتِمُّ فيها أدوارَهُ، أو لغايةٍ مضروبةٍ ينقطِعُ دونَها سَيْرُه، وهي ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ٢].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمرَ مَلَكوتِه مِن الإيجادِ والإعدامِ والإحياءِ والإماتَةِ وغيرِ ذلك.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ﴾: يُنَزِّلُها ويُبَيِّنُها مُفصَّلَةً، أو: يحدِثُ الدَّلائلَ واحدًا بعدَ واحدٍ.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تَتفكَّروا فيها وتَتحقَّقُوا كمالَ قُدرَتِه، فتعلَمُوا أنَّ مَن قَدَرَ على خلقِ هذه الأشياءِ وتدبيرِها قَدَرَ على الإعادةِ والجزاءِ.

(٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسَطَها طولًا وعرضًا لتثبُتَ عليها الأقدامُ ويَنقَلِبَ عليها الحيوانُ.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا ثوابِتَ، مِن رَسَا الشَّيءُ: إذا ثَبتَ، جمع راسِيَةٍ، والتَّاءُ للتَّأنيثِ على أنَّها صِفةُ أَجْبُلٍ، أو للمُبالغةِ.

﴿وَأَنْهَـٰرًا﴾ ضمَّها إلى الجبالِ وعلَّقَ بهما فعلًا واحدًا من حيثُ إنَّ الجبالَ أسبابٌ لتولُّدِها.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ أي: وجعلَ فيها مِن جميعِ أنواعِ الثَّمراتِ صنفينِ اثنينِ كالحلوِ والحامضِ، والأَسودِ والأبيضِ، والصَّغيرِ والكبيرِ.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يُلْبِسُهُ مكانَهُ فيصيرُ الجوُّ مُظلِمًا بعدَما كانَ مضيئًا.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ: ﴿يُغَشِّي﴾ بالتَّشديدِ[١].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فإنَّ تَكوُّنَها وتخصيصَها[٢] بوجهٍ دونَ وَجهٍ دليلٌ على وجودِ صانعٍ حَكيمٍ دبَّرَ أمرَها وهيَّأَ أسبابَها[٣].

(٤) ـ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ بعضُها طَيِّبَةٌ وبعضُها سَبْخَةٌ، وبعضُها رِخْوَةٌ وبعضُها صُلبَةٌ، وبعضُها يَصلُحُ للزرعِ دونَ الشَّجرِ وبعضُها بالعَكسِ، ولولا تَخصيصُ قادرٍ مُوقعٍ لأفعالِه على وَجهٍ دونَ وجهٍ لم تَكُن كذلكَ؛ لاشتراكِ تلك القِطَعِ في الطَّبيعةِ الأرضيَّةِ وما يلزَمُها ويَعْرِضُ لها بتوسُّطِ ما يَعْرِضُ مِن الأَسبابِ السَّماويَّةِ مِن حيثُ إنَّها مُتضامَّةٌ متشاركةٌ في النِّسَبِ والأَوضاعِ.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وزرعٍ ونخيلٍ﴾: وبَساتينُ فيها أنواعُ الأَشجارِ والزُّروعِ، وتَوحيدُ الزَّرعِ لأنَّه مَصدَرٌ في أَصلِه.

وقرأَ ابنُ كثيرٌ وأبو عمرٍو ويَعقوبُ وحَفصٌ: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ بالرَّفع[٤] عطفًا على ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٢) في نسخة التفتازاني: «وتخصصها».

(٣) قال الفخر الرازي: إنَّه تَعالى في غالبِ الأَمرِ يذكرُ الدَّلائلَ المَوجودةَ في العالمِ السُّفليِّ ويجعلُ مَقطعَها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أو ما يقربُ منه. والسَّببُ فيه أنَّ الفلاسفَةَ يُسنِدونَ حوادِثَ العالمِ السُّفليِّ إلى الاختلافاتِ الواقعةِ في الأشكالِ الكوكبيَّةِ، فأرادَ اللهُ ردَّ ذلك فقال: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني: مَن أمعَنَ الفِكرَ عَلِمَ أنَّه لا يجوزُ أن يكونَ حدوثُ الحوادثِ لأجلِ الاتِّصالاتِ الفلكيَّةِ، ومن ثم عقَّبَ هذا الإرشادَ بقولِه: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ الآية.
ثم قال: ومَن تأمَّلَ في هذه اللَّطائفِ ووقفَ على دقائقِها عَلِمَ أنَّ هذا الكتابَ الكريمَ اشتملَ على علومِ الأوَّلينَ والآخرينَ. انظر: «تفسير الرازي» (١٩/ ٧ ـ ٨).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٣١)، و«النشر» (٢/ ٢٩٧).

﴿صِنْوَانٌ﴾: نخلاتٌ أصلُها واحدٌ ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: ومُتفرِّقاتٌ مختلفةُ الأُصولِ، وقرأَ حَفصٌ بالضمِّ[1]، وهو لغةُ تميمٍ كقُنْوانٍ في جمعِ قِنْوٍ.

﴿تُسْقَى بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾: في الثَّمرِ شَكلًا وقَدْرًا ورائحةً وطَعْمًا، وذلك أيضًا ممَّا يدلُّ على الصَّانعِ الحَكيمِ، فإن اختلافَها مع اتِّحادِ الأُصولِ والأَسبابِ لا يكونُ إلا بتَخصيصِ قادرٍ مُختارٍ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ ويَعقوبُ: ﴿يُسْقَىٰ﴾ بالتَّذكيرِ[2] على تأويلِ ما ذكرَ.

وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿يُفَضِّلُ﴾ بالياءِ ليطابقَ قولَه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يَستعملونَ عُقولَهُم بالتَّفكُّرِ.

(٥) ـ ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمَّدُ مِن إنكارِهِم البعثَ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ حقيقٌ بأن يُتَعجَّبَ منه، فإنَّ مَن قدَرَ على إنشاءِ ما قُصَّ عليك كانت الإعادَةُ أيسرَ شيءٍ عليه، والآياتُ المَعدودَةُ كمَا هيَ دالَّةٌ على وُجودِ المبدأِ فهيَ دالَّةٌ على إمكانِ الإعادَةِ مِن حيثُ إنَّها تدلُّ على كمالِ قُدرَتِه وقَبولِ الموادِّ لأنواعِ تَصرُّفاتِه.

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿قَوْلُهُمْ﴾[3]، أو مَفعولٌ له والعامِلُ في (إذا) محذوفٌ دلَّ عليه ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ لأنَّهُم كفرُوا بقدرتِهِ على البَعثِ.

---

(١) أي بضم الصاد من (صنوان)، وهي قراءة شاذة، ونسبت أيضاً لأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحتسب» (١/ ٣٥١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٣١).

(٣) قال أبو حيَّان في «البحر» (١٤/ ٢٨): هذا إعرابٌ متكلَّفٌ وعدولٌ عن الظَّاهرِ، والظاهِرُ أَنَّ ﴿أَءِذَا﴾ مَعمولٌ لـ﴿قَوْلُهُمْ﴾ مُحلًّى به.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ﴾ مُقيَّدونَ بالضَّلالِ[١] لا يُرْجَى خَلاصُهُم، أو: يُغَلُّونَ يومَ القيامَةِ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يُنقلونَ عنها. وتوسيطُ الفَصلِ لتَخصيصِ الخُلودِ بالكُفَّارِ.

(٦) ـ ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: بالعُقوبَةِ قبلَ العافيَةِ، وذلك أَنَّهُم استَعجَلُوا بما هُدِّدُوا بهِ مِن عذابِ الدُّنيا استهزاءً.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾: عقوباتُ أمثالِهم مِن المُكذِّبينَ، فما لَهُم لَمْ يَعتَبِرُوا بها ولم يُجَوِّزُوا حلولَ مِثلِهَا عَلَيهِم؟ و(المثلَةُ) بضمِّ الثَّاءِ وفَتحِهَا ـ كالصَّدُقَةِ والصَّدَقَةِ ـ العُقوبَةُ؛ لأَنَّها مِثْلُ المعاقَبِ عليه، ومنه: المِثالُ للقِصاصِ، وأَمْثَلْتُ الرَّجُلَ مِن صاحبِهِ: إذا اقتَصَصْتَهُ منه.

وقُرِئَ: (المَثْلات) بالتَّخفيفِ، و: (المُثُلات) بإتباعِ الفاءِ العينَ، و: (المُثْلات) بالتخفيفِ بعدَ الإتباعِ[٢]، و(المُثَلات) بفتحِ الثَّاءِ[٣] على أَنَّها جمعُ مُثْلة كرُكْبَة ورُكَبَاتٍ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾: مع ظُلْمِهم أَنفُسَهُم، ومحلُّهُ النَّصبُ على الحَالِ، والعامِلُ فيه المَغفِرَةُ[٤]، والتَّقييدُ بهِ دَليلُ جوازِ العَفْوِ قبلَ التَّوبَةِ، فإنَّ التَّائبَ ليسَ على ظُلمِه، ومَن مَنعَ ذلك خَصَّ الظُّلمَ بالصَّغائرِ المُكفَّرَةِ لِمُجتنبِ الكَبائرِ، أو أَوَّلَ المَغفِرَةَ بالسَّترِ والإمْهالِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «بالضلالة».

(٢) انظر هذه القراءات مع من قرأ بها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٣٧٣) دون نسبة وعنه نقل المصنف جميع هذه القراءات.

(٤) أي: الجارُّ والمجرورُ حالٌ مِن النَّاسِ، والعامل فيها هو العامل في صاحبِهِ، وهوَ المغفرَة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ للكُفَّارِ، أَوْ لِمَن شاءَ.

وعن النبيِّ ﷺ: «لولا عَفْوُ اللهِ وتَجاوزُهُ ما هنأَ أحدًا العَيشُ، ولولا وَعيدُه وعِقابُه لاتَّكلَ كلُّ أحدٍ»[1].

(٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لعدمِ اعتدادِهِم بالآياتِ المنزلةِ عليه، واقتراحًا لنحوِ ما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُرسَلٌ للإنذارِ كغَيرِكَ مِن الرُّسلِ، وما عليك إلا الإِتيانُ بما تَصِحُّ به نبوَّتُكَ مِن جنسِ المُعجِزاتِ لا بما يُقترَحُ عليك.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبيٌّ مَخصوصٌ بمُعجِزَاتٍ مِن جنسِ ما هوَ الغالِبُ علَيْهِم يَهديهِمْ إلى الحقِّ ويَدعوهُمْ إلى الصَّوابِ، أو: قادرٌ على هِدايَتِهِم وهوَ اللهُ تعالى، لكنْ لا يَهدي إلَّا مَن يَشاءُ هِدايَتَهُ بما ينزلُ مِن الآياتِ. ثمَّ أردفَ ذلك بما يَدُلُّ على كمالِ عِلْمِه وقُدرَتِه وشُمولِ قَضائِه وقَدَرِه تنبيهًا على أنَّه تعالى قادِرٌ على إنزالِ ما اقترَحُوه، وإنَّما لم يُنزِلْ لعلمِه بأنَّ اقتراحَهُم للعنادِ دون الاسترشادِ، وأنه قادِرٌ على هِدايَتِهِم، وإنَّما لم يَهدِهِم لسَبقِ قَضائِه عليهم بالكُفرِ فقال:

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾؛ أي: حَمْلَها، أو: ما تحمِلُه أنَّه على أيِّ حالٍ مِن الأحوالِ الحاضرةِ والمُترقَّبةِ ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾: وما تنقصُهُ وما تزدادُه في الجُثَّةِ والمدَّةِ والعَدَدِ.

وأقصى مُدَّةِ الحملِ أربعُ سنينَ عِندَنا، وخمسٌ عندَ مالكٍ، وسَنتانِ عندَ أبي حنيفةَ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢١٤٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٦) عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ مرسلاً.

رُوِيَ أن الضَّحَّاكَ ولدَ لسَنَتينِ[١]، وهَرِمَ بنَ حيَّانَ لأربعِ سنينَ[٢]، وأعلى عددِه لا حدَّ له.

وقيل: نهايَةُ ما عُرفَ أربعَةٌ، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ، وقال الشَّافعي: أخبرَني شيخٌ باليَمَنِ: أنَّ امرأتَهُ ولدَت بطونًا في كلِّ بطنٍ خمسَةٌ.

وقيل: المرادُ: نقصانُ دَمِ الحيضِ وازدِيادُهُ.

و(غاضَ) جاءَ مُتعدِّيًا ولازمًا، وكذا (ازدادَ)، قال تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥]، فإنْ جَعَلْتَهُما لازِمَيْنِ تعيَّنَ ﴿مَا﴾ أن تكونَ مَصدَرِيَّةً[٣]، وإسنادُهُما إلى الأرحامِ على المجازِ، فإنَّهُما للهِ أو لِمَا فيها.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾: بقَدَرٍ لا يُجاوِزُهُ ولا ينقصُ عنه، كقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾، فإنَّه تَعالى خصَّ كلَّ حادثٍ بوَقتٍ وحالٍ مُعيَّنينِ، وهيَّأَ له أَسبابًا مَسُوقةً إليه تَقتَضي ذلك.

وقرأ ابنُ كثير: ﴿هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، و﴿وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، و﴿وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] بالتنوينِ في الوصلِ، فإذا وقفَ وقفَ بالياءِ في هذه الأحرف الأربعةِ حيثُ وقعت لا غيرُ، والباقون يَصِلُونَ بالتنوينِ ويقِفُونَ بغيرِ ياءٍ[٤].

(٩) - ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: الغائبِ عَن الحسِّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: الحاضرِ له.

﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: العَظيمُ الشَّأنِ الذي لا يَخرجُ عَن علمِه شيءٌ.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٠٠) عن الضحاك.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩) عن حماد بن سلمة.

(٣) كذا في جميع النسخ، قال الخفاجي: وفي نسخةٍ: (تعين أن تكونَ «ما» مصدريَّة)، وهي أحسن.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٣).

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: المُستَعلي على كلِّ شَيءٍ بقُدرَتِه، أو الذي كبرَ عَن نَعتِ المَخلوقينَ وتعالى عنه.

(١٠) ـ ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ في نفسِه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ لغيرِه.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: طالبٌ للخَفاءِ في مُختبَأٍ بالليلِ.

﴿وَسَارِبٌۢ﴾: بارزٌ ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ يراهُ كلُّ أحدٍ، مِن سَرَبَ سُروبًا: إذا برزَ، وهو عطفٌ على ﴿مَن﴾، أو ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾ على أنَّ ﴿مَن﴾ في مَعنى الاثنين، كقولِه:

نَكُـنْ مِثْـلَ مَن يـا ذِئْـبُ يَصْطَحِبَانِ[١]

كأنَّه قال: سواءٌ مِنْكُم اثنانِ: مُستخفٍ بالليلِ وسارِبٌ بالنَّهارِ.

والآيةُ مُتَّصلَةٌ بما قبلَها مُقرِّرَةٌ لكمالِ علمِه وشُمولِه.

(١١) ـ ﴿لَهُۥ﴾: لِمَـن أَسَـرَّ أو جَهَرَ، واسـتَخْفَى أو سـربَ ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ ملائكةٌ تَعْتَقِبُ فـي حِفظِـه، جمـعُ مُعَقِّبَـةٍ، مِـن عَقَّـبَ مُبالَغَـةُ عَقَبَـه: إذا جـاءَ علـى عَقِبـه، كأنَّ بعضَهُـم يعقُـبُ بعضًـا، أو لأنَّهُـم يعقُبـونَ أقوالَهُ وأفعالَـهُ فيَكتبونَـه، أو اعتقبَ، فأُدغِمَـت التَّـاءُ في القـافِ[٢].

---

(١) هو للفرزدق من شعر مشهور ذكر فيهِ ذئباً لقيهِ بفلاةٍ فصحبه وأضافه، وأوَّلُه:

تَعَـشَّ فـإنْ عاهَدْتَنِـي لا تَخُونُنِـي

انظـر: «ديـوان الفـرزدق» (٢/ ٣٢٩)، و«الكتـاب» لسـيبويه (٢/ ٤١٦)، و«الكامـل» للمبـرد (١/ ٢٨٩).

(٢) تبعَ فيهِ الزمخشريَّ في «الكشاف»، وقد اتَّفقُوا على ردِّهِ بأنَّ التَّاء لا تدغم في القافِ من كلمَة، أو كلمتينِ، وقد قالَ أهل التَّصريف إنَّ القافَ والكاف كلّ منهما لا يدغم في الآخر، ولا يدغمان في غيرِهما. «حاشية الخفاجي». وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٣/ ٤٣).

والتَّاءِ للمُبالغةِ، أو لأنَّ المرادَ بالمُعقِّباتِ: جَماعاتٌ[١].

وقُرِئَ: (مَعَاقِيبُ)[٢] جمع مُعقِّبٍ أو مُعَقِّبَةٍ على تعويضِ الياءِ مِن إحدى القافَيْنِ.

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: مِن جَوانبِهِ، أو من الأعمالِ ما قَدَّمَ وأَخَّرَ.

﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: مِن بَأسِهِ مَتى أَذنبَ بالاستمهالِ والاستغفارِ له، أو: يحفظونَهُ مِن المضارِّ، أو: يراقبونَ أحوالَهُ مِن أَجلِ أَمرِ اللهِ، وقد قُرِئَ به[٣].

وقيل: ﴿مِنۡ﴾ بمعنى الباءِ.

وقيل: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ صِفَةٌ ثانيَةٌ لـ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾.

وقيل: المُعقِّبَاتُ: الحَرَسُ والجَلَاوِزَةُ[٤] حولَ السُّلطانِ يَحفظونَهُ في تَوهُّمِه مِن قَضاءِ اللهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ مِن العافيَةِ والنِّعمَةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ مِن الأَحوالِ الجَميلَةِ بالأَحوالِ القَبيحَةِ.

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: فلا ردَّ له، فالعامِلُ في ﴿إذا﴾ ما دلَّ عليهِ الجَوابُ ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: ممَّنْ يَلِي أَمْرَهُم فيدفعُ عَنْهُم السُّوءَ.

---

(١) قوله: «والتاء»؛ أي: في مفرد ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ وهو: مُعقِّبةٌ «للمبالغة»؛ أي: كعلاَّمة ونسَّابة؛ أي: ملَكٌ معقِّبٌ، ثم جُمِعَ هذا الجمعَ كعلَّامات ونسَّابات، أو هي للتأنيث كما ذكره بقوله: «أو لأن المراد...» إلى آخره. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١) عن زياد بن أبي سفيان، و«المحتسب» (١/ ٣٥٥) عن عبيد الله بن زياد، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٥١٧) عن أبي البرهسم.

(٣) أي: (يَحفظونه بأمر الله). نسبت لعليٍّ وابنِ عباس رضي الله عنهم وزيدِ بن عليٍّ وجعفرِ بن محمد وعكرمةَ. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٥٥)، و«الكشاف» (٤/ ٣٧٨)، و«البحر» (١٣/ ٤٥).

(٤) الجلاوزة أعوان السلطان، جمع جلواز وهو الشرطي، من الجلوزة، وهي سرعة الذَّهاب والمجيء.

وفيه دليلٌ عَلى أنَّ خِلافَ مرادِ اللهِ مُحالٌ.

(١٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ مِن أذاه ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغَيثِ، وانتصابُهُما على العِلَّةِ بتقديرِ المُضافِ؛ أي: إرادةَ خوفٍ وطمعٍ، أو التَّأويلِ بالإخافَةِ والإطماعِ، أو الحالِ مِن ﴿ٱلْبَرْقَ﴾، أو المخاطبينَ على إضمارِ: ذوو، أو إطلاقِ المَصدَرِ بمعنى المَفعولِ أو الفَاعلِ للمُبالغَةِ.

وقيل: يخافُ المطرَ مَن يَضرُّهُ، ويَطمَعُ فيه مَن يَنفَعُه.

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾: الغيمَ المُنسَحِبَ في الهواءِ ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ وهو جمعُ ثَقِيلَةٍ، وإنَّما وصفَ بِهِ السَّحابُ لأنَّه اسمُ جنسٍ في معنى الجَمعِ.

(١٣) ـ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾: ويسبِّحُ سامِعوهُ ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ مُلتبسِينَ به، فيَضجُّونَ بـ(سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ)، أو يدلُّ الرَّعدُ بنفسِهِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى وكمالِ قُدرَتِه مُلتَبِسًا بالدَّلالةِ على فَضلِه ونُزولِ رَحمَتِه.

وعن ابنِ عباسٍ: سُئِلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه عَن الرَّعدِ فقال: «مَلَكٌ موكَّلٌ بالسَّحابِ معَه مَخاريقُ مِن نارٍ يَسوقُ السَّحابَ»[(١)].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: مِن خَوفِ اللهِ وإجلالِه، وقيل: الضَّميرُ لـ﴿ٱلرَّعْدُ﴾.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فيُهلِكُه.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ حيثُ يكذِّبونَ رسولَ اللهِ فيما يَصِفُه به مِن كَمالِ العلمِ والقُدرةِ، والتَّفرُّدِ بالألوهيَّةِ، وإعادةِ النَّاسِ ومُجازاتِهم.

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٧)، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٢٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٣). والمخاريق جمع مِخراق: آلةٌ تزجرُ بها الملائكةُ السَّحابَ وتَسوقُه. «النهاية» (مادة: خرق).

والجدالُ: التَّشدُّدُ في الخُصومَةِ، مِن الجَدْلِ وهو الفَتلُ.

والواوُ: إمَّا لعَطفِ الجُملَةِ على الجُملَةِ، أو للحَالِ فإنَّه رُوِيَ أنَّ عامرَ بنَ الطُّفَيلِ وأَرْبدَ بنَ رَبيعةَ أخا لَبيدٍ وَفَدَا على رَسولِ اللهِ ﷺ قاصدَينِ لقَتلِه، فأخذَهُ عامِرٌ بالمُجادَلةِ ودارَ أَربَدُ مِن خَلفِهِ ليَضرِبَهُ بالسَّيفِ، فتنبَّهَ له الرَّسولُ وقال: «اللهمَّ اكفِنيهِمَا بمَا شِئتَ»، فأرسلَ اللهُ على أَربَدَ صاعقَةً فقتَلَتْهُ، ورمى عامرًا بغُدَّةٍ فماتَ في بيتِ سَلُولِيَّةٍ، وكانَ يقول: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَعيرِ ومَوتٌ في بيتِ سَلُولِيَّةٍ، فنزلَت[1].

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ المُمَاحَلَةُ: المُكايدَةُ لأَعدائِهِ، مِن مَحَل بفلانٍ: إذا كادَهُ وعرَّضَهُ للهَلاكِ، ومِنه تمحَّلَ: إذا تكلَّفَ استِعمالَ الحِيلَةِ. لعلَّ أصلَهُ المَحْلَ بمعنى القَحطِ.

وقيل: فِعَالٌ مِن المَحْلِ بمَعنى القوَّةِ.

وقيل: مِفْعَلٌ مِن الحَوْلِ أو الحِيلَةِ أُعِلَّ على غيرِ قِياسٍ، ويَعضُدُه أنَّه قُرِئَ بفَتحِ الميمِ[2] على أنَّه مَفعَلٌ مِن حَالَ يَحولُ: إذا احتالَ.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح (وتسمى سلسلة الكذب) عن ابن عباس. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٩١٢٧)، من طريق عبد العزيز بن عمرانَ، عن عبد الرحمن وعبد الله ابنَا زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيهما، عن عطاء بنِ يسارٍ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠) عن عبد الرحمن بن زيد أسلم، و(١٣/ ٤٨١) عن ابن جريج. وكلاهما مرسل.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٦)، عن الأعرج.

ويجـوزُ أن يكـونَ بمعنـى الفَقَـارِ، فيكـونُ مَثَلًا فـي القـوَّةِ والقُـدرَةِ، كقولهـم: «فسَـاعِدُ اللهِ أَشَـدُّ ومُوسَـاهُ أَحَدُّ»[1].

(١٤) ـ ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾: الدُّعاءُ الحَقُّ، فإنَّه الذي يحقُّ أن يُعبَدَ ويُدعى إلى عبادَتِه دونَ غَيرِه.

أو: له الدَّعوَةُ المُجابَةُ، فإنَّ مَن دعاهُ أَجابَ، ويؤيِّدُه ما بعدَهُ.

و﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ على الوَجهينِ: ما يُناقِضُ الباطِلَ، وإضافَةُ الدَّعوَةِ إليهِ لِمَا بينَهُما مِن المُلابسَةِ، أو عَلى تَأويلِ: دَعوَةُ المَدعوِّ الحقِّ.

وقيل: الحقُّ هو اللهُ، وكلُّ دعاءٍ إليه دَعوَةُ الحَقِّ.

والمرادُ بالجُملتَينِ إنْ كانَت الآيةُ في عامرٍ وأَربَدَ أنَّ إهلاكَهُما مِن حيثُ لَمْ يَشْعُرَا به محالٌ مِن اللهِ وإجابَةٌ لدَعوَةِ رَسولِه، أو دلالةٌ على أنَّه على الحَقِّ، وإن كانَتْ عامَّةً فالمُرادُ وَعيدُ الكَفَرَةِ على مُجادَلَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ بحُلولِ محالِه بهم، وتَهديدُهُم بإجابَةِ دعاءِ الرَّسولِ عليهم، أو بيانُ ضَلالِهِم وفَسادِ رأيِهِم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ أي: والأصنامُ الذين يَدْعُوهُم المُشرِكُونَ، فحُذِفَ الرَّاجِعُ، أو: والمُشركونَ الذينَ يَدعونَ الأَصنامَ، فحُذِفَ المَفعولُ لدَلالةِ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ عليهِ.

﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ مِن الطَّلباتِ ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾: إلا استجابةً كاستِجَابةِ مَـن بسـطَ كفَّيْهِ ﴿إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ يطلـبُ مِنه أَنْ يبلُغَـه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ لأنَّه جَمادٌ لا يشـعرُ بدُعائِـه ولا يَقـدِرُ على إجابَتِـه والإتيانِ بغَيرِ مـا جُبِلَ عليه، وكذلـك آلهتُهم.

---

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٩٠)، من حديث مالك بن نضلة الجشمي رضي الله عنه مرفوعاً بإسناد صحيح.

وقيل: شُبِّهُوا في قِلَّةِ جَدْوَى دُعائِهِم لها بمَنْ أرادَ أنْ يغرفَ[١] الماءَ ليشربَهُ فبسطَ كفَّيْهِ ليشربَهُ.

وقُرِئَ: (تدعون) بالتَّاءِ، و: (باسطٍ) بالتَّنوينِ[٢].

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ضَياعٍ وخَسارٍ وباطلٍ.

(١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ يحتمِلُ أَنْ يكونَ السُّجودُ على حقيقَتِه، فإنَّه يَسجدُ لهُ المَلائِكَةُ والمؤمنونَ مِن الثَّقلينِ طَوْعًا حالَتَي الشِّدَّةِ والرَّخاءِ، والكفرَةُ كرهًا حالَ الشِّدَّةِ والضَّرورةِ ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ بالعَرَضِ.

وأَنْ يرادَ بِهِ انقِيادُهُم لإحداثِ ما أرادَهُ فيهِمْ شَاؤوا أو كرهُوا، وانقيادُ ظلالِهِم لتَصريفِه إيَّاها بالمدِّ والتَّقليصِ.

وانتصابُ ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ بالحالِ، أو بالمفعولِ له[٣].

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ ظرفٌ لـ﴿يَسْجُدُ﴾، والمرادُ بهمَا الدَّوامُ، أو حالٌ مِن الظِّلالِ، وتَخصيصُ الوَقتَيْنِ لأنَّ الظِّلالَ إنَّما تَعظُمُ وتَكثرُ[٤] فيهما.

والغُدُوُّ: جَمعُ غَداةٍ، كقُنِيٍّ جمعُ قَنَاةٍ، والآصالُ: جمعُ أَصيلٍ، وهو ما بينَ العَصرِ والمَغربِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «يغترف».

(٢) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، الأولى عن أبي عمرو في رواية، والثانية عن يحيى بن يعمر.

(٣) في نسخة التفتازاني: «بالحال أو العلة وقوله».

(٤) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما».

وقيل: الغُدُوُّ مصدَرٌ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (والإيصالُ)[1]، وهو الدُّخولُ في الأصيلِ.

(١٦) ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالِقُهُما ومُتولِّي أَمرِهِما ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: أَجِبْ عَنْهُم بذلك، إِذْ لا جوابَ لَهُم سِواهُ، ولأنَّه البَيِّنُ الذي لا يمكنُ المِراءُ فيهِ، أو: لَقِّنْهُم الجوابَ به.

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ ثُمَّ أَلْزِمْهُم بذلك لأنَّ[2] اتِّخاذَهُم مُنكَرٌ بعيدٌ عَن مُقتَضى العَقلِ.

﴿أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يقدِرونَ أن يَجلِبوا إليها نفعاً أو يدفَعُوا عنها ضرًّا، فكيفَ يَستَطِيعونَ إنفاعَ الغيرِ[3] ودفعَ الضرِّ عَنْه، وهو دَليلٌ ثانٍ على ضَلالِهِم وفَسادِ رَأْيِهِم في اتِّخاذِهِم أولياءَ رجاءَ أَنْ يَشفَعُوا لَهُم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: المشركُ الجاهِلُ بحَقيقَةِ العِبادَةِ والموجِبِ لها، والمُوحِّدُ العالِمُ بذلك.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، عن عمران بن حدير، و«المحتسب» (١/ ٣٥٦) عن أبي مجلز، واسمه لاحق بن حميد.

(٢) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «أنَّ». وكذا وقع في «حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١٠/ ٤٨٣)، و«حاشية شيخ زاده» (٥/ ١١٣)، قال القونوي: أي: في أن.

(٣) كذا وقع في جميع النسخ هنا «إنفاع الغير»، وهو ليس مسموعاً، وكان حقه أن يقول: «نفع الغير»، أو: «فكيف يستطيعونه لغيرهم» كما عبر به «الكشاف». قاله الأنصاري في «حاشيته» (٣/ ٣٤٠). وقد نقل الخفاجي عن الشيخ سعدي أن المصنف استعمل لفظ (الإنفاع) في غير هذا المحل كسورة الجن وهو خطأ. وذكر الخفاجي أن أصح النسخ هنا ذكرت: «فكيف يستطيعون إيقاع الخير ودفع الضرّ عنهم»، قال: ولا إشكال على هذه النسخة، انتهى. وإنما أثبتنا لفظ (الإنفاع) لتوارد النسخ الخطية المعتمدة لدينا عليه، ولأن المصنف استعمله في غير محل في تفسيره هذا كما تقدم.

وقيل: المعبودُ الغَافِلُ عنكم والمَعبودُ المُطَّلِعُ على أَحوالِكُم.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: الشِّركُ والتَّوحيدُ. وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وأبو بَكرٍ بالتَّاءِ[1].

﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: بل أَجَعَلوا، والهمزةُ للإنكارِ، وقولُه: ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ صفَةٌ لـ﴿شُرَكَآءَ﴾ داخِلَةٌ في حكمِ الإنكارِ.

﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خَلْقُ اللهِ وخَلْقُهُم، والمعنى: أَنَّهُم ما اتَّخذُوا للهِ شُركاءَ خالِقينَ مِثلَهُ حتَّى يتشابَهَ عليهِم الخَلْقُ فيقولوا: (هؤلاء خَلَقُوا كما خَلقَ اللهُ فاستَحَقُّوا العبادةَ كما استحَقَّها)، ولكنَّهُم اتَّخذوا شُركاءَ عاجِزينَ لا يقدِرونَ على ما يقدِرُ عليهِ الخَلْقُ فَضْلًا عمَّا يقدرُ عليه الخالِقُ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا خالقَ غَيرُه فيُشاركَهُ في العبادَةِ، جعلَ الخلقَ مُوجِبَ العِبادَةِ ولازمَ استِحقاقِهَا، ثمَّ نَفاهُ عَمَّنْ سِواهُ ليدلَّ على قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾؛ أي: المُتَوحِّدُ بالألوهيَّةِ ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالِبُ على كُلِّ شيءٍ.

(١٧) ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مِن السَّحابِ، أو: مِن جانبِ السَّماءِ، أو: مِن السَّماءِ نَفسِها، فإنَّ المبادئَ مِنه.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾: أنهارٌ، جمعُ وادٍ، وهو الموضِعُ الذي يسيلُ الماءُ فيهِ بكَثرَةٍ، فاتُّسِعَ فيه واستعملَ للماءِ الجاري فيه، وتنكيرُها لأنَّ المطرَ يأتي على تناوُبٍ بينَ البِقاعِ.

﴿بِقَدَرِهَا﴾: بمقدارِها الذي عَلِمَ اللهُ أنَّه نافِعٌ غيرُ ضارٍّ، أو: بمقدارِها في الصِّغَرِ والكِبَرِ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٣).

(٢) في نسخة التفتازاني: «الصغير والكبير».

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا﴾: رَفعَهُ، والزَّبَدُ: وَضَرُ[1] الغَلَيانِ ﴿رَّابِيًا﴾: عالِيًا.

﴿وَمِمَّا تُوْقِدون عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ يَعُمُّ الفِلِزَّاتِ[2] كالذَّهَبِ والفِضَّةِ والحَديدِ والنُّحاسِ على وجهِ التَّهاوُنِ بها إظهارًا لكِبريائِه.

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلبَ حِليَةٍ ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ كالأَواني وآلاتِ الحَربِ والحَرثِ، والمقصودُ مِن ذلك: بيانُ مَنافِعِها.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: وممَّا تُوقِدونَ عليه زَبدٌ مثلُ زبدِ الماءِ[3]، وهو خَبَثُه، و(مِن) للابتداءِ أو التَّبعيضِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ باليَاءِ[4] على أنَّ الضَّميرَ للنَّاسِ، وإضمارُهُ للعلمِ به.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: مَثَلَ الحَقِّ والباطلِ، فإنَّه مَثَّلَ الحقَّ في إفادتِه وثباتِه بالماءِ الذي يَنزِلُ من السَّماءِ فتسيلُ به الأَودِيَةُ على قَدْرِ الحاجةِ والمَصلَحَةِ، فيُنتفعُ به أنواعَ المَنافعِ، ويَمكُثُ في الأرضِ بأنْ يَثبتَ بعضُهُ في مَناقعِه[5] ويَسلُكَ

---

(١) الوضر: وسخ الدَّسَم ونحوه.

(٢) الفِلِزُّ بكسرِ الفاء واللامِ وتَشديدِ الزَّايِ: ما في الأرض مِن الجَواهرِ المَعدنيَّةِ كالذَّهبِ والفِضَّةِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ. «النهاية» (مادة: فلز).

(٣) في نسخة الخيالي: «ذلك الماء».

(٤) قراءة حمزة والكسائي وحفص، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ٣٣).

(٥) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «منابعه». قال الأنصاري: «مناقعه» بالقاف: جمع مِنقَع بالكسر، وهو محلُّ نَقْعِ الماءِ؛ أي: اجتماعه، وفي نسخة: «في منابعه» بالباء، وكلٌّ منهما صحيحٌ؛ لأنه محلُّ نقعِ الماء ونبعِه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٤٢). وذكر الخفاجي أن (مناقعه) أظهر؛ لأَنَّهُ الَّذي يُناسبُ السُّلوكَ بعدَهُ.

بعضُه في عروقِ الأرضِ إلى العيونِ والقُنيِّ والآبارِ، وبالفِلِزِّ[١] الذي يُنتفعُ به في صَوغِ الحليِّ واتخاذِ الأمتعةِ المختلفةِ، ويدومُ ذلك مدَّةً مُتطاولَةً، والباطلَ[٢] في قلَّةِ نفعِه وسرعةِ زَوالِه بزَبَدِهما، وبيَّنَ ذلك بقولِه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: يُجفَأُ به؛ أي: يرمي به السَّيلُ، أو الفِلِزُّ المُذابُ، وانتصابُه على الحالِ.

وقُرِئَ: (جُفالًا)[٣]، والمعنى واحِدٌ.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ كالماءِ وخُلاصةِ الفِلِزِّ ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَنتفعُ به أهلُها.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ لإيضاحِ المُشتَبِهاتِ.

(١٨) ـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾: للمُؤمنينَ الذين استَجابُوا ﴿لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الاستجابةُ الحُسْنَى.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهم الكَفَرَةُ، واللامُ مُتعلِّقَةٌ بـ﴿يَضْرِبُ﴾ على أنَّه جَعَلَ ضَرْبَ المثلِ لشأنِ الفَريقينِ ضَرْبَ المثلِ لهما.

وقيل: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ خبرُ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٤]، وهي المثوبَةُ والجنَّةُ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ وهو على الأوَّلِ كلامٌ مُبتدأٌ لبيانِ مآلِ غيرِ المُستجيبينَ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المناقشَةُ فيه بأن يحاسَبَ الرَّجلُ بذَنبِه لا يُغفرُ منه شيءٌ.

---

(١) قوله: «وبالفلز» عطف على (بالماء).

(٢) قوله: «والباطل» بالنصب عطف على «الحقَّ» في قوله: «مَثَّل الحقَّ في إفادته».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٤٨٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، و«الكشاف» (٤/ ٣٨٩)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣٠٨)، عن رؤبة.

(٤) قال أبو حيان في «البحر» (١٣/ ٧٠): هذا الوجه أولى.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مرجعُهُم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المستَقَرُّ، والمَخصوصُ بالذَّمِّ مَحذوفٌ.

(١٩) ـ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فيستجيبُ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عَمَى[1] القلبِ لا يَستَبْصِرُ فيَستجيب، والهمزةُ لإنكارِ أن يقعَ شبهةٌ في تَشابُهِهما بعدمَا ضُربَ مِن المثلِ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوُو العُقولِ المبرَّأَةِ مِن مُشايعَةِ الإلفِ ومعارضَةِ الوَهمِ.

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ما عقدوهُ على أَنفُسِهم مِن الاعترافِ برُبوبيَّتِهِ حينَ قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أو ما عَهِدَ اللهُ عليهِم في كتبِهِ.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ما وثَّقُوه مِن المَواثيقِ بينَهُم وبينَ اللهِ وبينَ العِبادِ، وهو تَعميمٌ بعدَ تخصيصٍ[2].

(٢١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ مـن الرَّحِمِ ومُوالاةِ المُؤمنينَ والإيمانِ بجَميعِ الأَنبياءِ، ويندرِجُ في ذلك مُراعاةُ جميعِ حُقوقِ النَّاسِ.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: وعيدَه عمومًا ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ خصوصًا، فيحاسِبونَ أَنفُسَهُم قبلَ أَنْ يُحاسَبُوا.

(٢٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على ما تكرهُه النَّفسُ ويخالِفُه الهوى ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: طلبًا لِرِضاهُ لا فخوراً وسُمْعَةً ونَحوَهما.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضـةَ ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: بعضَه الـذي وجبَ عليهِمْ إنفاقُه.

﴿سِرًّا﴾ لمَنْ لم يُعرفْ بالمالِ ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لمَن عُرفَ به.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «أعمى».

(٢) يعني: عطفَ قولِه: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ وهو عامٌّ، على قولِه: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾، وهو خَاصٌّ.

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: ويدفعونَها بها فيجازونَ الإساءةَ بالإحسانِ، أو يُتْبِعونَ الحسنةَ السَّيِّئةَ فتَمحوها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبةُ الدُّنيَا، وما ينبغي أن يكونَ مآلُ أهلِها، وهي الجنَّةُ، والجملَةُ خبرُ المَوصولاتِ إن رُفعَتْ بالابتداءِ، وإن جُعِلَت صفاتٍ لأُولي الألبابِ فاستئنافٌ بذكرِ ما استوجبُوا بتلكَ الصِّفاتِ.

(٢٣) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدلٌ مِن ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، أو مُبتدأٌ خبرُه: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾.

والعَدْن: الإقامَةُ؛ أي: جناتٌ يُقيمونَ فيها، وقيل: هو بُطْنانُ الجنَّةِ.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ عطفٌ على المرفوعِ في (يدخلون)، وإنَّما ساغَ للفَصلِ بالضَّميرِ الآخرِ، أو مفعولٌ معه، والمعنى: أنَّه يُلحَقُ بهم مَن صلحَ مِن أهلِهم ـ وإن لم يَبلُغْ مَبلغَ فضلِهم ـ تبعًا لهم وتعظيمًا لشأنِهم، وهو دليلٌ على أنَّ الدَّرجةَ تَعلُو بالشَّفاعةِ، أو أن المَوصوفينَ بتلكَ الصِّفاتِ يُقرنُ بَعضُهُم ببعضٍ ـ لِمَا بينَهُم مِن القرابةِ والوُصْلةِ ـ في دخولِ الجنَّةِ زيادةً في أُنسِهم، والتَّقييدُ بالصَّلاحِ دلالَةٌ على أنَّ مُجرَّدَ الأنسابِ لا تَنفَعُ.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ من أبوابِ المَنازلِ، أو مِن أَبوابِ الفُتوحِ والتُّحَفِ[1]، قائلين:

(٢٤) ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ بشارةٌ بدَوَامِ السَّلامَةِ ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿عَلَيۡكُم﴾[2]، أو بمَحذوفٍ؛ أي: هذا بما صَبرتُم لا بـ﴿سَلَٰمٌ﴾ فإنَّ الخبرَ فاصِلٌ، والباءُ للسَّببيَّةِ أو البَدَليَّةِ.

---

(١) قوله: (أو من أبواب الفتوح والتحف) الفتوح جمع فتح، وهو الرزق الذي يفتح الله به عليهم مما لم يكن على بال من الأرزاق وليس التحف عطف تفسير له. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) قال السفاقسي: الصَّحيحُ أنَّه إنَّما يتعلَّقُ به ﴿عَلَيۡكُم﴾. «حاشية السيوطي على البيضاوي» (٨/ ٣٩).

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ وقُرِئَ: (فنَعْمَ) بفتحِ النُّونِ[1]، والأصلُ: نَعِم، فسكَّنَ العينَ بنَقلِ كَسرَتِها إلى الفاءِ وبغيرِه.

(٢٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ يعني: مُقابلي الأوَّلين[2].

﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: مِن بَعدِمَا أَوْثَقوهُ به مِن الإقرارِ والقَبُولِ.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظُّلمِ وتَهييجِ الفِتَنِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ عذابُ جهنَّمَ، أو سوءُ عاقِبَةِ الدُّنيا لأنَّه في مُقابلةِ ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

(٢٦) ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسعُهُ ويُضيِّقُهُ.

﴿وَفَرِحُوا۟﴾؛ أي: أهلُ مكَّةَ ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بُسِطَ لهم في الدُّنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: في جَنْبِ الآخرَةِ ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: إلا مُتعَةٌ لا تَدومُ؛ كعُجالَةِ الرَّاكبِ وزادِ الرَّاعي، والمعنى: أنَّهم أَشِرُوا[3] بما نَالُوا مِن الدُّنيا، ولم يَصْرِفُوه فيما يَستوجبونَ بهِ نَعيمَ الآخرةِ، واغترُّوا بما هو في جنبِهِ نَزْرٌ قليلُ النَّفعِ سَريعُ الزَّوالِ.

(٢٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراحِ الآياتِ بعدَ ظُهورِ المُعجزَاتِ ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: أَقبَلَ إلى الحَقِّ ورجعَ عَن العِنادِ، وهو جوابٌ يَجري مجرى التَّعجُّبِ مِن قَولِهِم؛ كأنَّه قال: قُلْ لهم: ما أعظَمَ عِنادَكُم! إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ ممَّنْ كان على صِفَتِكُم، فلا سَبيلَ إلى اهتِدائِهم وإن أُنزلَتْ كلُّ آيةٍ، ويَهدي إليه مَن أنابَ بما جئتُ به، بل بأدنى مِنه مِن الآياتِ.

---

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٥٦) عن يحيى بن وثاب.

(٢) في نسخة الخيالي: «المقابل للأولين»، وفي نسخة التفتازاني: «مقابل الأولين».

(٣) الأَشَرُ: الفَرَحُ بطرًا وكفرًا بالنِّعمَةِ.

(٢٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَنۡ﴾ أو خبرُ مُبتدأٍ مَحذوفٍ، ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أُنْسًا به واعتمادًا عليه ورجاءً مِنه، أو بذكرِ رَحمَتِه بعد القلقِ مِن خَشيَتِه، أو بذكرِ دَلائلِه الدالَّةِ عَلى وُجودِه ووَحدانيَّتِه، أو بكلامِه؛ يعني: القرآنَ الذي هو أقوى المُعجزاتِ.

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾: تَسكنُ إليه.

(٢٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ وهو فُعْلَى مِن الطِّيبِ، قُلِبَت ياؤُه واوًا لضمَّةِ ما قبلَها مصدراً لـ(طابَ)، كبُشْرَى وزُلْفَى، ويجوزُ فيه الرَّفعُ والنَّصبُ، ولذلك قُرِئَ: (وحُسنَ مآبٍ) بالنَّصبِ[1].

(٣٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك ـ يعني: إرسالَ الرُّسلِ قبلكَ ـ ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ﴾: تَقدَّمَتْها ﴿أُمَمٞ﴾ أُرْسِلُوا إليهم، فليسَ ببِدْعٍ إرسالُكَ إليها.

﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: لتقرأَ عليهِم الكتابَ الذي أوحيناهُ إليك.

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: وحالُهُم أنَّهم يكفرونَ بالبَليغِ الرَّحمَةِ، الذي أحاطَتْ بهِمْ نِعمَتُه، ووسِعَتْ كلَّ شيءٍ رَحْمَتُه، فلم يَشْكُروا نِعمَهُ وخُصوصًا ما أنعمَ عليهِم بإرسالِكَ إليهِمْ، وإنزالِ القرآنِ ـ الذي هو مناطُ المَنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ـ عليهم.

وقيلَ: نزلَتْ في مُشرِكِي مكَّةَ حينَ قيلَ لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠][2].

﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾؛ أي: الرَّحمنُ خالقي ومُتوَلِّي أَمْري.

---

(١) نسبت لابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١). وقراءة الجمهور: ﴿وحُسْنُ مآب﴾.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٣) من رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مستحقَّ للعِبادةِ سِواه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في نُصرَتِي عَلَيكُم ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾: مَرجِعِي ومَرجِعُكُم.

(٣١) ـ ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ شَرطٌ حُذِفَ جَوابُهُ، والمراد منه: تَعظيمُ شَأنِ القُرآنِ، أو المبالغةُ في عِنادِ الكَفَرَةِ وتصميمِهِم؛ أي: ولو أنَّ كتابًا زُعزِعَتْ به الجبالُ عَن مَقارِّهَا ﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾: تصدَّعَتْ مِن خشيَةِ اللهِ عندَ قِراءتِه، أو شُقِّقَت فجُعِلَت أنهارًا وعيونًا ﴿أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فتقرؤُهُ، أو: فتَسمعُ وتجيبُ عندَ قِراءَتِه= لكانَ هذا القُرآنَ؛ لأنَّه الغايةُ في الإعجازِ والنِّهايةُ في التَّذكيرِ والإنذارِ.

أو: لَمَا آمَنُوا بهِ؛ كقولِه: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١].

وقيل: إنَّ قريشًا قالوا: يا محمَّد! إنْ سَرَّك أن نتَّبعكَ فسيِّر بقرآنِك الجبالَ عَن مكَّةَ حتَّى تتسِعَ لنا فنتَّخِذَ فيها بَساتينَ وقَطائِعَ، أو سخِّرْ لَنا بِهِ الرِّيحَ لنركبَها ونتَّجِرَ إلى الشَّامِ، أو ابعَثْ لَنا به قُصَيَّ بنَ كلابٍ وغيرَه مِن آبائِنا ليكلِّمُونا فيك، فنزلَتْ[1]. وعلى هذا فتَقطيعُ الأرضِ: قطعُها بالسَّيرِ.

وقيل: الجوابُ مُقدَّمٌ، وهو: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ.

وتذكيرُ ﴿كُلِّمَ﴾ خاصةً لاشتِمالِ المَوْتَى على المذكَّرِ الحقيقيِّ.

---

(١) رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٦٧٩)، وفي سنده عبد الجبار بن عمر، أبو عمر الأيلي، قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه. انظر: «الكامل» لابن عدي (٧/ ١٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٥): رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبدالله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق، وقد ضعفهما الجمهور.

وروى نحوه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، عن قتادة والضحاك وابن زيد.

وقد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣١٩)، دون راو ولا سند.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بَل للهِ القُدرةُ على كلِّ شيءٍ، وهو إضرابٌ عمَّا تَضمَّنَه ﴿لو﴾ مِن مَعنى النَّفيِ؛ أي: بل اللهُ قادِرٌ على الإتيانِ بما اقترَحُوهُ مِن الآياتِ، إلَّا أنَّ إِرادَتَهُ لم تَتعلَّق بذلك لعِلْمِه بأنَّه لا تَلينُ لهُ شَكيمَتُهُم، ويؤيِّدُ ذلك قولُه:

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ عَن إيمانِهم مع ما رَأَوْا مِن أَحْوالِهم.

وذهبَ أكثرُهُم إلى أنَّ مَعناه: أفلَمْ يَعْلَم، لِمَا رُوِيَ أنَّ عَلِيًّا وابنَ عبَّاسٍ وجماعةً مِن الصَّحابةِ والتَّابعينَ قَرؤوا: (أفلَمْ يَتبيَّن)[1]، وهو تَفسيرُه، وإنَّما استُعملَ اليأسُ بمعنى العلمِ لأنَّه مُسبَّبٌ عَن العلمِ بأنَّ المَيؤوسَ عَنْه لا يكونُ[2]، ولذلك عَلَّقَه بقولِه: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنَّ مَعناه: نفيُ هُدى بَعضِ النَّاسِ لعَدَمِ تَعلُّقِ المَشيئَةِ باهتِدائِهم.

وهو على الأوَّلِ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ تَقديرُه: أفلَمْ يَيْأَس الذينَ آمنوا مِن إيمانِهم علمًا مِنْهُم أَنْ لَوْ شاءَ[3] اللهُ لهدَى النَّاسَ جميعًا، أو بـ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾[4].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٧). ورواه عن علي وابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

(٢) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «عن العلم، فإن المأيوس عنه لا يكون إلا معلومًا»، وهكذا جاءت العبارة في «حاشية الشهاب» وقال الشهاب: قوله: «فإن» بالفاء، وفي نسخة: «بأنّ» بالباء الموحدة، والأُولى أَولى، وفي نسخة: «لا يكون» بدون قوله: «إلا معلوما» فهي (كان) التامّة، وهذه تؤيِّد ما قيل: إنّ المعنى: معلوماً انتفاؤه.

(٣) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «يشاء».

(٤) قوله: «وهو»؛ أي: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ «على الأول»؛ أي: وهو أنَّ ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ باقٍ على معناه «متعلق بمحذوف»؛ أي: وهو (عِلماً) في قوله: «تقديره: أفلم ييأس الذينَ آمنوا مِن إيمانِهم علمًا...»، وقوله: «أو بـ ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾» عطف على «محذوفٍ». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٤٩).

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ مِن الكُفرِ وسُوءِ الأعمالِ ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهيَةٌ تَقرَعُهُم وتُقَلْقِلُهُم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعونَ مِنْها ويتطايرُ إليهِمْ شَرَرُها.

وقيل: الآيةُ في كُفَّارِ مكَّةَ، فإنَّهُم لا يزالونَ مُصابينَ بما صنَعُوا برسولِ اللهِ، فإنَّهُ عليهِ السَّلامُ كان لا يزالُ يَبعَثُ السَّرايَا فتُغِيرُ حوالَيهِم وتختَطِفُ مواشيَهِم، وعلى هذا يجوزُ أَنْ يكونَ ﴿تَحُلُّ﴾ خطابًا للرَّسولِ، فإنَّه حلَّ بجَيشِهِ قريبًا مِن دارِهِم عامَ الحُديبيَةِ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: الموتُ، أو القِيامَةُ، أو فَتحُ مكَّةَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ لامتناعِ الكَذِبِ في كلامِه.

(٣٢) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ تسليةٌ لرسولِ اللهِ، ووعيدٌ للمُستهزئينَ به والمقترِحِينَ عليه، والإملاءُ: أَنْ يُتْرَكَ ملاوةً[1] مِن الزَّمانِ في دعَةٍ وأَمْنٍ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؛ أي: عِقابي إيَّاهُم.

(٣٣) ـ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ رقيبٌ عليهِ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِن خَيرٍ أو شَرٍّ، لا يَخْفَى عليه شَيءٌ مِن أَعمالِهِم، ولا يفوتُ عِنْدَهُ شَيءٌ مِن جَزائِهِم، والخبرُ مَحذوفٌ تَقديرُه: كمَنْ ليسَ كذلك ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ استئنافٌ، أو عطفٌ على ﴿كَسَبَتْ﴾ إنْ جعلت (ما) مصدرية.

ويجوز أن يقدَّر ما هو خبرٌ للمبتدأ ويعطَفَ عليه (جعلوا)؛ أي: أفمَن هو بهذِهِ الصِّفَةِ لم يوحِّدُوه وجعلوا له شركاءَ، ويكونُ الظَّاهرُ فيه مَوضِعَ الضَّميرِ للتَّنبيهِ على أنَّه المُستَحِقُّ للعِبادَةِ.

---

(١) بفتحِ الميمِ وكَسرِهَا وضَمِّها، أي: حينًا وبُرهَةً. «فتوح الغيب» للطيبي (٨/ ٥٢٢).

وقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ تنبيهٌ على أنَّ هؤلاءِ الشُّركاءَ لا يَستَحِقُّونَها، والمعنى: صِفُوهُم فانظُرُوا هل لهم ما يَستَحِقُّونَ به العبادةَ ويَستَأهِلُونَ الشَّرِكَةَ.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾: بَلْ أَتُنَبِّئونَه، وقرئ: (تُنْبِئُونَهُ) بالتَّخفيفِ[1].

﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بشُرَكاءَ يَستَحِقُّونَ العِبادةَ لا يَعْلَمُهُم، أو بصفاتٍ لَهُم يَستَحِقُّونَها لأَجلِها لا يَعْلَمُها، وهو العالِمُ بكُلِّ شَيءٍ.

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أَمْ تُسَمُّونَهُم شُركاءَ بظَاهِرٍ مِـن القَولِ مِن غيرِ حقيقَةٍ واعتبارِ مَعْنًى، كتَسمِيَةِ الزِّنجيِّ كافورًا، وهذا احتجاجٌ بَليغٌ على أسلوبٍ عجيبٍ يُنادِي على نفسهِ بالإعجازِ.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: تمويهُهُم، فتَخيَّلُوا أباطيلَ ثُمَّ خالوها حقًّا، أو: كيدُهُم للإسلامِ بشِرْكِهم.

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيلِ الحَقِّ. وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: ﴿وصَدُّوا﴾ بالفتح[2]؛ أي: وصَدُّوا النَّاسَ عَن الإيمانِ، وقُرِئَ بالكسرِ[3]، و: (صَدٌّ) بالتَّنوينِ[4].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يخذُلْه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفِّقُه للهُدى.

(٣٤) ـ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقَتلِ والأَسْرِ وسائرِ ما يُصيبهُمْ مِن المَصائبِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشِدَّتِه ودَوامِه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مِن عَذابِه، أو مِن رَحمَتِه ﴿مِن وَاقٍ﴾: حافظٍ.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣١٤)، و«البحر» (١٣/ ١٠٢)، عن الحسن.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٣).

(٣) نسبت ليحيى بن وثاب، ورويت عن الكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١) عن ابن أبي إسحاق.

(٣٥) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ صِفَتُها التي هي مَثَلٌ في الغَرابَةِ، وهو مُبتدَأٌ خبرُه مَحذوفٌ عند سيبويه؛ أي: فيما قَصَصْنا عليكُم مثلُ الجنَّةِ[1].

وقيل: خبرُه: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ على طريقةِ قولِك: صِفَةُ زيدٍ أَسمَرُ، أو على حذفِ موصوفٍ؛ أي: مثلُ الجنَّةِ جنَّةٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ[2]، أو على زيادةِ المثلِ.

وهو[3] على قولِ سِيبويه حالٌ مِن العائدِ المَحذوفِ مِن الصِّلَةِ.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾؛ أي: لا يَنقَطِعُ ثَمَرُها ﴿وَظِلُّهَا﴾؛ أي: وظِلُّها كذلك لا يُنسَخُ كما يُنْسَخُ في الدُّنيَا بالشَّمسِ.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: الجنَّةُ المَوصوفَةُ ﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ مآلُهُم ومُنتَهَى أَمرِهِم.

﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ لا غير. وفي تَرتيبِ النَّظمَيْنِ إطماعٌ للمُتَّقينَ وإقناطٌ للكَافرينَ.

(٣٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المُسلمينَ مِن أَهلِ الكتابِ، كابنِ سلَامٍ وأصحابِهِ ومَن آمنَ مِن النَّصارى، وهم ثَمانونَ رَجلًا، أربعونَ بنَجْرانَ وثمانيةٌ باليَمنِ واثنانِ وثلاثونَ بالحَبشَةِ، أو عامَّتُهُم فإنَّهُم كانوا يفرَحُونَ بما يُوافِقُ كتبَهُم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني: كَفَرَتَهُم الذين تحزَّبُوا على رَسولِ اللهِ ﷺ بالعَداوَةِ، ككَعْبِ بنِ الأَشرَفِ وأصحابِهِ والسَّيِّدِ والعاقِبِ وأَشياعِهِمَا.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٥٠). وما سبق من قول سيبويه والذي بعده مذكور فيه.

(٣) قوله: «وهو»؛ أي: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ وهو ما يُخالِفُ شَرائِعَهُم، أو يوافِقُ ما حَرَّفوهُ مِنْها.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ جوابٌ للمُنكرينَ[١]؛ أي: قُلْ لهم: إنِّي أُمِرْتُ فيما أُنزِلَ إليَّ بأَنْ أَعبُدَ اللهَ وأوحِّدَه، وهو العمدةُ في الدِّينِ، ولا سبيلَ لَكُم إلى إنكارِهِ، وأمَّا ما تُنكِرُونَه لِمَا يخالِفُ شرائِعَكُم فليسَ بِبِدْعٍ مخالفَةُ الشَّرائعِ والكتبِ الإلهيَّةِ في جُزئِيَّاتِ الأَحكامِ.

وقُرِئَ: (ولا أشركُ) بالرَّفعِ على الاستئنافِ[٢].

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: وإليه مَرجِعِي للجَزاءِ لا إلى غَيرِه، وهذا هو القَدْرُ المُتَّفَقُ عليه بينَ الأَنبياء، وأمَّا ما عدا ذلكَ مِن التَّفاريعِ فمِمَّا يَختَلِفُ بالأَعصارِ والأُمَمِ فلا مَعنى لإنكارِهم[٣] المُخالفَةَ فيه.

(٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومِثْلَ ذلك الإنزالِ المُشتمِلِ على أصولِ الدِّياناتِ المُجْمَعِ عليها ﴿أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا﴾ يحكمُ في القَضايَا والوقائعِ بما تَقتضيهِ الحِكمَةُ.

﴿عَرَبِيًّا﴾: مُترجَمًا بلسانِ العربِ ليَسْهُلَ لهم فهمُهُ وحفظُهُ. وانتصابهُ على الحالِ.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يَدْعُونَكَ إليها لتَقريرِ دينِهِم والصَّلاةِ إلى قِبلَتِهِم بعدَمَا حُوِّلْتَ عنها ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بنسخِ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا

---

(١) في نسخة الخيالي: «للمشركين».

(٢) قراءة نافعٍ في رواية أبي خُلَيْدٍ. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٠٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧١)، ووقع في مطبوعه: (خليل عن نافع)، وهو تحريف، وأبو خليد هو عتبة بن حماد الدمشقي. وقراءة نافع المشهورة عنه بالنصب كالباقين.

(٣) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «لإنكار»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

وَاقٍ ﴾ ينصرُكَ ويَمنَعُ العقابَ[١] عَنْكَ، وهو حَسمٌ لأَطماعِهِم وتهييجٌ للمُؤمِنينَ على الثَّباتِ في دِينِهِم.

(٣٨) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ بشرًا مِثْلَك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ نِساءً وأَوْلَادًا كما هي لكَ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾: وما صَحَّ له ولَمْ يَكُن في وسعِه ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ ﴾ تُقترَحُ عليهِ وحُكمٍ يلتمسُ منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فإنَّهُ المُمْلي بذلك.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾: لكلِّ وَقتٍ وأَمَدٍ حكمٌ يُكتبُ على العبادِ على ما يَقتَضِيهِ استِصلاحُهُم.

(٣٩) ـ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾: يَنسَخُ ما يَستصوِبُ نَسخَه ﴿وَيُثْبِتُ ﴾ ما تَقتَضِيهِ حِكْمَتُه.

وقيل: يَمْحُو سيِّئاتِ التَّائبِ ويُثبِتُ الحَسَناتِ مَكانَها.

وقيل: يَمْحُو مِن كتابِ الحَفَظَةِ ما لا يَتعلَّقُ بِهِ جزاءٌ ويتركُ غيرَهُ مُثبتًا، أو: يُثبتُ ما رآهُ وحدَهُ في صميمِ قَلبِه[٢].

وقيل: يَمْحُو قَرْنًا ويُثْبِتُ آخرينَ.

وقيل: يَمْحُو الفَاسِدَاتِ ويُثْبِتُ الكَائِنَاتِ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ وحَمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿ويُثَبِّتُ﴾ بالتَّشديدِ[٣].

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: أصلُ الكتبِ، وهو اللوحُ المَحفوظُ، إذ ما مِن كائنٍ إلَّا وهوَ مَكتوبٌ فيه.

---

(١) في نسخة الخيالي: «العذاب».

(٢) قوله: «أو يثبت» عطف على (ويترك غيره) «ما رآه»؛ أي: اللهُ «وحده»؛ أي: دونَ الملائكةِ «في صميم قلبه»؛ أي: قلبِ العبدِ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٩).

(٤٠) ـ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: وكَيْفَمَا دارت الحالُ: أَرَيْنَاكَ بعضَ ما أَوْعَدْنَاهُم أو تَوَفَّيْنَاكَ قبلَه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: المُجازاةُ لا عليكَ، فلا تَحْتَفِلْ بإعراضِهِم ولا تَسْتَعْجِلْ بعَذَابِهِم، فإنَّا فاعلونَ لهُ وهذا طلائِعُه:

(٤١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ الكَفَرَةِ ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتَحُه على المُسلمينَ مِنها.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادَّ له، وحقيقتُهُ: الذي يُعقِّبُ الشَّيءَ بالإبطالِ، ومنه قيلَ لصاحبِ الحقِّ: مُعقِّبٌ؛ لأنَّه يَقْفُو غَرِيمَهُ بالاقتضاءِ، والمعنى: أنَّه حكمٌ للإسلامِ بالإقبالِ وعلى الكُفرِ بالإدبارِ، وذلك كائنٌ لا يمكِنُ تَغييرُهُ، ومَحلُّ ﴿لَا﴾ مع المنفيِّ النَّصبُ على الحالِ؛ أي: يحكمُ نافذًا حكمُهُ.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيحاسِبُهُم عمَّا قَليلٍ في الآخرَةِ بعدَمَا عَذَّبَهم بالقَتلِ والإجلاءِ في الدُّنيا.

(٤٢) ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بأنبيائِهِم والمُؤمنينَ مِنْهُم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يُؤبَهُ بمكرٍ دونَ مَكرِهِ، فإنَّه القادِرُ على ما هو المقصودُ مِنْهُ دونَ غيرِه.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعدُّ جزاءَها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ مِن الحِزبَيْنِ حيثُما يَأتيهِم العَذَابُ المُعَدُّ لهم وهُم في غَفْلَةٍ منه، وهذا كالتَّفسيرِ لِمَكرِ اللهِ بِهِم.

واللامُ تَدُلُّ على أنَّ المُرادَ بالعُقبَى: العاقِبَةُ المَحمودَةُ، مع ما في الإضافَةِ إلى ﴿ٱلدَّارِ﴾ كما عرفتَ.

وقَرَأَ ابنُ كَثيرٍ ونافِعٌ وأبو عَمرٍو: ﴿الكافِرُ﴾[1] علـى إرادةِ الجنسِ، وقُرِئَ:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(الكافرون)[١]، و: (الذين كفروا)[٢]، و: (الكـفرُ)[٣]؛ أي: أهلُه، و:(سيُعْلَم)[٤] مِن أَعْلَمَهُ: إذا أخبرَهُ.

(٤٣) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ قيل: المرادُ بهم: رُؤسَاءُ اليَهودِ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنَّه أظهَرَ مِن الأدلَّةِ على رِسالتي ما يُغني عن شاهدٍ يشهَدُ عَلَيْها.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ علمُ القُرآنِ وما أُلِّفَ عليه مِـن النَّظمِ المُعجِزِ، أو: علمُ التَّوراةِ، وهو ابنُ سَلَامٍ وأَضرابُه[٥]، أو: علمُ اللَّوحِ المَحفوظِ، وهو اللهُ؛ أي: وكَفَى بالذي يَستَحِقُّ العبادةَ وبالذي لا يعلَمُ ما في اللوحِ إلا هو شَهِيدًا بَيْنَنَا، فيُخْزِي الكاذبَ مِنَّا.

ويؤيِّدُه قراءَةُ مَن قرأَ: (ومِنْ عِنْدِه) بالكسرِ[٦].

---

(١) انظر: «المصاحف» لابن أبي داود (ص: ١٧٨)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣١٩)، عن ابن مسعود.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣١٩) عن أبي بن كعب.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١) عن بعضهم.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١) عن جناح بن حبيش.

(٥) اعترَضَ عليهِ أبو حيَّانَ ـ رحمَهُ اللهُ ـ بأنَّهُ لا يستقيمُ إلاَّ أن تكونَ الآيَةُ مدنيَّةً، والجمهورُ على أنَّها مكِّيَّةٌ.

وقيلَ: إنَّهُ لا يُنافي كونَ الآيَةِ مكِّيَّةً، وهيَ إخبارٌ عمَّا سيشهدُوا بهِ، أو أنَّهُم قيلَ لهُم لستُم بأهلِ كتابٍ فاسألوا أهلَهُ، فإنَّهُم في جوارِكُم، فتأمَّلْ. «حاشية الشهاب».

(٦) نسبت للنبي ﷺ، وعليٍّ وابن عباس وأبيٍّ رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير وعكرمة، ومجاهد بخلاف، والحسن بخلاف، وعبد الرحمن بن أبي بكرة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة، ورُويت عن الأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٥٨).

=

و﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على الأوَّلِ يَرْتَفِعُ بالظَّرفِ، فإنَّه مُعتَمِدٌ على الموصولِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مبتدَأً والظَّرفُ خبرُهُ، وهو مُتعيِّنٌ للثَّانيةِ.

وقرئ: (ومِن عِندِهِ عُلِمَ) بالحرفِ والبِناءِ للمَفعولِ[1].

عَن رَسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الرَّعدِ أُعْطِيَ مِن الأَجرِ عشرَ حَسناتٍ بوزنِ كلِّ سَحابٍ مَضَى وكلِّ سَحابٍ يكونُ إلى يومِ القِيامَةِ، وبُعِثَ يومَ القِيامَةِ مِن الموقنينَ بعَهْدِ اللهِ»[2].

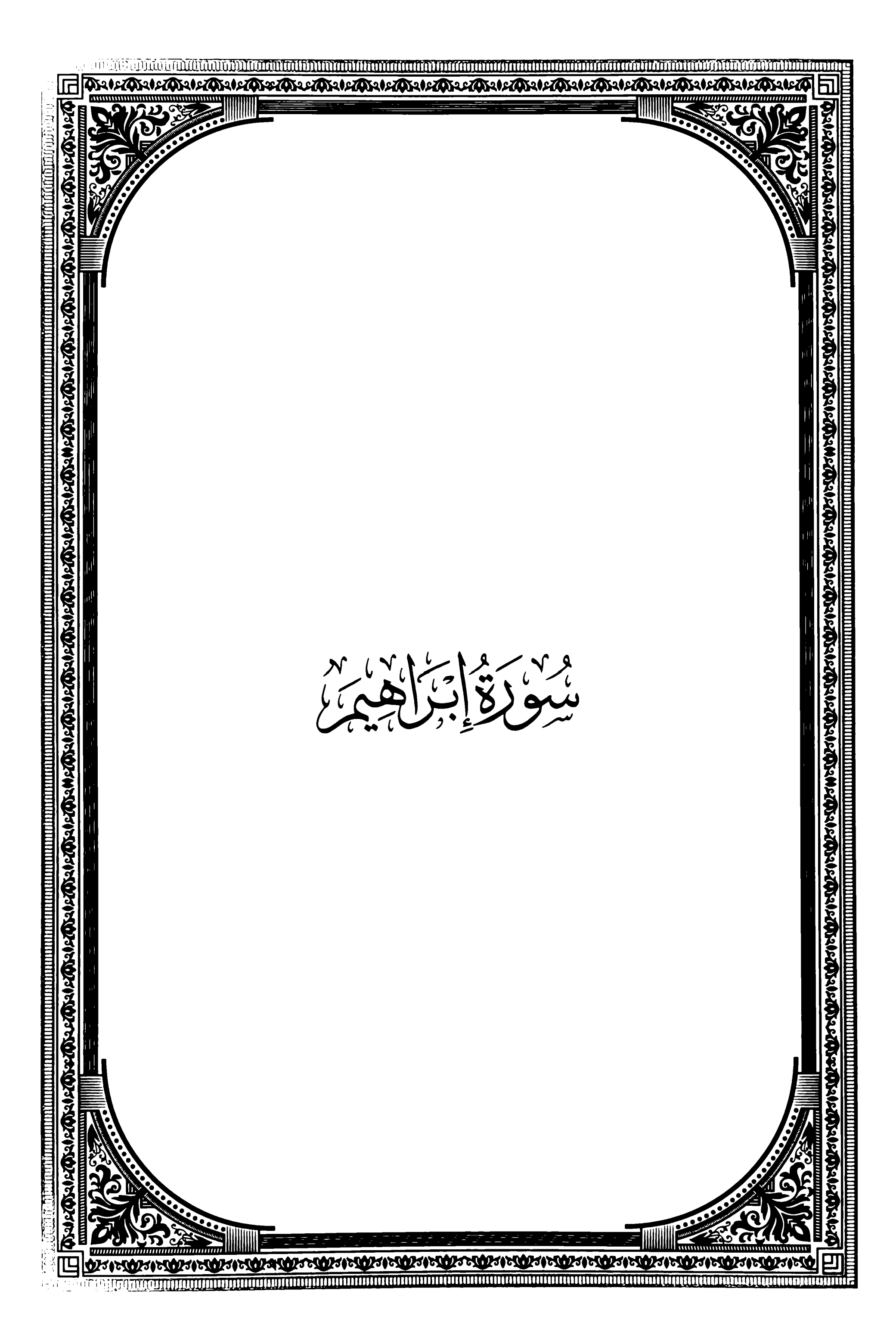
***

= ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك.

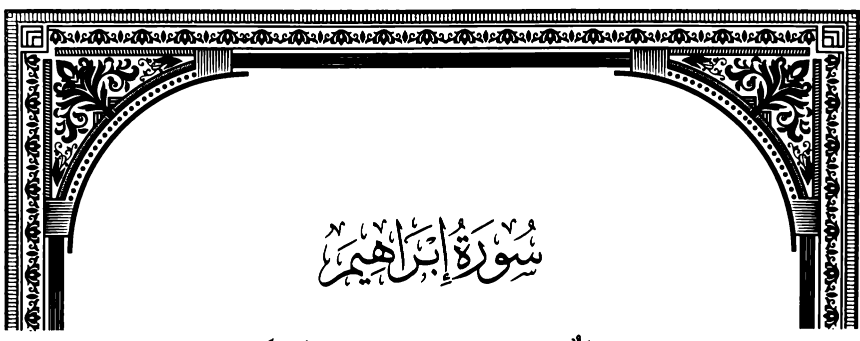
وأما نسبتها للنبي ﷺ فقد قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦) بعد أن ذكر خبرًا مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ يؤيد هذه القراءة: وهذا خبر ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزُّهري، فإذا كان ذلك كذلك، وكانت قراء الأمصار من أهل الحجاز والشَّام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، كان التَّأويل الذي على المعنى الذي عليه قرَّاء الأمصار أولى بالصَّواب ممَّن خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب.

(١) نسبت لعلي رضي الله عنه وابن السميفع والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٨). ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦) عن الحسن.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٧٤٢)، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ



مكيَّةٌ(١)، وهي إحدى وخمسونَ آيةً(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هو كتابٌ ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بدُعائِكَ إيَّاهُم إلى ما تضمَّنَه ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: مِن أنواعِ الضَّلالِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى الهُدى.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بتَوفيقِه وتَسهيلِه، مُستعارٌ مِن الإذنِ الذي هو تَسهيلُ الحِجابِ، وهو صِلَةٌ لـ﴿تُخْرِجَ﴾ أو حالٌ مِن فاعلِه أو مَفعولِه.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بدلٌ مِن قَولِه: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بتكريرِ العاملِ، أو استئنافٌ على أنَّه جوابٌ لِمَن يسأَلُ عنه، وإضافَةُ الصِّراطِ إلى اللهِ إمَّا لأنَّه مقصدُهُ، أو المظهِرُ له، وتخصيصُ الوَصْفينِ للتَّنبيهِ على أنَّه لا يَذلُّ سالِكُهُ ولا يَخيبُ سائِلُه.

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على قراءةِ نافعٍ وابنِ عامرٍ(٣) مبتدأٌ وخَبرٌ، أو ﴿ٱللَّهِ﴾ خبرُ مَحذوفٍ و﴿ٱلَّذِى﴾ صِفَتُه، وعلى قراءةِ

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧١)، وفيه: مكِّيَّة إلاَّ آيتين منها نزلتا بالمدينة في قتلى قريش يوم بدر، كذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة، وهما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧١)، وفيه: وهي خمسون وآيةٌ في البَصْريّ، وآيتان في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشَّامي. ثم ذكر الآيات التي وقع الاختلاف فيها.

(٣) أي: بالرفع، والباقون بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

الباقينَ عطفُ بيانٍ لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾؛ لأنَّه كالعَلَمِ لاختِصاصِهِ بالمَعبودِ[١] الحَقِّ.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وعيدٌ لِمَن كَفَرَ بالكِتابِ ولم يخرُجْ بهِ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، والوَيْلُ: نقيضُ الوَأْلِ وهو النَّجاةُ، وأصلُه النَّصبُ ـ لأنَّه مصدرٌ إلا أنه لم يُشتقَّ مِنه ـ لكنَّه رُفِعَ لإفادةِ الثَّباتِ.

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: يختارونَها عليها، فإنَّ المُختارَ للشَّيءِ يطلبُ مِن نفسِهِ أَنْ يكونَ أَحَبَّ إِلَيْها مِن غَيرِه.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بتعويقِ النَّاسِ عَن الإيمانِ.

وقُرِئَ: (ويُصِدُّونَ) مِن أَصَدَّهُ[٢]، وهو مَنقولٌ مِن صَدَّ صُدُودًا: إذا تنكَّبَ، وليسَ فصيحًا[٣]؛ لأنَّ في صدَّهُ مَندوحَةً عَن تكلُّفِ التَّعدِيَةِ.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: ويبغونَ لها زيغًا ونُكوبًا عن الحقِّ ليَقدَحُوا فيه، فحُذِفَ الجارُّ وأوصِلَ الفِعلُ إلى الضَّميرِ، والموصولُ بصِلَتِه يَحتَمِلُ الجرَّ صفةً لـ(الكافرين)، والنَّصبَ على الذمِّ، والرَّفعَ عليهِ، أو على أنَّه مُبتدأٌ خبرُه:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: ضَلُّوا عَن الحَقِّ ووَقَعُوا عنه بمَراحِلَ، والبعدُ

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «على الحق»، وفي نسخة التفتازاني: «وعلى الحق».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«الكشاف» (٤/ ٤١٧)، و«البحر» (١٣/ ١٢٨)، عن الحسن.

(٣) قال السيوطي: تَبِعَ في ذلك الزَّمخشريَّ. وقد قال الطِّيبيُّ: هذا مبنيٌّ على عادَتِه ـ أي الزمخشري ـ بأنَّ القِراءةَ ليسَتْ مَوقوفَةً على السَّماعِ، بل على الاجتهادِ، انتهى. قال الخفاجي في «الحاشية»: ليسَ هذا مبنيًّا على مذهبِ الزَّمخشريِّ من أنَّ القراءَة تكونُ برأي واجتهاد دون سماع منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، كما قيلَ. وإنما هي ليست فصيحة بالنِّسبَةِ إلى اللُّغَة الأُخرى والقراءَة الأُخرى، ولا مَحذورَ في كونِ القراءَة المُتواتِرَة أفصح من غيرها.

في الحَقيقَةِ للضَّالِّ، فوُصِفَ بهِ فِعلُهُ للمُبالغَةِ، أو للأَمْرِ[1] الذي به الضَّلالُ، فوُصِفَ به لمُلَابسَتِهِ.

(٤) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلا بلُغَةِ قَومِه الذي هو مِنْهُم وبُعِثَ فيهِم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ ما أُمِرُوا به فيَفْقَهُوهُ عَنْه بيُسْرٍ وسُرْعَةٍ ثمَّ يَنْقُلوهُ ويُتَرْجِمُوه لغَيْرِهم، فإنَّهُم أَوْلَى النَّاسِ إليهِ بأَنْ يَدْعُوهُم، وأَحَقُّ بأَنْ يُنذِرَهُم، ولذلك أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ بإنذارِ عَشِيرته الأقربين أَوَّلًا، ولو نزلَ على مَن بُعِثَ إلى أُمَمٍ مُختلفَةٍ كُتُبٌ على أَلسِنَتِهم استقلَّ ذلك بنوعٍ مِن الإعجازِ، لكِنْ أَدَّى إلى اختلافِ الكَلِمَةِ وإضاعَةِ فَضْلِ الاجتِهَادِ في تعَلُّمِ الأَلفاظِ ومَعانِيها والعُلومِ المُتشعِّبَةِ مِنْها، وما في إتعابِ القَرائحِ وكَدِّ النَّفسِ مِن القُرَبِ المُقتَضِيَةِ لجَزيلِ الثَّوابِ.

وقُرِئَ: (بلِسْنِ)[2]، وهو لغَةٌ فيهِ كرِيشٍ ورِيَاشٍ، و: (لُسُن) بضَمَّتينِ[3]، وضَمَّةٍ وسُكونٍ[4]، على الجَمعِ، كعُمُدٍ وعُمْدٍ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿قَوۡمِهِۦ﴾ لِمُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، وأنَّه تَعالى أنزلَ الكُتبَ كلَّها بالعربيَّةِ ثمَّ ترجمَها جِبريلُ، أو كلُّ[5] نبيٍّ بلغَةِ المنزلِ عليهِم، وذلك يردُّه قولُه: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ فإنَّه ضَميرُ القَومِ، والتَّوراةُ والإنجيلُ ونحوُهُما لم تنزِل لتبيِّنَ للعربِ.

---

(١) قوله: «للأمر» عطف على قوله: «للضال».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٩)، عن أبي السمال. وزاد ابن خالويه: الأعمش.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢) عن جناح بن حبيش.

(٤) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٢٠) دون نسبة.

(٥) قوله: «كلُّ» عطف على قوله: «جبريل».

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: فيخذلُه عَن الإيمانِ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتَّوفيقِ له ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُغلبُ على مشيئتِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يُضِلُّ ولا يَهدِي إلا لحكمةٍ.

(٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يعني: اليدَ والعَصا وسائرَ مُعجِزاتِه.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بمعنى: أي أَخرِجْ؛ لأنَّ في الإرسالِ مَعنى القولِ، أو: بأَنْ أخرِجْ، فإنَّ صِيغَ الأفعالِ سَواءٌ في الدَّلالةِ على المصدرِ، فيَصِحُّ أن يُوصَلَ بها (أنْ) الناصبةُ.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: بوقائعِه التي وقعَت على الأُمَم الدَّارجةِ، وأيامُ العَرَبِ: حروبُها، وقيل: بنَعمائِه وبَلائِه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يصبرُ على بَلائِه[1] ويشكرُ لنَعمائِه، فإنَّه إذا سمعَ بما نزلَ على مَن قبلَهُ مِن البَلاءِ وأُفيضَ عليهِمْ مِن النَّعماءِ اعتبَرَ وتَنبَّهَ لِمَا يَجِبُ عليهِ مِن الصَّبرِ والشُّكرِ.

وقيل: المرادُ: لكلِّ مؤمنٍ، وإنَّما عبَّرَ عنه[2] بذلك تنبيهًا على أنَّ الصَّبرَ والشُّكرَ عنوانُ المُؤمِنِ.

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: اذكُرُوا نعمتَهُ وقتَ إنجائِه إيَّاكُم، ويجوزُ أن ينتَصِبَ بـ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إن جُعِلَت مُستقرَّةً غيرَ صِلَةٍ للنِّعمَةِ، وذلك إذا أُريدَت بها العَطِيَّةُ دونَ الإنعامِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ بدلًا مِن ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «بلاء الله».

(٢) في النسخ: «عنهم»، ولعل الصواب هو المثبت.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أحوالٌ مِن ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أو مِن ضَميرِ المُخاطبين، والمرادُ بـ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ هاهنا غيرُ المرادِ بهِ في سُورةِ البَقرةِ والأَعرافِ؛ لأنَّه مُفسَّرٌ بالتَّذبيحِ والقتلِ ثَمَّ، ومعطوفٌ عليه التَّذبيحُ هاهنا، وهو إمَّا جنسُ العَذابِ أو استِعبادُهُم واستِعمالُهُم بالأَعمالِ الشَّاقَّةِ.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ من حيثُ إنَّه بإقدارِ اللهِ تَعالى إيَّاهُم وإمهالهم فيهِ[1] ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ابتلاءٌ مِنْه، ويجوزُ أَنْ تكونَ الإشارةُ إلى الإنجاءِ، والمرادُ بالبَلاءِ النِّعمَةُ.

(٧) ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أيضًا مِن كَلامِ مُوسَى، و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمَعنى: آذَنَ، كتَوعَّدَ وأَوْعَدَ، غيرَ أنَّه أبلَغُ لِمَا في التَّفعُّلِ مِن مَعنى التَّكلُّفِ والمُبالَغةِ.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بَني إسرائيلَ ما أنعمتُ عليكُمْ مِن الإنجاءِ وغَيرِهِ بالإيمانِ والعَملِ الصَّالحِ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمَةً إلى نِعمَةٍ ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ فلعَلِّي أُعَذِّبُكُم على الكُفرانِ عَذابًا شديدًا، ومِن عادةِ أكرمِ الأَكرمينَ أن يصرِّحَ بالوَعدِ ويُعرِّضَ بالوَعيدِ.

والجُملَةُ مقولُ قَولٍ مَحذوفٍ، أو مفعولُ ﴿تَأَذَّنَ﴾ على أنَّه مُجرًى مُجرى (قال)؛ لأنَّه ضربٌ مِنه.

(٨) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن الثَّقلينِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عَن شُكرِكُم ﴿حَمِيدٌ﴾ مُستَحِقٌّ للحَمدِ في ذاتِه، مَحمودٌ تَحمَدُهُ المَلائكَةُ وتَنطِقُ

---

(١) تبعَ فيهِ الزَّمخشريَّ، وهوَ إنَّما فسَّرَهُ بِهِ بناءً على مذهبِهِ فلو قالَ: من حيثُ إنَّه بخلق الله وإيجاده، وإن كانَ بكسبهم كانَ أوفى بمذهبِ أهل السُّنَّةِ، والإشارَة على هذا إلى فعلِ آل فرعون بهم، وإنَّما عدلَ عنه؛ لأنَّهُ مُناسب لإمهالهم فتنبه له. قاله الخفاجي في «الحاشية».

بنِعَمِه ذرَّاتُ[1] المَخلوقاتِ، فما ضَررتُم بالكُفرانِ إلا أَنفُسَكُم، حيثُ حَرَمْتُموها مَزِيدَ الإنعامِ، وعَرَّضْتُموهَا للعَذابِ الشَّديدِ.

(٩) ـ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ مِـن كَلامِ مُوسى عليهِ السَّلامُ، أو كَلامٌ مبتدأٌ مِن اللهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جمـلَةٌ وقَعَت اعتِرَاضًا، أو: ﴿الَّذين مِن بَعْدِهِم﴾ عطفٌ على ما قبلَه، و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾ اعتراضٌ[2].

والمَعنى: أَنَّهُم لكَثْرَتِهم لا يعلَمُ عددَهُم إلا اللهُ، ولذلك قالَ ابنُ مَسعودٍ: كذبَ النَّسَّابونَ[3].

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: فعَضُّـوهـا غيظًا مما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كقولِه: ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، أو: وَضَعُوهَا عَلَيْها تَعَجُّبًا منه، أو استهزاءً عليه كمَن غلبَهُ الضَّحِكُ، أو إسكاتًا للأنبياءِ وأمرًا لهم بإطباقِ الأَفْواهِ، أو أشارُوا بها إلى ألسِنَتِهِم وما نطقَتْ بِهِ مِن قَوْلِهِم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ تنبيهًا على أنْ لا جوابَ لَهُم سِواه.

أو: ردُّوها في أفواهِ الأَنبياءِ يَمْنَعُونَهُم عـن التَّكلُّمِ، وعـلى هذا يَحتَمِلُ أن يكونَ تمثيلًا.

---

(١) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «ذوات».

(٢) قـال الطِّيبِيُّ: هذا أحسَـنُ مِـن الأَوَّلِ ـ أي الاعتـراض ـ؛ لأنَّ الاعتراضَ مِن التَّحاسـينِ في الكلامِ، وحَسَّـنَ مَوقِعَـه أنَّ يكـونَ مَـع التَّأكيـدِ ألطَـفُ كمـا قـال: والمَعنى أنَّهـم لكَثْرَتِهـم لا يعلَـمُ عَددَهُم إلا اللهُ، وعلـى الأوَّلِ ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ليـسَ فـي رائحَـةٍ مِـن ذلك. «فتوح الغيـب» (٨/ ٥٥٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٤).

وقيل: الأَيْدِي بمعنى: الأَيَادِي؛ أي: رَدُّوا أيادِيَ الأنبياءِ التي هيَ مواعِظُهُم وما أُوحِيَ إليهِمْ مِن الحِكَمِ والشَّرائعِ في أفواهِهِم؛ لأَنَّهم إذا كذَّبُوها أو لم يَقبَلُوها، فكأَنَّهُم رَدُّوها إلى حيثُ جاءَتْ منه.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ على زَعْمِكُم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ مِن الإيمانِ. وقُرِئَ: (تَدعونَّا) بالإدغامِ[1].

﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبَةِ، أو: ذِي رِيبَةٍ، وهي قَلَقُ النَّفسِ وأن لا تَطمَئِنَّ إلى شيءٍ.

(١٠) ـ ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أُدْخِلَت هَمزَةُ الإنكارِ على الظَّرفِ لأنَّ الكَلامَ في المَشكوكِ فيه لا في الشكِّ؛ أي: إنَّما نَدعوكُم إلى اللهِ وهو لا يَحتَمِلُ الشَّكَّ لكثرةِ الأدِلَّةِ وظهورِ دَلالَتِها عليه، وأشارُوا إلى ذلكَ بقَولِه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهو صِفَةٌ أو بَدَلٌ، و﴿شَكٌّ﴾ مُرتَفِعٌ بالظَّرفِ.

﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى الإيمانِ ببَعثِهِ إيَّانا ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾ أو: يَدعوكُم إلى المغفرَةِ، كقولك: دَعَوْتُه لِيَنْصُرَنِي، على إقامَةِ المَفعولِ له مُقامَ المفعولِ به.

﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾: بعضَ ذُنوبِكُم، وهو ما بينكُم وبينَهُ؛ فإنَّ الإسلامَ يَجبُّه دونَ المَظالمِ.

وقيل: جيءَ بـ﴿مِّن﴾ في خطابِ الكفرَةِ دونَ المُؤمنينَ في جميعِ القُرآنِ تفرقةً بينَ الخِطابينِ، ولعلَّ المَعنى فيه: أنَّ المَغفِرَةَ حيثُ جاءَتْ في خطابِ الكُفَّارِ مرتَّبَةٌ[2] على الإيمانِ، وحيثُ جاءَتْ في خطابِ المُؤمنينَ مَشفوعَةٌ بالطَّاعةِ والتَّجنُّبِ عَن المَعاصِي ونحوِ ذلك فتتناوَلُ الخُروجَ عَن المَظالمِ.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٢٧) عن طلحة بن مصرف.

(٢) في نسخة الخيالي: «مترتبة».

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقتٍ سَمَّاهُ اللهُ وجعلَهُ آخرَ أعمارِكُم.

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضلَ لَكُم علينا، فلمَ تُخَصُّونَ بالنبوَّةِ دونَنا، ولو شاءَ اللهُ أَنْ يبعثَ إلى البشرِ رُسُلًا لبَعَثَ مِن جنسٍ أفضَلَ.

﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ بهذه الدَّعوَى[1] ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يدلُّ على فَضلِكُم واستِحقاقِكُم لهذه المَزِيَّةِ، أو على صِحَّةِ ادِّعائِكُم النبوَّةَ، كأنَّهُم لم يَعتبِرُوا ما جاؤوا به مِن البيِّنَاتِ والحُجَجِ واقترحُوا عليهم آيةً أخرى تعنُّتًا ولجاجًا.

(١١) - ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ سَلَّمُوا مُشاركتَهُم في الجنسِ، وجَعَلُوا الموجِبُ لاختِصاصِهِم بالنُّبوَّةِ فضلَ اللهِ ومَنَّهُ عليهِم، وفيه دليلٌ على أنَّ النبوَّةَ عَطائيَّةٌ، وأنَّ تَرجيحَ بَعضِ الجائزاتِ على بَعضٍ بمَشيئَةِ اللهِ تَعالى.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليسَ إِلَينا الإتيانُ بالآياتِ ولا تَستبدُّ به استطاعتُنا حتى نَأتِيَ بما اقترَحْتُموهُ، وإنَّما هو أَمْرٌ يَتعلَّقُ بمشيئَةِ اللهِ تعالى فيَخُصُّ كُلَّ نَبِيٍّ بنوعٍ مِن الآياتِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فلْنتوَكَّل عليه في الصَّبرِ[2] على مُعانَدَتِكُم ومُعادَاتِكُم.

عمَّموا الأمرَ للإشعارِ بما يوجبُ التَّوكُّلَ، وقصَدوا به أنفسَهُم قصدًا أوَّليًا، ألا تَرى قولَه:

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «الدعوة».

(٢) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «بالصبر»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(١٢) ـ ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: أيُّ عذرٍ لنا في أن لا نتوكَّلَ ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ التي بها نَعرِفُه، ونعلمُ أنَّ الأمورَ كلَّها بيَدِه.

وقرأَ أبو عَمرٍو بالتَّخفيفِ هاهنا وفي (العَنكبوتِ)[١].

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ جوابُ قَسمٍ مَحذوفٍ أكَّدُوا به توكُّلَهُم وعدمَ مُبالاتِهِم بما يَجرِي من الكُفَّارِ عليهِم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: فلْيَثْبُتِ المُتوكِّلونَ على ما استحدَثوهُ مِن تَوكُّلِهِم المُسبَّبِ عَن إيمانِهِم.

(١٣) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ حَلَفُوا على أنْ يكونَ أحدُ الأَمرينِ: إمَّا إخراجُهُم للرُّسُلِ، أو عَوْدُهُم إلى مِلَّتِهِم، وهو بمَعْنَى الصَّيرورةِ؛ لأنَّهُم لم يَكونُوا على مِلَّتِهِم قطُّ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الخِطابُ لكلِّ رَسولٍ ولِمَن آمنَ مَعَه، فغلَّبوا الجماعةَ على الواحِدِ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾؛ أي: إلى الرُّسُلِ ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ على إضمارِ القَولِ، أو إجراءِ الإيحاءِ مُجراهُ لأنَّه نوعٌ مِنه.

(١٤) ـ ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾؛ أي: أرضَهُم وديارَهُم، كقولِه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقُرِئَ: (ليُهْلِكَنَّ... وليُسكِنَنَّكُم) بالياءِ[٢] اعتبارًا لـ﴿أَوْحَىٰ﴾، كقولك: أقسمَ زَيدٌ ليَخرُجَنَّ.

﴿ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى الموحَى به، وهو إهلاكُ الظَّالِمينَ وإسكانُ المُؤمنينَ.

---

(١) أي: ﴿سُبْلَنَا ﴾ بسكون الباء. انظر: «التيسير» (ص: ٨٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢) عن أبي حيوة.

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾: مَوقِفِي، وهو الموقفُ الذي يقيمُ فيه العبادَ للحُكومَةِ يومَ القِيامَةِ، أو: قيامي عليه وحِفظي لأَعمالِه. وقيل: المقامُ مُقحَمٌ.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾؛ أي: وَعيدِي بالعَذابِ، أو: عَذابي المَوعودَ للكُفَّارِ.

(١٥) ـ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾: سَأَلُوا مِن اللهِ الفَتحَ على أَعدائِهم، أو القَضاءَ بينَهُم وبينَ أَعدائِهم، مِن الفُتاحةِ[1]، كقولِه: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وهو مَعطوفٌ على ﴿فَأَوْحَىٰ﴾.

والضَّميرُ للأَنبياءِ، وقيل: للكفرَةِ، وقيل: للفَرِيقَيْنِ، فإنَّ كلَّهُم سألوهُ أن يَنصرَ المحقَّ ويُهلِكَ المبطِلَ، وقُرِئَ بلفظِ الأمرِ[2] عَطْفًا على ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ أي: ففتحَ لهم فأفلَحَ المُؤمنونَ وخابَ كلُّ جبارٍ عاتٍ مُتكبِّرٍ على اللهِ مُعانِدٍ للحقِّ فلَمْ يُفلِح، ومَعنى الخيبَةِ إذا كانَ الاستِفتاحُ مِن الكفرَةِ أو مِن القَبيلَينِ كانَ أوقعَ.

(١٦) ـ ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: مِن بينِ يديهِ فإنَّه مُرْصَدٌ[3] بها واقفٌ على شَفيرِها في الدُّنيا مَبعوثٌ إليها في الآخرةِ، وقيل: مِن وَراءِ حياتِه، وحقيقتُه: ما تَوارَى عنكَ.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ﴾ عطفٌ على محذوفٍ تَقديرُه: مِن وَرائِه جهنَّمُ يَلْقَى فيها ما يَلْقَى ويُسْقَى.

﴿صَدِيدٍ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿مَّاءٍ﴾، وهو ما يسيلُ مِن جلودِ أَهْلِ النَّارِ.

---

(١) وهي الحكومة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٩)، عن ابن عباس ومجاهد وابن محيصن.

(٣) أي مترقِّب.

(١٧) ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلَّفُ جرعَهُ، وهو صِفَةٌ لـ﴿مَّآءٍ﴾، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿وَيُسْقَىٰ﴾.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: ولا يقارِبُ أَنْ يُسيغَهُ فكيفَ يُسيغُه؟ بل يَغَصُّ به فيطولُ عذابُه، والسَّوغُ: جوازُ الشَّرابِ على الحلقِ بسُهُولةٍ وقَبولِ نَفْسٍ.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: أسبابُه مِن الشَّدائدِ فتُحِيطَ به مِن جميعِ الجِهاتِ.

وقيل: مِن كلِّ مَكانٍ مِن جَسَدِه حتَّى مِن أُصولِ شَعرِهِ وإبهامِ رِجلِه.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيَستريحَ.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: ومِن بينِ يديهِ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾؛ أي: يَستقبلُ في كلِّ وقتٍ عَذابًا أشدَّ ممَّا هو عليه.

وقيل: هو الخلودُ في النَّارِ.

وقيل: حبسُ الأَنفاسِ.

وقيل: الآيةُ مُنقطِعَةٌ عَن قصَّةِ الرسلِ نازلةٌ في أَهلِ مَكَّةَ، طلبُوا الفتحَ الذي هو المطرُ في سِنِيهِم التي أرسلَ اللهُ عليهِم بدعوةِ رسولِه فخيَّبَ رجاءَهُم فلَمْ يَسْقِهِم، ووعدَ لَهُم أن يَسْقِيَهُم في جَهنَّمَ بدلَ سُقياهُم صديدَ أهلِ النَّارِ.

(١٨) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ مُبتدأٌ خبرُه مَحذوفٌ؛ أي: فيما يُتلَى عليكُمْ صِفَتُهُم التي هي مثلٌ في الغَرابةِ، أو قولُه: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ وهي على الأوَّلِ جملةٌ مُستأنفَةٌ لبيانِ مَثَلِهِم.

وقيل: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بدلٌ مِن المَثَلِ[1]، والخبرُ: ﴿كَرَمَادٍ﴾.

---

(١) أي: مثل أعمالهم.

﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حَمَلتْهُ وأسرَعَت الذَّهابَ به، وقرأ نافعٌ: ﴿الرِّياحُ﴾[1].

﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العَصْفُ: اشتِدادُ الرِّيحِ، وصَفَ به زمانَه للمُبالغَةِ، كقولِهم: نهارُهُ صائِمٌ وليلُهُ قائِمٌ، شبَّهَ صَنائِعَهُم مِن الصَّدقةِ وصِلَةِ الرَّحمِ وإغاثَةِ المَلهوفِ وعِتقِ الرِّقابِ ونحوِ ذلك مِن مَكارِمِهم في حُبوطِها لبنائِهَا على غَيرِ أَساسٍ مِن مَعرفَةِ اللهِ والتوجُّهِ بها إليه، أو أعمالَهم للأَصنامِ، برمادٍ[2] طيَّرَتْهُ الريحُ العاصِفَةُ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يومَ القِيامَةِ ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ مِن أعمالِهم ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لحبوطِه، فلا يَرونَ له أثرًا مِن الثَّوابِ، وهو فَذْلَكَةُ التَّمثيلِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ضَلالِهِم مع حسبانِهِم أنَّهُم مُحسِنونَ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ فإنَّه الغايَةُ في البُعدِ عَن طريقِ الحقِّ.

(١٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ، والمرادُ بِهِ أُمَّتُه. وقيل: لكلِّ واحدٍ مِن الكفرةِ على التَّلوين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمةِ والوجهِ الذي يحقُّ أن تُخلقَ عليه.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿خالقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[3].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يُعدِمْكُم ويَخْلُقْ خلقًا آخرَ مَكانَكُم، رتَّبَ ذلك على كونِه خالقًا للسَّماواتِ والأرضِ استِدلالًا به عليه، فإنَّ مَن خلقَ أُصولَهُم وما يتوقَّفُ عليه تَخليقُهُم ثمَّ كوَّنَهُم بتَبديلِ الصُّوَرِ وتَغييرِ الطَّبائعِ، قدَرَ أَنْ يبدِّلَهُم بخلقٍ آخرَ ولم يمتنِعْ عليه ذلك كمَا قال:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

(٢) قوله: «برماد» متعلق بـ«شَبَّه».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٢٠) ـ ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾: بمُتعذِّرٍ أو مُتعسِّرٍ، فإنَّه قادِرٌ لذاتِه لا اختصاصَ له بمَقدورٍ دونَ مَقدورٍ، ومَن هذا شأْنُهُ كانَ حقيقًا بأن يؤمَنَ به ويُعبَدَ رجاءَ لثوابِهِ وخَوْفًا مِن عقابِه يومَ الجَزاءِ.

(٢١) ـ ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ أي: يَبرزونَ مِن قُبورِهم يومَ القِيامَةِ لأمرِ اللهِ ومُحاسبتِه، أو للهِ على ظَنِّهم فإنَّهُم كانوا يُخفونَ ارتكابَ الفَواحشِ ويَظنُّونَ أنَّها تَخفى على اللهِ، فإذا كانَ يومُ القيامَةِ انكشَفُوا للهِ عندَ أَنفُسِهم، وإنَّما ذُكرَ بلفظِ الماضي لتحقُّقِ وُقوعِه.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ ﴾: الأتباعُ، جمعُ ضَعيفٍ، يريدُ به ضِعافَ الرَّأيِ، وإنَّما كتبَ بالواوِ على لَفظِ مَن يُفخِّمُ الأَلِفَ قبلَ الهمزَةِ فيُميلُها إلى الواوِ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ ﴾: لرُؤسائِهم الذين استَتْبَعُوهُم واستَغْوَوْهُم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا ﴾ في تَكذيبِ الرُّسلِ والإعراضِ عَن نَصائِحِهم، وهو جمعُ تابعٍ، كغَائبٍ وغَيَبٍ، أو مصدرٌ نُعِتَ به للمُبالغةِ، أو على إضمارِ مُضافٍ.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا ﴾: رافعونَ عنَّا ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾، ﴿مِنۡ﴾ الأولى للبَيانِ واقعةٌ مَوقِعَ الحالِ، والثَّانِيَةُ للتَّبعيضِ واقِعَةٌ موقِعَ المَفعولِ؛ أي: بعضَ الشَّيءِ الذي هو عذابُ اللهِ.

ويجوزُ أَنْ تَكُونَا للتَّبعيضِ؛ أي: بعضَ شيءٍ هو بعضُ عَذابِ اللهِ، والإعرابُ ما سبقَ.

ويحتملُ أن تكونَ الأولى مَفْعولًا والثَّانيةُ مَصْدرًا؛ أي: فهَلْ أَنتُمْ مُغنونَ بعضَ العَذابِ بعضَ الإغناءِ.

﴿قَالُواْ ﴾؛ أي: الذين استكْبَروا جوابًا عن مُعاتبةِ الأتباعِ واعتذارًا عمَّا فَعَلُوا

بهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإيمانِ ووفَّقَنا له ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ ولكن ضَلَلنا فأَضْلَلناكُم؛ أي: اختَرْنا لكُم ما اخترناهُ لأنفُسِنا.

أو: لو هَدانا اللهُ طريقَ النَّجاةِ مِن العَذابِ لهَديناكُم وأغنيناه عَنْكُم كما عَرَّضْناكُم له، لكن سُدَّ دونَنا طريقُ الخَلاصِ.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ مَستوِيَانِ علينا الجَزَعُ والصَّبرُ ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ مَنْجًى ومَهْربٍ مِن العَذابِ، مِن الحَيْصِ، وهو العُدولُ على جِهَةِ الفِرارِ، وهو يحتمِلُ أَنْ يكونَ مَكانًا كالمَبيتِ، ومصدرًا كالمغيبِ.

ويجوزُ أن يكونَ قولُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾ من كلامِ الفريقينِ، ويؤيِّدُه ما رُوِيَ أَنَّهُم يقولون: تَعالَوا نَجزَعْ، فيَجْزَعونَ خمسَ مئة عامٍ فلا ينفعُهُم فيقولون: تعالَوا نَصبِرْ، فيَصبِرُونَ كذلك ثمَّ يَقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾[1].

(٢٢) - ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: أُحكِمَ[2] وفُرِغَ مِنْه، ودخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأَهلُ النَّارِ النَّارَ، خَطِيبًا في الأشقياءِ مِن الثَّقلينِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾: وَعْدًا مِن حَقِّه أَنْ يُنجَزَ، أو: وَعْدًا أنجزَهُ وهو الوَعْدُ بالبَعثِ والجزاءِ ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ وعدَ الباطلِ[3]، وهو أَنْ لا بعثَ ولا حِسابَ، وإن كانا فالأَصنامُ تشفَعُ لَكُم ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ جعلَ تبيُّنَ خُلفِ وَعدِهِ كالإخلافِ مِنْه.

---

(١) لم أقف فيه على خبر مرفوع أو موقوف، وإنما ورد في «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٣)، وذكره عن مقاتل الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٢٧ - ٦٢٨) معناه عن ابن زيد.

(٢) في نسخة التفتازاني: «حكم».

(٣) في نسخة التفتازاني: «الأباطيل».

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: تَسلُّطٍ فألجِئَكُم إلى الكُفرِ والمَعاصي ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: إلَّا دُعائي إيَّاكُم إليهَا بتَسويلي[1].

وهو ليسَ مِن جنسِ السُّلطانِ، ولكنَّهُ على طريقَةِ قولِهم:

تَحِيَّـــةُ بَيْنِهِـــم ضَـــرْبٌ وَجِيـــعُ[2]

ويجوزُ أَنْ يكونَ الاستثناءُ مُنقَطِعًا.

﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أَسْرَعْتُم إجابَتِي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوَسْوَسَتِي، فإنَّ مَن صَرَّحَ العَداوةَ لا يُلامُ بأَمثالِ ذلك ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ حيثُ أَطَعْتُمُونِي إذ دَعَوْتُكُم ولم تُطيعوا ربَّكُم لَمَّا دعاكُم.

واحتَجَّت المُعتزِلَةُ بأمثالِ ذلك على استقلالِ العَبدِ بأَفعالِه، وليسَ فيها ما يدلُّ عليه؛ إذ يَكفي لصِحَّتِها أن يكونَ لقُدرَةِ العَبدِ مدخلٌ ما في فعلِهِ، وهو الكسبُ الذي يقولُه أَصحابُنا.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثِكُم مِن العَذابِ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمُغيثيَّ.

وقرأَ حمزَةُ بكسرِ اليَاءِ[3] على الأصلِ في التقاءِ السَّاكِنَينِ، وهو أصلٌ مَرفوضٌ في مثلِهِ لِمَا فيهِ مِن اجتماعِ ياءَينِ وثلاثِ كَسراتٍ[4]، مع أنَّ حركَةَ ياءِ الإضافةِ الفَتحُ،

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «بتسويل».

(٢) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٢٨)، و«الخزانة» (٩/ ٢٦٥)، وقال البغدادي: ولم أره في شعره. وقد تقدم مراراً.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (٢: ١٣٤).

(٤) قال الخفاجي في «حاشيته»: طعن في هذهِ القراءَةِ الزَّجَّاج رحمَه اللهُ، واستضعفها تبعًا للفراء، وتبعَهُ الزَّمخشريّ، والمُصنِّفُ رحمَه اللهُ - يعني البيضاوي - والإمام - يعني الرازي -، وهوَ وهم منهم؛ فإنَّها قراءَة مُتواتِرَة عن السلف، والخلف، فلا يجوزُ أن يقال إنَّها خطا أو قبيحَة، وقد وجهت بأنَّها لغَة بني =

فإذا لم تُكسَر وقبلَها ألِفٌ فبالحريِّ أنْ لا تُكسرَ وقبلَها ياءٌ، أو على لُغَةِ مَن يزيدُ ياءً على ياءِ الإضافةِ إجراءً لها مُجرى الهاءِ والكافِ في: ضربتُه وأَعْطَيْتُكَهُ[1]، وحذف الياء اكتفاءً بالكسرةِ[2].

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ (ما) إمَّا مَصدريَّةٌ و﴿مِن﴾ مُتعلِّقَةٌ بـ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾؛ أي: كَفَرْتُ اليومَ بإشراكِكُم إيَّايَ مِن قبلِ هذا اليومِ؛ أي: في الدُّنيا، بمَعنى: تبرَّأْتُ مِنه واستَنْكَرْتُه، كقَولِه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

أو مَوصولَةٌ بمعنى (مَن) نحو (ما) في قولهم: (سبحانَ ما سَخَّرَكُنَّ لنا)، و﴿مِن﴾ مُتعلِّقَةٌ بـ﴿كَفَرْتُ﴾؛ أي: كفرتُ بالذي أشركتُمُونِيهِ ـ وهو الله تعالى ـ بطاعَتِكُم إيَّايَ فيما دَعَوْتُكُم إليه مِن عِبادةِ الأَصنامِ وغيرِها مِن قبلِ إشراكِكُم حينَ رَدَدْتُ أمرَهُ بالسُّجودِ لآدمَ. و(أشرك) منقولٌ مِن شَرِكْتُ زيداً للتَّعدِيَةِ إلى مَفعولٍ ثانٍ.

= يربوع كما نقلَه قُطْرُب، وأبو عمرو ونحاة الكوفَة. وانظر ردَّ أبي حيان كذلك في «البحر المحيط» (١٣/ ١٦٦).

(١) في نسخة الخيالي: «وأعطيتك».

(٢) قوله: «إجراء لها» تعليلٌ لصحة قراءةِ حمزةَ «مجرى الهاء والكاف في ضربته وأعطيتكه»؛ أي: في أن كلاً من هاء الضمير وكافِه يُتبعُ بحرف لِيْنٍ من حركته يُسمَّى صِلةً، فيقال في الهاء: لهو وبهي، وفي الكاف: أعطيتكاه وأعطيتكيه، «وحذف الياء اكتفاء بالكسرة» فيه معَ ما قبلَه خفاءٌ، وتحريرُه ما قاله غيره: إن أصلَ (مُصرِخيِّ): مُصْرِخِيِّي بثلاث ياءات: ياءِ الجمع، وياءِ الإضافة، وياءِ الصلة، لكنها حُذِفت لاجتماع الياءات، وبقيت الكسرةُ لتدلَّ على الياء المحذوفة كما في عليهِ وإليهِ، وإنما كُسِرت الياء لاجتماع سكونِ ياء الجمعِ وياء المتكلِّم بعدَ سقوط النون بالإضافة، فحُرِّكَت ياءُ المتكلِّم بالكسر على الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٧١).

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ تتمَّةُ كلامِهِ، أو ابتداءُ كلامٍ مِن اللهِ تَعالى، وفي حكايَةِ أمثالِ ذلك لطفٌ للسَّامعينَ، وإيقاظٌ لَهُم حتى يُحاسِبوا أنفُسَهُم ويَتدبَّرُوا عواقِبَهُم.

(٢٣) ـ ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾: بإذنِ اللهِ وأَمرِهِ، والمُدخِلُونَ هم الملائكَةُ.

وقُرِئَ: (أُدْخِلُ) على التكلُّمِ[1]، فيكونُ قولُه: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ مُتعلِّقًا بقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾؛ أي: تُحيِّيهِم المَلائكَةُ بالسَّلامِ بإذنِ رَبِّهِم.

(٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ كيفَ اعتمدَهُ ووَضعَهُ ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾؛ أي: جعلَ كلمَةً طيِّبَةً كشَجرةٍ طَيِّبَةٍ، وهو تَفسيرٌ لقولِه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾.

ويَجوزُ أَنْ تكونَ ﴿كَلِمَةٗ﴾ بدلًا مِن ﴿مَثَلٗا﴾ و﴿كَشَجَرَةٍ﴾ صِفَتَها أو خبرَ مُبتدأٍ مَحذوفٍ؛ أي: هي كشَجرةٍ، وأن تكونَ أَوَّلَ مفعولَيْ ﴿ضَرَبَ﴾ إجراءً له مُجرى (جعلَ).

وقد قُرِئَت بالرَّفعِ على الابتداءِ[2].

﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ في الأرضِ ضاربٌ بعُروقِه فيها ﴿وَفَرۡعُهَا﴾: وأعلاها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٦١)، عن الحسن وعمرو بن عبيد.

(٢) أي: (كلمةٌ). ذكرها العكبري في «التبيان» (٢/ ٧٦٨) دون نسبة.

ويجوزُ أَنْ يريدَ: وفروعُها؛ أي: أَفْنانُها، على الاكتفاءِ بلفظِ الجنسِ لاكتِسابِه[1] الاستغراقَ مِن الإضافةِ.

وقرئ: (ثابتٍ أَصلُها)[2]، والأوَّلُ على أَصلِه، ولذلك قيل: إنَّه أَقْوَى، ولعلَّ الثَّاني أبلَغُ[3].

(٢٥) - ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾: تُعطي ثَمرَهَا ﴿كُلَّ حِينِۭ﴾ وقَّتَهُ اللهُ لإثمارِهَا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادَةِ خالِقِهَا وتكوينِه.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأنَّ في ضَربِهَا زيادةَ إفهامٍ وتَذكيرٍ، فإنَّه تَصويرٌ للمَعاني وإدناءٌ لها مِن الحسِّ.

(٢٦) - ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ﴾: كمثلِ شَجرَةٍ ﴿خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ﴾: استُؤصِلَتْ وأُخِذَت جُثَّتُه في الكُلِّيَّةِ ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّ عُروقَهَا قَريبَةٌ منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: استقرار.

واختلفَ في الكلمَةِ والشَّجرَةِ؛ ففُسِّرَت الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ بكلمَةِ التَّوحيدِ ودعوةِ الإسلامِ والقُرآنِ، والكلمَةُ الخَبيثَةُ بالإشراكِ باللهِ والدُّعاءِ إلى الكُفرِ وتكذيبِ الحَقِّ،

---

(١) في نسخة التفتازاني: «لاكتسابها».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قوله: «والأول»؛ أي: من القراءتين «على أصله»؛ أي: وضعِه من حيثُ إفادةُ المعنى الأقوى؛ لأن في قراءة أنس أُجريت الصفةُ على الشجرة، وإذا قلتَ: (مررتُ برجلٍ أبوه قائمٌ) فهو أقوى معنًى من قولك: (مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه) لأن المخبَر عنه إنما هو الأبُ لا رجل، وهذا ما في «الكشاف» (٤/ ٤٤٢)، وقد حكاه المصنف مع ترجيحِه خلافَه بقوله: «ولذلك قيل: إنه أقوى، ولعل الثاني أبلغ». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٧١).

ولعلَّ المُرادَ بهمَا ما يَعُمُّ ذلك، فالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ما أَعربَ عَن حقٍّ أو دَعا إلى صَلاحٍ، والكَلِمَةُ الخبيثَةُ ما كانَ على خلافِ ذلك.

وفُسِّرَت الشَّجرةُ الطَّيِّبَةُ بالنَّخلةِ، ورُوِيَ ذلكَ مَرفوعًا[١]، وبشَجرةٍ في الجنَّةِ[٢]، والخبيثَةُ بالحَنْظَلَةِ، والكَشُوثِ[٣]، ولعلَّ المُرادَ بهما أيضًا ما يعمُّ ذلك.

(٢٧) ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾: الذي ثبتَ بالحُجَّةِ عِندَهُم وتَمكَّنَ في قلوبِهِم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فلا يَزِلُّونَ إذا افتُتِنُوا[٤] في دينِهِم كزَكرِيَّاءَ ويَحيَى وجرجيسَ وشَمسُونَ[٥] والذين فتَنَهُم أَصحابُ الأُخدودِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤١).
ورواه البخاري (١٣١) و(٤٦٩٨) و(٦١٤٤)، ومسلم (٢٨١١). وابن حبان في «صحيحه» (٢٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وصوَّب الطبري قولَ مَن قال: (هي النَّخْلَةُ) لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ.

(٣) قوله: «والكشوث»، بالثاء المثلثة: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. انظر: «الصحاح» (مادة: كشث).

(٤) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «إذا فتنوا».

(٥) روى قصته الطبري في «التاريخ» (٢/ ٢٢) عن وهب وملخصها: أنه كان من أهل قرية من قرى الروم، قد هداه الله لرشده، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله، وكان قد أعطي قوة في البطش، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، وكان على ذلك يجاهدهم في الله ويغزوهم، ويصيب منهم حاجته، لا يقدرون منه على شيء، فأخذوه بالحيلة من قِبَل امرأته، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه، فأوثقه ذلك، وبعثت إلى =

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فلا يَتلَعْثَمُونَ إذا سُئِلُوا عَن مُعتقَدِهِم في المَوقِفِ، ولا تُدهِشُهُم أهوالُ[١] القيامَةِ، ورُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ ذكرَ قبضَ روحِ المُؤمنِ فقال: «ثمَّ تُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ فيأتيهِ مَلَكانِ فيُجلِسَانِه في قَبرِهِ ويَقُولانِ له: مَن ربُّكَ، وما دِينُكَ، ومَن نَبيُّكَ؟ فيقول: ربِّي اللهُ ودِيني الإسلامُ ونَبيِّي محمَّدٌ، فيُنادِي مُنادٍ مِن السَّماءِ: أنْ صدَقَ عَبْدِي، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[٢].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم بالاقتصارِ على التَّقليدِ فلا يهتدونَ إلى الحَقِّ ولا يَثْبُتونَ في مواقفِ الفِتَنِ.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن تَثبيتِ بَعضٍ وإضلالِ آخرينَ مِن غيرِ اعتراضٍ عليه.

(٢٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾؛ أي: شُكرَ نِعمَتِه كفرًا بأَنْ وَضعوهُ مَكانَهُ، أو بدَّلُوا نفسَ النِّعمَةِ كُفْرًا، فإنَّهم لَمَّا كَفَرُوها سُلِبَتْ مِنْهُم فصاروا تاركينَ لها مُحَصِّلينَ للكُفرِ بدلَها، كأَهلِ مَكَّةَ خلَقَهُم اللهُ وأَسْكَنَهُم حَرَمَهُ وجَعَلَهُم قوامَ بيتِهِ ووسَّعَ عَلَيْهِم أبوابَ رِزْقِه وشَرَّفَهُم بمُحمَّدٍ ﷺ فكَفَروا ذلك، فقُحِطُوا سبعَ سِنينَ وأُسِرُوا وقُتِلُوا يومَ بَدرٍ، وصارُوا أَذِلَّاءَ فبقُوا مَسلوبي النِّعمَةِ موصوفينَ بالكُفرِ.

= القوم، فجاءوا فأخذوه، فجدعوا أنفه وأذنيه، وفقؤوا عينيه، ووقفوه للناس بين ظهراني المئذنة ـ وكانت مئذنة ذات أساطين، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمسون وما يصنع به ـ فدعا اللهَ شمسونُ حين مَثَلوا به ووقفوه أن يسلطه عليهم، فأُمر أن يأخذ بعمودين من عمد المئذنة التي عليها الملك والناس الذين معه فيجذبهما، فجذبهما فرد الله عليه بصره وما أصابوا من جسده، ووقعت المئذنة بالملك ومَن عليها من الناس، فهلكوا فيها هدماً.

(١) في نسخة الخيالي: «ولا تدهشهم أحوال».

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وبنحوه الحاكم في «المستدرك» (١٠٧) مطولًا، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص»، ونقل ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٣٤) عن أبي عوانة وغيره تصحيحه. ورواه مختصراً البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

وعَن عُمَرَ وعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: همُ الأفجرانِ مِن قُريشٍ: بَنُو المغيرةِ وبنُو أُميَّةَ، فأمَّا بنو المغيرَةِ فكُفِيتُمُوهُم يومَ بَدرٍ، وأمَّا بنو أُميَّةَ فمُتِّعوا إلى حينٍ[1].

﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾ الذين شايَعُوهُم في الكفرِ ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دارَ الهَلاكِ بحَمْلِهم على الكُفرِ.

(٢٩) ـ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطفُ بيانٍ لها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حالٌ مِنْها، أو مِن القَوْمِ؛ أي: داخلينَ فيها مُقاسِينَ لحرِّهَا، أو مُفسِّرٌ لفعلٍ يقدَّرُ ناصبًا لـ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾؛ أي: وبئسَ المقرُّ جهنَّمُ.

(٣٠) ـ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الذي هو التَّوحيدُ. وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو ورُوَيسٌ عَن يعقوبَ بفَتحِ الياءِ[2]، وليسَ الضَّلالُ ولا الإضلالُ غرضَهُم في اتخاذِ الأَندادِ، لكنْ لَمَّا كان نتيجتَهَ جُعِلَ كالغَرضِ.

﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ بشَهَواتِكُم، أو بعِبادَةِ الأَوثانِ فإنَّها مِن قَبيلِ الشَّهواتِ التي يُتمتَّع بها، وفي التَّهديدِ بصِيغَةِ الأمرِ إيذانٌ بأنَّ المُهدَّدَ عليه كالمَطلوبِ لإفضائِه إلى المهدَّدِ به، وأنَّ الأَمْرينِ كائنانِ لا مَحالةَ، ولذلك علَّلَه بقولِه: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وأنَّ المُخاطبَ لانهماكِه فيهِ كالمَأمورِ بهِ مِن آمرٍ مُطاعٍ.

(٣١) ـ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خصَّهُم بالإضافةِ تَنويهًا لهم، وتنبيهًا على أنَّهُم المقيمونَ لحُقوقِ العُبوديَّةِ، ومَقُولُ ﴿قُل﴾ محذوفٌ يدلُّ عليهِ جَوابُه؛ أي: قُلْ لعِبادِيَ الذين آمنوا أقيمُوا الصَّلاةَ وأَنفِقُوا ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾

---

(١) رواه عن عمر رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٠). ورواه عن علي رضي الله عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩٩).

فيكونُ إيذانًا بأنَّهُم لفرطِ مُطاوعَتِهِم الرَّسولَ عليهِ السَّلامُ بحيثُ لا ينفكُّ فِعلُهُم عَن أَمْرِه، وأنَّه كالسَّببِ الموجِبِ له، ويجوزُ أن يُقَدَّرَا بلامِ الأَمرِ ليَصِحَّ تعلُّقُ القَولِ بهمَا، وإنَّما حَسُنَ ذلك هاهنا ولَمْ يَحْسُن قولُه:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ ... إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا[1]

لدلالَةِ ﴿قُل﴾ عليه.

وقيل: هُمَا جَوابَا (أَقيمُوا) و(أَنفِقُوا) مُقامَيْنِ مُقامَهُما، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّه لا بُدَّ مِن مُخالفَةٍ ما بين الشَّرطِ وجَوابِه، ولأنَّ أمرَ المُواجهَةِ لا يُجابُ بلفظِ الغَيبةِ إذا كان الفاعلُ واحِدًا.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مُنتَصبانِ على المَصدَرِ؛ أي: إنفاقَ سِرٍّ وعَلانِيَةٍ، أو على الحال؛ أي: ذَوِي سرٍّ وعلانيةٍ، أو على الظَّرفِ؛ أي: وقتَيْ سِرٍّ وعَلانِيَةٍ. والأحبُّ إعلانُ الواجبِ وإخفاءُ المتطوَّعِ بِهِ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعَ المقصِّرُ ما يتداركُ به تَقصيرَهُ أو يَفْدي به نفسَه.

﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ ولا مخالَّةَ فيشفعَ لكَ خليلٌ[2].

أو: مِن قبلِ أن يأتيَ يومٌ لا انتفاعَ فيه بمبايعَةٍ ولا مخالَّةٍ، وإنما يُنتفَعُ فيه بالإنفاقِ لوَجهِ اللهِ تعالى.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو ويعقوبُ بالفتحِ فيهما[3] على النَّفيِ العامِّ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ٨)، و«المقتضب» (٢/ ١٣٢)، و«سر صناعة الإعراب» (١/ ٣٩١)، وعزاه ابن هشام في «شرح شذور الذهب» (ص: ٢٧٥) لأبي طالب.

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «خليلك».

(٣) أي: (لا بيعَ... ولا خلالَ)، انظر: «السبعة» (ص: ١٨٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢١١).

(٣٢) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مبتدأٌ وخَبرٌ ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ تَعيشونَ به، وهو يَشتَمِلُ المطعومَ والمَلبوسَ، وهو مفعولٌ لـ(أَخْرَجَ).

و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ بيانٌ له وحالٌ منه، ويحتمِلُ عكسَ ذلك، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ المصدَرُ فيَنتصِبَ بالعِلَّةِ، أو المصدرِ لأنَّ (أخرج) في مَعنى: رَزَقَ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾: بمَشيئَتِه إلى حيثُ تَوجَّهْتُم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ فجعَلَها مُعدَّةً لانتِفاعِكُم وتَصرُّفِكُم.

وقيل: تسخيرُ هذه الأشياءِ: تَعليمُ كيفيَّةِ اتِّخاذِهَا.

(٣٣) ـ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ يَدْأَبانِ في سَيرِهِما وإنارَتِهِما وإِصلاحِ ما يُصلِحَانِه مِن المُكوَّناتِ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ يتعاقبانِ لسُباتِكُم ومَعاشِكُم.

(٣٤) ـ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾؛ أي: بعضَ جميعِ ما سَألتُموه؛ يعني: مِن كلِّ شيءٍ سألتموهُ شيئًا، فإنَّ الموجودَ مِن كلِّ صنفٍ بعضُ ما في قُدرةِ اللهِ، ولعلَّ المرادَ بـ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾: ما كانَ حقيقًا بأنْ يُسأَلَ لاحتياجِ النَّاسِ إليه سُئِلَ أو لَمْ يُسأَلْ.

و﴿مَا﴾ يحتملُ أَنْ تكونَ مَوصولَةً ومَوصوفَةً ومَصدريَّةً، ويكونُ المصدَرُ بمَعنى المفعولِ.

وقُرِئَ: (مِن كلٍّ) بالتَّنوين[1]؛ أي: وآتاكم مِن كلِّ شيءٍ ما احتَجْتُم إليه وسَألتموهُ

---

(١) نسبت لابن عباس والحسن والضحاك ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٣).

بِلِسانِ الحالِ، ويجوزُ أن تكونَ ﴿مَا﴾ نافيَةً في مَوضعِ الحال؛ أي: وآتاكُمْ مِن كلِّ شَيءٍ غيرَ سائلِيه.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تَحصرُوهَا ولا تُطيقُوا عدَّ أَنواعِهَا فَضْلًا عن أفرادِهَا فإنَّها غيرُ مُتناهِيَةٍ، وفيهِ دَليلٌ على أنَّ المُفرَدَ يُفيدُ الاستغراقَ بالإضافَةِ.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ يَظلِمُ النِّعمَةَ بإغفالِ شُكرِهَا، أو: يَظلِمُ نفسَهُ بأن يُعرِّضَها للحِرمانِ.

﴿كَفَّارٌ﴾ شديدُ الكُفرانِ، وقيل: ظلومٌ في الشدَّةِ يَشكو ويَجزَعُ، كَفَّارٌ في النِّعمَةِ يَجمَعُ ويَمنَعُ.

(٣٥) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ بلدةَ مكَّةَ ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمنٍ لِمَن فيهَا، والفرقُ بينَهُ وبينَ قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]: أنَّ المسؤولَ في الأوَّلِ إزالَةُ الخوفِ عنه وتَصييرُه آمِنًا، وفي الثَّاني جعلُهُ مِن البلادِ الآمنَةِ.

﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾: بَعِّدْنِي وإيَّاهُم ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾: واجعَلْنَا مِنهم في جانبٍ.

وقُرِئَ: (وأَجْنِبْنِي)[1]، وهما على لُغَةِ نَجْدٍ، وأمَّا أَهْلُ الحِجازِ فيَقولون: جَنِّبْنِي شرَّهُ.

وفيه دَليلٌ على أنَّ عِصمةَ الأنبياءِ بتَوفيقِ اللهِ وحِفظِهِ إيَّاهُم، وهو بظاهِرِه لا يَتناوَلُ أحفادَهُ وجميعَ ذُرِّيَّتِه، وزعمَ ابنُ عُيينَةَ أنَّ أولادَ إسماعيلَ لم يعبُدُوا الصَّنَمَ

---

(١) نسبت للجحدري وعيسى الثقفي وابن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٣)، و«البحر» (١٣/ ١٩٤).

مُحْتَجًّا به، وإنَّما كانَتْ لهم حِجارَةٌ يَدورونَ بها ويُسمُّونَها: الدُّوَارَ، ويقولون: البيتُ حَجَرٌ فحيثُمَا نَصبْنَا حَجَرًا فهو بمَنزِلَتِه[1].

(٣٦) ـ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فلذلك سألتُ مِنكَ العِصمَةَ واستَعَذْتُ بكَ مِن إضلالِهِنَّ. وإسنادُ الإضلالِ إليهنَّ باعتبارِ السَّببيَّةِ، كقولِه: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على دِيني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾؛ أي: بَعْضِي لا يَنفَكُّ عَنِّي في أَمرِ الدِّينِ.

﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تقدِرُ أَنْ تَغفِرَ لهُ وتَرحمَهُ ابتداءً، أو بعدَ التَّوفيقِ للتَّوبَةِ، وفيهِ دَليلٌ على أنَّ كُلَّ ذَنبٍ فللّهِ أَنْ يَغفِرَه حتَّى الشِّرك، إلا أنَّ الوَعيدَ فرَّقَ بينَهُ وبينَ غَيرِهِ.

(٣٧) ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾؛ أي: بعضَ ذُرِّيتي، أو: ذُريَّةً مِن ذُرِّيتي، فحُذِفَ المفعولُ وهم إسماعيلُ ومَن وُلِدَ منه، فإنَّ إسكانَه مُتضمِّنٌ لإسكانِهم.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكَّةَ، فإنها حَجَرِيَّةٌ لا تُنبِتُ.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرَّمْتَ التعرُّضَ له والتَّهاوُنَ به، أو: لم يَزَلْ مُعظَّمًا ممنَّعًا[2] يَهابُه الجبابرةُ، أو: منعَ منه الطُّوفانَ فلم يَستولِ عليه ولذلك سُمِّيَ عتيقًا؛ أي: أُعتقَ منه.

ودعا بهذا الدُّعاءِ أوَّلَ ما قَدِمَ، فلعلَّهُ قال ذلك باعتبارِ ما كان[3] أو ما سيؤولُ إليه.

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥٢).

(٢) في نسخة الخيالي: «ممتنعًا».

(٣) بعدها في نسخة الخيالي زيادة: «عليه».

رُوي: أنَّ هاجرَ كانَتْ جاريةً لسارةَ، فوَهَبَتْها إبراهيمَ عليه السَّلام فولدَتْ منه إسماعيلَ، فغارَتْ عليهما فناشَدَتْه أن يُخرِجَهُما مِن عندِها، فأخرجَهُمَا إلى أرضِ مكَّةَ، فأظهرَ اللهُ عينَ زَمْزَمَ، ثمَّ إنَّ جُرْهُمَ رأَوْا ثَمَّ طيورًا فقالوا: لا طيرَ إلا على الماءِ، فقصدوهُ فرأوهُما وعندَهُما عينُ ماء، فقالوا: أَشْرِكينا في مائكِ نُشرِكْكِ في أَلبانِنا، ففَعَلَتْ[1].

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ اللامُ لامُ كَيْ، وهي مُتعلِّقَةٌ بـ﴿أَسْكَنتُ﴾؛ أي: ما أسكنتُهُم بهذا الوادي البَلْقَعِ[2] مِن كلِّ مُرتفَقٍ ومُرتزَقٍ إلا لإقامةِ الصَّلاةِ عندَ بيتكَ المُحرَّمِ، وتكريرُ النِّداءِ وتَوسيطُه للإشعارِ بأنَّها المقصودةُ بالذَّاتِ مِن إسكانهم ثَمَّ، والمقصودُ مِن الدُّعاءِ تَوفيقُهُم لها.

وقيل: اللامُ لامُ الأَمرِ، والمرادُ هو الدُّعاءُ لهم بإقامةِ الصَّلاةِ، كأنَّه طلبَ مِنْهُم الإقامةَ وسألَ مِن اللهِ أَنْ يُوَفِّقَهُم[3] لها.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾؛ أي: أفئدةً مِن أَفئدَةِ النَّاسِ، و﴿مِّنَ﴾ للتَّبعيضِ، ولذلك قيل: لو قال: (أفئدةَ النَّاسِ) لازدَحَمَتْ عليهم فارسُ والرُّومُ ولحجَّتِ اليَهودُ والنَّصارَى.

أو للابتداءِ كقولك: القلبُ مِنِّي سَقيمٌ؛ أي: أفئدةَ ناسٍ.

وقرأ هشام: ﴿أَفْئِيدَةً﴾ بخُلْفٍ عنه، بياءٍ بعد الهمزة[4].

---

(١) لم أجده هكذا لكن رواه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكنْ لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

(٢) الأَرضُ القَفْراءُ التي لا شيءَ بها.

(٣) في نسخة التفتازاني: «توفيقهم».

(٤) انظر: «التيسير» (ص: ١٣٥). ولم يذكرها ابن مجاهد في «السبعة».

وقُرِئَ: (آفِدَةً)[1]، وهو يحتمل أن يكونَ مَقلوبَ أَفْئِدَة، كآدُرٍ في أَدْؤُرٍ، وأن يكونَ اسمَ فاعلٍ مِن أَفِدَتِ الرِّحلة: إذا عَجِلَت؛ أي: جماعةً يعجلونَ نحوَهُم.

و(أَفِـدَةً) بطـرحِ الهمـزةِ للتَّخفيـفِ[2]، وإن كانَ الوَجـهُ فيه إخراجَهـا بينَ بينَ، ويجـوزُ أن يكونَ مِـن أَفِدَ.

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تُسرعُ إليهِمْ شوقًا ووِدادًا.

وقُرِئَ: (تُهوَى) على البناءِ للمَفعولِ[3]، مِن هوَى إليه، وأهواه غيرُه.

و(تَهْوَى)[4] من هَوِيَ يَهْوَى: إذا أحبَّ، وتَعدِيَتُه بـ(إلى) لتَضمينِ معنى النُّزوعِ.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سُكناهُم واديًا لا نباتَ فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ تلك النِّعمةَ.

فأجابَ اللهُ دعوتَهُ، فجعلَهُ حَرَمًا آمِنًا يُجبى إليه ثَمراتُ كلِّ شيءٍ، حتى توجَدُ فيه الفواكِهُ الرَّبيعيَّةُ والصَّيفيَّةُ والخريفيَّةُ في يومٍ واحدٍ.

(٣٨) ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾: تعلمُ سِرَّنَا كما تعلَمُ عَلَنَنا، والمعنى: أنَّك أعلَمُ بأحوالِنا ومَصالحنا وأرحَمُ بنا مِنَّا بأَنفُسِنا، فلا حاجةَ لنا إلى الطَّلبِ، لكنَّا نَدعوكَ إظهارًا لعُبوديَّتِك، وافتقارًا إلى رحمتِكَ، واستِعجالًا لنيلِ ما عِندَكَ.

---

(١) رويت عن ابن كثير في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣) عن عيسى بن عمر.

(٣) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٦٤) عن مسلمة بن عبد الله.

(٤) نسبت لعلي بن أبي طالب وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٦٤).

وقيل: ما نُخفِي من وَجْدِ الفُرقةَ، وما نُعلنُ من التَّضرُّعِ إليك والتَّوكُّلِ عليك، وتكريرُ النِّداءِ للمُبالغةِ في التَّضرُّعِ واللَّجأِ[1] إلى اللهِ تعالى.

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنَّه العالِمُ بعلمٍ ذاتيٍّ تَستوي نسبتُه إلى كلِّ مَعلومٍ، و﴿مِن﴾ للاستغراق.

(٣٩) - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾؛ أي: وهبَ لي وأنا كبيرٌ آيِسٌ عن الولدِ، قيَّدَ الهِبَةَ بحالِ الكبرِ استعظامًا للنِّعمَةِ وإظهارًا لِمَا فيها مِن آلائِه.

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ رُوِيَ: أنَّه ولدَ له إسماعيلُ لتسعٍ وتِسعينَ سنةً، وإسحاقُ لمئةٍ وثِنْتَيْ عشرةَ سنةً.

﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾؛ أي: لَمُجِيبُه، مِن قولك: سَمِعَ الملكُ كلامي: إذا اعتدَّ به، وهو من أبنيةِ المُبالغةِ العاملَةِ عملَ الفِعلِ أضيفَ إلى مَفعولِه أو فاعلِه على إسنادِ السَّماعِ إلى دعاءِ اللهِ على المجازِ، وفيه إشعارٌ بأنَّه دَعا ربَّه وسألَ مِنه الولدَ فأجابَهُ ووهبَ له سُؤلَهُ حينما وقعَ اليأسُ مِنه ليكونَ مِن أجلِّ النِّعَمِ وأَجْلَاها.

(٤٠) - ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: مُعدِّلًا لها مُواظبًا عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ عطفٌ على المَنصوبِ في ﴿ٱجْعَلْنِى﴾، والتَّبعيضُ لعلمِه بإعلامِ اللهِ تَعالى أو استقرارِ عادتِه في الأُمَمِ الماضيَةِ أنَّه يَكونُ في ذُرِّيَّتِه كفَّارٌ.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: واستَجِبْ دُعائي، أو: وتقبَّلْ عِبادَتِي.

(٤١) - ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وقُرِئَ: (ولأبويَّ)[2]، وقد تَقدَّمُ عذرُ استغفارِه لَهُما، وقيل: أرادَ بهما آدمَ وحوَّاءَ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «والالتجاء».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣) عن أبيٍّ رضي الله عنه.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يَثْبُتُ، مستعارٌ مِن القيامِ على الرِّجْلِ، كقولهم: قامَتِ الحربُ على سَاقٍ، أو: يقومُ إليه أهلُهُ، فحُذِفَ المضافُ أو أُسنِدَ إليه قيامُهُم مجازًا.

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ خطابٌ لرَسولِ اللهِ ﷺ، والمرادُ به: تثبيتُه على ما كان عليه مِن أنَّه مُطَّلِعٌ على أحوالِهم وأفعالِهم لا يَخفى عليه خافيَةٌ، والوعيدُ بأنَّه مُعاقِبُهُم على قليلِه وكثيرِه لا محالةَ، أو لكلِّ مَن تَوهَّمَ غفلتَهُ جَهْلًا بصِفاتِه واغترارًا بإمهالِه.

وقيل: إنَّه تَسلِيَةٌ للمَظلومِ وتَهديدٌ للظَّالمِ.

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يؤخِّرُ عَذابَهُم. وعَن أَبي عَمرٍو بالنُّونِ.

﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾؛ أي: تشخَصُ أبصارُهُم فلا تَقَرُّ في أماكِنِها مِن هَولِ ما ترى.

(٤٣) ـ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرِعينَ إلى الدَّاعي، أو: مُقبلينَ بأبصارِهِم لا يَطْرِفُونَ هَيبةً وخوفًا، وأصلُ الكَلِمَةِ هو الإقبالُ على الشَّيءِ. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعِيها.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بل بَقِيَت[1] عُيونُهُم شاخِصَةً لا تَطْرِفُ، أو: لا يرجِعُ إليهِمْ نَظَرُهم فينظُروا إلى أَنفُسِهم.

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: خَلاءٌ؛ أي: خاليَةٌ عَن الفهمِ لفَرطِ الحيرةِ والدَّهشةِ، ومنه يقالُ للأحمقِ وللجَبانِ: قلبُهُ هَوَاءٌ؛ أي: لا رأيَ فيه ولا قوَّةَ، قال زُهيرٌ:

مِـــن الظِّلْمَـــانِ جُؤْجُـــؤُهُ هَـــوَاءُ[2]

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «بل تثبت».

(٢) صدرُه:

وقيل: خاليَةٌ عن الخيرِ خاوِيَةٌ عن الحقِّ.

(٤٤) ـ ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: يومَ القِيامَةِ، أو يومَ الموتِ، فإنَّه أوَّلُ أيَّامِ عَذابِهم، وهو مفعولٌ ثانٍ لـ﴿أنذر﴾.

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالشِّركِ والتَّكذيبِ: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أخِّرِ العَذابَ عنَّا ورُدَّنا إلى الدُّنيا وأَمهِلْنا إلى حدٍّ مِن الزَّمانِ قريبٍ، أو: أخِّر آجالَنا وأَبقِنا مِقدارَ ما نُؤمِنُ بك ونُجيبُ دعوتَك.

﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ جوابٌ للأمرِ، ونظيرُه: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ على إرادةِ القَولِ، و﴿مَا لَكُم﴾ جوابُ القَسَمِ جاءَ بلفظِ الخِطابِ على المطابقَةِ دونَ الحِكايَةِ، والمعنى: أقسَمْتُم أنَّكُم باقونَ في الدُّنيَا لا تُزالونَ بالموتِ، ولعلَّهُم أقسَمُوا بَطرًا وغُرورًا، أو دلَّ عليه حالُهُم حيثُ بَنَوْا شديدًا وأَمَّلوا بعيدًا.

وقيل: أقسَمُوا أنَّهم لا ينتقلونَ إلى دارٍ أخرى، وأنَّهم إذا ماتُوا لا يزالونَ عن تلك الحالةِ إلى حالةٍ أخرى، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

= كأنَّ الرَّحْلَ مِنها فوقَ صَعْلِ

انظر: «ديوان زهير» (ص: ٦٧)، و«الحيوان» للجاحظ (٤/ ٤٥٤).

قال الطِّيبيُّ: الصَّعْلُ: الصَّغيرُ الرَّأسِ مِن الرِّجالِ والنَّعامِ مِن غيرِ قصرِ العنقِ، والجؤجؤ مِن الطائرِ والسَّفينَةِ: صَدرُهما، يُهمَزُ ولا يُهمَزُ، يَصِفُ مَطِيَّته بالقلقِ، يقول: كأنَّ رحلَ هذه المطيَّة فوقَ ظليمٍ ـ أي: نعامة ـ لا قوَّةَ في صلتِه؛ لأنَّ النَّعامَ يضربُ به المثلُ في الجبنِ. «فتوح الغيب» (٨/ ٦٢٩).

(٤٥) ـ ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالكفرِ والمعاصي كعادٍ وثمودَ، وأصلُ سكنَ أَنْ يُعدَّى بـ(في)، كـ: قَرَّ وغَنِيَ وأقامَ، وقد يُستعملُ بمعنى التَّبَوُّءِ فيجري مجراه، كقولك: سكنتُ الدَّار.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ بما تُشاهدونَ في مَنازلهم مِن آثارِ ما نزلَ بهم وما تواترَ عِندَكُم من أخبارِهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ مِن أحوالِهم؛ أي: بيَّنَّا لكُم أنَّكُم مثلُهُم في الكفرِ واستحقاقِ العَذابِ، أو صفاتِ ما فعلوا وفُعِلَ[1] بهم التي هي في الغرابَةِ كالأمثالِ المَضروبَةِ.

(٤٦) ـ ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ المستفرَغَ فيه جهدهُم لإبطالِ الحقِّ وتقريرِ الباطلِ.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾: ومكتوبٌ عندَهُ فِعلُهُم، فهو مُجازيهِمْ عليه، أو: عندَهُ ما يَمكُرُهُمْ به جزاءً لِمَكرِهم وإبطالًا له.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾؛ أي: في العِظَمِ والشِّدَّةِ ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ مُسوًّى لإزالةِ الجبالِ ومُعَدًّا.

وقيل: ﴿إنْ﴾ نافيةٌ واللامُ مؤكِّدَةٌ لها، كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، على أنَّ ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ مَثَلٌ لأمرِ النبيِّ ونحوِه.

وقيل: مخفَّفَةٌ مِن الثقيلةِ، والمعنى: أنَّهم مكَروا ليُزيلوا ما هو كالجبالِ الراسِيَةِ ثباتًا وتمكُّنًا من آياتِ اللهِ وشرائعِهِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «ما فعلوا أو ما فعل»، وفي نسخة التفتازاني: «أو فعل»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

وقرأ الكسائيُّ: ﴿لَتَزُولُ﴾ بالفتحِ والرَّفعِ[1] على أنَّها المُخفَّفةُ، واللامُ هي الفاصِلَةُ، ومعناه: تعظيمُ مَكرِهِم.

وقُرِئَ بالفَتحِ والنَّصبِ[2] على لغَةِ مَن يفتَحُ لامَ كَيْ.

وقُرِئَ: (وإن كادَ مَكرُهُم)[3].

(٤٧) ـ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ مثلُ قولِهِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وأصلُه: مُخلِفَ رسلِه وعدَهُ، فقدَّمَ المفعولَ الثَّاني إيذانًا بأنه لا يُخلفُ الوعدَ أصلًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، وإذا لم يُخلِفْ وعدَهُ أحدًا فكيفَ يخلفُ وعدَه رسلَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ لا يُماكَرُ، قادرٌ لا يُدافَعُ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائِه مِن أعدائِه.

(٤٨) ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾، أو ظرفٌ للانتقامِ، أو مقدَّرٌ بـ: اذكر، أو: لا يُخلفُ وعدَهُ، ولا يجوزُ أَنْ يَنتَصِبَ بـ﴿مُخْلِفَ﴾؛ لأنَّ ما قبلَ (إنَّ) لا يعملُ فيما بعدَه.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، وتقديرُه: والسَّماواتُ غيرَ السَّماواتِ.

---

(١) وهي قراءة الكسائي، والمصدَّر بها قراءة الباقين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٣/ ٢١٢).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٥) عن علي وعمر وابن عباس وابن مسعود وأبيٍّ رضي الله عنهم وأبي إسحاق السَّبيعي.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢٠ ـ ٧٢٣) عن عمر وأنس وابن مسعود.

والتَّبديلُ[١] يكونُ في الذَّاتِ، كقولك: بَدَّلتُ الدَّراهِمَ بالدَّنانيرِ، وعليه قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وفي الصِّفَةِ كقولِك: (بدَّلْتُ الحلقةَ خاتمًا): إذا أذبتَها وغَيَّرتَ شَكلَها، وعليه قولُه: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، والآية تحتَمِلُهُما.

وعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه: تُبدَّلُ أرضًا مِن فضَّةٍ وسماواتٍ مِن ذهبٍ[٢].

وعن ابن مسعودٍ وأنسٍ: يُحشَرُ النَّاسُ على أرضٍ بَيضاءَ لم يُخطِئْ عليها أحدٌ خطيئةً[٣].

وعن ابنِ عبَّاسٍ: هي تلك الأرضُ، وإنَّما تغيَّرُ صِفاتُها[٤]، ويدلُّ عليه ما روى أبو هريرةَ: أنَّه عليه السَّلامُ قال: «تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ فتُبسَطُ وتُمَدُّ مدَّ الأديم العكاظيِّ، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتًا»[٥].

---

(١) بعدها في نسخة الخيالي: «قد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٠ ـ ٧٣٢). وروواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٤) عن عمرو بن ميمون.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣١)، وهو قطعة من حديث الصور الطويل، رواه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٤٨). وذكره ابن كثير عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام ونقل عن الطبراني قوله: هذا الحديث مشهور وهو غريب جدًّا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. =

واعلم أنه لا يلزَمُ على الوَجهِ الأوَّلِ أن يكونَ الحاصِلُ بالتَّبديلِ أرضًا وسماءً على الحقيقةِ، ولا يَبعُدُ على الثَّاني أن يَجعلَ اللهُ الأرضَ جهنَّمَ والسَّماواتِ الجنَّةَ على ما أَشعرَ به قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

﴿وَبَرَزُوا۟﴾ من أجداثِهم ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: لِمُحاسبتِه ومُجازاتِه، وتوصيفُه بالوَصفينِ للدَّلالةِ على أنَّ الأمرَ في غايةِ الصُّعوبةِ كقولِه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فإنَّ الأمرَ إذا كان لواحدٍ غلَّابٍ لا يُغالَبُ فلا مُستغاثَ لأحدٍ إلى غيرِه ولا مُستجار.

(٤٩) - ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ قُرِنَ بَعضهُم مع بعضٍ بحسبِ مُشاركَتِهم في العَقائدِ والأعمالِ كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، أو: قُرِنُوا مع الشَّيطانِ، أو: مع ما اكتَسَبُوا من العقائدِ الزَّائغَةِ والملَكاتِ الباطلةِ، أو: قُرنت أيديهِم وأرجلُهِم إلى رقابِهِم بالأغلالِ، وهو يحتمِلُ أن يكونَ تمثيلًا لِمُؤاخذَتِهم على ما اقترفَتْهُ أيديهِم وأَرجُلُهم.

﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾، أو حالٌ مِن ضَميرِه، والصَّفَدُ: القيدُ، وقيل: الغُلُّ، قال سَلَامةُ بنُ جَنْدَلٍ:

= ثم قال ابن كثير: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، وقد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا، فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث. فالله أعلم.

وَزَيْدُ الخَيْلِ قَدْ لَاقَى صِفَادًا يَعَضُّ بساعِدٍ وبعَظْمِ ساقِ[١]

وأصله: الشدُّ.

(٥٠) ـ ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصانُهُم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ وجاءَ (قَطْرانٌ) و(قِطْرانٌ) لغتينِ فيه، وهو ما يتحلَّبُ مِن الأبهلِ فيُطبخُ فتُهنأُ بهِ الإبلُ الجَرْبَى، فيُحرِقُ الجَرَبَ بحِدَّتِه، وهو أسودُ لوناً مُنتِنٌ تشتَعِلُ فيه النَّارُ بسرعةٍ، تُطْلى به جلودُ أهلِ النَّارِ حتى يكونَ طلاؤُه لهم كالقُمُصِ؛ ليَجتَمِعَ عليهم لَذْعُ القطرانِ ووحشَةُ لونِه ونَتَنُ ريحِه مع إسراعِ النَّارِ في جلودِهِم، على أنَّ التَّفاوُتَ بين القطرانينِ كالتَّفاوُتِ بينَ النَّارينِ.

ويحتمِلُ أَنْ يكونَ تمثيلًا لِمَا يحيطُ بجوهرِ النَّفسِ مِن الملكاتِ الرَّديئَةِ والهيئات الوَحِشَةِ[٢] فيجلبُ إليها أنواعًا مِن الغُمومِ والآلامِ.

وعن يعقوبَ: (قِطْرٍ آن)[٣]، والقطرُ: النُّحاسُ أو الصُّفْرُ المذابُ، والآني: المُتناهي حرُّهُ.

والجملةُ حالٌ ثانيَةٌ، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿مُقَرَّنِينَ﴾.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: وتَغشاهَا لأنَّهُم لم يَتوجَّهُوا بها إلى الحقِّ، ولم

---

(١) انظر: «ديوان سلامة بن جندل» (ص: ٧٠). والبيت شاهدٌ على أنَّ الصَّفَدَ هو الغُلُّ أَخذاً من الصِّفادِ، ومعناه: أن زيداً يعضُّ على ساعدِه تارةً، وعلى ساقِه أخرى؛ ليتخلَّصَ من الوثاقِ.

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «الوحشية».

(٣) رويت عن علي وابن عباس وأبي هريرة وعكرمة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٨)، و«البحر» (١٣/ ٢١٨).

يَستَعمِلُوا في تَدبُّرِه مشاعِرَهُم وحواسَّهُم التي خُلِقَت فيها لأجلِه، كما يطَّلِعُ على أفئِدَتِهم لأنَّها فارِغَةٌ عَن المعرفَةِ مملوءةٌ بالجهالاتِ، ونظيرُه قولُه: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [القمر: ٤٨].

(٥١) ـ ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ﴾؛ أي: يَفعلُ بهم ذلك ليجزيَ كلَّ نفسٍ مُجرِمَةٍ ﴿مَّا كَسَبَتْ ﴾ أو: كل نفسٍ مِن مجرِمَةٍ أو مُطيعَةٍ؛ لأنه إذا بيَّنَ أنَّ المجرمينَ مُعاقَبونَ لإجرامِهم عُلمَ أنَّ المطيعينَ يُثابونَ لطاعَتِهم، ويتعيَّنُ ذلك إنْ عُلِّقَ اللامُ بـ﴿برزوا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ لأنه لا يَشغَلُه حسابٌ عن حسابٍ.

(٥٢) ـ ﴿ هَٰذَا ﴾ إشارةٌ إلى القرآنِ، أو السُّورَةِ، أو ما فيه من العِظَةِ والتَّذكيرِ، أو ما وصفَهُ مِن قَولِه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾.

﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ كفايَةٌ لَهُم في المَوعِظَةِ.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ عطفٌ على مَحذوفٍ؛ أي: لِيُنصَحُوا ولِيُنذَرُوا بهذا البلاغِ، فتكونُ اللامُ مُتعلِّقَةً بالبلاغِ، ويجوزُ أَنْ تتعلَّقَ بمَحذوفٍ تَقديرُهُ: وليُنذَروا به أُنزلَ أو تُلِيَ.

وقُرِئَ بفتحِ الياءِ[1]، مِن نَذِرَ به: إذا عَلِمَ به واستعدَّ له.

﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ فيما فيه من الآياتِ الدالَّةِ عليه، أو المنبِّهةِ على ما يدلُّ عليه.

---

(١) نسبت ليحيى بن عمر الذارع وأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٧).

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فيَرْتَدِعُوا عما يُردِيهم ويَتدرَّعُوا بما يُحظيهِم.

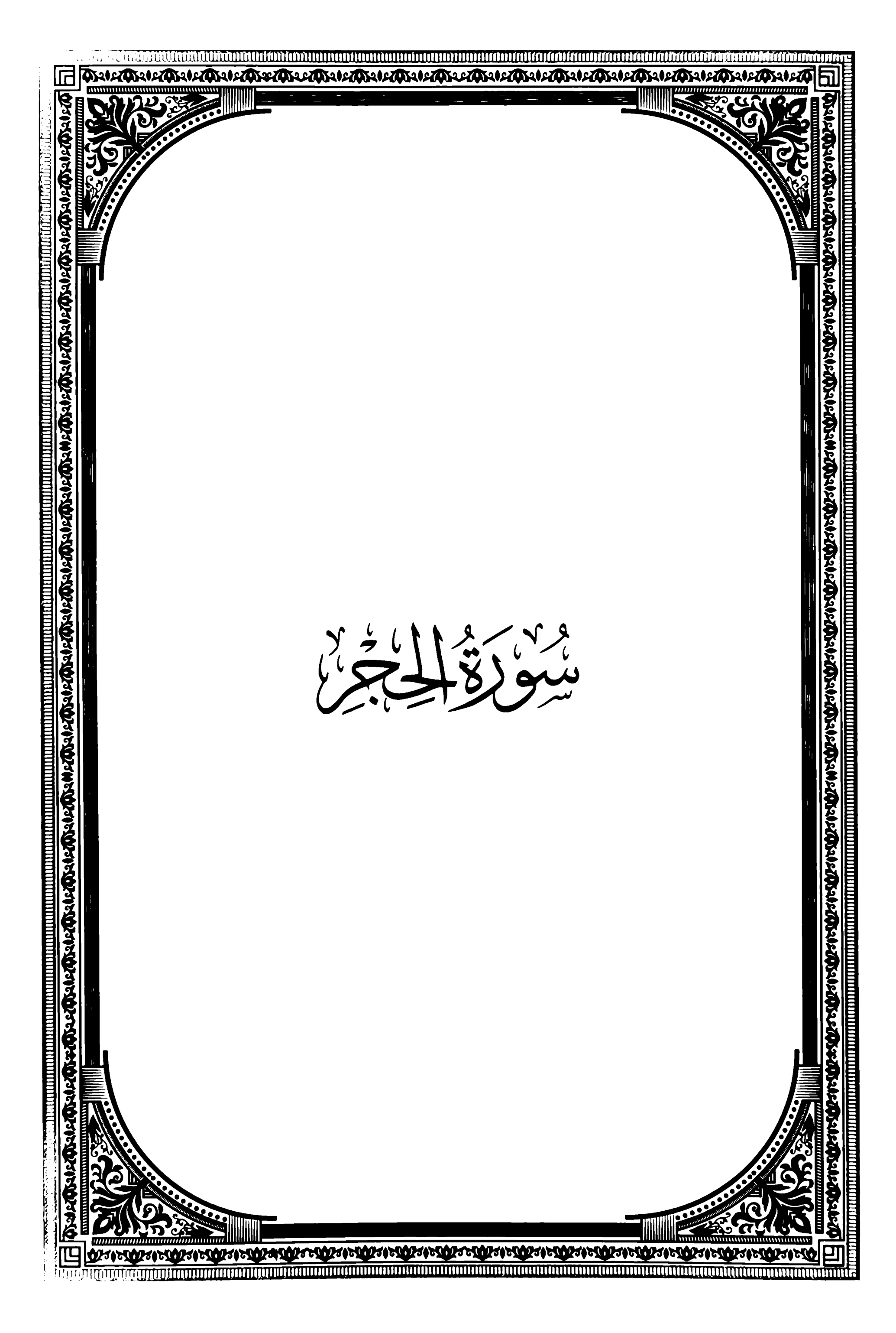
واعلَمْ أنَّه سُبحانَهُ ذكرَ لهذا البلاغِ ثلاثَ فوائدَ هي الغايةُ والحِكمَةُ في إنزالِ الكتبِ: تكميلُ الرُّسلِ للنَّاسِ، واستكمالُ القوَّةِ النَّظريَّةِ التي مُنتهى كمالها التَّوحيدُ، واستِصلاحُ القُوَّةِ العَمَليَّةِ الذي هو[1] التَّدرُّعُ بلباسِ التَّقوَى، جعلنا اللهُ مِن الفائزين بهما.

وعن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سورةَ إبراهيمَ أُعطِيَ مِن الأجرِ عشرَ حَسناتٍ بعَددِ مَن عبدَ الأصنامَ وعددِ مَن لَمْ يَعْبُد»[2].

* * *

(١) في نسخة الخيالي: «التي هي».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٢)، من حديث أبي رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ الحِجرِ



سُورَةُ الحِجْرِ

مَكِّيَّةٌ، وهي تسعٌ وتسعونَ آيةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ الإشارةُ إلى آياتِ السُّورَةِ، والكتابُ هو السُّورَةُ، وكذا القرآنُ، وتَنكيرُه للتَّفخيمِ؛ أي: تلك آياتُ الجامعِ لكَونِهِ كِتابًا كامِلًا وقرآنًا يبيِّنُ الرُّشدَ مِن الغيِّ بَيانًا عربيًّا.

(٢) ـ ﴿رُّبَما يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ حين عايَنُوا حالَ المسلمينَ عندَ نُزولِ النَّصرِ أو حلولِ المَوْتِ أو يومَ القِيامةِ.

وقرأ نافِعٌ وعاصِمٌ: ﴿رُبَمَا﴾ بالتَّخفيفِ[1]، وقُرِئَ (رَبَما) بالفتحِ والتَّخفيفِ[2].

وفيه ثمانِ لغاتٍ: ضَمُّ الرَّاءِ وفَتحُه مع التَّشديدِ والتَّخفيفِ، وبتاءِ التَّأنيثِ ودونَها.

و(ما) كافَّةٌ تكفُّهُ عَن الجرِّ، فيَجوزُ دخولُه على الفعلِ، وحقُّهُ أن يدخلَ الماضيَ، لكنْ لمَّا كان المترقَّبُ في أخبارِ اللهِ تَعالى كالماضي في تحقُّقِه أُجري مُجراهُ.

وقيل: (ما) نَكِرَةٌ موصوفةٌ، كقوله:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٢) نسبت لأبي قرة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤).

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَـهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[١]

ومَعنى التَّقليلِ فيه: الإيذانُ بأنَّهُم لو كانوا يَودُّونَ الإسلامَ مَرَّةً فبالحريِّ أنْ يُسارِعُوا إليه، فكيفَ وهُمْ يودُّونَه كلَّ ساعةٍ؟

وقيل: تُدهِشُهُم أهوالُ يومِ القيامَةِ، فإن كانَتْ مِنْهُم إفاقةٌ في بعضِ الأوقاتِ تمنَّوْا ذلك، والغَيبةُ في حكايةِ وِدادَتِهم كالغَيبَةِ في قولك: حلفَ باللهِ ليَفْعَلَنَّ.

(٣) ـ ﴿ذَرْهُمْ﴾: دَعْهُم ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدُنياهُم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾: ويشغلهُمْ تَوقُّعُهم لطولِ الأعمارِ واستِقامَةِ الأَحوالِ عَن الاستعدادِ للمَعادِ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوءَ صَنيعِهِم إذا عايَنُوا جزاءَهُ.

والغَرَضُ: إقناطُ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ مِن ارعوائِهِم، وإيذانُهُ بأَنَّهُم مِن أَهلِ الخذلانِ، وأن نصحَهُم يُعدُّ اشتغالاً بما لا طائِلَ تحتَهُ، وفيه إلزامٌ للحُجَّةِ[٢]، وتحذيرٌ عَن إيثارِ التَّنعُّمِ وما يؤدِّي إليه طولُ الأملِ.

(٤) ـ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أجلٌ مُقدَّرٌ كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ، والمُستثنَى جملةٌ واقِعَةٌ صِفةً لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، والأصلُ أَنْ لا يدخلَهَا الواوُ، كقوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، لكن لَمَّا شابَهَت صورتُها صورةَ الحالِ أُدخِلَت عليها تأكيدًا للُصوقِهَا بالمَوْصوفِ.

(٥) ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾؛ أي: وما يَستأخِرونَ عنه، وتذكيرُ ضَميرِ ﴿أُمَّةٍ﴾ فيه للحَملِ على المَعنى.

---

(١) عزاه البحتري في «الحماسة» (١/ ٤٣٧) إلى أمية بن الصلت، وفي «الحماسة البصرية» (٢/ ٧٨) لحنيف بن عمير اليشكري، ونهار ابن أخت مسيلمة الكذاب.

(٢) أي: في قولِه: ﴿ذَرْهُمْ﴾.

(٦) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ نادَوا بهِ النبيَّ عليهِ السَّلام علـى التَّهكُّمِ، ألا تَرى إلى ما نادَوهُ لـه وهـو قـولُه: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ ونظيرُ ذلك قـولُ فِرعونَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧]، والمعنى: إنَّك لَتقولُ قولَ المَجانينِ حينَ تَدَّعِي أنَّ اللهَ نزَّلَ عليكَ الذِّكرَ؛ أي: القرآنَ.

(٧) ـ ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا ﴾ ركِّبَ (لو) مع (ما) كما رُكِّبَ مـع (لا) لِمَعنيينِ: امتناعِ الشَّيءِ لوُجودِ غَيرِه، والتَّخصيصِ.

﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ ليصدِّقـوكَ ويَعضدوكَ على الدَّعـوةِ، كقولِه: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]، أو للعقـابِ علـى تَكذيبِنـا لـك كمـا أَتَـت الأُمـمَ المُكذِّبـةَ قبلُ.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في دعواكَ.

(٨) ـ ﴿ما يُنزِّلُ الملائكةَ﴾ بالياءِ مُسندٌ إلى ضَميرِ اسمِ اللهِ[١].

وقرَأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بالنُّونِ، وأبو بكرٍ بالتَّاءِ والبناءِ للمَفعولِ ورفعِ ﴿الملائِكَةُ﴾.

وقُرِئَ ﴿تَنَزَّلُ﴾ بمعنى: تَتنزَّلُ[٢].

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾: إلا تنزيلًا مُلتَبِسًا بالحقِّ؛ أي: بالوجهِ الذي قدَّرَه واقتَضَتْه حِكمَتُه، فلا حكمةَ في أنْ تأتِيَكُم بصوَرٍ[٣] تُشاهدونَها فإنَّه لا يَزيدُكُم إلا لبسًا، ولا

---

(١) وأورد عليه أنّ قراءة الياء لم يقرأ بها أحد من العشرة، ولم توجد في الشواذ أيضًا، والمصنف رحمه الله تعالى بنى تفسيره عليها، وحكى قراءة السبعة بصيغة التمريض. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) وهذه الأخيرة هي لباقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٣) في نسخة الخيالي: «بصورة».

في مُعاجَلَتِكُم بالعُقوبَةِ فإنَّ مِنكُم ومِن ذَراريكُم مَن سَبَقَت كَلِمَتُنا له بالإيمانِ، وقيل: الحقُّ: الوَحْيُ أو العَذابُ.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ ﴿إِذًا﴾ جوابٌ لهم وجَزاءٌ لشَرطٍ مُقدَّرٍ؛ أي: ولو نَزَّلْنا المَلائِكَةَ ما كانوا مُنظَرِينَ.

(٩) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: القرآنَ، رَدٌّ لإنكارِهِم واستِهزائِهِم، ولذلك أكَّدَهُ مِن وُجوهٍ وقَرَّرهُ بقولِه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾؛ أي: مِن التَّحريفِ والزِّيادَةِ والنَّقصِ بأَنْ جَعلناه مُعجِزًا مُبايِنًا لكلامِ البَشرِ بحيث لا يخفى تَغييرُ نَظمِه على أَهلِ الدِّينِ، أو نَفَى تطرُّقَ الخللِ إليه في الدَّوامِ بضمانِ الحِفظِ له كمَا نَفَى أن يُطعنَ فيه بأَنَّه المنزلُ له[1].

وقيل: الضَّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ.

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في فِرَقِهِم، جمعُ شِيعَةٍ، وهي الفِرقَةُ المُتَّفِقَةُ على طريقٍ ومَذهَبٍ، مِن شاعَهُ: إذا تَبِعَهُ، وأصلهُ: الشِّياعُ، وهو الحَطَبُ الصِّغَارُ يُوقَدُ به الكبارُ، والمعنى: نَبَّأْنا رِجالًا فيهِمْ وجَعلناهُمْ رُسُلًا فيما بَيْنَهُم.

(١١) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كمَا يفعَلُ هؤلاءِ، وهو تَسلِيَةٌ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ، و(ما) للحالِ لا يدخلُ إلا مضارعًا بمعنى الحالِ، أو ماضيًا قريبًا منه[2]، وهذا على حكايةِ الحالِ الماضيةِ.

(١٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾: نُدخِلُه ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ والسَّلْكُ: إدخالُ

---

(١) في نسخة الخيالي: «إليه».

(٢) وهذا بناء على ما ذهب إليه الزمخشري من أنها مع المضارع لنفي الحال، ومع الماضي لنفي الماضي القريب من الحال، وهو أكثريٌّ لا كلِّيٌّ، فإنها جاءت لنفي المضارع في المستقبل، كقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾. انظر: «حاشية الشهاب».

الشَّـيءِ في الشَّـيءِ كالخَيْطِ في المِخْيَطِ والرُّمحِ في المَطعونِ، والضَّميرُ للاسـتهزاءِ، وفيـه دليلٌ عَلـى أنَّه تَعالـى يُوجِـدُ الباطلَ فـي قُلوبِهِم.

(١٣) ـ وقيل: للذِّكرِ، فإنَّ الضَّميرَ الآخرَ في قولِه تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ له، وهو حالٌ مِن هذا الضَّميرِ[1]، والمعنى: مِثْلَ ذلك السَّلكِ نَسلكُ الذِّكرَ في قلوبِ المُجرمينَ مكذَّبًا غير مؤمَنٍ به، أو بيانٌ للجُملةِ المُتضمِّنَةِ له[2].

وهذا الاحتجاجُ ضَعيفٌ؛ إذ لا يلزَمُ مِن تَعاقُبِ الضَّمائرِ توافُقُها[3] في المرجوعِ إليهِ، ولا يَتعيَّنُ أن تكونَ الجُملَةُ حالًا من الضَّميرِ؛ لجوازِ أَنْ تكونَ حالًا من الضميرِ في ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، ولا يُنافي كونَها مُفسِّرَةً للمَعنى الأولِ، بل يقوِّيهِ.

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾؛ أي: سُنَّةُ اللهِ فيهِمْ بأَنْ خذلَهُم وسَلَكَ الكُفرَ في قُلوبِهِم، أو: بإهلاكِ مَن كذَّبَ الرُّسُلَ مِنْهُم؛ فيكونُ وَعيدًا لأهلِ مَكَّةَ.

(١٤) ـ ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾؛ أي: على هؤلاءِ المُقْترِحِينَ ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾: يَصعَدونَ إلَيْها ويَرَوْنَ عَجائِبَها طولَ نَهارِهِم مُستَوْضِحينَ لِمَا يرونَ، أو: تصعدُ الملائِكَةُ وهُم يُشاهِدونَهُم.

(١٥) ـ ﴿ لَقَالُوٓا۟ ﴾ مِن غُلُوِّهِم في العِنادِ وتَشكيكِهِم في الحَقِّ ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا ﴾: سُدَّتْ عن الإبصارِ بالسِّحرِ، مِن السَّكْرِ، ويدلُّ عليهِ قراءةُ ابنِ كثيرٍ بالتَّخْفيفِ[4].

---

(١) قوله: «وهو»؛ أي: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ «حال من هذا الضمير»؛ أي: ضمير ﴿نَسْلُكُهُۥ ﴾ على القول بأنه للذِّكر. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٩٥)

(٢) قوله: «أو بيان» عطف على (حالٌ) «للجملة المتضمِّنة له»؛ أي: وهي قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٩٥)

(٣) في نسخة الخيالي: «من تعاقب الضميرين توافقهما».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

أو حُيِّرَتْ مِن السُّكْرِ، ويدلُّ عليه قراءَةُ من قرأَ: (سَكِرَت)[١].

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: قَدْ سَحَرَنا مُحمَّدٌ بذلك، كما قالوه عندَ ظُهورِ غيرِه مِن الآياتِ.

وفي كَلِمَتي الحصْرِ والإضرابِ دلالةٌ على البَتِّ بأنَّ ما يَرَوْنَه لا حقيقةَ له، بل هو باطلٌ خُيِّلَ إليهِمْ بنوعٍ مِن السِّحرِ.

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: اثنَيْ عشرَ مُختلفةَ الهيئاتِ والخَواصِّ على ما دلَّ عليه الرَّصدُ والتَّجرِبَةُ مع بَساطةِ السَّماءِ.

﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ بالأشكالِ والهيئاتِ البَهِيَّةِ ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ للمُعتَبرينَ المُستَدِلِّينَ بها على قُدرَةِ مُبدِعِها وتَوحيدِ صانِعِها.

(١٧) ـ ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يَقدِرُ أن يَصعدَ إليهَا ويوسوسَ أهلَها، ويَتصرَّفَ في أمرِها، ويَطَّلِعَ على أَحوالِها.

(١٨) ـ ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ بدلٌ مِن ﴿كُلِّ شَيْطَـٰنٍ﴾، واستِراقُ السَّمعِ: اختِلاسُه سِرًّا، شبَّهَ بهِ خَطْفَتَهُم اليسيرةَ مِن قُطَّانِ السَّماواتِ لِمَا[٢] بينَهُم مِن المُناسبةِ في الجوهرِ، أو بالاستدلالِ مِن أوضاعِ الكَواكبِ وحَرَكاتِها.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أَنَّهُم كانوا لا يُحجبونَ عَن السَّماواتِ، فلمَّا وُلِدَ عيسى مُنعوا مِن ثلاثِ سماواتٍ، فلمَّا وُلِدَ محمَّدٌ عليهِ السَّلامُ مُنِعُوا مِن كلِّها بالشُّهُبِ[٣].

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣) عن الزهري.

(٢) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «بما».

(٣) ذكر نحوه عن ابن عباس السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢)، والرازي في «تفسيره» (١٩/ ١٣٠). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٢) عن الكلبي.

ولا يَقدحُ فيه تَكوُّنُها قبلَ المولدِ؛ لجَوازِ أن يكونَ لها أسبابٌ أُخَرُ[1].

وقيل: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ؛ أي: ولكنْ مَن استرقَ السَّمعَ.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: فتبِعَهُ ولَحِقَه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ للمُبصِرينَ.

والشِّهابُ: شُعلَةُ نارٍ ساطعَةٌ، وقد يطلقُ للكوكبِ والسِّنَانِ لِمَا فيهِما مِن البَريقِ.

(١٩) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: بَسَطْناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا ثوابِتَ ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ، أو فيها وفي الجبالِ ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مُقدَّرٌ بِمقدارٍ مُعيَّنٍ تَقتَضيهِ حِكمَتُه، أو: مُستحسَنٍ مُناسِبٍ، مِن قولِهِم: كلامٌ مَوزونٌ، أو: ما يُوزَنُ ويُقدَّرُ، أو: له وزنٌ في أَبوابِ النِّعمَةِ والمنفعَةِ.

(٢٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ تعيشونَ بها مِن المَطاعِمِ والمَلابسِ، وقُرِئَ بالهَمزِ[2] على التَّشبيهِ بـ(شَمائلَ).

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ عطفٌ على ﴿مَعَـٰيِشَ﴾، أو على محلِّ ﴿لَكُمْ﴾ ويريدُ بـه: العِيالَ والخَدَمَ والمَماليكَ وسائرَ ما يَظنُّونَ أنَّهُم يرزقونَهُم ظنًّا كاذبًا، فإنَّ اللهَ يرزقُهُم وإيَّاهُم.

وفَذْلكَةُ الآيةِ[3]: الاستدلالُ بجعلِ الأَرضِ ممدودةً بِمقدارٍ وشكلٍ مُعيَّنَيْنِ،

---

(١) قوله: «ولا يقدح فيه»؛ أي: في مَنعِهم مِن كلِّها بالشُّهب، وفي نسخة: (فيها) (تكوُّنُها)؛ أي: الشهب «لجواز أن يكون لها»؛ أي: للشُّهُبِ؛ أي: لتكوُّنِها، «أسباب أُخر»؛ أي: غيرُ استراقِ السَّمعِ؛ كالزِّينةِ، والاستدلالِ على الوحدانية، والاهتداءِ للطُّرُق. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٩٧)

(٢) ذكرها الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٢١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٧٧)، عن نافع، وهي خلاف المشهور عنه. وذكروها جميعهم عند الآية (١٠) من سورة الأعراف.

(٣) أي: محصلها وإجمالها.

مُختلفةَ الأَجزاءِ في الوَضعِ، محدَثةً فيها أَنواعُ النَّباتِ والحيوانِ المُختَلِفَةِ خلقةً وطَبيعةً، مع جوازِ أَنْ لا تكونَ كذلكَ= على كَمالِ قُدرَتِه وتَناهِي حِكمَتِه والتَّفرُّدِ في أُلُوهِيَّتِه، والامتنانُ على العبادِ بما أَنعمَ عَلَيهِم في ذلك ليُوَحِّدُوهُ ويَعبُدُوهُ، ثمَّ بالغَ في ذلكَ وقال:

(٢١) ـ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾؛ أي: وما مِن شَيءٍ إلا ونحنُ قادِرونَ على إيجادِهِ وتَكوينِهِ أضعافَ ما وُجِدَ مِنْه، فضرَبَ الخَزائنَ مَثَلًا لاقتدارِه، أو شَبَّهَ مَقدُوراتِهِ بالأَشياءِ المَخزونَةِ التي لا يُحْوِجُ إخراجُها إلى كُلفةٍ واجتِهادٍ.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ مِن يَفَاعِ[1] القدرةِ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ حَدَّهُ الحكمَةُ[2] وتَعلَّقَتْ به المَشيئَةُ، فإنَّ تَخصيصَ بَعضِها بالإيجادِ في بَعضِ الأَوقاتِ على بعضِ الصِّفاتِ والحالاتِ لا بُدَّ له مِن مُخصِّصٍ حَكيمٍ.

(٢٢) ـ ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾: حوامِلَ، شبَّهَ الرِّيحَ التي جاءَتْ بخَيرٍ مِن إنشاءِ سَحابٍ ماطِرٍ بالحاملِ، كما شبَّهَ ما لا يكونُ كذلك بالعَقيمِ.

أو: مُلقِّحاتٍ للشَّجرِ والسَّحابِ، ونظيرُه: الطَّوائِحُ بمَعنى: المُطيحاتِ في قولِه:

ومُختبِطٌ ممَّا تُطيحُ الطَّوائِحُ[3]

---

(١) كلمة: «يفاع» كتب تحتها في نسخة التفتازاني: «اليفاع: ما ارتفع. صحاح». وانظر: «الصحاح» (مادة: يفع). قال الخفاجي: وهوَ استعارَة لعظمَةِ قُدرته.

(٢) قوله: «حده الحكمة» يحتملُ أن يكون (حدًّا) مصدراً مضافاً إلى الضمير على أنه مبتدأٌ خبرُه: «الحكمةُ»، وأن يكون فعلاً و«الحكمةُ» فاعلُه، وعليه فالأَولى: حدَّتْه الحكمةُ؛ أي: بيَّنَتْه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٣٩٧). وقال الخفاجي: (حَدَّه الحكمةُ) بلفظِ الماضي؛ أي: جعلت لهُ حدًّا.

(٣) صدره:

لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لخُصومَةٍ

عزاه سيبويه في «الكتاب» (١/ ٢٨٨)، وأبو علي الفارسي في «الإيضاح العضدي» (ص: ٧٤) =

وقرئ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ ﴾ على تأويلِ الجنسِ[١].

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: فجَعلناه لَكُم سُقْيَا ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: قادرينَ مُتمكِّنينَ من إخراجِه، نفى عَنْهُم ما أثبتَهُ لنَفسِه[٢]، أو: حافظينَ في الغُدرانِ والعُيونِ والآبارِ، وذلك أيضًا يدلُّ على المدبِّرِ الحَكيمِ، كما تدلُّ حركةُ الهَواءِ في بعضِ الأوقاتِ مِن بعضِ الجهاتِ على وجهٍ يَنتفعُ به النَّاسُ، فإنَّ طَبيعةَ الماءِ تَقتَضِي الغَوْرَ، فوقوفُه دونَ حدٍّ لا بُدَّ له مِن سببٍ مخصِّصٍ.

(٢٣) ـ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ ﴾ بإيجادِ الحَياةِ في بعضِ الأجسامِ القابلةِ لها ﴿وَنُمِيتُ﴾ بإزالَتِها، وقد أوَّلَ الحياةَ بما يَعُمُّ الحيوانَ والنَّباتَ، وتكريرُ الضَّميرِ للدَّلالةِ على الحصرِ.

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: الباقونَ إذا ماتَ الخَلائِقُ كلُّها.

= للحارث بن نهيك النهشلي، وعزاه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤٨) لنهشل بن حري، وغزاه أبو علي القيسي في «إيضاح» (١/ ١٠٩) لمزرد أخي الشماخ، وعزاه علي بن عدلان في «الانتخاب» (ص: ٣٠) للحارث بن ضرار، وعزاه ابن هشام في «تخليص الشواهد» للبيد (ص: ٤٨٠).

وهو بلا نسبة في «المقتضب» (٣/ ٢٨٢)، و«الخصائص» (٢/ ٣٥٣).

قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية»: هو من شعر في رثاء يزيد النهشلي. قال: والمختبط طالب العرف المحتاج، وأصله من خبط ورق الأشجار لتأكلها الدواب، وإنما يُفعل ذلك في الجدب وشدّة الاحتياج، وتطيح بمعنى: ترمي، والطوائح: جمع المطيحة بمعنى السنين أو الجوائح الرامية له، أو جمع طائحة على التجوُّز.

(١) هي قراءة حمزة. انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

(٢) أي: في قوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾.

(٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: مَن استَقْدَمَ ولادةً ومَوْتًا ومَن استَأْخرَ، أو: مَن خرجَ مِن أَصلابِ الرِّجالِ ومَن لم يخرُجْ بَعدُ، أو: مَن تَقدَّمَ في الإسلامِ والجهادِ وسبقَ إلى الطَّاعةِ أو تأخَّرَ، لا يَخْفَى عَلَينا شيءٌ مِن أَحوالِكُم. وهو بيانٌ لكمالِ علمِهِ بعدَ الاحتجاجِ على كمالِ قُدرَتِه، فإنَّ ما يدلُّ على قُدرتِهِ دليلٌ[١] على علمِهِ.

وقيل: رَغَّبَ رسولُ اللهِ ﷺ في الصفِّ الأوَّلِ فازدَحَمُوا عليه، فنزلَتْ[٢].

وقيل: إنَّ امرأةً حَسناءَ كانَتْ تُصَلِّي خلفَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فتَقَدَّمَ بعضُ القَوْمِ لئلَّا ينظُرَ إليها وتأَخَّرَ بعضٌ ليُبصِرَها، فنَزَلَتْ[٣].

(٢٥) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ لا محالةَ للجَزاءِ، وتوسيطُ الضَّميرِ للدَّلالةِ على أَنَّه القادرُ والمُتولِّي لحشرِهِم لا غيرُه، وتصديرُ الجُملَةِ بـ﴿إِنَّ﴾ لتَحقيقِ الوَعدِ والتَّنبيهِ على أنَّ ما سبقَ مِن الدَّلالةِ على كمالِ قُدرَتِه وعِلمِهِ بتَفاصيلِ الأَشياءِ يدلُّ

---

(١) في نسخة التفتازاني: «يدل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٦) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٦) عن الربيع بن أنس وهو مرسل. وأورده الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٧٢) من رواية الكلبي عن ابن عباس، وابنُ الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٣٢) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جداً؛ لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) رواه الترمذي (٣١٢٢)، والنسائي في (٨٧٠)، وابن ماجه (١٠٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٦) وصححه، ووافقه الذهبي في «التلخيص». ورواه الترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن أبي الجوزاء دون ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: وهذا أشبه أن يكون أصح. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: غريب جدًّا وفيه نكارة شديدة.

على صِحَّةِ الحُكمِ، كما صرَّحَ بِهِ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ باهرُ الحِكمَةِ مُتقِنٌ في أفعالِه ﴿عَلِيمٌ﴾ وَسِعَ عِلمُهُ كلَّ شيءٍ.

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾: طينٍ يابسٍ يُصلصِلُ؛ أي: يُصَوِّت إذا نُقِرَ. وقيل: هو مِن صَلْصَلَ: إذا أنتنَ، تَضعيفُ صَلَّ.

﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: طينٍ تَغيَّرَ واسوَدَّ مِن طولِ مجاورةِ الماءِ، وهو صِفَةُ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾؛ أي: كائنٍ مِن حمأٍ ﴿مَّسْنُونٍ﴾: مُصَوَّرٍ، مِن سُنَّةِ الوَجْهِ[1]، أو: مَصبوبٍ لِيَيْبَسَ ويَتصَوَّرَ كالجواهرِ المُذابَةِ تُصبُّ في القَوالبِ، مِن السَّنِّ: وهو الصَّبُّ، كأنَّه أفرغَ الحمأَ فصَوَّرَ مِنه تمثالَ إنسانٍ أجوَفَ، فيَبِسَ حَتَّى إذا نُقِرَ صلصَلَ، ثمَّ غيَّرَ ذلك طَوْرًا بعدَ طَوْرٍ حتَّى سَوَّاهُ ونفخَ فيهِ مِن رُوحِهِ. أو: مُنتنٌ؛ مِن سَنَنْتُ الحجرَ على الحجر: إذا حَكَكْتَه بِهِ، فإنَّ ما يسيلُ بَيْنَهُمَا يكونُ مُنْتِنًا، وسُمِّيَ سَنِينًا.

(٢٧) ـ ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: أبا الجنِّ، وقيل: إبليسَ، ويجوزُ أَنْ يرادَ به الجنسُ كما هوَ الظَّاهرُ مِن ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ لأنَّ تَشعُّبَ الجنسِ لَمَّا كانَ مِن شَخصٍ واحِدٍ خُلقَ مِن مادَّةٍ واحِدَةٍ كانَ الجنسُ[2] بأَسْرِهِ مَخْلُوقًا منها.

وانتصابُهُ بفعلٍ يفسِّرُهُ: ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾: مِن قَبلِ خلقِ الإنسانِ ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: مِن نارِ الحَرِّ الشَّديدِ النَّافذِ في المَسامِّ، ولا يَمْتَنِعُ خلقُ الحَياةِ في الأَجرامِ البَسيطَةِ كما لا يَمتَنِعُ خَلقُها في الجَواهرِ المجرَّدَةِ فَضْلًا عَن الأَجسادِ المؤلَّفَةِ التي الغالبُ فيها الجزءُ النَّاريُّ، فإنَّها أقبَلُ لها مِن التي الغالِبُ فيها الجُزءُ الأَرضيُّ[3]،

---

(١) «سنة الوجه»: صورته؛ كما في «الصحاح» (مادة: سنن)، واستشهد بقول ذي الرُّمة:

تريكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرَ مُقرَفةٍ ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

(٢) في نسخة الخيالي: «لأن تشعب الجن... كان الجن».

(٣) قوله: «فإنها»؛ أي: الأجسادَ المؤلَّفَةَ التي الغالبُ فيها الجزءُ الناريُّ كالجانِّ «أقبلُ لها»؛ أي: للحياةِ «من التي الغالبُ فيها الجزءُ الأرضي» كالآدميِّ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠١).

وقوله: ﴿مِن نَّارٍ﴾ باعتبارِ الغالِبِ، كقولِه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠][1].

ومَساقُ الآيةِ كمَا هو للدَّلالَةِ على كَمالِ قُدرَةِ اللهِ وبيانِ بَدءِ[2] خَلْقِ الثَّقلينِ، فهو للتَّنبيهِ على المُقدِّمَةِ الثَّانيَةِ التي يَتوقَّفُ عليها إمكانُ الحَشرِ، وهو قبولُ المَوادِّ للجَمعِ والإحياءِ.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ واذكُرْ وقتَ قولِه ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: عَدَّلْتُ خلقتَهُ وهَيَّأْتُه لنَفخِ الرُّوحِ فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ حتَّى جَرَى آثارُهُ في تَجاويفِ أعضائِهِ فحَيِيَ.

وأَصْلُ النَّفخِ: إجراءُ الرِّيحِ في تَجويفِ جِسْمٍ آخرَ، ولَمَّا كانَ الرُّوحُ يَتعلَّقُ أَوَّلًا بالبُخارِ اللَّطيفِ المُنبعِثِ مِن القَلبِ، وتَفيضُ عليه القُوَّةُ الحَيوانيَّةُ فيَسري حامِلًا لها في تَجويفِ[3] الشَّرايينِ إلى أعماقِ البَدنِ، جعلَ تعلُّقَهُ بالبدنِ نَفْخًا، وإضافَةُ الرُّوحِ إلى نَفسِهِ لِمَا مرَّ في (النِّساءِ).

﴿فَقَعُواْ﴾: فاسقُطُوا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أَمْرٌ مِن وَقَعَ يَقَعُ.

(٣٠) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أكَّدَ بتأكيدينِ للمُبالَغَةِ في التَّعميمِ ومَنعِ التَّخصيصِ.

وقيل: أكَّدَ بالـ(كُلِّ) للإحاطَةِ، وبـ(أجمعينَ) للدَّلالةِ على أنَّهم سَجدُوا مُجتمِعينَ دفعةً، وفيه نَظَرٌ؛ إذ لو كانَ الأَمرُ كذلك كانَ الثَّاني حالًا لا تأكيدًا.

---

(١) قوله: «وقوله: ﴿مِن نَّارٍ﴾ باعتبار الغالب»؛ أي: وإلا فالجانُّ خُلِقَ من العناصر الأربعة «كقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]»؛ أي: في أنَّ ذكرَ الترابِ في آدمَ باعتبار الغالبِ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠١).

(٢) في نسخة الخيالي: «مبدأ»، وفي نسخة التفتازاني: «بدو»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(٣) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «تجاويف»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(٣١) ـ ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾ إنْ جُعلَ منقطعًا اتَّصلَ به قولُه: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾؛ أي: ولكنَّ إبليسَ أَبى، وإنْ جُعِلَ مُتَّصِلًا كانَ استِئْنافًا على أنَّه جَوابُ سَائلٍ قال: هَلَّا سَجَدَ.

(٣٢) ـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ ﴾: أيُّ غَرَضٍ لك في أَنْ لا تَكونَ ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ لآدمَ؟

(٣٣) ـ ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ ﴾ اللامُ لتَأكيدِ النَّفيِ؛ أي: لا يَصِحُّ مِنِّي ويُنافِي حالي أَنْ أَسجُدَ ﴿لِبَشَرٍ ﴾ جِسْمانيٍّ كَثيفٍ، وأنا مَلَكٌ روحانِيٌّ.

﴿خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ وهو أَخسُّ العَناصرِ، وخلقْتَنِي مِن نارٍ وهيَ أَشرَفُها.

استَنْقَصَ آدمَ عليهِ السَّلامُ باعتبارِ[1] النَّوعِ والأَصلِ، وقَدْ سبقَ الجَوابُ عنه في (سُورَةِ الأَعرافِ).

(٣٤) ـ ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾: مِن السَّماءِ، أو: الجنَّةِ، أو: زُمْرةِ[2] الملائكَةِ.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾: مَطرودٌ مِن الخَيرِ والكَرامَةِ، فإنَّ مَن يُطرَدُ يُرجَمُ بالحجرِ، أو: شَيطانٌ يُرجَمُ بالشُّهُبِ، وهو وعيدٌ يَتضمَّنُ الجَوابَ عَن شُبهَتِهِ.

(٣٥) ـ ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ ﴾ هذا الطَّردَ والإبعادَ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فإنَّه مُنتَهى أَمَدِ اللعنِ، فإنَّه يُناسِبُ أيامَ التَّكليفِ، ومنه زَمانُ الجَزاءِ، وما في قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤] فبمَعنًى آخرَ يُنسى عِندَه هذه[3].

---

(١) في نسخة الخيالي: «بحسب».

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «زمر».

(٣) قوله: «فإنه منتهى أمد اللعن»؛ أي: اللعن بمعنى الطَّرْدِ والإبعادِ؛ أي: المجرد عن العقاب «يناسب =

وقيل: إنَّما حدَّ اللعنَ بهِ لأنَّهُ أَبعَدُ غايةٍ يَضْرِبُها النَّاسُ[١]، أو: لأنَّهُ يُعذَّبُ فيه بما يُنسَى اللَّعنُ معه فيَصيرُ كالزَّائلِ.

(٣٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾: فأَخِّرْنِي، والفَاءُ مُتعلِّقَةٌ بمَحذوفٍ دَلَّ عليهِ ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أرادَ أن يَجِدَ فُسحةً في الإغواءِ ونَجاةً عَن الموتِ؛ إذ لا موتَ بعدَ وَقتِ البعثِ، فأجابَهُ إلى الأوَّلِ دونَ الثَّاني.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ المُسمَّى فيه أجلُكَ عِندَ اللهِ، أو: انقراضِ النَّاسِ كُلِّهِم، وهو النَّفخَةُ الأُولى عندَ الجُمهورِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ المُرادُ بالأيَّامِ الثَّلاثَةِ يومَ القِيامَةِ، واختلافُ العباراتِ لاختلافِ الاعتِباراتِ، فعبَّرَ عنه أوَّلًا بيومِ الجَزاءِ لِمَا عَرَفتَه، وثانيًا بيومِ البَعثِ إذ به يَحصُلُ العِلمُ بانقِطاعِ التَّكليفِ واليَأسُ عَن التَّضليلِ، وثالثًا بالمَعلومِ لوقوعِهِ في الكَلامينِ، ولا يلزَمُ من ذلك أن لا يموتَ، فلعلَّهُ يَموتُ أَوَّلَ اليَومِ ويبعثُ الخَلائِقَ في تَضاعيفِهِ، وهذه المُخاطَبَةُ وإن لم تَكُن بواسِطَةٍ لم تَدُلَّ على مَنصبِ إبليسَ؛ لأنَّ خِطابَ اللهِ له على سَبيلِ الإهانَةِ والإذلالِ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباءُ للقَسَمِ، و(ما) مَصدريَّةٌ، وجوابُه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: أقسِمُ بإغوائِكَ إيَّايَ لأُزَيِّنَنَّ لَهُم المَعاصِيَ في

= أيام التكليف» أما اللَّعنُ بمعنى التعذيبِ فإنما يناسب دار الجزاء، (ومنه)؛ أي: من يوم الدِّين؛ أي: زمانِه (زمان الجزاء)؛ أي: الذي يقعُ فيه التعذيبُ «وما في قوله: ﴿فَأَذَّنَ﴾...إلى آخره» جوابُ ما يقال: كيف غَيَّا اللعنةَ بيومِ الدِّين مع أنه أثبتَها فيه بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ فأجاب: بأنها ثَمَّ «بمعنًى آخرَ» غيرِ الطَّرد والإبعاد، وهو التعذيبُ الذي (تُنسى عنده) اللعنةُ بمعناهما، وهي ما أشار إليه بقوله: «هذه». انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠٣).

(١) في نسخة التفتازاني: «الإنسان».

الدُّنيا التي هي دارُ الغُرورِ، كقولِه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وفي انعقادِ القَسَمِ بأَفعالِ اللهِ تَعالى خلافٌ.

وقيل: للسَّببيَّةِ.

والمُعتزلةُ أَوَّلُوا الإغواءَ بالنِّسبَةِ إلى الغيِّ، أو التَّسبُّبِ له بأَمرِهِ إيَّاه بالسُّجودِ لآدمَ عليهِ السَّلامُ، أو بالإضلالِ عَن طَريقِ الجنَّةِ[1]، واعتذَرُوا عَن إمهالِ اللهِ له -وهو سَببٌ لزيادَةِ غيِّهِ وتَسليطٌ له على إغواءِ بَنِي آدمَ- بأنَّ اللهَ تَعالى عَلِمَ مِنْه وممَّنْ تَبِعَه أَنَّهُم يَموتونَ على الكُفْرِ ويَصيرونَ إلى النَّارِ، أُمهِلَ أو لم يُمْهَلْ، فإنَّ في إِمْهَالِه تعريضًا لِمَن خالفَهُ لاستِحقاقِ مزيدِ الثَّوابِ، وضَعْفُ ذلك لا يَخْفَى على ذَوِي الأَلبابِ[2].

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ولأَحْمِلَنَّهُم أَجْمَعِينَ عَلَى الغِوَايَةِ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أَخْلَصْتَهُم لطاعَتِكَ وطَهَّرْتَهُم مِن الشَّوائبِ فلا يَعمَلُ فيهِم كيدِي.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وابنُ عامرٍ وأبو عَمرٍو بالكسرِ في كُلِّ القُرآنِ[3]؛ أي: الذين أَخلصُوا نُفوسَهُم للهِ.

---

(١) قوله: «والمعتزلة» القائلون بأن العبد يُوجِدُ أفعالَه بنفسه «أوَّلوا الإغواء» الذي هو مِن ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ كالصريحِ في أن الموجدَ له هو اللهُ «بالنسبة إلى الغي» المترتِّبِ على الإغواء، لا إلى الإغواء نفسه، «أو التسبب له»؛ أي: للغيِّ (بأمره) متعلق بـ(التسبُّبِ)، «أو بالإضلال» عطف على (بالنسبة). انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠٥).

(٢) قوله: «وضعفُ ذلك..»؛ أي: ما ذُكِر من التأويل والاعتذار؛ لما ثبتَ أن الموجدَ للأشياءِ هو اللهُ، وأنَّ له أن يفعلَ ما يشاءُ، فلا يحتاجُ إلى تأويلٍ واعتذار، معَ أن التأويلَ بالإضلال مُحْوِجٌ على مذهبهم إلى تأويلٍ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٤١) ـ ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ ﴾: حقٌّ عليَّ أَنْ أُراعِيَه[1] ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا انحرافَ عنه، والإشارةُ إلى ما تَضمَّنَه الاستِثناءُ، وهو تخلُّصُ المخلَصينَ مِن إغوائِه، أو الإخلاصِ على معَنى: أنَّه طريقٌ عليَّ يُؤدِّي إلى الوُصولِ إليَّ مِن غيرِ اعوجاجٍ وضَلالٍ.

وقُرِئَ ﴿عَلِيٌّ﴾ مِن عُلوِّ الشَّرفِ[2].

(٤٢) ـ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ تصديقٌ لإبليسَ فيما استثناه، وتَغييرُ الوَضْعِ لتَعظيمِ المُخلَصِينَ، ولأنَّ المقصودَ بيانُ عِصمَتِهم وانقطاعِ مَخالبِ الشَّيطانِ عنهم، أو: تَكذيبٌ له فيما أوهَمَ أنَّ له سُلطانًا على مَن ليسَ بمُخلَصٍ مِن عبادِه، فإنَّ مُنتَهى تَزيينِهِ التَّحريضُ والتَّدليسُ، كمَا قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وعلى هذا يكونُ الاستِثناءُ مُنقَطِعًا، وعلى الأوَّلِ يُدْفَعُ قولُ مَن شَرَطَ أَنْ يكونَ المُستثنى أقَلَّ مِن الباقي لإفضائِهِ إلى تَناقُضِ الاستثناءينِ.

(٤٣) ـ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾: لَموعِدُ الغاوينَ أو المُتَّبِعينَ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيدٌ للضَّميرِ، أو حالٌ والعامِلُ فيها الموعِدُ إنْ جعَلْتَهُ مَصدرًا على تقديرِ مُضافٍ، ومَعنى الإضافَةِ إنْ جعَلْتَهُ اسمَ مَكانٍ فإنَّه لا يعمَلُ.

---

(١) كذا فسَّرَهُ في «الكشَّافِ» بناءً على مذهبِهِ في الأصلحِ على اللهِ وكلمَة (علي) تستعمل للوجوب، وما ذكرَهُ المُصنِّفُ ـ رحمَه اللهُ ـ ليسَ متابعَة له، بل هوَ على أصلِ أهل السنة والجماعة كقولِه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] مِن أنه وإن كانَ تفضلًا منه، إلَّا أنَّه شبه بالحقِّ الواجب لتأكُّدِ ثبوته، وتحقُّق وقوعه بمُقتضى وعده. قاله الخفاجي في «الحاشية».

(٢) قرأ بها يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠١). وذكرها في «المحتسب» (٢/ ٣) عن أبي رجاء وابن سيرين وقيس بن عبادة وقتادة والضحاك ويعقوب وابن شرف ومجاهد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن أبي حفصة.

(٤٤) ـ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ يدخلونَ فيها لكَثْرَتِهِم، أو طبقاتٍ يَنزِلُونَها بحسبِ مَراتِبِهِم في المُتابعَةِ، وهي: جهنَّمُ، ثمَّ لَظَى، ثمَّ الحُطَمَةُ، ثمَّ سَقَرُ، ثمَّ السَّعِيرُ، ثمَّ الجَحِيمُ، ثمَّ الهَاوِيَةُ.

ولعلَّ تَخصيصَ العَددِ لانحِصارِ مجامعِ المُهلِكاتِ في الركونِ إلى المَحسوساتِ، ومتابعةِ القوَّةِ الشَّهويَّةِ والغَضبيَّةِ، أو لأنَّ أهلَها سبعُ فِرَقٍ.

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾: مِن الأَتباعِ ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أُفرِزَ لَه، فأَعلاها للمُوَحِّدينَ العُصاةِ[1]، والثَّاني لليَهودِ، والثَّالثُ للنَّصارَى، والرَّابعُ للصَّابئينَ، والخامِسُ للمَجوسِ، والسَّادسُ للمُشركينَ، والسَّابعُ للمُنافقينَ.

وقَرأَ أبو بكرٍ: ﴿جُزُءٌ﴾ بالتَّثقيلِ[2].

وقرِئ: ﴿جُزٌّ﴾[3] على حذفِ الهَمزِ وإلقاءِ حركتِهِ على الزَّاي، ثمَّ الوَقفِ عليه بالتَّشديدِ، ثمَّ إجراءِ الوَصلِ مُجرى الوقفِ.

و﴿مِنْهُمْ﴾ حالٌ مِنه، أو من المستكنِّ في الظَّرفِ[4]، لا في ﴿مَقْسُومٌ﴾؛ لأنَّ الصِّفَةَ لا تعمَلُ فيما تقدَّمَ مَوصوفَها.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «لعصاة الموحدين».

(٢) قوله: «بالتثقيل» يعني: بضم الزاي، وقرأ باقي السبعة بالتخفيف؛ أي: بسكون الزاي. انظر: «التيسير» (ص: ٨٢).

(٣) قرأ بها أبو جعفر المدني من العشرة. انظر: «النشر» (١/ ٤٣٢). وذكرها ابنُ جني في «المحتسب» (٢/ ٤)، وابن الجزري في «النشر» (١/ ٤٣٢)، عن الزهريِّ.

(٤) قوله: «و﴿مِنْهُمْ﴾ حال منه»؛ أي: من ﴿جُزْءٌ﴾ «أو من المستكنِّ في الظرف»؛ أي: وهو ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٠٧).

(٤٥) ـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ مِن اتِّباعِهِ فـي الكُفرِ والفَواحشِ، فإنَّ غيرَها مُكفَّرَةٌ ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ لكلِّ واحدٍ جنَّةٌ وعينٌ، أو لكلِّ عِدَّةٌ مِنهُما، كقولِه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثمَّ قولِه: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢]، وقولِه: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥] الآيةَ.

وقرأَ نافِعٌ وأبو عمرٍو وحفصٌ وهِشامٌ: ﴿وَعُيُونٍ ﴾ و﴿ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤] بضمِّ العينِ حيثُ وقعَ، والباقونَ بكسرِ العَينِ[1].

(٤٦) ـ ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ على إرادةِ القَولِ، وقُرِئَ بقَطعِ الهَمزَةِ وكسرِ الخَاءِ على أنَّه ماضٍ[2]، فلا يُكسرُ التَّنوينُ.

﴿بِسَلَٰمٍ ﴾: سالمينَ، أو: مُسلَّمًا عليكُم ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ مِن الآفَةِ والزَّوالِ.

(٤٧) ـ ﴿وَنَزَعْنَا ﴾ في الدُّنيا بمَا أَلَّفَ بين قُلوبِهِم، أو في الجنَّةِ بتَطييبِ نُفوسِهِم.

﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾: مِـن حقدٍ كانَ في الدُّنيَا، وعَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه: أرجو أن أكونَ أنا وعُثمانُ وطَلحَةُ والزُّبَيرُ مِنْهُم[3].

أو: مِن التَّحاسُدِ على درجاتِ الجنَّةِ ومَراتبِ القربِ.

﴿إِخْوَٰنًا ﴾ حـالٌ مِـن ضَميـرِ ﴿فِي جَنَّٰتٍ ﴾، أو فاعـلِ ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾، أو الضَّميرِ في ﴿ ءَامِنِينَ ﴾، أو الضَّميـرِ المضـافِ إليـه والعامِـلُ فيهـا مَعنـى الإضافـةِ، وكـذا قولـه:

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) أي: (أُدْخِلوها) على الماضي المبني للمجهول، نسبت للحسن. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٧٥)، و«الكشاف» (٤/ ٤٩٢)، ونسبت ليعقوب في رواية رويس. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠١). والمشهور عن يعقوب: ﴿ ٱدْخُلُوهَا﴾ كقراءة الجمهور.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠١)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ ويجوزُ أَنْ يكونَا صِفَتينِ لـ﴿إِخْوَٰنًا﴾ أو حالَينِ مِن ضَميرِه؛ لأنَّه بمَعنى مُتصافِينَ، وأَنْ يكونَ ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ حالًا مِن المستقِرِّ في ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾.

(٤٨) ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ استئنافٌ، أو حالٌ بعدَ حالٍ، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنَّ تمامَ النِّعمَةِ بالخُلودِ.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ فَذْلكةُ ما سبقَ مِن الوَعدِ والوَعيدِ وتَقريرٌ لَهُ، وفي ذكرِ المَغفِرَةِ دليلٌ على أنَّه لم يُرَدْ بالمُتَّقينَ مَن يَتَّقِي الذُّنوبَ بأسرِها كبيرِها وصغيرِها، وفي تَوصيفِ ذاتِه بالغُفرانِ والرَّحمةِ دونَ التَّعذيبِ ترجيحُ الوَعدِ وتَأكيدُه.

(٥١) ـ وفي عطفِ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ﴾ تحقيقٌ لهما بما يَعتبِرونَ به.

(٥٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾؛ أي: نُسلِّمُ عليك سَلامًا، أو: سَلَّمْنا سلامًا.

﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفونَ، وذلك لأنَّهُم دَخَلوا بغيرِ إذنٍ وبغيرِ وَقتٍ، أو لأنَّهُم امتنَعُوا من الأكلِ، والوَجَلُ: اضطِرابُ النَّفسِ لتوقُّعِ ما تكرَهُ.

(٥٣) ـ ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ وقُرِئَ: (لا تَأْجَل)[1]، و: (لا تُوجَلْ) مِن أوجلَهُ[2]، و: (لا تُواجَلْ)[3] من واجَلَه بمعنى: أَوْجَلَهُ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٩٤) دون نسبة، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥) عن أبي معاذ لكن وقع فيه: (تاجل) بالألف لا بالهمزة. وذكر (تأجل) بالهمز أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٥١) على أنها لغة في توجل.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٤)، عن الحسن.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥) عن أصحاب ابن مسعود، «الكشاف» (٤/ ٤٩٤) دون نسبة.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئنافٌ في مَعنى التَّعليلِ للنَّهيِ عَن الوجلِ، فإنَّ المبشَّرَ لا يُخافُ منه.

وقرأ حمزَةُ: ﴿نَبْشُرُك﴾ مِن البَشْرِ[١].

﴿بِغُلَٰمٍ﴾ هو إسحاقُ؛ لقولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] ﴿عَلِيمٍ﴾ إذا بلغَ.

(٥٤) ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ تَعجَّبَ مِن أَنْ يولدَ له مع مسِّ الكبرِ إيَّاه، أو إنكارٌ لأَنْ يُبشرَ به في مثلِ هذه الحالِ، وكذلك قولُه: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾؛ أي: فبأيِّ أُعجوبَةٍ تبشِّروني؟ أو فبأيِّ شيءٍ تُبشِّروني؟ فإنَّ البِشارةَ بما لا يتصوَّرُ وقوعُه عادةً بشارةٌ بغيرِ شَيءٍ.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ بكسرِ النُّونِ مُشدَّدَةً في كلِّ القُرآنِ[٢] على إدغامِ نونِ الجَمعِ في نونِ الوِقايَةِ، ونافعٌ بكسرِها مُخفَّفَةً على حذفِ نونِ الجَمعِ استِثْقالًا لاجتماعِ المِثْلَيْنِ، ودلالةً بإبقاءِ نونِ الوقايةِ على الياءِ[٣].

(٥٥) ـ ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بما يكونُ لا مَحالةَ، أو: باليقينِ الذي لا لَبْسَ فيه، أو: بطريقةٍ هي حَقٌّ، وهو قولُ اللهِ تَعالى وأمرُه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: مِن الآيسينَ مِن ذلك، فإنَّه تَعالى قادرٌ على أن يخلقَ بشرًا من غيرِ أبوينِ، فكيفَ مِن شيخٍ فانٍ وعَجوزٍ عاقرٍ.

(٥٦) ـ وكان استعجابُ إبراهيمَ باعتبارِ العادَةِ دونَ القُدرةِ، ولذلك ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: المخطئونَ طريقَ المعرفَةِ فلا يعرفونَ سَعةَ

---

(١) وقرأ الباقون بضم النون والتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) قيلَ: إنَّه سهو، فإنَّه لم يقعْ (تبشرون) في غيرِ هذهِ الآية. نقله الخفاجي في «الحاشية».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

رَحمةِ الله وكمالَ علمِه وقُدرتِه، كما قال: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقرأ أبو عمرٍو والكِسائيُّ: ﴿يَقنِطْ﴾ بالكسر[١]، وقرئ بالضمِّ[٢]، وماضيهما: قَنَط بالفتح.

(٥٧) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: فما شأنُكم الذي أُرسِلْتُم لأجلِهِ سوى البشارةِ، ولعلَّه علمَ أنَّ كمالَ المَقصودِ ليسَ البشارةَ؛ لأنَّهُم كانوا عددًا، والبِشارةُ لا تَحتاجُ إلى العَددِ، ولذلك اكتُفي بالواحدِ في بشارةِ زكريَّا ومَريمَ، أو لأنَّهُم بشَّروهُ في تَضاعيفِ الحالِ لإزالةِ الوَجَلِ، ولو كانَت تمامَ المَقصودِ لابتدَؤُوا بها.

(٥٨ ـ ٦٠) ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: قومَ لُوطٍ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إن كانَ استثناءً مِن ﴿قَوْمٍ﴾ كانَ مُنقَطِعًا؛ إذ القومُ مُقيَّدٌ بالإجرامِ، وإن كانَ استثناءً مِن الضَّميرِ في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ كانَ مُتَّصِلًا، والقومُ والإرسالُ شاملَيْنِ للمُجرمينَ وآلِ لوطٍ المؤمنين به، وكأنَّ المَعنى: إنَّا أُرْسِلْنا إلى قومٍ أجرمَ كلُّهُم إلا آلَ لوطٍ مِنْهُم لنُهلكَ المجرمينَ ونُنجي آلَ لوطٍ، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: مما يعذَّبُ به القومُ، وهو استئنافٌ إذا اتَّصلَ الاستثناءُ، ومُتَّصلٌ بـ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ جارٍ مَجْرَى خبرِ (لكنَّ) إذا انقطعَ، وعلى هذا جازَ أَنْ يكونَ قولُه: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناءً مِن ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ أو مِن ضَميرِهِم، وعلى الأوَّلِ لا يكونُ إلَّا مِن ضَميرِهِم، لاختلافِ الحكمينِ، اللهمَّ إلا أن يُجعَلَ ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ اعتراضًا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٥)، عن زيد بن علي والأشهب العقيلي ويحيى بن يعمر وعيسى.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿لَمُنجُوهُم﴾ مخفَّفًا[١].

﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: الباقين مع الكفرةِ لتَهْلِكَ مَعَهُم.

وقرأ أبو بكرٍ عَن عاصمٍ: ﴿قَدَّرْنَآ﴾ هنا وفي (النَّملِ) بالتَّخفيفِ[٢].

وإنَّما عُلِّقَ ـ والتَّعليقُ مِن خواصِّ أفعالِ القُلوبِ ـ لتَضمُّنِه مَعنى العلمِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿قَدَّرْنَآ﴾ أُجري مُجرى: قُلْنا؛ لأنَّ التَّقديرَ بمعنى القضاءِ قولٌ، وأصلُه: جعلُ الشَّيءِ على مِقدارِ غَيرِه، وإسنادُهُم إيَّاهُ إلى أَنفُسِهِم ـ وهو فعلُ اللهِ تَعالى ـ لِمَا لَهُم مِن القُربِ والاختِصاصِ.

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ تُنكِرُكُم نَفسي وتَنفِرُ عَنكُم مَخافةَ أَنْ تَطْرُقوني بشَرٍّ.

(٦٣) ـ ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: ما جِئناكَ بما تُنكِرُنا لأَجلِه، بل جِئناكَ بما يَسرُّكَ ويَشفي لكَ مِن عَدوِّكَ، وهو العَذابُ الذي تَوعَّدْتَهم بهِ فيَمتَرونَ فيه.

(٦٤) ـ ﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: باليَقينِ مِن عَذابِهم ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرناكَ به.

(٦٥) ـ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: فاذهَبْ بهم في اللَّيلِ، وقرأَ الحجازيَّانِ بوصلِ الأَلفِ مِن السُّرَى[٣]، وهما بمعنًى. وقُرِئَ: (فسِرْ) من السَّيرِ[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥). والحجازيان: نافع المدني وابن كثير المكي.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٦٨) عن اليماني. والمشهور بهذا اللقب هو محمد بن السميفع.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: في طائفةٍ مِن الليلِ، وقيل: في آخرِه، قال:

افتَحِي البابَ وانظُرِي في النُّجُومِ كَمْ عَلَيْنَا مِن قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ[1]

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ وكُنْ على إثرِهِمْ تَذودُهُم[2] وتُسرِعُ بهم وتَطَّلِعُ على حالِهِم.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لِيَنظُرَ ما وراءَه فيرى مِن الهَولِ ما لا يُطيقُهُ، أو: فيُصيبُهُ ما أصابَهم، أو: ولا ينصرفْ أحدُكُم ولا يتخلَّفْ لغَرَضٍ فيُصيبَهُ العذابُ، وقيل: نُهُوا عن الالتفاتِ ليوطِّنُوا نُفوسَهُم على المُهاجرةِ.

﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: إلى حيثُ أَمَرَكُم اللهُ بالمُضِيِّ إليه وهو الشَّامُ أو مِصرُ، فعُدِّيَ ﴿وَٱمْضُواْ﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ و﴿تُؤْمَرُونَ﴾ إلى ضَميرِهِ المحذوفِ على الاتِّساعِ.

(٦٦) ـ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾؛ أي: أوحينا ﴿إِلَيْهِ﴾ مَقضيًّا، ولذلك عُدِّيَ بـ(إلى) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ مُبهَمٌ تَفسيرُه: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ ومحلُّهُ النَّصبُ على البدلِ منه، وفي ذلك تَفخيمٌ للأمرِ وتَعظيمٌ له.

وقُرِئَ بالكَسرِ على الاستئنافِ[3]، والمعنى: أنهم يُستأصَلُونَ عن آخرِهِم حتى لا يبقَى مِنْهُم أحدٌ.

﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلينَ في الصُّبحِ، وهو حالٌ مِن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، أو مِن الضَّميرِ في ﴿مَقْطُوعٌ﴾، وجمعُهُ للحَملِ على المَعنى، فـ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في مَعنى: مُدْبِري هؤلاءِ.

---

(١) البيت دون نسبة في «العين» (١/ ١٣٩)، و«معجم ديوان العرب» (١/ ١٨٨)، و«الصحاح» (مادة: قطع)، و«الحور العين» لنشوان الحميري (ص: ٢٤٨)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٠٠).

(٢) أي: تسوقهم.

(٣) أي: (إنَّ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥) عن الأعمش. وفيه عن ابن مسعود: (وقُلنا له إنَّ دابرَ هؤلاء).

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ سَذُومَ[1] ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ بأضيافِ لوطٍ طمعًا فيهم ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ بفَضِيحَةِ ضَيْفِي، فإنَّ مَن أُسِيءَ إلى ضيفِهِ فقَدْ أُسيءَ إليهِ.

(٦٩) ـ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في ركوبِ الفاحِشَةِ ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ ولا تُذِلُّوني بسببِهِم، من الخِزْيِ، وهو الهوانُ، أو: لا تُخْجِلُوني فيهِم، من الخَزَايَةِ، وهي الحياءُ.

(٧٠) ـ ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عَن أَنْ تُجيرَ مِنْهُم أحدًا، أو: تمنعَ بيننا وبينَهُم، فإنَّهُم كانوا يتعرَّضُونَ لكلِّ أَحدٍ، وكان لوطٌ يمنَعُهُم عنه بقَدْرِ وُسعِهِ، أو عن ضيافَةِ النَّاسِ وإنزالِهِم.

(٧١) ـ ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ يعني: نساءَ القَوْمِ، فإنَّ نبيَّ كُلِّ أُمَّةٍ بمنزلةِ أَبيهِم، وفيه وجوهٌ ذُكِرَت في (سورةِ هُودٍ).

﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ قضاءَ الوطَرِ، أو: ما أقولُ لَكُم.

(٧٢) ـ ﴿ لَعَمۡرُكَ ﴾ قَسَمٌ بحياةِ المُخاطَبِ، وهو النبيُّ عليهِ السَّلامُ. وقيل: لوطٌ عليهِ السَّلامُ، قالتِ المَلائِكَةُ له ذلك، والتقديرُ: لعَمْرُكَ قَسَمِي، وهو لُغَةٌ في العُمرِ، يختصُّ به القَسَمُ لإيثارِ الأَخفِّ فيه؛ لأنَّه كَثيرُ الدَّورِ على ألسِنَتِهِم.

﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾: لفِي غَوايَتِهِم، أو: شدَّةِ غُلْمَتِهِم التي أَزالَتْ عُقولَهُم وتمييزَهُم بين خَطئِهِم والصَّوابِ الذي يُشارُ بِهِ إليهِم.

﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يَتحيَّرونَ، فكيفَ يَسمعونَ نصحكَ؟

وقيل: الضَّميرُ لقُرَيشٍ، والجملَةُ اعتِراضٌ.

---

(١) (سذوم) بالذال المعجمة عند أكثر أهل اللغة، وروي إهمالها.

(٧٣) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني: صيحةً هائِلَةً مُهلِكَةً، وقيل: صيحةُ جِبريلَ.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلينَ في وقتِ شُروقِ الشَّمسِ.

(٧٤) ـ ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾: عاليَ المَدينةِ، أو: عاليَ قُراهُم ﴿سَافِلَهَا﴾ وصارَتْ مُنقلِبَةً بهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: مِن طِينٍ مُتحجِّرٍ، أو: طينٍ عليه كتابٌ، مِن السِّجِلِّ، وقد تقدم مزيدُ بيانٍ لهذه القصَّةِ في (سورةِ هُودٍ).

(٧٥) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: المُتفكِّرينَ المُتفرِّسينَ الذين يَتثبَّتونَ في نَظرِهِم حتى يعرفوا حقيقةَ الشَّيءِ بسِمَتِه.

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنَّ المَدينةَ أو القرى ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابتٍ يَسلُكُه النَّاسُ ويرونَ آثارَها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ باللهِ ورُسُلِه.

(٧٨) ـ ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ هُم قومُ شُعَيبٍ، كانوا يَسكنونَ الغَيْضَةَ فبعثَهُ اللهُ إليهم فكذَّبوهُ فأُهلِكوا بالظُّلَّةِ. والأيكةُ: الشَّجرَةُ المُتكاثِفَةُ.

(٧٩) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاكِ ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: سَدُومَ والأَيكةَ، وقيل: الأيكَةَ ومَدْينَ، فإنَّه كانَ مَبعُوثًا إليهما، فكانَ ذكرُ أحدِهما مُنبِّهًا على الآخرِ.

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريقٍ واضِحٍ، والإمامُ: اسمُ ما يُؤتَمُّ به، فسُمِّيَ به الطريق، واللَّوحُ، ومِطْمَرُ البَنَّاءِ[1]؛ لأنها مما يؤتَمُّ بهِ.

(٨٠) ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: ثمودَ كذَّبوا صالحًا، ومَن كَذَّبَ واحدًا مِن الرُّسلِ فكأنَّما كذَّبَ الجَميعَ، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بـ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ صالحًا ومَن معَهُ مِن المؤمنينَ، والحِجْرُ: وادٍ بينَ المدينَةِ والشَّامِ يَسكنونَها.

---

(١) المطمر: خيط البنَّاء الذي يقوِّم عليه البِنَاء. انظر: «النهاية» و«معجم متن اللغة» (مادة: طمر).

(٨١) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يعني: آياتِ الكتابِ المنزلِ على نبيِّهم، أو مُعجزاتِه كالنَّاقةِ وسَقَبِهَا وشُربِها ودَرِّهَا، أو ما نصبَ لهم مِن الأدلَّةِ.

(٨٢) ـ ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ مِن الانهدامِ ونَقْبِ اللُّصوصِ وتَخريبِ الأَعداءِ لوَثاقَتِها، أو: مِن العَذابِ لفَرطِ غَفْلَتِهِم، أو حُسبانِهِم أنَّ الجبالَ تَحميهِمْ منه.

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ مِن بناءِ البُيوتِ الوَثيقَةِ واستكثارِ الأَموالِ والعُدَدِ.

(٨٥) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا خلقًا مُلتَبِسًا بالحقِّ لا يُلائِمُ استمرارَ الفَسادِ ودوامَ الشُّرورِ، فلذلك اقتَضَتِ الحِكمَةُ إهلاكَ أَمثالِ هَؤلاءِ وإزاحةَ فَسادِهِم مِن الأرضِ.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ فينتَقِمُ اللهُ لك فيها ممَّنْ كذَّبَك ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ ولا تَعجَلْ بالانتِقامِ مِنْهُم، وعامِلْهُم مُعاملَةَ الصَّفوحِ الحَليمِ.

وقيل: هو مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

(٨٦) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقَكَ وخَلَقَهُم، وبيدِهِ أَمْرُكَ وأمرُهُم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالِكَ وحالِهِم، فهو حَقيقٌ بأن تَكِلَ إليه ليحكمَ بينكُم، أو هو الذي خَلَقَكُم وعلمَ الأصلحَ لَكُم، وقد عَلِمَ أنَّ الصَّفحَ اليومَ أَصلَحُ.

وفي مُصحَفِ عُثمانَ وأُبَيٍّ: (هو الخالقُ)[1]، وهو يصلُحُ للقَليلِ والكَثيرِ، و(الخَلَّاقُ) يَختَصُّ بالكَثيرِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥) عنهما وعن مالك بن دينار وسليم التيمي والجحدري، و«المحتسب» (٢/ ٦) عن مالك بن دينار والأعمش والجحدري.

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾: سبعَ آياتٍ، وهي الفاتِحَةُ.

وقيل: سبعَ سُوَرٍ، وهي الطِّوالُ، وسابِعَتُها الأنفالُ والتَّوبَةُ فإنَّهُما في حُكمِ سُورَةٍ ولذلك لم يُفصَل بينَهُما بالتَّسمِيَةِ، وقيل: التوبةُ، وقيل: يونُس.

أو: الحَوامِيمَ السَّبعَ[1].

وقيل: سبعَ صحائِفَ، وهي الأسباعُ[2].

﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ بيانٌ للسَّبعِ، و﴿ٱلْمَثَانِى﴾ مِن التَّثنِيَةِ أو الثَّناءِ، فإنَّ كلَّ ذلك مَثْنًى تُكرَّرُ قراءَتُه أو ألفاظُهُ أو قصصُهُ ومواعظُهُ، أو مَثنِيٌّ عليه بالبَلاغَةِ والإعجازِ، أو مُثنٍ على اللهِ بما هو أهلُهُ مِن صِفاتِه العُظمَى وأسمائِه الحُسْنى، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بـ﴿ٱلْمَثَانِى﴾ القرآنُ، أو كتبُ اللهِ كلُّها، فيكونُ ﴿مِّنَ﴾ للتَّبعيضِ.

﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ إنْ أُريدَ بالسَّبعِ الآياتُ أو السُّوَرُ فمِن عَطْفِ الكُلِّ على البَعضِ، أو العامِّ على الخاصِّ، وإنْ أُريدَ به الأسباعُ فمِن عَطفِ أحدِ الوَصفَيْنِ على الآخرِ.

(٨٨) ـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تَطمَحْ ببَصَرِكَ طُموحَ راغبٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافًا مِن الكُفَّارِ، فإنه مُستحقَرٌ بالإضافَةِ إلى ما أوتيتَه، فإنَّه كمالٌ مَطلوبٌ بالذَّاتِ مُفْضٍ إلى دَوامِ اللذَّاتِ.

وفي حَديثِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه: مَن أُوتيَ القُرآنَ فرأى أنَّ أحدًا أُوتيَ مِن الدُّنيا أفضلَ ممَّا أُوتي فقد صغَّرَ عَظِيمًا وعَظَّمَ صَغيرًا[3].

---

(١) قوله: «أو الحواميم...» عطف على قوله: «وهي الطوال». انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٥٩).

(٢) قوله: «وقيل: سبع صحائف وهي الأسباع» قال الشهاب في «الحاشية»: الظاهر أن المراد بالصحائف: الصحف النازلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه أنزل عليه سبع منها، والمراد: ما يتضمنها وان لم يكن بلفظها، فتأمّل.

(٣) نقل السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (٨/ ١٦٤) عن الشيخ ولي الدين العراقي قوله: لَمْ =

ورُوِيَ: أنَّه عليهِ السَّلامُ وافى بأَذْرعاتٍ سبعَ قوافِلَ ليَهودِ بَنِي قُرَيظَةَ والنَّضيرِ فيها أَنواعُ البَزِّ والطِّيبِ والجَواهرِ وسائرِ الأَمتِعَةِ، فقال المسلمون: لو كانَتْ هذه الأموالُ لنا لتَقوَّيْنَا بها وأنفقنَاهَا في سبيلِ اللهِ، فقال لهم: «قد أُعطِيتُمْ سبعَ آياتٍ هيَ خَيرٌ مِن هذهِ القَوافلِ السَّبعِ»(١).

= أَقِفْ عَلَيهِ مِن حَديثِ أَبي بكرٍ. انتهى. وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٩٣): لم أجده عن أبي بكر، وأخرجه ابن عدي [في «الكامل» (٢/ ٣٧٧)] في ترجمة حمزة النصيبي عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رفعه: «من تعلم القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد حقَّر عظيماً وعظَّم صغيراً»، وحمزة اتهموه بالوضع. وأخرجه إسحاق والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «مَن أُعطي القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضلَ مما أُعطي فقد عظَّم ما صغَّر الله وصغَّر ما عظم الله».
والحديث رواه المروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ١٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٤٥٧٥) (١٣/ ٦٤٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا، وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك، كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٩).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦ـ٥٠٧)، وتلميذه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٧)، ونسباه للحسين بن الفضل. وتابعهما في إيراد هذا الخبر في تفاسيرهم الزمخشري وابن الجوزي والفخر الرازي والقرطبي، وعندهم جميعًا: (أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد...)، فقول المصنف: «أنَّه عليهِ السَّلامُ وافى بأذرعاتٍ سبعَ قوافِلَ...» فيه نظر، فإنه يوهم أن القصة وقعت بأذرعات، بينما الوارد عند غيره يفيد أنها بالمدينة، وعليه كان رد الخازن في «تفسيره» (٣/ ٦١) لهذا الخبر بقوله: وهذا القول ضعيف، أو لا يصح؛ لأن هذه السورة مكية بإجماع أهل التفسير، وليس فيها من المدني شيء، ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة، وكيف يصح أن يقال: إن سبع قوافل جاءت في يوم واحد، فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فأنزل الله هذه الآية، وأخبرهم أن هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل؟!
قلت: وقد ورد نحو هذه القصة بغير الإشكال المذكور، فقد ذكرها أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (٩/ ٢٢٠) عند هذه الآية فقال: (قيل: قَدمَتْ لأبي جهلٍ ـ لعنه الله ـ في يومٍ واحدٍ سبعُ قوافل للتِّجارة، معها مالٌ كثيرٌ وطعام ومطاعم وثياب، وكان بأصحاب رسول الله ﷺ يومَئذٍ عُرْيٌ وجوعٌ...) الحديث، لكن يبقى أنه ليس لهذا الحديث سند يعرف، والله أعلم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أنَّهم لم يُؤمِنُوا، وقيل: أنَّهُم الممتَّعون[1] به.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضَعْ لَهُم وارفُقْ بهم.

(٨٩ ـ ٩١) ـ ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أُنذِرُكُم ببيانٍ وبُرهانٍ أنَّ عذابَ اللهِ نازِلٌ بكُمْ إنْ لم تُؤمِنُوا ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: مثلَ العَذابِ الذي أنزَلْنا عليهم، فهو وصفٌ لِمَفعولِ ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ أُقيمَ مُقامَهُ، والمقتسِمون: هُمْ الاثنا عشرَ الذين اقتَسَمُوا مداخلَ مكَّةَ أيامَ الموسمِ لينفِّرُوا النَّاسَ عَن الإيمانِ بالرَّسولِ فأهلَكَهُم اللهُ يومَ بَدرٍ، أو الرَّهطُ الذين اقتسَمُوا؛ أي: تَقاسَمُوا على أن يُبَيِّتُوا صالحًا عليه السَّلامُ.

وقيل: هو صِفَةُ مَصدرٍ مَحذوفٍ يدلُّ عليه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ فإنَّه بمَعنى: أنزَلْنا إليك، والمُقتسِمُونَ هُم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ حيثُ قالُوا عنادًا: (بعضُه حقٌّ موافِقٌ للتَّوراةِ والإنجيلِ وبعضُهُ باطِلٌ مخالِفٌ لهما)[2]، أو قسَّموهُ إلى شعرٍ وسحرٍ وكهانةٍ وأساطيرِ الأوَّلينَ، أو أهلُ الكتابِ آمَنُوا ببعضِ كتبِهِم وكفروا ببعضٍ على أنَّ المراد بـ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ ما يقرؤونَه من كتبِهِم، فيكونُ ذلك تَسليَةً لرَسولِ اللهِ ﷺ، وقولُه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ...﴾ إلخ اعتراضًا ممدًّا لها.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾: أجزاءً، جمعُ عِضَةٍ، وأَصلُها عِضَوَةٌ، مِن عَضَّى الشَّاةَ: إذا جعلَها أَعْضَاءً.

---

(١) في نسخة الخيالي: «المنعمون».

(٢) وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري (٣٩٤٥) عنه قال: هم أهلُ الكتابِ، جَزَّءُوه أجزاءً فآمَنوا ببعضِه وكفروا ببعضِه، يعني قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. ورواه (٤٧٠٥) بلفظ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمَنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، اليهودُ والنصارى.

وقيل: فِعْلَةٌ من عَضَهْتُهُ: إذا بهتُّهُ[1]، وفي الحديث: «لعنَ اللهُ العاضِهَةَ والمُستَعْضِهَةَ»[2].

وقيل: أسحارًا.

وعَن عِكرِمَةَ: العَضْهُ: السِّحرُ[3]، وإنَّما جُمِعَ جمعَ السَّلامةِ جبرًا لِمَا حُذِفَ مِنْه.

(٩٢ ـ ٩٣) ـ والمَوصولُ بصِلَتِه صِفةٌ لـ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أو مبتدأٌ خبرُه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن التَّقسيمِ، أو النِّسبَةِ إلى السِّحرِ، فنُجازيهِمْ عليه.

وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما فعلوا مِن الكُفرِ والمَعاصِي.

(٩٤) ـ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهَرْ به، مِن صَدَعَ بالحُجَّةِ: إذا تكلَّمَ بها جهارًا، أو: افرُقْ به بينَ الحقِّ والباطلِ، وأصلُه: الإبانَةُ والتَّمييزُ، و(ما) مَصدريَّةٌ أو مَوصولَةٌ، والرَّاجعُ مَحذوفٌ؛ أي: بما تؤمَرُ به مِن الشَّرائعِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تلتفِتْ إلى ما يقولونَ.

---

(١) أي: افتريت عليه.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩)، والحربي في «غريب الحديث» (٣/ ٩٢٣)، من حديث ابن عباس مرفوعاً. قال ابن طاهر في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٨٦٩): رواه سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس. وسلمة قال عنه أحمد بن حنبل: أخشى أن يكون حديثه ضعيفاً. والبخاري قال: فيه نظر.
وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩٤): في إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان.
ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٠٩٠) عن عطاء.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٣).

(٩٥) ـ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ بقَمْعِهِم وإهلاكِهِم.

قيل: كانوا خمسَةً مِن أشرافِ قُرَيشٍ: الوَليدُ بن المغيرةِ، والعاصُ بن وائلٍ[1]، والحارثُ بنُ قيس[2]، والأَسوَدُ بن عبدِ يَغوثَ، والأَسوَدُ بن المطلبِ، يبالغونَ في إيذاءِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ والاستهزاءِ به، فقال جبريلُ لرَسولِ اللهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أكفيَكَهُم، فأومأَ إلى ساقِ الوَليدِ فمرَّ بِنبَّالٍ فتَعلَّقَ بثوبِهِ سَهمٌ فلَمْ يَنعَطِفْ تعظُّمًا لأخذِهِ، فأصابَ عرقًا في عقبِه فقطعه فماتَ، وأومأَ إلى أخمصِ العاصِ فدخلَتْ فيها شوكَةٌ فانتفخَتْ رِجلُهُ حتَّى صارَتْ كالرَّحَى وماتَ، وأشارَ إلى أنفِ حارثٍ فامتَخطَ قيحًا فماتَ، وإلى الأسوَدِ بن عبدِ يغوثَ وهو قاعدٌ في أصلِ شَجرَةٍ فجعلَ يَنطَحُ رأسَهُ الشَّجرةَ ويضرِبُ وجهَهُ بالشَّوكِ حتَّى ماتَ، وإلى عيني الأسودِ بن المطلبِ فعَمِيَ[3].

---

(١) في نسخة التفتازاني هنا زيادة: «وحارث بن الطُّلاطِلة»، وليس في باقي النسخ، وبه يصبحون ستة، وكلهم مذكورون في الأخبار الواردة بهذه القصة، وقد وقع في تلك الأخبار بعض الاختلاف في عددهم وتعيينهم.

(٢) وقع في جميع النسخ هنا: «عدي بن قيس»، وصوابه: «الحارث بن قيس» كما في المصادر. وانظر: «حاشية الشهاب».

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٠٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣١٦)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ٨)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٦)، من طريق جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٢٥).
وعزاه المصنف في «الدر المنثور» (٥/ ١٠٢) إلى ابن مردويه عن ابن عباس.
ورواه ابن حبيب النيسابوري في «عقلاء المجانين» (ص: ٩ ـ ١٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥) عن مقسم مولى ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨) عن سعيد بن جبير. ورواه بنحوه ابن إسحاق في «السيرة» (٤١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦) عن عروة بن الزبير.
وذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٥)، دون نسبة.

(٩٦) - ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِهِم في الدَّارينِ.

(٩٧ ـ ٩٨) - ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ مِن الشِّركِ والطَّعنِ في القُرآنِ والاستهزاءِ بك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾: فافزَعْ إلى اللهِ فيما نابكَ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ يكفِكَ ويكشِفِ الغمَّ عنك، أو: فنزِّهْهُ عمَّا يقولونَ حامِدًا له على أن هداكَ للحقِّ.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾: مِن المُصلِّينَ، وعنه عليه السَّلامُ: أنَّه كانَ إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزِعَ إلى الصَّلاةِ[1].

(٩٩) - ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾؛ أي: الموتُ، فإنَّهُ مُتيقَّنٌ لحاقُهُ كلَّ حيٍّ مَخلوقٍ، والمعنى: واعبُدْهُ ما دمتَ حَيًّا ولا تُخِلَّ بالعبادةِ لحظةً.

عن رسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الحِجْرِ كانَ له مِن الأجرِ عشرَ حَسناتٍ بعدَدِ المُهاجرينَ والأَنصارِ والمُستهزئينَ بمُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ»[2].

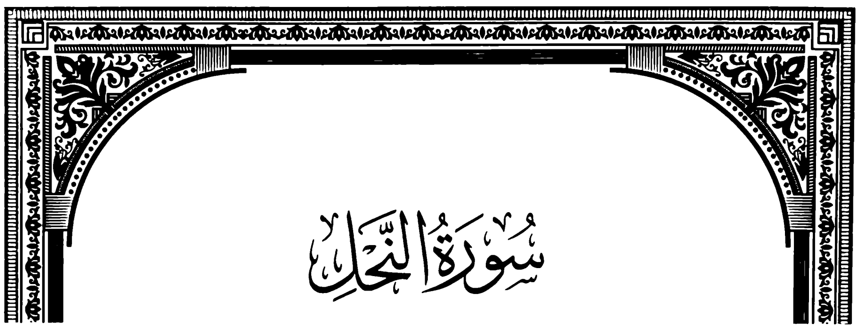
***

(١) رواه أبو داود (١٣١٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه، ولفظه: (كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩)، من حديث أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه. وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٧٤٥): وهو موضوع. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ النَّحۡلِ



سُورَةُ النَّحۡلِ

مَكيَّةٌ غيرَ ثلاثِ آياتٍ في آخرِها[1]، وهي مئةٌ وثمانٍ وعِشرونَ آيةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ كانوا يَستعجِلونَ ما أوعدَهُم الرَّسولُ مِن قيامِ السَّاعةِ وإهلاكِ اللهِ إيَّاهُم كما فعلَ يومَ بدرٍ استهزاءً وتكذيبًا، ويقولون: إنْ صحَّ ما يقولُه فالأَصنامُ تَشفَعُ لنا وتُخلِّصُنَا منه فنزلت[2]، والمعنى: أنَّ الأمرَ الموعودَ به بمنزلةِ الآتي المُتحقِّقِ مِن حيثُ إنَّه واجبُ الوُقوعِ فلا تَستَعجِلُوا وقوعَهُ فإنَّه لا خيرَ لَكُم فيه ولا خلاصَ لَكُم عنه.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تبرَّأ وجلَّ عَن أَنْ يكونَ له شَريكٌ فيَدفعَ ما أرادَ بهم.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالتَّاءِ على وَفقِ قولِه: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾، والباقونَ بالياءِ[3] على تلوينِ الخطابِ، أو: على أنَّ الخطابَ للمُؤمنينَ، أو: لهم ولغيرِهِم لِمَا رُوِيَ: أنَّه لمَّا نزل ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] قال الكفَّارُ فيما بينهم: أَمْسِكوا عن بعضِ ما تعملون، فلمَّا تأخرتْ قالوا: ما نرى شيئاً! فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ١]

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أجده هكذا، وقد روي في سبب النزول نحو هذا وسيأتي قريباً.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١).

فأَشْفَقوا وانتَظَروا فلمَّا امتدَّتِ الأيامُ قالوا: يا محمدُ! ما نرى شيئاً، فنزلَتْ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فوثبَ النَّبيُّ ورفعَ النَّاسُ رؤوسَهُم فنزلَتْ: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [فاطمأنُّوا][1].

(٢) ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحيِ، أو القُرآنِ، فإنَّه يُحيي به القُلوبَ الميتةَ بالجَهلِ، أو يقومُ في الدِّينِ مقامَ الرُّوحِ في الجسدِ، وذكرَه عقيبَ ذلك إشارةً إلى الطَّريقِ الذي به عَلِمَ الرَّسولُ تحقُّقَ ما تَوَعَّدَهُم به ودُنُوَّهُ، وإزاحةً لاستبعادِهِم اختصاصَه بالعلمِ به.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿يُنْزِلُ﴾ مِن أنزلَ[2]، وعَن يعقوبَ مِثْلُه[3]، وعنه: ﴿تَنَزَّلُ﴾ بمَعنى: تتنزَّلُ[4].

وقرأَ أبو بكرٍ: ﴿تُنَزَّلَ﴾ على المُضارعِ المَبنيِّ للمَفعولِ مِن التَّنزيلِ[5].

﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: بأمرِه ومِن أَجلِه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ أن يتَّخذَهُ رسولًا.

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٧٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٨)، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر أحد له سنداً. وذكره أيضاً الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥١٩) دون نسبة، وما بين معكوفتين منه ومن باقي المصادر.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ٧٥).

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٢).

(٤) هي رواية روح عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٢).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٧٥)، من طريق الكسائي عن أبي بكر، وقال الأزهري: ما رواه غيره. وانظر: «إعراب القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٠٠)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٢).

﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾: بأن أَنذِرُوا؛ أي: أَعلِموا ـ مِن نَذِرْتُ بكَذا: إذا عَلِمتَه ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾: أنَّ الشَّأنَ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾، أو: خوِّفوا أهلَ الكُفرِ والمَعاصي بأنَّه لا إله إلا أنا.

وقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ رجوعٌ إلى مُخاطَبَتِهم بما هو المقصودُ، و﴿أَنْ﴾ مُفسِّرةٌ؛ لأنَّ الرُّوحَ بمَعنى الوَحيِ الدَّالِّ على القَوْلِ، أو مَصدريَّةٌ في مَوضعِ الجرِّ بدلًا من (الرُّوحِ)، أو النَّصبِ بنَزعِ الخافضِ، أو مخفَّفَةٌ مِن الثَّقيلَةِ.

والآيةُ تَدلُّ على أنَّ نزولَ الوَحيِ بواسِطَةِ الملائكةِ، وأنَّ حاصِلَهُ: التَّنبيهُ على التَّوحيدِ الذي هو مُنتهَى كمالِ القُوَّةِ العلميَّةِ، والأمرُ بالتَّقوَى الذي هو أَقْصَى كمالاتِ القوَّةِ العمليَّةِ، وأنَّ النبوَّةَ عطائيَّةٌ، والآياتُ التي بعدَها دليلُ وَحدانيَّتِه مِن حيثُ إنَّها تَدُلُّ على أنَّهُ تَعالى هو الموجِدُ لأصولِ العالمِ وفروعِه على وَفْقِ الحكمةِ والمصلحةِ، ولو كانَ له شَريكٌ لقدرَ عَلى ذلك، فيلزمُ التَّمانعُ.

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أوجدَهُما على مقدارٍ وشكلٍ وأوضاعٍ وصِفاتٍ مُختلفةٍ قدَّرَها وخصَّصَها بحكمَتِه.

﴿تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ منهما، أو: ممَّا يفتقِرُ في وجودِهِ أو بقائِهِ إليهِمَا، أو: ممَّا لا يقدرُ على خَلقِهما، وفيه دليلٌ على أنَّه تَعالى ليسَ مِن قَبيلِ الأَجرامِ.

(٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ جمادٍ لا حِسَّ لَها ولا حراكَ، سيَّالةٍ لا تحفَظُ الوضعَ والشَّكلَ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: مِنطيقٌ مُناظِرٌ مُجادِلٌ ﴿مُّبِينٌ﴾ للحُجَّةِ.

أو: خصيمٌ مُكافِحٌ لخالقِه، قائل: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

رُوِيَ: أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ أتى النَّبيَّ ﷺ بعظمٍ رَميمٍ وقال: يا محمَّدُ! أترى[١] اللهَ يُحيِي هذا بعدَما قد رمَّ، فنزلت[٢].

(٥) ـ ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ﴾: الإبلَ والبقرَ والغنَمَ، وانتصابُه بمُضمَرٍ يُفسِّرُه: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾، أو بالعَطفِ على ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ و﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ بيانُ ما خُلقَت لأجلِه، وما بعدَهُ تَفصيلٌ له.

﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما يُدْفَأُ به فيَقي البردَ ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾: نَسلُها ودَرُّها وظُهورُها، وإنما عبَّرَ عَنْها بالمنافعِ لتَتناولَ عِوَضَها[٣].

---

(١) في نسخة الخيالي زيادة: «أن».

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وفيه: (أمية بن خلف). وفي آخره: فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] الآيات.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٧) عن الزهري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧].
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧) عن قتادة، في نزول قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].
وكذا جاء في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) عن ابن إسحاق.
وكذا رواه البيهقي في «البعث والنشور» (١٦) عن أبي مالك، و(١٧) عن مقاتل بن سليمان.
وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨١٢١) عن مجاهد. وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبري (١٩/ ٤٨٧) أنه العاص بن وائل السهمي، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو في نزول آية (يس) أيضاً.
فمما تقدم يظهر أن الروايات شبه متفقة على نزولها في آية (يس)، وما روي عن الزهري في آية الأنفال فليس هو سبب النزول لبعد المسافة بين القصة ونزول الآية، بل لنوع ارتباط بينهما.

(٣) قوله: «لتتناول عوضها»؛ أي: أجرتَها، وفي نسخة: (غرضها)؛ أي: وهو النفعُ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٢٣).

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: تأكلونَ ما يُؤكَلُ مِنْها مِن اللُّحومِ والشُّحومِ والألبانِ. وتقديمُ الظَّرفِ للمُحافظةِ على رؤوسِ الآيِ، أو لأنَّ الأكلَ مِنْها هو المعتادُ المعتمَدُ عليه في المعاشِ، وأمَّا الأكلُ مِن سائرِ الحيواناتِ المأكولةِ فعَلى سبيلِ التَّداوِي أو التَّفكُّهِ.

(٦) ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينةٌ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردُّونها مِن مراعيها إلى مَراحِها[١] بالعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُخرِجُونَها بالغَداةِ إلى المراعي، فإنَّ الأفنيةَ تتزيَّنُ بها في الوقتينِ، ويَجلُّ أهلُهَا في أعيُنِ النَّاظرينَ إليها، وتقديمُ الإراحَةِ لأنَّ الجمالَ فيها أظهَرُ، فإنَّها تُقبِلُ مَلْأَى البُطونِ حافِلَةَ الضُّروعِ، ثمَّ تأوي إلى الحظائرِ حاضرةً لأَهلِها.

وقرئ: (حينًا)[٢] على أن ﴿تُرِيحُونَ﴾ و﴿تَسْرَحُونَ﴾ وصفٌ له بمعنى: تُريحونَ فيه وتَسرحونَ فيه.

(٧) ـ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالَكُم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ إن لم تكُنِ الأنعامُ ولم تُخْلَقْ، فضلًا أن تَحمِلُوها على ظُهورِكُم إليه.

﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾: إلا بكلفَةٍ ومَشَقَّةٍ. وقُرِئَ بالفتحِ[٣]، وهو لغَةٌ فيه، وقيل: المفتوحُ مَصدرُ شَقَّ الأَمرُ عليه، وأصله: الصَّدعُ، والمكسورُ بمعنى النِّصفِ، كأنَّه ذهبَ نِصفُ قوَّتِه بالتَّعبِ.

---

(١) أي: مقرها.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٦) عن عكرمة والضحاك.

(٣) أي: بفتح الشين في ﴿بِشِقِّ﴾، قرأ بها أبو جعفر من العشرة، والباقون بكسرها. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٢).

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ رَحِمَكُم بخَلقِها لإنفاعِكُم[1] وتَيسيرِ الأَمرِ عَلَيْكُم.

(٨) ـ ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ عطفٌ على (الأنعامَ) ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾؛ أي: لِتَرْكَبُوها ولتتزيَّنُوا بها زينةً.

وقيل: هي مَعطوفةٌ على محلِّ ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾، وتغييرُ النَّظمِ لأنَّ الزِّينةَ بفعلِ الخالقِ، والرُّكوبَ ليسَ بفعلِه، ولأنَّ المقصودَ مِن خلقِها الرُّكوبُ، وأمَّا التَّزيُّنُ بها فحاصِلٌ بالعَرَضِ.

وقُرِئَ بغيرِ واوٍ[2]، وعلى هذا يحتمِلُ أَنْ يكونَ عِلَّةً لـ(تركبوها)، أو مصدرًا في موقعِ الحالِ مِن أحدِ الضَّميرينِ؛ أي: مُتَزيِّنينَ، أو مُتزيَّنًا بها.

واستُدلَّ به على حرمةِ لُحومِها، ولا دليلَ فيه؛ إذ لا يلزمُ من تَعليلِ الفعلِ بما يُقصدُ منه غالبًا أن لا يُقصدَ منه غيرُه أصلًا، ويدلُّ عليه أنَّ الآيةَ مَكيَّةٌ، وعامَّةُ المفسِّرينَ والمُحدِّثينَ على أنَّ الحُمُرَ الأهليَّةَ حُرِّمَت عامَ خيبرَ.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لَمَّا فصَّلَ الحيواناتِ التي يُحتاجُ إليها غالبًا احتياطًا ضروريًّا أو غيرَ ضروريٍّ أجمَلَ غيرَها، ويجوزُ أَنْ يكونَ إخبارًا بأَنَّ لَهُ مِن الخلائقِ ما لا عِلمَ لنا به، وأن يرادَ به ما خلقَ في الجنَّةِ والنَّارِ ممَّا لم يَخْطُر على قلبِ بَشرٍ.

(٩) ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: بيانُ مُستقيمِ الطَّريقِ الموصِلِ إلى الحقِّ، أو: إقامَةُ السَّبيلِ وتعديلُها رحمةً وفَضْلًا، أو: عليه قَصْدُ السَّبيلِ يصلُ إليه مَن يَسلكُهُ

---

(١) الموجود في اللُّغَةِ النَّفع لا الإنفاع، وقد استعملَه المُصنِّفُ ـ رحمَه اللهُ تعالى ـ في مواضعَ من كتابه، وخُطِئ فيهِ. «حاشية الشهاب». وقد تقدم التنبيه عليه.

(٢) أي: (لتركبوها زينة). انظر: «المحتسب» (٢/ ٨) عن أبي عياض.

لا محالةَ، يقال: سبيلٌ قَصْدٌ وقاصِدٌ؛ أي: مُستقيمٌ، كأنَّه يقصدُ الوجهَ الذي يقصدُهُ السَّالكُ لا يميلُ عَنْه.

والمرادُ بـ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الجنسُ، ولذلك أضافَ إليه القصدَ، وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[1]: حائدٌ عَن القصدِ، أو عَن اللهِ تَعالى، وتغييرُ الأُسلوبِ[2] لأنَّه ليسَ بحَقٍّ على اللهِ أَنْ يبيِّنَ طرقَ الضَّلالةِ، ولأنَّ المقصودَ بيانُ سَبيلِه، وتقسيمُ السَّبيلِ إلى القصدِ والجائرِ إنَّما جاء[3] بالعَرَضِ.

وقُرِئَ: (ومنكُم جائرٌ)[4]؛ أي: عن القَصْدِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ولو شاء هدايتكم أجمعِينَ لهداكم إلى قصدِ السبيلِ هدايةً مُستلزِمةً للاهتداء.

(١٠) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: مِن السَّحابِ، أو: مِن جانبِ السَّماءِ ﴿مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾: ما تَشربونَه، و﴿لَكُم﴾ صِلَةُ ﴿أَنزَلَ﴾ أو خبرُ ﴿شَرَابٌ﴾، و(مِن) تبعيضيَّةٌ مُتعلِّقَةٌ به[5]، وتقديمُها يُوهِمُ حصرَ المَشروبِ فيه، ولا بأسَ بهِ

---

(١) قوله: «ولذلك أضاف...»، يعني: لما كان المراد الجنس أضاف القصد إليه؛ لأن السبيلَ القصدَ نوعٌ من جنس السبيل، ولذا أيضاً قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؛ أي: أن السبيل إما مستقيم وهو المراد من القصد، وإما معوج وهو الجائر. انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٨٧).

(٢) قوله: «وتغيير الأسلوب»؛ أي: حيثُ قال في الأول: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾، وفي الثاني: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، دون: وعليه جائرُها. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٨٧).

(٣) في نسخة الخيالي: «والجائر وقع».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٦) عن علي رضي الله عنه.

(٥) قوله: «ومن تبعيضية» يعني: التي في ﴿مِّنْهُ﴾ «متعلقة به»؛ أي: بـ﴿شَرَابٌ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٨٧).

لأنَّ مِياهَ العيونِ والآبارِ منه، لقولِه: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١]، وقولِه: ﴿فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: ومنه يكونُ شَجرٌ؛ يعني: الشَّجرَ الذي ترعاه المواشِي.

وقيل: كلُّ ما نبتَ على الأرضِ شَجَرٌ، قال:

نَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرْ   وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرْ[1]

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: تَرْعَوْنَ، مِن سَامَتِ الماشِيَةُ وأَسَامَهَا صاحِبُها، وأَصْلُها: السُّوْمَةُ، وهي العلامَةُ؛ لأَنَّها تُؤثِّرُ بالرَّعيِ علاماتٍ.

(١١) ـ ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ وقرأَ أبو بكرٍ بالنُّونِ على التَّفخيم[2].

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: وبعضُ كلِّهَا؛ إذ لم يُنبِتْ في الأرضِ كلَّ ما يمكنُ مِن الثِّمارِ، ولعلَّ تقديمَ ما يُسامُ فيه على ما يُؤكَلُ منه لأَنَّه سيصيرُ غِذاءً حيوانيًّا هو أشرَفُ الأغذيَةِ، ومِن هذا تَقديمُ الزَّرعِ والتَّصريحُ بالأجناسِ الثلاثةِ وتَرتيبُهَا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ على وُجودِ الصَّانعِ وحِكمَتِه، فإنَّ مَن تأمَّلَ أنَّ الحبَّةَ تقعُ في الأرضِ وتَصِلُ إليها نَداوةٌ تَنفُذُ فيها فيَنشقُّ أعلاها ويخرجُ مِنه ساقُ الشَّجرةِ، ويَنشقُّ أسفَلُها فيخرجُ منه عروقُها، ثم ينمو ويخرجُ منه الأوراقُ والأَزهارُ والأَكمامُ والثِّمارُ، ويشتمِلُ كلٌّ مِنهَا على أجسامٍ مختلفَةِ الأشكالِ والطِّباعِ، مع اتِّحادِ الموادِّ ونسبَةِ الطَّبائعِ السُّفليَّةِ والتَّأثيراتِ الفَلَكيَّةِ إلى الكُلِّ[3]=

---

(١) البيت للنَّمر بن تولب. انظر: «الرسائل» للجاحظ (٢/ ٣٢٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٩٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٣) قوله: «ونسبةِ الطبائع» بالجر عطفاً على «المواد»؛ أي: ومع اتحاد نسبة الطبائع السفلية ومع اتحاد نسبة التأثيرات الفلكية إلى الكل، يعني: اتحادُ المواد واتحادُ نسبة الطبائع واتحادُ نسبة التأثيرات الفلكية =

عَلِمَ أنَّ ذلكَ ليسَ إلا بفعلِ فاعلٍ مُختارٍ مُقدَّسٍ عَن مُنازعَةِ الأَضدادِ والأَندادِ، ولعلَّ فصلَ الآيةِ بهِ[1] لذلك.

(١٢) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ والنجومَ﴾ بأَنْ هَيَّأَهَا لِمَنافِعِكُم ﴿مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ حالٌ من الجميعِ؛ أي: نَفَعَكُم بها حالَ كونِها مُسخَّراتٍ للهِ خلقَها ودبَّرَها كيفَ شاء، أو لِمَا خُلقنَ[2] له بإيجادِه وتقديرِه، أو لحكمِه، وفيه إيذانٌ بالجوابِ عَمَّا عَسَى أن يقالَ: إنَّ المؤثِّرَ في تكوينِ النَّباتِ حركاتُ الكَواكبِ وأوضاعُها، فإنَّ ذلك ـ إن سلِّمَ ـ فلا ريبَ في أنَّها أيضًا ممكنةُ الذَّواتِ والصِّفاتِ، واقعةٌ على بعضِ الوجوهِ المحتملةِ، فلا بدَّ لها مِن موجِدٍ مخصِّصٍ مختارٍ واجبِ الوُجودِ دفعًا للدَّورِ والتَّسلسُلِ.

أو مصدرٌ ميميٌّ[3] جُمِعَ لاختلافِ الأنواعِ.

وقرأَ حَفصٌ: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ على الابتداءِ والخبرِ، فيكونُ تَعميمًا للحُكمِ بعدَ تخصيصِه، ورفعَ ابنُ عامرٍ ﴿الشمسُ والقمرُ﴾ أيضًا[4].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جمعَ الآيةَ وذكَرَ العقلَ؛ لأنَّها تدلُّ أنواعًا مِن الدلالةِ ظاهرةً لِذَوِي العقولِ السَّليمةِ غيرَ مُحوجَةٍ إلى استيفاءِ فكرٍ كَأحوالِ النَّباتِ.

= إلى الكل كان يقتضي اتحاد الأشكال والأوضاع والهياكل والهيئات والصفات. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١/ ٢٣٣).

(١) كذا في بعضِ النُّسخِ، وفي بعضِها إسقاط لفظِ (به). «حاشية الخفاجي».

(٢) قوله: «أو لما خلقن له» عطف على «لله».

(٣) قوله: «أو مصدر» عطف على «حالٌ».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(١٣) ـ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عطفٌ على ﴿اللَّيْلَ﴾؛ أي: وسخَّرَ لَكُم ما خلقَ لَكُم فيها من حيوانٍ ونَباتٍ.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أصنافُه، فإنَّها تَتخالَفُ باللونِ غالبًا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: إنَّ اختلافَها في الطِّباعِ والهيئاتِ والمناظرِ ليسَ إلا بصُنعِ صانعٍ حكيمٍ.

(١٤) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: جَعلَه بحيثُ تَتمكَّنُونَ مِن الانتفاعِ به بالرُّكوبِ والاصطيادِ والغَوصِ ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمكُ، ووصفَهُ بالطَّراوةِ لأنَّه أرطَبُ اللحومِ يُسرِعُ[1] إليه الفسادُ فيُسارَعُ إلى أكلِهِ، ولإظهارِ قُدرَتِه في خَلْقِه خَلَقَه عَذْبًا طَرِيًّا في ماءٍ زُعاقٍ[2].

وتمسَّكَ به مالِكٌ والثَّوريُّ على أنَّ مَن حلفَ أن لا يأكُلَ لحمًا حَنِثَ بأكلِ السَّمكِ[3].

وأُجيبَ عنه: بأنَّ مَبْنى الأَيْمانِ على العُرفِ، وهو لا يُفهَمُ مِنهُ عندَ الإطلاقِ، ألا تَرى أنَّ اللهَ سمَّى الكافِرَ دابَّةً، ولا يحنثُ الحالِفُ على أن لا يركبَ دابَّةً برُكوبِهِ.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤِ والمرجانِ؛ أي: تلبسُ نِساؤُكُم، فأسندَ إليهِم لأنَّهنَّ مِن جُملَتِهِم، ولأنَّهنَّ يَتزيَّنَّ بها لأجلِهِمْ.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواريَ فيه تَشُقُّهُ بحَيْزُومِها[4]، مِن المَخْرِ، وهو شَقُّ الماءِ، وقيل: صوتُ جريِ الفُلكِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «فيسرع»، وفي نسخة الخيالي: «ويسرع». والمثبت من نسخة الطبلاوي، والمعنى على الكل: أنه وُصِف بالطَّراوةِ لأن الفساد يُسرِعُ إليه.

(٢) الزُّعاق: الماء المُرُّ الغليظ الذي لا يُطاق شُربه من أُجوجته. انظر: «تهذيب اللغة» (١/ ١٢٧).

(٣) انظر: «المدونة» (١/ ٦٠١)، «الإشراف» لابن المنذر (٧/ ١٥٩).

(٤) هو وَسطُ الصَّدرِ وما يُضمُّ عليه الحِزام. «فتوح الغيب» (٩/ ٩٣).

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: مِن سَعةِ رزقِه برُكوبِها للتِّجارةِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تعرفونَ نِعَمَ اللهِ فتقومونَ بحَقِّها، ولعلَّ تَخصيصَهُ بتَعقيبِ الشُّكرِ لأنَّه أقوى في بابِ الإنعامِ مِن حَيثُ إنَّه جعلَ المَهالكَ سَبَبًا للانتفاعِ وتحصيلِ المَعاشِ.

(١٥) ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا رواسِيَ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةَ أَنْ تميلَ بِكُم وتَضطَرِبَ، وذلك لأنَّ الأرضَ قبلَ أن تُخلق فيها الجبالُ كانَتْ كُرةً حقيقيَّةً بسيطةَ الطَّبعِ، وكان مِن حقِّها أَنْ تتحرَّكَ بالاستدارةِ كالأَفلاكِ، وأن تتحرَّكَ بأدنى سببٍ للتَّحريكِ، فلَمَّا خُلِقَت الجِبالُ على وَجهِها تَفاوتَت جوانِبُها وتَوجَّهَت الجِبالُ بثِقَلِها نحو المركزِ فصارَتْ كالأَوتادِ التي تمنَعُها عن الحركةِ.

وقيل: لَمَّا خلقَ اللهُ الأرضَ جعَلَتْ تَمُورُ فقالَت المَلائِكَةُ: ما هي بمقرٍّ أحدٍ على ظهرِها، فأصبحَتْ وقد أُرسيَتْ بالجبالِ[1].

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: وجعلَ فيها أنهارًا لأنَّ (ألقى) فيه معناه ﴿وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدِكُم، أو إلى مَعرِفَةِ اللهِ.

(١٦) ـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: مَعالِمَ يَستدِلُّ بها السَّابلَةُ مِن جبلٍ وسَهلٍ وريحٍ ونحوِ ذلك ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليلِ في البراري والبِحَارِ، والمرادُ بالنَّجمِ: الجِنسُ، ويدلُّ عليه قراءَةُ: (وبالنُّجُـمِ) بضمَّتينِ، وضمَّةٍ وسكونٍ، على الجمعِ[2].

وقيل: الثُّرَيَّا والفَرْقَدانِ وبناتُ نَعشٍ والجَديُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣١) عن وهب بن منبه.

(٢) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٦)، و«المحتسب» (٢/ ٨)، بضمتين عن الحسن، وبضم فسكون عن يحيى.

ولعلَّ الضَّميرَ لقُرَيشٍ؛ لأنَّهُم كانوا كثيري الأسفارِ للتِّجارَةِ، مَشهورينَ بالاهتداءِ في مَسايرِهِم بالنُّجومِ، وإخراجُ الكلامِ عن سَنَنِ الخطابِ، وتقديمُ النَّجمِ، وإقحامُ الضَّميرِ= للتَّخصيصِ، كأنه قيل: وبالنَّجمِ خُصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدونَ، فالاعتبارُ بذلك والشُّكرُ عليه ألزمُ لَهُم وأوجَبُ عليهم.

(١٧) ـ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ إنكارٌ بعدَ إقامَةِ الدَّلائلِ المتكاثرَةِ على كمالِ قُدرَتِه وتَناهي حكمَتِه، والتَّفرُّدِ بخلقِ ما عدَّدَ مِن مُبدَعاتِه، لأنْ يُساويَه ويستحِقَّ مشاركتَهُ ما لا يقدرُ على خلقِ شَيءٍ مِن ذلك، بل على إيجادِ شيءٍ مّا، وكان حقُّ الكَلامِ: أفمَنْ لا يخلقُ كمَنْ يخلُقُ، لكنَّه عكسَ تنبيهًا على أنَّهُم بالإشراكِ باللهِ جَعَلُوه مِن جنسِ المَخلوقاتِ العَجَزَةِ شَبيهًا بها.

والمرادُ بـ(مَن لا يخلقُ): كلُّ ما عُبِدَ مِن دونِ اللهِ مغلَّبًا فيه أولو العلمِ مِنْهم، أو: الأصنامُ، وإجراؤُها مُجرى أولي العلمِ لأنَّهُم سمَّوْهَا آلهةً، ومِن حقِّ الإلهِ أنْ يَعلمَ، أو للمُشاكلَةِ بينَهُ وبينَ مَن يَخلقُ، أو للمبالغَةِ، فكأنَّه قيل: إنَّ مَن يَخلُقُ ليسَ كمَنْ لا يَخلقُ مِن أُولي العلم، فكيفَ بما لا عِلمَ عِندَه؟

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتَعرِفُوا فسادَ ذلك، فإنَّه لجَلائِهِ كالحاصلِ للعَقلِ، الذي يحضرُ عِندَه بأدنى تذكُّرٍ والتِفاتٍ.

(١٨) ـ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾: لا تَضبِطُوا عددَها فضلًا أن تُطيقُوا القيامَ بشُكرِهَا، أَتبعَ ذلك تعدادَ النِّعَمِ وإلزامَ الحُجَّةِ على تفرُّدِه باستحقاقِ العبادةِ تَنبيهًا على أنَّ وراءَ ما عدَّدَ نِعَماً لا تنحصِرُ، وأنَّ حقَّ عِبادَتِه غيرُ مَقدورٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ حيثُ يتجاوزُ عَن تقصيرِكُم في أداءِ شُكرِها.

﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يقطَعُها لتَفريطِكُم فيه ولا يعاجِلُكُم بالعقوبةِ على كُفرانِها.

(١٩) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ مِن عَقائِدكُم وأَعمالِكُم، وهو وعيدٌ وتَزييفٌ للشركِ باعتبارِ العلمِ.

(٢٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: والآلهةُ الذين تَعبدونَهُم مِن دونِه. وقرأَ أبو بكرٍ[1]: ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياءِ، وقرأَ حَفصٌ ثلاثتَها بالياءِ[2].

﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾ لَمَّا نَفى المشاركةَ بينَ مَن يَخلقُ ومَن لا يخلقُ بيَّن أَنَّها لا تخلقُ شيئًا، ليَنْتُجَ أَنَّهُم لا يشاركونَهُ، ثمَّ أَكَّدَ ذلك بأَنْ أثبتَ لَهُم صِفاتٍ تُنافي الألوهيَّةَ فقال: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ لأنَّها ذواتٌ مُمكِنَةٌ مُفتقِرةُ الوجودِ إلى التَّخليقِ، والإلهُ يَنبغي أن يكونَ واجبَ الوُجودِ.

(٢١) ـ ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾: هم أمواتٌ لا يَعتريهِم الحياةُ، أو: أمواتٌ حالًا أو مآلًا.

﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ بالذَّاتِ؛ ليتناولَ كلَّ معبودٍ، والإلهُ ينبغي أن يكونَ حيًّا بالذَّاتِ لا يَعتريه المماتُ.

﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: ولا يعلمونَ وقتَ بَعثِهم أو بعثِ عَبدَتِهم، فكيفَ يَكونُ لَهُم وقتُ جزاءٍ على عبادَتِهم، والإلهُ يَنبغي أَنْ يكونَ عالِمًا بالغُيوبِ مُقدِّرًا للثوابِ والعِقابِ، وفيه تَنبيهٌ على أنَّ البعثَ مِن تَوابعِ التَّكليفِ.

(٢٢) ـ ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ تكريرٌ للمدَّعَى بعدَ إقامةِ الحجَّةِ ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ بيانٌ لِمَا اقتضى إصرارَهُم بعدَ وُضوحِ الحقِّ، وذلك: عدمُ إيمانِهم بالآخرةِ، فإنَّ المؤمنَ بها يكونُ طالبًا للدَّلائلِ مُتأمِّلًا فيما

---

(١) في نسخة التفتازاني: «عاصم ويعقوب».

(٢) قراءة ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياء من رواية أبي بكر وحفص كلاهما عن عاصم في «السبعة» (ص: ٣٧١) و«التيسير» (ص: ١٣٧)، وعن يعقوب في «النشر» (٢/ ٣٠٣). أما قراءة (يسرون) و(يعلنون) بالياء فهي من رواية هبيرة عن حفص في غير المشهور عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١).

يَسمعُ فينتفِعُ بـه، والكافرَ بها يكـونُ حالُه بالعكـسِ، وإنـكارُ قُلوبِهم مـا لا يُعرفُ إلا بالبُرهـانِ اتِّباعًا للأسـلافِ وركونًا إلـى المألوفِ فإنَّـه يُنافي النَّظرَ، والاسـتكبارُ[١] عن اتِّبـاعِ الرَّسـولِ وتَصديقِه والالتفـاتِ إلى قولِـه، والأوَّلُ هو العمدةُ في البـابِ، ولذلك رتَّـبَ عليه ثبـوتَ الآخَرين.

(٢٣) ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ فيُجازيهِم، وهو في مَوضعِ الرَّفعِ بـ﴿جَرَمَ﴾؛ لأنَّه مصدرٌ أو فعلٌ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ فضلًا عن الذينَ استكبروا عن توحيدِه أو اتِّباعِ الرَّسولِ.

(٢٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾ القائلُ بعضُهم على التَّهكُّمِ، أو الوافدون عليهم، أو المسلمون ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما تدَّعونَ نُزولَهُ ـ أو: المنزلُ ـ أساطيرُ الأوَّلين، وإنَّما سمَّوهُ مُنزَلًا على التَّهكُّمِ، أو على الفَرْضِ؛ أي: على تَقديرِ أنَّه منزلٌ فهو أساطيرُ لا تحقيقَ فيه، والقائلونَ له قيل: هم المقتسِمونَ[٢].

(٢٥) ـ ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: قالوا ذلك إضلالًا للنَّاسِ فحمَلُوا أوزارَ ضَلالِهم كاملةً، فإنَّ إضلالَهُم نتيجةُ رُسوخِهم في الضَّلالِ.

﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾: وبعـضَ أوزارِ ضَـلالِ مَـن يُضِلُّونَهُـم، وهـو حصَّةُ التَّسـبُّبِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «واستكبارهم». وعلى كل فهو معطوف على «عدمُ إيمانهم»، وكذلك قوله: «إنكار قلوبهم».

(٢) والمقتسِمون: هُمْ الاثنا عشرَ الذين اقتَسَمُوا مداخلَ مكَّةَ أيامَ الموسمِ لينفِّرُوا النَّاسَ عَن الإيمانِ بالرَّسولِ فأهلَكَهُم اللهُ يومَ بَدرٍ. انظر ما تقدم عند تفسير الآية (٩٠) من سورة الحجر.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حالٌ مِن المفعولِ؛ أي: يُضِلُّونَ مَن لا يعلَمُ أَنَّهم ضُلَّالٌ، وفائدَتُها: الدَّلالةُ على أنَّ جهلَهُم لا يَعْذُرهُم؛ إذ كان عليهم أن يبحَثُوا ويميِّزوا بين المحقِّ والمُبطِلِ.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئسَ شيئًا يَزِرُونَهُ فِعلُهُم.

(٢٦) ـ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: سَوَّوا منصوباتٍ ليَمْكُروا بها رسلَ اللهِ ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: فأتاها أمرُه مِن جهةِ العُمُدِ التي بَنَوْا عليها بأن ضُعْضِعَتْ ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ وصارَتْ سببَ هَلاكِهِم ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يَحتَسِبونَ ولا يَتوقَّعونَ، وهو على سبيلِ التَّمثيلِ.

وقيل: المرادُ به نُمْرود بنُ كِنعانَ، بنى الصَّرحَ ببابلَ سمكُه خمسَةُ آلافِ ذِراعٍ ليترصَّدَ أمرَ السَّماءِ، فأهبَّ اللهُ الرِّيحَ فخرَّ عليه وعلى قومِه فهَلَكُوا[١].

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يُذِلُّهُم ويُعَذِّبُهم بالنَّارِ، كقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أضافَ إلى نفسِهِ استهزاءً أو حكايةً لإضافَتِهِم زيادةً في تَوبيخِهِم.

وقرأ البَزِّيُّ بخلافٍ عنه: ﴿أينَ شُركايَ﴾ بغيرِ همزٍ والباقونَ بالهَمزِ[٢].

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾: تُعادُونَ المُؤمنينَ في شأنِهم، وقرأَ نافِعٌ بكسرِ النُّونِ[٣] بمعنى: تشاقونَني، فإنَّ مشاقَّةَ المُؤمنينَ كمشاقَّةِ اللهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٤) عن زيد بن أسلم.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١)، و«التيسير» (ص: ١٣٧)، و«النشر» (٢/ ٣٠٣). ورجح ابن الجزري أن قراءة ابن كثير بالهمز، وأن ما روي عنه من طريق البزي روي حكاية لا رواية، والعمل على الهمز.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛ أي: الأنبياءُ والعُلَماءُ الذين كانوا يَدْعونَهُم إلى التَّوحيدِ فيُشاقُّونَهُم ويتكبَّرونَ[1] عليهم، أو: الملائكةُ: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾: الذِّلةَ والعَذابَ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وفائدةُ قولِهم إظهارُ الشَّماتةِ وزيادةُ الإهانةِ، وحكايتِه[2] لأنْ يكونَ لطفًا لِمَن سَمِعه.

(٢٨) ـ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزةُ بالياءِ[3]، وقُرِئ بإدغامِ التَّاءِ في التاء[4]، وموضِعُ المَوصولِ يحتمِلُ الأوجُهَ الثَّلاثةَ.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بأَنْ عرَّضوها للعَذابِ المخلَّدِ.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: فسالَموا وأَخبَتوا حين عايَنوا الموتَ ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ﴿مِنْ سُوءٍ﴾: كُفرٍ وعدوانٍ.

ويجوزُ أَنْ يكون تفسيرَ ﴿السَّلَمَ﴾، على أنَّ المرادَ به: القولُ الدَّالُّ على الاستسلامِ.

﴿بَلَى﴾؛ أي: فتُجيبُهُم الملائكةُ: بلى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يجازيكُم عليه.

وقيل: قوله: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ استئنافٌ ورجوعٌ إلى شرحِ حالِهم يومَ القيامةِ، وعلى هذا أوَّلَ مَن لم يُجوِّز الكذبَ يومئذٍ ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾؛ بأنَّا لم نكُن في زَعمِنا واعتقادنا عاملِين سوءًا، ويحتملُ أَنْ يكونَ الرادُّ عليهم هو اللهُ أو أولو العلمِ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «فيتكبرون»، وفي نسخة التفتازاني: «وينكرون».

(٢) قوله: «وحكايته» عطف على «قولِهم»؛ أي: وفائدةُ حكايةِ ذلك عنهم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٦) عن ابن كثير.

(٢٩) ـ ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾ كلُّ صنفٍ بابَها المعدَّ له.

وقيل: (أبوابُ جهنم): أصنافُ عذابِها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جهنَّمُ.

(٣٠) ـ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ يعني: المؤمنينَ: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾؛ أي: أنزلَ خيرًا، وفي نصبِه دليلٌ على أنَّهُم لم يتلعثَمُوا في الجوابِ، وأطبقوا على السُّؤالِ مُعترفينَ بالإنزالِ على خلافِ الكفرةِ.

روي: أنَّ أحياءَ العربِ كانوا يَبعثونَ أيَّامَ الموسمِ مَن يأتيهِم بخبرِ النَّبيِّ ﷺ، فإذا جاءَ الوافدُ المقتسِمينَ قالوا له ما قالوا، وإذا جاءَ المؤمنينَ قالوا له ذلك[1].

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ ﴾: مُكافأةٌ في الدُّنيا ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾؛ أي: ولَثوابُهم في الآخرةِ خيرٌ مِنها، وهو عِدَةٌ للَّذينَ اتَّقَوا على قولِهم، ويجوزُ أَنْ يكونَ بما بعدَهُ حكايةً لقولِهم بدلًا وتفسيرًا لـ﴿خَيۡرٗاۗ ﴾ على أنه مُنتصِبٌ بـ﴿قَالُواْ ﴾.

﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: دارُ الآخرةِ، فحُذِفَت لتقدُّمِ ذكرِها.

وقولـه: (٣١) ـ ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ خبـرُ مُبتـدأٍ مَحـذوفٍ، ويجـوزُ أَنْ يكـونَ المخصـوصَ بالمَـدحِ.

﴿يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ مِن أَنواعِ المشتهَياتِ، وفي تَقديمِ الظَّرفِ تنبيهٌ على أنَّ الإنسانَ لا يجدُ جميعَ ما يُريدُه إلا في الجنَّةِ.

﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾: مثلَ هذا الجزاءِ يَجزيهِم، وهو يؤيِّدُ الوجهَ الأوَّل.

(٣٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾: طاهرينَ مَن ظلمِ أَنفُسِهم بالكفرِ والمعاصي؛ لأنَّه في مقابلةِ ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾.

---

(١) الخبر دون سند ولا راو في «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٣٩)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٥١).

وقيل: فَرِحينَ ببشارةِ الملائكةِ إيَّاهُم بالجنَّةِ.

أو: طيبين بقبضِ أرواحِهم؛ لتوجُّهِ نُفوسِهم بالكليَّةِ إلى حَضرةِ القُدسِ.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ لا يَحيقكُم بعدُ مَكروهٌ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين تُبعثونَ فإنَّها مُعدَّةٌ لكم على أعمالِكُم.

وقيل: هذا التَّوفِّي وفاةُ الحشرِ؛ لأنَّ الأمرَ بالدُّخولِ حينئذٍ.

(٣٣) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرُ الكفَّارُ المارُّ ذكرُهم ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بالياءِ[1].

﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: القيامةُ، أو العذابُ المستأصِلُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الفعلِ مِن الشِّركِ والتَّكذيبِ ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فأصابَهم ما أصابَهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرِهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكُفرِهم ومَعاصيهم المؤدِّيَةِ إليه.

(٣٤) ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: جزاءُ سيئاتِ أعمالِهم، على حذفِ المُضافِ أو تسميةِ الجزاءِ باسمِها.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاطَ بهم جزاؤُه، والحَيْقُ لا يُستعمَلُ إلا في الشرِّ.

(٣٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ إنَّما قالوا ذلك استهزاءً ومنعًا للبعثةِ والتَّكليفِ، مُتمسِّكينَ بأنَّ ما شاءَ اللهُ يجبُ وما لم يشأ يمتنِعُ، فما الفائدةُ فيهما؟ أو إنكارًا لقبحِ ما أُنكرَ عليهم من الشِّركِ وتحريمِ البحائرِ ونحوِها محتجِّينَ بأنَّها لو كانت مُستقبَحةً

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

لَمَا شاءَ اللهُ صدورَها عنهم ولشاءَ خِلافَه مُلْجِئًا إليه، لا اعتذارًا؛ إذ لم يَعتقِدُوا قبحَ أَعمالِهم، وفيما بعدُ تنبيهٌ على الجوابِ من الشُّبهتينِ.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ فأشرَكُوا باللهِ وحرَّموا حِلَّهُ وردُّوا رُسلَه ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: إلا الإبلاغُ الموضِّحَ للحقِّ، وهو إن لم يؤثِّر في هُدَى مَن شاءَ اللهُ هُداهُ لكنَّه يؤدِّي إليه على سبيلِ التَّوسُّطِ، وما شاءَ اللهُ وُقوعَهُ إنَّما يجبُ وقوعُه لا مطلقًا بل بأسبابٍ قدَّرَها.

ثمَّ بيَّنَ أنَّ البعثةَ أمرٌ جرَتْ به السنَّةُ الإلهيَّةُ في الأُمَمِ كلِّها سببًا لهُدَى مَن أرادَ اهتداءَه وزيادةً لضَلالِ مَن أراد ضلالَه، كالغذاءِ الصَّالحِ فإنَّه ينفعُ المزاجَ السَّوِيَّ ويقوِّيهِ، ويَضُرُّ المنحرفَ ويُفنيهِ، بقوله:

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ يأمرُ بعبادةِ اللهِ واجتنابِ الطَّاغوتِ ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾: وَفَّقَهُم للإيمانِ بإرشادِهِم ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ إذ لم يُوفِّقْهُم ولم يُرِدْ هُداهُم، وفيه تنبيهٌ على فسادِ الشُّبهَةِ الثَّانيَةِ لِمَا فيهِ مِن الدَّلالةِ على أنَّ تحقُّقَ الضَّلالِ وثباتَه بفعلِ اللهِ تَعالى وإرادته مِن حيثُ إنَّه قَسيمُ مَن هَدَى اللهُ، وقد صرَّحَ بهِ في الآيةِ الأخرى.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يا معشرَ قُرَيشٍ ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ مِن عادٍ وثمودَ وغيرِهم لعلَّكُم تَعتبرونَ.

(٣٧) ـ ﴿إِن تَحۡرِصۡ﴾ يا محمَّدُ ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾: مَن يُريد ضَلالَه، وهو المعنيُّ بـ﴿مَنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

وقرأَ غيرُ الكوفِيِّين: ﴿لا يُهْدَى﴾ على البناءِ للمَفعولِ[1]، وهو أبلَغُ.

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وابن عامر، وقرأ الكوفيون: ﴿لَا يَهۡدِي﴾ بفتح الياء وكسر =

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَن ينصرُهُم بدفعِ العذابِ عَنْهُم.

(٣٨) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ عطفٌ على ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إيذانًا بأنَّهُم كما أنكَرُوا التَّوحيدَ أنكرُوا البعثَ مُقسِمينَ عليه زيادةً في البتِّ على فَسادِه، ولقد ردَّ اللهُ عليهِم أبلغَ رَدٍّ فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثُهُم ﴿وَعْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لنفسهِ، وهو ما دلَّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾ فإنَّ ﴿يَبْعَثُ﴾ موعدٌ مِن الله ﴿عَلَيْهِ﴾ إنجازُه؛ لامتناعِ الخُلفِ في وَعدِه، أو لأنَّ البعثَ مُقتضَى حكمتِه.

﴿حَقًّا﴾ صِفَةٌ أخرى للوَعدِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يُبعثون: إمَّا لعَدَم علمِهم بأنه مِن مَوَاجِب الحكمة التي جرتْ عادتُه بمراعاتها، وإمَّا لقصورِ نظرِهم بالمألوفِ فيتوهَّمون امتناعَه، ثم إنه تعالى بيَّن الأمْرَين فقال:

(٣٩) - ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾؛ أي: يبعثُهُم ليُبيِّنَ لَهُم بعضَ ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحقُّ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ﴾ فيما كانوا يزعمونَ، وهو إشارةٌ إلى السَّببِ الدَّاعي إلى البَعثِ، المُقتضي له مِن حيثُ الحكمةُ، وهو التمييزُ بين الحقِّ والباطلِ والمحقِّ والمبطلِ بالثوابِ والعقابِ، ثمَّ قال:

(٤٠) - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وهو بيانُ إمكانِه، وتقريرُه: أنَّ تكوينَ اللهِ تعالى بمَحضِ قدرتِه ومَشيئَتِهِ لا توقُّفُ له على سَبْقِ الموادِّ والمُدَدِ، وإلا لَزِمَ التَّسلسُلُ، فكمَا أَمْكنَ لَهُ تكوينُ الأَشياءِ ابتداءً بلا سَبْقِ مادَّةٍ ومثالٍ أَمْكنَ له تكوينُها إعادةً بعدَه.

= الدَّال، ولم يختلفوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنها مضمومة الياء مكسورة الضَّاد. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

ونَصَبَ ابنُ عامرٍ والكِسائيُّ: ﴿فيكونَ﴾[1] عطفًا على ﴿نَقُولَ﴾، أو جوابًا للأمرِ.

(٤١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هُم رسولُ اللهِ ﷺ، وأَصحابُه المهاجرونَ، ظَلَمَهُم قريشٌ فهاجرَ بعضُهُم إلى الحَبشةِ ثمَّ إلى المدينةِ، وبعضُهُم إلى المدينةِ، والمحبوسونَ المعذَّبونَ بمكَّةَ بعدَ هجرةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وهم بلالٌ وصُهَيبٌ وخَبَّابٌ وعمَّارٌ وعابسٌ وأبو جَنْدلٍ وسُهَيلٌ.

وقوله: ﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حقِّهِ ولوَجهِهِ.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مَبَاءةً حَسَنةٌ، وهي المدينَةُ، أو: تَبوِئَةً حَسنةً.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما تعجَّلَ لهم في الدُّنيا.

وعَن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنه: أنَّه كانَ إذا أعطى رجلًا مِن المهاجرينَ عطاءَه قال له: خُذ باركَ اللهُ لك فيه، هذا ما وعَدَكَ اللهُ في الدُّنيا، وما ادَّخَر لك في الآخرةِ أفضَلُ[2].

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ الضَّميرُ للكُفَّارِ؛ أي: لو علموا أنَّ اللهَ يجمعُ لهؤلاءِ المهاجرينَ خيرَ الدَّارينِ لوافَقوهُم؛ أي: للمُهاجرينَ.

وقيل: للمُهاجرين؛ أي: لو علموا ذلك لزادُوا في اجتِهادِهِم وصَبرِهِم.

(٤٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الشَّدائدِ كأذى الكفرةِ ومُفارقةِ الوطنِ، ومحلُّهُ النَّصبُ أو الرَّفعُ على المدحِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ مُنقَطِعينَ إلى اللهِ مُفوِّضِينَ إليه الأمرَ كلَّه.

(٤٣) ـ ﴿وما أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ إلَّا رِجالاً يُوْحَى إِلَيْهِم﴾[3] ردٌّ لقولِ قريشٍ: اللهُ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢ ـ ٣٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤).

(٣) ﴿يُوْحَى﴾ بالياء والبناء للمجهول قراءة السبعة عدا حفصاً فإنه قرأ: ﴿نُوْحِي﴾ بالنون والبناء للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٣).

أعظَمُ مِن أَنْ يكونَ رسولُه بشرًا؛ أي: جَرَت السنَّةُ الإلهيَّةُ بأَنْ لا يبعثَ للدَّعوةِ العامَّةِ إلا بشرًا يوحِي إليه على ألسنَةِ المَلائكةِ، والحكمةُ في ذلك قد ذُكرت في سورةِ الأنعامِ، فإن شكَكْتُم فيه ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: أهلَ الكتابِ، أو: عُلماءَ الأَخبارِ؛ ليُعلمُوكُم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي الآيةِ دَليلٌ على أنَّه تَعالى لم يُرسِل امرأةً ولا ملَكًا للدَّعوةِ العامَّةِ، وأمَّا قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] معناه: رُسلًا إلى الملائكةِ أو إلى الأَنبياءِ.

وقيل[١]: لم يُبعثوا إلى الأنبياءِ إلا ممثَّلينَ بصورةِ الرِّجالِ. ورُدَّ بما رُوِيَ: أنَّه عليه السَّلامُ رأى جبريلَ صلواتُ اللهِ عليه على صورَتِه التي هو عليها مَرَّتينِ[٢].

وعلى وُجوبِ المراجعةِ إلى العُلماءِ فيما لا يُعلَمْ.

(٤٤) ـ ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: أرسلناهُم بالبيِّنَاتِ والزُّبُرِ[٣]؛ أي: المعجزاتِ والكتبِ، كأنَّه جوابُ قائِلٍ قال: بمَ أُرسِلُوا؟ ويجوزُ أَنْ يتعلَّقَ بـ(ما أَرْسَلْنا) داخلًا في الاستثناءِ مع ﴿رِجَالًا﴾؛ أي: وما أَرسَلْنا إلا رجالًا بالبيِّناتِ؛ كقَولِك: ما ضربتُ إلا زيدًا بالسَّوطِ[٤]، أو صِفَةً لهم[٥]؛ أي: رجالًا ملْتَبِسينَ بالبيِّناتِ، أو بـ﴿يُوحَىٰ﴾

---

(١) القائل هو الجُبائي من المعتزلة. كما قال الخفاجي في «الحاشية».

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قوله: «أي: أرسلناهم بالبينات والزبر..» يعني: أنه متعلق بمقدر يدل عليه ما قبله، وإنما قدَّمَ هذا الوجه لأنه المختار السالم من الاعتراض. انظر: «حاشية الشهاب».

(٤) قوله: «ويجوز أن يتعلق بـ(ما أرسلنا) داخلًا في الاستثناء» فيه تسمُّحٌ؛ لأنه متعلق بـ(أرسلنا) فقط، ودخوله في الاستثناء والحصر بناء على ما جوَّزه بعض النحاة من جواز أن يُستثنَى بأداةٍ واحدةٍ شيئان دون عطف، فيقالَ: ما أعطى أحدٌ شيئاً إلا زيدٌ درهماً، وأنه يجري في الاستثناء المفرغ أيضاً، لكن أكثر النحاة على منعه. المصدر السابق.

(٥) قوله: «أو صفةً لهم»؛ أي: لـ﴿رِجَالًا﴾، وهو معطوف على «داخلًا» لأنه متعلّقٌ معنًى بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، =

على المفعوليَّةِ، أو الحالِ مِن القائمِ مقامَ فاعلِه وهو ﴿إِلَيْهِمْ﴾[1]، على أنَّ قولَه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ اعتراضٌ، أو بـ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ على أنَّ الشَّرطَ للتَّبكيتِ والإلزامِ.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: القرآنَ، وإنَّما سُمِّيَ ذِكرًا لأنَّه مَوعِظَةٌ وتَنبيهٌ.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في الذِّكرِ بتوسُّطِ إنزالِه إليك ممَّا أُمِرُوا به ونُهوا عنه، وممَّا تَشابَه عليهِم، والتَّبيينُ أعمُّ مِن أن ينصَّ بالمقصودِ أو يرشدَ إلى ما يدلُّ عليه كالقِياسِ ودليلِ العَقلِ.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادةَ أَنْ يتأمَّلُوا فيه فيتنبَّهُوا للحقائقِ.

(٤٥) ـ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: المكَراتِ السَّيِّئاتِ، وهم الذين احتَالُوا لهلاكِ الأَنبياءِ، أو الذين مَكَروا رسولَ اللهِ وراموا صدَّ أصحابِه عن الإيمانِ.

﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خَسَفَ بقارونَ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بَغتَةً مِن جانبِ السَّماءِ كما فُعلَ بقومِ لُوطٍ.

(٤٦) ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾؛ أي: مُتقلِّبينَ في مَسايِرِهم ومَتاجِرِهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

(٤٧) ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: على مخافةٍ بأنْ يُهلِكَ قومًا قَبْلَهُم فيَتخوَّفُوا فيأتيَهم العَذابُ وهُم مُتخوِّفونَ، أو: على أن ينقصَ شيئًا بعدَ شيءٍ في أنفُسِهم وأَموالِهم حتى يَهلِكُوا، مِن تَخوَّفْتُه: إذا تَنقَّصْتَه.

= ولا يكون حالاً من ﴿رِجَالًا﴾ لتنكُّره وتقدُّمه. المصدر السابق.

(١) قوله: «أو بـ﴿يوحَى﴾ على المفعولية...»؛ كونه مفعولًا لـ﴿يُوحى﴾ بواسطة الباء، ومثله يسمى مفعولاً أيضا، والحالية من ضمير الرجال في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: يوحَى إليهم ملتبسين بالبينات. المصدر السابق.

رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنه قال على المِنبَرِ: ما تقولون فيها؟ فسَكتوا، فقامَ شيخٌ مِن هُذيلٍ فقال: هذه لُغَتُنا، التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، فقال: هل تعرِفُ العربُ ذلك في أَشعارِها؟ قال: نعم، قال شاعرُنا أبو كبيرٍ يَصِفُ ناقَتَه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبعَةِ السَّفَنُ[1]

---

(١) هكذا نسبه لأبي كبير الهذليِّ: الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ١٩)، والواحدي في «البسيط» (١/ ٤٠١)، وأبو القاسم النيسابوري في «إيجاز البيان عن معاني القرآن» (٢/ ٤٨٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٣٢)، واسم أبي كبير: عامر بن الحُلَيس، وهو أحد بني سعد بن هُذَيل ثم أحد بني جُرَيْب، وهو شاعر هذلي معروف. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ٨٨). ولم أجد البيت في «ديوان الهذليين»، لكن قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية»: والبيت من قصيدة له مذكورة في شعر هذيل. قال: وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى (يعني: البيضاوي، حيث نسبه لأبي كبير) إصلاح لما في «الكشاف» من نسبة البيت لزهير مع أنه ليس له، وهو مناقض لما نقله (يعني الزمخشري) من قول الهذلي: «شاعرنا»، فإن زهيراً ليس بهذلي. انتهى.

ونسب لابن مقبل في «القلب والإبدال» لابن السكيت (ص: ٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٤٢). وهو في «ديوانه» (ص: ٤٠٥).

ونسب لذي الرُّمة في «الصحاح» للجوهري (مادة: خوف وسفن)، وهو في ملحق «ديوانه» (٣/ ١٩١٧).

قال الزبيدي في «تاج العروس» (مادة: سفن): هكذا في نسخ «الصحاح» لذي الرمة، وقيل: لابن مقبل، وأورده أبو عدنان في كتاب «النبل» لابن المزاحم الثمالي وقال: لم أجده في شعر ذي الرمة، وقال غيره: هو لعبد الله بن عجلان النهدي جاهلي.

وهو يصف ناقة تنقَّص السيرُ سنامها بعد تمكه واكتنازه، والتامك: السنام المرتفع المشرف، والقَرِد بفتح القاف وكسر الراء، يقال: صوف قرد؛ أي: متلبد، وسحاب قرد؛ أي: ركب بعضه بعضاً، والنبع: شجر يتخذ منه القسيُّ، والسَّفَن بفتح السين والفاء هو المِبْرَد، يصف ناقة أثر الرحل في سنامها بعد تمكه واكتنازه، فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد العود. قاله الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي».

فقال عُمَرُ: عليكم بديوانِكُم لا تَضِلُّوا، قالوا: وما ديوانُنا؟ قال: شِعرُ الجاهليَّةِ، فإنَّ فيه تَفسيرَ كتابِكُم[١] ومعانيَ كلامِكُم.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ لا يُعاجِلُكُم بالعُقوبَةِ.

(٤٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: قَد رأَوْا أمثالَ هذه الصَّنائعِ فما بالُهم لم يَتفكَّرُوا فيها ليَظهرَ لهم كمالُ قُدرَتِه وقهرِه فيخافوا منه؟

و﴿مَا﴾ موصولةٌ مُبهمةٌ بيانُها: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾[٢]؛ أي: أولـم ينظروا إلى المخلوقاتِ التي لها ظلالٌ مُتفيِّئةٌ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿تَرَوْا﴾ بالتاء، وأبو عمرو: ﴿تَتَفَيَّأُ﴾ بالتاء[٣].

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: عَن أَيمانِها وشَمائِلها؛ أي: عَن جانبي كلِّ واحدٍ مِنها، استعارةٌ مِن يمينِ الإنسانِ وشمالِه، ولعلَّ توحيدَ اليَمينِ وجمعَ الشَّمائلِ لاعتبارِ اللفظِ والمعنى، كتَوحيدِ الضَّميرِ في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ وجمعِه في قوله: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ وهما حالانِ مِن الضَّميرِ في قولِه: ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾، والمرادُ مِن السُّجودِ: الاستسلامُ، سواءٌ كان بالطَّبعِ أو الاختيارِ، يقال: سَجَدت النَّخلَةُ: إذا مالَتْ لكَثرةِ الحملِ، وسَجدَ البَعيرُ: إذا طأطأَ رأسَه ليُركبَ.

أو ﴿سُجَّدًا﴾ حـالٌ مِـن الظِّـلالِ، و﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ حالٌ مِن الضَّميـرِ، والمعنى: يرجـعُ الظـلالُ بارتفـاعِ الشَّـمسِ وانحِـدارِهـا، أو باختـلافِ مَشـارِقِها ومَغارِبِهـا، بتَقديـرِ اللهِ تعالـى مِـن جانـبٍ إلـى جانبٍ مُنقـادةً لِمَـا قدِّرَ لهـا مِـن التَّفيُّـؤِ، أو واقعةً

---

(١) في نسخة التفتازاني: «تفسيرًا لكتابكم».

(٢) قوله: «بيانها: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾»: فيه نقصٌ، وعبارةُ «الكشاف»: بيانُه: ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٤٥)، وانظر: «الكشاف» (٤/ ٥٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٣ ـ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

علـى الأرضِ مُلتصِقَـةً بهـا علـى هيئةِ السَّـاجِدِ، والأجـرامُ في أنفُسِـها أيضًـا داخرةٌ؛ أي: صاغـرةٌ مُنقـادةٌ لأَفعـالِ اللهِ فيها.

وجمع ﴿دَٰخِرُونَ﴾ بالواوِ لأنَّ مِن جُملَتِها مَن يَعقِلُ، أو لأنَّ الدُّخورَ مِن أوصافِ العُقلاءِ.

وقيـل: المرادُ بـ﴿ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: يمينُ الفَلَك: وهـو جانِبُه الشَّرقيُّ؛ لأنَّ الكواكبَ تظهَرُ منه آخذةً في الارتفاعِ والسُّطوعِ، وشمالُه: وهو الجانبُ الغربيُّ المُقابلُ له، فإنَّ الظِّلالَ في أوَّلِ النَّهارِ تَبتدِئُ مِن المشرقِ واقعةً على الربعِ الغربيِّ مِن الأَرضِ، وعندَ الزَّوالِ تَبتدِئُ مِن المغربِ واقعةً على الربعِ الشَّرقيِّ مِن الأرضِ.

(٤٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ينـقـادُ انقيـادًا يعمُّ الانقيادَ لإرادتِه وتأثيرِه طبعًا، والانقيادَ لتكليفِه وأمرِه طَوْعًا؛ ليَصِحَّ إسنادُه إلى عامَّةِ أَهلِ السَّماواتِ والأَرضِ.

وقولـه: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيـانٌ لَهُمـا؛ لأنَّ الدَّبيـبَ هـو الحركـةُ الجِسـمانيَّةُ، سـواءٌ كان فـي أرضٍ أو سَـماءٍ ﴿والملائكـةُ﴾ عطـفٌ علـى المبيَّـنِ به عطـفَ جبريلَ على الملائكـةِ للتَّعظيـمِ، أو عطفَ المُجرَّداتِ على الجِسـمانيَّاتِ، وبه احتـجَّ مَن قال: إنَّ الملائكـةَ أَرواحٌ مُجرَّدَةٌ.

أو: بيانٌ لـ﴿ما في الأرض﴾، و﴿الملائكة﴾ تكريرٌ لـ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وتعيينٌ له إجلالًا وتعظيمًا، والمرادُ به: ملائكَتُها مِن الحَفَظَةِ وغَيرِهم، و﴿مَا﴾ لَمَّا استُعمِلَ للعُقلاءِ كمَا استُعملَ لغيرِهم كان استعمالُه حيثُ اجتمعَ القَبيلانِ أَوْلَى مِن إطلاقِ (مَن) تغليبًا للعُقَلاءِ.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَن عبادَتِه.

(٥٠) ـ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: يخافونَـه أن يرسـلَ عذابًـا مـن فوقِهِـم، أو: يخافونَـه وهـو فوقَهُـم بالقهـرِ، لقولـه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، والجملـةُ حـالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أو بيانٌ لـه وتقريرٌ؛ لأنَّ مَن خافَ اللهَ لم يَستكبرْ عَن عبادَتِه.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ مِن الطَّاعةِ والتَّدبيرِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الملائكةَ مُكلَّفونَ مُدارونَ بين الخوفِ والرَّجاءِ.

(٥١) ـ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذُكر العَددُ ـ مع أنَّ المعدودَ يدلُّ عليه ـ دلالةً على أنَّ مَساقَ النَّهيِ إليه، أو إيماءً بأنَّ الاثنينيَّةَ تُنافي الألوهيَّةَ، كما ذُكرَ الواحدُ في قولِه: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ المقصودَ إثباتُ الوَحدانيَّةِ دونَ الإلهيَّةِ، أو التَّنبيهِ على أنَّ الوحدةَ مِن لَوازمِ الإلهيَّةِ.

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ نقلَ مِن الغَيبةِ إلى التَّكلُّمِ مُبالغةً في التَّرهيبِ، وتَصريحًا بالمقصودِ، كأنَّه قال: فأنا ذلك الإلهُ الواحِدُ فإيَّايَ فارهبون لا غير.

(٥٢) ـ ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خـلـقًـا وملـكًـا ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾؛ أي: الطَّاعةُ ﴿وَاصِبًا﴾: لازمًا؛ لِمَا تقرَّرَ مِن أنَّه الإلهُ وحدَهُ والحقيقُ بأن يُرهَبَ منه.

وقيل: ﴿وَاصِبًا﴾ من الوَصَبِ؛ أي: وله الدِّينُ ذا كُلفَةٍ.

وقيل: ﴿ٱلدِّينُ﴾: الجزاءُ؛ أي: وله الجزاءُ دائمًا لا ينقطِعُ ثَوابُه لِمَن آمنَ وعقابُه لِمَن كفَرَ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ولا ضارَّ سِواه كمَا لا نافعَ غيرُهُ كما قال:

(٥٣) ـ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وأيُّ شـيءٍ اتَّصـلَ بِكُـم مِـن نعمـةٍ فهـوَ مِـن اللهِ، و﴿ما﴾ شـرطيَّةٌ، أو مَوصولـةٌ مُتضمِّنَةٌ مَعنى الشَّـرطِ باعتبـارِ الإخبارِ

دون الحصولِ، فإنَّ استقرارَ النِّعمةِ بهم يكونُ سببًا للإخبارِ بأنَّها مِن اللهِ لا لِحصولها منه.

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: فما تَتضرَّعونَ إلا إليه، والجُؤارُ: رفعُ الصَّوتِ في الدُّعاءِ والاستغاثةِ.

(٥٤-٥٥) - ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ وهم كُفَّارُكُم ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ بعبادةِ غيرِه، هذا إذا كان الخطابُ عامًّا، فإن كان خاصًّا بالمشركينَ كان (مِن) للبيانِ، كأنَّه قال: فإذا فريقٌ وهم أنتُم، ويجوزُ أن تكونَ (مِن) للتَّبعيضِ، على أن يَعتبِرَ بعضُهم[1] كقولِه: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من نعمةِ الكَشفِ عنهم، كأنَّهُم قصدُوا بشركِهم كفرانَ النِّعمَةِ أو إنكارَ كَونِها مِن الله ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ أمرُ تَهديدٍ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أغلظَ الوعيدِ[2].

وقُرِئَ: (فيُمتَّعوا) مبنيًّا للمفعولِ[3]، عطفًا على ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾، وعلى هذا جازَ أن تكونَ اللامُ لامَ الأمرِ الواردِ للتَّهديدِ والفاءُ للجَوابِ.

(٥٦) - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لآلهتِهِم التي لا علمَ لها لأنَّها جمادٌ، فيكونُ الضَّميرُ لـ(ما)، أو التي لا يعلمونَها فيعتقدونَ فيها جهالاتٍ مثلَ أنها تنفعُهم وتشفَعُ لهم، على أنَّ العائدَ إلى (ما) محذوفٌ.

---

(١) قوله: «على أن يَعتبر بعضُهم» بالبناء للفاعل في «يعتبر»، ورفعِ «بعضُهم»؛ أي: بناءً على اعتبار بعضهم بما رآه، فيرجعَ عن شركه. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) في نسخة التفتازاني: «أغلظَ وعيدٍ»، وفي نسخة الخيالي: «أغلظ وعيده»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن أبي العالية، و«المحتسب» (٢/ ١٠) عن مكحول عن أبي رافع عن النبي ﷺ.

أو: لجهلِهم، على أنَّ (ما) مَصدريَّةٌ والمجعولَ له محذوفٌ للعلمِ به.

﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِن الزُّروعِ والأنعامِ.

﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ مِن أنَّها آلهةٌ حقيقةٌ بالتَّقرُّبِ إليها، وهو وعيدٌ لهم عليه.

(٥٧) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ كانَتْ خُزاعةُ وكِنانَةُ يقولون: الملائكةُ بناتُ الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له مِن قولِهم، أو تعجُّبٌ منه ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين.

ويجوزُ في ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾ الرَّفعُ بالابتداءِ، والنَّصبُ بالعَطفِ على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾، على أنَّ الجعلَ بمعنى الاختيارِ، وهو وإن أَفْضَى إلى أن يكونَ ضميرُ الفاعلِ والمفعولِ لشَيءٍ واحدٍ لكنَّه لا يَبْعُدُ تَجويزُه في المعطوفِ[1].

(٥٨) ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾: أُخبِرَ بولادَتِها ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾: صارَ أو دامَ النَّهارَ كُلَّه ﴿مُسْوَدًّا﴾ من الكآبةِ والحياءِ مِن النَّاسِ، واسودادُ الوجهِ كنايةٌ عن الاغتمامِ والتَّشويرِ.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوءٌ غَيظًا مِن المرأةِ.

(٥٩) ـ ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يَستَخفي[2] مِنْهُم ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: مِن سوءِ المُبشَّرِ به عُرفًا ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ مُحدِّثاً نفسَه مُتفكِّراً في أنْ يترُكَه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذلٍّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أم يُخفيهِ فيه ويَئِدُه، وتذكيرُ الضَّميرِ للَفظِ ﴿مَا﴾، وقُرِئَ بالتَّأنيثِ فيهما[3].

---

(١) قال ابنُ هشامٍ: إنَّما يَصِحُّ في الآيةِ العطفُ المَذكورُ إذا قدِّرَ أنَّ الأصلَ: ولأنفُسِهم، ثمَّ حذفَ المُضافُ، وذلك تكلُّفٌ. قال: ومِن العَجبِ أنَّ الفرَّاءَ والزَّمخشريَّ والحوفيَّ قدَّروا العطفَ المَذكورَ ولم يُقدِّروا المضافَ المحذوفَ ولا يَصِحُّ العطف إلا به. «مغني اللبيب» (ص: ٤٩١).

(٢) في نسخة التفتازاني: «يستحيي».

(٣) أي: (أيُمسكها على هُون أم يَدسُّها). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن الجحدري.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيثُ يجعلونَ لِـمَن تَعالى عن الولدِ ما هذا محلُّهُ عندَهُم.

(٦٠) ـ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صِفَةُ السَّوءِ، وهـي الحاجَةُ إلـى الولدِ المناديةُ بالموتِ واستبقاءُ الذُّكورِ استِظهارًا بهم، وكراهةُ الإناثِ ووأدُهنَّ خشيةَ الإملاقِ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهـو الوُجوبُ الذَّاتيُّ، والغِنى المُطلقُ، والجودُ الفائِقُ، والنَّزاهةُ عن صفاتِ المخلوقين ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: المنفردُ بكَمالِ القُدرَةِ والحكمَةِ.

(٦١) ـ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكُفْرِهِم ومَعاصيهِم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على الأَرضِ، وإنَّما أَضْمرَهَا مِن غَيرِ ذكرٍ لدَلالَةِ النَّاسِ أو الدَّابَّةِ عليها.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ قطُّ بشُؤمِ ظُلْمِهِم، وعن ابن مسعود: كادَ الجُعَلُ يَهْلِكُ في جُحرِهِ بذَنبِ ابنِ آدمَ[١].

أو: مِن دابَّةٍ ظالِمَةٍ.

وقيل[٢]: لو أُهلِكَ الآباءُ بكُفرِهِم لم يَكُنِ الأبناءُ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ سمَّاهُ لأَعمارِهِم أو لعَذابِهِم كَيْ يَتوالَدُوا.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ بل هَلَكوا أو عُذِّبُوا حينئذٍ لا محالةَ، ولا يلزَمُ مِن عُمومِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ وإضافةِ الظُّلمِ إليهم أن يكونَ كلُّهم ظالمينَ حتَّى الأنبياءُ عليهِم السَّلامُ؛ لجوازِ أَنْ يُضافَ إليهم ما شاعَ فيهم وصدرَ عَن أكثَرِهِم.

(٦٢) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾؛ أي: ما يكرهونَ لأَنفُسِهِم؛ مِن البناتِ، والشُّركاءِ في الرِّياسةِ، والاستخفافِ بالرُّسُلِ، وأراذلِ الأموالِ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٠).

(٢) قاله الجُبائِي من المعتزلة. كما قال الخفاجي في «الحاشية».

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ مع ذلك، وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: عندَ اللهِ، كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وقُرِئَ: (الكُذُبُ)[١] جمعُ كَذُوبٍ صِفةٌ للألسنَةِ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ ردٌّ لكلامِهم وإثباتٌ لضدِّهِ ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مقدَّمون إلى النار، من أَفْرَطْتُه في طلب الماء: إذا قدَّمْتَه.

وقرأ نافع بكسر الراء[٢] على أنه من الإفراط في المعاصي.

وقرئ بالتشديد مفتوحًا[٣] من فرَّطْتُه في طلب الماء، ومكسورًا[٤] من التفريط في الطاعات.

(٦٣) - ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأصرُّوا على قَبائِحِها وكفَروا بالمُرسلين ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾؛ أي: في الدُّنيا، وعبَّر بـ﴿الْيَوْمَ﴾ عن زَمانِها.

أو: فهو وَلِيُّهُم حين كانَ يُزيِّنُ لهم، أو يومَ القيامةِ، على أنَّه حكايةُ حالٍ ماضِيَةٍ أو آتيةٍ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الضَّميرُ لقُريشٍ[٥]؛ أي: زيَّن الشيطانُ للكَفَرةِ المُتقدِّمينَ

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ١١) عن معاذ.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) نسبها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) لأبي جعفر. ونسبت في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٧٣) للأعرج وابن أبي عبلة.

(٤) وهي قراءة أبي جعفر المدني من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٤).

(٥) قال أبو حيَّان: هذا فيه بعدٌ؛ لاختلافِ الضَّمائرِ، مِن غيرِ ضَرورةٍ تدعو إلى ذلك ولا إلى حَذفِ المُضافِ، بل الضَّميرُ في الظَّاهرِ عائِدٌ إلى ﴿أُمَمٍ﴾. «البحر المحيط» (١٣/ ٣٨٩).

أعمالَهُـم، وهـو وليُّ هؤلاءِ اليـومَ يغرُّهُـم[١] ويُغويهِم، وأن يقدَّرَ مضـافٌ؛ أي: فهو وَلِـيُّ أمثالِهم.

والوليُّ: القَرينُ، أو النَّاصِرُ، فيكونُ نَفْيًا للنَّاصرِ لهم على أبلغِ الوُجوهِ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامةِ.

(٦٤) - ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للنَّاسِ ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ مِن التَّوحيدِ والقَدَرِ وأحوالِ المَعادِ وأحكامِ الأَفعالِ.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ مَعطوفانِ على محلِّ ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، فإنَّهُما فِعلَا المنزِلِ بخِلافِ التَّبيينِ.

(٦٥) - ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: أنبتَ فيها أَنواعَ النَّباتِ بعدَ يبسِها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّرٍ وإنصافٍ.

(٦٦) - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾: دلالةً يُعْبَرُ بها مِن الجهلِ إلى العلمِ ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ استئنافٌ لبَيانِ العِبرَةِ، وإنَّما ذكَّرَ الضَّميرَ ووحَّدَه هاهنا للَّفظِ، وأنَّثَه في (سورةِ المؤمنينَ) للمَعنى، فإنَّ الأَنعامَ اسمُ جمعٍ، ولذلك عدَّه سيبويهِ في المفرداتِ المبنيَّةِ على أفعالٍ، كأَخلاقٍ[٢] وأَكيَاشٍ[٣].

ومَـن قـال: إنَّه جمعُ نَعَمٍ= جعَلَ الضَّميرَ للبعضِ، فإنَّ اللَّبَنَ لبَعضِها دونَ جَميعِها، أو لواحِدِه، أو له على المعنى، فإنَّ المرادَ به الجنسُ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «يغريهم».

(٢) جمع خَلَق؛ ضدّ جديد.

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٣٠). والأكياش: ضربٌ من الثياب تُغزل مرتين، وفي المثل: عليك بالثوب الأكياش فإنه من لباس الأكياس. «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٦٢أ).

وقـرأ نافـعٌ وابـنُ عامرٍ وأبـو بكـرٍ ويَعقـوبُ: ﴿نَسقيكُم﴾ بالفَتـحِ هاهنا وفي (المؤمنين)[١].

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾ فإنَّه يُخلقُ مِن بعضِ أَجزاءِ الدَّمِ المتولِّدِ مِن الأجزاءِ اللطيفَةِ التي في الفَرْثِ، وهو الأشياءُ المأكولةُ المنهضِمَةُ بعضَ الانهضامِ في الكَرِشِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ البَهيمةَ إذا اعتلفَتْ وانطبخَ العلفُ في كرِشِها كان أسفَلُه فرثًا وأوسطُه لبنًا وأعلاه دمًا[٢].

ولعلَّه إنْ صَحَّ[٣] فالمرادُ: أنَّ أوسطَهُ يكونُ مادَّةَ اللبنِ، وأعلاه مادَّةَ الدَّمِ الذي يغذِّي[٤] البدنَ؛ لأنَّهُما لا يتكوَّنان فـي الكرشِ، بل الكبدُ يَجْذِبُ صفاوةَ الطَّعامِ المنهضِمِ في الكرشِ ويُبقي ثُفْلَه وهو الفرثُ، ثمَّ يُمسِكُها ريثما يَهضِمُها هضمًا ثانيًا، فيحدثُ أخلاطٌ أربعةٌ معَها مائيَّةٌ، فتميِّزُ القوَّةُ المميِّزةُ تلك المائيَّةَ بما زادَ على قَدْرِ الحاجةِ مِن المرَّتينِ وتدفَعُها إلى الكليَةِ والمرارةِ والطِّحالِ، ثم يوزِّعُ الباقي على الأعضاءِ بحَسَبِها، فيجري إلى كلٍّ حقَّه على ما يليقُ به بتقديرِ الحكيمِ العَليمِ.

ثـم إنْ كانَ الحيـوانُ أنثـى زادَ أخلاطُهـا علـى قَـدْرِ غذائِهـا لاستيلاءِ البـردِ والرُّطوبـةِ علـى مزاجِهـا، فيندفعُ الزَّائـدُ أولًا إلى الرَّحـمِ لأجلِ الجَنينِ، فـإذا انفصلَ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١١٣)، والرازي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٢)، وأخرجه القزاز كما في «فتح الباري» (١٠/ ٧١).

(٣) ولم يصح؛ لأنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، كما صرح السمرقندي والواحدي، ورواه عن أبي صالح الكلبي كما جاء عند الرازي، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٤) بعدها في نسخة التفتازاني: «به».

انصبَّ ذلك الزائِدُ أو بعضُه إلى الضُّروعِ فيَبْيَضُّ بمُجاورةِ لحومها الغُدديةِ البيضِ فيَصيرُ لبنًا.

ومَن تَدبَّرَ صنعَ اللهِ في إحداثِ الأخلاطِ والألبانِ، وإعدادِ مقارِّهَا ومَجاريها والأسبابِ المولِّدَةِ لها، والقُوَى المتصرِّفةِ فيها كلَّ وقتٍ على ما يليقُ به، اضطرَّ إلى الإقرارِ بكمالِ حِكمَتِه وتَناهي رَحمَتِه.

و(مِن) الأُولى تَبعيضيَّةٌ؛ لأنَّ اللَّبنَ بعضُ ما في بطونها، والثَّانيةُ ابتدائيَّةٌ كقولك: سَقيتُ مِن الحوضِ؛ لأنَّ بين الفَرثِ والدَّم المحلَّ الذي يُبتدأُ منه الإسقاءُ، وهي مُتعلِّقَةٌ بـ﴿نُّسۡقِيكُم﴾، أو حالٌ مِن ﴿لَّبَنًا﴾ قدِّم عليه؛ لتنكيرِه، وللتَّنبيهِ على أنَّه موضعُ العبرةِ.

﴿خَالِصٗا﴾: صافيًا لا يَستصحِبُ لونَ الدَّمِ ولا رائحةَ الفَرثِ، أو: مُصفًّى عما يَصحَبُه مِن الأجزاءِ الكثيفةِ بتَضييقِ مخرجِه.

﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سهلَ المُرورِ في حَلقِهِم، وقُرِئَ: (سَيِّغًا) بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[1].

(٦٧) - ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ أي: ونسقيكُمْ مِن ثَمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ؛ أي: مِن عَصيرِهِما، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ استئنافٌ لبَيانِ الإسقاءِ.

أو: بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، و﴿مِنۡهُ﴾ تكريرٌ للظَّرفِ تَأكيدًا.

أو: خبرٌ لِمَحذوفٍ صِفَتُه: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾؛ أي: ومِن ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ ثمرٌ تَتَّخذونَ مِنه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) بالتشديد عن عيسى، و«المحتسب» (٢/ ١١) بالتخفيف عن الثقفي.

وتذكيرُ الضَّميرِ علـى الوجهينِ الأوَّلينِ لأنَّه للمُضافِ المحذوفِ الذي هو العَصيرُ، أو لأنَّ الثَّمراتِ بمَعنى الثَّمرِ.

والسَّكَرُ مصدَرٌ سُمِّيَ به الخمرُ.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتَّمرِ والزَّبيبِ والدِّبسِ والخَلِّ.

والآيةُ إن كانَتْ سابقَةً على تحريمِ الخَمرِ فدالَّةٌ على كَراهَتِها، وإلَّا فجامِعَةٌ بين العِتابِ والمِنَّةِ.

وقيل: السَّكَرُ النَّبيذُ، وقيل: الطُّعْمُ، قال:

جَعَلْـتَ أَعْـرَاضَ الكِـرَامِ سَـكَرَا[1]

أي: تَنَقَّلْتَ بأعراضِهِم[2].

وقيل: ما يَسُدُّ الجوعَ، من السَّكْرِ، فيكونُ الرِّزقُ ما يحصُلُ مِن أثمانِه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملونَ عُقولَهُم بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ في الآياتِ.

(٦٨) ـ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾: ألهمَهَا وقذفَ في قلوبِها. وقُرِئَ: (إلى النَّحَلِ) بفَتحتينِ[3].

---

(١) شطر بيت ورد في المصادر بلا تتمة، وهو بلفظ المؤلف في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٥)، و«اللسان» (مادة: سكر). وجاء في «مجاز القرآن» (١/ ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٦/ ٧٤)، برواية:

جعلـت عيـب الأكرميـن سـكرا

ونسبه أبو عبيدة لجندل، ولعله جندل بن المثنى الطهوي المترجم له في «سمط اللآلي» (ص: ٦٤٤).

(٢) أي: جعلت أعراضهم نُقلًا.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن عيسى.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾: بأَنِ اتَّخِذِي، ويجوزُ أن تكونَ مُفسِّرَةً لأنَّ في الإيحاءِ معنى القولِ.

وتأنيثُ الضَّميرِ على المعنى، فإنَّ النَّحلَ مُذكَّرٌ.

﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ذُكر بحرفِ التَّبعيضِ لأَنَّها لا تَبْني في كلِّ جبلٍ وكلِّ شَجرٍ وكلِّ ما يُعْرَشُ مِن كَرْمٍ أو سَقْفٍ، ولا في كلِّ مكانٍ منها، وإنَّما سُمِّيَ ما تَبنيهِ لتَتعسَّلَ فيه بيتًا تشبيهًا ببناءِ الإنسانِ؛ لِمَا فيهِ مِن حُسنِ الصَّنعَةِ وصِحَّةِ القِسمَةِ التي لا يَقْوَى[1] عليها حُذَّاقُ المُهندسينَ إلا بآلاتٍ وأَنظارٍ دَقيقَةٍ، ولعلَّ ذكرَهُ للتَّنبيهِ على ذلك.

وقُرِئَ ﴿بِيُوتًا﴾ بكسرِ الباءِ للياءِ[2].

وقرأَ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ: ﴿يَعرُشُونَ﴾ بضمِّ الرَّاءِ[3].

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مِن كلِّ ثمرةٍ تَشتهينَها مُرِّها وحُلوِها ﴿فَٱسْلُكِى﴾ ما أكلتِ ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: في مَسالِكِه التي يُحيلُ فيها بقُدرَتِه النَّورَ المرَّ عسلًا مِن أَجوافِكَ.

أو: فاسلُكِي الطُّرُقَ التي أَلهمكِ في عملِ العَسلِ.

أو: فاسلُكِي راجعةً إلى بُيوتكِ سُبلَ ربِّكِ لا تتوعَّرُ عليكَ ولا تلتبِسُ.

﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذلولٍ، وهي حالٌ مِن السُّبُلِ؛ أي: مذلَّلةً، ذلَّلها اللهُ وسهَّلَها لكِ، أو مِن الضَّميرِ في (اسلكي)؛ أي: وأنتِ ذُللٌ منقادةٌ لِمَا أُمِرْتِ به.

---

(١) في نسخة الخيالي: «لا يقوم».

(٢) وهي قراءة جمهور السبعة، وقرأ أبو عمرو وورش وحفص بضم الباء. انظر: «السبعة» (ص: ١٧٨)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٣) هذا هو الموجود في النسخ الصَّحيحة، ووقعَ في نسخةٍ بكسرِ الرَّاء، وهو من تحريف الناسخ. قاله الخفاجي في «الحاشية». وانظر: «السبعة» (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ عَدلَ به عَن خطابِ النَّحلِ إلى خطـابِ النَّاسِ لأنَّه محلُّ الإنعامِ عليهم، والمقصودُ مِن خلقِ النَّحلِ وإلهامِه لأجلِهم.

﴿شَرَابٌ﴾ يعني: العسلَ؛ لأنَّه ممَّا يُشربُ، واحتجَّ به مَن زعمَ أنَّ النَّحلَ تأكلُ الأزهارَ والأوراقَ العَطِرَةَ فتستحيلُ في باطنِها عسلًا، ثم تقيءُ ادِّخارًا للشِّتاءِ، ومن زعمَ أنها تلتقِطُ بأفواهِها أجزاءً طليَّةً حلوةً صغيرةً مُتفرقَةً على الأوراقِ والأزهارِ، وتضعُها في بيوتِها ادخارًا، فإذا اجتمعَ في بيوتِها شيءٌ كثيرٌ مِنها كان العسلُ= فسَّر البطونَ بالأفواهِ.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أبيـضُ وأصفـرُ وأحمـرُ وأسـودُ بسـببِ اختلافِ سـنِّ النَّحلِ أو الفـصلِ.

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ إمَّا بنفسِه كما في الأمراضِ البَلغميَّةِ، أو مع غيرِه كما في سائرِ الأمراضِ؛ إذ قلَّما يكونُ مَعجونٌ إلا والعسلُ جزءٌ مِنه، مع أنَّ التنكيرَ فيه مشعِرٌ بالتَّبعيضِ، ويجوزُ أن يكونَ للتَّعظيمِ.

وعن قتادةَ: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إنَّ أَخِي يَشتكِي بطنَه، فقال: «اسقِهِ العسلَ»، فذهبَ ثمَّ رجعَ فقال: قد سَقَيْتُه فما نفعَ فقال: «اذهَبْ واسقِهِ عَسَلًا، فقد صدقَ اللهُ وكذبَ بطنُ أَخيكَ»، فسَقاهُ فشَفاه الله فبَرِئَ، فكأنَّما أُنشطَ مِن عقالٍ[1].

وقيل: الضَّميرُ للقُرآنِ، أو لِمَا بيَّنَ اللهُ مِن أَحوالِ النَّحلِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنَّ مَن تدبَّرَ اختصاصَ النَّحلِ بتلك العُلومِ

---

(١) رواه دون قوله: «فكأنَّما أُنشطَ مِن عقالٍ»: البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، من رواية قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه بتمامه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٢٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٦٨٦)، عن قتادة مرسلاً.

الدَّقيقةِ والأفعالِ العَجيبةِ حقَّ التَّدبُّرِ عَلِمَ قطعًا أنَّه لا بدَّ له مِن قادرٍ حكيمٍ يُلهِمُها ذلك ويَحمِلُها عليه.

(٧٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ بآجالٍ مُختلفةٍ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾: يُعادُ ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أخسِّهِ؛ يعني: الهرمَ الذي يَشابهُ الطُّفوليَّةَ في نقصانِ القوَّةِ والعقلِ، وقيل: هو خمسٌ وتسعونَ سنةً، وقيل: خمسٌ وسبعون[1].

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: ليصيرَ إلى حالةٍ شَبيهةٍ بحالِ الطُّفوليَّةِ في النِّسيانِ وسوءِ الفَهمِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمقاديرِ أعمارِهم ﴿قَدِيرٌ﴾ يُميتُ الشَّابَّ النَّشيطَ ويُبقي الهَرِمَ الفانيَ.

وفيه تنبيهٌ على أنَّ تَفاوُتَ آجالِ النَّاسِ ليس إلا بتقديرِ قادرٍ حَكيمٍ ركَّب أبنِيَتَهُم وعدَّلَ أمزِجَتَهم على قَدْرٍ معلومٍ، ولو كان ذلك مُقتَضى الطِّباعِ لم يَبلُغِ التَّفاوتُ هذا المبلغَ.

(٧١) ـ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ فمِنْكُم غنيٌّ ومِنْكُم فقيرٌ، ومِنْكُم مَوالٍ يَتولَّوْنَ رِزقَهُم ورِزقَ غيرِهم، ومِنكُم مماليكُ حالُهم على خلافِ ذلك.

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾: بمُعطي رِزقِهِم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: على مماليكِهِم، فإنَّما يَرُدُّون عليهِم رزقَهُم الذي جعلَه اللهُ في أَيديهِم.

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: فالمَوالي والمَماليكُ سواءٌ في أنَّ اللهَ رزَقَهُم، فالجملةُ لازِمَةٌ للجُملَةِ المَنفيَّةِ أو مُقرِّرَةٌ لها، ويجوزُ أَنْ تكونَ واقِعَةً موقِعَ الجَوابِ، كأنه قيل: فما الذين فُضِّلُوا برادِّي رِزقِهِم على ما ملكَتْ أيمانُهُم فيَستووا في الرِّزقِ، على أنَّه

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٢) من قول علي رضي الله عنه.

ردٌّ وإنكارٌ على المشركينَ، فإنَّهُم يُشرِكُونَ باللهِ بعضَ مخلوقاتِه في الأُلوهيَّةِ، ولا يرضونَ أَنْ يُشارِكَهُم عبيدُهُم فيما أنعمَ اللهُ عليهِمْ فيُساووهم فيه.

﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ حيث يَتَّخِذُونَ له شُركاءَ، فإنَّه يقتَضِي أن يُضافَ إليهم بعضُ ما أنعمَ اللهُ عليهم ويَجحَدُوا أنَّه مِن عندِ اللهِ، أو: حيثُ أنكَرُوا أمثالَ هذه الحُجَجِ بعدَما أنعمَ اللهُ عليهِم بإيضاحِها، والباءُ لتَضمُّنِ الجُحودِ معنى الكُفرِ.

وقرأَ أبو بَكرٍ: ﴿تَجْحَدون﴾ بالتَّاءِ[1]، لقوله: ﴿خَلَقَكُمۡ﴾ و﴿فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ﴾.

(٧٢) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾؛ أي: مِن جنسِكُم لتَأْنَسُوا بها ولتكونَ أولادُكُم مِثْلكم، وقيل: هو خَلْقُ حوَّاءَ من آدمَ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾: وأولادَ أولادٍ، أو: بناتٍ فإنَّ الحافِدَ هو المسرعُ في الخدمةِ، والبناتُ يَخْدُمْنَ في البُيوتِ أتمَّ خِدمَةٍ.

وقيل: هُم الأَخْتانُ على البَناتِ، وقيل: الرَّبائِبُ.

ويجوزُ أن يرادَ بها البَنونَ أنفسُهُم، والعَطفُ لتَغايُرِ الوَصفَيْنِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: مِن اللَّذائذِ، أو: من الحلالاتِ، و﴿مِّنَ﴾ للتَّبعيضِ، فإنَّ المَرزوقَ[2] في الدُّنيا أُنموذَجٌ مِنها.

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو أنَّ الأَصنامَ تَنْفَعُهم، أو: أنَّ مِن الطَّيِّباتِ ما يَحرمُ عليهِم كالبَحائرِ والسَّوائبِ ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ حيثُ أَضافوا نِعمَهُ إلى الأصنامِ، أو حرَّمُوا ما أحلَّ اللهُ لَهُم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «الرزق».

وتَقديـمُ الصِّلَـةِ علـى الفعلِ إمَّـا للاهتمـامِ، أو لإيهـامِ التَّخصيـصِ مُبالغَةً، أو للمُحافظَـةِ علـى الفَواصلِ.

(٧٣) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ مِـن مَطَرٍ ونَبَاتٍ. و﴿رِزْقًا﴾ إنْ جعلتَهُ مَصدَرًا فـ﴿شَيْـًٔا﴾ مَنصوبٌ به، وإلا فبدلٌ عنه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يَتملَّكُوهُ؛ إذ لا استطاعةَ لهم أصلًا، وجمعُ الضَّميرِ فيه وتَوحيدُه في ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ لأنَّ (ما) مُفرَدٌ في مَعنى الآلهةِ، ويجوزُ أنْ يعودَ إلى الكُفَّارِ؛ أي: ولا يستطيعُ هؤلاءِ مع أنَّهُم أحياءٌ مُتصرِّفونَ شيئًا من ذلك فكيف بالجَمادِ؟!

(٧٤) ـ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: فلا تجعَلُوا له مثلًا تُشركونَ به، أو تَقيسُونَه عليه، فإنَّ ضربَ المثلِ تَشبيهُ حالٍ بحالٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فسادَ ما تُعَوِّلُونَ عليه مِن القِياسِ على أنَّ عِبادةَ عبيدِ الملِكِ أدخَلُ في التَّعظيمِ مِن عِبادَتِه، أو عِظَمَ جُرمِكُم فيما تفعلونَ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو عَلِمْتُموهُ لَمَا جَرُؤتُم عليه، فهو تَعليلٌ للنَّهيِ.

أو: إنَّه يعلَمُ كُنْهَ الأَشياءِ وأنتُمْ لا تَعلَمونَه، فدَعُوا رأيَكُم دونَ نَصِّه.

ويجوزُ أَنْ يُرادَ: فلا تَضرِبُوا للهِ الأمثالَ، فإنَّه يعلَمُ كيفَ يضربُ الأمثالَ وأنتُمْ لا تعلمونَ، ثمَّ عَلَّمَهُم كيفَ يضربُ فضربَ مثلًا لنفسِهِ ولِمَن عُبِدَ دونَهُ فقال:

(٧٥) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ مَثَّلَ ما يُشرَكُ به بالمملوكِ العاجزِ عن التَّصرُّفِ رأسًا، ومثَّلَ نفسَهُ بالحرِّ المالكِ الذي رزقَهُ اللهُ مالًا كثيرًا فهو يَتصرَّفُ فيه وينفقُ مِنه كيفَ شاء، واحتجَّ بامتناعِ الإشراكِ والتَّسويةِ بينَهُما ـ مع تشارُكِهِما في الجنسيَّةِ والمَخلوقيَّةِ ـ على امتناعِ التَّسوِيَةِ بين الأَصنامِ التي هي أعجَزُ المَخلوقاتِ وبين اللهِ الغَنِيِّ القَادرِ على الإطلاقِ.

وقيل: هو تمثيلٌ للكَافرِ المَخذولِ والمؤمنِ الموفَّقِ، وتقييدُ العبدِ بالمَملوكِ للتَّمييزِ مِن الحرِّ، فإنَّه أَيْضًا عبدُ اللهِ، وبسَلْبِ القدرةِ للتَّمييزِ عَن المُكاتَبِ والمَأذونِ، وجعلُهُ قسيمًا للمالكِ المُتصرِّفِ يدلُّ على أنَّ المملوكَ لا يَملِكُ.

والأظهَرُ أنَّ (مَن) مَوصوفةٌ ليطابقَ ﴿عَبْدًا﴾، وجمعُ الضَّميرِ في ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ لأنَّه للجِنسينِ، فإنَّ المَعنى: هَلْ يَستَوِي الأحرارُ والعَبيدُ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلُّ الحمدِ له لا يَستحقُّهُ غيرُه فضلًا عن العبادةِ؛ لأنَّه مُولي النِّعَمِ كُلِّها.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفونَ نِعمَهُ إلى غيرِه ويعبدونَه لأجلِها.

(٧٦) - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: وُلدَ أخرَسَ لا يَفهَمُ ولا يُفهِمُ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِن الصَّنائعِ والتَّدابيرِ لنُقصانِ عَقلِه.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: عيالٌ وثِقْلٌ على مَن يَلِي أمرَه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ حيثُما يُرسِلْه مولاهُ في أمرٍ، وقُرِئَ: (يُوَجَّهْ) على البناء للمفعول[1].

و: (يُوَجِّهْ)[2] بمعنى: يَتوَجَّهْ، كقوله: أينَما أُوَجِّهْ ألقَ سَعْداً[3].

---

(١) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧)، و«المحتسب» (٢/ ١٠).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧)، و«المحتسب» (٢/ ١٠)، عن ابن مسعود وعلقمة ويحيى ومجاهد وطلحة.

(٣) قوله: «أينما أوجه ألق سعداً» قال الطيبي في «فتوح الغيب» (٩/ ١٦٩): يُضربُ لمن يتلقى الشرَّ أيةَ سَلَك، وعن بعضٍ: أصله أن أضبطَ كان سيدَ قومه، فأصابه منهم جفوةٌ، فارتحل عنهم إلى آخرين، فرآهم يصنعون بساداتهم مثلَ صنيع قومه، فقال: «أينما أوجِّهْ ألقَ سعداً»، وسعدٌ كان شرِّيراً. وانظر: «أمثال العرب» للضبي (ص: ٥٠).

و: (تَوَجَّهَ) بلفظِ الماضي[١].

﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: بِنُجْحٍ وكِفايةِ مُهِمٍّ.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: ومَن هو فَهِمٌ مِنْطِيقٌ ذو كِفايَةٍ ورشدٍ، ينفَعُ النَّاسَ بحثِّهِم على العَدلِ الشَّاملِ لِمَجامِعِ الفَضائلِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو في نَفسِه على طَريقٍ مُستقيمٍ، لا يتوجَّهُ إلى مطلبٍ إلَّا ويبلغُه بأقربِ سَعيٍ.

وإنَّما قابلَ تلك الصِّفاتِ بهذينِ الوَصفينِ لأنَّهُما كمالُ ما يُقابِلُهما.

وهذا تَمثيلٌ ثانٍ ضربَهُ اللهُ لنَفسِهِ وللأصنامِ لإبطالِ المُشاركَةِ بينَهُ وبينَها، أو للمُؤمنِ والكافرِ.

(٧٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يختصُّ به علمُه لا يعلمُهُ غيرُه، وهو ما غابَ فيهما عَن العبادِ بأنْ لم يَكُن محسوسًا ولم يدلَّ عليه محسوسٌ.

وقيل: يومُ القيامةِ، فإنَّ عِلمَهُ غائبٌ عَن أهلِ السَّماوات والأرضِ.

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾: وما أمرُ قيامِ القيامةِ في سُرعَتِه وسُهولَتِه ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾: إلا كرجعِ الطَّرْفِ مِن أَعلى الحَدقة إلى أَسفَلِها ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: أو أمرُها أقرَبُ منه بأَنْ يكونَ في زَمانٍ نصفِ تلك الحركةِ، بل والآنِ الذي تَبتدِئُ فيه، فإنَّه تعالى يُحيِي الخلائقَ دفعةً، وما يوجدُ دفعةً كان في آنٍ.

و(أو) للتَّخييرِ، أو بمعنى: بل.

وقيل: معناه: إنَّ قيامَ السَّاعةِ وإنْ تراخَى فهو عندَ اللهِ كالشَّيءِ الذي يقولون فيه: (هو كلَمحِ البَصرِ أو هو أقرَبُ) مبالغةً في استِقرابِه.

---

(١) نسبت لابن عمير. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٧٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدرُ أَنْ يُحيِيَ الخَلائقَ دفعةً كما قَدَرَ أنْ أحياهم مُتدرِّجًا، ثمَّ دلَّ على قُدرَتِه فقال:

(٧٨) - ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ وقرأ الكِسائيُّ بكسرِ الهمزةِ على أنَّه لُغَةٌ أو إتْباعٌ لِمَا قبلَها، وحمزةُ بكسرِها وكسرِ الميمِ[1]. والهاءُ مَزيدَةٌ مِثلُها في: أَهْرَاقَ.

﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾: جُهَّالًا مُستَصحِبينَ جهلَ الجَمادِيَّةِ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ أداةً تتعلَّمونَ بها، فتحسُّونَ بمَشاعِرِكُم جُزئيَّاتِ الأشياءِ فتُدرِكُونَها، ثمَّ تَتنبَّهونَ بقُلوبِكُم بمُشاركاتٍ ومُبايناتٍ بينها بتكرارِ الإحساسِ حتَّى تَتحصَّلَ لَكُم العُلومُ البَديهيَّةُ وتَتمكَّنُوا مِن تَحصيلِ المَعالمِ الكَسْبِيَّةِ بالنَّظرِ فيها.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: كي تَعْرِفُوا ما أنعَمَ عَلَيكُم طَوْرًا بعدَ طَوْرٍ فتَشكُرُونَه.

(٧٩) - ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ قرأَهُ ابنُ عامرٍ وحمزةُ ويَعقوبُ بالتَّاءِ[2] عَلى أنَّه خِطابٌ للعامَّةِ.

﴿مُسَخَّرَٰتٖ﴾: مُذلَّلاتٍ للطَّيرانِ بما خلقَ لَها مِن الأَجنِحَةِ والأَسبابِ المُواتيَةِ له ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: في الهواءِ المُتباعدِ مِن الأَرضِ ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنَّ ثقلَ جَسدِها يَقتَضِي سُقوطَها[3]، ولا علاقةَ فوقَها ولا دعامَةَ تحتَها تُمسِكُها.

---

(١) كَسَرهما حمزة في الوصل، والكسائيُّ يكسر الهمزة في الوصل ويفتح الميم، والباقون يضمون الهمزة ويفتحون الميم في الحالين، والابتداء للجميع بضم الهمزة وفتح الميم. انظر: «التيسير» (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٣) في نسخة التفتازاني: «السقوط»، وفي نسخة الخيالي: «سقوطاً»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: تسخيرِ الطَّيرِ للطَّيرانِ بأنْ خلقَها خِلقةً يمكنُ معها الطَّيرانُ، وخَلقِ الجوِّ بحيثُ يُمكِنُ الطَّيرانُ فيه، وإمساكِها في الهواءِ على خلافِ طَبعِها ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّهم هُم المنتفعونَ بها.

(٨٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: مَوضِعًا تَسكنونَ فيه وقتَ إقامَتِكُم، كالبيوتِ المُتَّخَذةِ مِن الحجرِ والمَدَرِ، فَعَلٌ بمَعنى مَفعولٍ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ هي القِبابُ المتَّخَذةُ مِن الأَدَمِ، ويجوزُ أن يتناولَ المتَّخَذةَ مِن الوَبَرِ والصُّوفِ والشعرِ، فإنَّها مِن حيثُ إنَّها نابتةٌ على جلودِها يَصْدُقُ عليها أنَّها مِن جلودِها.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تَجِدونَها خفيفةً يَخِفُّ عليكُم حملُها ونَقلُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: وقتَ ترحالِكُم، ووضعُها أو ضربُها ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: وقتَ الحضرِ أو النُّزولِ.

وقرأَ الحِجازيَّانِ والبصريَّان: ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُم﴾ بالفتحِ[1]، وهو لغةٌ.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ الصُّوفُ للضَّائنَةِ، والوبرُ للإبلِ، والشَّعرُ للمعزِ، وإضافتُها إلى ضميرِ ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ لأنَّها مِن جُملتِها.

﴿أَثَٰثًا﴾: ما يُلبَسُ ويُفرَشُ ﴿وَمَتَٰعًا﴾: ما يُتَّجَرُ به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى مُدَّةٍ مِن الزَّمانِ؛ فإنَّها لصَلابَتِها تَبقى مُدَّةً مَديدةً، أو: إلى حينِ مماتِكُم، أو: إلى أن تَقْضوا منه أوطارَكُم.

(٨١) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: مِن الشَّجرِ والجبَلِ والأَبنِيَةِ وغيرِها ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتفيَّؤونَ به حرَّ الشَّمسِ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: مواضِعَ تَسكنونَ فيها؛ مِن الكُهوفِ والبُيوتِ المنحوتَةِ فيها، جمعُ كِنٍّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤). والحجازيان: نافع المدني وابن كثير المكي، والبصريان: أبو عمرو ويعقوب.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: ثيابًا مِن الصُّوفِ والكَتَّانِ والقطنِ وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ خصَّهُ بالذِّكرِ اكتفاءً بأحدِ الضِّدَّينِ، أو لأنَّ وقايةَ الحرِّ كانَتْ أهمَّ عندَهُم.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني: الدُّروعَ والجَواشِنَ، والسِّربالُ يَعُمُّ كلَّ ما يُلبَسُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإتمامِ هذه النِّعَمِ التي تقدَّمَتْ ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾؛ أي: تَنظرونَ في نِعَمِه فتؤمِنونَ به، أو: تنقادونَ لحُكْمِه.

وقرئ: (تَسْلَمون) مِن السَّلامَةِ[1]؛ أي: تشكرونَ فتَسلمونَ مِن العَذابِ، أو: تنظرونَ فيها فتَسلَمُونَ مِن الشِّركِ، وقيل: تَسْلَمونَ مِن الجراحِ بلبسِ الدُّروعِ.

(٨٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرَضُوا ولَمْ يَقبَلُوا مِنكَ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ فلا يَضرُّكَ، فإنَّما عليك البَلاغُ وقد بلَّغتَ، وهذا مِن إقامَةِ السَّببِ مُقامَ المُسبَّبِ.

(٨٣) ـ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يعرِفُ المُشرِكُونَ نعمَهُ التي عدَّدَها علَيْهِم وغيرَها حيثُ يَعترِفُونَ بها وبأنَّها مِن اللهِ ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بعبادَتِهم غيرَ المنعِمِ بها، وقولِهم: إنَّها بشَفاعةِ آلهتِنا، أو بسببِ كذا، أو بإعراضِهم عَن أداءِ حُقوقِها.

وقيل: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: نبوَّةَ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، عرفُوها بالمُعجزاتِ ثمَّ أَنكَرُوها عنادًا، ومَعنى ﴿ثُمَّ﴾: استبعادُ الإنكارِ بعدَ المعرِفَةِ.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الجاحدونَ عِنادًا، وذكرَ الأكثَرَ: إمَّا لأنَّ بعضَهُم لم يعرِفِ الحقَّ لنُقصانِ العقلِ أو التَّفريطِ في النَّظرِ، أو لم تَقُمْ عليه الحجَّةُ لأنَّه لم يبلُغْ حدَّ التَّكليفِ، وإمَّا لأنَّه مُقامٌ مُقامَ الكلِّ كما في قولِه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن ابن عباس.

(٨٤) ـ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو نَبيُّهَا يشهَدُ لَهُم وعليهِمْ بالإيمانِ والكُفرِ.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذارِ إذ لا عُذرَ لَهُم، وقيل: في الرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

و﴿ثُمَّ﴾ لزيادةِ ما يَحيقُ بهم مِن شدَّةِ المنعِ عَن الاعتذارِ لِمَا فيه مِن الإقناطِ الكُليِّ على ما يُـمْنَوْنَ بِهِ[1] مِن شهادَةِ الأنبياءِ عليهِم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هُم يُسْتَرضونَ. مِن العُتبَى وهي الرِّضَا.

وانتصابُ ﴿يومَ﴾ بمَحذوفٍ تقديرُهُ: اذكُرْ، أو: خوِّفْهُم، أو: يَحيقُ بهم ما يَحيقُ، وكذا قولُه:

(٨٥) ـ ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ عذابَ جهنَّم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: العذابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهَلُون.

(٨٦) ـ ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ ﴾: أوثانَهُم التي دَعَوْها شُركاءَ، أو الشَّياطينَ الذين شارَكُوهُم في الكفرِ بالحملِ عليه.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾: نَعبُدُهم، أو: نُطيعُهُم، وهو اعترافٌ بأَنَّهُم كانوا مُخطئينَ في ذلك، أو التماسٌ بأن يُشطَّرَ عذابُهُم.

﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: أجابوهُم بالتَّكذيبِ في أَنَّهُم شُركاءُ اللهِ، أو أَنَّهُم عَبَدُوهم حقيقةً، وإِنَّما عَبَدوا أهواءَهُم، كقولِه: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ [مريم: ٨٢]، ولا يمتَنِعُ إنطاقُ الأصنامِ به حينئذٍ، أو: في أَنَّهُم حملوهُم[2]

---

(١) قوله: «على ما يُمْنَون به» متعلق بـ«زيادة» في قوله: «لزيادة ما يحيق بهم»، و«يمنون» مبني للمجهول. «حاشية الشهاب».

(٢) قوله: «أو في أنهم حملوهم» معطوف على «في أنهم شركاء..». انظر: «حاشية القونوي» (١١/ ٣٥٨).

على الكفرِ وألزَمُوهُم إيَّاه، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(٨٧) ـ ﴿وَأَلْقَوْا﴾: وألقَى الذين ظلَمُوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلامَ لحُكمِه بعدَ الاستكبارِ في الدُّنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاعَ عَنْهُم وبطلَ ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مِن أنَّ آلِهَتَهُم يَنصُرونَهُم ويَشفعونَ لَهُم حينَ كَذَّبُوهم وتَبرَّؤُوا منهم.

(٨٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالمنعِ عَنِ الإسلامِ والحملِ على الكُفرِ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ لصَدِّهِم ﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ المستحَقِّ بكُفرِهِم ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾: بكونِهِم مُفسدينَ بصَدِّهِم.

(٨٩) ـ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيَّهُم، فإنَّ نبيَّ كلِّ أمَّةٍ بُعِثَ مِنهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمَّد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: على أمَّتِكَ.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ﴾ استئنافٌ، أو حالٌ بإضمارِ (قد) ﴿تِبْيَانًا﴾: بيانًا بليغًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن أُمورِ الدِّينِ على التَّفصيلِ، أو الإجمالِ بالإحالةِ إلى السُّنَّةِ أو القياسِ.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميعِ، وإنَّما حِرمانُ المَحرومِ مِن تَفريطِه، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصَّةً.

(٩٠) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: بالتوسُّطِ في الأُمورِ: اعتقادًا كالتَّوحيدِ المُتوسِّطِ بين التَّعطيلِ والتَّشريكِ، والقولِ بالكسبِ المتوسِّطِ بينَ محضِ الجَبرِ والقَدَرِ، وعَمَلًا كالتَّعبُّدِ بأداءِ الواجباتِ المتوسِّطِ بين البطالةِ والترهُّبِ، وخُلُقًا كالجُودِ المتوسِّطِ بين البُخلِ والتَّبذيرِ.

﴿وَٱلْإِحْسَانِ﴾: إحسانِ الطَّاعاتِ، وهو إمَّا بحسبِ الكميَّةِ كالتَّطوُّعِ بالنَّوافلِ،

أو بحسبِ الكيفيَّةِ كما قال عليه السَّلام: «الإحسانُ أَنْ تَعبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراه، فإنْ لَمْ تَكُن تَراهُ فإنَّهُ يَراكَ»[1].

﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وإعطاءِ الأقاربِ ما يحتاجونَ إليه، وهو تخصيصٌ بعدَ تعميمٍ للمُبالغَةِ.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: عن الإفراطِ في مُشايعَةِ القُوَّةِ الشَّهْويَّةِ كالزِّنَا، فإنَّه أقبَحُ أحوالِ الإنسانِ وأشنَعُها.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما ينكَرُ على مُتعاطيهِ في إثارةِ القُوَّةِ الغَضبيَّةِ.

﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: والاستعلاءِ والاستيلاءِ على النَّاسِ والتَّجبُّرِ عليهِم، فإنَّها الشَّيطنَةُ التي هي مُقتَضى القوَّةِ الوَهميَّةِ.

ولا يوجَدُ مِن الإنسانِ شَرٌّ إلَّا وهو مُندَرِجٌ في هذه الأَقسامِ صادِرٌ بتَوسُّطِ إحدى هذه القُوَى الثَّلاثِ، ولذلك قال ابنُ مَسعودٍ: هي أجمَعُ آيةٍ في القرآنِ للخَيرِ والشرِّ[2].

وصارَتْ سببَ إسلامِ عُثمانَ بنَ مَظعون[3].

ولو لم يَكُن في القُرآنِ غيرُ هذه الآيةِ لصَدَقَ عليه أنَّه تِبيانٌ لكلِّ شَيءٍ وهُدًى ورحمَةٌ للعَالَمين، ولعلَّ إيرادَها عقيبَ قولِه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ للتَّنبيهِ عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٢٢)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمرِ والنَّهيِ والميزِ بينَ الخيرِ والشرِّ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَّعِظونَ.

(٩١) ـ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ يعني: البيعةَ لرسولِ اللهِ على الإسلامِ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

وقيل: كلَّ[١] أمرٍ يجبُ الوَفاءُ به. ولا يلائمُه قولُه: ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾.

وقيل: النَّذرَ، وقيل: الأَيمانَ باللهِ.

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾: أيمانَ البَيْعةِ، أو مُطلَقَ الأَيمانِ ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: توثيقِها بذكرِ اللهِ تعالى، ومنه: (أكَّدَ) بقلبِ الواوِ همزةً.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهدًا بتلكَ البيعَةِ، فإنَّ الكَفيلَ مُراعٍ لحالِ المَكفولِ به رَقيبٌ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ في نَقضِ الأَيمانِ والعُهودِ.

(٩٢) ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ما غَزَلَتْه، مصدرٌ بمَعنى مَفعولٍ ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿نَقَضَتْ﴾؛ أي: نقضَتْ غزلَها مِن بعدِ إبرامٍ وإحكامٍ ﴿أَنكَاثًا﴾: طاقاتٍ نُكِثَ فتْلُها، جمعُ نِكْثٍ، وانتصابُه على الحالِ مِن ﴿غَزْلَهَا﴾ أو المفعولِ الثَّاني لـ﴿نَقَضَتْ﴾ فإنَّه بمعنى: صَيَّرَت.

والمرادُ به: تَشبيهُ النَّاقضِ بمَن هذا شَأنُهُ، وقيل بـ: رَيْطَةَ بنتِ سعدِ بنِ تَيْمٍ القُرَشيَّةِ؛ فإنَّها كانَتْ خرقاءَ تفعَلُ ذلك[٢].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾، أو في الجارِّ الواقعِ موقِعَ الخبرِ؛ أي: لا تكونوا مُتشبِّهينَ بامرأةٍ هذا شأنُها مُتَّخذي

---

(١) بنصبِ (كلَّ)، وكذا (النذر) و(الأيمان)، ويجوزُ رفعُها. قاله الخفاجي في «الحاشية».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٩)، عن الكلبي ومقاتل.

أيمانِكُـم مَفسـدَةً ودَخَـلًا بينكُم، وأصـلُ الدَّخَـلِ: ما يَدخلُ الشَّـيءَ ولَـمْ يَكُن مِنه.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ بأنْ تكونَ جماعةٌ أزيَدَ عَددًا وأوفَرَ مالًا من جماعةٍ.

والمعنى: لا تَغدِروا بقومٍ لكثرَتِكُم وقِلَّتِهِم، أو لكثرةِ مُنابذِيهِم وقوَّتِهم؛ كقُريشٍ، فإنَّهُم كانوا إذا رأَوا شوكةً في أعادِي حُلَفَائِهِم نَقَضُوا عهدَهُم وحالَفُوا أعداءَهُم.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ الضَّميرُ لـ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ لأنَّه بمعنى المصدَرِ؛ أي: يختبرُكُم بكَونِهِم أَرْبَى لينظُرَ: أتتَمَسَّكُونَ بحبلِ الوَفاءِ بعَهدِ اللهِ وبَيعَةِ رَسولِه، أَمْ تَغترُّونَ بكَثرَةِ قُرَيشٍ وشَوكَتِهِم وقِلَّةِ المُؤمنينَ وضَعفِهِم؟

وقيل: الضَّميرُ للرُّبوِّ، وقيل: للأمرِ بالوَفاءِ.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أَعمالِكُم بالثَّوابِ والعِقاب.

(٩٣) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مُتفقَةً على الإسلامِ ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلانِ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتَّوفيقِ ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سؤالَ تَبكيتٍ ومُجازاةٍ.

(٩٤) ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ تَصريحٌ بالنَّهيِ عنه بعدَ التَّضمينِ تأكيدًا ومُبالغَةً في قُبحِ المنهيِّ ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾؛ أي: عن محجَّةِ الإسلامِ ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها، والمرادُ: أقدامُهُم، وإنَّما وَحَّدَ ونكَّرَ للدَّلالةِ على أنَّ زللَ قَدمٍ واحدَةٍ عظيمٌ، فكيفَ بأَقدامٍ كَثيرَةٍ.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: العـذابَ فـي الدُّنيـا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بسـببِ صُدودِكُـم عَـن الوَفـاءِ، أو: صَدِّكُـم غيرَكُم عنه، فـإنَّ مَن نقـضَ البَيعـةَ وارتَدَّ جعلَ ذلـك سُـنَّةً لغيرِه.

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرةِ.

(٩٥) ـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ولا تستبدِلُوا عهدَ اللهِ وبيعةَ رَسولِه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عِوَضًا يَسيرًا، وهو ما كانَتْ قُرَيشٌ يَعِدُونَ لضعافِ المُسلمينَ ويَشترطونَ لهم على الارتدادِ.

﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِن النَّصرِ والتَّغنيمِ في الدُّنيا والثَّوابِ في الآخرةِ ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما يَعِدُونكُم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن كُنتُم مِن أَهلِ العلمِ والتَّمييزِ.

(٩٦) ـ ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ مِن أعراضِ الدُّنيا ﴿يَنفَدُ﴾: ينقَضِي ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِن خَزائنِ رَحمَتِه ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفَدُ، وهو تَعليلُ الحكمِ السَّابقِ، ودليلٌ على أنَّ نعيمَ أهلِ الجنَّةِ باقٍ.

﴿وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم﴾ على الفاقةِ وأذى الكُفَّارِ، أو على مشاقِّ التَّكاليفِ. وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون[1].

﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بما تَرَجَّحُ فِعلُهُ من أعمالهم كالواجباتِ والمندوباتِ[2]، أو بجزاءِ أحسنَ مِن أعمالِهم.

(٩٧) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيَّنَه بالنَّوعينِ دَفْعًا للتَّخصيصِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ لا اعتدادَ بأعمالِ الكَفَرةِ في استحقاقِ الثَّوابِ، وإنَّما المُتوقَّعُ عليها تخفيفُ العقابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٢) قوله: «بما ترجح فعله...» لما كان ظاهر النظم أنهم لا يجازون على الحسن منها أوّله بأنّ المراد بالأحسن ما ترجَّح فعله على تركه، فيشمل الواجبَ والمندوبَ، والحسنُ هو المباح فإنه لا يثاب عليه. انظر: «حاشية الشهاب».

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ في الدُّنيا يعيشُ عَيْشًا طَيِّبًا، فإنَّه إن كان مُوسرًا فظاهرٌ، وإن كان مُعسِرًا كان يطيبُ عَيشُه بالقَناعةِ والرِّضا بالقسمةِ وتوقُّعِ الأجرِ العظيمِ في الآخرةِ، بخلافِ الكافرِ فإنَّه إن كانَ مُعسرًا فظاهرٌ، وإن كانَ مُوسرًا لم يَدَعِ الحرصُ وخوفُ الفواتِ أن يَتهنَّأَ بعَيشِهِ، وقيل: في الآخرةِ.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن الطَّاعةِ.

(٩٨) ـ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: إذا أردتَ قِراءتَهُ، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: فاسأَل اللهَ أَنْ يُعيذَكَ مِن وَساوِسِهِ لئلَّا يُوَسوِسَكَ في القراءةِ.

والجمهورُ على أنَّه للاستحبابِ، وفيه دليلٌ على أنَّ المُصلِّيَ يَستعيذُ في كلِّ ركعَةٍ؛ لأنَّ الحكمَ المرتَّبَ على شرطٍ يَتكرَّرُ بتكرُّرِه قياسًا، وتعقيبُه لذكرِ العَملِ الصَّالحِ والوعدِ عليه إيذانٌ بأَنَّ الاستعاذةَ عندَ القراءةِ مِن هذا القَبيلِ.

وعن ابنِ مَسعودٍ: قرأتُ على رَسولِ اللهِ ﷺ فقلتُ: أعوذُ بالسَّميعِ العَليمِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، فقال: «قل: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، هكذا أقرأنيهِ جِبريلُ عَن القَلمِ عَن اللوحِ المَحفوظِ»[1].

(٩٩) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تَسلُّطٌ وولايةٌ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ على أَولياءِ الله المؤمنينَ بهِ والمتوكِّلينَ عليه، فإنَّهم لا يُطيعونَ أوامِرَه

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٢ ـ ١٢٣) مسلسلًا، وعنه تلميذه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٨٣ ـ ٨٤)، ورواه أيضاً ابن الجوزي في «المسلسلات» (١٩).

وقد وردت الاستعاذة بهذه الصيغة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» في عدة أحاديث منها حديث أبي سعيد عند أبي داود (٧٧٥) والترمذي (٢٤٢)، وحديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود (٧٨٥)، وحديث معقل بن يسار عند الترمذي (٢٩٢٢).

ولا يَقبلونَ وَساوِسَهُ إلَّا فيما يحتقرونَ على ندورٍ وغفلةٍ، ولذلك أُمِرُوا بالاستعاذةِ، فذكرَ السَّلطنةَ بعدَ الأمرِ بالاستعاذةِ لئلَّا يُتوهَّمَ مِنه أنَّ له سُلطانًا.

(١٠٠) ـ ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾: يُحبُّونَهُ ويُطيعونه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: باللهِ، أو بسببِ الشيطانِ ﴿مُشۡرِكُونَ﴾.

(١٠١) ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنَّسخِ فجَعلنا الآيةَ النَّاسخةَ مكانَ المَنسوخَةِ لفظًا أو حُكمًا ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مِن المَصالح، فلَعلَّ ما يكونُ مَصلحَةً في وَقتٍ يَصيرُ مَفسدَةً بعدَهُ فينسخُه، وما لا يكونُ مَصلحَةً حينئذٍ يكونُ مَصلحَةً الآنَ فيُثبتُهُ مَكانَهُ.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو: ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف[١].

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الكفرةُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍ﴾ مُتَقَوِّلٌ على اللهِ تَأمرُ بشَيءٍ ثمَّ يَبدو لك فتَنْهَى عنه، وهو جوابُ ﴿إذا﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراضٌ لتَوبيخِ الكُفَّارِ على قَولِهم، والتَّنبيهِ على فَسادِ سَنَدِهم، ويَجوزُ أَنْ يكونَ حالًا.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حكمَةَ الأَحكامِ ولا يُميِّزونَ الخطأَ مِن الصَّوابِ.

(١٠٢) ـ ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ يعني: جبريلَ، وإضافَةُ الرُّوحِ إلى القدسِ ـ وهو الطُّهرُ ـ كقَولهم: حاتمُ الجودِ. وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿رُوحُ القُدْسِ﴾ بالتخفيف[٢].

وفي ﴿يُنَزِّلُ﴾ و﴿نَزَّلَهُۥ﴾ تنبيهٌ على أنَّ إنزالَهُ مُدرَّجًا على حسبِ المَصالحِ بما[٣] يَقتَضِي التَّبديلَ[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ٧٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» (ص: ٧٤).

(٣) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «مما»، والمثبت من نسخة الخيالي، وانظر التعليق الآتي.

(٤) قوله: «تنبيه على أن إنزاله مدرجاً...» «مدرجاً» بصيغة المفعول؛ أي: بالتدريج، وهو مقابلُ الدفعي، =

﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُلْتَبِسًا بالحِكمَةِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الإيمانِ بأنَّه كلامُه، فإنَّهم إذا سَمِعُوا الناسخَ وتَدبَّرُوا ما فيه مِن رعايةِ الصَّلاحِ والحكمَةِ رسخَتْ عَقائدُهُم واطمأنَّتْ قُلوبُهُم.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادينَ لحُكمِه، وهمَا مَعطوفانِ على مَحلِّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾؛ أي: تثبيتًا وهدايةً وبِشارةً، وفيه تَعريضٌ بحُصولِ أَضدادِ ذلك لغَيرِهِم.

وقُرِئ: (لِيُثْبِتَ) بالتَّخفيفِ[1].

(١٠٣) ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ يعنُون: جَبرًا الرُّومِيَّ غُلامَ عامرِ بنِ الحَضرَمِيِّ[2].

وقيل: جَبرًا ويَسارًا؛ كانا يَصنَعانِ السَّيفَ[3] بمكَّةَ ويَقرآنِ التَّوراةَ والإنجيلَ، كانَ الرَّسولُ عليهِ السَّلامُ يمرُّ عليهِمَا ويَسمَعُ ما يَقرآنِه[4].

= وهو إشارة إلى الفرق بين الإنزال والتنزيل، يعني: أنه لم ينزل دفعة واحدة بل دفعات على حسب المصالح الدينية، والمصالح تختلف باختلاف الأزمان، فكم من شيء يلزم في وقت ويمتنع في آخر، فكونه كذلك مما يؤيد صحة النسخ وحسنه، فلذلك اختار صيغة (نَزَّل) هنا دون (أنزل) لمناسبته لمقتضى المقام، فقوله: «على حسب المصالح» خبر «أن»، و«بما يقتضي» بدل منه أو حال من الضمير المستتر في «مدرّجاً»، و«بما..» خبر، وقوله: «بما» بالباء السببية، وفي نسخة: «مما»، وليس الإنزال التدريجي هنا مخصوصاً بالناسخ والمنسوخ كما قيل، بل شامل له، وقوله: «ملتبساً...» إشارة إلى أنّ الباء للملابسة، وأنّ الحق بمعنى الحكمة والصواب المقتضي للتبديل. انظر: «حاشية الشهاب».

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن أبي حيوة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧) عن عبد الله بن كثير.

(٣) الأولى: (السيوف) كما في «الكشّافِ» (٤/ ٥٩٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٨)، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي.

وقيل: عائشًا ـ أو: يعيشَ ـ غلامَ حُوَيطبِ بنِ عبدِ العُزَّى، قد أسلَمَ وكان صاحبَ كتبٍ[1].

وقيل: سلمانَ الفارسيَّ[2].

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾: لغَةُ الرَّجلِ الذي يُميلونَ قولَهُم عن الاستقامةِ إليه، مأخوذٌ مِن لحدِ القبرِ ـ وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿يَلْحَدون﴾ بفتحِ الياءِ[3] ـ لسانٌ أعجمِيٌّ غيرُ بَيِّنٍ.

﴿وَهَـٰذَا﴾: وهذا القُرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيانٍ وفَصاحَةٍ.

والجملتانِ مُستأنفَتَانِ لإبطالِ طَعْنِهِم، وتَقريرُهُ يَحتَمِلُ وَجهَيْنِ:

أحدُهُما: أنَّ ما يَسمَعُه منه كلامٌ أعجمِيٌّ لا يَفهَمُه هو ولا أَنتُم، والقُرآنُ عَربيٌّ تَفهَمُونَه بأَدْنى تأمُّلٍ، فكيفَ يكونُ ما تَلقَّفَه منه؟

وثانيهِمَا: هَبْ أنَّه تعلَّمَ مِنْهُ المَعنى باستِماعِ كَلامِه، لكِنْ لم يتلقَّف منه اللفظَ؛ لأنَّ ذاكَ أَعجَمِيٌّ وهذا عَرَبيٌّ، والقُرآن كما هو مُعجِزٌ باعتبارِ المَعنى فهو مُعجِزٌ مِن حيثُ اللَّفظُ، مع أنَّ العُلومَ الكَثيرةَ التي في القرآنِ لا يُمكِنُ تَعلُّمُها إلَّا بمُلازَمَةِ مُعلِّمٍ فائقٍ في تلكَ العُلومِ مُدَّةً مُتطاوِلَةً، فكيفَ تَعلَّمَ جميعَ ذلك مِن غُلامٍ سوقِيٍّ سمعَ منه بعضَ أوقاتِ مرورِه عليه كُلَيْمَاتٍ أَعجميَّةً لعلَّهُما لم يَعرِفَا مَعناها.

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١١٣)، والزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن عكرمة وقتادة. واقتصرا في اسمه على: «يعيش».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٨) عن الضحاك.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

وطعنُهُم في القُرآنِ بأَمثالِ هذه الكَلِماتِ الرَّكيكةِ دليلٌ على غايَةِ عجزِهِم.

(١٠٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يُصَدِّقُونَ أنَّها مِن عندِ الله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ إلى الحقِّ أو إلى سبيلِ النَّجاةِ، وقيل: إلى الجنَّةِ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرةِ، هدَّدَهُم على كُفرِهِم بالقُرآنِ بعدَما أماطَ شُبهَهُم ورَدَّ طَعْنَهُم فيه، ثمَّ قلَبَ[1] الأمرَ عليهِم فقال:

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّهُم لا يخافونَ عقابًا يردَعُهُم عنه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الذينَ كَفَرُوا، أو إلى قُريشٍ ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: الكاذبونَ على الحَقيقَةِ، أو: الكامِلونَ في الكَذِبِ؛ لأنَّ تَكذيبَ آياتِ اللهِ والطَّعنَ فيها بهذه الخُرافاتِ أعظَمُ الكَذبِ، أو: الذين عادَتُهُم الكَذِبُ لا يَصرِفُهُم عنه دينٌ ولا مُروءَةٌ، أو: الكاذبونَ في قَولِهِم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾، ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾.

(١٠٦) ـ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ، أو مِن ﴿أولئك﴾، أو مِن ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، أو مبتدأٌ خبرُهُ مَحذوفٌ دلَّ عليهِ قولُه: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾، ويجوزُ أَنْ ينتصبَ بالذَّمِّ، وأن تكونَ ﴿مَن﴾ شرطيَّةً مَحذوفَةَ الجَوابِ.

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على الافتراءِ، أو كلمةِ الكُفرِ، استثناءٌ مُتَّصِلٌ؛ لأنَّ الكُفرَ لُغَةً يَعمُّ القَولَ والعقدَ كالإيمانِ.

﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لم تتغيَّرْ عَقِيدَتُه، وفيه دَليلٌ على أنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ بالقَلبِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «ثم غلَّط».

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: اعتقدَهُ وطابَ بهِ نفسًا ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إذ لا أعظمَ مِن جُرمِه.

رُوِيَ: أنَّ قُرَيْشًا أكْرَهُوا عَمَّارًا وأبويهِ ياسرًا وسُمَيَّةَ على الارتدادِ، فرَبَطُوا سُمَيَّةَ بينَ بَعِيرَيْنِ ووُجِئَ بحربةٍ في قُبُلِها وقالوا: إنَّكِ أسلَمْتِ مِن أجلِ الرِّجالِ! فقُتِلَتْ، وقَتَلُوا ياسِرًا، وهمَا أوَّلُ قَتِيلَيْنِ في الإسلامِ، وأعطاهُمْ عمَّارٌ بلسانِهِ ما أرادُوا مُكرَهًا فقيل: يا رسولَ اللهِ! إنَّ عمارًا كفَرَ! فقال: «كلا، إنَّ عمارًا مُلِئَ إيمانًا مِن قَرْنِهِ إلى قدمِهِ، واختلَطَ الإيمانُ بلَحمِهِ ودَمِهِ»، فأتى عمارٌ رَسولَ اللهِ ﷺ وهو يَبْكِي، فجَعلَ رسولُ اللهِ يمسَحُ عَينيهِ وقال: «ما لك؟ إن عادوا لكَ فعُدْ لَهُم بما قلتَ»[1].

وهو دليلٌ على جَوازِ التَّكلُّمِ بالكُفرِ عندَ الإكراهِ، وإن كانَ الأفضَلُ أن يتجنبَ عنه إعزازًا للدِّينِ كما فعلَهُ أبواه؛ لِمَا رُوِيَ أنَّ مُسيلِمَةَ أخذَ رَجُلَينِ فقال لأحدِهِما: ما تقولُ في مُحمَّدٍ؟ قال: رسولُ الله، قال: فما تقولُ فيَّ؟ فقال: أنتَ أيضًا، فخلَّاه، وقال للآخر: ما تقولُ في مُحمَّدٍ؟ قال: رسولُ اللهِ، فقال: ما تقولُ فيَّ؟ قال: أنا أصَمُّ،

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٥ ـ ١٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند.
وروى يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٤)، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذَّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبيُّ ﷺ: «فإنْ عادُوا فَعُدْ». قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٢): وهو مرسل ورجاله ثقات.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، وصححه، وقال الحافظ: وهو مرسل أيضاً، وأخرج الطبري [في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)] من طريق عطية العوفي عن ابن عباس نحوه مطولاً وفي سنده ضعف.

فأعادَ عليه ثلاثًا فأعادَ جوابَهُ فقتَلَه، فبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «أمَّا الأوَّلُ فقَدْ أخذَ برُخْصَةِ اللهِ، وأمَّا الثَّاني فقَدْ صَدَعَ بالحقِّ فهنيئًا له»[1].

(١٠٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكُفرِ بعدَ الإيمانِ، أو الوعيدِ ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: بسببِ أنَّهم آثَرُوها علَيْها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾؛ أي: الكافرينَ في عِلْمِه إلى ما يوجِبُ ثباتَ الإيمانِ ولا يَعصِمُهُم عَن الزَّيغِ.

(١٠٨) ـ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فأبَتْ عَن إدراكِ الحقِّ والتَّأمُّلِ فيه ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: الكاملونَ في الغَفلَةِ؛ إذ أغفلَتْهُم الحالةُ الرَّاهِنَةُ عَن تدبُّرِ العَواقبِ.

(١٠٩) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ إذ ضَيَّعوا أعمارَهُم وصَرَفُوها فيما أَفْضَى بهِم إلى العذابِ المُخلَّدِ.

(١١٠) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾؛ أي: عُذِّبُوا كعَمَّارٍ بالولايةِ والنَّصرِ، و﴿ثُمَّ﴾ لتَباعُدِ حالِ هؤلاءِ عَن حالِ أولئك.

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿فتَنوا﴾ بالفَتحِ[2]؛ أي: بعدمَا عَذَّبُوا المؤمنينَ كالحَضرميِّ، أكرَهَ مَولاه جَبْرًا حتَّى ارتَدَّ ثمَّ أسلَمَا وهاجَرَا[3].

﴿ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الجهادِ وما أَصابَهُم مِن المَشاقِّ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٣٧). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٢٤) عن معمر قال: (سمعت أن مسيلمة أخذ رجلين...) فذكره.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠) عن مقاتل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: مِن بَعدِ الهِجرةِ والجِهادِ والصَّبرِ ﴿لَغَفُورٞ﴾ لِمَا فَعَلُوا قبلُ ﴿رَّحِيمٞ﴾ يُنعمُ عليهِمْ مُجازاةً على ما صَنَعوا بَعدُ.

(١١١) - ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ﴾ مَنصوبٌ بـ﴿رَّحِيمٞ﴾ أو بـ: اذكر.

﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾: تجادِلُ عَن ذاتِها وتَسْعى في خَلاصِها، لا يُهِمُّها شَأنُ غَيرِها فيَقولُ: نفسي نفسي.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾: جزاءَ ما عَمِلَت ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: لا يُنقصونَ أُجورَهُم.

(١١٢) - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾؛ أي: جعَلَها مثلًا لكلِّ قومٍ أنعمَ اللهُ عليهِم فأبطَرَتْهُم النِّعمَةُ فكفَرُوا فأنزلَ اللهُ بهِم نقمتَهُ، أو: لمكَّةَ.

﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ لا يزعِجُ أهلَها خَوفٌ ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا﴾: أقواتُها ﴿رَغَدٗا﴾: واسِعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ مِن نَواحِيها ﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾: بنِعَمِه، جمعُ نِعْمَةٍ على تَركِ الاعتدادِ بالتَّاءِ، كدِرْعٍ وأَدْرُعٍ، أو جمعُ نُعْمٍ كبُؤْسٍ وأَبْؤُسٍ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ استعارَ الذَّوقَ لإدراكِ أثرِ الضَّررِ، واللِّباسَ لِمَا غَشِيَهُم واشتملَ عليهِمْ مِن الجُوعِ والخَوْفِ، وأوقعَ الإذاقَةَ عليهِ بالنَّظرِ إلى المُستعارِ لَهُ كقولِ كُثَيِّرٍ:

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تَبَسَّمَ ضاحِكًا   غَلِقَتْ لِضحكَتِهِ رِقابُ المَالِ[1]

---

(١) انظر: «ديوان كثير عزة» (ص: ٢٩٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٢ و٣٨)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٩٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٣٢)، و«أمالي القالي» (٢/ ٢٩١)، و«الصحاح» (مادة: غمر).

قوله: «غلقت لضحكته..» يقال: غلق الرهن: إذا استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يُفتكَّ في الوقت المشروط. والبيت في مدح عبد العزيز بن مروان، قال السيرافي في «شرح أبيات إصلاح المنطق» =

فإنَّه استعارَ الرِّداءَ للمَعروفِ؛ لأنَّه يَصونُ عِرْضَ صاحبِهِ صونَ الرِّداءِ لِمَا يُلقَى عليه، وأضافَ إليه الغَمْرَ الذي هو وصفُ المَعروفِ والنَّوالِ، وقد يُنظرُ إلى المُستعارِ، كقولِه:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عمرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بنِ بَكْرِ

لِيَ الشَّطْرُ الذي مَلَكَتْ يَمِينِي ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ[1]

استعارَ الرِّداءَ لِسَيْفِهِ ثمَّ قال: (فاعتَجِرْ) نَظَرًا إلى المُستعَارِ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾: بصَنيعِهِم.

(١١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّدًا صَلواتُ اللهِ عليه، والضَّميرُ لأهلِ مَكَّةَ، عادَ إلى ذكرِهِم بعدَ ما ذكرَ مثَلَهُم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: حالَ التِباسِهِم بالظُّلمِ، والعَذابُ: ما أصابَهُم مِن الجَدْبِ الشَّديدِ وواقعةِ بَدرٍ.

(١١٤) ـ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أمرَهُم بأكلِ ما أحلَّ اللهُ لَهُم وشُكرِ ما أَنعمَ عليهِمْ بعدَما زجرَهُم عَن الكُفرِ وهدَّدَهُم عليهِ بما ذكرَ

= (ص: ٥٣): يقول: إذا ضحك وسُرَّ وهب ماله وفرقه، ومعنى «غلقت»: حصلت للموهوب له، من قولك: غلق الرهن: إذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الراهن.

(١) البيتان دون نسبة في «شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء (ص: ٣٦١)، و«سمط اللآلي» للبكري (١/ ٩٠٥ و٩٣٥)، و«الكشاف» (٤/ ٦٠٨). وذكرهما ابن المظفر الحاتمي في «الرسالة الموضحة» (ص: ١٤٠)، من إنشاد ابن دريد.

قال الطِّيبيُّ: الاعتجارُ لفُّ العمامَةِ على الرَّأسِ، يقول: يُجاذِبُني سَيفي عبدُ عمرو يريدُ أن يأخُذَه مني فقلتُ: رويدَكَ فلي النِّصفُ الأعلى منه الذي هو في يَميني، وخذ أنتَ النِّصفَ الآخرَ فلفَّه على رأسِك. «فتوح الغيب» (٩/ ٢١٢).

مِـن التَّمثيـلِ والعَـذابِ الذي حـلَّ بهِمْ؛ صَـدًّا لَهُم عَـن صَنيـعِ الجاهليَّـةِ ومَذاهِبِها الفاسِدَةِ.

﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: تُطيعونَ، أو: إِنْ صحَّ زَعمُكُم أَنَّكُم تَقصِدُونَ بعِبادَةِ الآلِهَةِ عبادتَه.

(١١٥) ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لـمَّا أمرَهُم بتَناوُلِ ما أحَلَّ لَهُم عدَّدَ عليهِم مُحرَّمَاتِه؛ ليُعلمَ أنَّ ما عَداها حِلٌّ لَهُم، ثمَّ أكَّدَ ذلك بالنَّهيِ عَن التَّحريمِ والتَّحليلِ بأَهوائِهم فقال:

(١١٦) ـ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ كما قالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٩].

ومُقتَضى سِياقِ الكَلامِ وتَصديرِ الجُملَةِ بـ﴿إِنَّما﴾: حَصْرُ المحرماتِ في الأَجناسِ الأَربعَةِ إلا ما ضُمَّ إليه دليلٌ كالسِّباعِ والحُمُرِ الأَهليَّةِ.

وانتصابُ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ﴿لا تَقُولُوا﴾، و﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدلٌ منه، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿تَصِفُ﴾ على إرادةِ القولِ؛ أي: ولا تَقولُوا الكَذِبَ لِمَا تَصِفُه أَلسِنَتُكم فتَقولُ: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، أو مَفعولُ ﴿لا تَقُولُوا﴾ و﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مُنتَصِبٌ بـ﴿تَصِفُ﴾، و(ما) مَصدريَّةٌ[1]؛ أي: ولا تقولوا: هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ لوَصفِ أَلسِنَتِكُم الكَذِبَ؛ أي: لا تُحرِّمُوا ولا تُحَلِّلُوا بمُجرَّدِ قَولٍ تنطقُ به أَلسِنَتُكُم مِن غيرِ دَليلٍ.

---

(١) قوله: «و(ما) مصدرية»؛ أي: على الوجه الأخير، قال الزمخشري: ولك أن تَنْصِبَ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ﴿تَصِفُ﴾ وتَجعَلَ (ما) مصدريةً، وتُعلِّقَ ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بـ(لا تقولوا). انظر: «الكشاف» (٤/ ٦١٠).

ووصفُ ألسنتِهم الكذبَ مُبالغَةٌ في وَصفِ كَلامِهم بالكَذبِ، كأنَّ حقيقةَ الكَذِبِ كانت مَجهولَةً وأَلسِنَتُهُم تَصِفُها وتُعرِّفُها بكلامِهم هذا، ولذلك عُدَّ مِن فَصيحِ الكَلامِ كقولهم: وَجهُهَا يَصِفُ الجمالَ، وعينُها تَصِفُ السِّحرَ.

وقرئَ: (الكَذبِ) بالجرِّ[1] بدلٌ مِن (ما).

و: (الكُذُبُ) جمعُ كذوبٍ بالرَّفعِ[2] صفَةٌ للألسِنَةِ، وبالنَّصبِ[3] على الذمِّ، أو بمَعنى: الكَلِمَ الكواذِبَ، أو هو جمعُ كِذَابٍ.

﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ تعليلٌ لا يتضمَّنُ الغرضَ[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَمَّا كانَ المُفتَري يَفتري لتَحصيلِ مَطلوبٍ نَفَى عَنْهُم الفَلاحَ وبيَّنَه بقولِه:

(١١٧) ـ ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾؛ أي: ما يَفترونَ لأَجلِهِ ـ أو ما هُم فيه ـ مَنفعَةٌ قَليلَةٌ تنقَطِعُ عَن قريبٍ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرَةِ.

(١١٨) ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾؛ أي: في (سورةِ الأنعامِ) في قولِه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿مِن قَبْلُ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿قَصَصْنَا﴾ أو بـ﴿حَرَّمْنَا﴾.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتَّحريمِ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيثُ فَعَلوا ما عوقِبُوا

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) عن الحسن، و«المحتسب» (٢/ ١٢) عن الحسن بخلاف والأعرج وابن يعمر وابن أبي إسحاق وغيرهم.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٢) عن مسلمة بن محارب.

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٢ ـ ١٣) عن يعقوب.

(٤) قوله: «تعليل لا يتضمن الغرض» يعني: أنها لام الصيرورة والعاقبة المستعارة من التعليلية؛ إذ ما صدر منهم ليس لأجل هذا بل لأغراض أخر يترتب عليها ما ذكر. انظر: «حاشية الشهاب».

به عليه، وفيه تَنبيهٌ على الفرقِ بينَهُم وبين غيرِهِم في التَّحريمِ، وأنه كما يكونُ للمضرَّةِ يكونُ للعُقوبَةِ.

(١١٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: بسبَبِها، أو: مُلْتبِسينَ بها لتَعُمَّ الجَهلَ باللهِ وبعقابِه وعدمَ التَّدبرِ في العواقبِ لغلبَةِ الشَّهوةِ، والسُّوءُ يَعُمُّ الافتراءَ على اللهِ وغيرَه[1].

﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: مِن بعدِ التَّوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السُّوءِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيبُ على الإنابَةِ.

(١٢٠) ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ لكَمالِه واستجماعِه فضائلَ لا تكادُ توجَدُ إلَّا مُفرَّقَةً في أشخاصٍ كثيرةٍ، كقولِه:

وَلَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[2]

وهو رئيسُ المُوَحِّدينَ وقُدوَةُ المُحقِّقينَ، جادلَ فِرقَ المُشركينَ، وأبطلَ مَذاهِبَهُم الزَّائغةَ بالحُجَجِ الدَّامِغةِ، ولذلك عقَّبَ ذِكرَهُ بتَزييفِ مَذاهبِ المُشركينَ مِن الشِّركِ والطَّعنِ في النبوَّةِ وتحريمِ ما أحلَّه.

أو: لأنَّه كانَ وحدَهُ مُؤمِنًا، وكان سائرُ النَّاسِ كُفَّارًا.

---

(١) قوله: «بسببها» فالباء للسببية، والمراد بالجهالة: السببُ الحامل لهم على العمل كالغيرة الجاهلية الحاملة على القتل وغيرِ ذلك، وقوله: «أو ملتبسين» فهي للملابسة، وقوله: «لتعم الجهل بالله وعقابه» متعلق بتقدير «ملتبسين» تعليل له؛ و«عدم التدبر» بالنصب معطوف على «الجهل»، و«لغلبة الشهوة» متعلق بـ«ملتبسين»، وقيل: بقوله: ﴿عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ﴾ و«غيره» منصوب معطوف على «الافتراء». انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) البيت لأبي نواس مِن أبياتٍ يمدحُ بها الفضلَ بن الرَّبيعِ. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٨)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٨١٥)، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص: ٢١٦).

وقيل: هي فُعْلَةٌ بمَعنى مَفعولٍ، كالرُّحْلَةِ والنُّخبَةِ، مِن أَمَّه: إذا قَصدَهُ أو اقتَدَى به، فإنَّ النَّاسَ كانوا يَؤمُّونَهُ للاستفادةِ ويَقتدونَ بسِيرَتِه؛ لقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾: مُطيعًا له قائمًا بأوامرِه ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الباطلِ.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما زَعَمُوا، فإنَّ قُرَيشًا كانوا يزعمونَ أنَّهُم على مِلَّةِ إبراهيمَ.

(١٢١) - ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ ذُكرَ بلفظِ القِلَّةِ للتَّنبيهِ على أنَّه كانَ لا يُخلُّ بشُكرِ النِّعَمِ القَليلةِ، فكيفَ بالكثيرةِ؟!

﴿اجْتَبَاهُ﴾ للنبوَّةِ ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ في الدَّعوةِ إلى اللهِ.

(١٢٢) - ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بأنْ حَبَّبَه إلى النَّاسِ حتى إنَّ أربابَ المِلَلِ يَتولَّونَهُ ويُثْنونَ عليه، ورزقَه أولادًا طيبةً وعمرًا طويلًا في السَّعةِ والطَّاعةِ.

﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لَمِن أهلِ الجنَّةِ كما سأله بقولِه: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

(١٢٣) - ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمَّدُ، و﴿ثُمَّ﴾ إمَّا لتَعظيمِه والتَّنبيهِ على أنَّ أجلَّ ما أُوتي إبراهيمُ اتِّباعُ الرَّسولِ عليه السَّلامُ مِلَّتَه، أو لتراخي أيَّامِه.

﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ في التَّوحيدِ والدَّعوةِ إليه بالرفقِ، وإيرادِ الدَّلائلِ مرَّةً بعدَ أخرى، والمجادلةِ مع كلِّ أحدٍ على حسبِ فَهمِه.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بل كان قُدوةَ المُوحِّدينَ.

(١٢٤) - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾: تعظيمُ السَّبتِ والتَّخلِّي فيه للعبادةِ ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾؛ أي: على نبيِّهِم، وهم اليَهودُ أَمَرَهُم مُوسى عليهِ السَّلامُ أن

يَتفرَّغُوا للعبادةِ يومَ الجمعةِ فأَبَوْا وقالوا: نريدُ يومَ السَّبتِ لأنَّه تَعالى فرغَ فيه مِن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، وألزَمَهُم اللهُ السَّبتَ وشدَّدَ الأمرَ عليهم[1].

وقيل: مَعناه: إنَّما جُعلَ وبالُ السَّبتِ ـ وهو المسخُ ـ على الذين اختلفُوا فيه فأحلُّوا الصَّيدَ فيه تارةً وحرَّمُوه أُخرى، واحتالوا له الحِيلَ.

وذِكْرُهم هاهنا لتهديدِ المُشركينَ كذكرِ القَريةِ التي كَفَرَت بأنعُمِ الله.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمجازاةِ على الاختلافِ، أو بمجازاةِ كلِّ فَريقٍ بما يَستَحِقُّه.

(١٢٥) ـ ﴿ادْعُ﴾ مَن بُعِثْتَ إليهم ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلامِ ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بالمقالةِ المُحكمَةِ، وهو الدَّليلُ الموضحُ للحقِّ المزيحُ للشُّبهةِ ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: الخطاباتِ المُقنِعَةِ والعِبَرِ النَّافِعَةِ، والأُولى لدعوةِ خواصِّ الأُمَّةِ الطَّالبينَ للحقائقِ والثَّانيةُ لدَعوةِ عوامِّهِم.

﴿وَجَادِلْهُمْ﴾: وجادِلْ مُعانِدِيهِمْ ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالطَّريقَةِ التي هي أحسَنُ طرقِ المُجادلةِ: مِن الرفقِ واللينِ، وإيثارِ الوَجهِ الأيسرِ، والمُقدِّماتِ التي هي أَشْهَرُ[2]، فإنَّ ذلك أنفَعُ في تَسكينِ لَهَبِهم وتَليينِ شَغَبِهم[3].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: إنَّما عليك

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٩٣)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٩٨) وعزاه للكلبي، و«تأويلات أهل السنة» (٦/ ٥٩٣) عن بعضهم، و«تفسير الثعلبي» (١٦/ ١٥٧) عن الكلبي أيضاً.

(٢) في نسخة التفتازاني: «والمقدمات الأشهر»، وفي نسخة الطبلاوي: «والمقدمات التي أشهر»، والمعنى واحد، والمراد: أنها لشهرتها تكون مسلمة عندهم لا يمكن إنكارها بخلاف المقدمات المموهة الباطلة فإنّ الجدل بها ديدن المبطلين. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) الشَّغَب: تهييج الشر والفساد.

البَلاغُ والدَّعوةُ، وأمَّا حصولُ الهدايةِ والضَّلالِ والمُجازاةِ عليهِما فلا عليك، بل اللهُ أعلَمُ بالضَّالِّينَ والمُهتدينَ، وهو المُجازي لهم.

(١٢٦) ـ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ لَمَّا أمرَهُ بالدَّعوةِ وبيَّنَ طرقَها أشارَ إليه وإلى مَن شايعهُ بالمُخالقةِ[١] ومُراعاةِ العَدلِ مع مَن يُناصِبُهُم، فإنَّ الدَّعوةَ لا تَنفكُّ عنه مِن حيثُ إنَّها تتضمَّنُ رفضَ العاداتِ، وتركَ الشَّهواتِ، والقدحَ في دينِ الأَسلافِ، والحكمَ عليهِمْ بالكُفرِ والضَّلالِ.

وقيل: إنَّه عليه السَّلامُ لَمَّا رأى حمزةَ وقد مُثِّلَ به فقال: «واللهِ لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بسبعينَ مكانكَ» فنزلَتْ، فكَفَّرَ عَن يمينِه[٢].

---

(١) قوله: «بالمخالقة» ضبط بالخاء المعجمة والقاف؛ أي: التخلق بالأخلاق المرضية كالصبر والصفح والاتصاف به في معاملة الخلق. انظر: «حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١١/ ٤٢١).

وجاء في نسخة الخيالي: «يتابعه بترك المخالفة» بدل: «شايعه بالمخالقة». وفي نسخة التفتازاني والطبلاوي: «بالمخالفة» بالفاء، وهو الواقع فيما وقفت عليه من مطبوعات البيضاوي. انظر: مطبوع البيضاوي مع كل من «حاشية شيخ زاده» (٥/ ٣٤٥)، و«حاشية الأنصاري» (٣/ ٤٨٢)، و«حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١١/ ٤٢١). وقد أشار القونوي لرواية «المخالفة» بالفاء في بعض النسخ لكن كأنها وقعت عنده دون كلمة «ترك»؛ أي: «بالمخالفة»، ولذلك قال: ولا يظهر وجهه. بينما قال الشهاب: ولو قرئت بالفاء كان له وجه. ولم يبين ذلك الوجه.

قلت: وقوله: «بترك المخالفة» لم أجد من شرحه، ولعل تفسيره في عبارة «الكشاف» (٤/ ٦١٨) حيث قال في شرح معنى الآية: إنْ صُنع بكم صَنِيعُ سوءٍ مِن قتلٍ أو نحوِه فقابِلوه بمِثْله ولا تَزيدوا عليه.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٩٥٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٨٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: صالح المري واه.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٥١)، والدارقطني في «سننه» (٤٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الدارقطني: فيه عبد العزيز بن عمران ضعيف. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٠): رواه الطبراني، وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف. =

وفيه دليلٌ على أنَّ للمُقتَصِّ أن يُماثِلَ الجانيَ، وليسَ له أَنْ يُجاوِزَ، وحثٌّ على العفوِ تعريضًا بقولِه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ وتَصريحًا على الوجهِ الآكَدِ بقولِه:

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ﴾؛ أي: الصَّبرُ ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ مِن الانتقامِ للمُنتقِمينَ، ثمَّ صرَّحَ بالأمرِ بهِ لرسولِه؛ لأنَّه أَولَى الناسِ به؛ لزيادةِ عِلْمِه باللهِ ووُثُوقِه عليه، فقال:

(١٢٧) - ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: إلَّا بتَوفيقِه وتَثبيتِه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على الكافرينَ، أو: على المُؤمنينَ وما فُعِلَ بهم.

﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: في ضيقِ صَدرٍ مِن مَكرِهم.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ: ﴿فِى ضِيقٍ﴾ هنا وفي (النمل)[1]، وهما لُغتانِ كالقَوْلِ والقِيلِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الضَّيْقُ تَخفيفَ ضَيِّقٍ.

(١٢٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ المعاصِيَ ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ في أَعمالِهم، بالولايةِ والفَضلِ.

أو: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ اللهَ بتَعظيمِ أَمرِهِ ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالشَّفقةِ على خلقِهِ.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سورةَ النَّحلِ لم يحاسِبْهُ اللهُ بما أنعمَ عليه في دارِ الدُّنيا، وإن ماتَ في يومِ تَلاها أو ليلةٍ كانَ له من الأجرِ كالذي ماتَ وأحسنَ الوَصِيَّةَ»[2].

* * *

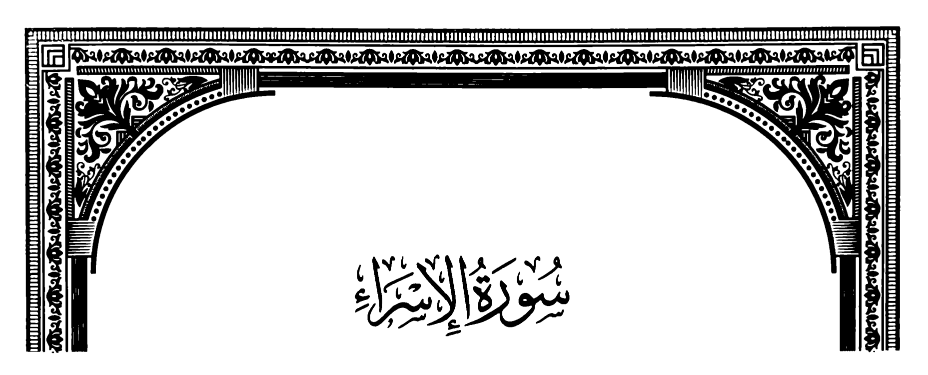
= ورواه الدارقطني (٤٢٠٩) من طريق آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥)، من حديث أُبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ الإِسْرَاءِ



سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مكيَّةٌ، وقيل: إلا قولَه: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ... ﴾ إلى آخرِ ثمانِ آياتٍ[١]

وهي مئةٌ وعشر آيات[٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾، ﴿سُبْحَانَ ﴾ اسمٌ بمعنى التَّسبيحِ الذي هو التَّنزيهُ، وقد يستعملُ عَلَمًا له فيُقطعُ عن الإضافةِ ويُمنَعُ الصَّرفَ، قال:

قَـدْ قُلْـتُ لَمَّـا جَـاءَنِي فَخْرُهُ ... سُـبْحانَ مِـنْ عَلْقَمَـةَ الفَاخِـرِ[٣]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٧) عن قتادة. وروي عن قتادة خلافه، وأنها نزلت بمكة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤). وقد صح استثناء آخر من مكيتها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآية؛ لما أخرج البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح.

(٢) وفيها قول آخر: مئة وإحدى عشرة آية، واختلافهم في آية ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٧).

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٤١)، «الكتاب» (١/ ٣٢٤)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٦) و(٢/ ١٢٣)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص:٨)، و«المقتضب» (٣/ ٢١٨)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٠٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٠) و(٣/ ١٩٠) و(٥/ ١١٩)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٧٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٩). والرواية في «الديوان» وجميع المصادر: «أقول لما جاءني...».

وانتصابُـه بفعـلٍ مَتـروكٍ إظهـارُهُ، وتَصديرُ الـكَلامِ بـه للتَّنزيهِ عَـن العجزِ عمَّا ذكـرَ بَعدُ.

وأَسْرَى وسَرَى بمعنًى، و﴿لَيْلًا﴾ نصبٌ على الظَّرفِ، وفائدَتُه: الدَّلالةُ بتَنكيرِه على تقليلِ مُدَّةِ الإسراءِ، ولذلك قُرِئَ: (مِن الليلِ)[1]؛ أي: بعضَه، كقولِه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ ﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بعينِه؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّه عليهِ السَّلامُ قال: «بينا أنا في المسجدِ الحرامِ في الحِجْرِ عندَ البيتِ بينَ النَّائمِ واليَقظانِ إذ أتاني جبرئيلُ بالبراقِ»[2].

أو مِن الحرمِ، وسَمَّاهُ المسجدَ الحرامَ لأنَّ كلَّهُ مَسجِدٌ، أو لأنَّه مُحيطٌ به ليطابِقَ المبدأُ المُنتهَى؛ لِمَا رُوِيَ: أَنَّه كانَ نائمًا في بيتِ أمِّ هانئٍ بعدَ صلاةِ العِشاءِ، فأُسرِيَ

---

(١) رواها الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤١٣) عن عبد الله وحذيفة رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه بلفظ: «بَيْنَا أَنَا عند البيت بينَ النَّائم واليقظان...»، وفي رواية عند البخاري (٣٨٨٧) من حديثه: «بينما أنا نائم في الحطيم ـ وربما قال: في الحِجْرِ ـ مضطَجِعًا إذ أَتاني آتٍ...». قال في «الفتح» (٧/ ٢٠٤): المراد بالحطيم هنا الحجر.

وفيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «فُرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل».

وفي غير الصحيحين روايات أُخر، وقد أورد الروايات بذلك الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٠٤) محاولاً الجمع بينها لأنها كما قال: لم تتعدد لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، قال: وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «بينا أنا عند البيت» وهو أعم، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة»، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قالت: ففقدتُه من الليل فقال: «إن جبريل أتاني...»، والجمع بين هذه الأقوال: أنه نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه.

بِهِ ورجعَ مِن ليلَتِه وقصَّ القصَّةَ عليها وقال: «مُثِّلَ لي النَّبِيُّونَ فصَلَّيْتُ بهم»[١].

ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ وأخبرَ بِهِ قريشًا، فتَعجَّبُوا منه استحالةً، وارتدَّ ناسٌ ممَّنْ آمنَ به، وسعى رجالٌ إلى أبي بكرٍ فقال: إنْ كانَ قالَ لقَدْ صدَقَ، فقالوا: أَتُصَدِّقُه على ذلك؟ قال: إنِّي لأُصَدِّقُه على أبعدَ مِن ذلك، فسُمِّيَ الصِّدِّيقَ، واستَنْعَتَه[٢] طائفةٌ سافَرُوا إلى بيتِ المَقدسِ، فجُلِّيَ له وطَفِقَ يَنظُرُ إليه ويَنعتُه لهم فقالوا: أمَّا النَّعتُ فقَدْ أصابَ، فقالوا: أخبِرْنا عن عِيرِنا، فأخبرَهُم بعددِ جِمالِها وأَحوالِها، وقال: «تَقْدَمُ يومَ كذا مع طلوعِ الشَّمسِ، يَقدُمُها جملٌ أورَقُ»، فخرجوا يَشتَدُّونَ إلى الثَّنِيَّةِ فصادفوا العيرَ كما أخبرَ، ثمَّ لم يُؤمِنُوا وقالوا: ما هذا إلا سِحرٌ مُبينٌ، وكان ذلك قبلَ الهِجرةِ بسَنةٍ[٣].

---

(١) إلى هنا رواه بنحوه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٢)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٤)، عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥١٦) مع ما سيأتي، والكلبي ومقاتل متروكان، وجاء في كلا الطريقين أنه صلى الصبح والعشاء معهم، وفي هذا نكارة نبَّه عليها الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٣٧)، وهي أن الصلاة إنما فرضت ليلة المعراج.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٩) من طريق آخر عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ بذكر صلاة العشاء فقط.

(٢) أي: طلبوا منه الوصفَ.

(٣) ذكر هذه القطعة الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٨ ـ ٢٣٢) عن ابن عباس وعائشة.

وروى الخبر بتمامه بنحو هذا السياق أبو يعلى في «معجمه» (١٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢)، من حديث أم هانئ رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٦): رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، متروك كذاب.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٠٠) عن رواية أبي يعلى: «حديث غريب، الوساوسي ضعيف تفرد به».

وكونه قبل الهجرة بسنة فيه اختلاف سيأتي.

واختلفَ في أنَّه كان في المنامِ أو في اليَقظةِ، بروحِه أو بجسدِه، والأكثرُ على أنَّه أُسريَ بجسدِهِ إلى بيتِ المقدسِ، ثمَّ عُرِجَ بـه إلى السَّماواتِ حتَّى انتهى إلى سِدرَةِ المُنتهى، ولذلك تعجَّبَ قُريشٌ واستحالُوه، والاستحالةُ مَدفوعةٌ بما ثبتَ في الهندسةِ: أنَّ ما بين طَرَفَيْ قُرصِ الشَّمسِ ضعفُ ما بينَ طَرفي كرةِ الأرضِ مئةً ونيفًا وستينَ مرةً، ثمَّ إنَّ طَرَفَها الأسفلَ يصلُ مَوضِعَ طَرَفِها الأعلى في أقلَّ مِن ثانيةٍ، وقد بُرهنَ في الكلامِ أنَّ الأجسامَ مُتساويةٌ في قبولِ الأعراضِ، وأنَّ اللهَ قادِرٌ على كلِّ المُمكناتِ، فيقدِرُ أن يخلقَ مثلَ هذه الحركةِ السَّريعةِ في بدنِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ، أو فيما يحمِلُه، والتَّعجُّبُ مِن لَوازمِ المعجزاتِ.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾: بيتِ المَقدسِ؛ سمِّي به لأنَّه لم يَكُن حينئذٍ وراءَه مسجدٌ.

﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ببركاتِ الدِّينِ والدُّنيا؛ لأنَّه مَهبِطُ الوَحيِ ومُتعبَّدُ الأنبياءِ مِن لَدُن موسى، ومحفوفٌ بالأنهارِ والأَشجارِ.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ كذَهابِه في برهةٍ مِن الليلِ مسيرةَ شهرٍ، ومُشاهدتِه بيتَ المقدسِ، وتمثُّلِ الأنبياءِ له، ووقوفِه على مقاماتِهم، وصرفُ الكَلامِ مِن الغَيبةِ إلى التَّكلُّمِ لتعظيمِ تلك البركاتِ والآياتِ. وقُرِئَ (لِيُرِيَه) بالياءِ[1].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقـوالِ محمَّـدٍ عليـهِ السَّـلام ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأفعالِـه، فيكرمُـه ويُقرِّبُـه علـى حسـبِ ذلك.

(٢) ـ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ على: أي[2] لا تتَّخذوا، كقولك: كتبت إليه أنِ افعل.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٥/ ١٢)، و«البحر المحيط» (١٤/ ١٣).

(٢) في نسخة الطبلاوي: «على أن». وأشار الشهاب في «الحاشية» (٦/ ٨) لهذا الفرق فقال: قوله: «على =

وقرأ أبو عمرٍو بالياءِ[1] على: لئلَّا يتَّخِذُوا.

﴿مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾: ربًّا تكِلونَ إليه أمورَكُم غيرِي.

(٣) ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ نصبٌ على الاختصاصِ، أو النِّداءِ إنْ قُرِئ: ﴿تَتَّخِذُواْ ﴾ بالتَّاءِ، أو على أنَّه أحدُ مَفعولَيْ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ ﴾، و﴿مِن دُونِي ﴾ حالٌ مِن ﴿وَكِيلًا ﴾، فيكونُ كقَوْلِه: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على أنَّه خبرُ مَحذوفٌ، أو بدلٌ مِن واوِ ﴿يَتَّخِذُوا﴾.

و: (ذِرِّيَّةَ) بكسرِ الذَّالِ[3].

وفيه تذكيرٌ بإنعامِ اللهِ عليهِم في إنجاءِ آبائِهِم مِن الغَرَقِ بحَملِهِم مع نوحٍ في السَّفينَةِ.

﴿إِنَّهُۥ ﴾: إنَّ نوحًا عليه السَّلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ يَحمَدُ اللهَ تعالى في مجامعِ حالاته، وفيه إيماءٌ بأنَّ إنجاءَهُ ومَن معَه كانَ ببركةِ شكرِه، وحثٌّ للذُّرِّيَّةِ على الاقتداءِ به.

وقيل: الضَّميرُ لِمُوسى عليهِ السَّلامُ.

= أن لا تتخذوا...» إلخ، وفي نسخة: «على أي لا تتخذوا» فهي بيان لأنَّ (أنْ) تفسيرية بمعنى: أي، وهو الموافق لما في «الكشاف»، و(لا) على هذا ناهية جازمة، وهي تفسير لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي، والكتاب: المكتوب، وان كان في الأصل مصدراً، وعلى الأولى فالمعنى على أن يكون ﴿أَلَّا﴾ بمعنى: أن لا، وهي مفسرةٌ أيضاً، وليس المراد أنه بمعنى: لئلا، بحذف الجار كما في القراءة بالغيبة.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٨) عن مجاهد.

(٣) نسبت لزيد بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٨)، و«المحتسب» (١/ ١٥٦)، و«الكشاف» (٥/ ١٣).

(٤) ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهِمْ وَحْيًا مَقضِيًّا مبتوتًا ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التَّوراةِ ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ، أو: قَضَينَا، على إجراءِ القضاءِ المَبتوتِ مجرى القسمِ[١].

﴿مَرَّتَيْنِ﴾: إفسادَتينِ:

أُولاهُما: مخالفةُ أَحكامِ التَّوراةِ وقتلُ شِعيَا[٢].

وثانيتهما: قتلُ زَكريَّا ويحيى وقصدُ قتلِ عيسى عليهم السَّلام[٣].

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: ولتَسْتكبرُنَّ عَن طاعةِ اللهِ، أو: لتظلمُنَّ النَّاسَ.

(٥) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: وعدُ عقابِ أولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ بُخْتَنَصَّر ـ عاملُ لهراسفَ على بابلَ ـ وجُنودَه، وقيل: جالوتُ الخَزَريُّ[٤]، وقيل: سِنْحاريبُ[٥] مِن أهلِ نِيْنُوى.

---

(١) قوله: «أو قضينا...»؛ أي: ليس القسم محذوفاً، بل هو على أن يُجرَى القضاءُ المبتوتُ مُجرَى القَسَم فيكون ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواباً له؛ كأنه قال: وأقسمنا لتُفسدن.

(٢) شعيا: نبيٌّ بُعث بعد موسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ.

(٣) اختلف العلماء في هاتين المرتين، حتى قال الشيخ الذهبي في «التفسير والمفسرون» (١/ ٢٩٣): إن الاختلاف الذي كثر بين المفسّرين أقدمين ومحدثين كان في قوله سبحانه: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ فلقد اختلفوا أولًا في هاتين المرتين من حيث زمانهما: أمَضَتْ هاتان المرتان كلتاهما أم لا؟ ثمَّ اختلفوا ثانيًا في تعيين هاتين المرّتين على الفرضَيْن: المضيّ أو عدمه، ولشدَّة هذا الاختلاف وكثرته نقَلَ الشيخ حسنين محمَّد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق رحمه الله في تفسيره «صفوة البيان» عن الجبّائي أنّ الله لم يعيّن هاتين المرّتين، فليجتهد كلٌّ بما يترجَّح لديه.

(٤) كذا ضبطه الشيخ زكريا الأنصاري في «حاشيته» (٣/ ٤٨٨) نسبةً إلى الخزر وهو ضيق العين وصغرها، أو جيل من الناس. وضبطه الخفاجي في «حاشيته» بالجيم والزَّاي المُعْجمَةِ نسبةً إلى جزيرَةِ بابل.

(٥) يروى بالجيمِ وهو المعروف، ورُوِيَ بالحاءِ المُهملَةِ. قاله الخفاجي.

﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: ذوي قوَّةٍ وبَطشٍ في الحربِ شديدٍ.

﴿فَجَاسُواْ﴾: تردَّدُوا لطَلَبِكُم، وقُرِئَ بالحاءِ[1]، وهما أَخَوانِ.

﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: وسطَها للقَتلِ والغارةِ، قتلوا كبارَهُم، وسَبَوا صِغارَهُم، وحرَّقُوا التَّوراةَ، وخرَّبُوا المسجدَ.

والمعتزلةُ لَمَّا منعوا تَسليطَ اللهِ الكافرَ على ذلك = أَوَّلوا البعثَ بالتَّخليَةِ وعدمِ المنعِ.

﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾: وكان وعدُ عقابهم لا بدَّ أنْ يُفعل.

(٦) ـ ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ﴾؛ أي: الدَّولةَ والغلبَةَ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: على الذين بُعِثُوا عليكُم، وذلك بأَنْ أَلْقَى اللهُ في قلبِ بهمنَ بنِ إسفنديارَ لَمَّا ورثَ الملكَ مِن جَدِّهِ كشتاسفَ بن لهراسفَ شفقةً عليهِم، فردَّ أَسْراهُم إلى الشَّامِ وملَّكَ دانيالَ عليهم، فاستَوْلَوْا على مَن كانَ فيها من أتباعِ بُخْتَنَصَّر.

أو: بأَنْ سَلَّطَ داودَ على جالوتَ فقتلَه.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ ممَّا كُنْتُم، والنَّفيرُ: مَن ينفرُ مع الرَّجُلِ من قومِه، وقيل: جمعُ نَفَرٍ، وهم المجتمعونَ للذَّهابِ إلى العَدُوِّ.

(٧) ـ ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ لأنَّ ثَوابَه لها ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ فإنَّ وَبالَها عَلَيْهَا، وإِنَّما ذُكِرَ باللامِ ازدواجًا.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: وعدُ عُقوبَةِ المرَّةِ الآخرةِ ﴿لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمۡ﴾؛ أي: بَعَثْناهُم ليَسُوءوا وجوهَكُم؛ ليَجعَلُوها باديةً آثارُ المساءةِ فيهَا، فحذفَ لدلالةِ ذكره أولًا عليه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٥)، كلاهما عن أبي السمال، لكن وقع في مطبوع «المختصر»: «(فحاشوا) بالحاء والشين».

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ وأبو بكرٍ: ﴿لِيَسُوءَ﴾ على التَّوحيدِ، والضَّميرُ فيه للوعدِ أو البعثِ أو للهِ، ويَعضُدُه قراءَةُ الكِسائيِّ بالنُّونِ(١).

وقُرِئَ: (لِنَسُوأن) بالنُّونِ والياءِ، والنُّونِ المُخفَّفَةِ والمُثقَّلَةِ، و(لَيَسوأن) بفتحِ اللامِ على الأَوجُهِ الأربعةِ على أنَّه جوابُ (إذا)(٢).

واللامُ في قَولِه: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ هو: بَعَثْناهُم.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: ليُهلِكُوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: ما غَلَبوه واستَوْلَوا عليه، أو: مُدَّةَ علوِّهِم ﴿تَتْبِيرًا﴾ وذلك بأَنْ سلَّطَ اللهُ عليهِم الفُرسَ مَرَّةً أُخرى فغَزاهُم ملكُ بابلَ مِن ملوكِ الطَّوائفِ، اسمهُ: جُدْرُزُ، وقيل: خردوسُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٢) الذي وقفت عليه في هذه الكلمة ثلاث قراءات: (لَنَسُوأَنَّ) و: (لَيَسُوأَنَّ) و: (لِنسوأَنْ) نسبت الأوليان لعلي رضي الله عنه كما في «الكشاف» (٥/ ١٨)، و«البحر» (١٤/ ٢٣). والثالثة لأبيٍّ رضي الله عنه كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٥)، و«البحر» (١٤/ ٢٣). وقد صرح أبو حيان أن اللام في قراءتي عليٍّ للقسم، فهي مفتوحة كما قال المصنف، لكنها ليست في اللفظ جواب (إذا) بل جواب قسم مقدر؛ قال الجاربردي: والأولى أن يقال: المعنى على قسم مقدر، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وإذا كان القسم مقدراً يكون (لنسوأن) جواب القسم المقدر لفظاً، وجواب القسم والشرط معاً معنًى. انظر: «حاشية الجاربردي» (ج٢/ و٧٢ب). أما الثالثة فاللام فيها للأمر كما قال أبو حيان، وهو المفهوم من كلام ابن جني حيث قال: طريق القول عليه: أن يكون أراد الفاء فحذفها ـ كما قال في موضع آخر ـ أي: «فَلْنَسُوءَا وُجُوهَكُمْ» على لفظ الأمر، كما تقول: إذا سألتني فلأُعْطِكَ، كأنك تأمُرُ نفسَكَ، ومعناه: فلأُعْطينَّكَ. واللامان بعده للأمر أيضا، وهما: (ولْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ... ولْيُتَبِّرُوا)، ويقوِّي ذلك أنه لم يأت لـ(إذا) جوابٌ فيما بعد، فدلَّ على أن تقديره: «فَلْنَسُوءَا وُجُوهَكُمْ»؛ أي: فَلْنَسُوءَنَّ وُجُوهَكُمْ.

قلت: وعليه فاللام مكسورة، وقول ابن جني: «كما قال في موضع آخر»، لعله يريد قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]. انظر: «البحر» (١٤/ ٢٣).

قيل: دخلَ صاحِبُ الجيشِ مذبحَ قَرابينِهم فوجدَ فيه دَمًا يغلي، فسألهم عنه فقالوا: دمُ قربانٍ لم يُقبَل منَّا، فقال: ما صَدَقُوني، فقتَلَ عليه ألوفًا منهم فلَم يَهدَأِ الدَّمُ، ثمَّ قال: إن لم تَصْدُقوني ما تركتُ مِنْكُم أحدًا، فقالوا: إنَّه دَمُ يَحيَى، فقال: لمثلِ هذا ينتقِمُ رَبُّكُم مِنْكُم، ثمَّ قال: يا يحيى! قَدْ عَلِمَ ربِّي وربُّكَ ما أصابَ قومَكَ مِن أَجلِكَ، فاهدَأْ بإذنِ اللهِ قبلَ أَنْ لا أُبْقِيَ أَحدًا مِنهم فهَدأَ[1].

(٨) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعدَ المرةِ الآخرةِ ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ نوبةً أُخرى ﴿عُدْنَا﴾ مَرَّةً ثالثةً إلى عقوبَتِكُم، وقد عادوا بتكذيبِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ وقصدِ قَتْلِه، فعادَ اللهُ بتَسليطِهِ عليهِم، فقتلَ قريظَةَ وأَجْلى بني النَّضيرِ وضربَ الجزيةَ على الباقينَ، هذا في الدُّنيا.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبِسًا لا يقدرونَ الخروجَ مِنْها أبدَ الآبادِ، وقيل: بساطًا كما يبسَطُ الحَصيرُ.

(٩) ـ ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: للحالةِ أو الطَّريقَةِ التي هي أقومُ الحالاتِ أو الطُّرُقِ ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿وَيَبْشُرُ﴾ بالتَّخفيفِ[2].

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عطفٌ على: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، والمعنى: أَنَّه يبشِّرُ المؤمنينَ ببشَارتينِ: ثوابَهُم وعقابَ أَعدائِهم، أو على (يبشِّرُ) بإضمارِ: (يخبر).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) عن ابن إسحاق. وفيه أن الداخل هو أحد قواد خردوس ملك بابل.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٦)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(١١) ـ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾: ويدعو اللهَ عندَ غضبهِ بالشرِّ على نفسِه وأهلِه ومالِه، أو يدعوه بما يحسَبُه خيرًا وهو شرٌّ ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ مثلَ دعائِه بالخيرِ.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يُسارعُ إلى كلِّ ما يخطُرُ ببالِه لا يَنظرُ عاقبتَه.

وقيل: المرادُ آدمُ عليهِ السَّلامُ، فإنَّه لَمَّا انتَهى الرُّوحُ إلى سرَّتِه ذهبَ لينهضَ فسَقطَ[1].

رُوِيَ: أنَّه عليهِ السَّلامُ دفعَ أسيرًا إلى سودةَ بنتِ زمعةَ، فرَحِمَتْهُ لأنينِه فأرْخَتْ أكتافَهُ فهربَ، فدعا عليها بقطعِ اليَدِ ثمَّ نَدِمَ، فقال: «اللهمَّ إنما أنا بشرٌ، فمَن دَعوتُ عليه فاجعَلْ دُعائي رحمةً له» فنزلَتْ[2].

ويجوزُ أن يريدَ بالإنسانِ الكافرَ، وبالدُّعاءِ: استِعجالَه بالعَذابِ استهزاءً، كقولِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٤) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قال السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (٨/ ٢٨٤): قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ العِراقيُّ: لم أَقِفْ عليهِ لسَوْدَةَ، وإنَّما وَقَفْتُ عليه لعائشَةَ رواهُ الواقِدِيُّ في «المغازي» [٢/ ٥٥٤] مِن طريقِ مولاها عنها: أن النبيَّ ﷺ دخلَ عليها بأسيرٍ وقالَ لها: «احتفظِي به»، قالت: فلَهَوْتُ مع امرأةٍ فخرجَ ولم أَشعُرْ، فدخلَ النَّبيُّ ﷺ فسألَ عنه، فقلتُ: واللهِ لا أدري غَفَلْتُ عنه فخرجَ، فقال: «قطعَ اللهُ يدكِ»، ثمَّ خرجَ عليهِ السَّلامُ فصاحَ به فخرَجُوا في طلبِه حتَّى وَجدوهُ، ثمَّ دخلَ عليَّ فرآني وأنا أُقلِّبُ يَدَيَّ، فقال: «ما لكِ؟» قلتُ: أَنتَظِرُ دعوتَكَ، فرفعَ يديهِ فقال: «اللهمَّ إنَّما أنا بَشرٌ آسَفُ وأغضَبُ كما يغضَبُ البشرُ، فأيُّما مؤمنٍ أو مؤمنَةٍ دعوتُكَ عليه بدَعوَةٍ فاجعَلْهَا له زكاةً وطُهْرًا». انتهى.

قلت: والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٢٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٤٣١) من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه أنه دفعه إلى حفصة رضي الله عنها. والحديثان إسنادهما صحيح كما ذكر محققو «المسند» لكن ليس في شيء من هذه الروايات ذكر النزول.

النَّضرِ بنِ الحارثِ: اللهمَّ انصُرْ خيرَ الحِزبَيْنِ، ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فأُجيبَ له فضُربَ عُنقُهُ صَبْرًا يومَ بدرٍ[١].

(١٢) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ تَدُلَّانِ على القادرِ الحَكيمِ بتَعاقُبِهِما على نسقٍ واحدٍ بإمكانِ غيرِه.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: الآيةَ التي هي الليلُ بالإشراقِ، والإضافةُ فيها للتَّبيينِ كإضافةِ العددِ إلى المعدودِ.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: مُضيئةً، أو: مُبصِرَةً للنَّاسِ، مِن أَبْصَرَهُ فبَصُر، أو: مُبْصِرًا أهلُهُ، كقولهم: أجبنَ الرَّجلُ: إذا كانَ أَهلُهُ جُبَناءَ.

وقيل: الآيتانِ: القمرُ والشَّمسُ، وتقديرُ الكلام: وجعلنا نيِّري الليلِ والنَّهارِ آيتينِ، أو: جعلنا الليلَ والنَّهارَ ذَوَيْ آيتَيْنِ، ومحوُ آيةِ الليلِ التي هي القَمرُ: جعلُها مُظلِمَةً في نَفسِهَا مَطموسَةَ النُّورِ، أو نقصُ نُورِها شيئًا فشيئًا إلى الـمُحاقِ، وجَعلُ آيةِ النَّهارِ التي هي الشَّمسُ مُبصرةً: جعلُها ذاتَ شُعاعٍ تُبصَرُ الأشياءُ بضَوئِها.

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتَطلبُوا في بياضِ النَّهارِ أسبابَ مَعاشِكُم وتَتوسَّلُوا به إلى استبانَةِ أعمالِكُم ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ باختلافِهِما أو بحَركاتِهِما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: وجنسَ الحِسابِ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ تفتقرونَ إليه في أمرِ الدِّينِ والدُّنيَا ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بَيَّنَّاهُ بيانًا غيرَ مُلتَبِسٍ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢٧١) من طريق عطاء عن ابن عباس. وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٢٤).

(١٣) ـ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عملَهُ وما قدِّرَ له كأنَّهُ طُيِّر إليهِ من عشِّ الغيبِ ووكرِ القَدَرِ، لمَّا كانوا يَتيمَّنُون ويتشاءَمونَ بسُنوحِ الطَّائرِ وبروحِه استُعيرَ لِمَا هو سَببُ الخَيرِ والشَّرِّ مِن قَدَرِ اللهِ وعملِ العبدِ.

﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ لزومَ الطَّوقِ في عُنقِه.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ هي صَحِيفَةُ عملِه، أو نفسُه المُنتقِشةُ بآثارِ أَعمالِه، فإنَّ الأفعالَ الاختياريَّةَ تُحدِثُ في النَّفسِ أحوالًا، ولذلك يُفيدُ تكريرُها لها ملكاتٍ.

ونصبُه بأنَّه مفعولٌ، أو حالٌ مِن مَفعولٍ مَحذوفٍ، وهو ضميرُ الطَّائرِ، ويعضدُهُ قراءةُ يعقوبَ[١]: ﴿ويَخْرُج﴾ مِن خَرَجَ[٢]. وقُرِئَ (ويُخْرِجُ) أي: اللهُ عزَّ وجَلَّ[٣].

﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ لكشفِ الغطاءِ، وهما صِفتانِ للكِتابِ، أو ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ صفةٌ و﴿مَنشُورًا﴾ حالٌ مِن مَفعولِه.

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿يُلقَّاهُ﴾ على البناءِ للمَفعولِ[٤]، مِن لَقَّيتُه كذا.

(١٤) ـ ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ على إرادةِ القَولِ ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؛ أي: كفى نفسُك، والباءُ مزيدَةٌ و﴿حَسِيبًا﴾ تمييزٌ، و(على) صِلَتُه لأنَّه: إما بمعنى الحاسبِ،

---

(١) كذا جاء في جميع النسخ المعتمدة عندنا، ووقع عند الخفاجي في «حاشيته» هنا زيادة (وغيرِه)، قال: بالجرِّ معطوفٌ على (يعقوب)، ووقعَ في نسخةٍ إسقاط لفظِ (غيره). قال: والنُّسخَة الأولى أشهر وأظهر، ولا إشكالَ فيها.

(٢) أي: بالياء وفتحِها وضمِّ الراء، وقرأ أبو جعفرٍ بالياء وضمِّها وفتحِ الراء، والباقون بالنون وضمِّها وكسر الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(٣) أي: بضم الياء، عزاها الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٩) ليحيى بن وثاب، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٤) لقتادة وأبي المتوكل، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٤٣) دون نسبة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

كالصَّريمِ بمَعْنَى الصَّارمِ، وضَرِيبِ القِداحِ[1] بمَعنى ضَارِبِهَا، مِن حَسَبَ عليه كذا، أو بمعنى الكافِي، فوُضعَ مَوضِعَ الشَّهيدِ؛ لأنَّه يَكفِي المُدَّعِيَ ما أهمَّهُ، وتذكيرُه على أنَّ الحِسابَ والشَّهادةَ مما يَتولَّاهُ الرِّجَالُ، أو على تأويلِ النَّفسِ بالشَّخصِ.

(١٥) - ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لا يُنْجِي اهتداؤُه غيرَه، ولا يُردي ضلالُهُ سِواه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾: ولا تحمِلُ نفسٌ حاملةٌ وِزرًا وزرَ نفسٍ أخرى، بل إنَّما تحمِلُ وِزرَها ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ يبيِّنُ الحُججَ ويمهِّدُ الشَّرائعَ فيُلزِمُهُم الحُجَّةَ. وفيه دليلٌ على أنْ لا وجوبَ قبلَ الشَّرعِ.

(١٦) - ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾: وإذا تَعلَّقَت إرادَتُنا بإهلاكِ قَومٍ لإنفاذِ قَضائِنا السَّابقِ.

أو: دنا وقتُه المقدَّرُ[2]، كقولهم: إذا أرادَ المريضُ أن يموتَ ازدادَ مَرضُه شِدَّةً.

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾: مُتنعِّميهَا بالطَّاعةِ على لسانِ رسولٍ بعثناهُ إلَيْهِم، ويدلُّ على ذلك ما قبلَهُ وما بعدَهُ، فإنَّ الفسقَ هو الخروجُ عَن الطَّاعةِ والتمرُّدُ في العصيانِ، فيدلُّ على الطَّاعةِ مِن طريقِ المقابلةِ.

وقيل: أمرنَاهُم بالفسقِ؛ لقوله: ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ كقولك: «أمرتُه فقرأَ» فإنَّه لا يُفهَمُ

---

(١) الضَّريبُ: الذي يَضربُ بالقِداحِ، وهو الموكَّلُ بها، والقِدحُ بالكسرِ: السَّهمُ قبلَ أنْ يُراشَ ويركَّبَ نَصْلُه، وقِدْحُ الميسرِ أيضًا، والجَمعُ: قِداحٌ. «الصحاح» (مادة: ضرب، قدح).

(٢) قوله: «أو دنا وقته...» فسر الإرادة بدنو الوقت، فكأنه قيل: وإذا دنا وقت إهلاك قرية أمرنا مترفيها، ثم استشهد على مجيء أراد بمعنى دنو الوقت بقولهم: «أراد المريض أن يموت» بمعنى: دنا وقت موته إذا ازداد مرضه. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١١/ ٤٦٤).

منه إلا الأمرُ بالقراءةِ، على أنَّ الأمرَ مجازٌ مِن الحَملِ عليه أو التَّسبُّبِ له بأَنْ صَبَّ عليهِم مِن النِّعَمِ ما أبطرَهُم وأَفْضَى بهم إلى الفُسوقِ.

ويحتمِلُ أَنْ لا يكونَ له مفعولٌ مَنْوِيٌّ، كقولهم: أَمَرْتُه فعَصاني.

وقيل: معناه: كثَّرنا، يقال: أَمَرْتُ الشَّيءَ وآمرتُه فأَمِرَ: إذا كثَّرتَه، وفي الحديثِ: «خيرُ المالِ سِكَّةٌ مَأبورَةٌ ومُهرَةٌ مَأمورَةٌ»[1]؛ أي: كثيرةُ النّتاجِ، وهو أيضًا مجازٌ مِن معنى الطَّلبِ.

ويؤيِّدُه[2] قراءةُ يَعقوبَ: ﴿آمَرْنا﴾[3]، وروايةُ: (أَمَّرْنا) عن أبي عمرٍو[4].

ويحتملُ أَنْ يكونَ مَنقولًا مِن أَمُرَ بالضمِّ إمارةً؛ أي: جعلناهُم أمراءَ، وتَخصيصُ المُترفينَ لأنَّ غيرَهُم يَتبَعُهُم، ولأنَّهم أَسرَعُ إلى الحماقَةِ وأقدَرُ على الفُجورِ.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ يعني: كلمةَ العَذابِ السَّابقةَ بحلولِه، أو بظهورِ مَعاصيهِم، أو بانهِمَاكِهم في المعاصي.

﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾: أهلكناها بإهلاكِ أَهلِهَا وتَخريبِ دِيارِهم.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٧٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٨٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٧٠) و(٦٤٧١). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٥٨): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات! وضعف إسناده محققو «المسند».

(٢) أي: يُؤيِّدُ القولَ بأنَّهُ من (أمر) بمعنى: كثر.

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(٤) نسبت لابن عباس بخلاف، وأبي العالية بخلاف، وأبي عثمان النهدي، ورويت عن أبي عمرو وعاصم في غير المشهور عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٦).

(١٧) ـ ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا ﴾: وكثيرًا أهلَكْنا ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ بـيانٌ لـ﴿كم﴾ وتمييزٌ له ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖ﴾ كعادٍ وثَمودَ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ يُدرِك ظواهرَهَا وبواطنَهَا فيُعاقِبُ عَلَيها، وتَقديمُ الخبيرِ لتقدُّمِ مُتعلّقِه.

(١٨) ـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ مَقصورًا عليها همُّه ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ قيَّدَ المُعجَّلَ والمُعجَّلَ له بالمَشيئةِ والإرادةِ؛ لأنَّه لا يَجِدُ كلُّ مُتمَنٍّ ما يتمنَّاه، ولا كلُّ واجدٍ جميعَ ما يَهواه، وليُعلمَ أنَّ الأمرَ بالمشيئةِ، والهمُّ فضلٌ، و﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدلٌ مِن ﴿لَهُۥ﴾ بدلَ البعضِ.

وقرئ: (يشاء)[1]، والضَّميرُ فيهِ للهِ حتَّى يُطابِقَ المَشهورةَ.

وقيل: لِـ(مَن) فيكونُ مخصوصًا بمَن أرادَ اللهُ به ذلك.

وقيل: الآيةُ في المنافقينَ، كانوا يراؤونَ المُسلمينَ ويَغزونَ مَعَهم، ولم يكن غَرَضُهم إلا مُساهَمَتَهم في الغنائمِ ونحوِها.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾: مطرودًا مِن رحمةِ اللهِ.

(١٩) ـ ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾: حقَّهـا مِـن السَّـعي، وهو الإتيانُ بمـا أَمَر والانتهـاءُ عمَّا نَهى، لا التَّقـرُّبُ بما يختـرِعـونَ بآرائِهم، وفائدةُ الـلامِ اعتبارُ النيَّةِ والإخلاصِ.

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ إيمانًا صحيحًا لا شركَ معه ولا تكذيبَ فإنَّه العُمدَةُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعونَ للشَّرائطِ الثَّلاثةِ ﴿كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ مِـن اللهِ؛ أي: مقبولًا عنده مُثابًا عليه، فإنَّ شُكرَ اللهِ الثَّوابُ على الطَّاعَةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩) عن سلام، و«البحر» (١٤/ ٤٤) عن نافع في غير المشهور عنه.

(٢٠) ـ ﴿ كُلًّا ﴾: كلَّ واحدٍ مِن الفَريقينِ، والتَّنوينُ بدلٌ مِن المضافِ إليه.

﴿نُّمِدُّ ﴾ بالعطاءِ مرَّةً بعدَ أُخرى، ونجعلُ آنِفَه مددًا لسالِفِه.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ بدلٌ مِن ﴿ كُلًّا ﴾[1].

﴿مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾: مِن مُعطاه، مُتعلِّقٌ بـ﴿نُّمِدُّ ﴾.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾: ممنوعًا، لا يمنعُه في الدُّنيا مِن مُؤمنٍ ولا كافرٍ تفضُّلًا.

(٢١) ـ ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ في الرِّزقِ، وانتصابُ ﴿كَيۡفَ ﴾ بـ﴿فَضَّلۡنَا﴾ على الحالِ ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾؛ أي: التَّفاوُتُ في الآخرةِ أكثرُ؛ لأنَّ التَّفاوُتَ فيها بالجنَّةِ ودَرجاتِها والنَّارِ ودَرَكَاتِها.

(٢٢) ـ ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الخطابُ للرَّسولِ عليه السَّلامُ، والمرادُ به أُمَّتُه، أو لكلِّ أحدٍ.

﴿فَتَقۡعُدَ ﴾: فتصيرَ، مِن قولِهم: «شَحَذَ الشَّفرةَ حتى قعدَتْ كأنَّها حَرْبةٌ».

أو: فتعجزَ، مِن قولهم: قعدَ عن الشَّيءِ: إذا عَجَزَ عنهُ.

﴿مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾: جامعًا على نفسِكَ الذمَّ مِن الملائكَةِ والمُؤمنين، والخُذلانَ مِن اللهِ، ومَفهومُه: أنَّ المُوحِّدَ يَكونُ مَمدوحًا مَنْصورًا.

(٢٣) ـ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾: وأمرَ أمرًا مقطوعًا به ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ﴾: بأَنْ لا تَعْبُدوا ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ لأنَّ غايةَ التَّعظيمِ لا تحقُّ إلَّا لِمَن له غايةُ العَظمَةِ ونهايةُ الإنعامِ، وهو كالتَّفصيلِ لسعيِ الآخرةِ، ويجوزُ أَنْ تكونَ (أن) مُفسِّرةً و(لا) ناهيةً.

---

(١) قال أبو حيَّان: لا يَصِحُّ أن يكونَ بدلاً مِن ﴿ كُلًّا ﴾ على تَقديرِ: «كلُّ واحدٍ من الفريقينِ» الذي قدرَه الزَّمخشريُّ؛ لأنه يكونُ إذ ذاك بدلَ كلٍّ مِن بعضٍ، فينبغي أن يكونَ التَّقديرُ: كلُّ الفريقينِ، فيكونُ بدلَ كلٍّ مِن كلٍّ على جهَةِ التَّفصيلِ. «البحر المحيط» (١٤/ ٤٦).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبأَنْ تُحسِنُوا، أو: وأَحسِنُوا بالوالدينِ إحسانًا؛ لأَنَّهُما السَّببُ الظَّاهرُ للوجودِ والتَّعيُّشِ، ولا يجوزُ أَنْ تَتعلَّقَ الباءُ بالإحسانِ؛ لأنَّ صِلتَهُ لا تتقدَّمُ عليه.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ ﴿إِمَّا﴾ هي (إنْ) الشَّرطيَّةُ زيدَتْ عليها (ما) تأكيدًا، ولذلك صَحَّ لُحوقُها النُّونَ المؤكِّدةَ للفعلِ.

و﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعلُ ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ وبدلٌ على قراءَةِ حمزةَ والكسائيِّ مِن أَلِفِ ﴿يَبْلُغانِّ﴾[1] الرَّاجعِ إلى ﴿الوَالِدَينِ﴾، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطفٌ على ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعلًا أو بدلًا، ولذلك لم يَجُز أن يكونَ تَأكيدًا للألفِ، ومعنى ﴿عِندَكَ﴾: أن يكونا في كَنَفِهِ[2] وكَفالتِهِ.

﴿فلا تَقُلْ لَهُما أفٍّ﴾: فلا تَضْجَر بما يُستقذرُ مِنْهُما وتَستَثْقِلْ مِن مؤنَتِهما، وهو صوتٌ يَدلُّ على تَضجُّرٍ، وقيل: اسمُ الفعلِ الذي هو أَتَضَجَّرُ. وهو مَبنيٌّ على الكسرِ لالتقاءِ السَّاكنينِ، وتنوينُه في قراءةِ نافعٍ وحفصٍ للتَّنكيرِ، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ بالفَتحِ على التَّخفيفِ[3]، وقُرِئَ به مُنوَّنًا، وبالضَّمِّ للإتباعِ كـ(مُنْذُ) منوَّنًا وغيرَ مُنوَّنٍ[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٢) أي: في منزلِه.

(٣) أي: بفتح الفاء من غير تنوين، وباقي السبعة بكسرها من غير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٨)، وفيهما: (أفُّ) بالضم من غير تنوين عن أبي السمال. وزاد ابن خالويه: (أفًّا) بالنصب والتنوين شبل عن أهل مكة. وزاد ابن جني: (أفٌّ) بالضم والتنوين عن هارون النحوي، و: (أفَ) خفيفة عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

والنَّهـيُ عن ذلك يدلُّ على المنعِ مِن سـائرِ أنـواعِ الإيذاءِ قياسـاً بطريقِ الأَولى، وقيـل: عُرفًا كقولك: فـلانٌ لا يملِكُ النَّقيـرَ والقِطْميرَ[١]، ولذلك منعَ رسـولُ اللهِ ﷺ حذيفـةَ مِـن قتـلِ أبيـهِ وهو فـي صـفِّ المُشـركينَ[٢]. نهـى عمَّـا يؤذيهِمَا بعـدَ الأمرِ بالإحسانِ بهما.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولا تَزجُرْهُما عمَّا لا يُعجِبُك بإغلاظٍ.

وقيل: النَّهيُ والنَّهرُ والنَّهمُ أخواتٌ.

﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدلَ التَّأفيفِ والنَّهرِ ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلًا لا شراسةَ فيه.

(٢٤) ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: تذلَّلْ لَهُما وتواضَعْ فيهِمَا، جعلَ للذُّلِّ جَناحًا كما جعلَ لَبيدٌ في قولِه:

وَغَـدَاةِ رِيـحٍ قَـدْ كَـشَـفْـتُ وَقِـرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَـتْ بِيَـدِ الشِّـمالِ زِمَامُهَـا[٣]

للشِّمالِ يدًا وللقِرَّةِ زِمامًا. وأَمرَهُ بخَفضِهَا مُبالغَةً.

= وقد لخص الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٦) ما ورد فيها من قراءات بقوله: «وقرئ (أفّ) بالحركات الثلاثة منوناً وغير منون»، ولعل المصنف رحمه الله فصَّلها ليميز المتواتر من الشاذ.

وفي الكلمة لغات جمة؛ فقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٥٠) عن الزناتي في «الحلل»: أن في (أف) لغات تقارب الأربعين، ثم سردها أبو حيان كاملة مع الضبط. أما صاحب «التاج» فقد أوصلها للخمسين.

(١) في نسخة الخيالي: «ولا القطمير».

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٩٨): لم أجده، ولا يصح عن والد حذيفة أنه كان في صف المشركين، فإنه استُشهد بأحد مع المسلمين بأيدي المسلمين خطأً وهم يحسبونه من الكفار، كما في «صحيح البخاري» [(٣٢٩٠)]، لكنْ نحوُ القصة المذكورة وردت لأبي عبيدة بن الجراح.

(٣) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦١)، وفيهما: «وزعت» بدل «كشفت».

أو: أراد جناحَهُ؛ كقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وإضافتُه إلى ﴿ٱلذُّلِّ﴾ للبَيانِ والمُبالغَةِ، كما أضيفَ حاتِمٌ إلى الجودِ، والمعنى: واخفِضْ لهما جناحَكَ الذَّليلَ.

وقُرِئَ: (الذِّلِّ) بالكسرِ[1]، وهو الانقيادُ، والنَّعتُ مِنه: ذَلولٌ.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: مِن فَرْطِ رَحمَتِكَ عليهِما لافتِقارِهِما إلى مَن كانَ أفقرَ خلقِ اللهِ إليهِما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾: وادعُ اللهَ أَنْ يرحَمَهُما برَحْمَتِه الباقيَةِ، ولا تكتَفِ برَحمَتِكَ الفانيَةِ وإن كانا كافرَيْنِ؛ لأنَّ مِن الرَّحمَةِ أَنْ يَهدِيَهُما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾: رحمةً مِثلَ رَحْمَتِهِما عليَّ وتَربيَتِهِما وإرشادِهِما لي في صِغَري، وفاءً بوَعدِكَ للرَّاحمينَ.

رُوِيَ: أنَّ رَجُلًا قال لرَسُولِ اللهِ: إنَّ أَبَويَّ بَلَغَا مِن الكِبَرِ أَنِّي أَلِي مِنهُما ما وَلِيَا مِنِّي في الصِّغَرِ، فهَلْ قَضَيتُهُما؟ قال: «لا، فإنَّهما كانا يَفعَلانِ ذلك وهما يُحبَّانِ بَقاءَكَ، وأنتَ تفعَلُ ذلك وأنتَ تُريدُ مَوتَهُما»[2].

(٢٥) ـ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ مِن قَصدِ البرِّ إلَيْهِمَا واعتقادِ ما يَجِبُ لَهُما مِن التَّوقيرِ، وكأنَّه تَهديدٌ على أن يُضمرَ لَهُما كراهةً واستِثقالًا.

﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾: قاصِدينَ للصَّلاحِ ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: للتَّوَّابينَ ﴿غَفُورًا﴾ ما فرَطَ مِنْهُم عندَ حرجِ الصَّدرِ مِن أَذِيَّةٍ أَوْ تَقصيرٍ، وفيه تَشديدٌ عَظيمٌ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ عامًّا لكلِّ تائبٍ، ويَندرِجُ فيه الجاني على أبويه التائبُ من جنايتِه اندراجاً أوليًّا لورودِه على إثرِه.

---

(١) نسبت لابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير والجحدري وجماعة غيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٨).

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٩٨): لم أجده.

(٢٦) ـ ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ مِن صِلَةِ الرَّحِمِ وحسنِ المُعاشرةِ والبرِّ عليهِم، وقال أبو حنيفةَ: حَقُّهم إذا كانوا محارمَ فُقراءَ أن يُنفِقَ عليهِمْ[١].

وقيل: المرادُ بذِي القُرْبى: أقاربُ الرَّسولِ عليهِ السَّلام.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ بصَرفِ المالِ فيما لا يَنبَغِي وإنفاقِه على وَجهِ الإسرافِ، وأصلُ التَّبذيرِ: التَّفريقُ.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال لسَعدٍ وهو يَتوضَّأُ: «ما هذا السَّرَفُ؟» فقال: أفي الوُضوءِ سَرَفٌ؟ قال: «نَعم، وإن كنتَ على نَهرٍ جارٍ»[٢].

(٢٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾: أمثالَهُم في الشَّرارةِ، فإنَّ التَّضييعَ والإتلافَ شَرٌّ، أو: أصدقاءَهُم وأتباعَهُم لأنَّهم يُطيعونَهُم في الإسرافِ والصَّرفِ في المَعاصِي.

رُوِيَ: أنَّهم كانوا يَنحرونَ الإبلَ ويَتياسَرونَ عَلَيها، ويبذِّرُونَ أموالَهُم في السُّمعةِ، فنَهاهُم اللهُ عن ذلك وأمرَهُم بالإنفاقِ في القُرُباتِ[٣].

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ مُبالِغاً في الكُفرِ به، فيَنبَغِي أن لا يُطاعَ.

(٢٨) ـ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾: وإنْ أَعرَضْتَ عَن ذِي القُربى والمِسكينِ وابنِ السَّبيلِ حَياءً مِن الرَّدِّ، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بالإعراضِ عَنْهُم: أن لا ينفعَهُم، على سَبيلِ الكِنايَةِ.

---

(١) انظر: «التجريد» للقدوري (١٠/ ٥٤٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٠٦٥)، وابن ماجه (٤٢٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف حُيَيِّ بن عبد الله وابن لهيعة.

(٣) ذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠).

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: لانتظارِ رزقٍ مِن اللهِ تَرجوهُ أَنْ يأتيَكَ فتُعطيَهُ، أو: مُنتظرينَ له.

وقيل: معناه: لفقدِ رزقٍ مِن ربِّكَ تَرجوهُ أن يُفتحَ لك، فوُضِعَ الابتغاءُ موضِعَهُ لأنَّه مُسبَّبٌ عنه.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ بالجَوابِ الذي هو قولُه: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ أي: فقُلْ لهم قولًا ليِّنًا ابتغاءَ رحمةِ اللهِ برَحمَتِكَ علَيْهِم بإجمالِ القَولِ لَهُم. والميسورُ مِن يُسِرَ الأَمرُ، مثل سُعِدَ الرَّجلُ ونُحِسَ.

وقيل: القولُ المَيسورُ: الدُّعاءُ لهم بالميسورِ، وهو اليُسْرُ، مثل: أغناكُم اللهُ، رَزَقنا اللهُ وإيَّاكُم.

(٢٩) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ تَمثيلانِ لِمَنعِ الشَّحيحِ وإسرافِ المُبَذِّرِ، نَهى عَنْهُما آمِرًا بالاقتصادِ بينَهُما الذي هو الكرمُ.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: فتصيرَ مَلُومًا عندَ اللهِ وعندَ النَّاسِ بالإسرافِ وسُوءِ التَّدبيرِ.

﴿مَّحْسُورًا﴾: نادِمًا، أو: مُنقَطَعًا بك لا شيءَ عِندَكَ، مِن حسرَهُ السَّفرُ: إذا بلغَ مِنْه.

وعن جابرٍ: بَيْنَا رَسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ إذ أتاه صبيٌّ فقال: إنَّ أُمِّي تَسْتكسيك دِرْعًا، فقال: «مِن ساعةٍ إلى ساعةٍ يَظْهَرُ فعُدْ إلينا»، فذهبَ إلى أُمِّهِ فقالت: قُلْ له: إنَّ أُمِّي تَستكْسِيكَ الدِّرعَ الذي عليك، فدخلَ دارَهُ ونزعَ قميصَهُ وأعطاهُ وقعدَ عُريانًا، وأذَّنَ بلالٌ وانتَظَرُوا الصَّلاةَ[1] فلَمْ يَخْرُج، فأنزلَ اللهُ ذلك[2].

---

(١) في نسخة الخيالي: «وانتظروه للصلاة»، وفي نسخة التفتازاني: «وانتظروا للصلاة»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٩٠). قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٩٩): لم أجده. =

ثمَّ سَلَّاه بقولِه: (٣٠) ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾: يوسِّعُه ويُضيِّقُه بمَشيئَتِهِ التَّابعَةِ للحكمَةِ البالغَةِ، فليس ما يَرْهَقُكَ[1] مِن الإضاقَةِ إلا لِمَصلحَتِكَ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ يعلَمُ سِرَّهُم وعَلَنَهُم، فيعلَمُ مِن مَصالِحِهم ما يَخفَى عليهم.

ويجوزُ أن يريدَ: أنَّ البسطَ والقَبْضَ مِن أَمرِ اللهِ العالِمِ بالسَّرائرِ والظَّواهرِ، فأمَّا العِبادُ فعَلَيهم أَنْ يقتصِدوا، أو أنَّه تعالى يبسطُ تارةً ويَقبِضُ أخرى، فاستَنُّوا بسُنَّتِه ولا تَقبِضُوا كلَّ القَبضِ ولا تبسُطُوا كُلَّ البَسطِ، وأن يكونَ تَمهيدًا لقوله:

(٣١) ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾: مخافةَ الفاقَةِ، وقتلُهُم أولادَهُم هو وَأْدُهُم بناتِهِم مخافةَ الفقرِ، فنهاهُم عنه وضمِنَ لَهُم أَرزاقَهُم فقال:

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾: ذنبًا كبيرًا؛ لِمَا فيهِ مِن قَطعِ التَّناسُلِ وانقِطاعِ النَّوعِ.

والخطَأُ: الإثـمُ، يقـال: خَطِئَ خِطْئاً كأَثِـمَ إِثْمًـا، وقـرأ ابـنُ عامِـرٍ بروايـة ابن ذكـوان: ﴿خَطَـأً﴾، وهـو اسـمٌ مِـن أخطَـأَ لضـدِّ الصَّـوابِ، وقيـل: لغـةٌ فيـه، كمَثَلٍ ومِثْـلٍ، وحَـذَرٍ وحِـذْرٍ.

= وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٤/ ٤٩١): وأنت تعلم أنه يأبى هذا كونُ السورة مكية والآية ليست من المستثنيات، ولعل الخبر لم يثبت، فعن ولي الدين العراقي: أنه لم يجده في شيء من كتب الحديث؛ أي: بهذا اللفظ، وإلا فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: «ما عندنا اليوم شيء»، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً فنزلت، وأخرج ابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو نحوه، وليس في شيء منهما حديث أذان بلال وما بعده.

(١) أي: يغشاكَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿خِطاءً﴾ بالمدِّ والكَسرِ[١]، وهو إمَّا لُغَةٌ فيه، أو مَصدرُ خاطَأَ، وهو وإنْ لَمْ يُسمَع لكنَّه جاءَ تَخاطَأَ في قولِه:

تَخَاطَأَهُ القَنَّاصُ حَتَّى وَجَدْتُهُ وَخُرْطُومُهُ فِي مِنْقَعِ المَاءِ رَاسِبُ[٢]

وهو مَبنيٌّ عليه.

وقُرِئَ: (خَطَاءً) بالفتحِ والمَدِّ، و: (خطًا) بحذفِ الهمزةِ مَفتوحًا ومَكسورًا[٣].

(٣٢) ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ بالعَزمِ[٤] والإتيانِ بالمُقدِّماتِ[٥] فضلًا أن تُباشروهُ ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾: فَعْلةً[٦] ظاهرةَ القُبحِ زائدتَهُ ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: وبئسَ طَريقًا طريقُه، وهو الغصبُ على الإبضاعِ[٧] المُؤدِّي إلى قطعِ الأنسابِ وهَيجِ الفِتَنِ.

(٣٣) ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلَّا بإحدَى ثلاثٍ: كُفرٍ بعدَ إيمانٍ، وزِنًى بعدَ إحصانٍ، وقتلِ مُؤمنٍ مَعصومٍ عَمْدًا.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: غيرَ مُستوجبٍ للقَتلِ ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: للَّذي يَلِي أمرَهُ بعدَ وفاتِه وهو الوارِثُ ﴿سُلْطَانًا﴾ تَسَلُّطًا بالمؤاخذَةِ بمُقتضى القَتلِ على مَن عليه[٨]،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) البيت بلا نسبة في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٩٧)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٢). وفي «الحجة»: «القعاص» بدل «القناص».

(٣) قرأ (خَطَاءً) و(خَطاً) الحسن، و(خِطاً) أبو رجاء والزهري. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩).

(٤) في نسخة الخيالي: «بالقصد».

(٥) في نسخة الخيالي: «وإتيان المقدمات».

(٦) بفتحِ الفاء إشارةً إلى وجهِ تأنيثِهِ.

(٧) أي: الإكراه على المجامعَة.

(٨) كذا في نسخة الخيالي، وفي نسخة الطبلاوي: «على من قتله» وكذا في حاشيتي ابن التمجيد والقونوي، ووقع في نسخة التفتازاني وعلى هامش نسخة الطبلاوي: «على من غلبه». =

أو بالقصاصِ على القاتلِ، فإنَّ قولَه: ﴿مَظْلُومًا﴾ يدلُّ على أنَّ القتلَ عمداً عدوانٌ، فإنَّ الخَطأَ لا يُسمَّى ظُلْمًا.

﴿فَلَا يُسْرِف﴾؛ أي: القاتلُ ﴿فِي ٱلْقَتْلِ﴾ بأنْ يَقتلَ مَن لا يَحِقُّ قتلُه، فإن العاقلَ لا يفعَلُ ما يَعودُ عليه بالهلاكِ، أو الوليُّ بالمُثْلةِ، أو قتلِ غيرِ القاتلِ.

ويؤيِّدُ الأوَّلَ قراءةُ أُبيٍّ: (فَلا تُسرِفُوا)[1].

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿فَلَا تُسْرِف﴾[2] على خطابِ أَحدِهِما.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ عِلَّةُ النَّهيِ على الاستئنافِ، والضَّميرُ إمَّا للمَقتولِ فإنَّه مَنصورٌ في الدُّنيا بثبوتِ القصاصِ بقَتلِه، وفي الآخرةِ بالثَّوابِ، وإما لوليِّهِ فإنَّ اللهَ نصرَهُ حيثُ أوجبَ القصاصَ لَهُ وأمرَ الوُلاةَ بمَعونَتِه، وإمَّا للَّذي يَقتُلُه الوَلِيُّ إسرافًا، بإيجابِ القصاصِ أو التَّعزيرِ والوِزرِ على المُسرفِ.

= قال الشهاب الخفاجي: قوله: «بالمؤاخذة» يعمُّ القصاص والدية، وقوله: «بمقتضى» متعلق بـ«المؤاخذة»، وقوله: «على مَن» متعلق بـ«تسلطاً»، وقوله: «مَن عليه» بتقدير: مَن هو عليه، وضمير (هو) المحذوفُ يعود على «مقتضى»، وضمير «عليه» يعود على «مَن». انظر: «حاشية الشهاب»: «على مَن قتله».

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠).

(٢) القراءة في «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥٣)، عن حمزة والكسائي وابن عامر، وفي «حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش، عن حمزة والكسائي ولم يذكروا ابن عامر، وفي «المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر النيسابوري (ص: ٢٦٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧)، عن حمزة والكسائي وخلف. وقال في «البحر المحيط» (١٤/ ٧٢): في نسخة من «تفسير ابن عطية»: (وابن عامر، وهو وهم).

(٣٤) ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ فَضْلًا أَنْ تَتصرَّفُوا فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلا بالطَّريقَةِ التي هيَ أحسَنُ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ غايةٌ لجوازِ التَّصرُّفِ الذي دلَّ عليه الاستثناءُ.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: بما عاهدَكُم اللهُ مِن تَكاليفِه، أو: ما عاهَدْتُموه وغيرَه ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: مطلوبًا يُطلَبُ من العاهدِ أن لا يُضيِّعَهُ ويَفِيَ به، أو: مَسؤولًا عنه يُسأَلُ النَّاكثُ ويُعاتَبُ عليه، أو يُسألُ العهدُ: لِمَ نُكِثْتَ؟ تبكيتًا للنَّاكثِ، كما يقالُ للمَوؤدَةِ: (بأيِّ ذنبٍ قُتلْتِ)[1] [التكوير: ٩] فيكونُ تَخييلًا.

ويجوزُ أَنْ يُرادَ: إنَّ صاحبَ العهدِ كانَ مسؤولًا.

(٣٥) ـ ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾: ولا تَبخَسُوا فيه ﴿وَزِنُوا بالقُسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: بالميزانِ السَّويِّ، وهو رُوميٌّ عُرِّبَ، ولا يَقدَحُ ذلك في عربيَّةِ القرآنِ؛ لأن العَجَميَّ إذا استعملَتْهُ العَربُ وأجرَتْهُ مُجرى كلامِهِم في الإعرابِ والتَّعريفِ والتَّنكيرِ ونحوِهَا صارَ عَرَبيًّا.

وقرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بكَسرِ القَافِ هنا وفي (الشعراء)[2].

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسَنُ عاقبَةً، تَفعيلٌ مِن آلَ: إذا رَجَعَ.

(٣٦) ـ ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾: ولا تَتَّبعْ، وقُرِئَ: (ولا تَقُفْ)[3] مِن قافَ أثرَهُ: إذا قفاهُ، ومنه القافَةُ.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لم يَتعلَّقْ بهِ عِلمُكَ تَقليدًا أو رجمًا بالغيبِ.

---

(١) بسكون اللام وكسر التاء. انظر: «البحر» (١٤/ ٧٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، عن بعضهم، ونسبت في «زاد المسير» (٣/ ٢٤)، و«البحر» (١٤/ ٧٧)، لمعاذ القارئ.

واحتَجَّ به مَن مَنعَ اتِّباعَ الظنِّ، وجوابُه: أنَّ المُرادَ بالعلمِ هو الاعتقادُ الرَّاجِحُ المُستفادُ مِن سندٍ، سَواءٌ كانَ قَطْعًا أو ظنًّا، واستعمالُه لهذا المَعنى شائعٌ.

وقيل: إنَّه مَخصوصٌ بالعَقائدِ.

وقيل: بالرَّمي وشَهادةِ الزُّورِ، ويُؤيِّدُه قولُه عليه السَّلامُ: «مَن قفا[1] مُؤمِنًا بما ليسَ فيه حَبَسَهُ اللهُ في رَدْغَةِ الخَبَالِ[2] حتى يَأتِيَ بالمَخْرَجِ»[3]، وقولُ الكُمَيتِ:

وَلَا أَرْمِـي البَرِيءَ بِـغَيْرِ ذَنْـبٍ ... وَلَا أَقْفُو الحواصِـنَ إِنْ قُفِينَا[4]

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: كلُّ هذهِ الأَعضاءِ، فأَجراهَا مُجرَى العُقَلاءِ لَمَّا كانَتْ[5] مَسؤولةً عَن أَحوالِها شاهِدَةً على صَاحبِها.

هذا وإنَّ (أولاء) وإن غلبَ في العُقلاءِ، لكنَّه مِن حَيثُ إنَّه اسمُ جمعٍ لـ(ذا) ـ وهو يعمُّ القَبيلَيْنِ ـ جاءَ لغيرِهم كقولِه:

والعَيْـشَ بَعْـدَ أُولئِـكَ الأَيَّـامِ[6]

---

(١) أي: اغتاب وقذف.

(٢) رَدْغَةِ الخَبَالِ: ما يخرجُ من أبدان أهل النَّار من القيح والدم والصديد ونحوه.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٩٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٥٣٨٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «ذيل ديوان الكميت بن زيد الأسدي» (ص:٤٦٦).

(٥) بعدها في نسخة التفتازاني: «عفيفات».

(٦) البيت لجرير، وصدرُه:

ذُمَّ المَنَـازِلَ بعـدَ منزِلَـةِ اللِّـوَى

انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٩٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٩٦)، و«البحر» (١٤/ ٧٧). ورواية الديوان: (أولئك الأقوام).

﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ في ثلاثَتِها ضَميرُ ﴿كُلُّ﴾؛ أي: كانَ كلُّ واحدٍ مِنْها مَسؤُولًا عن نَفسِه؛ يعني: عمَّا فعلَ به صاحبُهُ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الضَّميرُ في ﴿عَنْهُ﴾ لمصدرِ ﴿لا تقف﴾ أو لصاحبِ السَّمعِ والبَصَرِ.

وقيل: ﴿مَسْـُٔولًا﴾ مُسندٌ إلى ﴿عَنْهُ﴾، كقولِه: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، والمعنى: يُسأَلُ صاحبُهُ عَنْه. وهو خَطَأٌ؛ لأنَّ الفاعِلَ وما يَقومُ مَقامَهُ لا يَتقدَّمُ.

وفيه دَليلٌ على أنَّ العبدَ مؤاخذٌ بعَزمِهِ على المَعصِيَةِ.

وقُرِئَ: (والفَوَادَ) بقلبِ الهَمزَةِ واوًا بعدَ الضمَّةِ ثمَّ إبدالِها بالفَتحة[1].

(٣٧) ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أي: ذا مرحٍ، وهو الاختيالُ.

وقُرِئَ: (مَرِحًا)[2]، وهو باعتبارِ الحُكمِ أبلَغُ وإنْ كانَ المصدَرُ آكدَ مِن صَريحِ النَّعتِ[3].

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تجعلَ فيها خَرقًا بشِدَّةِ وَطأتِكَ ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتَطاوُلك، وهو تَهكُّمٌ بالمُختالِ، وتعليلٌ للنَّهيِ بأَنَّ الاختيالَ حماقَةٌ مجرَّدَةٌ لا تَعودُ بجَدْوى ليس في التَّذلُّلِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢١)، عن الجراح قاضي البصرة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠) عن يحيى بن يعمر.

(٣) يعني القراءة بالوصفِ هُنا أبلغ من قراءَة المصدر المُفيد للمُبالغَةِ بجعلهِ عين المرح، كما يُقالُ: رجل عدل؛ لأنَّهُ واقع في حيِّزِ النَّهي الَّذي هو في معنى النَّفي، ونفي أصلِ الاتِّصاف أبلغ من نفي زيادتهِ ومبالغته. «حاشية الخفاجي».

(٣٨) ـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الخصالِ الخَمسةِ والعِشرينَ المَذكورةِ مِن قولِه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَنَّها المَكتوبةُ في أَلواحِ مُوسَى عليه السَّلامُ[١].

﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ يعني: المنهيَّ عنه، فإنَّ المَذكوراتِ مَأموراتٌ ومَناهٍ.

وقرَأَ الحِجازِيَّانِ والبَصرِيَّانِ: ﴿سيئةً﴾[٢] على أَنَّها خبرُ ﴿كَانَ﴾، والاسمُ ضَميرُ ﴿كُلُّ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما نَهَى عنه خاصَّةً، وعلى هذا قولُه: ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ بدلٌ مِن ﴿سيئةً﴾، أو صِفةٌ[٣] لها مَحمولَةٌ على المعنى فإنَّه بمَعنى: (سيئًا)، وقد قُرِئَ بهِ[٤].

ويجوزُ أَنْ يَنتصِبَ ﴿مَكْرُوهًا﴾ على الحالِ مِن المُستكِنِّ في ﴿كَانَ﴾، أو في

---

(١) ذكره عن ابن عباس أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٤١) عن الكلبي. ولفظ الزمخشري: «هذه الثماني عشرةَ آيةً كانت في ألواحِ موسى عليه السلام، أوَّلُها: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهي عشرُ آيات في التوراة». والذي رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨) عن ابن عباس هو قوله: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾. قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٤/ ٥١٦): وهذا أعظم مدحاً للقرآن الكريم مما في «الكشاف».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧). الحجازيان: نافع المدني وابن كثير المكي، والبصريان: أبو عمرو ويعقوب.

(٣) قوله: «بدل من (سيئةً) أو صفة لها»؛ أي: ﴿مَكْرُوهًا﴾، و﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ متعلق به مقدَّم من تأخير. انظر: «حاشية الشهاب».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، وفيه: (سيئاً) في بعض المصاحف، وفي بعضها: (سيئات).

الظَّرفِ على أنَّه صِفَةُ ﴿سيئةً﴾، والمرادُ به: المبغوضُ المُقابِلُ للمَرضيِّ، لا ما يُقابلُ المُرادَ؛ لقيامِ القاطعِ على أنَّ الحوادِثَ كلَّها واقِعَةٌ بإرادَتِه تَعالى[1].

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الأحكامِ المُتقدِّمَةِ ﴿مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ التي هي مَعرِفَةُ الحقِّ لذاتِه، والخيرِ للعَملِ بِهِ.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ كرَّرَه للتَّنبيهِ على أنَّ التَّوحيدَ مَبدأُ الأَمرِ ومُنتهاه، فإنَّ مَن لا قَصْدَ له بَطَلَ عَمَلُه، ومَن قَصَدَ بفِعلِه أو تركِه غيرَهُ ضاعَ سَعيُه، وأنَّه رأسُ الحكمَةِ ومِلاكُها، ورتَّبَ عليه أوَّلًا ما هو عائِدةُ الشِّركُ في الدُّنيا، وثانيًا ما هو نتيجَتُه في العُقبَى[2]، فقال: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلومُ نَفسَكَ ﴿مَّدۡحُورًا﴾: مُبعَدًا مِن رَحمَةِ اللهِ.

(٤٠) ـ ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ خِطابٌ لِمَن قال[3]: الملائِكَةُ بَناتُ اللهِ، والهمزةُ للإنكارِ، والمعنى: أَفَخصَّكُم[4] رَبُّكُم بأَفضلِ الأَولادِ وهُم البَنُونَ ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾: بناتٍ لنفسِهِ، هذا خلافُ ما عليهِ عُقولُكُم وعادتُكُم.

---

(١) قوله: «والمراد به المبغوض»؛ أي: المراد بالمكروه هنا، وهو جواب عن قول المعتزلة: أنَّ القبائح لا تتعلق بها الإرادة وإلا اجتمع الضدان: الإرادةُ المرادفة أو الملازمة للرضا عندهم، والكراهةُ، فدلت الآية على أن القبيح لا تتعلق به الإرادة، ونحن لا نقول بذلك لما ذكره المصنف رحمه الله، لكن الجواب تحقيقي لا إلزامي؛ لأنه إنما يتم بأن الإرادة ليست عين الرضا ولا مستلزمة له.
وقوله: «لقيام القاطع..» دفع لقولهم: لا يعدل عن الظاهر بلا دليل ولا ضرورة. انظر: «حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١١/ ٥٠٩).

(٢) قوله: «ورتب عليه...» يعني قوله: ﴿مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ وقوله: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) في نسخة التفتازاني: «يقول»، وفي نسخة الطبلاوي: «يقولوا».

(٤) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «أيخصكم».

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافةِ الأَولادِ إليه، وهنَّ خاصَّةُ بعضِ الأجسامِ لسُرعَةِ زَوالِها، ثمَّ بتفضيلِ أنفُسِكُم عليه حيثُ تجعلونَ له ما تَكرهونَ، ثمَّ بجعلِ المَلائكةِ الذين هُمْ من أشرَفِ خلقِ اللهِ أدوَنَهُم.

(٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: ولقد كرَّرْنا هذا المعنى بوجوهٍ مِن التَّقريرِ ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: في مَواضِعَ مِنه، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بـ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: إبطالُ إضافةِ البَناتِ إليه بتَقديرِ: ولقَدْ صَرَّفنا القَولَ في هذا المعنى، أو أوقَعْنَا التَّصريفَ فيه.

وقُرِئَ: (صَرَفْنَا) بالتَّخفيفِ[١].

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليَتذكَّرُوا، وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ هنا وفي الفرقان: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾[٢] من الذِّكرِ الذي هو بمَعنى التَّذكُّرِ.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عَن الحقِّ وقلَّةَ طُمأنينةٍ إليه.

(٤٢) ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ﴾ أَيُّها المُشركونَ، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وحَفصٌ باليَاءِ فيه وفيما بعدَهُ على أنَّ الكلامَ مع الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، ووافَقَهُما نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عمرٍو وأبو بكرٍ ويعقوبُ في الثَّانيَةِ[٣] على أنَّ الأُولى ممَّا أُمِرَ الرَّسولُ أن يخاطبَ به المشركينَ، والثَّانيةَ ممَّا نَزَّهَ بِهِ نَفسَهُ عَن مَقالِهِم.

﴿إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ جوابٌ عَن قولِهِم وجزاءٌ لـ﴿لَّوْ﴾، والمعنى: اطلُبوا إلى مَن هو مالكُ الملكِ سَبيلًا بالمَفازَةِ كمَا يفعَلُ الملوكُ بعضُهُم مَع بعضٍ، أو بالتَّقرُّبِ إليه والطَّاعةِ لعِلمِهِم بقُدرَتِه وعَجْزِهِم، كقولِه: ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢١)، عن الحسن.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨١)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٤٣) ـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ يُنزَّهُ تنزيهًا ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾: تعاليًا ﴿كَبِيرًا﴾ مُتباعِدًا غايةَ البُعدِ عمَّا يَقولونَ، فإنَّه في أَعْلَى مَراتبِ الوُجودِ، وهو كونُه واجبَ الوُجودِ والبقاءِ لذاتِه، واتِّخاذُ الولدِ مِن أَدنَى مَراتبِهِ، فإنَّه مِن خواصِّ ما يَمتَنِعُ بَقاؤُه.

(٤٤) ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾: يُنزِّهُهُ ممَّا هو مِن لَوازمِ الإمكانِ وتَوابعِ الحُدوثِ بلِسانِ الحالِ[١]، حيثُ تَدلُّ بإمكانِها وحُدوثِها على الصَّانعِ القَديمِ الواجبِ لِذَاتِه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أيُّها المُشرِكُونَ لإخلالِكُم بالنَّظرِ الصَّحيحِ الذي به يُفهَمُ تَسبيحُهُم.

ويجوزُ أَنْ يُحمَلَ التَّسبيحُ على المُشتركِ بينَ اللفظِ والدَّلالةِ لإسنادِهِ إلى ما يُتصوَّرُ مِنْهُ اللفظُ وإلى ما لا يُتصوَّرُ مِنْهُ، وعليهِمَا عندَ مَن جوَّزَ إطلاقَ اللَّفظِ على مَعنَيَيهِ.

وقرَأَ ابنُ كَثيرٍ ونافِعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بَكرٍ: ﴿يُسبِّحُ﴾ بالياءِ[٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ حينَ لَمْ يُعاجِلْكُم بالعُقوبَةِ على غَفْلَتِكُم وشِرْكِكُمْ ﴿غَفُورًا﴾ لِمَن تابَ مِنكُم.

(٤٥) ـ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا﴾ يحجُبُهُم عن فهمِ مَا تَقرؤُهُ عليهِم ﴿مَّسْتُورًا﴾: ذا سِترٍ، كقَولِه: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، وقولِهِم: سيلٌ مُفْعَمٌ، أو: مَسْتُورًا عن الحسِّ، أو بحجابٍ آخرَ لا يَفهَمُونَ ولا

---

(١) قال السيوطي: قلتُ: كلَّا، بل هو بلسانِ القالِ كما وردَتْ به الأحاديثُ، وكفَاه بظهورِ ذلك صريحًا في أحاديثِ تَسبيحِ الحَصى في كفِّه ﷺ. وإذا شئتَ أَنْ تَتضلَّعَ مِن ذلك فانظُرْ إلى ما أوردناهُ في كتابنا «التفسير المأثور» في هذه الآية، وفي كتابِ «المعجزات النبوية» من الأحاديثِ والآثارِ، غايَةُ الأَمرِ أنَّا حُجِبْنا عَن سماعِه وهو مَعنى قولِه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. «حاشية البيضاوي» (٨/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨١)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

يَفْهَمُونَ أنهم لا يَفْهَمُونَ، نفى عنهم أَنْ يَفهَمُوا ما أُنزِلَ عليهِمْ مِن الآياتِ بَعدَما نَفَى عَنْهُم التَّفقُّهَ للدَّلالاتِ المَنصوبَةِ في الأَنفُسِ والآفاقِ تَقريرًا له وبيانًا لكونِهِم مَطبوعِينَ على الضَّلالَةِ؛ كمَا صَرَّحَ بقَولِه:

(٤٦) ـ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تُكِنُّها وتحولُ دونَها عَن إدراكِ الحقِّ وقَبولِه ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهةَ أَنْ يَفْقَهُوهُ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَفْعُولًا لِمَا دَلَّ عليهِ قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: مَنَعناهُم أن يفقهوهُ.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يَمنعُهُم عن استماعِه[1]، ولَمَّا كان القُرآنُ مُعجِزًا مِن حيثُ اللفظُ والمعنى أثبتَ لِمُنكريهِ ما يمنَعُ عَن فَهمِ المَعنى[2] وإدراكِ اللَّفظِ[3].

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾: واحِدًا غيرَ مَشفوعٍ بهِ آلهتُهُم، مصدرٌ وقعَ موقِعَ الحالِ، وأصلُهُ: تَحِدُ وَحْدَهُ، بمعنى: واحدًا وحدَه.

﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: هربًا مِن استماعِ التَّوحيدِ ونفرةً، أَوْ: تَوْلِيةً، ويجوزُ أَنْ يكونَ جمعَ نافِرٍ كقاعِدٍ وقُعودٍ.

(٤٧) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: بسببِهِ ولأَجلِهِ مِن الهزءِ بكَ وبالقُرآنِ ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَعْلَمُ﴾، وكذا: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾؛ أي: نَحنُ أعلَمُ بغَرَضِهِم مِن الاستِماعِ حينَ هُمْ مُستَمِعونَ إليكَ مُضمِرونَ لَهُ وحينَ هُمْ ذَوُو نَجْوَى يَتناجَوْنَ بهِ.

و﴿نَجْوَىٰٓ﴾ مَصدرٌ، ويحتمِلُ أن يكونَ جمعَ نَجِيٍّ.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مُقدَّرٌ بـ: اذكر، أو بدلٌ مِن ﴿إِذْ

---

(١) في نسخة الخيالي: «عن استماع ذلك».

(٢) بقولِه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥].

(٣) بقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

هُـم نَجْـوَى﴾ على وضـعِ (الظَّالِميـنَ) مَوضِـعَ الضَّميـرِ للدَّلالَـةِ علـى أنَّ تَناجِيَهم بقَولِهـم هذا.

والمسحورُ: الذي سُحرَ به فزالَ عَقلُهُ.

وقيل: الذي له سَحرٌ، وهو الرِّئَةُ؛ أي: إلَّا رَجُلًا يتنفَّسُ ويأكلُ ويَشرَبُ مِثلَكُم.

(٤٨) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ مَثَّلُوكَ بـالشَّـاعرِ والسَّاحرِ والكاهنِ والمَجنونِ.

﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ في جَميعِ ذلك ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى طَعـنٍ موجَّهٍ، فيَتهافَتونَ ويَخبِطُونَ كالمُتحيِّرِ في أَمْرِهِ لا يَدرِي ما يصنَعُ. أو: إلى الرَّشادِ.

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا﴾: حُطامًا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ علـى الإنكارِ والاستبعادِ؛ لِمَا بينَ غَضاضةِ الحيِّ ويُبوسَةِ الرَّميمِ مِن المباعدةِ والمُنافاةِ، والعاملُ في (إذا) ما دلَّ عليه (مَبعوثون) لا نفسُهُ؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعمَلُ فيما قبلَها، و﴿خَلْقًا﴾ مصدرٌ أو حالٌ.

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿قُل﴾ جوابًـا لهـم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: ممَّـا يكبُـرُ عندَكُـم عَن قَبـولِ الحياةِ لكَونِـه أبعَدَ شَـيءٍ مِنْها، فإنَّ قُدرتَـهُ تَعالى لا تَقصُرُ عَن إحيائِكُم؛ لاشـتراكِ الأَجسـامِ في قَبـولِ الأَعراضِ، فكيفَ إذا كُنْتُـم عِظامًـا مَرفوتـةً وقد كانَـتْ غَضَّةً موصوفَـةً بالحياةِ قبـلُ؟ والشَّـيءُ أَقبَلُ لِمَا عُهِدَ فيـهِ ممَّا لَـمْ يُعهَد.

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وكنتُمْ تُرابًا، وما[1] هو أبعَدُ مِنه مِن الحَياةِ؟

---

(١) كتب فوقها في نسخة الخيالي: «استفهام».

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: فسُيحرِّكُونَها نحوَكَ تعجُّبًا واستهزاءً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فإنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قَريبٌ، وانتصابُه على الخبرِ، أو الظَّرفِ؛ أي: يكونَ في زَمانٍ قَريبٍ، و﴿أَن يَكُونَ﴾ اسمُ ﴿عَسَىٰٓ﴾، أو خبرُه والاسمُ مُضمَرٌ.

(٥٢) - ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: يوم يَبْعَثُكُم فتنبعِثُونَ، استعارَ لَهُما الدُّعاءَ والاستجابةَ للتَّنبيهِ على سُرعَتِهما وتَيسُّرِ أَمرِهما، وأنَّ المَقصودَ مِنْهُما الإحضارُ للمُحاسبةِ والجزاءِ.

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حالٌ مِنْهُم؛ أي: حامدينَ للهِ على كمالِ قُدرَتِه؛ كما قيل: إنَّهُم ينفضونَ التُّرابَ عَن رُؤوسِهم ويَقولونَ: سُبحانكَ اللهمَّ وبحمدِكَ[1].

أو: مُنقادِينَ لبَعثِه انقيادَ الحامِدينَ عليه.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: وتَستقصرونَ مُدَّةَ لُبثِكُم في القُبورِ كالذي مرَّ على قَريَةٍ، أَوْ: مُدَّةَ حياتِكُم لِمَا تَرَوْنَ مِن الهَوْلِ.

(٥٣) - ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ يعني: المؤمنينَ ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: الكلمَةَ التي هيَ أحسَنُ، ولا يُخاشِنُوا المُشركينَ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يَهيجُ بينَهُم المِراءَ والشَّرَّ، فلعلَّ المُخاشنَةَ بهِمْ تُفضِي إلى العِنادِ وازديادِ الفسادِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهرَ العَداوةِ.

(٥٤) - ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ تفسيرٌ لـ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وما بينَهُما اعتراضٌ؛ أي: قولوا لهم هذه الكلمةَ ونَحوَها ولا تُصرِّحُوا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٤) عن سعيد بن جبير.

بأَنَّهُم مِن أَهلِ النَّارِ، فإنَّه يَهيجُهُم على الشرِّ مع أنَّ ختامَ أَمرِهِم غيبٌ لا يَعلَمُهُ إلَّا اللهُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: موكولًا إليك أمرُهُم بقَسْرِهِم على الإيمانِ، وإنَّما أَرسلناكَ مُبشِّرًا ونذيرًا، فدارِهِم ومُرْ أَصحابَكَ بالاحتمالِ مِنْهُم.

رُوِيَ: أنَّ المُشركينَ أفرَطُوا في إيذائِهِم، فشَكَوْا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فنَزَلَتْ[1].

وقيل: شتَمَ عُمَرَ رَجُلٌ فهمَّ بهِ فأمرَهُ اللهُ بالعَفْوِ[2].

(٥٥) ـ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبِأحوالِهِم، فيختارُ مِنْهُم لنُبوَّتِه وولايتِهِ مَن يَشاءُ، وهو ردٌّ لاستبعادِ قريشٍ أَنْ يكونَ يتيمُ أبي طالبٍ نَبيًّا، وأن يكونَ العُراةُ الجُوَّعُ أصحابَه.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالفَضائلِ النفسانيَّةِ والتَّبرِّي عَن العَلائقِ الجسمانيَّةِ، لا بكثرةِ الأَموالِ والأَتباعِ، حتَّى داودُ فإنَّ شرَفَهُ بما أُوحِيَ إليهِ مِن الكتابِ لا بما أُوتِي مِن الملكِ.

وقيل: هو إشارةٌ إلى تَفضيلِ رَسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ.

وقولـه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ تَنبيـهٌ علـى وجهِ تَفضيلِـه ـ وهو أنَّه خاتـمُ الأنبياءِ، وأمَّتَـه خيـرُ الأُمَـمِ ـ المدلـولِ عليـه بمـا كتـبَ فـي الزَّبـورِ مِـن أنَّ الأرضَ يَرِثُهـا عبـادِيَ الصَّالحـونَ، وتَنكيـرُهُ هاهنا وتعريفُـهُ في قَولِـه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبيـاء: ١٠٥] لأنَّـه فـي الأَصـلِ فَعولٌ للمَفعـولِ كالحَلُـوبِ، أو المَصـدرِ كالقَبولِ،

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله من طريق الكلبي كما عزاه إليه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٨).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨).

ويؤيِّدُه قراءَةُ حمزةَ بالضَّمِّ[1]، وهوَ كالعَبَّاسِ أو الفَضْلِ، أو لأنَّ المُرادَ: وآتَيْنَا داودَ بعضَ الزُّبُرِ، أو: بَعْضًا مِن الزَّبورِ فيه ذكرُ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

(٥٦) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّها آلِهَةٌ ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكةِ والمَسيحِ وعُزَيرٍ.

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾: فلا يَستطيعونَ ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ كالمرضِ والفَقرِ والقَحْطِ ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: ولا تحويلَ ذلك مِنْكُم إلى غيرِكُم.

(٥٧) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هؤلاءِ الآلهةُ يَبتغونَ إلى اللهِ القُربةَ بالطَّاعةِ ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ مِن واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يَبتَغِي مَن هو أقرَبُ مِنْهُم إلى اللهِ الوَسيلةَ، فكيفَ بغَيرِ الأَقرَبِ؟

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كسائرِ العِبادِ، فكيفَ تَزعُمونَ أنَّهُم آلهةٌ؟

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾: حقيقاً بأَنْ يَحذَرَهُ كلُّ أحدٍ حتَّى الرُّسُلُ والمَلائِكَةُ.

(٥٨) ـ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالموتِ والاستئصالِ ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتلِ وأنواعِ البَلِيَّةِ ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوحِ المَحفوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوبًا.

(٥٩) ـ ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾: وما صَرَفَنا عَن إرسالِ الآياتِ التي اقترحَتها قريشٌ ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: إلا تكذيبُ الأوَّلينَ الذينَ هم أمثالُهُم في الطَّبعِ كعادٍ وثمودَ، وأنَّها لو أُرسِلَت لكَذَّبُوا بها تكذيبَ أُولئكَ واستَوْجَبُوا الاستئصالَ على ما مَضَتْ بهِ سُنَّتُنا، وقَدْ قَضَيْنَا أَنْ لا نَستَأْصِلَهُم؛ لأنَّ فيهِمْ مَن يُؤمِنُ أو يَلِدُ مَن يُؤمِنُ.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

ثمَّ ذكرَ بعضَ الأُمَمِ المُهلَكةِ بتكذيبِ الآياتِ المقترحَةِ فقال:

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ بسُؤالِهم ﴿مُبْصِرَةً﴾: بيِّنةً ذاتَ إبصارٍ أو بصائِرَ[1]، أو: جاعِلَتَهُم ذَوِي بَصائِرَ. وقُرِئَ بالفَتحِ.

﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾: فكفَرُوا بها، أو: فظَلَمُوا أنفُسَهُم بسببِ عَقرِها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾؛ أي: بالآياتِ المقترحةِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ مِن نُزولِ العَذابِ المُستَأصِلِ، فإنْ لَمْ يَخافوا نزلَ.

أو: بغيرِ المُقترحَةِ كالمُعجزاتِ وآياتِ القُرآنِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ بعذابِ الآخرَةِ، فإنَّ أمرَ مَن بُعِثَتْ إليهِمْ مُؤخَّرٌ إلى يومِ القِيامَةِ.

والباءُ مَزِيدَةٌ، أو في مَوقعِ الحالِ والمَفعولُ مَحذوفٌ[2].

(٦٠) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾: واذكُرْ إذ أَوْحَيْنا إليكَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ فهُمْ في قَبْضَةِ قُدرَتِه، أو: أحاطَ بقُرَيشٍ بمَعنى: أَهلَكَهُم، مِن: أحاطَ بِهم العَدُوُّ، فهو بِشارَةٌ بوقعَةِ بَدرٍ، والتَّعبيرُ بلفظِ الماضي لتَحقُّقِ وُقوعِه.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ ليلةَ المِعراجِ، وتَعلَّقَ بهِ مَن قال: إنَّه كانَ في المنامِ. ومَن قال: إنَّه كان في اليَقَظَةِ، فسَّرَ الرُّؤيا بالرُّؤيَةِ[3].

---

(١) قوله: «بصائر» معطوف على «إبصار»؛ أي: أو ذات بصائر؛ إشارة إلى أنها إما من الإبصار بمعنى الرؤية، أو من البصيرة بمعنى الإدراك بالقلب، والمعنى: يبصرها المقترح أو يتبصر بها. انظر: «حاشية القونوي» (١١/ ٥٣٦).

(٢) والتقدير: وما نرسل نبيًّا ملتبساً بالآيات. انظر: «روح المعاني» (١٤/ ٥٧٣).

(٣) تفسير الرُّؤيا بالرؤية رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤١ ـ ٦٤٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروقٍ وأبي مالك وإبراهيم النخعي وقتادة ومجاهدٍ وغيرِهم. وقول ابن عباس عند البخاري (٣٨٨٨) و(٤٧١٦).

أو: عامَ الحُدَيبيَةِ حينَ رَأى أنَّه دخلَ مَكَّةَ[١]، وفيه أنَّ الآيةَ مَكِّيَّةٌ، إلا أَنْ يقال: رآها بمَكَّةَ وحَكاها حينَئذٍ.

ولعلَّـهُ رُؤيـا رآهـا في وقعـةِ بَـدرٍ؛ لقولِـه: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣].

ولِمَا رُوِيَ: أنَّه لَمَّا وردَ ماءَهُ قال: «لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ القَوْمِ، هَذَا مَصرَعُ فلانٍ هذا مَصرَعُ فلانٍ»، فتسامَعَتْ بِهِ قُرَيشٌ واستَسْخَرُوا مِنه[٢].

وقيل: رَأَى قَوْمًا مِن بَنِي أُمَيَّةَ يَرْقَونَ مِنبَرَهُ ويَنْزُونَ عليه نَزْوَ القِرَدَةِ فقال: «هو حَظُّهُم مِن الدُّنيا يُعطَونَهُ بإِسْلَامِهِم»[٣]، وعلى هذا كانَ المُرادُ بقولِه: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ ما حدثَ في أَيَّامِهِم.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ عطفٌ عَـلى ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، وهي شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، لَمَّا سَمِعَ المُشركونَ ذِكرَهَا قالوا: إنَّ مُحمَّدًا يزعمُ أنَّ الجَحِيمَ تُحرِقُ الحِجارةَ ثمَّ يقول: يَنْبُتُ فيها الشَّجرُ[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦) عن ابن عباس لكن إسناده ضعيف.

(٢) رواه مسلم (١٧٧٩) في المغازي في قصَّة الطَّائف عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرعُ فلان» ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا، قال: فما ماطَ أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

(٣) عَن سهل بن سعدٍ قال: رأى رسولُ اللهِ ﷺ بني فلانٍ يَنْزُونَ على مِنبَرِهِ نزوَ القِرَدةِ فساءَه ذلك، فأنزلَ اللهُ الآية. رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٦)، قال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية بعد أن ساق هذا الخبر عن الطبري: «وهذا السند ضعيف جدا فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك، وشيخه أيضا ضعيف بالكلية، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء، وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨) عن الحسن.

ولم يعلَمُوا أنَّ مَن قدِرَ أَنْ يَحمِيَ وبرَ السَّمَنْدَلِ[1] مِن أَنْ تَأْكُلَهُ النَّارُ، وأحشاءَ النَّعامةِ مِن أذى الجَمرِ وقِطَعِ الحديدِ المحمَّاةِ الحمرِ التي تَبتَلِعُها، قَدِرَ أَنْ يخلُقَ في النَّارِ شجرَةً لا تَحرِقُها.

ولعْنُها في القُرآنِ: لَعْنُ طاعِميها، وُصِفَت به على المجازِ للمُبالغَةِ، أو وَصفُها بأنَّها تَنبتُ في أَصلِ الجَحِيمِ فإنَّه أَبعَدُ مَكانٍ مِن الرَّحمَةِ، أو بأنَّها مَكروهَةٌ مُؤذيَةٌ، مِن قَولِهِم: «طعامٌ مَلعونٌ» لِمَا كانَ ضَارًّا.

وقد أُوِّلَتْ بالشَّياطينِ، وأَبي جهلٍ، والحكمِ بنِ أَبِي العاصِ.

وقُرِئَتْ بالرَّفعِ[2] على الابتداءِ والخبرُ مَحذوفٌ؛ أي: والشَّجرةُ المَلعونةُ في القُرآنِ كذلك.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواعِ التَّخويفِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: إلا عُتُوًّا مُجاوِزَ الحَدِّ[3].

(٦١) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: لِمَن خلقتَهُ مِن طينٍ، فنُصِبَ بنزعِ الخافضِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ حالًا مِن الرَّاجعِ إلى المَوصولِ؛ أي: خلقتَهُ وهو طِينٌ، أو مِنه؛ أي: أأسجُدُ لَهُ وأَصلُهُ طِينٌ، وفيهِ على الوُجوهِ إيماءٌ بعِلَّةِ الإنكارِ.

---

(١) السمندل: طائر بالهند لا يحترق بالنار، وسماه بعض أهل اللغة: سندل بغير ميم، ومنهم من سماه: سمند بغير لام، وقيل: إنه حيوان كالفأر، ولك أن تقول: إنه فارسيّ بالراء ـ كما وقع في أشعارهم ـ وعرب باللام. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٨٨) عن ابن أبي عبلة.

(٣) في نسخة التفتازاني: «متجاوزًا».

(٦٢) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ الكافُ لتأكيدِ الخِطابِ لا مَحلَّ لَهُ مِن الإِعرابِ، و﴿هَٰذَا﴾ مَفعولٌ أوَّلُ، و﴿ٱلَّذِى﴾ صِفَتُه، والمفعولُ الثَّاني مَحذوفٌ لدلالةِ صِلَتِه عليه، والمعنى: أَخبِرْني عن هذا الذي كرَّمْتَهُ عليَّ بأَمْرِي بالسُّجودِ لَهُ لِمَ كرَّمْتَهُ عَلَيَّ؟!

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كلامٌ مُبتدأٌ، واللامُ مُوطِّئَةٌ للقَسَمِ، وجوابُه: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُم بالإغواءِ إلا قليلًا لا أقدرُ أن أقاوِمَ شَكيمَتَهُم، مِن: احْتَنَكَ الجَرادُ الأرضَ: إذا جردَ ما علَيْهَا أَكْلًا، مأخوذٌ مِن الحَنَكِ.

وإنَّما علمَ أنَّ ذلكَ يَتسَهَّلُ له: إمَّا استِنْبَاطًا مِن قولِ الملائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] مع التَّقريرِ، أو تَفَرُّسًا مِن خلقِه ذا وهمٍ وشَهوَةٍ وغَضَبٍ.

(٦٣) ـ ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾: امضِ لِمَا قَصَدْتُه، وهو طردٌ وتَخْلِيَةٌ بينَهُ وبينَ ما سَوَّلَتْه لَهُ نَفْسُه.

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: جَزاؤُكَ وجَزاؤُهُم، فغُلِّبَ المُخاطَبُ على الغَائِبِ، ويَجوزُ أَنْ يكونَ الخِطابُ للتَّابعينَ على الالتفاتِ.

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مُكمَّلًا، مِن قَولِهِم: فِرْ لصاحِبِكَ عِرْضَهُ، وانتصابُ ﴿جَزَآءً﴾ على المصدرِ بإضمارِ فعلِه، أو بما في ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾ مِن مَعنى: تُجازَوْنَ، أو حالٌ مُوطِّئَةٌ لقولِه: ﴿مَّوْفُورًا﴾.

(٦٤) ـ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: واستَخِفَّ ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ أن تَستَفِزَّهُ، والفَزُّ: الخَفيفُ ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدُعائِكَ إلى الفَسادِ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ وصِحْ عليهِمْ، مِن الجَلَبَةِ، وهي الصِّياحُ ﴿بِخَيْلِكَ ورَجْلِكَ﴾ بأعوانكَ مِن راكبٍ وراجلٍ، والخيلُ: الخَيَّالَةُ، ومِنه قولُه عليه السَّلام: «يا خيلَ اللهِ اركَبي»[1].

(١) رواه هناد في «الزهد» (٢٥)، والكلاباذي في «بحر الفوائد» (١/ ١٠١)، والبيهقي في «الشعب» =

والرَّجْلُ اسمُ جمعٍ للرَّاجلِ، كالصَّحْبِ والرَّكْبِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ تَمثِيلًا لتسلُّطِه على مَن يغويهِ بمِغْوارٍ[1] صوَّتَ على قومٍ فاستفزَّهُم مِن أماكنِهم وأجلبَ عليهِمْ بجُنْدِه حتى استَأْصَلَهُم.

وقرأَ حفصٌ: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ بالكسرِ[2]، وقرئ بالضمِّ[3]، وهما لُغتانِ كنَدِسٍ ونَدُسٍ[4]، ومعناه: وجمعِكَ الرَّجِـلَ[5]، و: (ورِجَالِك)[6]، و: (ورُجَّالك)[7].

= (١٠١٠٦)، من حديث أنس بن مالك. وتقدَّمَ في (سُورةِ يوسُف) الآية (٧٠). ورواه أيضاً ابن المبارك في «الجهاد» (١٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨٦) من حديث أسير بن جابر.

(١) أي: مقاتل.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٣) انظر: «الكشاف» (٥/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٤) والنَّدس: الفَطِن.

(٥) قوله: «ومعناه: وجمعك الرجل» يريد توجيه القراءتين، فإنه مفرد، والمناسب للمقام وما عطف عليه الجمعيةُ، فأشار إلى أنه مفرد أريد به الجمع؛ أي: وأجلب عليهم بجمعِكَ الرجُـلَ؛ أي: الرجال، و«الرَّجِـلُ» مفعول «جمعك» لأنه مصدر. قال الشهاب: ومن العجيب أن بعضهم قال: إنه مضافٌ إليه، ولم يجعل الكافَ في «جمعك» مانعاً للإضافة؛ لجَعْلِها في حكم كلمة واحدة. انظر: «حاشية الشهاب».

قلت: ولعل من ذهب إلى الإضافة بناه على ما وقع في نسخ «الكشاف» من ضبط «الرجلِ» بالكسر، وقد نبهنا عليه في حواشيه، لكن وجهناه ثمة بأن «الرجلِ» صفة لـ«جمعِك» وهو أسلم مما ذهب إليه أولئك البعض من الإضافة وإهمال الكاف، ولعله أجمل معنى أيضاً. انظر: «الكشاف» (٥/ ٧٥).

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢) عن عكرمة وقتادة.

(٧) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠) عن ابن جابر، ودون نسبة في «الكشاف» (٥/ ٦٣٣)، و«البحر» (١٤/ ١٢٧). وضبطت في مطبوع «الشواذ» بفتح الراء، لكن قيدها أبو حيان بالضم، وكذا ضبطت في نسخ «الكشاف».

﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ بحملِهم على كَسْبِها وجمعِها مِن الحرامِ والتَّصرُّفِ فيها على ما لا يَنبَغِي ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ بالحثِّ على التَّوصُّلِ إلى الولدِ بالسَّببِ المحرَّمِ، والإشراكِ فيه بتَسمِيَتِه[1] عبدَ العُزَّى، والتَّضليلِ بالحملِ على الأديانِ الزَّائغَةِ والحِرَفِ الذَّميمَةِ والأَفعالِ القَبيحَةِ.

﴿وَعِدۡهُمۡ﴾ المواعيدَ الباطِلَةَ؛ كشفاعةِ الآلهةِ، والاتِّكالِ على كرامةِ الآباءِ، وتأخيرِ التَّوبةِ لطُولِ الأملِ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ اعتراضٌ لبَيانِ مَواعيدِه، والغرورُ: تَزيينُ الخطَأِ بما يُوهمُ أنَّه صوابٌ.

(٦٥) ـ ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني: المُخلِصينَ، وتعظيمُ الإضافةِ والتَّقييدُ في قولِه: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] يُخصِّصُهُم ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾؛ أي: على إغوائِهم قدرةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ يَتوكَّلونَ به في الاستعاذةِ مِنكَ على الحقيقةِ.

(٦٦) ـ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾: هو الذي يُزجِي ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: الرِّيحَ وأنواعَ الأمتعَةِ التي لا تكونُ عِندَكُم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ حيثُ هَيَّأَ لَكُم ما تَحتاجونَ إليه، وسَهَّلَ عليكُمْ ما تَعسَّرَ مِن أَسبابِه.

(٦٧) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: خوفُ الغَرقِ ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾: ذهبَ عَن خواطرِكُم كلُّ مَن تَدعونَهُ في حَوادِثِكُم ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحدَهُ، فإنَّكُم حينئذٍ لا يخطرُ ببالِكُم سِواه، ولا تَدْعونَ لكَشفِهِ إلا إيَّاهُ، أو: ضلَّ كلُّ مَن تَعبدونَهُ عَن إعانَتِكُم إلَّا اللهُ.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾ من الغرقِ ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ عَن التَّوحيدِ.

وقيل: اتَّسعْتُم في كفرانِ النِّعمةِ، كقولِ ذي الرُّمَّةِ:

---

(١) في نسخة التفتازاني: «كتسميته».

عَطَـاءُ فَتًـى تَمَكَّـنَ فـي المَـعَـالِي ... فَأَعْرَضَ فِـي المَـكَارِمِ وَاسْـتَطَالَا[١]

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ كالتَّعليلِ للإعراضِ.

(٦٨) ـ ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزةُ فيه للإنكارِ، والفاءُ للعَطفِ على مَحذوفٍ تَقديرُه: أَنَجَوْتُم فأَمِنْتُم فحَمَلَكُم ذلك على الإعراضِ، فإِنَّ مَن قدرَ أَنْ يُهلِكَكُم في البَحرِ بالغَرقِ قدرَ أَنْ يُهلِكَكُم في البرِّ بالخسفِ وغيرِه.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: أن يَقلبَهُ اللهُ وأنتُمْ عليه، أو: يقلبَهُ بسبَبِكُم، فـ﴿بِكُمْ﴾ حالٌ أو صِلَةٌ.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وأَبُو عمرٍو بالنُّونِ فيه وفي الأَربعَةِ التي بَعدَه[٢].

وفي ذكرِ الجانبِ تَنبيهٌ عَلى أَنَّهُم كمَا وَصَلُوا السَّاحِلَ كفرُوا وأَعْرَضُوا، وأَنَّ الجَوانِبَ والجِهاتِ في قُدرَتِه سَواءٌ لا مَعقِلَ يُؤمَنُ فيهِ مِن أسبابِ الهَلاكِ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا تَحْصِبُ؛ أي: تَرْمِي بالحَصباءِ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يَحفَظُكُم مِن ذلك فإنَّه لا رادَّ لِفعلِه.

(٦٩) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البَحرِ ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بخَلْقِ دَواعٍ تُلجِئُكُم إلى أن تَرجِعُوا فتركبوهُ ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ لا تمرُّ بشَيءٍ إلا قَصَفَتْهُ؛ أي: كَسَرَتْهُ ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وعن يَعقوبَ بالتَّاءِ[٣] على إسنادِه إلى ضَميرِ ﴿ٱلرِّيحِ﴾.

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بسببِ إِشراكِكُم وكُفرانِكُم نعمةَ الإِنجاءِ.

---

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي» (٣/ ١٥٤٩)، وصدر البيت فيه:

تبــوأ فابتنـــى وبنـــى أبـــوه

(٢) أي: ﴿أو نرسل﴾ ﴿أن نعيدكم﴾ ﴿فنرسل﴾ ﴿فنغرقكم﴾ بالنُّون فيها، وقرأ باقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب من العشرة، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٨).

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: مُطالبًا يتبعُنا[١] بانتصارٍ أو صرفٍ.

(٧٠) ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بحُسنِ الصُّورَةِ، والمزاجِ الأعدَلِ، واعتِدالِ القامَةِ، والتَّمييزِ بالعَقلِ، والإفهامِ بالنُّطقِ والإشارةِ والخَطِّ، والتَّهدِّي إلى أسبابِ المَعاشِ والمَعادِ، والتَّسلُّطِ على ما في الأرضِ، والتَّمكُّنِ مِن الصِّناعاتِ، وانسياقِ الأَسبابِ والمُسبَّباتِ العُلْويَّةِ والسُّفليَّةِ إلى ما يعودُ عَلَيهِم بالمَنافِعِ، إلى غيرِ ذلكَ مما يَقِفُ الحَصرُ دونَ إحصائِهِ.

ومِن ذلك ما ذكرَهُ ابنُ عَبَّاسٍ: وهو أَنَّ كُلَّ حيوانٍ يتناوَلُ طعامَهُ بفِيهِ، إلَّا الإنسانَ فإنَّه يرفَعُه إليه بيدِه[٢].

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ على الدَّوابِّ والسُّفُنِ، مِن: حَمَلْتُه حَمْلًا: إذا جعلْتَ لَه ما يَرْكَبُه، أو: حَمَلْنَاهم فيهِمَا حتَّى لم تُخْسَفْ بِهم الأَرْضُ ولَمْ يُغْرِقْهُم الماءُ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المُستلذَّاتِ ممَّا يَحصُلُ بفِعلِهِم وبغيرِ فِعْلِهِم.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ بالغَلَبَةِ والاستيلاءِ، أو بالشَّرَفِ والكَرامَةِ، والمُستَثْنَى جنسُ المَلائِكَةِ أو الخواصُّ مِنْهُم، ولا يَلزَمُ مِن عَدَمِ تَفضيلِ الجنسِ عَدَمُ تَفضيلِ بَعضِ أَفرادِه، والمَسأَلَةُ موضِعُ نَظرٍ، وقد أُوِّلَ الكثيرُ بالكلِّ، وفيه تَعسُّفٌ.

(٧١) ـ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾ نصبٌ بإضمارِ: اذكُر، أو ظرفٌ لِمَا دلَّ عليهِ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) في نسخة الخيالي: «تبيعًا».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٢).

وقُرِئَ: (يَدْعُو كلَّ)[١]، و: (يُدْعَى كلُّ)[٢]، و: (يُدْعَوْ كلُّ)[٣] على قلبِ الأَلِفِ واوًا في لغَةِ مَن يقولُ: «أَفْعَوْ» في أَفْعَى، أو على أنَّ الواوَ علامَةُ الجمعِ، كما في قولِه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]، أو ضميرُه و(كلُّ) بدلٌ مِنه، والنُّونُ مَحذوفَةٌ لقلَّةِ المُبالاةِ بها، فإنَّها ليسَتْ إلَّا علامةَ الرَّفعِ، وهو قَدْ يقدَّرُ كما في (يُدْعى).

﴿كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بمَنْ ائتمُّوا به: مِن نبيٍّ، أو مُقدَّمٍ في الدِّينِ، أو كتابٍ، أو دينٍ.

وقيل: بكتابِ أَعمالِهِم التي قدَّمُوها فيقالُ: يا صاحبَ كتابِ كذا؛ أي: تَنقَطِعُ عُلقَةُ الأَنسابِ وتَبْقَى نِسبَةُ الأَعمالِ.

وقيل: بالقُوَى الحامِلَةِ لَهُم عَلى عَقائِدِهِم وأَفعالِهِم.

وقيل: بأُمَّهَاتِهِم، جمعُ أُمٍّ، كخُفٍّ وخِفَافٍ[٤]، والحكمةُ في ذلك: إجلالُ عيسَى، وإظهارُ شَرفِ الحسنِ والحُسَينِ، وأن لا يُفتضَحَ أولادُ الزِّنَا[٥].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠) عن مجاهد وقتادة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠) عن بعض المصاحف.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢)، عن الحسن.

(٤) أي: على أن الإمام جمع أُمٍّ، كخفافٍ في جمع خف.

(٥) وقد جعل الزمخشري هذا القول من بدع التفاسير، ثم عقبه بقوله: «وليتَ شعري أَيُّهما أَبدعُ أصحَّةُ لفظه أم بَهَاءُ حكمته؟!!». انظر: «الكشاف» (٥/ ٨٣).

قلت: وهو مردود بما رواه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، ولفظ مسلم: «إذا جَمَعَ الله الأوَّلين والآخِرين يومَ القيامة يُرْفَعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ فيقالُ: هذه غَدْرةُ فلانِ بنِ فلانٍ»، قال القرطبي: «فقولُه: «هذه غدرة فلان ابن فلان» دليلٌ على أنَّ الناس يُدْعَون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وهذا يَرُدُّ على مَن قال: إنما يُدْعَوْن بأسماء أمَّهاتهم لأن في ذلك سَترًا على آبائهم». انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٣١). =

﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ مِن المَدعُوِّينَ ﴿كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ أي: كتابَ عَملِه ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ ابتهاجًا وتَبجُّحًا بما يرونَ فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا يُنقصونَ مِن أُجورِهِم أَدْنَى شيءٍ.

وجَمْعُ اسمِ الإشارةِ والضَّميرِ لأنَّ (مَن أُوتِيَ) في مَعنى الجمعِ، وتعليقُ القِراءَةِ بإيتاءِ الكِتابِ باليَمينِ يَدُلُّ على أنَّ مَن أُوتِيَ كتابَهُ بشِمالِه إذا اطَّلعَ على ما فيهِ غَشِيَهُم مِن الخَجَلِ والحيرَةِ ما يحبسُ أَلسِنَتَهُم عَن القِراءَةِ، ولذلك لم يَذْكُرْهُم مَع أنَّ قولَه: (٧٢) ـ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أيضًا مُشعِرٌ بذلك، فإنَّ الأَعْمَى لا يَقرَأُ الكتابَ.

والمعنى: ومَن كانَ في هذه الدُّنْيَا عَمِيَّ القَلْبِ لا يُبصِرُ رُشدَهُ كانَ في الآخرةِ أَعْمَى لا يَرى طَريقَ النَّجاةِ ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منه في الدُّنيا؛ لزَوالِ الاستعدادِ وفقدانِ الآلةِ والمُهلَةِ، وقيل: لأنَّ الاهتِداءَ بعدُ لا يَنفَعُه.

والأعمى مُستَعارٌ مِن فاقدِ الحاسَّةِ.

وقيل: الثَّاني للتَّفضيلِ مِن عَمِيَ بقَلْبِه كالأَجْهَلِ والأَبْلَهِ، ولذلك لَمْ يُمِلْهُ أبو عَمرٍو ويَعقوبُ[1]، فإنَّ أفعلَ التَّفضيلِ تمامُه بـ(مِن)، فكانَتْ أَلِفُه في حُكمِ المُتوسِّطَةِ كمَا في أعمالِكُم، بخلافِ النَّعتِ فإنَّ أَلِفَهُ واقِعَةٌ في الطَّرَفِ لَفْظًا وحُكْمًا، فكانَتْ مُعرَّضَةً للإمالةِ مِن حيثُ إنَّها تَصيرُ ياءً في التَّثنِيَةِ، وقَدْ أَمَالَهُما حمزةُ والكِسائِيُّ وأبو بَكرٍ، وقرأ ورشٌ بينَ بينَ فيهما[2].

= قلت: وأوضح منه ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٩٣)، وأبو داود (٤٩٤٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تُدْعَون يومَ القيامة بأسمائكم وأسماءِ آبائكم فأَحْسِنوا أسماءكم» لكن إسناده ضعيف لانقطاعه.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٠)، و«النشر» (٢/ ٤٣).

(٢) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٠)، وفيه: أبو بكر وحمزة والكسائي (أعمى) في الحرفين بالإمالة، وأبو =

(٧٣) ـ ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ نَزَلَتْ في ثَقيفٍ قالوا: لا نَدخُل في أَمرِكَ حتَّى تُعْطِيَنا خِصالًا نَفتَخِرُ بها على العربِ: لا نُعْشَرُ ولا نُحْشَرُ ولا نُجَبِّي[١] في صلاتِنا، وكلُّ رِبًا لنا فهو لَنا، وكلُّ ربًا علينا فهوَ مَوضوعٌ عَنَّا، وأن تُمتِّعَنا باللَّاتِ سنةً، وأن تحرِّمَ وادِيَنا كما حَرَّمْتَ مَكَّةَ، فإنْ قالَت العَربُ: لِمَ فَعَلْتَ ذلك؟ فقل: إنَّ اللهَ أَمَرَني[٢].

= عمرو بالإمالة في الأول فقط، وورش بين بين على أصله فيهما، والباقون بالفتح.

(١) قوله: «لا نُعشر، ولا نحشر، ولا نجبي»، «لا نعشر»؛ أي: لا يؤخذ عُشر أموالنا. وقيل: أرادوا به الصدقة الواجبة، وإنما فسح لهم في تركها لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم، وإنما تجب بتمام الحول، «ولا نحشر»؛ أي: لا نندب إلى المغازي ولا تُضرب علينا البعوث، وسُئل جابر عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليهم ولا جهاد، فقال: علِم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا.
وقوله: «ولا نُجبي» أصل التجبية: أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقيل: هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، وقيل: هو السجود، والمراد: لا يُصلون، ولفظ الحديث يدل على الركوع، لقوله في جوابهم: «لا خير في دين ليس فيه ركوع»، فسمى الصلاة ركوعاً لأنه بعضها. انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٣٤٩)، وجاء في بعض المصادر: «ولا نُحنى». والمعنى متقارب.

(٢) ذكره بأطول من هنا: الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٠٨ ـ ٤١٠)، وعبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٢٢) عن ابن عباس، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣)، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٦٧) في نزول هذه الآية، وقال: رواه عطاء عن ابن عباس. ثم ذكر نحوه عن عطية عن ابن عباس. وذكره أيضاً (١/ ٤٦٩) في نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك.
قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٠٠): ذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند. وقال العراقي كما في «روح المعاني» (١٥/ ٣٢): لم نجده في كتب الحديث.
قلت: رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٨٨٤) عن الكلبي.
وهذه الأخبار كلها لا تصح، لكن روي بعضه بإسناد رواته ثقات، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله =

وقيل: في قُرَيشٍ قالوا: لا نُمَكِّنُك مِن استلامِ الحجرِ حتى تُلِمَّ بآلِهَتِنا وتُمسَّها يدَكَ[١].

و(إن) هي المخفَّفَةُ واللامُ هي الفارِقَةُ، والمعنى: إنَّ الشَّأنَ قارَبُوا بمُبالَغَتِهِم أن يوقِعوكَ في الفتنةِ بالاستنزالِ.

﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ مِن الأحكامِ ﴿لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾: غيرَ ما أَوْحَيْنا إليك.

﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾: ولو اتَّبَعْتَ مُرادَهُم لاتَّخذوكَ بافتِتانِكَ وَلِيًّا لهم بريئًا مِن وِلايَتِي.

(٧٤) ـ ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾: ولولا تَثبيتُنَا إيَّاك ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾: لقاربْتَ أَنْ تَميلَ إلى اتِّباعِ مُرادِهِم، والمعنى: أنَّكَ كُنتَ على صَددِ الرُّكونِ إليهِمْ لقُوَّةِ خَدْعِهِم وشِدَّةِ احتِيالِهِم، لكِنْ أَدْرَكَتْكَ عِصمَتُنَا فمُنعتَ أَنْ تقربَ مِن الرُّكونِ فَضْلًا مِن أَنْ تركنَ إليهِم، وهو صَريحٌ في أنَّه عليهِ السَّلامُ ما همَّ بإِجابَتِهِم مع قُوَّةِ الدَّاعِي إليهَا، ودَليلٌ على أنَّ العِصمَةَ بتَوفيقِ اللهِ وحِفظِهِ.

= عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدِموا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٠) عن سعيد بن جبير.

(٧٥) ـ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾؛ أي: لو قاربتَ لأذقناك ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي: عذابَ الدُّنيا وعَذابَ الآخرَةِ، ضعفَ ما نُعَذِّبُ به في الدَّارينِ بمثلِ هذا الفعلِ غيرَكَ؛ لأنَّ خطأَ الخَطيرِ أخطَرُ، وكانَ أَصلُ الكَلامِ: عذابًا ضِعفًا في الحياةِ وعَذابًا ضِعفًا في المَمَاتِ؛ يعني: مُضاعَفًا، ثمَّ حُذِفَ المَوصوفُ وأُقيمَت الصِّفَةُ مُقامَه، ثمَّ أُضيفَتْ كما يُضافُ مَوصوفُها.

وقيل: الضِّعفُ مِن أسماءِ العذابِ.

وقيل: المرادُ بـ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ عذابُ الآخرةِ، وبـ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ عذابُ القَبرِ.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفعُ العَذابَ عنك.

(٧٦) ـ ﴿وَإِن كَادُواْ﴾: وإن كادَ أهلُ مَكَّةَ ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليُزعِجُونَكَ بمُعادَاتِهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مَكَّةَ ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾: ولو خرجتَ لا يَبْقَونَ بعدَ خُروجِكَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا زمانًا قليلًا، وقد كان كذلك، فإنَّهُم أُهلِكُوا ببدرٍ بعدَ هِجرَتِه.

وقيل: الآيةُ نَزَلَت في اليهودِ، حَسَدُوا مُقامَ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ بالمدينةِ فقالوا: الشَّامُ مُقامُ الأنبياءِ، فإن كنتَ نَبيًّا فالْحَقْ بها حتى نُؤمِنَ بك، فوقعَ ذلك في قلبِهِ، فخرجَ مرحَلَةً فنزلَتْ، فرجَعَ[1].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤١١) عن الكلبي.

ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤١٢)، عن عبد الرحمن بن غَنْم رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨) من طريق سليمان التيمي عن حضرمي.

وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥).

ثُمَّ قَتَلَ مِنهُم بني قريظَةَ وأَجْلَى بَني النَّضيرِ بقَليلٍ.

وقُرِئَ: (لا يَلْبَثُوا)(١) منصوبًا بـ(إذًا) على أنَّه مَعطوفٌ على جملةِ قولِه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ لا على خبرِ (كاد)، فإنَّ (إذًا) لا يعمل إذا كان ما بعدَها مُعتَمِدًا على ما قبلَها.

وقَرَأَ ابنُ عامرٍ وحَمزَةُ والكِسائِيُّ ويَعقوبُ وحَفصٌ: ﴿خِلَٰفَكَ﴾(٢)، وهو لغةٌ فيه، قال:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا(٣)

(٧٧) ـ ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ نصبٌ على المَصدَرِ؛ أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّةً، وهو أَنْ يُهلكَ كُلَّ أُمَّةٍ أخرجُوا رَسولَهُم مِن بينِ أَظْهُرِهِم، فالسنَّةُ للهِ وإضافَتُها إلى الرُّسُلِ لأنَّها مِن أَجْلِهِم، ويَدُلُّ عليه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: تَغْييرًا.

(٧٨) ـ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: لزَوالِها، ويدلُّ عليهِ قولُه عليهِ السَّلامُ: «أَتَاني جِبريلُ لدُلوكِ الشَّمسِ حينَ زَالَتْ فصَلَّى بي الظُّهْرَ»(٤)، وقيل: لِغُروبِها.

---

(١) نسبت لأبي رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص:٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

(٣) نسبه صاحب «العين» (١/ ١٧٩)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ١٨٦)، لجرير وليس في ديوانه، ونسبه صاحب «العين» أيضاً (٤/ ٢٦٦)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٦٤)، للحارث بن خالد المخزومي، وفي صدره بعض الاختلاف بين المصادر دون أن يضر ذلك بالاستدلال بالبيت. و«الشَّواطِبُ»: النِّساءُ اللواتي يَشْقُقْنَ الجريدَ ليُعملَ منه الحصيرُ، والشَّطْبُ: سَعَفُ النَّخلِ الأخضَرُ، يصفُ دروسَ ديارِ الأحبابِ بعدَهُم وأنَّها غيرُ مَنكوسةٍ كأنَّما بُسِطَ فيها سَعَفُ النَّخلِ. «فتوح الغيب» (٩/ ٣٥٦).

(٤) رواه إسحاق في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٢٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٣٦١)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٨١)، ورواه أيضاً الطبري في =

وأَصْلُ التَّركيبِ للانتِقالِ، ومنه: الدَّلْكُ، فإنَّ الدَّالكَ[1] لا تَسْتَقِرُّ يَدُه، وكذا ما تركَّبَ مِن الدَّالِ واللَّامِ كدَلَجَ ودَلَحَ ودَلَعَ ودَلَفَ ودَلَهَ.

وقيل: الدُّلُوكُ مِن الدَّلْكِ؛ لأنَّ النَّاظرَ إليها يَدْلُكُ عينيهِ ليدفعَ شُعاعَهَا، واللامُ للتَّأقيتِ مِثْلُها في: لثَلاثٍ خلَوْنَ.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: إلى ظُلمَتِه، وهو وَقتُ صَلاةِ العِشاءِ الأَخيرةِ.

﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾: وصلاةَ الصُّبحِ، سُمِّيَتْ قُرآنًا لأنَّه ركنُها، كما سُمِّيَتْ رُكوعًا وسُجودًا، واستُدلَّ بهِ على وجوبِ القِراءةِ فيها، ولا دليلَ فيه لجوازِ أَنْ يكونَ التَّجوُّزُ لكونِها مَندوبَةً فيها، نعم لو فُسِّرَ بالقِراءةِ في صَلاةِ الفَجرِ دلَّ الأَمرُ بإقامَتِهَا على الوُجوبِ فيها نَصًّا وفي غيرِهَا قِياسًا.

﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾: يشهدُه مَلائِكَةُ الليلِ ومَلائِكَةُ النَّهارِ، أو بشواهِدِ القُدرَةِ مِن تبدُّلِ الظُّلمةِ بالضِّياءِ، والنَّومِ الذي هو أَخُو الموتِ بالانتباهِ.

أو: كثيرٌ مِن المُصلِّينَ.

أو: من حقِّهِ أَنْ يشهدَهُ الجمُّ الغَفيرُ.

= «تفسيره» (١٥/ ٢٩)، جميعهم من طريق يحيى بن سعيد حدثني أبو بكر بن حزم عن أبي مسعود قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: قم فصل، وذلك لدلوك الشمس حين مالت، فقام فصلى الظهر أربعاً. قال البيهقي: أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لم يسمعه من أبي مسعود وإنما هو بلاغ بلغه.

ورواه البيهقي في «معرفة السنن» (٥١٨) من طريق أيوب بن عتبة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عروة عن أبي مسعود قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس ـ يعني: حين زالت ـ فقال: قم فصل، فقام فصلى الظهر». وقال: أيوب بن عتبة ليس بالقوي.

(١) في نسخة الخيالي: «الدلاَّك».

والآيةُ جامِعَةٌ للصَّلواتِ الخمسِ إن فُسِّرَ الدُّلوكُ بالزَّوالِ، ولصلواتِ الليلِ وحدَهَا إنْ فُسِّرَ بالغُروبِ.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: صلاةُ المَغربِ، وقولُه: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ بيانٌ لِمَبدأِ الوقتِ ومُنتهاهُ، واستُدِلَّ بهِ على أنَّ الوقتَ يمتَدُّ إلى غروبِ الشَّفَقِ.

(٧٩) - ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: وبعضَ الليلِ فاترُكِ الهُجودَ للصَّلاةِ، والضَّميرُ للقُرآنِ.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضةً زائدَةً لكَ على الصَّلواتِ المفروضَةِ، أو: فضلةً لكَ؛ لاختصاصِ وجوبِه بك.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: مقامًا يحمَدُه القائِمُ فيه وكلُّ مَن عرَفَه، وهو مُطلَقٌ في كلِّ مَقامٍ يَتضمَّنُ كرامَةً، والمَشهورُ أنَّه مَقامُ الشَّفاعَةِ؛ لِمَا رَوى أبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّه عليهِ السَّلامُ قال: «هو المقامُ الذي أشفَعُ فيه لأُمَّتي»[1]، ولإشعارِهِ أنَّ النَّاسَ يحمَدُونَه لِقيامِهِ فيهِ، وما ذاك إلا مَقامُ الشَّفاعةِ.

وانتصابُهُ على الظَّرفِ بإضمارِ فعلِهِ؛ أي: فيقيمَكَ مَقامًا، أو بتَضمينِ ﴿يَبْعَثَكَ﴾ مَعناه، أو الحالِ بمَعنى: أن يبعثَكَ ذا مقامٍ.

(٨٠) - ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾؛ أي: في القبرِ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالًا مَرْضيًّا ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾؛ أي: منه عندَ البَعثِ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجًا مُلقًّى بالكرامةِ.

وقيل: المرادُ: إدخالُ المدينةِ والإخراجُ مِن مَكَّةَ[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣١٣٧) وحسنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وسئل عنها قال: «هي الشفاعة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٤ - ٥٥) عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد. وخبر ابن عباس رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩)، وقال: حسن صحيح.

وقيل: إدخالُهُ مَكَّةَ ظاهرًا عليها وإخراجُه منها آمنًا من المُشركينَ.

وقيل: إدخالُهُ الغارَ وإخراجُهُ مِنه سالمًا.

وقيل: إدخالُه فيما حملَهُ مِن أعباءِ الرِّسالَةِ وإخراجُه منه مؤدِّيًا حقَّه.

وقيل: إدخالُه في كلِّ ما يُلابِسُهُ مِن مَكانٍ أو أَمْرٍ وإخراجُهُ مِنه.

وقُرِئَ: (مَدخلَ) و(مَخرج) بالفَتحِ[1] على معنى: أَدْخِلْني فأدخُلَ دُخولًا، وأخرجني فأَخرُجَ خروجًا.

﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾: حُجَّةً تَنْصُرني على مَن خالَفَني، أو مُلْكًا ينصرُ الإسلامَ على الكفرِ، فاستجابَ لَهُ بقولِه: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

(٨١) - ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلامُ ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾: وذهبَ وهلكَ الشِّركُ، مِن زهَقَ روحُهُ: إذا خرجَ ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مُضمَحِلًّا غيرَ ثابتٍ.

عن ابنِ مَسعودٍ: أنَّه عليهِ السَّلامُ دخلَ مَكَّةَ يومَ الفَتحِ وفيها ثلاثُ مئةٍ وسِتُّونَ صَنَمًا، فجعلَ ينكتُ بمِخْصَرَةٍ في عينِ واحدٍ واحدٍ منها فيقول: «جاءَ الحَقُّ وزهقَ الباطِلُ»، فينكبُّ لِوَجهِهِ، حتى ألقَى جميعَها وبَقِيَ صَنَمُ خُزاعةَ فوقَ الكعبَةِ، وكان مِن صُفْرٍ فقال: «يا عليُّ ارمِ به»، فصعدَ فرَمى به فكَسَرَه[2].

---

(١) نسبت لعلي بن أبي طالب وأُبيٍّ رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١).

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٢): لم أجده. وروى النسائي [في «الكبرى» (٨٤٥٣)] والحاكم [في «المستدرك» (٣٣٨٧)] من طريق ابن أبي مريم عن علي قال: «انطلقت مع النبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي: «اجلس» فجلست، وصعد على منكبي فنهضت به. فذكر الحديث وليس فيه أن ذلك كان في فتح مكة ولا تلاوة الآية.

قلت: في رواية الحاكم: أن النبي ﷺ تلا الآية.

(٨٢) ـ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ما هو في تَقويمِ دينِهِم واستِصلاحِ نُفوسِهِم كالدَّواءِ الشَّافي للمَرْضَى، و﴿مِنَ﴾ للبيانِ فإنَّ كُلَّه كذلك.

وقيل: إنَّه للتَّبعيض، والمعنى: أن منه ما يَشفي مِن المرضِ، كالفاتحةِ وآياتِ الشِّفاءِ.

وقرأ البَصريَّانِ: ﴿ونُنْزِلُ﴾ بالتَّخفيفِ[1].

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ لتكذيبِهِم وكُفرِهِم بهِ.

(٨٣) ـ ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ بالصِّحَّةِ والسَّعةِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَن ذكرِ اللهِ ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: لَوَى عِطفَهُ وبَعُدَ بنفسِهِ عنه كأنَّه مُستَغْنٍ مُستَبِدٌّ بأمرِهِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ كِنايَةً عَن الاستكبارِ؛ لأنَّه مِن عادةِ المُستكبرينَ.

وقرأ ابنُ عامرٍ بروايةِ ابن ذَكْوانَ عنه هنا وفي فصِّلت: ﴿وناءَ﴾[2] على القَلْبِ، أو على أنَّه بمَعنى: نهضَ.

وأمالَ الكسائيُّ وخَلفٌ فتحةَ النونِ والهمزةِ في السورتين، وأمالَ خلفٌ فتحةَ الهمزةِ فيهما فقط، وأمالَ أبو بكرٍ فتحةَ الهمزةِ هنا وأَخْلصَ فتحَها هناك، وورشٌ على أصلِه في ذواتِ الياء[3].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ مِن مَرَضٍ أو فَقْرٍ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شَديدَ اليأسِ مِن رَوحِ اللهِ.

(٨٤) ـ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾: قُل كُلُّ أحدٍ يعمَلُ على طَرِيقَتِه التي تُشاكِلُ حالَهُ في الهُدَى والضَّلالَةِ، أو جوهرَ رُوحِهِ وأَحوالِه التَّابعةِ لمزاجِ بَدَنِه.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ٧٥)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

(٢) انظر: «التيسير» (ص: ١٤١).

(٣) من قوله: «وأمال الكسائي...» إلى هنا من نسخة التفتازاني فقط.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: أَسَدُّ طَرِيقًا وأَبيَنُ مِنهاجًا، وقد فُسِّرَت الشَّاكِلَةُ بالطَّبيعَةِ، والعَادَةِ، والدِّينِ.

(٨٥) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يَحْيَا بهِ بَدَنُ الإنسانِ ويُدبِّرُه ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾: مِن الإبداعيَّاتِ الكائنَةِ بـ﴿كُن﴾ مِن غيرِ مادَّةٍ وتَوَلُّدٍ مِن أَصلٍ، كأعضاءِ جسَدِه.

أو: وُجدَ بأمرِهِ وحدثَ بتكوينِهِ على أنَّ السُّؤالَ عن قِدَمِه وحُدوثِه.

وقيل: مما استأثرَ بعلمِهِ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّ اليَهودَ قالوا لقُرَيشٍ: سَلُوهُ عَن أصحابِ الكَهفِ، وعَن ذي القَرْنَيْنِ، وعَن الرُّوحِ، فإنْ أجابَ عَنْها أو سكتَ فليسَ بنَبِيٍّ، وإن أجابَ عَن بعضٍ وسَكَتَ عَن بعضٍ فهوَ نَبِيٌّ، فبيَّنَ لَهُم القِصَّتينِ وأبهَمَ أمرَ الرُّوحِ، وهو مُبهَمٌ في التَّوراةِ[1].

وقيل: الرُّوحُ جِبريلُ.

وقيل: خَلْقٌ أعظَمُ مِن المَلَكِ.

وقيل: القرآنُ، و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ معناه: مِن وَحيِه.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تَستَفِيدُونَهُ بتوسُّطِ[2] حَواسِّكُم، فإنَّ اكتسابَ العَقلِ للمَعارفِ النَّظريَّةِ إنَّما هوَ مِن الضَّروريَّاتِ المُستفادَةِ مِن إحساسِ الجُزئيَّاتِ، ولذلك قيل: مَن فقدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا، ولعلَّ أكثرَ الأَشياءِ لا يدرِكُه الحِسُّ ولا شَيْئًا مِن

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وشيخ ابن إسحاق فيه مبهم لم يسمه. وفيه: أن قريشاً هم الذين أرسلوا إلى اليهود يطلبون منهم أسئلة، فأرسلوا إليهم بذلك في خبر طويل.

(٢) في نسخة الخيالي: «بطريق».

أَحْوالِه المعرِّفةِ لذاتِه، وهو إشارةٌ إلى أنَّ الرُّوحَ ممَّا لا يُمكِنُ مَعرفَةُ ذاتِه إلا بعَوارضَ تُمَيِّزُه عمَّا يَلتَبِسُ به، فلذلك اقتصرَ على هذا الجوابِ كمَا اقتصَرَ مُوسَى عليهِ السَّلامُ في جوابِ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] بذكرِ بَعضِ صِفاتِه.

روي: أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا قالَ لَهُم ذلك قالوا: أَنَحْنُ مُختَصُّونَ بهذا الخطابِ؟ فقال: «بَلْ نَحْنُ وأنتُم» فقالوا: ما أعجبَ شأنَكَ، ساعةً تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وساعةً تقولُ هذا! فنزلَتْ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧][1].

وما قالوهُ لسُوءِ فَهْمِهم؛ لأنَّ الحِكمةَ الإنسانيَّةَ أن يَعلمَ مِن الخيرِ والحقِّ ما تَسَعُهُ الطَّاقَةُ البَشريَّةُ، بل ما يَنْتَظِمُ به مَعاشُه ومَعادُه، وهو بالإضافَةِ إلى مَعلوماتِ الله التي لا نهايةَ لها قليلٌ يُنالُ بِهِ خيرُ الدَّارَيْنِ، وهو بالإضافةِ إليهِ كَثيرٌ.

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ اللامُ الأُولَى مُوطِّئَةٌ للقَسَمِ، و﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جوابُه النَّائِبُ مَنابَ جزاءِ الشَّرطِ، والمعنى: إنْ شِئْنَا ذَهَبْنَا بالقُرآنِ ومَحَوْنَاهُ عَن المَصاحِفِ والصُّدورِ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: مَن يَتوكَّلُ علينا استردادَهُ مَسطورًا مَحفوظًا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فإنَّها إنْ نالَتْكَ فلَعَلَّها تَستَرِدُّهُ عليكَ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ استِثناءً مُنقَطِعًا بمعنى: ولكِنَّ رَحمَةً مِن رَبِّكَ تَرَكَتْهُ غيرَ مَذهوبٍ به، فيكونُ امتنانًا بإبقائِهِ بعدَ المِنَّةِ في تَنزيلِه.

﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ كإرسالِهِ، وإنزالِ الكِتابِ عليهِ، وإبقائِه في حِفظِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٢) عن عطاء بن يسار مرسلًا.

(٨٨) ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في البَلاغَةِ وحُسنِ النَّظمِ وكَمالِ المعنى ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ وفيهِم العَربُ العَرْباءُ وأَربابُ البَيانِ وأهلُ التَّحقيقِ، وهو جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ دلَّ عليه اللامُ المُوطِّئَةُ، ولولا هيَ لكانَ جَوابَ الشَّرطِ بلا جزمٍ لكونِ الشَّرطِ ماضيًا كقولِ زُهَيرٍ:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ: لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ[1]

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: ولو تَظاهَرُوا على الإتيانِ بهِ، ولعلَّه لَمْ يَذْكُر المَلائِكَةَ لأنَّ إِتيانَهُم بمثلِه لا يُخرِجُه عَن كونِه مُعجِزَةً، ولأَنَّهُم كانوا وَسائِطَ في إِتيانِه.

ويَجوزُ أَنْ تكونَ الآيَةُ تَقريرًا لقولِه: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

(٨٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾: كرَّرْنا بوجوهٍ مُختَلِفَةٍ زيادةً في التَّقريرِ والبَيانِ ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: مِن كُلِّ مَعنًى هو كالمَثَلِ في غَرابَتِهِ ووُقوعِهِ مَوقِعًا في الأَنفُسِ.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلا جُحُودًا، وإنَّما جازَ ذلك ولَمْ يَجُزْ: «ضَرَبْتُ إلا زَيْدًا» لأَنَّه مُتأَوَّلٌ بالنَّفيِ.

(٩٠) ـ ﴿وقالوا لَنْ نؤمِنَ لك حتَّى تُفجِّرَ لنا من الأرضِ يَنبوعًا﴾ تَعنُّتًا واقتِراحًا بعدَمَا لَزِمَتْهُم الحُجَّةُ ببيانِ إعجازِ القُرآنِ وانضِمامِ غيرِه مِن المُعجِزاتِ إليه.

وقَرَأَ الكُوفِيُّون ويَعقوبُ: ﴿تَفْجُرَ﴾ بالتَّخفيفِ[2].

و﴿ٱلْأَرْضِ﴾: أرضُ مكَّةَ، واليَنْبُوعُ: عينٌ لا يَنضَبُ ماؤُها، يَفْعُولٌ مِن نَبَعَ الماءُ، كيَعْبُوبٍ مِن عبَّ الماءُ: إذا زخَرَ.

---

(١) انظر: «ديوان زهير» بشرح الشنتمري (ص: ١٥٣)، و«الكتاب» (٣/ ٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

(٩١) ـ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾: أو يكونَ لك بُستانٌ يشتمِلُ على ذلك.

(٩٢) ـ ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ مِن السَّماءِ، يعنونَ قولَهُ تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سبأ: ٩]، وهو كقِطَعٍ لفظًا ومَعْنًى.

وقد سَكَّنَه ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ ويَعقوبُ في جميعِ القُرآنِ إلا في الرُّومِ، وابنُ عامرٍ إلَّا في هذهِ السُّورةِ، وأبو بكرٍ ونافعٌ في غيرِهما، وحفصٌ فيما عدا الطُّورِ[١]، وهو إمَّا مُخَفَّفٌ مِن المفتوحِ كسِدْرٍ وسِدَرٍ، أو فِعْلٌ بمَعنى مفعولٍ كالطِّحْنِ.

﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾: كفيلًا بمَا تَدَّعيهِ؛ أي: شاهدًا على صِحَّتِه ضامنًا لدَرْكِه، أو: مقابلًا؛ كالعَشيرِ بمَعنى المُعاشرِ.

وهو حالٌ مِن (الله)، وحالُ المَلائكةِ محذوفةٌ لدَلالَتِها عليها، كمَا حُذِفَ الخَبَرُ في قوله:

فمَـن يكُ أمسـى بالمدينةِ رحلُهُ ... فـإنـــي وقَـيَّـارٌ بهـا لغَريبُ[٢]

أو: جماعةً، فيكونُ حالًا من (الملائكةِ).

(٩٣) ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾: مِن ذهبٍ، وقَد قُرِئَ به[٣]، وأصلُه: الزِّينَةُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٩).

(٢) لضابئ بن الحارث البرجمي، كما في «الكتاب» (١/ ٧٥)، و«الأصمعيات» (ص: ١٨٤)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٢/ ٣٩٤)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٥٣). وقد تقدم عند تفسير الآية (٣٥) من سورة المائدة، والآية (٣٤) من سورة التوبة.

(٣) انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٣).

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾: في مَعارِجِها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحدَه ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ وكان فيه تَصديقُكَ.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تَعجُّبًا من اقتراحاتِهِم، أو تَنزيهًا لله مِن أَن يأتيَ، أو يتحَكَّمَ عليهِ أو يُشارِكَهُ أحدٌ في القُدرةِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ: ﴿قالَ سبحانَ ربِّي﴾[1]؛ أي: قال الرسولُ.

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ كسائرِ النَّاسِ ﴿رَّسُولًا﴾ كسائرِ الرُّسُلِ، وكانوا لا يأتونَ قومَهُم إلَّا بما يُظهِرُه اللهُ عليهِم على ما يُلائِمُ حالَ قومِهِم، ولَمْ يَكُن أمرُ الآياتِ إِلَيْهِم، ولا لَهُم أَنْ يَتحكَّمُوا على اللهِ حتَّى تَتخيَّرُوها عليَّ، هَذا هو الجَوابُ المجمَلُ، وأمَّا التَّفصيلُ فقَدْ ذُكِرَ في آياتٍ أُخَرَ كقولِه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ [الحجر: ١٤].

(٩٤) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾؛ أي: وما مَنَعَهم الإيمانَ بعدَ نُزولِ الوَحيِ وظهورِ الحقِّ ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: إلَّا قولُهُم هذا، والمعنى: أنَّه لم يبقَ لَهُم شُبهَةٌ تَمْنَعُهُم عَن الإيمانِ بمُحَمَّدٍ والقُرآنِ إلا إِنكارُهُم أَنْ يرسلَ اللهُ بَشَرًا.

(٩٥) ـ ﴿قُل﴾ جوابًا لشبهَتِهِم: ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يَمْشِي بَنُو آدمَ ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنينَ فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتَمَكُّنِهِم مِن الاجتماعِ به والتَّلَقِّي مِنه، وأمَّا الإنسُ فعامَّتُهُم عُمَاةٌ عَن إدراكِ الملَكِ والتَّلقُّفِ منه، فإنَّ ذلك مَشروطٌ بنَوعٍ مِن التَّناسُبِ والتَّجانُسِ.

و﴿مَلَكًا﴾ يحتمِلُ أَنْ يَكونَ حالًا مِن ﴿رَّسُولًا﴾ وأن يكونَ مَوصوفًا به، وكذلك ﴿بشرًا﴾، والأوَّلُ أوفَقُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٩٦) ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي رَسولُ اللهِ إلَيكُم بإظهارِ المُعجزَةِ على وَفْقِ دَعوايَ، أو: على أنّي بلَّغتُ ما أُرسِلْتُ به إليكُمْ وأنَّكم عانَدْتُم.

و﴿شَهِيدًا﴾ نصبٌ على الحالِ أو التَّمييزِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يعلَمُ أحوالَهُم الباطنةَ مِنْهَا والظَّاهرةَ فيُجازيهِمْ عَلَيها، وفيه تَسليَةٌ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ وتَهديدٌ للكُفَّارِ.

(٩٧) ـ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهدونَه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: يُسحَبُونَ علَيْها، أو يُمشَونَ عليها، رُوِيَ أنَّه قيلَ لرَسولِ اللهِ ﷺ: كيفَ يُمْشَونَ عَلى وُجوهِهِم؟ قال: «إنَّ الذي أَمْشَاهُم على أَقْدامِهِم قادرٌ على أَنْ يُمشيَهُمْ عَلى وُجوهِهِم»[1].

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ لا يُبصِرونَ ما يَقَرُّ أَعيُنَهُم، ولا يَسمَعُونَ ما يَلَذُّ مَسامِعَهُم، ولا يَنطِقُونَ بما يُقبلُ مِنْهُم؛ لأَنَّهُم في دُنياهُم لم يَسْتَبصِرُوا بالآياتِ والعِبَرِ، وتَصامُّوا عَن استِماعِ الحَقِّ، وأَبَوْا أَنْ ينطِقُوا بالصِّدقِ، ويجوزُ أَنْ يُحشَرُوا بعدَ الحِسابِ مِن المَوقفِ إلى النَّارِ مَؤُوفِي القُوَى والحَواسِّ.

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكَنَ لَهَبُها بأَنْ أكلَتْ جُلودَهُم ولُحومَهُم ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ تَوقُّدًا بأَنْ نبدِّلَ جُلودَهُم ولُحومَهُم فتَعودَ مُلتَهِبَةً مُستَعِرَةً، كأَنَّهُم لَمَّا كَذَّبُوا بالإعادةِ بعدَ الإفناءِ جَزاهُم اللهُ بأَنْ لا يَزالُوا على الإعادةِ والإفناءِ، وإليه أشارَ بقَوْلِه:

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٢)، ورواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة: بلى، وعزة ربنا.

(٩٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ لأنَّ الإشارةَ إلى ما تَقدَّمَه مِن عَذابِهم.

(٩٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: أولم يَعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنَّهم لَيسُوا أَشَدَّ خَلْقًا مِنهنَّ، ولا الإعادةُ أصعَبُ عليهِ مِن الإبداءِ[1].

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو الموتُ أو القِيامَةُ ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مَع وُضوحِ الحَقِّ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: إلا جُحودًا.

(١٠٠) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾: خزائنَ رِزقِه وسائرَ نِعَمِه، و﴿أَنتُمْ﴾ مرفوعٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَهُ؛ كقولِ حاتمٍ: لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْنِي[2]، وفائدَةُ هذا الحَذفِ والتَّفسيرِ: المُبالغَةُ مع الإيجاز، والدَّلالَةُ عَلى الاختِصاصِ.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: لبَخِلتُم مخافةَ النَّفادِ بالإنفاقِ؛ إذ لا أحدَ إلا ويَختارُ النَّفعَ لنَفسِهِ، ولو آثرَ غيرَهُ بشَيءٍ فإنَّما يؤثِرُه لعِوَضٍ يَفوقُهُ، فهو إِذَنْ بَخيلٌ بالإضافَةِ إلى جُودِ اللهِ وكرمِهِ، هذا وإنَّ البُخلاءَ أغلَبُ فيهم.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «الابتداء».

(٢) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٦٨)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٢١)، و«المقتضب» له (٣/ ٧٧)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٢٦٩)، و«الصحاح» (مادة: لطم)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٩٣)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ١٧٤)، وفيه:: أي: لو لَطَمَتْنِي ذاتُ سِوَارٍ؛ لأن (لو) طالبة للفعل داخلة عليه.
قال العسكري: يقوله الكريم إذا ظلمه اللَّئِيم. وقال الجوهري: قالته امرأةٌ لطَمَتْها مَن ليست بكفوٍ لها.
ونقل الميداني فيه قولاً آخر فقال: وقيل: أراد: لو لَطَمَتْنِي حُرَّة، فجعل السوار علامة للحرية؛ لأن العرب قلما تُلْبِسُ الإماء السِّوَار، فهو يقول: لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف علي.
أما نسبته لحاتم فصوب بعضهم أنه: «لو غير ذات سوار لطمتني» كما سيأتي.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾: بخيلًا[1]؛ لأنَّ بناءَ أَمرِهِ على الحاجَةِ، والضِّنَّةِ بمَا يَحتاجُ إليه، وملاحظةِ العِوَضِ فيما يبذُلُ.

(١٠١) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ هي العَصَا، واليَدُ، والجَرَادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ، وانفِجارُ الماءِ مِن الحجرِ، وانفلاقُ البَحرِ، ونَتْقُ الطُّورِ على بني إسرائيلَ.

وقيل: الطُّوفانُ والسِّنونَ ونقصُ الثَّمراتِ مكانَ الثَّلاثةِ الأخيرةِ[2].

وعن صفوانَ: أنَّ يَهودِيًّا سألَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «أَنْ لا تُشرِكُوا باللهِ شيئًا، ولا تَسرِقُوا ولا تَزْنُوا ولا تقتُلوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، ولا تَسحَرُوا ولا تَأكُلُوا الرِّبَا، ولا تَمشُوا ببريءٍ إلى ذي سُلطانٍ ليَقتُلَهُ، ولا تَقذِفُوا مُحصنَةً، ولا تَفِرُّوا مِن الزَّحفِ، وعليكُمْ خاصَّةً اليهودُ أَنْ لا تَعْدُوا في السَّبتِ»، فقبَّلَ اليَهودِيُّ يدَهُ ورِجلَهُ[3].

---

(١) بعدها في نسخة التفتازاني: «نفوراً».

(٢) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢)، عن ابن عباس قال: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢)، عن الحسن في قوله: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون.

(٣) رواه الترمذي (٢٧٣٣)، والنسائي (٤٠٧٨)، وابن ماجه (٣٧٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠)، وصحح النووي أسانيده في «رياض الصالحين» (٨٨٩). قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٢٥) عند =

فعَلى هذا المرادُ بالآياتِ: الأحكامُ العامَّةُ للمِلَلِ الثَّابتَةُ في كلِّ الشَّرائعِ، سُمِّيَت بذلك لأنَّها تدلُّ على حالِ مَن يَتعاطى مُتعلَّقَها في الآخرةِ مِن السَّعادةِ والشَّقاوَةِ، وقولُه: «وعليكُمْ خاصَّةً اليَهودُ أن لا تَعْدُوا» حكمٌ مستأنَفٌ زائدٌ على الجوابِ، ولذلك غيَّرَ فيه سِياقَ الكَلامِ.

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فقلنا له: سَلْهُم مِن فِرعَونَ ليُرسِلَهُم معكَ، أو: سَلْهُم مِن حالِ دينِهِم، ويؤيِّدُه قراءةُ رَسولِ اللهِ ﷺ: (فسَالَ) على لفظِ المضيِّ بغيرِ همزٍ[1]، وهو لغةُ قريشٍ، و﴿إِذْ﴾ متعلِّقٌ بـ(قلنا) أو (سال) على هذه القراءةِ.

أو: فسَلْ يا مُحمَّدُ بني إسرائيلَ عمَّا جرى بينَ مُوسى وفِرعونَ إذ جاءَهُم، أو عَن الآياتِ ليظهرَ للمُشركينَ صدقُكَ، أو لتَتسلَّى نفسُكَ، أو لتعلَمَ أنَّه تَعالى لو أتى بما اقترحُوا لأصرُّوا على العنادِ والمُكابرةِ كمَنْ قبلَهُم، أو ليزدادَ يَقينُكَ لأنَّ تَظاهُرَ الأَدِلَّةِ يوجِبُ قوَّةَ اليَقينِ وطمأنينةَ القَلبِ، وعلى هذا كانَ ﴿إِذْ﴾ نصبًا بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، أو بإضمارِ: «يخبروكَ» على أنَّه جوابُ الأَمرِ، أو بإضمارِ: «اذكُر» على الاستئنافِ.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحِرْتَ فتَخبَّطَ عَقلُكَ.

= تفسير هذه الآية بعد أن أورد هذا الحديث: «وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها، وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم».

(١) انظر: «الكشاف» (٥/ ١١٣)، ورواها ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٢٦٠) عن عكرمة. وذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١) عن ابن عباس أنه قرأ: (فسأل) بفتح السين كما قال، ولم يذكر في الهمزة شيئاً.

(١٠٢) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فِرعونُ، وقرأَ الكسائيُّ بالضمِّ[1] على إخبارِه عَن نفسِه.

﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: الآياتِ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾: بيناتٍ تُبَصِّرُكَ صِدْقي، ولكنَّكَ تعانِدُ. وانتصابُه على الحالِ.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: مَصروفًا عَن الخيرِ مَطبوعًا على الشرِّ، مِن قَولِهِم: ما ثَبَرَكَ عَن هذا؟ أي: ما صرفكَ، أو: هالِكًا، قارَعَ ظَنَّهُ بظَنِّهِ، وشتَّانَ ما بينَ الظَّنَّينِ، فإنَّ ظَنَّ فِرعونَ كَذِبٌ بَحْتٌ، وظنَّ مُوسى يحومُ حولَ اليَقينِ مِن تَظاهُرِ أماراتِه.

وقُرِئ: (وإِنْ إِخالُك يا فرعونُ لمثبوراً) على (إِنْ) المُخفَّفَةِ واللامُ هي الفارقَةُ[2].

(١٠٣) ـ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعونُ ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: أن يَستَخِفَّ مُوسى وقومَه ويَنفِيَهُم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ، أو الأرضِ مطلقًا بالقتلِ والاستئصالِ.

﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ فعكَسْنَا عليه مَكْرَه، فاستَفْزَزْنَاهُ وقومَهُ بالإغراقِ.

(١٠٤) ـ ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: مِن بَعدِ فِرعونَ وإغراقِه ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ التي أرادَ أَنْ يَستَفِزَّكُم مِنها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: الكرَّةِ أو الحياةِ أو السَّاعةِ أو الدَّارِ الآخرةُ؛ يعني: قيامَ القيامةِ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: مُختلطِينَ إِيَّاكُم وإِيَّاهُم، ثم نَحكُمُ بينكُم ونَميزُ سُعداءَكُم مِن أَشقِيائِكُم.

واللَّفيفُ: الجَماعاتُ مِن قَبائِلَ شَتَّى.

(١٠٥) ـ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾؛ أي: ومَا أنزَلْنَا القُرآنَ إلا مُلتَبِسًا بالحقِّ المُقتَضِي لإِنزالِه، ومَا نزلَ إلا مُلتَبِسًا بالحقِّ الذي اشتمَلَ عليهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٢) نسبت لأبي بن كعب. انظر: «الكشاف» (٥/ ١١٥)، و«البحر» (١٤/ ١٩٣).

وقيل: وما أنزلناهُ مِن السَّماءِ إلَّا مَحفُوظًا بالرَّصَدِ مِن الملائكةِ، وما نزل على الرَّسولِ إلا محفوظًا بهم مِن تَخليطِ الشَّياطينِ، ولعلَّه أرادَ بهِ نفيَ اعتراءِ البُطلان له أوَّلَ الأمرِ وآخرَهُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمُطيعِ بالثَّوابِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعَاصي مِن العِقابِ، فلا عليكَ إلا التَّبشيرُ والإنذارُ.

(١٠٦) ـ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: نَزَّلْنَاهُ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا.

وقيل: فَرَّقْنَا فيهِ الحَقَّ مِن الباطلِ، فحُذِفَ الجَارُّ كمَا في قولِه:

ويَــومٍ شَــهِدْنَاهُ..........[1]

وقُرِئَ بالتَّشديدِ[2] لكَثْرَةِ نجومِه، فإنَّه نزلَ في تَضاعيفِ عِشرينَ سنَةً.

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: علـى مَهَـلٍ وتُـؤَدَةٍ، فإنَّه أيسَـرُ للحفـظِ وأعوَنُ في الفَهْمِ.

وقُرِئَ بالفَتحِ[3]، وهو لُغَةٌ فيه.

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حسبِ الحَوادثِ.

---

(١) تمامُه:

.... سُـلَيمًا وعامرًا قليـلٍ سِـوَى الطَّعـنِ النِّهـالِ نوافِلُـهْ

والبيت لرجل من بني عامر كما في «الكتاب» (١/ ١٧٨)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ٤٣٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣)، عن أبيٍّ وابن عباس ومجاهد. وزاد ابن جني نسبتها لعلي وابن مسعود وجمع من أئمة التابعين.

(٣) نسبت لقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١).

(١٠٧) ـ ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ فـإنَّ إيمانكُـم بالقُـرآنِ لا يَزيـدُهُ كَمـالًا وامتِناعَكُـم عنـه لا يورِثُـه نَقْصًـا.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ تعليلٌ لَه؛ أي: إِنْ لَمْ تُؤمِنُوا به فقَدْ آمَنَ بهِ مَن هو خَيرٌ مِنْكُم، وهُم العُلَماءُ الذين قَرَؤُوا الكُتبَ السَّابقَةَ وعَرَفُوا حَقيقَةَ الوَحيِ وأَمَاراتِ النُّبوَّةِ، وتمكَّنُوا من المَيْزِ بينَ المحقِّ والمُبطلِ، أو رأوا نعتَكَ وصِفَةَ ما أُنزِلَ إليكَ في تلكَ الكُتبِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تَعليلًا لـ﴿قُلْ﴾ عـلـى سبيلِ التَّسلِيَةِ كأنَّه قيل: تَسَلَّ بإيمانِ العُلَماءِ عَن إيمانِ الجَهلَةِ، ولا تَكْتَرِثْ بإيمانِهم وإعراضِهم.

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يَسقـطونَ عـلـى وُجـوهِهم تَعظيمًا لأمرِ اللهِ، أو شُكرًا لإنجازِهِ وَعدَهُ في تلكَ الكُتبِ ببعثَةِ مُحمَّدٍ عليه السَّلامُ على فترةٍ مِن الرُّسلِ وإنزالِ القُرآنِ عليه.

(١٠٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عن خُلْفِ الموعدِ ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ إنَّه كانَ وَعدُه كائنًا لا محالةَ.

(١٠٩) ـ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرَّره لاختِلافِ الحَالِ أو السَّببِ، فإنَّ الأَوَّلَ للشُّكرِ عندَ إنجازِ الوَعدِ، والثَّانيَ لِمَا أثَّرَ فيهِم مِن مَواعظِ القُرآنِ حالَ كونِهم باكينَ مِن خَشيَةِ اللهِ، وذكرُ الذَّقنِ لأنَّهُ أَوَّلُ ما يَلقَى الأرضَ مِن وَجهِ السَّاجِدِ، واللامُ فيهِ لاختِصاصِ الخُرورِ به.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماعُ القُرآنِ ﴿خُشُوعًا﴾ كما يَزيدُهُم عِلْمًا ويَقينًا باللهِ.

(١١٠) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ نزلَت حينَ سَمِعَ المُشركونَ رَسولَ اللهِ يقول: «يا اللهُ يا رحمنُ» فقالوا: إنه يَنهانَا أَنْ نَعبُدَ إلهينِ وهو يَدعُو إلهًا آخرَ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣). وبنحوه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٨٢).

وقالت اليَهودُ: إنَّك لتُقِلُّ ذِكرَ الرَّحمنِ وقَدْ أكثرَهُ اللهُ في التَّوراةِ[١].

والمرادُ على الأوَّلِ: التَّسوِيَةُ بينَ اللَّفظينِ بأنَّهُما يُطلَقانِ على ذاتٍ واحِدَةٍ وإن اختلفَ اعتِبارُ إطلاقِهِمَا، والتَّوحيدُ إنَّما هو للذَّاتِ الذي هو المعبودُ.

وعلى الثَّاني: أنَّهما سِيَّانِ في حُسنِ الإطلاقِ والإفضاءِ إلى المقصودِ، وهو أجوَدُ لقولِه: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

والدُّعاءُ في الآيَةِ بمَعنى التَّسمِيَةِ، وهو يَتعدَّى إلى مَفعولَيْنِ حُذِفَ أَوَّلُهُما استغناءً عنه، و(أو) للتَّخييرِ، والتَّنوينُ في ﴿أَيًّا﴾ عِوَضٌ عَن المضافِ إليه، و(ما) صِلَةٌ لتأكيدِ ما في ﴿أَيًّا﴾ مِن الإبهامِ، والضَّميرُ في (له) للمُسمَّى؛ لأنَّ التَّسمِيَةَ لهُ لا للاسمِ، وكانَ أَصلُ الكَلامِ: أيًّا ما تدعُو فهُوَ حَسَنٌ، فوُضِعَ مَوضِعَه: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ للمُبالغَةِ والدَّلالَةِ على ما هوَ الدَّليلُ عليه، وكونُها حُسْنَى لدَلالَتِها على صِفاتِ الجَلالِ والإكرام

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: بقراءةِ صَلاتِكَ حتى تُسمِعَ المُشركينَ، فإنَّ ذلك يَحمِلُهُم عَلى السبِّ واللغوِ فيها ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا تُسمِعُ مَن خلفَكَ مِن المُؤمنيَن ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾: بينَ الجهرِ والمُخافتَةِ سَبيلًا وَسَطًا؛ فإنَّ الاقتصادَ في جَميعِ الأُمورِ مَحبوبٌ.

رُوِيَ: أنَّ أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنه كانَ يَخفتُ ويقول: أُناجِي رَبِّي وقَدْ عَلِمَ حاجَتِي، وعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه كان يجهَرُ ويقول: أَطرُدُ الشَّيطانَ وأُوقِظُ الوَسْنانَ، فلَمَّا نزلَتْ أمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ أبا بَكرٍ أَنْ يرفَعَ قَلِيلًا وعُمَرَ أَن يخفضَ قليلًا[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٥)، عن الضحاك.

(٢) رواه بهذا اللفظ: الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٢) عن محمد بن سيرين. ورواه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١١٦٨) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٣٩٢): رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقيل: مَعناه: لا تجهَرْ بصَلاتِكَ كلِّها ولا تُخافِتْ بها بأَسْرِهَا، وابتَغِ بيـنَ ذلكَ سَبِيلًا بالإخفاتِ نهارًا والجهرِ ليلًا.

(١١١) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾: فـي الألوهيَّةِ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: وَلِيٌّ يُواليه من أجلِ مذلَّةٍ به ليَدْفعَها بمُوالاتِه.

نفى عنه أَنْ يكونَ له ما يُشارِكُه مِن جنسِهِ ومِن غيرِ جنسِهِ اختيارًا أو اضطرارًا وما يعاونُه ويُقوِّيه، ورتَّبَ الحمدَ عليهِ للدَّلالةِ على أنَّه الذي يَستَحِقُّ جنسَ الحَمدِ؛ لأنَّه كامِلُ الذَّاتِ المُنفَرِدُ بالإيجادِ المنعِمُ على الإطلاقِ، وما عَداهُ ناقِصٌ مَملوكُ نِعمةٍ أو مُنعَمٌ عليهِ[١]، ولذلك عطفَ عليه قولَه: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾.

وفيهِ تَنبيهٌ على أنَّ العبدَ وإنْ بالغَ في التَّنزيهِ والتَّحميدِ واجتهدَ في العِبادَةِ والتَّمجيدِ يَنبَغِي أَنْ يعترفَ بالقُصورِ عَن حقِّهِ في ذلك.

رُوِيَ: أنَّه عليهِ السَّلامُ إذا أَفْصح الغُلامُ مِن بَنِي عبدِ المُطَّلبِ علَّمَه هذه الآيَةَ[٢].

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ بَني إسرائيلَ فرَقَّ قَلبُهُ عندَ ذكرِ الوالِدَينِ كانَ له قِنطارٌ في الجنَّةِ، والقِنطارُ: أَلفُ أوقيَّةٍ ومئتا أُوقيَّةٍ»[٣].

---

(١) قوله: «مملوك نعمة» من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: ما عداه ناقص لأنه إمّا نفس النعمة المملوكة له المسندة إليه، أو منعَم عليه. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٤) من طريق سفيان بن وكيع، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم أبي أمية، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٨) قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم، عن عمرو بن شعيب، عن النبي ﷺ معضلاً. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٩٧٦) عن ابن عيينة، عن عبد الكريم، عن النبي ﷺ وهو معضل أيضاً.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٩٣)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ الكَهفِ



سُورَةُ الكَهْفِ

مَكِّيَّةٌ، وقيل: إلا قولَه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ...﴾ الآية[1]

وهي مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً[2]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآنَ، رتَّبَ استحقاقَ الحمدِ على إنزالِه تنبيهًا على أَنَّهُ أعظَمُ نَعْمائِه، وذلك لأَنَّه الهادي إلى ما فيه كمالُ العبادِ، والدَّاعي إلى ما بِهِ يَنتَظِمُ صلاحُ المعاشِ والمعادِ.

﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: شيئًا من العِوَجِ باختلالٍ في اللفظِ وتنافٍ في المعنى، أو انحرافٍ مِن[3] الدَّعوةِ إلى جنابِ الحقِّ، وهو في المعاني كالعَوَجِ في الأعيانِ.

(٢) ـ ﴿قَيِّمٗا﴾: مُستقيمًا مُعتَدِلًا لا إفراطَ فيه ولا تَفريطَ، أو: قيِّمًا بمصالحِ العبادِ، فيكونُ وصفًا له بالتَّكميلِ بعد وصفِه بالكمالِ، أو: على الكتبِ السَّابقةِ ليشهدَ بصِحَّتِها.

---

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن الجوزي أيضاً عن قتادة.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٩)، وفيه: هي مئة وخمس آيات في المَدَني والمكي، وست في الشَّامي، وعشر في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري.

(٣) في نسخة التفتازاني: «عن»، وفي نسخة الطبلاوي: «في».

وانتصابُهُ بمُضمَرٍ تَقديرُه: جعلَهُ قيمًا، أو على الحالِ مِن الضَّميرِ في ﴿لَهُۥ﴾، أو مِن ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على أنَّ الواوَ في ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ للحالِ دونَ العَطفِ؛ إذ لو كانَ للعَطفِ لكانَ المعطوفُ فاصلًا بين أبعاضِ المعطوفِ عليه، ولذلك قيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

وقُرِئَ: (قِيَمًا)[1].

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ أي: لينذرَ الذين كفروا عذابًا شديدًا، فحُذفَ المفعولُ الأوَّلُ اكتفاءً بدلالةِ القرينةِ واقتصارًا على الغرضِ المَسوقِ إليه.

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: صادرًا مِن عندِه، وقرأَ أبو بكرٍ بإسكانِ الدَّالِ إسكانَ الباءِ مِن (سَبُع) مع الإشمامِ ليَدُلَّ على أصلِه، وكسرِ النُّونِ لالتقاءِ السَّاكنَيْنِ، وكسرِ الهاء للإتباعِ[2].

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الجنَّةُ.

(٣) - ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾: في الأجرِ ﴿أَبَدًا﴾ بلا انقطاعٍ.

(٤) - ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ خصَّهُم بالذِّكرِ وكرَّرَ الإنذارَ مُتعلِّقًا بهم استعظامًا لكُفرِهم، وإنَّما لم يُذكَرِ المنذَرُ به استغناءً بتَقدُّمِ ذكرِه.

(٥) - ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بالولدِ، أو: باتِّخاذِه، أو: بالقولِ، والمعنى: أنَّهُم يقولونَه عن جهلٍ مُفرِطٍ وتَوهُّمٍ كاذبٍ، أو تقليدٍ لِمَا سَمِعُوه مِن أَوائلِهم مِن غيرِ علمٍ بالمَعنى الذي أرادُوا به، فإنَّهُم كانوا يطلقونَ الأبَ والابنَ بمَعنى المؤثِّرِ والأَثرِ، أو: باللهِ إذ لو عَلِمُوه لَمَا جَوَّزُوا نسبةَ الاتِّخاذِ إليه.

﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذينَ تَقوَّلُوه بمعنى التَّبنِّي.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١) عن أبان بن تغلب.

(٢) مع وصل الهاء بياء لفظية. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢).

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عَظُمَت مَقالَتُهُم هذه في الكفرِ، لِمَا فيها مِن التَّشبيهِ والتَّشريكِ وإيهامِ احتياجِهِ تعالى إلى ولدٍ يُعينُهُ ويَخْلفُهُ، إلى غيرِ ذلك مِن الزَّيغِ.

و﴿كَلِمَةً﴾ نصبٌ على التَّمييزِ، وقُرِئَ بالرَّفعِ على الفاعليَّةِ[1]، والأولُ أبلغُ وأدلُّ على المقصود.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صِفَةٌ لها تفيدُ استعظامَ اجترائِهِم على إخراجِها مِن أفواهِهِم، والخارجُ بالذَّاتِ هو الهواءُ الحاملُ لها.

وقيل: صِفَةُ مَحذوفٍ هو المخصوصُ بالذمِّ؛ لأنَّ (كبرَ) هاهنا بمَعنى: بئس.

وقُرِئَ: (كَبْرَتْ) بالسُّكونِ مع الإشمامِ[2].

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

(٦) - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قاتِلُها ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ إذا وَلَّوا عن الإيمانِ، شبَّهَه - لِمَا تداخلَهُ مِن الوَجْدِ على تولِّيهِم - بمَن فارَقَتْه أَعِزَّتُهُ وهو يتحسَّرُ على آثارِهِم ويَبْخَعُ نفسَه وَجْدًا عليهِم.

وقُرِئَ: (باخِعُ نَفْسِك) على الإضافةِ[3].

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: بهذا القُرآنِ ﴿أَسَفًا﴾: للتَّأسُّفِ عليهم، أو: مُتأسِّفًا عليهِم، والأسفُ: فَرْطُ الحزنِ والغَضبِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨١) عن الحسن وعيسى، وزاد ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤) نسبتها ليحيى بن يعمر وابن محيصن وعمرو بن عبيد وابن أبي إسحاق.

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ١٢٩)، وذكرها أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٢١٧) بسكون الباء ولم يذكر الإشمام، قال: وهي في لغة تميم.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٢) عن قتادة، ونسبها الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٢٨٥) لزيد بن علي.

وقُرِئَ (أنْ) بالفتحِ[١] على: لِأَنْ، فلا يجوزُ إعمالُ ﴿بَـٰخِعٌ﴾ إلا إذا جُعلَ حكايةَ حالٍ ماضِيَةٍ.

(٧) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن الحيوانِ والنَّباتِ والمَعادنِ ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ولأهلِها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ في تَعاطيه، وهو مَن زَهِدَ فيه ولم يَغترَّ به، وقَنِعَ منه بما يُزَجِّي به أيامَهُ، وصَرَفَه على ما يَنبَغِي، وفيه تَسكينٌ لرَسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ.

(٨) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ تزهيدٌ فيه، والجرُزُ: الأرضُ التي قُطعَ نَباتُها، من الجَرْزِ وهو القطعُ، والمعنى: إنَّا لنُعيدُ ما عليها من الزِّينةِ تُرابًا مُستوِيًا بالأرضِ، ونجعَلُه كصَعيدٍ[٢] أملسَ لا نباتَ فيه.

(٩) ـ ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: بل أَحَسِبْت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ في إبقاءِ حَياتِهِم مدَّةً مَديدَةً ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ وقِصَّتُهم بالإضافةِ إلى خلقِ ما على الأرضِ من الأجناسِ والأنواعِ الفائتَةِ للحصرِ على طبائعَ مُتباعدةٍ وهيئاتٍ متخالفةٍ تُعجِبُ النَّاظرينَ مِن مادَّةٍ واحدَةٍ ثمَّ ردِّها إليها= ليس بعَجيبٍ[٣]، مع أنَّه مِن آياتِ اللهِ كالنَّزرِ الحَقيرِ.

---

(١) انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٥)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٨٧)، عن ابن أبي عبلة. ونسبها ابن خالويه في «مختصر شواذ القراءات» (ص:٨١) نقلاً عن الفراء إلى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. وجاء في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٤): وقوله: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ تكسرها إذا لَمْ يكونوا آمنوا عَلَى نيَّة الجزاء، وتفتحها إذا أردت أنها قد مضت.

(٢) في نسخة التفتازاني: «صعيداً».

(٣) قوله: «وقصتهم» مبتدأٌ «من الأجناس والأنواع» بيانٌ لـ(ما) «من مادة» متعلق بـ(خَلْق) «ثم ردِّها» بالجر عطفاً على (خَلْق) «إليها»؛ أي: إلى الأرضِ «ليس بعجيب» خبرُ المبتدأ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٥٤٨).

والكهفُ: الغارُ الواسِعُ في الجبلِ، والرَّقيمُ: اسمُ الجبلِ أو الوادي الذي فيه كَهفُهُم، أو: اسمُ قَريَتِهِم، أو: كَلْبِهِم، قال أميَّةُ بنُ أبي الصَّلتِ:

وَليسَ بِهَا إِلَّا الـرَّقـيـمُ مُـجـاوِرًا وَصِيدَهُمْ والقَوْمُ في الكَهْفِ هُجَّدُ[١]

أو: لوحٌ رصاصيٌّ أو حجريٌّ رُقِمتْ فيه أسماؤُهُم وجُعِلَت على بابِ الكهفِ.

وقيل: أصحابُ الرَّقيمِ قومٌ آخرونَ كانوا ثلاثةً خَرَجُوا يرتادونَ لأَهلِهِم[٢]، فأخذَتْهُم السَّماءُ فأَوَوْا إلى كهفٍ، فانحطَّتْ صخرَةٌ وسدَّت بابَه، فقال أحدهم: اذكُرُوا أَيُّكُم عَمِلَ حسنَةً لعلَّ اللهَ يرحَمُنا ببركتِه، فقال واحِدٌ: استَعْمَلْتُ أُجَراءَ ذاتَ يومٍ، فجاءَ رَجُلٌ وسطَ النَّهارِ وعملَ في بَقيَّتِه مثلَ عَمَلِهِم فأعطيتُه مثلَ أَجرِهِم، فغضبَ أَحَدُهُم وتركَ أجرَهُ فوضَعْتُه في جانبِ البيتِ، ثمَّ مرَّ بي بقرٌ فاشتَرَيْتُ به فصيلةً فبلَغَتْ ما شاءَ اللهُ، فرجعَ إليَّ بعد حينٍ شَيْخًا ضَعِيفًا لا أعرفُهُ وقال: إنَّ لي عندكَ حقًّا، وذكرَهُ حتى عَرَفْتُه، فدَفَعْتُها إليه جميعًا، اللهمَّ إن كنتُ فَعَلْتُ ذلك لوَجهِكَ فافرجْ عنَّا، فانصدَعَ الجبلُ حتَّى رَأَوا الضَّوءَ.

وقالَ آخرُ: كانَ فيَّ[٣] فضلٌ وأصابَت النَّاسَ شِدَّةٌ، فجاءَتْني امرأةٌ فطَلَبَت مِنِّي مَعروفًا فقلت: واللهِ ما هو دونَ نَفسِكِ، فأَبَتْ وعادَتْ، ثمَّ رَجَعَت ثَلاثًا، ثم ذَكَرَتْ لزَوْجِها فقال: أَجِيبي له وأَغِيثي عيالَكِ، فأَتَتْ وسَلَّمَتْ إليَّ نَفْسَها، فلمَّا تَكَشَّفْتُها وهمَمْتُ بها ارتعَدَتْ فقلتُ: ما لكِ؟ فقالت: أخافُ اللهَ، فقلتُ لها: خِفتيهِ في الشِّدَّةِ ولم أَخَفْهُ في الرَّخاءِ، فتَرَكْتُهَا وأَعْطَيْتُها مُلتمَسَها، اللهمَّ إنْ فعلتُهُ لوَجهِكَ فافرجْ عنَّا، فانصدَعَ حتى تعارَفُوا.

---

(١) انظر: «ديوان أمية» (ص: ٣٧٥).

(٢) أي: يطلبون معاشهم.

(٣) في نسخة الخيالي: «لي».

وقال الثَّالثُ: كانَ لي أبَوَان هِمَّان[١]، وكانَتْ لي غنمٌ، وكنتُ أُطعِمُهُما وأسقيهِمَا ثمَّ أَرجِعُ إلى غنمِي، فحبسَنِي ذاتَ يومٍ غيثٌ فلم أَرُحْ حتَّى أَمْسَيْتُ، فأتيتُ أهلي وأخذتُ مِحْلَبِي فحَلَبْتُ فيه ومضيتُ إليهِمَا فوَجدْتُهُمَا نائمَيْنِ، فشَقَّ عليَّ أَنْ أُوقِظَهُما، فتوقَّفْتُ جالسًا ومِحْلَبي على يَدِي حتَّى أَيْقظَهُما الصُّبحُ فسقيتُهُما، اللهمَّ إِنْ فَعَلْتُه لوَجهِكَ فافرُجْ عنَّا. ففَرَجَ اللهُ عَنْهُم فخرجوا. وقد رفعَ ذلك نُعمانُ بنُ بَشيرٍ[٢].

(١٠) ـ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ يعني: فتيةً مِن أَشرافِ الرُّومِ، أرادَهُم دِقْيَانُوسُ على الشِّركِ فأَبَوْا وهَرَبُوا إلى الكهفِ.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تُوجبُ لنا المغفرةَ والرِّزقَ والأمنَ مِن العَدُوِّ.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: مِن الأمرِ الذي نحنُ عليه مِن مُفارقَةِ الكُفَّارِ ﴿رَشَدًا﴾ نصيرُ بسببِه راشدِينَ مُهتدينَ، أو: اجعَلْ أمرَنا كلَّه رشدًا كقولك: رأيتُ منك أَسدًا، وأصلُ التَّهيِئةِ: إحداثُ هَيئةِ الشَّيءِ.

(١١) ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾؛ أي: ضَرَبْنا عليهم حجابًا يمنع السَّماعَ، بمعنى: أَنَمْناهُم إنامَةً لا تُنبِّهُهُم فيها الأَصواتُ، فحُذِفَ المَفعولُ كما حُذِفَ في قولهم: بَنَى على امرأتِه.

---

(١) أي: مُسنَّان.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٧)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٤١٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٠٧)، و«المعجم الكبير» (٢١/ ١٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٤٢): (رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، والبزار بنحوه من طرق، ورجال أحمد ثقات)، وحسن ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٠٦) إسناده.
وروى قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الكهف البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي سياقها بعض اختلاف.

﴿فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ﴾ ظَرْفانِ لـ(ضربنا) ﴿عَدَدٗا﴾؛ أي: ذواتِ عددٍ، ووصفُ السنينَ به يحتمِلُ التَّكثيرَ والتَّقليلَ، فإنَّ مُدةَ لبثِهم كبعضِ يومٍ عِندَه.

(١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾: أيقظْناهُم ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: ليتعلَّقَ عِلمُنا تعلُّقًا حاليًّا مُطابقًا لتَعلُّقِه أولًا تعلُّقًا استِقباليًّا ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ المُختلفَيْنِ مِنْهم أو مِن غيرِهم في مُدةِ لبثِهم ﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾: ضبطَ أمدًا لزمانِ لبثِهم، وما في ﴿أَيُّ﴾ مِن مَعنى الاستفهامِ عُلِّقَ عنه ﴿لِنَعۡلَمَ﴾، فهو مُبتدأٌ و﴿أَحۡصَىٰ﴾ خبرُه، وهو فعلٌ ماضٍ و﴿أَمَدٗا﴾ مفعولُه، و﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ حالٌ منه أو مفعولٌ له.

وقيل: إنَّه المفعولُ، واللامُ مزيدةٌ، و(ما) مَوصولةٌ، و﴿أَمَدٗا﴾ تمييزٌ.

وقيل: ﴿أَحۡصَىٰ﴾ اسمُ تَفضيلٍ مِن الإحصاءِ بحذفِ الزَّوائدِ، كقولهم: هو أَحصَى للمالِ، و(أفلسُ مِن ابنِ المذلَّقِ)[١]، و﴿أَمَدٗا﴾ نصبٌ بفعلٍ دلَّ عليه كقولِه:

أكرَّ وأحمَى للحقيقة منهم ... وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيوفِ القَوَانِسَا[٢]

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدقِ: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ﴾: شُبَّان، جمعُ فتًى؛ كصَبِيٍّ وصِبْيَةٍ ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ بالتَّثبُّتِ ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: وقوَّيناها بالصَّبرِ على هجرِ الوطنِ والأهلِ والمالِ، والجَراءةِ على إظهارِ الحقِّ والردِّ على دِقْيَانُوسَ الجَّبارِ.

---

(١) هو رجلٌ مِن بني عبدِ شَمسٍ، وأبوه وأجدادُه يُعرَفُونَ بالإفلاسِ. «حاشية السيوطي على البيضاوي» (٨/ ٤٠٠).

(٢) البيت للعباس بن مرداس. انظر: «الأصمعيات» (ص: ٢٠٥)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣)، و«الحماسة» بشرح المرزوقي (١/ ٣١٨)، و«الخزانة» (٨/ ٣١٩). والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الفارس.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يديهِ ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾: واللهِ لَقَد قُلنا قولًا ذا شَطَطٍ؛ أي: ذا بُعدٍ عَن الحقِّ مُفْرطٍ في الظُّلمِ.

(١٥) - ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأٌ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطفُ بيانٍ ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ خبرُه، وهو إخبارٌ في مَعنى الإنكارِ ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾: هلَّا يأتون ﴿عَلَيْهِم﴾: على عِبادَتِهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾: ببُرهانٍ ظاهرٍ، فإنَّ الدِّينَ لا يوجدُ إلَّا بهِ، وفيه دَليلٌ على أنَّ ما لا دليلَ عليه مِن الدِّياناتِ مَردودٌ، وأنَّ التَّقليدَ فيه غيرُ جائزٍ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبةِ التَّشريكِ إليه.

(١٦) - ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابُ بعضِهم لبَعضٍ ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ عطفٌ على الضَّميرِ المَنصوبِ؛ أي: وإذا اعتزَلْتُم القومَ ومَعبودِيهِمْ إلَّا اللهَ، فإنَّهُم كانوا يَعبدونَ اللهَ ويَعبدونَ الأصنامَ كسائرِ المُشركينَ.

ويَجوزُ أَنْ تكونَ (ما) مصدريَّةً على تقدير: وإذ اعتزَلْتُموهم وعِبادَتَهُم إلَّا عبادةَ اللهِ.

وأن تكونَ نافيةً على أنه إخبارٌ مِن اللهِ تَعالى عن الفِتيةِ بالتَّوحيدِ مُعترِضٌ بين (إذ) وجوابِه لتَحقيقِ اعتزالِهم.

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾: يَبسُطْ لَكُم ويوسِّعْ عليكُم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ في الدَّارينِ ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: ما تَرتَفِقُونَ به؛ أي: تَنتَفِعونَ، وجزمُهم بذلك لنُصوعِ يَقينِهم وقوَّةِ وُثوقِهم بفضلِ اللهِ.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿مَرفِقًا﴾ بفتحِ الميمِ وكَسرِ الفاءِ[1]، وهو مَصدَرٌ جاءَ شاذًّا كالمَرجِعِ والمصيرِ والمحيضِ، فإنَّ قياسَهُ الفَتحُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢). وذكر ابن مجاهد من طريق الكسائي عن أبي بكر عن عاصم مثل نافع وابن عامر، ولم يذكرها الداني.

(١٧) ـ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ لو رأيتَهُم، والخطابُ لرَسولِ اللهِ أو لكلِّ أحدٍ ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾: تميلُ عنه ولا يقعُ شُعاعُها عليهم فيؤذِيهِم؛ لأنَّ الكهفَ كان جنوبيًّا، أو لأنَّ اللهَ زَوَّرَهَا عنهم[١]، وأصله: تتزَاوَرُ فأُدغِمَت التَّاءُ في الزَّايِ.

وقرأَ الكوفِيُّونَ بحَذفِها، وابنُ عامرٍ ويَعقوبُ: ﴿تَزْوَرُّ﴾ كتَحْمَرُّ[٢]، وقُرِئَ: (تَزْوَارُّ) كتَحمارُّ[٣]، وكلُّها من الزَّوَرِ بمعنى: الميلِ.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهةَ اليَمينِ، وحقيقتُها: الجِهَةُ ذاتُ اسمِ اليَمينِ ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطَعُهُم وتَصرِمُ عَنْهُم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يعني: يمينَ الكهفِ وشمالَه لقوله: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: وهُمْ في مُتَّسَعٍ مِن الكهفِ؛ يعني: في وسطِه بحيثُ يَنالُهُم رَوحُ الهواءِ ولا يُؤذيهِم كَرْبُ الغارِ ولا حرُّ الشَّمسِ، وذلك لأنَّ بابَ الكهفِ في مقابلةِ بناتِ النَّعشِ، وأقربُ المشارقِ والمغاربِ إلى محاذاتِه مشرقُ رأسِ السَّرطانِ ومَغربُهُ، والشَّمسُ إذا كان مدارُها مدارُهُ تطلعُ مائلةً عنه مقابِلةً لجانبِه الأَيمنِ، وهو الذي يلي المَغرِبَ، وتغربُ مُحاذيَةً لجانبِهِ الأيسَرِ فيَقعُ شعاعُها على جَنْبتيهِ ويُحلِّلُ عفونتَهُ ويُعدِّلُ هواءَهُ، ولا يقعُ عليهم فيؤذي أجسادَهُم ويُبلي ثِيابَهُم.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: شأنُهُم، أو: إيواؤُهُم إلى كهفٍ كذلك، أو: إخبارُكَ قِصَّتَهُم، أو: ازورارُ الشَّمسِ وقَرضُها طالعَةً وغارِبَةً، مِن آياتِه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ بالتَّوفيقِ ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي أصابَ الفَلاحَ، والمرادُ به: إما

---

(١) أي: صرفها وأمالها عنهم.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢)، و«النشر» (ص: ٣٨٨).

(٣) نسبت للجحدري وأيوب السختياني وابن أبي عبلة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥).

الثَّناءُ عليهم، أو التَّنبيهُ على أنَّ أمثالَ هذه الآياتِ كَثيرةٌ ولكنَّ المنتفِعَ بها مَن وفَّقَه اللهُ للتَّأمُّلِ فيها والاستبصارِ بها.

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: ومَن يَخْذُلْه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: مَن يليه ويُرشِدُه.

(١٨) - ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لانتفاخِ عُيونِهم، أو لكثرةِ تقلُّبِهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيامٌ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ في رَقدَتِهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ كيلا تَأكُلَ الأَرضُ ما يَليها مِن أَبدانِهم على طُولِ الزَّمانِ.

وقُرِئَ: (ويُقلِّبُهُم) بالياءِ والضَّميرُ للهِ تَعالى[١]، و: (تَقَلُّبَهم)[٢] على المصدرِ منصوبًا بفعلٍ يدلُّ عليه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾؛ أي: وترى تَقلُّبَهُم.

﴿وَكَلْبُهُم﴾ هو كلبٌ مَرُّوا به فتَبِعَهُم فطَردوهُ، فأنطقَهُ اللهُ فقال: أنا أُحِبُّ أحِبَّاءَ اللهِ، فناموا وأنا أحرسُكُم[٣].

أو: كلبُ راعٍ مَرُّوا به فتبعَهُم وتبعَهُ الكلبُ[٤]، ويؤيِّدُه قراءةُ مَن قرأَ:.........

---

(١) انظر: «الكشاف» (٥/ ١٣٨)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٢٤١)، وعزاها الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٢٨٦) لعمران بن حدير عن الحسن.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٦)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٢٤١)، عن الحسن. ورويت هذه القراءة أيضاً بضم الباء، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٠٣): وقرأ الحسن (وتَقَلُّبُهم) بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم، وحكى ابن جني القراءة عن الحسن بفتح الباء، وقال: هذا نصب بفعل مقدر؛ كأنه قال: وترى أو تشاهد تقلبهم، وأبو حاتم أثبت.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨) عن كعب الأحبار.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(وكالِبُهم)[١]؛ أي: وصاحبُ كلبِهِم.

﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيَةٍ، ولذلك أُعملَ اسمُ الفاعلِ.

﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾: بفناءِ الكَهفِ، وقيل: الوصيدُ: البَابُ، وقيل: العَتَبَةُ.

﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فنظرتَ إليهِمْ، وقُرِئَ: (لوُ اطَّلَعْتَ) بضمِّ الواوِ[٢].

﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾: لهربتَ مِنهُم، و﴿فِرَارٗا﴾ يحتمِلُ المصدرَ ـ لأنَّه نوعٌ مِن التَّولِيَةِ ـ والعلةَ والحال.

﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾: خوفًا يملأُ صَدركَ؛ لِمَا أَلبسَهُم اللهُ مِن الهيبةِ، أو لعظمِ أَجرامِهِم وانفتاحِ عيونِهِم، وقيل: لوحشَةِ مَكانِهم.

وعن معاويةَ: أنه غزا الرُّومَ فمرَّ بالكهفِ، فقال: لو كُشفَ لَنَا عَن هؤلاءِ فنَظَرْنَا إليهم، فقال لـه ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: ليسَ لك ذلك، قد منعَ اللهُ تَعالى مَن هوَ خَيرٌ منكَ، فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ فلم يسمَعْ وبعثَ ناسًا، فلما دَخلُوا جاءَتْ ريحٌ فأحرقَتْهُم[٣].

---

(١) نسبت لجعفر الصادق. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٦٩)، و«الكشاف» (٥/ ١٣٩)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٠٣)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٢٤١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٦٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٠٤)، عن يحيى بن وثاب والأعمش.

(٣) قوله: «فأحرقتهم» كذا ذكر تبعاً لـ«الكشاف» (٥/ ١٤٠)، والذي في المصادر: «فأخرجتهم»، كذا رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٤٤)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٨)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٧٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٥٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٣).

وقرأ الحِجازِيَّانِ: ﴿ولَمُلِّئْتَ﴾ بالتَّشديدِ للمُبالغةِ[١]، وابنُ عامرٍ والكِسائيُّ ويَعقوبُ: ﴿رُعُبًا﴾ بالتَّثقيلِ[٢].

(١٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: وكَما أَنَمْناهُم آيةً بَعَثْناهُم آيةً على كمالِ قُدرَتِنا ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ليسأَلَ بعضُهُم بَعْضًا فيتعرَّفُوا حالَهم وما صَنَعَ اللهُ بهم، فيزدادُوا يقينًا على كَمالِ قُدرةِ اللهِ، ويَستبصِرُوا به أمرَ البعثِ، ويشكروا ما أَنعَمَ به عليهِمْ.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بناءً على غالبِ ظَنِّهم؛ لأنَّ النَّائمَ لا يُحصي مُدةَ نومِه، ولذلك أحالوا العلمَ إلى اللهِ ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ ويجوزُ أَنْ يكونَ ذلك قولُ بَعضِهم وهذا إنكارُ الآخَرينَ عليهم.

وقيل: إنَّهُم لمَّا دخلوا الكَهفَ غَدْوةً وانتبهوا ظَهيرةً فظَنُّوا أنَّهُم في يَومِهم أو اليومِ الذي بعدَهُ قالوا ذلك، فلَمَّا نَظَرُوا إلى طولِ أَظفارِهم وأشعارِهم قالوا هذا، ثمَّ لَمَّا عَلِمُوا أنَّ الأمرَ مُلتَبِسٌ لا طريقَ لَهُم إلى علمِهِ أخذوا فيما يُهمُّهُم وقالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ والوَرِقُ: الفِضَّةُ مَضروبةً كانَتْ أو غيرَها. وقرأ أبو بَكرٍ وحمزةُ وأبو عمرٍو ورَوْحٌ عن يَعقوبَ بالتَّخفيفِ[٣].

وقُرِئَ بالتَّثقيلِ وإدغامِ القافِ في الكافِ[٤]، وبالتَّخفيفِ مكسورَ الواوِ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) أي: بضم العين من (الرعب) و(رعبًا) حيث أتى، وقرأ بها أبو جعفر أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١)، و«النشر» (٢/ ٢١٦).

(٣) أي: بإسكان الراء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، و«النشر» (٢/ ٣١٠).

(٤) نسبها الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٤٠) لابن كثير، ونقلها عنه أبو حيان في «البحر المحيط»

مُدغمًا وغيرَ مُدغمٍ[١]، وردَّ المُدغَمُ لالتقاءِ السَّاكنَيْنِ على غيرِ حَدِّهِ[٢].

وحملُهُم له دليلٌ على أنَّ التَّزوُّدَ رأيُ المُتوكِّلينَ، والمَدينةُ طَرَسُوس[٣].

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾: أيُّ أهلِها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلُّ وأطيَبُ، أو أكثرُ وأرخَصُ.

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: ولْيَتكلَّفِ اللُّطفَ في المُعاملَةِ حتَّى لا يُغبَنَ، أو في التَّخفِّي حتَّى لا يُعرفَ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: ولا يَفعلنَّ ما يُؤدِّي إلى الشُّعورِ.

(٢٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يَطَّلِعُوا عَلَيْكُم، أو: يَظْفَرُوا بِكُم، والضَّميرُ للأَهلِ المُقدَّرِ في ﴿أَيُّهَآ﴾ ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتُلُوكُم بالرَّجمِ ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾: أو يُصَيِّروكُمْ إليها كرهًا، مِن العَودِ بمَعنى الصَّيرورةِ، وقيل: كانوا أولًا على دينِهم فآمَنوا.

(١٤/ ٢٤٦) ثم قال: وهو مخالف لما نقل الناس عنه. أي: عن ابن كثير.

(١) قرأ بكسر الواو مع سكون الراء والإدغام ابن محيصن، كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢)، وأبو رجاء كما في «المحتسب» (٢/ ٢٤)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٦). والقراءة بكسر الواو مع سكون الراء دون إدغام، ذكرها الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٥)، وعنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٠٥)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٤/ ٢٤٦).

(٢) هكذا رده الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٤٢)، وقال ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤): هذا ونحوه عند أصحابنا مخفي غير مدغم، لكنه أخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة. ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء، كقولهم: يَرُدُّ ويَفِرُّ ويَصُبُّ، ألا ترى أن الأصل: يَرْدُدْ ويَفْرِرْ ويَصْبُبْ، فلما أسكن الأول ليدغمه نقل حركته إلى الساكن قبله.

(٣) كذا ضبطها التفتازاني في نسخته، وفي نسخة الفاروقي: «طُرْسوس» بضم الطاء. وهما وجهان. انظر: «تاج العروس» (مادة: ط ر س).

﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾[1] إنْ دَخَلْتُم في مِلَّتِهِم.

(٢١) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أَنَمْنَاهُم وبَعَثْناهُم لتزدادَ بصيرتُهم أطلَعْنا عليهِم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾: ليعلمَ الذين أطْلَعْنَاهُم على حالِهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ، أو: الموعودَ الذي هو البعثُ ﴿حَقٌّ﴾ لأنَّ نومَهُم وانتباهَهُم كحالِ مَن يَموتُ ثمَّ يُبعَثُ.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: وأنَّ القيامةَ لا ريبَ في إمكانِها، فإنَّ مَن توفَّى نُفوسَهُم وأمسكَها ثلاثَ مئةِ سنينَ حافظًا أبدانَها عَنِ التَّحلُّلِ والتفتُّتِ ثمَّ أرسلَها إليها قَدَرَ أنْ يتوفَّى نفوسَ جَميعِ النَّاسِ ممسِكًا إيَّاها إلى أن يَحشُرَ أَبدانَها فيردَّها عليها.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ أي: أعثَرْنا عليهِمْ حينَ يَتنازَعُونَ ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمرَ دينِهِم، وكان بَعضُهُم يقولون: تُبعَثُ الأَرواحُ مُجرَّدةً، وبعضُهُم يقول: يُبعثانِ معًا؛ ليرتفعَ الخلافُ ويَتبيَّنَ أنَّهما يُبعثان معًا.

أو: أَمْرَ الفِتيةِ حينَ أماتَهُم اللهُ ثانيًا بالموتِ، فقال بعضُهُم: ماتوا، وقال آخرونَ: ناموا نومَهُم أوَّلَ مرَّةٍ، أو قالَتْ طائفَةٌ: نبني عليهم بنيانًا يَسكنُهُ النَّاسُ ويتَّخِذُونَه قريةً، وقال آخرون: لنَتَّخذنَّ عليهِم مَسجِدًا يُصلَّى فيه كما قالَ تعالى: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وقوله: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراضٌ: إمَّا مِن اللهِ ردًّا على الخائضينَ في أمرِهِم مِن أولئكَ المُتنازِعينَ، أو مِن المتنازِعينَ فيهِم على عهدِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، أو مِن

---

(١) حصل هنا خرم في نسخة الخيالي مقداره ورقتان، ينتهي عند قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾.

المُتنازِعِينَ للرَّدِّ إلى اللهِ بعدَما تذاكَرُوا أمرَهُم، وتناقَلُوا الكلامَ في أنسابِهِم وأحوالِهِم فلَمْ يَتحقَّقْ لَهُم ذلك.

حُكِيَ: أنَّ المبعوثَ لَمَّا دخلَ في السُّوقِ وأخرجَ الدِّرهمَ وكان على اسمِ دِقْيَانُوسَ اتَّهموهُ بأنَّه وجدَ كنزًا، فذهبوا به إلى الملكِ ـ وكانَ نَصرانِيًّا مُوحِّدًا ـ فقصَّ عليه القصصَ، فقال بعضُهُم: إنَّ آباءَنا أخبرونا أنَّ فِتيَةً فرُّوا بدينِهِم مِن دِقْيَانُوسَ فلعلَّهُم هؤلاءِ، فانطلقَ الملكُ وأَهلُ المدينَةِ مِن مُؤمنٍ وكافرٍ وأبصَرُوهُم وكَلَّمُوهُم، ثم قالَت الفتيةُ للملكِ: نَسْتَودِعُكَ اللهَ ونُعيذُكَ بِهِ مِن شرِّ الجنِّ والإنسِ، ثمَّ رَجعُوا إلى مَضاجِعِهِم فماتوا فدَفَنَهُم الملكُ في الكهفِ وبنى عليهِمْ مَسجِدًا.

وقيل: لَمَّا انتَهَوا إلى الكهفِ قالَ لهم الفَتَى: مَكانَكُم حتَّى أَدخُلَ أَوَّلًا لئلَّا يَفزَعُوا، فدخلَ فعَمِيَ عليهم المَدخلُ فبَنَوا ثَمَّ مَسجِدًا[1].

(٢٢) ـ ﴿سَيَقُولُونَ﴾؛ أي: الخائضونَ في قِصَّتِهِم في عهدِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ مِن أَهلِ الكتابِ والمؤمنين: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: هُم ثَلاثةُ رِجالٍ يَرْبَعُهُم كلبُهُم بانضِمامِه إليهِم.

قيل: هو قولُ اليَهودِ، وقيل: قولُ السيِّدِ مِن نَصارى نَجْرانَ، وكانَ يَعقوبيًّا[2].

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قالَت النَّصارَى أو العاقِبُ منهم، وكان نَسْطُورِيًّا.

---

(١) ورد في قصتهم أخبار كثيرة من نحو هذا، وليس فيها شيء يصح عن النبي ﷺ.

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٨٤ـ ٨٥)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٢٤٤)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٦١)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، و«تفسير الرازي» (٢١/ ٤٤٧)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٦). وعزاه النسفي للكلبي، والجرجاني للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: يرمونَ رَمْيًا بالخبرِ الخفيِّ الذي لا مُطْلِعَ لهم عليه وإتيانًا به[١]، أو: ظنًّا بالغيبِ مِن قولِهم: (رجَمَ بالظَّنِّ): إذا ظنَّ، وإنَّما لم يُذكَرْ بالسِّينِ[٢] اكتفاءً بعَطفِه على ما هو فيه.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إنَّما قالَهُ المُسلمونَ بإخبارِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ لَهُم عَن جبريلَ عليهِ السَّلامُ، وإيماءِ اللهِ إليهِ بأنْ أَتْبعَهُ قولَه: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وأتبعَ الأَوَّلَيْنِ قولَه: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وبأَنْ أثبتَ العلمَ بهم لطائفةٍ بعدَما حصرَ أقوالَ الطَّوائفِ في الثلاثةِ المذكورةِ، فإنَّ عدمَ إيرادِ رابعٍ في نحوِ هذا المحلِّ دَليلُ العدمِ مع أنَّ الأصلَ ينفيه، ثمَّ ردَّ الأَوَّلَيْنِ بأن أتبعَهُما قولَه: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ليتعيَّنَ الثَّالثُ، وبأَنْ أدخلَ فيه الواوَ على الجملةِ الواقعَةِ صفةً للنَّكِرَةِ تشبيهًا لها بالواقعةِ حالًا عَن المعرفةِ لتَأكيدِ لصوقِ الصِّفَةِ بالموصوفِ والدلالةِ على أنَّ اتِّصافَهُ بها أمرٌ ثابت.

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه: هـم سبعةٌ وثامنُهُم كلبُهُم[٣]، أسماؤُهُم: يَمْلِيخَا ومَكْشلِينيَا ومَشْلِينيا هؤلاءِ أصحابُ يمينِ الملك، ومَرْنُوشُ ودَيَرْنُوشُ وشَاذَنُوشُ أصحابُ يَسارِه، وكانَ يَستَشِيرُهُم، والسَّابعُ الرَّاعِي الذي وافَقَهُم، واسمُ كَلبِهِم قِطْمِيرُ، واسمُ مَدِينَتِهِم أَفْسُوسُ[٤].

---

(١) قوله: «وإتياناً به»؛ أي: بالخبر، معطوف على: «رمياً». انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) يعني لم يذكر: (وسيقولون) مكان (ويقولون).

(٣) قال السيوطي في «حاشيته» (٨/ ٤٢٢): لم أَقِف عليه، إنَّما رأيتُه عن ابنِ مَسعودٍ رواه ابنُ أبي حاتمٍ [٧/ ٢٣٥٤]، وعن ابنِ عبَّاسٍ رواهُ الفِريابيُّ وابنُ جريرٍ [١٥/ ٢٢٠] وغيرهما.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٤٧)، ولم أجده مسنداً، وقد فصَل السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (٨/ ٤٢٢) بين أوله وهو: (هم سبعةٌ وثامنُهُم كلبُهُم) وبين باقيه فجعله خبراً آخر كما سيأتي. أما الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٢٧٨) فجعله خبراً واحداً حيث قال بعد أورده =

وقيل: الأقوالُ الثَّلاثةُ لأهلِ الكتابِ، والقَليلُ مِنْهُم.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾: فلا تُجادِلْ في شأنِ الفِتيَةِ إلا جِدالًا ظاهرًا غيرَ مُتعمِّقٍ فيه، وهو أن تقصَّ علَيْهِم ما في القرآنِ مِن غيرِ تَجهيلٍ لهم والردِّ عليهِم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾: ولا تَسْأَلْ أحدًا مِنْهُم عن قِصَّتِهم سؤالَ مُسترشِدٍ، فإنَّ فيما أُوحِيَ إليك لَمَندوحةً عَن غيرِه، مع أنَّه لا علمَ لَهُم بها، ولا سؤالَ مُتعنِّتٍ تريدُ تفضيحَ المسؤولِ عنه وتَزييفَ ما عِندَهُ فإنَّه يُخلُّ بمكارمِ الأَخلاقِ.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ نهيُ تَأديبٍ مِن اللهِ لنَبيِّهِ حينَ قالت اليَهودُ لقُرَيشٍ: سَلُوه عَن الرُّوحِ وأصحابِ الكَهفِ وذي القرنينِ، فسَأَلُوه، فقال: «ائتوني غدًا أخبركم» ولم يَستثنِ، فأبطأَ عليه الوَحيُ بضعةَ عشرَ يومًا حتى شَقَّ عليه وكذَّبَتْه قريشٌ[1].

والاستثناءُ مِن النَّهيِ؛ أي: ولا تقولَنَّ لأجلِ شَيءٍ تعزمُ عليه: (إنِّي فاعله[2] فيما يُستقبَلُ) إلا بأَنْ يشاءَ اللهُ؛ أي: إلا مُلتبِسًا بمشيئتِهِ قائلًا: (إنْ شاءَ اللهُ)، أو: إلَّا وقتَ أَنْ يشاءَ اللهُ أن تقولَهُ، بمعنى: أن يأذنَ لك فيه، ولا يجوزُ تعليقُهُ بـ﴿فَاعِلٌ﴾ لأنَّ استثناءَ اقترانِ المشيئةِ بالفعلِ غيرُ سديدٍ، واستثناءُ اعتراضِها دونَهُ لا يناسبُ النَّهيَ.

= بتمامه: وفي صحة نسبة هذه الرواية لعلي رضي الله عنه مقال، وقد سُموا في بعض الروايات بغير هذه الأسماء. وذكر أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٢٢٥) أن أسماء أصحاب الكهف أعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط، والسند في معرفتها ضعيف. قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٩٨): والسند في معرفتها واه.

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١): حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً. ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠).

(٢) في نسخة الطبلاوي: «إني فاعلٌ».

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾: مشيئةَ رَبِّكَ وقل: (إِنْ شاءَ اللهُ) كما رُوِيَ أنَّه لَمَّا نزلَ قالَ عليه السَّلامُ: «إن شاءَ الله»[١].

﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: إذا فَرَطَ مِنكَ نِسيانٌ لذلك ثمَّ تَذكَّرْتَه، وعن ابنِ عبَّاس: ولو بعدَ سنةٍ ما لم تحنَثْ[٢]، ولذلك جَوَّزَ تأخيرَ الاستثناءِ عنه.

وعامَّةُ الفُقَهاءِ على خلافِه؛ لأنَّه لو صحَّ ذلك لم يَتقرَّر إقرارٌ ولا طلاقٌ ولا عتاقٌ، ولم يُعْلَم صِدقٌ ولا كَذِبٌ، وليسَ في الآيةِ والخبرِ أنَّ الاستثناءَ المتدارَكَ بِهِ مِن القَولِ السَّابقِ، بل هو مِن مقدَّرٍ مَدلولٍ به عليه.

ويجوزُ أَنْ يكونَ المعنى: واذكُرْ ربَّكَ بالتَّسبيحِ والاستغفارِ إذا نسيتَ الاستثناءَ، مُبالغةً في الحثِّ عليه، أو: اذكُرْ ربَّهُ وعِقابَهُ إذا تركتَ بعضَ ما أمركَ بِهِ ليبعثَكَ على التَّدارُكِ، أو: اذكُرْه إذا اعتراكَ النِّسيانُ ليذكِّركَ المَنسيَّ.

---

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٥) واللفظ له، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا نسيت أن تقول لشيء: إني أفعله، فنسيت أن تقول: إن شاء الله، فقل إذا ذكرت: إن شاء الله).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه.

ونقل محمد بن نصر المروزي في «اختلاف الفقهاء» (ص: ٤٨٢) عن أبي عبيد قال: معنى حديث ابن عباس أنه إذا استثنى بعد سنة سقط عنه المأثم وأما الكفارة فإنها لا تسقط.

قال القرطبي في بيانه: هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١).

وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): إن ابن عباس أعلم من أن يُسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروي عنه ذلك في اليمين.

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾: يدلَّني ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾: لأقربَ رشدًا وأظهرَ دلالةً على أنِّي نبيٌّ مِن نبأِ أصحابِ الكَهفِ، وقد هداهُ لأعظمَ مِن ذلك كقَصَصِ الأَنبياءِ المتباعِدِ عنه أيامُهُم، والإخبارِ بالغُيوبِ والحَوادثِ النَّازِلَةِ في الأَعصارِ المستقبلةِ إلى قيامِ السَّاعةِ، أو: لأقربَ رَشَدًا وأدنى خيرًا مِن المَنسيِّ.

(٢٥) ـ ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ يعني: لبثُهُم فيه أحياءً مَضروبًا على آذانِهم، وهو بيانٌ لِمَا أجملَهُ قبلُ.

وقيل: إنَّه حِكايَةُ كلامِ أَهلِ الكِتابِ، فإنَّهُم اختَلَفُوا في مُدَّةِ لبثِهِم كما اختَلَفُوا في عِدَّتِهم، فقال بعضُهُم: ثلاثَ مئةٍ، وقال بعضُهُم: ثلاث مئةٍ وتسعَ سنينَ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿ثَلَٰثَ مئةِ سِنِينَ﴾ بالإضافَةِ[1] على وَضعِ الجَمعِ مَوضِعَ الوَاحِدِ، ويُحسِّنُه هاهنا أنَّ علامةَ الجَمعِ فيه جبرٌ لِمَا حُذِفَ مِن الواحِدِ، وأنَّ الأصلَ في العددِ إضافَتُه إلى الجمعِ، ومَن لم يُضِفْ أبدلَ السِّنينَ مِن ﴿ثَلَٰثَ﴾.

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: له ما غابَ فيها وخَفِيَ مِن أحوالِ أهلِها، فلا خَلْقَ يخفَى عليهِ علمًا.

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ ذكرَ بصيغةِ التَّعجُّبِ للدلالةِ على أنَّ أمرَهُ في الإدراكِ خارجٌ عمَّا عليه إدراكُ السَّامعينَ والمبصِرينَ؛ إذ لا يَحجُبهُ شيءٌ ولا يتفاوَتُ دونَه لطيفٌ وكثيفٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، وخَفِيٌّ وجَليٌّ.

والهاءُ تعودُ إلى اللهِ، ومحلُّه الرَّفعُ على الفاعليَّةِ، والباءُ مَزيدةٌ عندَ سيبويه، وكان أصلُهُ: أبصَرَ؛ أي: صارَ ذا بَصرٍ، ثمَّ نُقلَ إلى صيغةِ الأمرِ بمعنى الإنشاءِ فبرزَ الضَّميرُ لعَدمِ لياقِ الصِّيغةِ له، أو لزيادةِ الباءِ كما في قولِه: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ [النساء: ٥٠]، والنَّصبُ

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

على المفعوليَّةِ عندَ الأخفَشِ، والفاعلُ ضَميرُ المَأمورِ، وهو كلُّ أحدٍ، والباءُ مَزيدَةٌ إن كانَت الهمزَةُ للتَّعدِيَةِ، ومعدِّيَةٌ إنْ كانَتْ للصَّيرورةِ.

﴿مَا لَهُم﴾ الضَّميرُ لأَهلِ السَّماواتِ والأَرضِ ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾: مَن يَتولَّى[1] أمورَهُم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾: في قضائِه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، ولا يَجعلُ له فيه مدخلًا.

وقرأ ابنُ عامرٍ وقالونُ عن يعقوبَ بالتاءِ والجزمِ[2] على نهيِ كلِّ أحدٍ عَن الإشراكِ.

ثمَّ لَمَّا دلَّ اشتمالُ القُرآنِ على قصَّةِ أهلِ الكَهفِ مِن حيثُ إنَّها مِن المُغيَّباتِ بالإضافةِ إلى الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ على أنَّه وَحيٌ مُعجزٌ، أمرَهُ بأَنْ يداومَ درسَهُ ويلازمَ أصحابَهُ فقال:

(٢٧) ـ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: مِن القُرآنِ، ولا تسمَعْ لقَولِهِم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا أحدَ يقدِرُ على تبديلِها وتَغييرِها غيرُه ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: مُلتجَأً تَعدِلُ إليه إن هممتَ به.

(٢٨) ـ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ واحبِسْها وثبِّتْها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ في مَجامعِ أَوقاتِهِم، أو في طرَفَي النَّهارِ.

---

(١) في نسخة الفاروقي والطبلاوي: «متولي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، عن ابن عامر، وقوله: «وقالون عن يعقوب» لم أقف عليها، وقال الأنصاري في «الحاشية» (٣/ ٥٦٢): لم أره لغيره. أي: لغير المصنف، وعزاها الهذلي في «الكامل» (ص: ٥٩١) إلى حميد بن الوزير عن يعقوب وغيره.

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿بالغُدْوَةِ﴾[١]، وفيهِ أن غُدْوَةَ عَلَمٌ في الأكثرِ، فتكونُ اللامُ فيه على تأويلِ التَّنكيرِ.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: رضاءَ اللهِ وطاعتَهُ.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: ولا يجاوِزْهُم نَظَرُكَ إلى غَيرِهِم، وتَعدِيَتُه بـ(عن) لتَضمينِه مَعنى (نبا)، يقال: نَبَتْ وعَلَتْ عنه عَينُه: اقتحَمَته ولم تَعلَقْ به، والغَرَضُ في هذا إعطاءُ معنيَينِ؛ أي: لا تقتحِمْهم عَيْناكَ مُتجاوِزتَينِ إلى غيرِهم.

وقُرِئَ: (وَلَا تُعْدِ عينَيْك)[٢]، و: (ولا تُعَدِّ)[٣] مِن أعداهُ وعَدَّاه.

والمراد: نهيُ الرَّسولِ أن يزدريَ بفُقراءِ المؤمنينَ وتَعلُوَ عينُه عَن رَثاثَةِ زِيِّهِم طُموحًا إلى طَراوةِ زيِّ الأَغنِيَاءِ.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حالٌ مِن الكافِ في المشهورَةِ، ومِن المُستكِنِّ في الفعلِ في غيرِهَا.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: مَن جَعَلْنا قلبَهُ غافلًا ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾ كأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ في دُعائِكَ إلى طردِ الفُقراءِ عَن مَجلسِكَ لصَناديدِ قُرَيشٍ[٤].

وفيه تَنبيهٌ على أنَّ الدَّاعِيَ له على هذا الاستدعاءِ غفلَةُ قلبِه عَن المعقولاتِ، وانهماكُه في المحسوساتِ، حتَّى خَفِيَ عليه أنَّ الشَّرفَ بحِلْيَةِ النَّفسِ لا بزينةِ الجَسدِ، وأنَّه لو أطاعَهُ كان مثلَهُ في الغباوةِ، والمعتزلةُ لَمَّا غاظَهُم إسنادُ

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧)، عن الحسن.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٢) عن الحسن وعيسى.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنه.

الإغفـالِ إلـى اللهِ قالـوا: إنـه مِثـلُ (أجبَنْتُـه): إذا وَجَدْتَـه كذلـك أو نَسَـبْتُه إليـه، أو مِـن (أغفَـلَ إبِلَـهُ): إذا تركهَا بغيرِ سِـمَةٍ؛ أي: لم نَسِـمْهُ بذِكرِنَـا كقُلوبِ الذيـن كَتَبْنَا فـي قُلوبِهِـم الإيمـانَ[1]، واحتَجُّوا علـى أنَّ المُـرادَ ليسَ ظاهرَ مـا ذُكِـرُ أوَّلًا بقولِه: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾. وجوابُهُ ما مَرَّ غيرَ مرَّةٍ[2].

وقُرِئَ: (أَغْفَلَنَا) بإسنادِ الفعلِ إلى القلبِ[3]، على معنى: حَسِبَنا قلبُه غافلينَ عن ذكرِنا إيَّاه بالمؤاخذةِ.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾؛ أي: تَقدُّمًـا علـى الحـقِّ ونَبذًا لـه وراءَ ظَهـرِه، يقال: فرسٌ فُـرُطٌ؛ أي: مُتقـدِّمٌ للخيلِ، ومنـه: الفَرَطُ.

(٢٩) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: مـا يكـونُ مِـن جهَـةِ اللهِ لا ما يقتضيـه الهَوَى، ويجـوزُ أَنْ يكـونَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبـرَ محـذوفٍ، و﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ حالًا.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ لا أُبالي بإيمانِ مَن آمنَ وكُفْرِ مَن كَفَرَ، وهو لا يَقتَضِي استقلالَ العَبدِ بفعلِه، فإنَّه وإنْ كانَ بمَشيئَتِه، فمَشيئَتُه ليسَتْ بمَشيئَتِه.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيَّأْنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: فسطاطُها، شبَّه بـه مـا يحيـطُ بهـم مِـن النَّارِ، وقيل: السُّـرادِقُ الحجـرةُ التي تكـونُ حولَ الفُسـطاطِ، وقيل: ﴿سُرَادِقُهَا﴾ دُخانُهـا، وقيـل: حائـطٌ مِن نارٍ.

---

(١) عبارة «الكشاف»: (أي: لم نَسِمْهُ بالذِّكر، ولم نجعَلْهم من الذين كتَبْنا في قلوبهم الإيمانَ).

(٢) قوله: «وجوابه ما مر غير مرة»؛ أي: أنَّ اللهَ موجدُ كلِّ شيءٍ.

(٣) وبضم الباء من (قلبه) نسبت لعمرو بن فائد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨).

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ من العطشِ ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: كالجسدِ المُذابِ[١]، وقيل: كدُرْدِيِّ الزَّيتِ[٢]، وهو على طريقةِ قوله:

فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ[٣]

﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ إذا قُدِّمَ ليُشربَ مِن فَرْطِ حَرارتِهِ، وهو صِفَةٌ ثانيَةٌ لـ(ماءٍ)، أو حالٌ مِن المهلِ، أو الضَّميرِ في الكافِ.

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المهلُ ﴿وَسَآءَتْ﴾: وساءَتِ النَّارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: مُتَّكأً، وأصلُ الارتفاقِ: نصبُ المرفقِ تحتَ الخَدِّ، وهو لِمُقابلةِ قولِه: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وإلَّا فلا ارتفاقَ لأهلِ النَّارِ.

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾ الأُولَى هي الثَّانيةُ بما في حَيِّزِها، والرَّاجعُ محذوفٌ تقديرُه: مَن أحسَنَ عَمَلًا مِنْهم، أو مُستغنًى عنه بعُمومِ ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ كما هو مُستغنًى عنه

---

(١) قوله: «كالجسد المذاب»: إن أراد بالجسد ما يتبادر منه ـ وهو جسد الحيوان ـ فالمراد أنه لغلظه كأنه لحم مذاب بالطبخ، وإن أراد به مطلق الجِرْم فهو بمعناه، ويحتمل أن يريد به جِرْم المعدنيات، فإن أهل الكيمياء اصطلحت على تسميته جسداً، فيكون بمعنى ما وقع في نسخة أخرى: «كالنحاس المذاب». انظر: «حاشية الشهاب». قلت: ولعل الأخير هو الأرجح؛ لما في «الكشاف» (٥/ ١٥٨): والمُهلُ: ما أُذيبَ من جواهر الأرض.

(٢) دردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) هو جزء من بيتٍ لبشرِ بن أبي خازمٍ الأزديِّ، وتمامه:

غَضِبَت تَميمٌ أَنْ تُقتَّلَ عامِرٌ ... يومَ النِّسارِ فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ

انظر: «المفضليات» (ص: ٣٤٦)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٤٠١)، و«عيون الأخبار» (٣/ ٣٦)، و«الصحاح» (مادة: عتب).

في قولِك: (نِعمَ الرَّجُلُ زيدٌ)، أو واقعٌ موقعَهُ الظَّاهرُ، فإنَّ ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ على الحقيقةِ لا يَحْسُنُ إطلاقُهُ إلا على الذين آمَنُوا وعملوا الصَّالحاتِ.

أو خبرُها: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ، وعلى الأوَّلِ استِئنافٌ لبَيانِ الأَجرِ، أو خبرٌ ثانٍ.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ الأولى للابتداءِ والثَّانيةُ للبيانِ صِفَةً لـ﴿أَسَاوِرَ﴾، وتنكيرُها لتَعظيمِ حُسنِها عن الإحاطةِ به، وهو جمعُ أَسْوِرَةٍ أو أساوِرٍ في جمعِ سِوَارٍ.

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ لأنَّ الخُضرةَ أحسَنُ الألوانِ وأكثرُها طَرَاوَةً ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ مِمَّا رَقَّ مِن الدِّيباجِ وما غَلُظَ منه، جمعَ بين النَّوعينِ للدَّلالةِ على أنَّ فيها ما تَشتَهِي الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعيُنُ.

﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: على السُّرُرِ كمَا هوَ هَيْئَةُ المُتنعِّمِينَ ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: نِعمَ الجنَّةُ ونَعيمُها ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الأرائِكُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: مُتَّكَأً.

(٣٢) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ للكافرِ والمُؤمنِ ﴿رَّجُلَيْنِ﴾: حالَ رَجُلينِ مُقدَّرَيْنِ أو مَوْجودَيْنِ.

قيل: هُما أَخوانِ مِن بني إسرائيلَ: كافرٌ اسمُه قَطروسَ، ومؤمِنٌ اسمُهُ يَهُوذَا، وَرِثَا مِن أبيهِما ثمانيةَ آلافِ دينارٍ، فتَشاطَرَا، فاشترَى الكافِرُ بها ضِياعًا وعَقارًا، وصرفَها المُؤمِنُ في وُجوهِ الخيرِ، وآلَ أمرُهما إلى ما حكاهُ اللهُ[1].

---

(١) رواه مطولًا الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١) عن عطاء الخراساني، وذكرت القصة أيضاً في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٥)، و«تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٦٢)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٣٧٨)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية. وعزاه أبو الليث ومكي لابن عباس، وأبو حفص للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. فمدارها على الكلبي ومقاتل، وهما متروكان.

وقيل: المُمثَّلُ بهما أخوانِ مِن بَنِي مَخزومٍ: كافِرٌ، وهو الأسوَدُ بنُ عبدِ الأَشَدِّ، ومُؤمِنٌ وهو أبو سَلَمَةَ عبدُ اللهِ زَوجُ أمِّ سَلَمَةَ قبلَ رسولِ اللهِ ﷺ[١].

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾: بُستانَيْنِ ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾: مِن الكُرومِ، والجُملَةُ بتَمامِها بيانُ التَّمثيلِ أو صِفَةٌ للرَّجُلَينِ.

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجَعَلْنا النَّخلَ مُحيطَةً بهما مُؤزَّرًا بهما كُرومُهُمَا، يُقال: حفَّهُ القَومُ: إذا أطافُوا به، وحَفَفْتُه بِهِم: إذا جَعَلْتَهُم حافِّينَ حَوْلَه، فتَزيدُهُ الباءُ مَفعولًا ثانيًا، كقولك: غَشَّيْتُه بهِ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: وسطَهُما ﴿زَرْعًا﴾ ليكونَ كُلٌّ مِنْهُما جامعًا للأقواتِ والفواكهِ، مُتواصِلَ العمارةِ على الشَّكلِ الحَسَنِ والتَّرتيبِ الأَنِيقِ.

(٣٣) ـ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثَمَرَها، وإفرادُ الضَّميرِ لإفرادِ ﴿كِلْتَا﴾. وقُرِئَ: (كُلُّ الجنَّتينِ آتى أُكُلَه)[٢].

---

(١) ذكره دون سند أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١)، والكرماني في «لباب التفسير» عند تفسير هذه الآية. وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٧)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٩) للكلبي.

وكلمة: (الأشدِّ) في والد أبي سلمة كذا وقعت في النسخ، فإن كانت مرادة للمصنف فقد تبع فيها الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٦١)، وجاء في نسخة الأنصاري كما في «حاشيته» (٣/ ٥٦٧) بالسين المهملة، حيث قال: ««عبد الأسد» بسين مهملة، وقيل: معجمة». ومثله عند السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (٨/ ٤٣٦).

قلت: والذي في المصادر: «الأسد» بالسين المهملة والدال المخففة.

(٢) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٤).

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾: ولَمْ تَنْقُصْ مِن أُكُلِها ﴿شَيْئًا﴾ يُعهدُ في سائرِ البَساتينِ، فإنَّ الثِّمارَ تَتِمُّ في عامٍ وتَنقُصُ في عامٍ غالبًا.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ ليَدومَ شُربُهما ـ فإنَّه الأَصلُ ـ ويزيدَ بَهاؤُهُما.

وعَن يعقوبَ: (وفَجَرْنا) بالتَّخفيفِ[١].

(٣٤) ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾: أنواعٌ مِن المالِ سِوَى الجَنَّتينِ؛ مِن ثَمَّرَ مالَهُ: إذا كَثَّرَه.

وقرأ عاصمٌ بفتحِ الثَّاءِ والميم، وأبو عمرٍو بضمِّ الثاءِ وإسكانِ الميم، والباقون بضمِّهما، وكذلك ﴿وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢][٢].

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يراجِعُه في الكلامِ، مِن حارَ: إذا رجعَ: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: حَشَمًا وأعوانًا. وقيل: أولادًا ذكورًا لأنَّهم الَّذين يَنْفِرونَ معه.

(٣٥) ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبِه يَطوفُ به فيها ويُفاخِرُه بها، وإفرادُ الجنَّةِ لأنَّ المُرادَ: ما هو جنَّتُه، وهو ما مُتِّعَ به مِن الدُّنيَا تَنبيهًا على أنَّه لا جنَّةَ له غيرُها، ولا حظَّ له في الجنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقونَ، أو لاتِّصالِ كلِّ واحدَةٍ مِن جَنَّتيهِ بالأُخرى، أو لأنَّ الدُّخولَ يكونُ في واحدَةٍ واحدَةٍ.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: ضارٌّ لها بعُجبِه وكُفْرِه ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: أَنْ تَفْنَى ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنَّةُ ﴿أَبَدًا﴾ لطولِ أمَلِه وتَمادِي غَفْلَتِه واغترارِه بمُهلَتِه.

---

(١) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر النيسابوري (ص: ٢٧٧) عن روح وزيد عن يعقوب، و«الوجيز في شرح القراءات» لأبي علي الأهوازي (ص: ٢٣٥) عن رويس عن يعقوب، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٨٨) عن سهل وروح وزيد وفهد عن يعقوب، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣) عن سلام ويعقوب. ولم تُذكر في «النشر».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣٦) ـ ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾: كائنةً ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ بالبعثِ كما زَعَمْتَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ مِن جَنَّتِه.

وقرأ الحِجازيَّانِ والشَّاميُّ: ﴿منهما﴾[١]؛ أي: مِن الجَنَّتينِ.

﴿مُنقَلَبًا﴾: مَرجِعًا وعاقبةً؛ لأنَّها فانِيَةٌ وتلك باقِيَةٌ.

وإنَّما أقسمَ على ذلك لاعتقادِه أنَّه تَعالى إنَّما أَوْلاهُ ما أَوْلاهُ لاستِئْهَالِه واستحقاقِه إيَّاهُ لذَاتِه، وهو معَهُ أينما يَلقاهُ.

(٣٧) ـ ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ لأنَّه أصلُ مادَّتِك، أو مادَّةُ أَصلِكَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فإنَّها مادَّتُك القَريبةُ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: ثمَّ عَدَلكَ وكمَّلَك إنسانًا ذكرًا بالغًا مبلغَ الرِّجالِ.

جعلَ كُفرَهُ بالبعثِ كُفْرًا باللهِ لأنَّ مَنشأَهُ الشَّكُّ في كَمالِ قُدرةِ اللهِ، ولذلك رتَّبَ الإنكارَ على خلقِهِ إيَّاه مِن التُّرابِ، فإنَّ مَن قَدَرَ على بدءِ خلقِهِ منه قدَرَ أن يُعيدَهُ منه.

(٣٨) ـ ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ أصلُه: لكِنْ أَنَا، فحُذِفَت الهمزةُ بنَقلِ الحَركةِ أو دونَه، وتلاقَتِ النُّونانِ فكانَ الإدغامُ.

وقرأَهُ ابنُ عامرٍ ويَعقوبُ في روايةٍ بالألفِ في الوَصلِ[٢]؛ لتَعويضِها مِن الهَمزَةِ، أو لإجراءِ الوَصلِ مُجرى الوقفِ.

وقَد قُرِئَ: (لكِنْ أَنَا) على الأصلِ[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣). الحجازيان: نافع وابن كثير، والشامي: ابن عامر.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩١)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، وهي رواية رويس عن يعقوب، وقرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣١١).

(٣) نسبت لأبيٍّ بن كعب رضي الله عنه أيضا أوالحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩).

و﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ الشَّأنِ، وهو بالجُملَةِ الواقعةِ خبرًا له خبرُ (أنا)، أو ضميرُ (الله)، و﴿ٱللَّهُ﴾ بدلُه و﴿رَبِّي﴾ خبرُهُ، والجملَةُ خبرُ (أنا)، والاستدراكُ مِن ﴿أَكَفَرۡتَ﴾ كأنَّه قال: أنتَ كافِرٌ باللهِ لكنِّي مُؤمِنٌ بِهِ.

وقَد قُرِئَ: (لكنْ هوَ اللهُ ربِّي)[1]، و: (لكنْ أنا لا إلهَ إلَّا هو ربِّي)[2].

(٣٩) ـ ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾: وهَلَّا قُلتَ عندَ دُخولِها: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: الأمرُ ما شاءَ اللهُ، أو: ما شاءَ كائِنٌ، على أنَّ ﴿مَا﴾ موصولةٌ، أو: أيُّ شيءٍ شاءَ اللهُ كانَ، على أنَّها شرطيَّةٌ، والجوابُ مَحذوفٌ إقرارًا بأنَّها وما فيها بمشيئةِ اللهِ، إنْ شاءَ أبقاهَا وإنْ شاءَ أبادَها.

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وقلتَ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ اعتِرافًا بالعَجزِ على نَفسِكَ والقُدرةِ للهِ، فإنَّ ما تيسَّرَ لكَ مِن عمارتِها وتدبيرِ أمرِها فبمَعُونَتِه وإقدارِه.

وعَن النبيِّ ﷺ: «مَن رأَى شَيْئًا فأعجبَهُ فقال: ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلَّا باللهِ؛ لم يَضُرَّه»[3].

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٩) عن عيسى الثقفي.

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ١٦٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ووقعت في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩) هكذا: (لكن هو الله ربي لا إله إلا هو).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٧٠)، ورواه أيضاً البزار في «مسنده» (٧٣٣٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٩): رواه البزار من رواية أبي بكر الهذلي وأبو بكر ضعيف جدًا.

وقد روى الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٣٠)، عن عروة أنه كان إذا دخل حائطه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وذكر ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٣٣) عن أشهب عن مالك أنه قال: ينبغي لكل من دخل منزله أنْ يقولَ هذا.

﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ يحتمِلُ أَنْ يكونَ ﴿أَنَا۠﴾ فصلًا، وأن يكونَ تأكيدًا للمَفعولِ الأوَّلِ.

وقُرِئَ: (أَقلُّ) بالرَّفعِ[1] على أنَّه خبرُ ﴿أَنَا۠﴾، والجملةُ مَفعولٌ ثانٍ لـ﴿تَرَنِ﴾.

وفي قولِه: ﴿وَوَلَدٗا﴾ دليلٌ لِمَن فسَّرَ النَّفَرَ بالأولادِ.

(٤٠) ـ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدُّنيا أو في الآخرةِ لإيماني، وهو جَوابُ الشَّرطِ ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾: على جنَّتِكَ لكفركَ ﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: مَرامِيَ، جمع: حُسبَانَةٍ، وهي الصَّواعِقُ.

وقيل: هو مَصدرٌ بمعنى الحسابِ، والمرادُ به: التَّقديرُ بتَخريبِها، أو عذابُ حسابِ الأعمالِ السَّيِّئةِ.

﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾: أرضًا مَلساءَ يُزلَقُ عليها باستئصالِ نباتِها وأَشجارِهَا.

(٤١) ـ ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾: غائرًا في الأرضِ، مصدرٌ وُصِفَ به كالزَّلَقِ.

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾: للماءِ الغائرِ تَردُّدًا[2] في ردِّه.

(٤٢) ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: وأُهلِكَ أموالُه حسبَما توقَّعَه صاحبُه وأنذرَهُ مِنه، وهو مأخوذٌ مِن: أحاطَ بِهِ العَدوُّ، فإنَّه إذا أحاطَ به غلبَهُ، وإذا غلبَهُ أهلَكَهُ، ونَظيرُه: أتى عليه: إذا أهلَكُه، مِن أَتَى عليهم العَدُوُّ: إذا جاءَهُم مُستَعليًا عَلَيهِم.

﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ ظهرًا لبَطنٍ تَلَهُّفًا وتَحسُّرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: في عمارَتِها، وهو مُتعلِّقٌ بـ﴿يُقَلِّبُ﴾؛ لأنَّ تَقليبَ الكَفَّينِ كنايَةٌ عَن النَّدمِ، فكأنَّه قيل: فأصبَحَ يَندَمُ، أو حالٌ؛ أي: مُتَحَسِّرًا على ما أنفقَ فيها.

---

(١) نسبت لعيسى بن عمر كما في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥١٨)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٢٨٧)، ولابن أبي عبلة كما في «الكامل» للهذلي (ص: ٥٩١).

(٢) في نسخة التفتازاني: «متردداً».

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقِطَةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بأَنْ سقطَتْ عروشُهَا على الأَرضِ وسَقَطت الكُرومُ فَوقَها.

﴿وَيَقُولُ﴾ عطفٌ على ﴿يُقَلِّبُ﴾ أو حالٌ مِـن ضَميرِه: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ كأنَّه تذكَّرَ مَوعظةَ أخيه، وعلمَ أنَّه أُتِيَ مِن قِبَلِ شِركِه، فتمنَّى لو لم يَكُن مُشرِكًا فلم يُهلِكِ اللهُ بُستانَه.

ويحتمِلُ أن يكونَ توبَةً مِن الشِّركِ ونَدَمًا على ما سبقَ منه.

(٤٣) ـ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالياءِ[1] لتقدُّمِه.

﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: يقدِرونَ على نصرِهِ بدفعِ الإهلاكِ، أو ردِّ المهـلَكِ، أو الإتيانِ بمِثلِه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإنَّه القادِرُ على ذلك وحدَه ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: وما كانَ ممتنعًا بقُوَّتِه عن انتقامِ اللهِ مِنه.

(٤٤) ـ ﴿هُنَالِكَ﴾: فـي ذلك المقامِ وتلكَ الحالِ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: النُّصرَةُ لـه وحدَهُ لا يقدِرُ علَيْهَا غيرُه، تَقريرٌ لقولِه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ أو يَنصُرُ فيها أولياءَهُ المؤمنينَ على الكفرَةِ كما نَصَر فيما فعلَ بالكافرِ أخاهُ المؤمِنَ، ويعضُدُه قولُه: ﴿هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عُقُباً﴾؛ أي: لأوليائِه.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿الوِلاية﴾ بالكَسرِ[2]، ومعناها: السُّلطانُ والملكُ؛ أي: هنالك السُّلطانُ له لا يُغلَبُ ولا يُمتنَعُ مِنه، أو: لا يُعبَدُ غيرُه، كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فيكونُ تَنبيهًا على أنَّ قولَه: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ﴾ كانَ عَن اضطِرارٍ وجَزَعٍ ممَّا دَهَاه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى الآخرةِ.

وقرأ أبو عمرٍو[1] والكِسائيُّ: ﴿الحقُّ﴾ بالرَّفعِ[2] صِفَةً لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

وقُرِئَ بالنَّصبِ[3] على المَصدَرِ المؤكِّدِ.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿عُقْبًا﴾ بالسُّكونِ[4]، وقُرِئَ: (عُقْبَى)[5]. وكلُّها بمَعنى العاقِبَةِ.

(٤٥) - ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: اذكُرْ لَهُم ما تُشبِهُهُ الحياةُ الدُّنيا في زهرَتِها وسُرعَةِ زَوالِها، أو صِفَتِها الغَريبةِ ﴿كَمَآءٍ﴾: هو كماءٍ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَفْعولًا ثانيًا لـ﴿اضْرِبْ﴾ على أنَّه بمَعنى: صيِّرْ.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فالتفَّ بسبَبِه وخالطَ بعضُهُ بعضًا مِن كَثرتِه وتكاثُفِه، أو نجعَ[6] في النَّباتِ حتى رَوِيَ ورَفَّ[7]، وعلى هذا

---

(١) «وقرأ أبو عمرو» من نسخة التفتازاني، وهو الصواب، وكذا قال الأنصاري في «الحاشية» (٣/ ٥٧٢): ذكرُ حمزةَ سهوٌ، وصوابُه: أبو عمرو. ووقع في نسخة الطبلاوي: «وقرأ حمزة»، وكذا جاء في نسخة الفاروقي إلا أنه ذكر تحتها: «أبو عمرو» وعندها إشارة (صح).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣) عن أبي عمرو والكسائي.

(٣) قرأ بها عمرو بن عبيد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٥) نسبت لعاصم في غير المشهور عنه. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٥١٩)، و«الدر المصون» (٧/ ٥٠٠). وفي «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣): (عقبى) بالإمالة عن بعضهم. وذكرها الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٢٨٩) بالوجهين فقال: عن ابن عمير: (عقبى) على فعلى، وكذا المفضل طريق الخبازي إلا أنه بالإمالة.

(٦) أي: نفع.

(٧) أي: اهتزَّ نَضارَةً.

كانَ حَقُّـه: فاختلَـطَ بنَباتِ الأَرضِ، لكِـنْ لَمَّا كانَ كلٌّ مِن المُختلطَيـنِ مَوْصُوفًا بصِفَةِ صاحبِـهِ عكـسَ للمُبالغَةِ فـي كثرتِه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: مَهشـومًا مَكسُـورًا ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾: تُفَرِّقُه. وقُرِئَ: (تُذْريهِ)[1] مِن أَذْرَى.

والمُشـبَّهُ بـه ليـسَ المـاءَ ولا حالَـه، بـل الكَيْفِيَّـةُ المُنتزعَـةُ مِن الجملَـةِ، وهي حـالُ النَّبـاتِ المُنبَـتِ بالماءِ: يكـونُ أخضَرَ رَافًّا، ثـمَّ هَشِـيمًا تُطَيِّرُهُ الرِّيـاحُ، فيَصيرُ كأَنْ لَـمْ يَكُن.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِن الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾: قادِرًا.

(٤٦) ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتزيَّنُ بها الإنسانُ في دُنياهُ وتَفْنَى عنه عمَّا قَريبٍ.

﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾: وأعمـالُ الخَيـراتِ التـي تبقَـى لـهُ ثَمَرَتُها أبـدَ الآبادِ، ويَنـدَرِجُ فيهـا مـا فُسِّـرَت بـه مِـن الصَّلـواتِ الخمـسِ[2]، وأعمـالِ الحَـجِّ وصِيـامِ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص:٨٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ١٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، عن ابن عباس، وزاد في «الدر المنثور» (٤/ ٤١٨) عزوه للفريابي وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) أيضاً عن سعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل وإبراهيم وأبي ميسرة.

رَمضانَ، و(سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلـهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ)[1]، والكَلامِ الطَّيِّبِ[2].

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ مِن المالِ والبنينَ ﴿ثَوَابًا﴾: عائدةً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأنَّ صاحِبَها ينالُ بها في الآخرةِ ما كانَ يَأمُلُ بها في الدُّنْيا.

(٤٧) ـ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: واذكُرْ يومَ نَقلَعُها ونُسيِّرُها في الجوِّ، أو نَذهَبُ بها فنَجْعَلُها هباءً مُنبَثًّا، ويجوزُ عَطفُه على ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: الباقياتُ الصَّالِحاتُ خيرٌ عندَ اللهِ ويومَ القيامةِ.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ: ﴿تُسَيَّرُ﴾ بالتَّاءِ والبناءِ للمَفعولِ[3].

وقُرِئَ: (تَسِيرُ) مِن سَارَتْ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩)، عن ابن عباس وعثمان بن عفَّان وابنِ عمر ومجاهدٍ وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيِّب والحسن وقتادة ومحمد بن كعب.
وروي مرفوعاً: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥١٣) من حديث عثمان رضي الله عنه، وإسناده حسن.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٥٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وهذا وكل ما تقدم يندرج فيما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٩) عن قتادة قال: كل ما أريد به وجه الله.

(٣) مع رفع اللاَّم من ﴿الْجِبَالَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٤) نسبت لابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٩).

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: باديةً، بَرَزَتْ مِن تحتِ الجبالِ ليسَ عَلَيْهَا ما يَسْتُرُهَا. وقُرِئَ: (وتُرَى) على بناءِ المَفعولِ[١].

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: وجَمعناهُم إلى الموقفِ، ومَجيئُه ماضِيًا بعدَ ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿تَرَى﴾ لتَحقيقِ الحَشرِ، أو للدَّلالةِ على أنَّ حَشرَهُم قبلَ التَّسييرِ ليُعايِنُوه[٢] ويُشاهِدُوا ما وعَدَ لَهُم، وعلى هذا تكونُ الواوُ للحالِ بإضمارِ (قد).

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: فلَمْ نَترُك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يقال: غادرَهُ وأَغْدَرَهُ: إذا تَرَكَهُ، ومنه: الغَدْرُ، لتَركِ الوَفاءِ، والغَدِيرُ لِمَا غادرَهُ السَّيلُ. وقُرِئَ بالياءِ[٣].

(٤٨) - ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ تَشبيهُ حالِهِم بحالِ الجُندِ المَعروضينَ على السُّلطانِ لا ليَعرِفَهُم بَلْ ليَأْمُرَ فيهِم.

﴿صَفًّا﴾: مُصطَفِّينَ لا يَحْجُبُ أَحَدٌ أَحَدًا.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ على إضمارِ القَوْلِ على وجهٍ يكونُ حالًا أو عامِلًا في ﴿يومَ نُسَيِّرُ﴾.

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾: عُراةً لا شيءَ مَعَكُم مِن المالِ والوَلَدِ، كقولِه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤]، أو: أحياءً كخِلْقَتِكُم الأُولَى؛ لقولِه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: وقتًا لإنجازِ الوَعدِ بالبَعثِ والنُّشورِ، وأنَّ الأَنبياءَ كذَبُوكُم بهِ، و﴿بَلْ﴾ للخُروجِ مِن قصَّةٍ إلى أُخرَى.

---

(١) وبرفع الضاد من (الأرض). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣) عن عيسى، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٨٩) عن أبي معاذ النحوي عن بعض القراء.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «ليعاينوا».

(٣) نسبت لعاصم في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٠).

(٤٩) ـ ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾: صحائفُ الأَعمالِ في الأيمانِ والشَّمائلِ، أو في الميزانِ.

وقيل: هو كِنايَةٌ عَن وضعِ الحِسابِ.

﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ ﴾: خائفينَ ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ مِن الذُّنوبِ.

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا ﴾ يُنادونَ هَلَكَتَهُم التي هَلَكُوها مِن بينِ الهَلَكَاتِ.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تَعَجُّبًا مِن شَأنِه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾: هَنَةً صَغِيرَةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ إلا عَدَّدَها وأَحاطَ بها.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾: مكتوبًا في الصُّحُفِ ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ فيكتبَ عليهِ ما لم يفعَلْ، أو يزيدَ في عِقابِهِ المُلائمِ لعَمَلِه.

(٥٠) ـ ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾ كرَّرَهُ في مَواضِعَ لكَوْنِه مُقدِّمَةً للأُمورِ المَقصودِ بيانُها في تلك المَحالِّ، وهاهنا لَمَّا شَنَّعَ على المفتخِرينَ واستَقْبَحَ صَنِيعَهم قرَّرَ ذلك بأَنَّهُ مِن سُنَنِ إِبليسَ.

أو لَمَّا بَيَّنَ حالَ المغرورِ بالدُّنيا والمُعرضِ عنها، وكان سببَ الاغترارِ بها حُبُّ الشَّهواتِ وتَسويلُ الشَّيطانِ، زَهَّدَهُم أَوَّلًا في زخارفِ الدُّنيا بأَنَّها عُرضَةُ الزَّوالِ، والأعمالُ الصَّالِحَةُ خيرٌ وأَبْقى مِن أَنفَسِها وأَعلاها، ثمَّ نَفَّرَهُم عَن الشَّيطانِ بتَذكيرِ ما بَينَهُم مِن العَداوَةِ القَديمَةِ، وهكذا مَذهَبُ كلِّ تَكريرٍ في القرآن.

﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ حالٌ بإِضمارِ: قد كان، أو استئنافٌ للتَّعليلِ كأَنَّه قيل: ما له لم يَسجُد؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾.

﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فخرجَ عَن أمرِهِ بتَركِ السُّجودِ، والفَاءُ للتَّسبُّبِ، وفيه دَليلٌ عَلى أنَّ المَلَكَ لا يَعْصِي أَلبَتَّةَ، وإنَّما عَصَى إبليسُ لأَنَّه كانَ جِنِّيًّا في أَصلِه، والكلامُ المُستَقْصَى فيه مرَّ في (سُورَةِ البَقرةِ).

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: أعَقِيبَ ما وُجدَ مِنْه تَتَّخِذونه، والهمزةُ للإنكارِ والتَّعجيبِ.

﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: أولادَهُ، أو: أتباعَهُ، وسَمَّاهُم ذُرِّيَّةً مَجازًا.

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ وتَستَبْدِلُونَهُم بي فتُطيعُونَهُم بدلَ طاعَتِي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ مِن اللهِ إبليسُ وذُرِّيَّتُهُ.

(٥١) ـ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ نَفى إحضارَ إبليسَ وذُرِّيَّتِه خلقَ السَّماواتِ والأَرضِ وإحضارَ بعضِهِم خلقَ بَعضٍ؛ ليدُلَّ على نفيِ الاعتضادِ بهم في ذلك، كما صَرَّحَ بِهِ بقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؛ أي: أعوانًا، ردًّا لاتِّخاذِهِم أولياءَ مِن دونِ اللهِ شُركاءَ لَه في العبادةِ؛ فإنَّ استحقاقَ العِبادةِ مِن تَوابعِ الخالقيَّةِ، والإشراكُ فيه يَستلزِمُ الإشراكَ فيها، فوضعَ ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ موضِعَ الضَّميرِ ذَمًّا لهم واستِبعادًا للاعتضادِ بهم.

وقيل: الضَّميرُ للمُشركينَ، والمعنى: ما أَشهَدْتُهُم خلقَ ذلك وما خَصَصْتُهُم بعُلومٍ لا يَعرِفُها غيرُهُم، حتَّى لَوْ آمَنوا تَبِعَهُم النَّاسُ كمَا يَزْعُمونَ، فلا تَلْتَفِتْ إلى قولِهِم طمعًا في نُصرَتِهِم للدِّينِ، فإنَّه لا ينبَغِي لي أَنْ أَعتَضِدَ بالمُضلِّينَ لديني.

ويَعضُدُه قِراءَةُ مَن قرأَ: ﴿وَمَا كنتَ﴾[1] على خطابِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

وقُرِئَ: (مُتَّخِذًا المُضلِّينَ) على الأصلِ[2].

---

(١) قرأ بها أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣١١).

(٢) أي بإعمال اسم الفاعل. نسبت لعلي رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤).

و: (عَضْـدًا) بالتَّخفيـفِ، و: (عُضُـدًا) بالإتبـاعِ، و: (عَضَدًا)[1] كخَـدَمٍ، جمعُ: عاضِدٍ، مِـن عَضَـدَهُ: إذا قوّاهُ.

(٥٢) ـ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾؛ أي: اللهُ للكافرِ. وقرأَ حمزَةُ بالنُّونِ[2].

﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنَّهُـم شُـرَكائِي، أو: شُـفعاؤكم؛ ليَمنَعُوكُـم مِن عَذابـي، وإضافَـةُ الشُّـركاءِ على زَعمِهِـم للتَّوبيخِ، والمراد: مـا عُبِدَ مِـن دُونِه، وقيل: إبليـسُ وذُرِّيَّتُه.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادَوْهُم للإغاثةِ[3] ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾: فلـم يُغيثُوهُم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الكُفَّارِ وآلِهَتِهِم ﴿مَّوْبِقًا﴾: مَهْلِكًا يَشتَرِكُونَ فيه وهو النَّارُ، أو: عداوةً هي في شِدَّتِها هلاكٌ، كقولِ عُمَرَ: لا يَكُن حبُّكَ كَلَفًا ولا بُغْضُكَ تَلَفاً[4]. اسمُ مَكانٍ أو مَصدرٌ، مِن وبَقَ يَوبَقُ وَبَقًا: إذا هلكَ.

وقيل: البينُ للوَصلِ؛ أي: وجَعَلْنَا تَواصُلَهُم في الدُّنيَا هَلَاكًا يومَ القِيامَةِ.

(٥٣) ـ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾: فأَيْقَنُوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: مُخالِطُوهَا واقعونَ فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مُنْصَرَفًا[5]، أو: مكانًا ينصرفونَ إليه.

---

(١) القراءات الثلاث في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، وفي «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٨٤) ذكر ستة أوجه: (عُضْداً) عن الحسن، و(عَضْداً) عن الأعرج، و(عِضْداً) عن الضحاك، و(عَضِداً) عن الأعرج أيضاً، و(عَضَداً) عن ابن عمر، والسادسة المشهورة.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) كذا في نسخة الفاروقي، وعند التفتازاني والطبلاوي: «للإعانة».

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٦٩)، وابن وهب في «جامعه» (٢١٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٢)، عن أسلم قال: قال لي عمر: (يا أسلم لا يكن حبك كلفاً، ولا يكن بغضك تلفاً)، قلت: وكيف ذلك؟ قال: (إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن يتلف صاحبك ويهلك).

(٥) مصدر ميمي بمعنى: انصرافاً.

(٥٤) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: مِن كلِّ جنسٍ يحتاجونَ إليه ﴿وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ يتأتَّى مِنهُ الجَدَلُ ﴿جَدَلًا﴾ خُصومةً بالباطلِ، وانتصابُهُ على التَّمييزِ.

(٥٥) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا﴾: مِن الإيمانِ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو الرَّسولُ الدَّاعي والقُرآنُ المُبينُ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ ومِن الاستغفارِ عَن الذُّنوبِ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: إلا طلبُ أو: انتظارُ، أو: تقديرُ، أَنْ تَأتِيَهُم سنَّةُ الأَوَّلينَ وهو الاستئصالُ، فحُذِفَ المُضافُ وأقيمَ المُضافُ إليه مقامَهُ.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عذابُ الآخرةِ ﴿قِبَلًا﴾ عِيانًا، وقرأ الكوفيُّون: ﴿قُبُلًا﴾ بضَمَّتينِ[1]، وهو لُغَةٌ فيه، أو جمعُ قبيلٍ بمَعنى: أنواعٍ.

وقُرِئَ بفَتْحَتَينِ[2]، وهو أيضًا لغةٌ، يقال: لقيتُه مُقابَلَةً وقُبُلًا وقِبَلًا وقَبَلاً وقَبَلِيًّا.

وانتصابهُ على الحالِ مِن الضَّميرِ أو ﴿الْعَذَابُ﴾.

(٥٦) ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ للمُؤمنينَ والكافرينَ ﴿وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ﴾: باقتراحِ الآياتِ بعدَ ظُهورِ المُعجزاتِ، والسُّؤالِ عَن قصَّةِ أصحابِ الكَهفِ ونحوِها تَعنُّتًا.

﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾: ليزيلوا بالجِدالِ ﴿الْحَقَّ﴾ عن مَقرِّهِ ويبطلوهُ، مِن إدحاضِ القدمِ وهو إزلاقُها، وذلك قَولُهُم للرُّسُلِ: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] ونحوُ ذلك.

﴿وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَمَآ أُنذِرُوا﴾: وإنذارُهم، أو: والذي أنذِرُوا

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤). والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٦٩)، و«الكشاف» (٥/ ١٨١).

بـه مـن العـذابِ[١] ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً. وقُـرِئَ: ﴿هُـزْءًا﴾ بالسُّكونِ[٢]، وهـو مـا يُستهزَأُ به.

(٥٧) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: بالقرآنِ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ولم يَتدَبَّرْها ولم يَتذَكَّرْ بِها ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِن الكُفرِ والمَعاصِي فلَمْ يَتفكَّرْ في عَاقِبَتِهما[٣].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تعليلٌ لإعراضِهم ونِسيانِهم بأنَّهُم مَطبوعٌ على قُلوبِهم ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهَةَ أَنْ يَفْقَهُوهُ، وتَذكيرُ الضَّميرِ وإفرادُه للمَعْنَى.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يَمْنَعُهُم أَنْ يَسْتَمِعُوهُ حقَّ استِماعِه.

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ تحقيقًا ولا تَقليدًا؛ لأنَّهُم لا يَفقهونَ ولا يَسمعونَ، و﴿إِذًا﴾ كما عرفتَ جزاءٌ وجوابٌ للرَّسولِ على تَقديرِ قولِه: ما لي لا أَدْعُوهُم؟ فإنَّ حِرصَهُ على إسلامِهم يَدُلُّ عليه.

(٥٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾: البليغُ المَغفِرَةِ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: الموصوفُ بالرَّحمَةِ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ استشهادٌ على ذلك بإمهالِ قُرَيشٍ مَع إفراطِهم في عَداوَةِ رَسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يومُ بَدرٍ أو يومُ القِيامَةِ ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: مَنْجًى، يقال: وَأَلَ: إذا نَجا، ووَأَلَ إليه: إذا لجَأَ إليه.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «العقاب».

(٢) قرأ بها حمزة عند الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً اتِّباعا للخطِّ وتقديراً لضمة الحرف المسكَّن قبلها، وقرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزَّاي من غير همز، والباقون: ﴿هُزُؤاً﴾ بالضم والهمز. انظر: «التيسير» (ص: ٧٤)، وانظر: «السبعة» (ص: ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٣) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «عاقبتها»، والمثبت من نسخة الطبلاوي.

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يعني: قُرَى عادٍ وثَمُودَ وأَضرابِهِم، و﴿تلك﴾ مُبتدَأٌ خبرُه: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أو مفعولُ مُضمَرٍ مُفسَّرٍ به و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صِفتُه[1]، ولا بُدَّ مِن تَقديرِ مُضافٍ في أحدِهِما لِيكونَ مرجعَ الضَّمائرِ[2].

﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ كقُرَيشٍ بالتَّكذيبِ والمراءِ وأنواعِ المعاصِي.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: لإهلاكِهِم وَقْتًا مَعْلومًا لا يستأخرونَ عنهُ ساعةً ولا يَستقدمونَ، فليَعْتَبِرُوا بهم ولا يَغْتَرُّوا بتأَخُّرِ العَذابِ عَنْهُم.

وقرأَ أبو بكرٍ: ﴿لِمَهْلَكِهِم﴾ بفَتحِ الميمِ واللامِ؛ أي: لهلاكِهِم، وحفصٌ بكسرِ اللامِ[3] حملًا على ما شَذَّ مِن مصادرِ (يَفْعِل)، كالمرجِعِ والمحِيضِ.

(٦٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ مُقدَّرٌ بـ: اذكُرْ ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشَعَ بنِ نُونِ بنِ إفرائيمَ بنِ يُوسُفَ عليهِم السَّلام، فإنَّه كانَ يخدمُه ويتبَعُهُ، ولذلك سمَّاهُ فَتاهُ، وقيل: لعبدِه.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزالُ أَسيرُ، فحُذِفَ الخبرُ لدَلالةِ حالِه وهو السَّفرُ، وقولِه: ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ مِن حَيثُ إنَّها تَستَدْعِي ذا غايةٍ عليه.

ويجوزُ أَنْ يكونَ أصلُه: لا يبرحُ مَسيرِي حتَّى أبلُغَ، على أَنَّ ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ﴾ هو الخَبرُ، فحُذِفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَهُ، فانقلبَ الضَّميرُ والفعلُ.

وأن يكونَ ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ بمَعنى: لا أزولُ عمَّا أنا عليه مِن السَّيرِ والطَّلَبِ ولا أُفارِقُه، فلا يَستَدعي الخبرَ.

---

(١) قوله: «أو مفعولُ مُضمَرٍ مُفسَّرٍ...»؛ أي: أو تكون ﴿تلك﴾ مفعولًا لفعل مضمر مفسر بـ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، والقرى صفة ذلك المفعول الذي هو ﴿تلك﴾.

(٢) قوله: «ولا بُدَّ مِن تَقديرِ مُضافٍ في أحدِهِما...»؛ أي: في أحد الموضعين: قبل تلك أو بعدها؛ أي: وأهل تلك القرى أهلكناهم، أو: وتلك القرى أهلكنا أهلها.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

و﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: مُلتَقى بَحْرَي فارسَ والرُّومِ ممَّا يَلِي المشرقَ[1]، وُعِدَ لِقَاءَ الخَضِرِ فيه.

وقيل: البَحْرانِ: مُوسَى والخَضِرُ عليهما السَّلامُ، فإنَّ مُوسَى كانَ بحرَ علمِ الظَّاهرِ، وخَضِرٌ كانَ بحرَ علمِ الباطن[2].

وقُرِئَ: (مَجْمِع) بكسرِ الميمِ[3] على الشُّذوذِ[4] مِن (يَفْعَل)، كالمَشرِقِ والمَطلِعِ.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾: أو أسيرَ زَمانًا طَوِيلًا، والمَعنى: حتى يقعَ إمَّا بلوغُ المجمعِ أو مضيُّ الحقُبِ، أو: حتَّى أبلُغَ.. إلا أن أَمضيَ زَمانًا أتيقَّن معَهُ فواتَ المجمعِ.

والحُقُبُ: الدَّهرُ، وقيل: ثمانونَ سَنةً، وقيل: سبعونَ.

رُوِيَ أنَّ مُوسَى عليهِ السَّلامُ خطبَ النَّاسَ بعدَ هَلاكِ القبطِ ودُخولِه مِصرَ خطبةً بليغَةً فأُعجِبَ بها، فقيل له: هل تعلَمُ أحدًا أعلمَ[5] مِنك؟ فقال: لا، فأَوْحَى اللهُ إليه: بَل عبدُنا الخَضِرُ وهو بمَجمَعِ البَحرَيْنِ[6].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٨) عن قتادة.

وقال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: ويَرِدُ على من قال: (بحرا فارس والرُّوم): أنهما لا يلتقيان، ولا يقرب أحدهما من الآخر، ولعل (فارس) محرَّف من: فاس، وهي بالمغرب حاضرةُ البحر، من أجلِّ المدن القديمة، ويعضده ما قاله محمَّد بن كعب: إنَّ مجمعَ البحرين عند طنجة، وما قاله أبيٌّ بن كعب: إنَّه بإفريقية.

(٢) وعدَّ الزمخشري هذا القول من بدع التفاسير. انظر: «الكشاف» (٥/ ١٨٥).

(٣) نسبت لعبد الله بن مسلم بن يسار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠).

(٤) يعني به: قراءَةً وقِياسًا. قاله الطيبي في «فتوح الغيب» (٩/ ٥٠٦).

(٥) في نسخة التفتازاني: «أحدا أبلغ وأعلم».

(٦) رواه بهذا السياق الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله =

وكانَ الخَضِرُ في أَيَّامِ أفريدونَ، وكانَ عَلى مُقدِّمَةِ ذي القَرْنَيْنِ الأَكبرِ، وبَقِيَ إلى أَيَّامِ مُوسَى.

وقيل: إنَّ مُوسَى عليهِ السَّلامُ سأَلَ ربَّه: أيُّ عِبادِكَ أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكُرُني ولا يَنساني، قال: فأيُّ عِبادِكَ أقضَى؟ قال: الذي يَقْضِي بالحقِّ ولا يتَّبعُ الهَوَى، قال: فأيُّ عبادِكَ أعلَمُ؟ قال: الذي يَبْتَغِي عِلمَ النَّاسِ إلى علمِهِ عَسَى أن يصيبَ كلمَةً تدلُّه على هُدًى أو تردُّهُ عَن رَدًى، فقال: إنْ كانَ في عِبادِكَ أعلَمُ مِنِّي فادلُلْنِي عليه، قال: أعلَمُ مِنكَ الخَضِرُ، قال: أينَ أَطلبُه؟ قال: على السَّاحلِ عندَ الصَّخرةِ[1].

= عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا، وروى نحوه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، عن سعيد بن جبير، قال: قلتُ لابن عباس: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ يَزْعُمُ أنَّ موسى عليه السلام صاحبَ بني إسرائيلَ ليس هو موسى صاحبَ الخَضِر عليه السلام! فقال: كَذَب عدُوُّ الله، سمعتُ أُبيَّ بن كعبٍ يقولُ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «قام موسى عليه السلامُ خطيبًا في بني إسرائيل فسُئل: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا أعلمُ، قال فعتَبَ اللهُ عليه إذْ لمْ يَرُدَّ العلمَ إليه، فأَوحَى اللهُ إليه: إن عبدًا من عبادي بمجمَع البحرين هو أعلمُ منك...» الحديث.

وفي رواية للبخاري (٤٧٢٦) أن النبي ﷺ قال: «موسى رسولُ الله عليه السَّلامُ، قال: ذَكَّر الناسَ يومًا حتى إذا فاضتِ العيونُ، ورقَّت القلوبُ، ولَّى، فأدركه رجلٌ فقال: أيْ رسولَ الله، هل في الأرض أحدٌ أعلمُ منك؟ قال: لا، فعتَبَ عليه إذْ لمْ يَرُدَّ العلمَ إلى الله...» الحديث.

وليس في الروايات الصحيحة ذكر مكان القصة بخلاف ما جاء في الرواية الضعيفة الأولى من التصريح بكونها وقعت في مصر، والله أعلم.

(١) إلى هنا رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٤)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤١٩)، من طريق هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس موقوفاً، وفيه: (... عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت، قال: فخرج موسى يطلبه، حتى كان ما ذكر الله، وانتهى إليه موسى عند الصخرة...)، إلى آخر ما قصه القرآن من قصتهما.

قال: كيفَ لي به؟ قال: تأخذُ حوتًا في مِكْتَلٍ، فحيثُ فقدْتَه فهو هناك، فقالَ لِفَتاه: إذا فقدتَ الحوتَ فأَخبِرْنِي، فذهبَا يَمشِيَانِ[1].

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾؛ أي: مجمَعَ البَحرينِ، و﴿بَيْنِهِمَا﴾ ظرفٌ أُضيفَ إليه على الاتِّساعِ، أو بمَعنى الوَصلِ.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نَسِيَ موسى أن يطلبَهُ ويتعرَّفَ حالَه، ويوشعُ أن يذكرَ له ما رأى مِن حياتِه ووقوعَه في البَحرِ.

رُوِيَ أنَّ مُوسَى عليه السَّلامُ رقدَ فاضطربَ الحوتُ المَشْوِيُّ ووثبَ في البحرِ معجزةً لِمُوسَى أو الخَضِرِ[2].

وقيل: توضَّأَ يوشَعُ من عينِ الحياةِ فانتضحَ الماءُ عليه فعاشَ ووثَبَ في الماءِ[3].

وقيل: نَسِيَا تفقُّدَ أمرِهِ وما يكونُ مِنه أمارةً على الظَّفرِ بالمَطلوبِ.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: فاتَّخَذَ الحوتُ طريقَهُ في البَحرِ مَسْلَكًا، مِن قَولِه: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وقيل: أمسَكَ اللهُ جريةَ الماءِ على الحوتِ فصَارَ كالطَّاقِي عليه.

ونصبُهُ على المفعولِ الثَّاني، و﴿فِي الْبَحْرِ﴾ حالٌ مِنه أو مِن السَّبيلِ، ويجوزُ تَعَلُّقُه بـ: (اتَّخذَ).

---

(١) هذه قطعة من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم عند البخاري (١٢٢) و(٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) هذه قطعة من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم المتقدم عند البخاري (١٢٢) و(٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠). وليس فيهما أنه كان مشويًّا.

(٣) ورد نحو هذا ضمن رواية البخاري (٤٧٢٧) لحديث ابن عباس عن أبيّ رضي الله عنهم، وهي زيادة أنكرها الداودي كما في «فتح الباري» (٨/ ٤١٥)، وانظر كلامه ثمة.

(٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمعَ البَحرَيْنِ ﴿قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: ما نَتغدَّى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾ قيل: لم يَنْصَبْ حتَّى جاوزَ المَوْعِدَ، فلَمَّا جاوزَهُ وسارَ الليلةَ والغدَ إلى الظُّهرِ أُلْقِيَ عليهِ الجوعُ والنَّصَبُ.

وقيل: لم يَعْيَ مُوسَى في سفرٍ غيرِه، ويؤيِّدُه التَّقييدُ باسمِ الإشارةِ.

(٦٣) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾: أرأيتَ ما دَهاني إذ أَوَيْنا ﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يعني: الصَّخرةَ التي رقدَ عندَها مُوسى، وقيل: هي الصَّخرةُ التي دونَ نَهرِ الزَّيتِ.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾: فقدتُه، أو: نَسِيتُ ذكرَهُ بما رأيتُ منه.

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾؛ أي: وما أَنْسانِي ذكرَهُ إلا الشَّيطانُ، فإن ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ مِن الضَّميرِ.

وقُرِئَ: (أَنْ أُذكِّرَكه)[1]، وهو اعتذارٌ عَن نسيانِه بشَغْلِ الشَّيطانِ لَهُ بوَساوِسِه، والحالُ وإنْ كانَتْ عَجيبَةً لا يُنسَى مِثلُها، لكنَّه لَمَّا ضَرِيَ بمُشاهدةِ أمثالِها عندَ موسى وأَلِفَها قلَّ اهتِمامُه بها، ولعلَّه نَسِيَ ذلك لاستِغراقِه في الاستبصارِ وانجذابِ شَراشِرِه إلى جنابِ القدسِ بما عراهُ مِن مُشاهدَةِ الآياتِ الباهرة، وإنَّما نسبَهُ إلى الشَّيطانِ هَضْمًا لنَفسِه، أو لأنَّ عدمَ احتمالِ القوَّةِ للجَانِبَينِ واشتِغالها بأحدِهما عَن الآخرِ يعدُّ مِن نُقصانِ صاحبِها.

---

(١) نسبت لعبد الله رضي الله عنه. انظر: «الكشاف» (٥/ ١٨٩)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٢٩)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٣٢٦)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٩٦) أن عبد الله قرأ: (وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان).

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾: سَبيلًا عَجَبًا[1]، وهو كونُهُ كالسَّربِ، أو: اتِّخاذًا عجبًا، والمفعولُ الثَّاني هو الظَّرفُ.

وقيل: هو مَصدَرُ فعلِهِ المُضمَرِ؛ أي: قال في آخرِ كلامِهِ، أو مُوسى في جوابِه: ﴿عَجَبًا﴾ تَعجُّبًا مِن تلك الحالِ.

وقيل: الفِعلُ لِمُوسَى؛ أي: اتَّخذَ مُوسَى سَبيلَ الحوتِ في البحرِ عَجَبًا.

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمرُ الحُوتَ ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نَطلبُ؛ لأنَّه أمارةُ المطلوبِ.

﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: فرَجَعا في الطَّريقِ الذي جاءا فيه ﴿قَصَصًا﴾: يَقُصَّانِ قَصَصًا؛ أي: يتَّبعانِ آثارَهُما اتِّباعًا، أو: مُقتَصِّينَ، حتَّى أتيَا الصَّخرَةَ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الجمهورُ على أنَّه الخَضِرُ، واسمُهُ: بَلْيَا بنُ مَلْكانَ[2].

وقيل: اليسَعُ، وقيل: إلياسُ.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هو الوَحيُ والنبوَّةُ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ممَّا يختَصُّ بِنَا ولا يُعلمُ إلَّا بتَوفيقِنَا، وهو عِلمُ الغُيوبِ.

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾: على شَرطِ أَنْ تُعلِّمَني، وهو في موضعِ الحالِ مِن الكافِ.

﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: عِلْمًا ذا رشدٍ وهو إصابَةُ الخيرِ، وقرأ البَصرِيَّانِ بفَتحَتَيْنِ[3]،

---

(١) قوله: «سبيلاً عجباً»؛ أي: هو صفة لمحذوف دل عليه ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ وفيه مبالغة حيث جعل السبيل نفس العجب.

(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (١/ ٤٢)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ١٩٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٤٤)، و«النشر» (٢/ ٣١١).

وهما لُغَتانِ كالبُخْلِ والبَخَلِ. وهو مَفعولُ ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾، ومَفعولُ ﴿عُلِّمْتَ﴾ العائدُ المَحذوفُ، وكِلاهُما مَنقولانِ مِن (عَلِمَ) الذي له مَفعولٌ واحِدٌ، ويجوزُ أَنْ يكونَ عِلَّةً لـ﴿أَتَّبِعُكَ﴾، أو مَصدَرًا بإضمارِ فعلِه.

ولا يُنافي نُبوَّتَه وكونَه صاحبَ شَريعَةٍ أَنْ يتعلَّمَ مِن غيرِهِ ما لَمْ يَكُن شَرْطًا في أبوابِ الدِّينِ، فإنَّ الرَّسولَ يَنبَغِي أن يكونَ أعلمَ ممَّن أُرسلَ إليه فيما بُعثَ به مِن أُصولِ الدِّينِ وفروعِه لا مُطلَقًا، وقد راعَى في ذلك غايةَ التَّواضُعِ والأَدبِ فاستجهلَ نفسَهُ واستَأْذَنَ أن يكونَ تابعًا له، وسأَلَ مِنه أَنْ يُرشِدَهُ ويُنعِمَ عليهِ بتَعليمِ بعضِ ما أَنعمَ اللهُ عليه.

(٦٧) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ نَفى عنه استطاعةَ الصَّبرِ معه على وُجوهٍ مِن التَّأكيدِ؛ كأنَّها ممَّا لا يَصِحُّ ولا يَستَقيمُ، وعلَّلَ ذلك واعتذرَ عَنهُ بقولِه:

(٦٨) ـ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؛ أي: وكيفَ تَصبِرُ وأنتَ نَبِيٌّ على ما أتوَلَّى مِن أُمورٍ ظاهِرُهَا مَناكِيرٌ وبواطِنُها لم يُحِط بهَا خُبْرُك، و﴿خُبْرًا﴾ تمييزٌ أو مَصدَرٌ؛ لأنَّ ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ بمَعنى: لم تَخْبَرْه.

(٦٩) ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ معكَ غيرَ مُنكِرٍ عليك ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ عطفٌ على ﴿صَابِرًا﴾؛ أي: سَتجِدُني صابرًا وغيرَ عاصٍ، أو على ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾.

وتعليقُ الوَعدِ بالمَشيئةِ إمَّا للتَّيمُّنِ، أو لعلمِهِ بصُعوبةِ الأَمرِ، فإنَّ مُشاهدَةَ الفَسادِ والصَّبرَ على خلافِ المُعتادِ شَديدٌ، فلا خُلفَ فيه، وفيه دَليلٌ على أنَّ أفعالَ العِبادِ واقعَةٌ بمَشيئَةِ اللهِ.

(٧٠) ـ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾: فلا تُفاتِحني بالسُّؤالِ عَن شيءٍ أنكرْتَهُ مِنِّي ولم تعلَمْ وجهَ صِحَّتِه ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: حتَّى أَبتدِئَك ببيانَهُ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿فَلَا تَسْأَلَنِّي﴾ بالنُّونِ الثَّقيلَةِ[1].

(٧١) ـ ﴿فَانطَلَقَا﴾ علـى السَّاحلِ يَطلُبَانِ السَّفينةَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أخذَ الخَضِرُ فأسًا فخرقَ السَّفينةَ بأَنْ قلعَ لَوْحَيْنِ مِن ألواحِها[2].

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فإنَّ خرقَها سببٌ لدُخولِ الماءِ فيـها المُفضي إلى غرقِ أَهلِها. وقُرِئَ (لتُغرِّقَ) بالتَّشديدِ[3] للتَّكثيرِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ ﴿ليَغرَقَ أَهلُهَا﴾[4] على إسنادِهِ إلى الأَهلِ.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: أتيتَ أمرًا عظيمًا، مِن أَمِرَ الأمرُ: إذا عَظُمَ.

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ تَذكيرٌ مَا ذكرَه قبلُ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نَسيتُه، أو: بشيءٍ نَسيتُه؛ يعني: وَصِيَّتَه بأن لا يَعترضَ عليه، أو: بِنِسياني إيَّاها، وهو اعتذارٌ بالنِّسيانِ أخرجَهُ في مَعرِضِ النَّهيِ عَن المؤاخذةِ مع قيامِ المانعِ لها[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٢)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣١)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٢)، عن الحسن وأبي رجاء وأيوب السختياني، وتحرفت القراءة في مطبوع «المختصر في الشواذ» إلى: (ليُغرِّق) بالياء.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٥) قوله: «وهو اعتذار بالنسيان» إن كان راجعاً لجميع ما تقدم فهو لذكره صريحاً في الثاني، ولتعبيره عن الوصية بالمنسيّ في الأوّل، وإن رجع للثاني كما هو المتبادِر من فصله عنه فلأنّ النسيان لا يؤاخذ به لأنه ليس بمقدور له بالذات وإن كان يؤاخذ بالمنسي لا من حيث إنه منسي فيكون المراد به أنا غير مؤاخذ، ولكنه أبرزه في صورة النهي والمراد: التماس عدم المؤاخذة لقيام المانع. انظر: «حاشية الشهاب».

وقيل: أرادَ بالنِّسيانِ التَّركَ؛ أي: لا تُؤاخِذْني بما تركتُ مِن وَصِيَّتكَ أوَّلَ مَرَّةٍ.

وقيل: إنَّه مِن مَعاريضِ الكَلامِ، والمرادُ شَيءٌ آخرُ نَسِيَه.

﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾: ولا تُغْشِني عُسْرًا من أمري بالمضايقَةِ والمُؤاخذةِ على المنسيِّ، فإنَّ ذلك يُعسِّرُ عليَّ متابعتَكَ.

و﴿عُسْرًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(ترهق)، فإنه يقالُ: رَهِقَه: إذا غَشِيَه، وأرهقَهُ إيَّاه.

وقُرِئَ: ﴿عُسُرًا﴾ بضَمَّتينِ[(١)].

(٧٤) ـ ﴿فَٱنطَلَقَا﴾؛ أي: بعدَمَا خرجَا مِن السَّفينةِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: فتلَ عُنقَهُ، وقيل: ضربَ برأسِهِ الحائطَ، وقيل: أضجعَه فذَبحَهُ، والفاءُ للدَّلالةِ على أنَّه كما لَقِيَهُ قتلَهُ مِن غيرِ تَرَوٍّ واستكشافِ حالٍ، ولذلك ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: طاهرةً مِن الذُّنوبِ.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ ونافِعٌ وأبو عمرٍو ورُوَيسٌ عَن يعقوب: ﴿زاكِيَةً﴾[(٢)]، والأوَّلُ أبلَغُ.

وقال أبو عمرٍو: الزَّاكِيَةُ: التي لم تُذنِب قَطُّ، والزَّكِيَّةُ: التي أَذنبَتْ ثمَّ غُفِرَت[(٣)]، ولعلَّه اختارَ الأوَّلَ لذلك، فإنَّها كانَتْ صغيرةً ولم تَبلُغ الحُلُمَ، وأنَّه لَمْ يرَهَا قد أذنبَتْ ذَنْبًا يقتضي قَتْلَها، أو قتلَتْ نَفْسًا فتُقَادَ بها.

نبَّه به على أنَّ القتلَ إنَّما يُباحُ حدًّا أو قِصاصًا، وكِلا الأَمرينِ مُنتَفٍ، ولعلَّ تَغييرَ النَّظمِ بأَنْ جعلَ ﴿خَرَقَهَا﴾ جزاءً، واعتراضَ مُوسى مُستأنفًا، وفي الثَّانيةِ (قتلَه) مِن جملةِ

---

(١) قراءة أبي جعفر المدني. انظر: «النشر» (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف الفضلاء» (ص: ١٨٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤)، و«النشر» (٢/ ٣١٣).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٢)، و«حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٤٢٤).

الشَّرطِ واعتراضَهُ جَزاءً؛ لأنَّ القتلَ أقبَحُ، والاعتراضَ عليهِ أَدخَلُ، فكانَ[1] جديرًا بأَنْ يجعلَ عُمدةَ الكلامِ، ولذلك فصلَه بقولِه: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾؛ أي: مُنْكراً.

وقرأَ نافِعٌ في روايةِ قالونَ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ وأبو بكرٍ: ﴿نُكُرًا﴾ بضَمَّتينِ[2].

(٧٥) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زادَ فيه ﴿لَّكَ﴾ مُكافحةً بالعتابِ على رفضِ الوَصِيَّةِ، ووسمًا بقلَّةِ الثَّباتِ والصَّبرِ لمَّا تكرَّرَ منه الاشمئزازُ والاستنكارُ، ولم يرعوِ بالتَّذكيرِ أوَّلَ مَرَّةٍ حتَّى زادَ في الاستنكارِ ثانيَ مرَّةٍ.

(٧٦) ـ ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ وإِنْ سَأَلْتُ صحبتكَ.

وعن يعقوبَ: (فلا تُصْحِبني)[3]؛ أي: فلا تَجْعَلْني صاحِبَكَ.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: قد وجدتَ عذرًا مِن قِبَلِي لمَّا خالَفْتُكَ ثلاثَ مرَّاتٍ.

وعَن رسولَ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أخي مُوسى استَحْيَا فقالَ ذلك، لو لَبِثَ مع صاحبِهِ لأبصرَ أعجبَ الأعاجيبِ»[4].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «فلذلك كان».

(٢) قرأ بها نافع وأبو بكر وابن ذكوان. كما في «التيسير» (ص: ١٤٤)، ومن العشرة أبو جعفر ويعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٢١٦). وذكر ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٣٩٥) خلافاً عن نافع.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤) عن الجحدري والنخعي، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣١) عن عيسى ورواية عن أبي عمرو.

(٤) رواه ابن مردويه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكر القصة، وفيها: «رحمة الله علينا وعلى موسى استحيا عند ذلك فقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ الآية». انظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٠٣).

ورواه مسلم (٢٣٨٠)، وأبو داود (٣٩٨٤) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم بلفظ: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب».

وقرأ نافع: ﴿مِن لَدُنِي﴾ بتَحريكِ النُّونِ والاكتفاءِ بها عن نونِ الدِّعامَةِ، كقولِه:

قَدْنِـيَ مِـنْ نَصْـرِ الخُبَيْبَيْـنِ قَـدِي[1]

وأبو بكرٍ: ﴿لَدْنِي﴾ بتَحريكِ النُّونِ وإسكانِ الدَّالِ إسكانَ الضَّادِ مِن (عَضْد)[2].

(٧٧) ـ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾: قريةُ أنطاكِيَّةَ، وقيل: أُبُلَّةُ بصرةَ، وقيل: باجَرْوانُ أَرمينيَّةَ.

﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وقُرِئَ: (يُضِيفُوهُما)[3] مِن ضافَهُ: إذا نزلَ به ضيفًا، وأضافَهُ وضَيَّفَه: أنزلَهُ، وأصلُ التَّركيبِ للمَيْلِ، يقال: ضافَ السَّهمُ عَن الغرضِ: إذا مالَ.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: يُداني أن يَسقُطَ، فاستُعيرَتِ الإرادةُ للمُشارَفَةِ كمَا استُعيرَ لها الهمُّ والعَزمُ قالَ:

---

(١) الرجز لحميد بن مالك الأرقط كما في «الصحاح» (مادة: خبب)، و«التكملة والذيل» (٢/ ٢٢٤)، و«لسان العرب» (مادة: لحد)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٥/ ٣٩٣)، ولأبي بحدلة كما في «شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٣٤٩)، ودون نسبة في «الكتاب» (٢/ ٣٧١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٧٣)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٤٢ و٢٨٢)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١١٩) و(٣/ ٢٢٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٣٦٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٤)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (٢/ ٢٢٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٢٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٣)، و«الصحاح» (مادة: قدد). قوله: «قدني» يعني: حَسْبِي.

(٢) قرأ نافع بضم الدال وتخفيف النون، وأبو بكر بإسكان الدال وإشمامها الضم وتخفيف النون، والباقون بضم الدال وتشديد النون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥). أما السكون الخالص في الدال فهي رواية ذكرها ابن مجاهد عن أبي بكر.

(٣) نسبت لابن الزبير وأبي رزين وأبي رجاء وسعيد بن جبير والحسن والمفضل وأبان وابن محيصن. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٩١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٣)، و«البحر» (١٤/ ٣٣٨).

يريدُ الرُّمحُ صـــدرَ أبـــي بـــراءٍ   ويــعدِلُ عَن دماءِ بَنِي عَقِيلِ[(١)]

وقال:

إنَّ دَهْـرًا يَلُـفُّ شَـمْلِي بجُمْلٍ   لـزَمَـانٌ يَـهُـمُّ بِالإِحْـسَانِ[(٢)]

وانقضَّ: انفعَلَ، مِن قَضَضْتُه: إذا كَسَرْتَه، ومنه: انقِضاضُ الطَّيرِ والكواكِبِ، لهُوِيِّهِ، أو: افعَلَّ مِن النَّقضِ.

وقُرِئَ: (أن يُنقَضَ)[(٣)]، و: (أَنْ ينقاصَ) بالصَّادِ المهملةِ[(٤)]، مِن انقاصَتِ السِّنُّ: إذا انشقَّتْ طولًا.

---

(١) نسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٠) للحارثي، وهو دون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٣٤٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٦)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٧)، و«الغريبين» للهروي (مادة: ريد).

(٢) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٦)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٣٤٨)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ١١٣)، و«معجم ديوان العرب» للفارابي (١/ ١٠٧)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ١٠٩)، و«الصحاح» (مادة: دهر)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٧)، و«دلائل الإعجاز» للجرجاني (ص: ٣٢٠).

وعزاه الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٩٨)، و«أساس البلاغة» (مادة: لفف) لحسان.

وعزاه المستعصمي في «الدر الفريد» (١١/ ١٨٨) لعمر بن أبي ربيعة، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٩١) (ت: محيي الدين عبد الحميد) برواية: (يسعدى) مكان: (بجمل).

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣١) ونسبها للنبي ﷺ، ونسبت لأبي بن كعب في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٤)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٣٣٩).

(٤) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه، وكذا: (ينقاض) بالضاد المعجمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، وبالصاد نسبها ابن جني أيضاً في «المحتسب» (٢/ ٣١) لعلي رضي الله عنه وعكرمة وأبي شيخ الهنائي ويحيى بن يعمر.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ بعمارتِه، أو بعمودٍ عَمَدَ به، وقيل: مَسَحَهُ بيدِه فقامَ، وقيل: نقضَهُ وبَناهُ.

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضًا على أخذِ الجعلِ لينتعِشَا به، أو تعريضًا بأنَّه فضولٌ[1]؛ لِمَا في (لو) مِن النَّفيِ، كأنَّه لَمَّا رأى الحِرمانَ ومِساسَ الحاجةِ واشتغالَهُ بما لا يَعنيهِ لم يَتمالَكْ نفسَهُ.

و﴿اتَّخذ﴾: افتعلَ مِن تَخِذَ، كاتَّبعَ مِن تَبِعَ، وليسَ من الأخذِ عندَ البَصرِيِّينَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ والبَصرِيَّانِ: ﴿لَتَخِذْتَ﴾؛ أي: لأخذْتَ، وأظهرَ ابنُ كثيرٍ ويَعقوبُ وحَفصٌ الذَّالَ، وأدغمَهُ الباقونَ[2].

(٧٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الإشارةُ إلى الفراقِ الموعودِ بقولِه: ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ أَوْ إلى الاعتراضِ الثَّالثِ أو الوقتِ؛ أي: هذا الاعتراضُ سببُ فراقِنا، أو هذا الوَقتُ وقتُه، وإضافَةُ الفراقِ إلى البينِ إضافَةُ المصدَرِ إلى الظَّرفِ على الاتِّساعِ، وقد قُرِئَ على الأصلِ[3].

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: بالخبرِ الباطنِ فيما لم تَستَطِعِ الصَّبرَ عليه لكونِه مُنكَرًا من حيثُ الظَّاهرُ.

---

(١) قوله: «فضول»؛ أي: تبرع، وهو من الخصال الحميدة، لكن الحال هنا اقتضت خلافه لمساس الحاجة. انظر: «حاشية القونوي» (١٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٤).

(٣) أي: (هذا فراقٌ بينِي وبينَك)، نسبها الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٥) للاحق بن حميد، ونسبت لابن أبي عبلة في «الكشاف» (٥/ ٢٠٣)، و«زاد المسير» (٣/ ١٠٢)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٣٤٢)، وزاد ابن الجوزي نسبتها لأبي رزين، وابن السميفع، وأبي العالية.

(٧٩) ـ ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: لِمَحاويجَ، وهو دَليلٌ علـى أنَّ المسكينَ يطلقُ على مَن يملكُ شيئًا إذا لم يَكفِه.

وقيل: سُمُّوا مَساكينَ لعَجزِهم عن دَفعِ الملِكِ أو لزَمانَتِهم، فإنَّها كانَتْ لعشرةِ إخوةٍ خمسةٌ زَمْنَى وخَمسَةٌ يَعملونَ في البَحرِ[1].

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعَلَها ذاتَ عَيبٍ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾: قُدَّامهم، أو: خلفَهُم، وكان رجوعُهُم عليه[2]، واسمُه: جُلَنْدَى بن كركرَ، وقيل: منولةُ بن جلندٍ[3] الأزديُّ.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ مِن أَصحابِها.

وكانَ حقَّ النَّظمِ أَنْ يتأخَّرَ قولُه: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ عَن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ لأنَّ إرادةَ التَّعييبِ مُسبَّبٌ عَن خوفِ الغَصْبِ، وإنَّما قُدِّمَ للعنايةِ، أو لأنَّ السَّببَ لَمَّا كانَ مجموعَ الأَمرينِ: خوفَ الغَصبِ، ومسكنةَ المُلَّاكِ، رتَّبَه على أَقْوَى الجُزْأَينِ وأَدعَاهُما، وعقَّبَه بالآخرِ على سبيلِ التَّقييدِ والتَّتميمِ.

وقُرِئَ: (كلَّ سفينةٍ صالحةٍ)[4]، والمَعنى عَلَيْها.

(٨٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾: أن يُغْشيَهُما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لنِعمَتِهما بعقوقِه فيُلْحِقَهُما شرًّا، أو: يَقْرِنَ بإيمانِهما طُغيانَه وكفرَه فيجتمعَ في بيتٍ واحدٍ مؤمنانِ وطاغٍ كافرٌ، أو: يُعْدِيَهُما بعِلَّتِه فيرتدَّا بإضلالِه، أو بمُمالأَتِه على طُغيانِه وكفرِه حُبًّا، وإنَّما خَشِيَ ذلك لأنَّ اللهَ أعلَمَهُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٦) عن وهب.

(٢) في نسخة التفتازاني: «إليه».

(٣) في نسخة الخيالي: «جندل».

(٤) رواه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعَن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أن نَجْدَةَ الحَرُوْرِيَّ كتبَ إليه: كيفَ قتلَهُ وقَد نَهى النَّبيُّ عليه السَّلامُ عن قتلِ الوِلْدانِ؟ فكتبَ إليه: إن عَلِمْتَ مِن حالِ الوِلْدانِ ما علمَهُ عالِمُ موسَى فلكَ أن تقتلَ[1].

وقُرِئَ: (فخاف ربُّك)[2]؛ أي: فكَرِهَ كراهةَ مَن خافَ سوءَ عاقبةٍ، ويجوزُ أن يكونَ قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكايةَ قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

(٨١) ـ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾: أن يَرزُقَهُما بدلَهُ ولدًا خيرًا منه ﴿زَكَوٰةً﴾: طهارةً مِن الذُّنوبِ والأخلاقِ الرَّديئَةِ ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمةً وعَطْفًا على والديهِ.

قيل: وُلِدَتْ لَهُما جاريَةٌ فتزوَّجَها نبيٌّ فولَدَتْ نَبيًّا هَدَى اللهُ بهِ أمَّةً مِن الأُمَمِ[3].

وقرأَ نافِعٌ وأبو عمرٍو: ﴿يُبَدِّلَهُما﴾ بالتَّشديدِ[4].

وابنُ عامرٍ ويَعقوبُ ﴿رُحُمًا﴾ بالتَّثقيل[5]، وانتصابُه على التَّمييزِ، والعامِلُ اسمُ التَّفضيلِ، وكذلكَ ﴿زَكَوٰةً﴾.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٥٥٠)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٦٣)، وبنحوه مسلم (١٨١٢).

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ونسبت لأبي في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٧)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٩٩).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٤) عن الكلبي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢) عن السدي دون قوله: «هدَى الله على يديه أمَّةً من الأمم».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٥) أي: بضم الحاء، وكذا قرأ أبو جعفر. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٢١٦).

(٨٢) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل: اسمهما أَصْرَمُ وصُرَيْمٌ، واسمُ المقتولِ حَيْسون[١].

﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ مِن ذَهبٍ وفِضَّةٍ، رُوِيَ ذلك مَرفوعًا[٢].

والذمُّ على كنزِهما في قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لِمَن لا يُؤدِّي زَكاتَهُما وما تعلَّقَ بهما من الحُقوقِ[٣].

وقيل: من كتبِ العلمِ[٤].

وقيل: كانَ لوحًا مِن ذَهبٍ مَكتوبٌ فيه: عَجِبْتُ لِمَن يُؤمِنُ بالقَدَرِ كيفَ يحزَنُ، وعَجِبْتُ لِمَن يُؤمِنُ بالرِّزقِ كيفَ يتعَبُ، وعَجِبتُ لِمَن يُؤمِنُ بالموتِ كيفَ يفرَحُ،

---

(١) كذا في نسخة الفاروقي، وفي هامشها أشار إلى عدة نسخ هي: «جيسور. حيسور. جيسون». وفي نسخة الخيالي: «جيسور»، وفي نسخة التفتازاني: «جيسون»، وفي نسخة الطبلاوي: «خيسون».

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٠/ ٤١٧)، والترمذي (٣١٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٧). قال الترمذي: غريب. قلت: فيه يزيد بن يوسف الصنعاني، قال عنه الذهبي: متروك. ورواه البزار في «مسنده» (٤٠٨٢) وقال: إسناده حسن، يزيد بن يوسف ليس به بأس، ومن بعده وقبله ثقات.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٥)، عن عكرمة بلفظ: كنز مال. واختاره على باقي الأقوال.

(٣) أخرجَ الطَّبرانيُّ عَن أبي الدَّرداءِ في قَولِه تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: أُحِلَّت لهم الكُنوزُ وحُرِّمَت عليهم الغَنائِمُ، وأُحِلَّت لنا الغَنائِمُ وحُرِّمَت علينا الكُنوزُ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٤): «فيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤)، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: قد صحت الرواية بضده عن ابن عباس.

وعَجِبْتُ لِمَن يُؤمِنُ بالحسابِ كيفَ يَغفُلُ، وعَجِبْتُ لِمَن يَعرِفُ الدُّنيا وتَقلُّبَها بأهلِها كيفَ يَطمَئِنُّ إلَيْها، لا إلهَ إلَّا اللهُ مُحمَّدٌ رَسولُ اللهِ[1].

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ تنبيهٌ على أنَّ سَعيَهُ في ذلك كانَ لصَلاحِه.

قيل: كان بينَهُما وبين الأبِ الذي حُفِظَا فيه سبعَةُ آباءٍ[2]، وكان سَيَّاحًا، واسمهُ كاشَخ.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: الحُلُمَ وكمالَ الرَّأيِ ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: مَرحومَيْنِ مِن ربِّكَ، ويجوزُ أَنْ يكونَ عِلَّةً أو مَصدرًا لـ(أراد)، فإنَّ إرادةَ الخَيرِ رَحمَةٌ.

---

(١) روي مرفوعاً وموقوفاً ومرسلًا:

أما المرفوع: فرواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. وقال ابن كثير عند هذه الآية: بشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم.

ورواه البيهقي في «الزهد» (٥٤٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث علي رضي الله عنه. وفيه جويبر بن سعيد وهو متروك.

ورواه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٢) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. وفيه محمد بن مروان قال الذهبي في «الميزان»: تركوه واتهمه بعضهم بالكذب، وهو صاحب الكلبي.

وأما الموقوف: فرواه ابن عدي في «الكامل»، وابن سمعون في «أماليه» (١٥٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤١٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه كثير بن مروان الفلسطيني وشيخه أبين بن سفيان، وهو ضعيفان.

وأما المرسل: فرواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، من قول جعفر بن محمد والحسن البصري وعمر مولى غفرة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣) عن جعفر بن محمد.

وقيل: مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ تَقديرُه: فعلتُ ما فَعلتُ رحمةً مِن ربِّكَ، ولعلَّ إسنادَ الإرادةِ أوَّلًا إلى نفسِه لأنَّه المباشرُ للتَّعييبِ، وثانيًا إلى اللهِ وإلى نفسِه لأنَّ التَّبديلَ بإهلاكِ الغُلامِ وإيجادِ اللهِ بدلَه، وثالثًا إلى اللهِ وحدَهُ لأنَّه لا مدخلَ له في بُلوغِ الغُلامينِ، أو لأنَّ الأوَّلَ في نَفسِهِ شَرٌّ والثَّالثَ خَيرٌ والثَّانيَ ممتزِجٌ، أو لاختلافِ حالِ العارفِ في الالتفاتِ إلى الوَسائطِ.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾: ومـا فعلتُ ما رَأيتَه ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عَن رأيي، وإنَّما فَعَلْتُه بأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومَبنَى ذلك على أنَّه متى تعارَضَ ضررانِ يجِبُ تحمُّلُ أهونِهمَا لدَفعِ أَعظَمِهما، وهو أصلٌ ممهَّدٌ[1] غيرَ أنَّ الشَّرائعَ في تَفاصيلِه مُختلفَةٌ.

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: ما لم تَستَطِع، فحذفَ التَّاءَ تخفيفًا.

ومِن فوائدِ هذه القصَّةِ: أنْ لا يُعْجَبَ المرءُ بعلمِهِ، ولا يُبادِرَ إلى إنكارِ ما لا يَستَحسِنُه، فلعلَّ فيه سِرًّا لا يَعرِفُه، وأن يُداوِمَ على التَّعلُّمِ، ويتذلَّلَ للمُعلِّمِ، ويُراعِيَ الأدبَ في المقالِ، وأن ينبِّهَ المُجرمَ على جُرمِهِ، ويَعفُوَ عَنه حتى يتحقَّقَ إصرارُهُ ثمَّ يُهاجِرَ عنه.

(٨٣) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ يعني: إسكندرَ الرُّوميَّ ملكَ فارس والرُّومِ، وقيل: المشرقِ والمَغربِ، ولذلك سُمِّيَ ذا القَرْنَينِ، أو لأنَّه طافَ قَرْنَي الدُّنيا شرقَها وغَربَها.

وقيل: لأنَّه انقرضَ في أيَّامِه قرنانِ مِن النَّاسِ.

وقيل: كانَ له قَرنانِ؛ أي: ضَفِيرتانِ، وقيل: كان لتاجِهِ قَرنان.

---

(١) قولـه: «وهـو أصـل ممهـد»؛ أي: قاعـدة ممهـدة مبسـوطة فـي الشـرع. انظر: «حاشـية القونوي» (١٢/ ١٥٤).

ويحتمِلُ أَنَّه لُقِّبَ بذلك لشَجاعَتِه كما يقال: (الكبشُ) للشُّجَاعِ، كأنَّه ينطَحُ أقرانَهُ.

واختُلِفَ في نُبوَّتِه مع الاتِّفاقِ على إيمانِه وصَلاحِه.

والسَّائلونَ هُم اليَهودُ سَألوهُ امتِحانًا، أو: مُشرِكُو مَكَّةَ.

﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ خطابٌ للسَّائلينَ، والهاءُ لِذِي القَرنينِ، وقيل: للهِ.

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مَكنَّا له أمرَهُ مِن التَّصرُّفِ فيها كيفَ شاءَ، فحُذِفَ المفعولُ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أرادَه وتوجَّه إليه ﴿سَبَبًا﴾: وُصلةً توصِلُه إليه مِن العلمِ والقُدرَةِ والآلَةِ.

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: فأرادَ بُلوغَ المغربِ فاتَّبعَ سَبَبًا يُوصِلُه إليه.

وقرأ الكوفيُّون وابنُ عامرٍ بقطعِ الألفِ مخفَّفةَ التاء[1].

(٨٦) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذاتِ حَمْأَةٍ، من حَمِئَت البئرُ: إذا صارَتْ ذاتَ حَمْأَةٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ: ﴿حامِيَةٍ﴾[2]؛ أي: حارَّةٍ، ولا تَنَافِيَ بينَهُما لِجَوازِ أَنْ تكونَ العينُ جامعَةً للوَصفينِ.

أو: حَمِئةٍ[3] على أنَّ ياءَها مَقلوبٌ عن الهمزةِ لكسرِ ما قبلَها.

ولعلَّه بلغَ ساحِلَ المُحيطِ فرآها كذلك؛ إذ لم يَكُن في مَطْمَحِ بصرِه غيرُ الماءِ، ولذلك قال: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يَقُل: كانَتْ تغربُ.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٣) قوله: «حمئة» معطوف على قوله: «حارة».

وقيـل: إنَّ ابنَ عبَّاسٍ سـمعَ مُعاويةَ يقرَأُ: ﴿حامِيَةٍ﴾ فقـال: ﴿حَمِئَةٍ﴾ فبعثَ مُعاويَةُ إلـى كعـبِ الأحبـارِ: كيـفَ تجِدُ الشَّـمسَ تَغربُ؟ قـال: في مـاءٍ وطينٍ، كذلـك نجدُهُ في التَّـوراةِ(١).

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند تلك العَينِ ﴿قَوْمًا﴾ قيـل: كـان لِباسُهُم جلودَ الوَحشِ وطعامُهُم ما لَفَظَهُ البَحرُ، وكانوا كُفَّارًا، فخيَّرَهُ اللهُ بين أَنْ يُعذِّبَهُم أو يَدعُوَهُم إلى الإيمانِ كما حكى بقولِه: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾؛ أي: بالقتلِ عـلـى كُفرِهِم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالإرشادِ وتَعليمِ الشَّرائعِ.

وقيل: خَيَّرَه بينَ القَتلِ والأَسرِ، وسَمَّاهُ إِحسَانًا في مُقابلةِ القتلِ، ويؤيِّدُ الأَوَّلَ قولُه:

(٨٧) ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: فاختارَ الدَّعوةَ، وقال: أَمَّا مَن دَعَوْتُه فظلمَ نفسَهُ بالإصرارِ على كُفرِهِ أو استَمرَّ على ظُلمِهِ الذي هو الشِّركُ فنُعَذِّبُه أنا ومَن مَعِيَ في الدُّنيَا بالقَتلِ، ثمَّ يُعذِّبُه الله في الآخرةِ عَذَابًا مُنكَرًا لم يُعهَدْ مِثلُه.

(٨٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وهو ما يَقتضيهِ الإيمانُ ﴿فَلَهُۥ﴾ في الدَّارينِ ﴿جزاءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: فِعْلَتِه الحُسْنى.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١٤)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٣٥٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٦٠)، برواية: «تغرب في ماء وطين».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٥)، برواية «تغرب في ثأط». ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١٢) برواية: «تغرب في عين سوداء». ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٧) برواية: «في عين حارة». ورواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٥٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، برواية: «في طينة سوداء».

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ ويَعقوبُ وحَفصٌ: ﴿جَزَآءً﴾ مُنوَّنًا مَنصوبًا على الحالِ[(١)]؛ أي: فلَهُ المثوبَةُ الحُسنى مَجْزِيًّا بها، أو على المصدَرِ لفعلِهِ المقدَّرِ حَالًا؛ أي: يُجزَى بها جزاءً، أو التَّميزِ.

وقُرِئَ مَنصُوبًا غيرَ مُنوَّنٍ[(٢)] على أَنَّ تَنوينَهُ حُذِفَ لالتقاءِ السَّاكِنَينِ.

ومُنَوَّنًا مرفوعًا[(٣)] على أنَّه المُبتدأُ و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدلُه.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿أَمَّا﴾ و﴿أَمَّا﴾ للتَّقسيمِ دُونَ التَّخييرِ؛ أي: لِيَكُن شأنُكَ مَعهُم إمَّا التَّعذيبُ وإمَّا الإحسانُ، فالأَوَّلُ لِمَن أصرَّ على الكُفرِ، والثَّاني لِمَن تابَ عنه.

ونداءُ اللهِ إيَّاه إنْ كانَ نبيًّا فبوحيٍ، وإن كانَ غيرَهُ فبِإلهامٍ أو على لسانِ نَبِيٍّ.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا﴾: ممَّا نأمُرُ به ﴿يُسْرًا﴾: سَهلًا مُتيَسِّرًا غيرَ شاقٍّ، وتَقديرُه: ذا يُسرٍ، وقُرِئَ بضَمَّتينِ[(٤)].

(٨٩ ـ ٩٠) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: ثمَّ أتبعَ طَرِيقًا يُوصِلُه إلى المَشرقِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني: الموضِعَ الذي تطلعُ الشَّمسُ عليه أولًا مِن مَعمورَةِ الأَرضِ.

وقُرِئَ بفَتحِ اللامِ[(٥)] على إضمارِ مُضافٍ؛ أي: مكانَ مَطلَعِ الشَّمسِ، فإنَّه مَصدَرٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) نسبت لابن عباس ومسروق في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٦)، ونسبت للضحاك وابن أبي إسحاق. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٤).

(٣) رويت عن شعبة في غير المشهور عنه. انظر: «جامع البيان في القراءات» (٣/ ١٣٢٠ ـ ١٣٢١)، ونسبت لابن أبي إسحاق في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٤) قرأ بها أبو جعفر حيث وقعت. انظر: «النشر» (٢/ ٢١٦).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥) عن عيسى وابن محيصن وابن كثير في رواية شبل.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ مِن اللباسِ أو البناءِ، فإنَّ أَرضَهُم لا تمسكُ الأَبنِيَةَ، أو أنَّهم اتَّخَذُوا الأسرابَ بدلَ الأَبنِيَةِ.

(٩١) ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمرُ ذي القرنينِ كمَا وَصفْنَاهُ في رِفعَةِ المكانِ وبَسطَةِ المُلكِ.

أو: أمرُهُ فيهِم كأَمرِهِ في أهلِ المَغربِ مِن التَّخييرِ والاختِيارِ.

ويجوزُ أن يكونَ صِفَةَ مَصدرٍ مَحذوفٍ لـ(وَجَد) أو ﴿نَجْعَل﴾، أو صِفَةَ ﴿قَوْمٍ﴾؛ أي: على قومٍ مثلِ ذلك القَبيلِ الذي تغربُ عليهِم الشَّمسُ في الكُفرِ والحكمِ.

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ مِـن الجُنـودِ والآلاتِ والعُـددِ والأَسـبابِ ﴿خُبْرًا﴾: عِلْمًا تعلَّـقَ بظَواهِـرِهِ وخَفايـاهُ، والمراد: أنَّ كثـرةَ ذلك بَلَغَـت مَبْلَغًا لا يحيطُ بـهِ إلا عِلْمُ اللَّطيـفِ الخَبيرِ.

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يعني: طَرِيقًا ثالثًا مُعتَرِضًا بينَ المَشرقِ والمَغربِ آخِذًا مِن الجَنُوبِ إلى الشِّمالِ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلينِ المَبنيِّ بينَهُما سدُّهُ، وهما جَبَلا أَرْمينيةَ وأَذْرَبيجانَ.

وقيل: جبلانِ في أواخرِ الشمالِ في مُنقطَعِ أرضِ التُّركِ مُنيفانِ[1] مِن وَرائِهما يَأجوجُ ومَأجوجُ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ ويَعقوبُ: ﴿بَيْنَ السُّدَّيْنِ﴾: بالضمِّ[2]، وهما لُغتانِ.

---

(١) كذا في نسخة التفتازاني وعلى هامش نسخة الفاروقي؛ أي: مرتفعان. ووقع في نسخة الفاروقي: «منفيٌّ»، وفي نسخة الخيالي: «منيعان»، وسقطت الكلمة من نسخة الطبلاوي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٥).

وقيل: المَضمومُ لِمَا خلقَهُ اللهُ والمَفتوحُ لِمَا عَمِلَهُ النَّاسُ؛ لأنَّه في الأصلِ مَصدَرٌ سُمِّيَ بِهِ حدثٌ يُحْدِثُهُ النَّاسُ، وقيل بالعكسِ.

و﴿بَيْنَ﴾ هاهنا مفعولٌ به، وهو مِن الظُّروفِ المُتصرِّفَةِ.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لغرابَةِ لُغَتِهِم وقِلَّةِ فِطنَتِهِم.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿يُفْقِهُونَ﴾[1]؛ أي: لا يُفهِمُونَ السَّامعَ كلامَهُم ولا يُبِيْنونَهُ لتَلَعْثُمِهِم فيه.

(٩٤) ـ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾؛ أي: قال مُترجِمُهُم، وفي مُصحَفِ ابنِ مَسعودٍ: (قالَ الذينَ من دُونهم)[2].

﴿إِنَّ ياجوجَ وماجوجَ﴾ قبيلتانِ مِن ولدِ يافثَ بنِ نوحٍ، وقيل: يأجوجُ مِن التُّركِ، ومَأجوجُ مِن الجِيلِ، وهما اسمانِ أعجَمِيَّانِ بدَليلِ منعِ الصَّرفِ.

وقيل: عَربيَّانِ مِن أجَّ الظَّليمُ: إذا أسرعَ، وأَصلُهُمَا الهمزُ، كمَا قرأَ عاصِمٌ[3]، ومَنعُ صَرفِهِمَا للتَّعريفِ والتَّأنيثِ.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرضِنَا بالقَتلِ والتَّخريبِ وإتلافِ الزُّروعِ، قيل: كانوا يَخرجونَ الرَّبيعَ فلا يَتركونَ أَخْضَرًا إلا أَكلوهُ، ولا يابسًا إلا احتمَلُوهُ. وقيل: كانوا يأكلونَ النَّاسَ.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعْلًا نخرجُهُ مِن أموالِنا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧)، والكرماني في «لباب التفسير» عند هذه الآية، والقسطلاني في «إرشاد الساري» (٥/ ٣٣٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿خَراجًا﴾[1]، وكلاهما واحِدٌ كالنَّوْلِ والنَّوالِ.

وقيل: الخراجُ على الأرضِ والذِّمَّةِ، والخَرْجُ المَصدَرُ.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ يحجزُ دونَ خُروجِهِم عَلَينا، وقَد ضمَّهُ مَن ضمَّ ﴿السُّدَّينِ﴾ غيرَ حمزةَ والكِسائيِّ[2].

(٩٥) ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾: ما جَعَلني فيه مَكِينًا مِن المُلكِ والمالِ خيرٌ ممَّا تَبذلونَ لي مِن الخراجِ ولا حاجةَ لي إليه. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: ﴿مَكَّنَني﴾ على الأصلِ[3].

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بقُوَّةِ فَعَلَةٍ، أو: بما أَتقوَّى به مِن الآلاتِ.

﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾: حاجِزًا حصينًا، وهو أكبرُ مِن السدِّ، مِن قولِهِم: ثَوبٌ مُرَدَّمٌ: إذا كانَ رِقاعٌ فوقَ رِقاعٍ.

(٩٦) ـ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾: قِطَعَه، والزُّبْرَةُ: القِطعَةُ الكَبيرَةُ، وهو لا يُنافِي رَدَّ الخَراجِ والاقتصارَ عَلى المَعونَةِ؛ لأنَّ الإيتاءَ بمعنى المُناولَةِ، ويدلُّ عليهِ قِراءَةُ أبي بكرٍ: ﴿رَدْمًا ائتوني﴾ بكسرِ التَّنوينِ مَوصولَةَ الهمزةِ[4] على مَعنى: جِيئُونِي بزُبَرِ الحَديدِ، والباءُ مَحذوفَةٌ حَذْفَها في:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ..........[5]

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالضم، وباقي السبعة بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦)، وفيه: بكسر التنوين وهمزة ساكنة بعده من باب المجيء وإذا ابتدأ كسر همزة الوصل وأبدل الهمزة الساكنة بعدها ياء.

(٥) قطعة من بيت «الكتاب» الذي تقدم عند تفسير الآية (٦٨) من سورة البقرة، وتمامه:

ولأنَّ إعطاءَ الآلةِ مِن الإعانَةِ بالقُوَّةِ دونَ الخَراجِ على العملِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾: بين جانِبَي الجَبَلينِ بتَنضيدِها. وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وابنُ عامرٍ والبَصرِيَّانِ بضَمَّتينِ، وأبو بكرٍ بضمِّ الصَّادِ وسُكونِ الدَّالِ[١].

وقُرِئَ بفَتحِ الصَّادِ وضَمِّ الدَّالِ[٢]، وكلُّها لُغَاتٌ مِن الصَّدْفِ، وهو المَيلُ؛ لأنَّ كُلًّا مِنهما مُنعَزِلٌ عَن الآخرِ، ومِنه: التَّصادُفُ، للتَّقابُلِ.

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾؛ أي: قال للعَمَلَةِ: انفُخُوا في الأَكْوارِ والحَديدِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾: جعلَ المنفوخَ فيهِ ﴿نَارٗا﴾: كالنَّارِ بالإحماءِ ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾؛ أي: آتُوني قطرًا ـ أي: نحاسًا مُذابًا ـ أفرِغْ عليهِ قِطْرًا، فحُذِفَ الأَوَّلُ لدَلالَةِ الثَّاني عليه، وبه تمسَّكَ البَصريُّونَ على أنَّ إعمالَ الثَّاني مِن العامِلَينِ المُتوجِّهَينِ نحو معمولٍ واحدٍ أَوْلَى؛ إذ لَوْ كانَ ﴿قِطۡرٗا﴾ مَفعولَ ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ لأُضمِرَ مَفعولُ ﴿أُفۡرِغۡ﴾ حذرًا من الإلباسِ.

وقرَأَ حمزَةُ وأبو بَكرٍ: ﴿قَالَ ائْتُونِي﴾ مَوصولَةَ الأَلفِ[٣].

(٩٧) ـ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ بحذفِ التَّاءِ حَذَرًا مِن تَلاقِي مُتقارِبَيْنِ، وقرَأَ حمزَةُ بالإدغامِ[٤] جامِعًا بينَ ساكِنَينِ على غيرِ حَدِّهِ، وقُرِئَ بقلبِ السِّينِ صادًا[٥].

= أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤)، و«شواذ القراءات» (ص: ٢٩٤) عن الماجشون. والماجشون هو عبد الملك بن عبد العزيز من رجال «التهذيب».

(٣) وهي عن أبي بكر بخلف عنه، والوجه الثاني له بالمد كالباقين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٥) ذكرها الداني في «جامع البيان في القراءات» (٢/ ٩١٥) و(٣/ ١٣٢٧) رواية عن قالون وورش، و(٣/ ١٠٢٤) رواية عن أبي بكر، وانظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٠٧).

﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أن يَعْلُوه بالصُّعودِ لارتفاعِهِ وانمِلاسِه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لثخنِه وصَلابتِه.

قيل: حفرَ للأساسِ حتَّى بلغَ الماءَ، وجعَلَهُ مِن الصَّخرِ والنُّحاسِ المُذابِ والبُنيانَ مِن زُبرِ الحَديدِ بينَها الحَطبُ والفَحمُ حتَّى ساوَى أَعْلَى الجَبلينِ[1]، ثمَّ وضعَ المَنافيخَ حتَّى صارَتْ كالنَّارِ، فصبَّ النُّحاسَ المُذابَ عليها فاختلطَ والتَصقَ بعضُهُ ببَعضٍ وصارَ جَبلًا صَلْدًا.

وقيل: بناهُ مِن الصُّخورِ مُرتَبِطًا بعضُها ببعضٍ بكَلاليبَ مِن حديدٍ ونُحاسٍ مُذابٍ في تَجاويفِهَا.

(٩٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: هذا السَّدُّ، أو الإقدارُ على تَسوِيَتِه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ على عِبادِه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: وقتُ وَعدِه بخُروجِ يأجوجَ ومَأجوجَ، أو بقيامِ السَّاعةِ بأَنْ شارفَ يومُ القيامَةِ ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مَدكوكًا مَبْسوطًا مُسوًّى بالأَرضِ، مصدرٌ بمَعنى مفعولٍ، ومنه: جَمَلٌ أَدَكُّ، لمُنبسِطِ السنامِ.

وقرأ الكُوفِّيونَ: ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمدِ[2]؛ أي: أرضًا مُستويَةً.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾: كائنًا لا محالةَ، وهو آخرُ قولِ ذي القَرنينِ.

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾: وجعَلْنَا بعضَ يأجوجَ ومَأجوجَ حينَ يَخرجونَ ممَّا وراءَ السدِّ يَموجونَ في بَعضٍ مُزدَحمينَ في البلادِ.

---

(١) قوله: «وجعله»؛ أي: الأساس، و«البنيانَ» بالنصب عطفٌ على ضمير «جعله»، ووضع الحطب والفحم بين زبر البنيان لتوقدَ فتذوب الزبر فتلتحم بما تحتها، لا أن الفحم يبقى في البناء كما يوهمه ظاهر العبارة، وقوله: «ساوى أعلى الجبلين»؛ أي: بلغه، وقوله: «بينها»؛ أي: الزبر، وفي نسخة: «بينهما»؛ أي: بين الأساس والبنيان. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

أو يموجُ بعضُ الخَلقِ في بَعضٍ فيَضطَرِبُونَ ويَختَلِطُونَ إنسُهُم وجنُّهُم حَيارَى، ويؤيِّدُه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ لقيامِ السَّاعةِ ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ للحسابِ والجَزاءِ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: وأبرزناهَا وأظهرنَاها لَهُم ﴿عَرْضًا﴾.

(١٠١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾: عَن آياتي التي يُنظَرُ إليها فأُذكَرُ بالتَّوحيدِ والتَّعظيمِ ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: استماعًا لذِكْرِي وكَلامِي لإفراطِ صَمَمِهِم عَن الحقِّ، فإنَّ الأَصَمَّ قَد يَستطيعُ السَّمْعَ إذا صِيحَ به، وهؤلاء كأنَّهُم أُصْمِتَتْ[1] مَسامِعُهُم بالكُلِّيَّةِ.

(١٠٢) ـ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: أفظَنُّوا ـ والاستفهامُ للإنكارِ ـ ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ اتِّخاذَهُم الملائكةَ والمَسيحَ ﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ مَعبودِينَ= نافِعَهُم، أو: لا أُعذِّبُهُم به، فحُذِفَ المفعولُ الثَّاني كمَا يُحذَفُ الخَبرُ للقَرينَةِ، أو سدَّ ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟﴾ مَسدَّ مَفعولَيْهِ[2].

وقرئ: (أفَحَسْبُ الذين كفَرُوا)[3]؛ أي: أفكافِيْهِم في النَّجاةِ، و﴿أَن﴾ بما في حَيِّزه مُرتَفِعٌ بأنَّه فاعِلُ (حَسْبُ)، فإنَّ النَّعتَ إذا اعتمدَ على الهمزةِ ساوَى الفعلَ في العَملِ، أو خبرٌ له.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾: ما يقامُ للنَّزيلِ، وفيهِ تَهكُّمٌ وتَنبيهٌ على أنَّ لَهُم وراءَها مِن العَذابِ ما تُستحقَرُ دونَه.

---

(١) أي: أُطبقت.

(٢) قوله: «أو سدّ أن يتخذوا..» وعليه فالمعنى: أحسبوا أنفسهم متخذي أولياء غيري؛ أي: لا ينبغي مثل هذا، قيل: وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ بمعنى: أنصاراً، ولا وجه للتخصيص به. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤) عن علي وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وغيرهم.

(١٠٣) ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ، وجُمِعَ لأنَّه مِن أسماءِ الفَاعلينَ، أو لتنوُّعِ أَعمالِهِم.

(١٠٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ضاعَ وبطلَ لكُفرِهِم وعُجبِهِم؛ كالرَّهابِنَةِ فإنَّهُم خَسِرُوا دُنيَاهُم وأُخرَاهُم، ومَحلُّه الرَّفعُ على الخبرِ المحذوفِ؛ فإنَّه جَوابُ السُّؤالِ، أو الجرُّ على البَدلِ، أو النَّصبُ على الذمِّ.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ لعُجْبِهِم واعتقادِهِم أَنَّهُم على الحقِّ.

(١٠٥) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: بالقرآنِ، أو بدَلائلِهِ المَنصوبَةِ على التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ بالبَعثِ على ما هو عليهِ، أو لقاءِ عَذابِه.

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بكُفرِهِم فلا يُثابونَ عليها ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾: فنَزْدَرِي بهِمْ ولا نجعلُ لَهُم مِقْدارًا واعتبارًا، أو: فلا نَضَعُ لهم ميزانًا يوزَنُ به أعمالُهُم لانحِباطِها.

(١٠٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمرُ ذلك، وقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جُملَةٌ مبيِّنةٌ له.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبتدأً والجملةُ خبرَهُ والعائدُ مَحذوفٌ؛ أي: جزاؤُهُم بِهِ، أو ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ بدلَه و﴿جَهَنَّمُ﴾ خبرَه، أو ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ خبرَه و﴿جَهَنَّمُ﴾ عطفَ بَيانٍ للخَبرِ.

﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾؛ أي: بسببِ ذلك.

(١٠٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ فيما سبقَ مِن حُكمِ اللهِ ووَعدِه، والفِردَوْسُ: أعلى دَرجاتِ الجنَّةِ، وأصلُه: البُستانُ الذي يجمَعُ الكَرْمَ والنَّخلَ.

(١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مُقدَّرَةٌ ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: تَحوُّلًا؛ إذ لا يجدونَ أطيبَ مِنْها حتى تُنازِعَهُم إليه أَنفُسُهُم، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ تأكيدُ الخُلودِ.

(١٠٩) ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾: ما يُكتَبُ به، وهو اسمُ ما يُمدُّ به الشَّيءُ كالحبرِ للدَّواةِ والسَّليطِ للسِّراجِ.

﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾: لكلماتِ علمِهِ وحِكمَتِه.

﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾: لنَفِدَ جنسُ البَحرِ بأَسرِه؛ لأنَّ كلَّ جِسمٍ مُتناهٍ.

﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ فإنَّها غيرُ مُتناهيَةٍ لا تَنْفَدُ كعلمِهِ.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾: بمثلِ البَحرِ المَوجودِ ﴿مَدَدًا﴾: زيادَةً ومَعونَةً؛ لأنَّ مَجموعَ المتناهِيَيْنِ مُتناهٍ، بل مجموعُ ما يدخلُ في الوُجودِ مِن الأَجسامِ لا يكونُ إلا مُتناهِيًا؛ للدَّلائلِ القاطعَةِ على تَناهي الأَبعادِ، والمُتناهي ينفدُ قبلَ أَنْ ينفدَ غيرُ المُتناهي لا محالةَ.

وقُرِئَ: ﴿يَنْفَدَ﴾ بالياءِ[١]، و: (مِدَدًا) بكسرِ الميمِ[٢] جمعُ مِدَّةٍ، وهي ما يَستَمِدُّهُ الكاتِبُ، و: (مِدَادًا)[٣].

وسببُ نُزولِها: أنَّ اليَهودَ قالوا: في كتابِكُم: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتقرؤونَ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][٤].

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٦) عن الأعرج.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥)، عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والأعمش وغيرهم.

(٤) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٠٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩٨)، و«البسيط» له (١٤/ ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٤٦). وعزاه بعضهم لابن عباس رضي الله عنهما. =

(١١٠) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا أَدَّعي الإحاطةَ على كَلِمَاتِه ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وإنَّما تَميَّزْتُ عَنْكُم بذلك.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: يأمُلُ حسنَ لِقائِه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يَرتَضيهِ اللهُ له ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ بأَنْ يُرائيَهُ أو يطلُبَ مِنهُ أَجرًا.

رُوِيَ أنَّ جُندبَ بنَ زُهيرٍ قالَ لرَسولِ اللهِ ﷺ: إنِّي لأَعمَلُ العمَلَ للهِ، فإذا اطُّلِعَ عليهِ سَرَّني فقال: «إنَّ اللهَ لا يقبَلُ ما شُورِكَ فيهِ» فنزلَتْ تَصديقًا له[١].

وعنه عليه السَّلامُ: «اتَّقُوا الشِّركَ الأصغَرَ» قالوا: وما الشِّركُ الأَصْغَرُ؟ قال: «الرِّياءُ»[٢].

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٨) عن عكرمة لكن في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣): (غريب، وذكره الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما). قلت: هو في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٢).
ورواه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٠٤)، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومحمد بن مروان كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٢) رواه قوام السنة الأصفهاني في «الترغيب والترهيب» (١٢٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٦٣٠) و(٢٣٦٣٦) من حديث محمود بن لبيد بلفظ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».
وروى نحوه البزار في «مسنده» (٣٤٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٣٧) وصححه، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

والآيةُ جامِعَةٌ لخُلاصَتَي العلمِ والعَمَلِ، وهمَا: التَّوحيدُ، والإخلاصُ في الطَّاعةِ.

وعَن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأ عند مَضْجعه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كانَ له نورًا في مَضجعِهِ يَتلألأُ إلى مَكَّةَ، حشوُ ذلكَ النُّورِ مَلائكةٌ يُصلُّونَ عليهِ حتَّى يَستَيقِظَ، فإنْ كان مضجعُه بمَكَّةَ فإنَّ له نورًا يتلألأُ مِن مضجعهِ إلى البَيتِ المَعمورِ حَشْوُ ذلك النُّورِ ملائكَةٌ يُصلُّونَ عليهِ حتَّى يَستيقِظَ»[1].

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورَةَ الكَهفِ مِن آخرِهَا كانَتْ لَهُ نُورًا مِن قَرنِه إلى قَدَمِه، ومَن قرأَهَا كُلَّها كانَتْ لَه نورًا مِن الأَرضِ إلى السَّماءِ»[2][3].

---

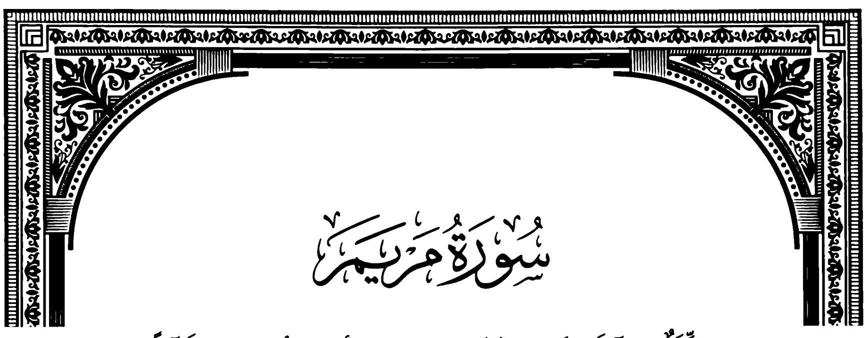
(١) رواه من حديث أبيٍّ رضي الله عنه المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٢٩). وروى نحوه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٤)، والبزار في «مسنده» (٢٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٣)، جميعهم من طريق النضر بن شميل، حدثني أبو قرة الأسدي، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كان له نورٌ من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة». قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٤): رواه البزار ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي لم يرو عنه فيما أعلم غير النضر بن شميل.

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٧) من حديثِ مُعاذ بن أَنسٍ الجُهنيِّ. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٦٢٦) من طريق ابن لَهِيعةَ، حدَّثنا زَبَّانُ، عن سهل بن مُعاذٍ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ أولَ سورة الكهف وآخِرها كانت له نورًا من قدمه إلى رأسه...»، الحديث. ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٩٧) من طريق رشدين بن سعد، عن زبَّان، به. وإسناده ضعيف لضعف زَبَّان بن فائد، وكذا سهل بن معاذ في رواية زَبَّان عنه، وابن لهيعة ورشدين ضعيفان، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني، وفي إسناد أحمد ابنُ لهيعة، وهو ضعيف، وقد يُحسَّن حديثه.

(٣) جاء بعده في نسخة العلامة الخيالي بخطه: «الحمد لله ولي الإنعام على حالتي الختم والإتمام، واتفق ذلك صبيحة يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثمان مئة هجرية، يتلوه المجلد الأخير من سورة كهيعص إلى الآخر».



سُورَةُ مَرْيَمَ



مَكِّيَّةٌ إلا آيةَ السَّجدةِ[1]، وهي ثمانٍ أو تسعٌ وتسعونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ أمالَ أبو عمرٍو الهاءَ لأنَّ أَلِفاتِ أسماءِ التَّهجِّي ياءاتٌ، وابنُ عامرٍ وحمزةُ الياءَ، والكِسائيُّ وأبو بكرٍ كِلَيهما، ونافعٌ بينَ بينَ[2].

ونافعٌ وابنُ كثيرٍ وعاصمٌ يُظهرون دالَ الهجاءِ عند الذال، والباقون يدغمونها[3].

(٢) ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبرُ ما قبلَه إنْ أُوِّلَ بالسُّورةِ أو القرآنِ فإنَّه مُشتَمِلٌ عليه، أو خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: هذا المتلوُّ ذِكرُ رَحمةِ ربِّكَ، أو مُبتدأٌ حُذِفَ خبرُهُ؛ أي: فيما يُتلى عليكَ ذكرُها.

---

(١) وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٢/ ٦١٩)، وذكره الحافظ في «فتح الباري» (٩/ ٤١).

وقال بمكيتها دون استثناء: يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ٢١٣)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٣)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢١٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٧)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٢١)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٤٨٧)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٥). وغيرهم كثير من أئمة التفسير.

(٢) وقرأ ابن كثير وحفص بفتح الهاء والياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٧).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨).

وقرئ: (ذَكَّرَ رحمةَ ربِّك) على الماضي[1]، و: (ذَكِّرْ) على الأمرِ[2].

﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعولُ الرَّحمةِ، أو الذِّكرِ علـى أنَّ الرَّحمةَ فاعلُهُ على الاتِّساعِ كقولك: ذَكَرَني جُودُ زَيدٍ ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بدلٌ منهُ، أو عطفُ بيانٍ له.

(٣) ـ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ لأنَّ الإخفاءَ والجهرَ عندَ اللهِ سِيَّانِ، والإخفاءُ أشَدُّ إخباتًا وأكثرُ إخلاصًا، أو لئلَّا يُلامَ على طلبِ الولدِ في إبَّانِ الكبرِ، أو لئلَّا يطَّلِعَ عليه مَوالِيْهِ الذين خافَهُم، أو لأنَّ ضعفَ الهرمِ أَخْفَى صوتَهُ.

واختُلفَ في سنِّهِ حينَئذٍ؛ فقيل: سِتُّونَ، وقيل: سبعونَ، وخمسٌ وسبعونَ، وخمسٌ وثمانون.

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ تفسيرٌ للنِّداءِ، والوهنُ: الضَّعفُ. وتخصيصُ العَظْمِ لأنَّه دِعامَةُ البدنِ وأصلُ بنائِهِ، ولأنَّه أصلَبُ ما فيه، فإذا وَهَنَ كان ما وراءَهُ أوهنَ، وتوحيدُه لأنَّ المرادَ به الجنسُ.

وقُرِئَ (وَهـنَ) بالضمِّ والكسرِ[3]، ونظيرُه (كمل) في الحركاتِ الثَّلاثِ.

﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ شبَّهَ الشَّيبُ في بياضِهِ وإنارتِه بشُوَاظِ النَّارِ، وانتشارُهُ وفشوُّهُ في الشَّعرِ باشتِعالِها، ثمَّ أُخرِجَ مُخرجَ الاستعارةِ، وأُسندَ الاشتعالُ إلى الرَّأسِ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦) عن يحيى بن يعمر، و«المحتسب» (٢/ ٣٧)، و«الكشاف» (٥/ ٢٣٢)، عن الحسن. والمعنى كما في «الكشاف»: هذا المتلوُّ من القرآن ذكْر رَحمَةَ رَبِّك.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٧) عن يحيى بن يعمر.

(٣) كلاهما في «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٦) عن بعضهم، ونسب أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٣٩١) الكسر للأعمش.

الذي هو مكانُ محلِّ الشَّيبِ مُبالغةً، وجَعَلَهُ مميِّزًا إيضاحًا للمَقصودِ، واكتَفى باللامِ عَنِ الإضافةِ للدَّلالةِ على أنَّ علمَ المُخاطبِ بتعيُّنِ المرادِ يُغني عن التَّقييدِ.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل كلَّما دعوتُكَ استجَبْتَ لي، وهو توسُّلٌ بما سلفَ معَهُ من الاستجابةِ، وتنبيهٌ على أنَّ المدعوَّ له وإن لم يَكُن مُعتادًا فإجابَتُه مُعتادةٌ، وأنَّه تَعالى عوَّدَه بالإجابةِ وأطمعَهُ فيها، ومن حقِّ الكَريمِ أن لا يُخيِّبَ مَن أطمعَهُ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني: بني عمِّه، وكانوا أشرارَ بني إسرائيلَ، فخافَ أن لا يُحسِنُوا خلافتَهُ على أمَّته ويبدِّلُوا عليهِمْ دينَهُم.

﴿مِن وَرَآءِى﴾: بعدَ مَوْتي. وعَن ابنِ كثيرٍ المدُّ والقصرُ بفتحِ الياءِ[1]، وهو مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ أو بمَعنى الولايةِ في الموالي؛ أي: خِفتُ فِعلَ الموالي مِن ورائي، أو الذين يَلُونَ الأَمرَ مِن وَرائي.

وقُرِئَ: (خَفَّتِ الموالي مِن وَرائي)[2]؛ أي: قَلُّوا وعَجَزُوا عن إقامةِ الدِّينِ بَعدِي، أو: خَفُّوا ودَرَجُوا[3] قُدَّامِي، فعلى هذا كانَ الظَّرفُ مُتعلِّقًا بـ(خَفَّت).

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ لا تَلِدُ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ فإنَّ مِثلَهُ لا يُرجَى إلا

---

(١) ذكر ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٠٧)، والأزهري في «معاني القراءات» (٢/ ١٢٩)، وابن خالويه في «إعراب القرآن» (ص: ٢٤٦ ـ ٢٤٧) روايتين عن ابن كثير: الأولى عن قنبل مهموزةً ممدودةً مفتوحة الياء، والثانية عن شبل بغير همز وبفتح الياء مثل عصاي. والأولى في «التيسير» (ص: ٢٧٠) و(ص: ٤٢٨)، وهي المعتمدة عن ابن كثير. والثانية عُدَّت من الشواذ. انظر: «المختصر في شواذ القرءات» (ص: ٨٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٧).

(٢) نسبت لعثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧).

(٣) أي: مضوا وذهبوا.

مِن فَضلِكَ وكمالِ قُدرَتِكَ فإنِّي وامرأتي لا نصلُحُ للوِلادةِ ﴿وَلِيًّا﴾ مِن صُلْبي ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ صِفَتانِ له، وجَزَمَهُما أبو عمرٍو والكِسائيُّ[١] على أنَّهما جوابُ الدُّعاءِ، والمرادُ: وراثةُ الشَّرعِ والعلمِ؛ فإنَّ الأَنبِيَاءَ لا يورِّثونَ المالَ.

وقيل: ﴿يَرِثُنِي﴾ الحُبُورةَ[٢] فإنَّه كانَ حَبرًا ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ الملكَ، وهو يعقوبُ بن إسحاقَ عليهِما السَّلامُ.

وقيل: كان يعقوبُ أخا زكريَّا، أو عمرانَ بنِ ماثانَ مِن نَسلِ سُليمان[٣].

وقرئ (يَرِثُني وارثَ آلِ يَعقوبَ)[٤] على الحالِ مِن أحدِ الضَّميرينِ.

و: (أُوَيْرِثَ) بالتَّصغيرِ لصِغَرِه[٥].

و(وارثٌ مِن آلِ يَعقوبَ)[٦] على أنَّه فاعلُ ﴿يَرِثُنِي﴾ وهذا يُسمَّى: (التَّجريدَ) في علمِ البَيانِ؛ لأنَّه جرَّدَ عن المذكورِ أوَّلًا مع أنَّه المرادُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) قال الزمخشري: كأنَّها مصدَرُ حَبُرَ الرَّجلُ كقَضُوَ: إذا تُعجِّبَ مِن قضائِه، وإلاَّ الحُبورُ هو السُّرورُ. «فتوح الغيب» (٩/ ٥٧٢). وانظر: «الكشاف» (٥/ ٢٣٦).

(٣) يعني: يعقوبُ هذا وعِمرانُ أبو مريم أَخَوان من نسل سُليمان بن داوُد عليهم السلام. انظر: «الكشاف» (٥/ ٢٣٥).

(٤) نسبها الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٢٣٥) إلى ابن عباس والجحدري.

(٥) ضبط (أويرثَ) في النسخ الخطية لـ«الكشاف» بالنصب كما بيَّنَّا في تحقيقه، فهو حال كما في القراءة السابقة، لكن من ضمير الفاعل فقط؛ لعدم ملاءمة التصغير لضمير المفعول المختص بزكريا عليه السلام. وضبط في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦) بالرفع واقتصر فيه على لفظ (أويرث)، ويؤيد الرفع أن القراءة عند أبي حيان في «البحر المحيط» (١٤/ ٣٩٥) بلفظ: (أويرثٌ من آل يعقوب). وقال ابن خالويه: كأنه أراد (وُوَيْرِثٌ) فقلبت الواو همزة لانضمامها واجتماعها مع الأخرى.

(٦) نسبت لابن عباس رضي الله عنه والجحدري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦)، ونسبها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٣٨)، لعلي رضي الله عنه وابن يعمر والحسن والجحدري وقتادة وغيرهم.

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: تَرضاه قَوْلًا وعَمَلًا.

(٧) ـ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ جوابٌ لِندائه ووعدٌ بإجابةِ دُعائِه، وإنَّما تَولَّى تسميتَهُ تشريفًا له.

﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: لم يُسمَّ أحدٌ بـ(يحيى) قبلَه، وهو شاهدٌ بأنَّ التَّسمِيَةَ بالأسامي الغريبةِ تنويهٌ للمُسمَّى.

وقيل: ﴿سَمِيًّا﴾: شَبِيهًا؛ كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] لأنَّ المُتماثلَينِ يَتشاركانِ في الاسمِ.

والأظهرُ أنَّه اسمٌ أَعجَمِيٌّ، وإن كانَ عربيًّا فمنقولٌ مِن فِعْلٍ كـ(يعيش) و(يعمرَ) قيل: سُمِّيَ بِهِ لأنَّه حَيِيَ به رَحِمُ أمِّهِ، أو لأنَّ دينَ اللهِ حَيِيَ بدَعوَتِه.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عُتِيًّا﴾ جَسَاوَةً[١] وقحولاً[٢] في المفاصل، وأصلُه: عتوٌّ[٣] كـ: قُعودٍ، فاستَثْقَلوا توالِيَ الضمَّتينِ والواوينِ، فكسروا التاءَ فانقلبتِ الواوُ الأولى ياءً، ثم قُلبت الثانيةُ وأُدغمتْ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: ﴿عِتِيًّا﴾ بالكسر[٤].

وإنما استَعْجَبَ الولدَ من شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ اعترافًا بأنَّ المؤثِّر فيه كمالُ قدرتِه، وأن الوسائطَ عند التحقيقِ مُلغاةٌ، ولذلك ﴿قَالَ﴾؛ أي: اللهُ، أو الملَكُ المبلِّغُ

(١) جسا: ضد لطف، وجسا الشيخ جسواً: بلغ غاية السن، وجسيت اليد وغيرها جسواً: يبست. انظر: «الصحاح» (مادة: جسا).

(٢) أي: يَبَساً

(٣) في نسخة الخيالي: «عتوو» وفي نسخة في الهامش كالمثبت، وكلاهما صواب.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

للبِشارةِ تَصديقًا له: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الأمرُ كذلك، ويجوزُ أَنْ تكونَ الكافُ مَنصوبةً بـ(قال) في ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ و(ذلك) إشارةٌ إلى مُبهَمٍ يفسِّرُه ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قراءةُ مَن قرأَ: (وهو عليَّ هيِّنٌ)[1]؛ أي: الأمرُ كمَا قلتَ أو كما وُعدتَ وهو على ذلك يَهونُ عليَّ، أو كما وعدتُ وهو عليَّ هَيِّنٌ لا أحتاجُ فيما أريدُ أَنْ أفعلَهُ إلى الأسبابِ، ومفعولُ ﴿قَالَ﴾ الثَّاني محذوفٌ.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ بل كنتَ مَعدومًا صِرْفًا، وفيه دليلٌ على أنَّ المعدومَ ليسَ بشيءٍ. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿وَقَدْ خَلَقْناكَ﴾[2].

(١٠) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: علامةً أعلمُ بها وقوعَ ما بشَّرْتَني به ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ سَوِيَّ الخَلْقِ ما بك من خَرَسٍ ولا بَكَم.

وإنَّما ذكرَ اللياليَ هاهنا والأيامَ في (آلِ عمرانِ)[3] للدَّلالةِ على أنَّه استمرَّ عليه المنعُ مِن كلامِ النَّاسِ والتَّجرُّدُ للذِّكرِ والشُّكرِ ثلاثةَ أيامٍ ولياليهنَّ.

(١١) ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: مِـن المُصلَّى، أو: من الغرفةِ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: فأومَأَ إليهم؛ لقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وقيل: كتبَ لَهُم على الأرضِ.

﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾: صَلُّوا، أو: نزِّهوا ربَّكُم ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرَفَي النَّهارِ، ولعلَّهُ كانَ مأمورًا بأن يسبِّحَ ويأمرَ قومَهُ بأَنْ يُوافِقوهُ، و﴿أَن﴾ تَحتمِلَ أَنْ تكونَ مصدريةً وأن تكونَ مفسِّرةً.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦). وهي تؤيد الوجه الأول لأن الواو لا يناسبُها أن يكونَ ما بعدَها مقولاً لما قبلَها، بخلاف تركها.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

(١٢) ـ ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ على تقديرِ القولِ ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التَّوراةَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ واستظهارٍ بالتَّوفيقِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يعني: الحكمةَ وفهمَ التَّوراةِ.

وقيل: النبوَّةَ، أحكمَ اللهُ عقلَهُ في صِباهُ واستنبأَهُ.

(١٣) ـ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾: ورحمةً مِنَّا عليه، أو: رحمةً وتعطُّفًا في قلبِهِ على أبويهِ وغيرهما، عطفٌ على ﴿ٱلْحُكْمَ﴾.

﴿وَزَكَوٰةً﴾: وطهارةً مِن الذُّنوبِ، أو: صدقةً؛ أي: تصدَّقَ اللهُ به على أبويهِ، أو مكَّنه ووفَّقَه للتَّصدُّقِ على النَّاسِ.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: مُطيعًا مُتجنِّبًا عن المعاصِي.

(١٤) ـ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾: وبارًّا بهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: عاقًّا أو عاصيَ ربِّه.

(١٥) ـ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ مِن اللهِ ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ مِن أَنْ ينالَه الشَّيطانُ بما ينالُ به بني آدمَ ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ مِن عذابِ القبرِ ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مِن عذابِ النَّارِ وهولِ القيامةِ.

(١٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في القُرآنِ ﴿مَرْيَمَ﴾ يعني: قصَّتَها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: اعتزلَتْ، بدلٌ مِن ﴿مَرْيَمَ﴾ بدلَ الاشتمالِ لأنَّ الأحيانَ مُشتمِلةٌ على ما فيها، أو: بدلَ الكلِّ لأنَّ المرادَ بمريمَ قصَّتها وبالظَّرفِ الأمرَ الواقعَ فيه وهما واحدٌ، أو: ظرفٌ لِمُضافٍ مُقدَّرٍ[1].

وقيل: ﴿إِذِ﴾ بمعنى (أنْ) المصدريَّةِ كقولِك: لا أكرمتُكَ إذ لم تُكرِمْني، فتكونُ بَدلًا لا مَحالةَ[2].

---

(١) قوله: «أو ظرف لمضافٍ مقدَّرٍ» تقديره: خبرَ مريمَ، وهو أولى من كونه بدلًا؛ لأن حذف مفردٍ أولى من حذفِ جملةٍ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٦٠٩).

(٢) قوله: «وقيل: ﴿إِذِ﴾ بمعنى (أنْ) المصدريَّةِ...» كون (إذ) مصدرية ذكره أبو البقاء، وهو قول ضعيف =

﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ شرقيَّ بيتِ المَقدسِ، أو شرقيَّ دارِها، ولذلك اتَّخذ النَّصارَى المشرقَ قِبلةً. و﴿مَكَانٗا﴾ ظرفٌ، أو مفعولٌ لـ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ مُتضمِّنةً معنى: أَتَتْ.

(١٧) ـ ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾: سِترًا ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ قيل: قَعَدَتْ في مَشْرُقَةٍ[١] للاغتسالِ مِن الحيضِ محتجِبةً بشَيءٍ يَسترُهَا، وكانَتْ تتحوَّلُ مِن المَسجدِ إلى بيتِ خالتِها إذا حاضَت وتعودُ إليه إذا طهرَتْ، فبينَما هي في مُغتَسَلِها أتاها جِبريلُ مُتمثِّلًا بصورةِ شَابٍّ أمردَ سويِّ الخلقِ[٢]؛ لتستأنسَ بكَلامِه.

ولعلَّهُ ليهيِّجَ شهوتَها فتنحدرَ نُطفَتُها إلى رَحِمِها[٣].

(١٨) ـ ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ مِن غايةِ عفافِها ﴿إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ تَتَّقي اللهَ وتحتفِلُ[٤] بالاستعاذةِ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه؛ أي: فإنِّي عائذةٌ منكَ، أو: فتَتَّعظُ بتعويذِي، أو: فلا تتعرَّضْ لي.

= للنحاة، وقوله: «لا أكرمتك إذ لم تكرمني»؛ أي: لعدم إكرامك لي، والظاهر أنها ظرفية أو تعليلية إن قلنا به، وقوله: «فتكون»؛ أي: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ على هذا القول وهو بدل اشتمال أيضاً. انظر: «حاشية الشهاب».

(١) المَشرقةُ ـ مثلثة الراء ـ: محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٠) عن عكرمة.

(٣) قال السيوطي في «حاشيته» (٨/ ٥٣٠): كانَ المُصنِّفُ في غُنيَةٍ عن هذا الكَلامِ الفاسدِ. وقال أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١): وأما ما قيل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتُها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيانِ آثارِ القدرة الخارقةِ للعادة يكذبه قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ فإنه شاهدُ عدلٍ بأنه لم يخطُر ببالها شائبةُ ميل ما إليه، فضلاً عما ذُكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتبِ الميل والشهوة، نعم كان تمثلُه على ذلك الحسنِ الفائقِ والجمالِ الرائقِ ابتلائها وسبْر عِفّتها، ولقد ظهر منها من الورع والعَفافِ ما لا غايةَ وراءَه.

(٤) أي: تُبالي.

ويجوزُ أن يكونَ للمُبالغَةِ؛ أي: إن كنتَ تَقِيًّا مُتورِّعًا فإنِّي أَعوذُ مِنكَ فكيفَ إذا لم تَكُن كذلك؟

(١٩) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي استعذتِ به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾: لأكونَ سَببًا في هِبَتِه بالنَّفخِ في الدِّرعِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ حِكايةً لقَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ، ويُؤيِّدُه قراءةُ أبي عمرٍو، والأكثرِ عَن نافعٍ، ويعقوبَ بالياءِ[1].

﴿زَكِيًّا﴾: طاهرًا مِن الذُّنوبِ، أو: ناميًا على الخيرِ؛ أي: مترقِّياً مِن سنٍّ إلى سنٍّ على الخيرِ والصلاح.

(٢٠) ـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: ولم يُباشِرْني رَجلٌ بالحَلالِ؛ فإنَّ هذه الكناياتِ إنَّما تُطلَقُ فيه، أمَّا الزِّنا فإنَّما يقالُ فيه: (خَبُثَ بها) و(فَجَرَ) ونحوَ ذلك، ويعضُدُهُ عَطفُ قولِه: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عليه، وهو فَعُولٌ مِن البغيِ قُلِبَت واوُه ياءً وأُدغِمَت، ثمَّ كُسِرَت الغينُ إتْباعًا ولذلك لم تلحَقْهُ التَّاءُ، أو: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ، ولم تَلْحَقْه التاءُ لأنَّه للمُبالغةِ، أو للنَّسبِ كطالقٍ.

(٢١) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾؛ أي: ونفعلُ ذلك لنجعلَهُ آيةً، أو: لنبيِّنَ به قُدرتَنا ولنجعلَهُ، وقيل: عطفٌ على ﴿لِيَهَبَ﴾ على طريقةِ الالتفاتِ.

﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: علامَةً لَهُم وبرهانًا على كمالِ قُدرتِنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ على العبادِ يَهتَدونَ بإرشادِه ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: تعلَّقَ به قضاءُ اللهِ في الأَزَلِ، أو: قُدِّرَ وسُطِّرَ في اللوحِ، أو: كانَ أمرًا حقيقًا بأن يُقضَى ويُفعلَ لكونِه آيةً ورحمةً.

---

(١) أي: ﴿لِيَهَبَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٧).

(٢٢) ـ ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بـأنْ نفـخَ في دِرْعِهـا فدَخلت النَّفخَةُ فـي جوفِها، وكانَتْ مُـدَّةُ حملِهـا سبعةَ أشـهُرٍ، وقيـل: ستَّةً، وقيـل: ثمانيَـةً. ولـم يَعِـش مولـودٌ وُضِعَ لثمانيةٍ غيـرُهُ[١].

وقيل: ساعةً كما حَمَلَتْه نبذَتْهُ[٢].

وسِنُّها ثلاثَ عشرَة سنةً[٣]. وقيل: عشرَ سِنينَ وقد حاضَتْ حَيْضَتَينِ[٤].

﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾: فاعتزلَتْ وهو في بَطنِها؛ كقولِه:

تَـدُوسُ بِنَـا الجَمَاجِـمَ والتَّرِيبَـا[٥]

والجارُّ والمَجرورُ في مَوضعِ الحالِ.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بَعيدًا مِن أَهلِهَا وراءَ الجَبلِ، وقيل: أقصى الدَّارِ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٥٥)، قال الألوسي في «روح المعاني» بعد ذكره لهذه الأقوال: وقد يعيش المولود لثمان إلا أنه قليل فليس ذلك من خواصه عليه السّلام إن صح. ولم يصح عندي شيء من هذه الأقوال المضطربة المتناقضة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٦)، وقاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٥) عجز بيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (١/ ٢٦٥)، وقبله:

كأن خيولنـا كانـت قـديـمـاً تُسقى فـي قحوفهـم الحليبـا

فمـرت غيـرَ نافـرةٍ عـليـهـم تدوس بنـا الجماجـم والتريبـا

التريب: جمع التريبة وهي عظام الصدر. والعرب تسقي اللبن كرام خيولهم، يقول: إن خيلنا كانت تُسقى اللبن في أقحاف رؤوس الأعداء وأَلِفَت بها، فلذلك وطئت رؤوسهم وصدورهم ونحن عليها ولم تنفر.

(٢٣) ـ ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾: فأَلْجَأَهَا، وهو في الأَصْلِ مَنقولٌ مِن (جاء) لكنَّهُ خصَّ بِهِ في الاستعمالِ كـ(آتى) في (أَعْطَى).

وقُرِئَ: (المِخاض) بالكسرِ[1]، وهما مصدرُ مَخِضَتِ المرأةُ: إذا تحرَّكَ الوَلَدُ في بَطنِهَا للخُروجِ.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتَستَتِرَ به وتَعتَمِدَ عليهِ عندَ الوِلادَةِ، وهو ما بينَ العِرقِ والغصنِ، وكانَتْ نخلةً يابسةً لا رأسَ لها ولا خضرَةَ، وكان الوقتُ شِتاءً.

والتَّعريفُ إمَّا للجنسِ، أو للعَهدِ إذ لم يَكُن ثمَّةَ غيرُهَا، وكانَتْ كالمُتعالَمِ عند الناسِ، ولعلَّه تعالى ألهمَها ذلك ليُريَها مِن آياتِها ما يسكِّنُ رَوْعَتَها، ويُطعمَها الرُّطَبَ الذي هو خُرسةُ النُّفَساءِ[2] الموافقةُ لَهَا.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ استحياءً من الناس ومخافةَ لومِهم.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرٍو وابنُ عامر: ﴿مُتُّ﴾ مِن ماتَ يَموت[3].

﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ ما مِن شأنه أن يُنسى ولا يُطلبَ، ونظيرُهُ: الذِّبحُ، لِمَا يذبحُ.

وقرأَ حمزَةُ وحفصٌ بالفتحِ[4]، وهو لغةٌ فيه، أو مصدرٌ سُمِّيَ به، وقُرِئَ به وبالهمزِ[5]، وهو الحليبُ المَخلوطُ بالماءِ يَنسؤهُ أهلُهُ[6] لقِلَّتِه.

---

(١) رواية عن ابن كثير في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، وكذا نسبت لأبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٨).

(٢) أي: طعامُ الوِلادةِ.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٨)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٥) أي: (نَسْئاً)، نسبت لمحمد بن كعب القرظي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، و«المحتسب» (٢/ ٤٠).

(٦) أي يخلطوه بالماء.

﴿مَنسِيًّا﴾: منسيَّ الذِّكرِ بحيثُ لا يخطرُ ببالِهم، وقُرِئَ بكسرِ الميمِ على الإتباعِ[1].

(٢٤) ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾: عيسى، وقيل: جبريلُ عليهِمَا السَّلامُ، كان يَقْبُلُ الولدَ[2]، وقيل: ﴿تحتها﴾: أسفلَ مِن مكانِها.

وقرأ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ ورَوْحٌ: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ بالكَسرِ والجرِّ[3]، على أنَّ في (نادى) ضميرَ أَحَدِهِما، وقيل: الضَّميرُ في ﴿تَحْتِهَآ﴾ للنَّخلةِ.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: أي لا تحزَنِي، أو: بأنْ لا تَحزَنِي.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: جَدْوَلًا، هَكذا رُوِيَ مَرفوعًا[4]. وقيل: سَيِّدًا من السَّروِ، وهو عِيسَى.

(٢٥) ـ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: وأَمِيليهِ إليكِ، والباءُ مَزيدَةٌ للتَّأكيدِ، أو: افعَلِي الهَزَّ والإِمالةَ به، أو: هُزِّي الثَّمرةَ بهزِّه، والهَزُّ: التَّحريكُ بجَذبٍ ودَفعٍ.

---

(١) نسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧).

(٢) أي: كان يَقْبُله كالقابلة، كما في «الكشاف» (٥/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٨). ومن قرأ بكسر الميم كسَر التاء من ﴿تَحْتِهَآ﴾، ومن فتح الميم فتح التاء.

(٤) رواه الطبراني في «الصغير» (٦٨٥) من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى الصدفي، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: في قوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال: «النهر». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٤): فيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف.

وذكرَه البُخاريُّ قبل الحديث (٣٤٣٦) تعليقًا موقوفًا على البراء، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٣) عن البراء موقوفاً، وصححه.

﴿تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ﴾: تتساقطْ، فأُدغِمَت التاءُ الثانية في السين، وحذَفَها حمزة، وقرأ يعقوبُ بالياء[1]، وحفصٌ: ﴿تُسَٰقِطْ﴾[2] من ساقَطَتْ بمعنى: أَسْقَطتْ.

وقرئ: (تَتَسَاقَطْ) و: (تُسْقِطْ) و: (يُسْقِطْ)[3]، فالتاءُ للنَّخلةِ والياءُ للجِذع.

﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ تمييزٌ، أو مَفعولٌ.

رُوِيَ: أنَّها كانَتْ نخلةً يابِسَةً لا رأسَ لها ولا ثمرَ، وكانَ الوقتُ شِتاءً، فهَزَّتْه فجعلَ اللهُ تَعالى له رأسًا وخَوْصًا ورُطَبًا، وتَسْلِيَتُها بذلك: لِمَا فيه مِن المُعجزاتِ الدَّالَّةِ على براءةِ ساحَتِها، فإنَّ مِثلَهَا لا يُتصوَّرُ لِمَن يَرتَكِبُ الفَواحِشَ، والمنبِّهةِ[4] لِمَن رآها عليه على أنَّ مَن قدرَ أن يُثْمِّرَ النَّخلةَ اليابسةَ في الشِّتاءِ قدرَ أن يُحبِلَها مِن غيرِ فَحلٍ، وأنَّه ليسَ ببِدْعٍ مِن شَأنِها مَع ما فيه مِن الشَّرابِ والطَّعامِ، ولذلك رَتَّبَ عليه الأمرينِ فقال:

(٢٦) ـ ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾؛ أي: مِن الرُّطَبِ وماءِ السَّرِيِّ، أو مِن الرُّطَبِ وعَصيرِه ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: وطَيِّبي نَفسَكِ وارفُضِي عَنْها ما أحزنَكِ.

وقُرِئَ: (وقِرِّي) بالكسرِ[5] وهو لغةُ نَجْدٍ، واشتقاقُهُ مِن القرارِ، فإنَّ العينَ إذا

---

(١) بالياء على التذكير مع فَتْحِها وتشديدِ السين وفتح القاف.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٨).

(٣) (تَتَسَاقَطْ) نسبت لأبي السمال، و(تُسْقَطْ) و(يُسْقَطْ) نسبتا لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٩٩)، وذكر فيها ابن خالويه تسعة وجوه، وأوصلها الكرماني إلى خمسة عشر وجهاً، وذكر عن أبي حيوة ست قراءات لهذه الكلمة.

(٤) عطف على «الدالة».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥١٦)، و«الكشاف» (٥/ ٢٥٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (٢١/ ٥٢٨)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٤٢٣).

رَأَتْ ما يَسُرُّ النَّفسَ سكنَتْ إليهِ مِن النَّظَرِ إلى غيرِهِ، أو: من القَرِّ فإنَّ دمعةَ السُّرورِ باردةٌ ودمعةَ الحُزنِ حارَّةٌ، ولذلك يقال: (قُرَّةُ العَينِ) و(سُخْنَتُها) للمَحبوبِ والمكروهِ.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾: فإنْ تَرَي آدَمِيًّا. وقُرِئَ: (ترئنَّ)[1] على لغةِ مَن يقولُ: (لَبَّأْتُ بالحجِّ)[2] لتآخٍ بينَ الهمزةِ وحرفِ اللِّينِ.

﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: (صَمْتًا)، وقَدْ قُرِئَ به[3]، أو: صِيامًا، وكانوا لا يَتكلَّمونَ في صيامِهِم.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ بعدَ أَنْ أَخبَرْتُكُم بنَذرِي، وإنَّما أُكَلِّمُ الملائكةَ وأُناجي ربِّي.

وقيل: أخبَرَتْهُم بنَذرِها بالإشارةِ، وأمرَهَا بذلك لكَراهةِ المُجادلةِ والاكتفاءِ بكَلامِ عِيسَى عليهِ السَّلامُ فإنَّه قاطِعٌ في قَطعِ الطَّاعنِ.

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾: مع وَلَدِها ﴿قَوْمَهَا﴾ راجعةً إليهِمْ بعد ما طهرَتْ مِن النِّفاسِ ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾: حامِلَةً إيَّاه ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: بديعًا منكرًا، مِن فَرَى الجلدَ: إذا قطعَه ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ يعنُونَ: هارونَ النبيَّ، وكانَتْ مِن أعقابِ مَن كان معه في طبقةِ الأخوةِ.

---

(١) رواية غير مشهورة عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، و«المحتسب» (٢/ ٤١)، و«جامع البيان في القراءات» (٣/ ١٣٤٢).

(٢) قال الطِّيبيُّ: أصله: لَبَّيْتُ تَلبيةً، ثم أُبدلَ التَّضعيفَ بالياءِ، ثم أُبدلَ الياءُ بالهمزَةِ. «فتوح الغيب» (١٠/ ١١).

(٣) نسبت لعبد الله وأنس رضي الله عنهما في «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٦٦). وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥١٧) عن أنس أنه قرأ: (صوماً وصمتاً)، وكذا ذكرها عنه ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧).

وقيل: كانَتْ مِن نَسلِهِ وكان بَينَهُما ألفُ سنةٍ.

وقيل: هو رَجلٌ صالحٌ ـ أو طالِحٌ ـ كانَ في زَمانِهِم شَبَّهُوهَا به[1]؛ تَهَكُّمًا، أو لِمَا رَأَوا قبلُ مِن صَلاحِها، أو شَتَموها به.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ تقريرٌ لأنَّ ما جاءَتْ به فريٌّ، وتنبيهٌ على أنَّ الفواحشَ مِن أولادِ الصَّالحينَ أفحَشُ.

(٢٩) ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى؛ أي: كلِّموهُ ليُجيبَكُم ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ولم نَعهَدْ صبيًّا في المهدِ كلَّمَه عاقلٌ.

و﴿كَانَ﴾ زائدةٌ، والظَّرفُ صلةُ ﴿مَن﴾، و﴿صَبِيًّا﴾ حالٌ مِن المستكنِّ فيه، أو تامةٌ، أو دائمَةٌ كقولِه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، أو بمعنى: صارَ.

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أنطقَهُ اللهُ به أوَّلًا لأنَّه أوَّلُ المقاماتِ، وللردِّ على مَن يزعمُ رُبوبيَّتَه ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: الإنجيلَ ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾: نفَّاعًا معلِّمًا للخيرِ.

والتَّعبيرُ بلفظِ المُضِيِّ إمَّا باعتبارِ ما سبقَ في قضائِه، أو بجعلِ المحقَّقِ وقوعُه كالواقعِ.

وقيل: أكملَ اللهُ عقلَهُ واستَنْبأَهُ طِفلًا.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: حيثُ كنتُ ﴿وَأَوْصَـٰنِى﴾: وأمرَني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: زكاةِ

---

(١) رواه في التشبيه بالرجل الصالح عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣)، عن قتادة قال: كان رجلاً صالحًا في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبَّهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح.

وفي التشبيه بالطالح ذكره الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٥) دون سند ولا نسبة.

المالِ إن ملَكْتُهُ، أو تطهيرِ النَّفسِ عن الرَّذائلِ ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾: وبارًّا بها، عطفٌ على ﴿مُبَارَكًا﴾.

وقُرِئَ بالكسرِ[1] على أنَّه مَصدرٌ وُصِفَ به، أو منصوبٌ بفعلٍ دلَّ عليه (أَوْصاني)؛ أي: وكلَّفَني بِرًّا، ويؤيِّدُه القراءةُ بالكسرِ والجرِّ عطفًا على (الصَّلاةِ)[2].

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ عندَ اللهِ من فَرْطِ تكبُّرِه[3].

(٣٣) ـ ﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ كما هو على يحيى، والتَّعريفُ للعَهدِ، والأظهَرُ أنَّه للجنسِ والتَّعريضِ باللَّعنِ على أعدائِه، فإنَّه لَمَّا جعلَ جنسَ السَّلامِ على نفسِهِ عرَّضَ بأنَّ ضدَّهُ عليهم؛ كقولِه تعالى: ﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٧] فإنَّه تَعريضٌ بأنَّ العَذابَ على مَن كذَّبَ وتَوَلَّى.

(٣٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: الذي تقدَّمَ نَعتُه هو عيسى ابنُ مريمَ لا ما تَصِفُه النَّصارى، وهو تكذيبٌ لَهُم فيما يَصِفونَه على الوجهِ الأبلغِ والطَّريقِ البرهانيِّ حيثُ جعلَهُ الموصوفَ[4] بأضدادِ ما يَصِفونَه ثمَّ عكسَ الحُكمِ[5].

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: هو قولُ الحَقِّ الذي لا ريبَ فيه، والإضافةُ للبَيانِ، والضَّميرُ للكلامِ السَّابقِ أو لتمامِ القصَّةِ.

وقيل: صفةُ ﴿عِيسَى﴾، أو بدلُه، أو خبرٌ ثانٍ، ومعناه: كلمةُ الله.

---

(١) أي: بكسر الباء، نسبت لأبي نهيك وأبي مجلز. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٤)، و«المحتسب» (٢/ ٤٢).

(٢) أي: (وبِرٍّ) بكسر الباء وجر الراء. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥)، و«البحر» (١٤/ ٤٢٩).

(٣) قوله: «من فرط تكبره» بيان لـ «جبَّار».

(٤) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «موصوفاً».

(٥) في هامش نسخة الفاروقي: «بقوله: ذلك عيسى ابن مريم».

وقرَأَ عاصِمٌ وابنُ عامرٍ ويَعقوبُ: ﴿قَوْلَ﴾ بالنَّصبِ[١] على أنَّه مصدرٌ مُؤكِّدٌ.

وقُرِئَ: (قالُ الحقِّ) وهو بمَعنى القولِ[٢].

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: في أمرِه يَشُكُّونَ، أو: يَتنازعونَ، فقالَت اليَهودُ: ساحِرٌ، وقالت النَّصارى: ابنُ اللهِ. وقُرِئَ بالتَّاءِ على الخطابِ[٣].

(٣٥) - ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تكذيبٌ للنَّصارَى وتَنزيهٌ للهِ عمَّا بَهَتُوهُ.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ تبكيتٌ لهم بأَنَّ مَن إذا أرادَ شيئًا أوجدَهُ بـ(كن) كان مُنزَّهًا من شَبَهِ الخلقِ والحاجةِ في اتِّخاذِ الولدِ بإحبالِ الإناثِ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿فيكونَ﴾ بالنَّصبِ على الجوابِ[٤].

(٣٦) - ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ سبقَ تفسيرُه في (سورةِ آلِ عِمرانَ).

وقرأَ الحِجازيَّانِ والبَصرِيَّانِ: ﴿وأنَّ﴾ بالفتحِ[٥] على: ولِأَنَّ، وقيل إنَّه مَعطوفٌ على (الصَّلاةِ).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣١٨).

(٢) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، و«الكشاف» (٥/ ٢٦٢) وفيه: (قالُ الحقِّ وقالُ الله).

(٣) نسبت لعلي رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن السلمي وداود بن أبي هند ونافع في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧)، و«الكشاف» (٥/ ٢٦٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٥)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٤٢٩). وتحرفت في مطبوع «الشواذ» إلى: «يمترون» على لفظ المشهورة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«النشر» (٢/ ٢٢٠).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣١٨).

(٣٧) ـ ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ﴾: من اليَهودِ والنَّصارَى، أو فرقِ النَّصارَى: نَسْطُورِيَّةٌ قالوا: إنَّه ابنُ اللهِ، ويَعْقُوبِيَّةٌ قالوا: هو اللهُ هبطَ إلى الأرضِ ثمَّ صعدَ إلى السَّماءِ، ومَلْكَانيَّةٌ[1] قالوا: هو عبدُ اللهِ ونبيُّهُ.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: مِن شُهودِ يومٍ عَظيمٍ هولُهُ وحِسابُهُ وجَزاؤُهُ وهو يومُ القِيامَةِ، أو: مِن وقتِ الشُّهودِ، أو مِن مَكانِهِ فيهِ، أو: مِن شَهادةِ ذلك اليومِ عَلَيهِم، وهو أَنْ تشهدَ عليهم الملائكةُ والأنبياءُ وألسِنَتُهُم وآرابُهُم بالكُفرِ والفُسوقِ، أو: مِن وَقتِ الشَّهادةِ، أو مِن مَكانِها.

وقيل: هو ما شَهِدُوا به في عيسى وأُمِّه.

(٣٨) ـ ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ تعجُّبٌ مَعناه: أنَّ استِماعَهُم وإبصارَهُم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ ـ أي: يومَ القيامةِ ـ جديرٌ بأَنْ يُتعَجَّبَ مِنْهُما بعدما كانوا صُمًّا عُمْيًا في الدُّنيا، أو: التَّهديدُ[2] بما سَيَسْمَعُونَ ويبصرونَ يومَئذٍ.

وقيل: أَمرٌ بأَنْ يُسْمِعَهم ويُبَصِّرَهُم مواعيدَ ذلك اليومِ وما يَحيقُ بهم فيه.

والجارُّ والمَجرورُ على الأوَّلِ في مَوضعِ الرَّفعِ، وعلى الثَّاني في محلِّ النَّصبِ.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أوقعَ (الظَّالِمينَ) موقِعَ الضَّميرِ إشعارًا بأَنَّهُم ظلَمُوا أنفُسَهُم حيثُ أغفَلُوا الاستماعَ والنَّظَرَ حينَ يَنفَعُهُم، وسجَّلَ على إغفالِهِم بأَنَّهُ ضَلالٌ مُبينٌ.

(٣٩) ـ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾: يومَ يَتحسَّرُ النَّاسُ: المُسيءُ على إساءَتِه، والمُحسِنُ على قِلَّةِ إحسانِه.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «وملكائية».

(٢) قوله: «أو التهديد» عطف على «أنَّ استماعَهم». وفي نسخة الخيالي: «أو تهديد».

﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرُغَ مِن الحسابِ وتصادرَ الفَريقانِ إلى الجنَّةِ والنَّارِ، و﴿إِذْ﴾ بدلٌ مِن اليومِ أو ظرفٌ لـ﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حالٌ مُتعلِّقةٌ بقولِه: ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وما بينَهُما اعتِراضٌ، أو بـ(أَنذِرْهُم)؛ أي: أَنذِرْهُم غافِلينَ غيرَ مُؤمنينَ، فتكونُ حالًا مُتضمِّنَةً للتَّعليلِ.

(٤٠) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ لا يَبْقَى لأَحدٍ غيرِنا عليها وعليهم مِلكٌ ولا مُلكٌ، أو: نتوفَّى الأرضَ[1] ومَن عَلَيها بالإفناءِ والإهلاكِ تَوَفِّيَ الوارثِ لإرثِهِ ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: يُرَدُّونَ للجَزاءِ.

(٤١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مُلازِمًا للصِّدقِ كثيرَ التَّصديقِ؛ لكثرةِ ما صدَّقَ به مِن غُيوبِ اللهِ وآياتِه وكُتبِهِ ورُسلِه.

﴿نَّبِيًّا﴾: استَنْبَأَهُ اللهُ.

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدلٌ مِن ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿كَانَ﴾ أو بـ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ التَّاءُ مُعوَّضَةٌ مِن ياءِ الإضافةِ، ولذلك لا يُقال: يا أبتي[2]، ويقال: (يا أَبتَا)، وإنَّما تُذكَرُ للاستعطافِ ولذلك كرَّرَها.

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ فيعرفَ[3] حالكَ ويسمعَ ذكرَكَ ويَرى خضوعَكَ ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ في جلبِ نَفعٍ ودفعِ ضُرٍّ؟!

---

(١) أي: نأخذها ونقبضها.

(٢) قال في «الكشاف» (٥/ ٢٦٧): لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه.

(٣) بالنَّصبِ في جوابِ النَّفي.

دعاهُ إلى الهُدَى وبيَّن ضلالَهُ، واحتجَّ عليه أبلغَ احتجاجٍ وأرشقَهُ[١] برفقٍ وحسنِ أدبٍ، حيثُ لم يُصرِّح بضلالِهِ بل طلبَ العِلَّةَ التي تَدعُوه إلى عبادةِ ما يَستخِفُّ به العَقلُ الصَّريحُ ويأبى الرُّكونَ إليه، فضلًا عَن عبادتِه التي هي غايةُ التَّعظيمِ، ولا تحقُّ إلَّا لِمَن له الاستغناءُ التَّامُّ والإنعامُ العامُّ، وهو الخالقُ الرازقُ المُحيي المُميتُ المُعاقبُ المُثيبُ، ونبَّه على أنَّ العاقلَ ينبغي أَنْ يفعلَ ما يفعلُ لغرضٍ صَحيحٍ، والشَّيءُ لو كانَ حيًّا مميِّزًا سميعًا بَصيرًا مُقتدِرًا على النَّفعِ والضرِّ ولكنْ ممكنًا لاستنكفَ العقلُ القويمُ عَن عبادَتِه وإن كانَ أشرفَ الخلقِ كالمَلائكةِ والنَّبِيِّينَ؛ لِمَا يراهُ مثلَهُ في الحاجةِ والانقيادِ للقُدرةِ الواجبةِ، فكيفَ إذا كانَ جمادًا لا يَسمعُ ولا يبصرُ؟

ثمَّ دعاه إلى أن يَتَّبعَهُ ليَهْديَهُ الحقَّ القويمَ والصِّراطَ المُستقيمَ لمَّا لم يَكُن مَحظوظًا مِن العلمِ الإلهيِّ مُستقلًّا بالنَّظرِ السَّوِيِّ، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ ولم يَسِمْ أباه[٢] بالجهلِ المفرطِ ولا نفسَه بالعلمِ الفائقِ، بل جعلَ نفسَه كرفيقٍ له في مَسيرٍ يكونُ أعرفَ بالطَّريقِ.

ثمَّ ثبَّطَه عمَّا كانَ عليه بأنَّه مع خلوِّهِ عَن النَّفعِ مُستلزِمٌ للضرِّ، فإنَّه في الحَقيقَةِ عبادةُ الشَّيطانِ مِن حيثُ إنَّه الآمرُ به فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾.

واستَهْجنَ ذلك، وبيَّنَ وجهَ الضرِّ فيهِ بأنَّ الشَّيطانَ مُستَعْصٍ على ربِّكَ المُوْلي للنِّعم كُلِّها بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ ومَعلومٌ أنَّ المطاوعَ للعاصي عاصٍ، وكلُّ عاصٍ حَقيقٌ بأَنْ تُستَرَدَّ مِنه النِّعَمُ ويُنتقَم منه، ولذلك عقَّبَه بتخويفِه سوءَ عاقِبَتِه وما يجرُّه إليه فقال:

---

(١) في نسخة الخيالي: «وأوثقه»، وفي نسخة التفتازاني: «وأرشده». ومعنى «أرشقَه»؛ أي: أحسنَه، من قولهم: رجلٌ رشيقٌ؛ أي: حسنُ القَدِّ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٢) أي: لم يصفه.

(٤٥) ـ ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾: قـرينًا في اللعنِ أو العذابِ تليه ويَلِيكَ، أو: ثابتًا في مُوالاتِه فإنَّه أكبرُ مِن العَذابِ كمَا أنَّ رضوانَ اللهِ أكبرُ مِن الثَّوابِ.

وذكرُ الخَوفِ والمسِّ وتَنكيرُ العَذابِ: إمَّا للمُجاملةِ، أو لخفاءِ العاقِبَةِ.

ولعلَّ اقتِصارَهُ على عِصيانِ الشَّيطانِ مِن جناياتِه لارتقاءِ هِمَّتِه في الرَّبَّانيَّةِ، أو لأنَّه مِلاكُها، أو لأنَّه مِن حيثُ إنَّه نتيجةُ مُعاداتِه لآدمَ وذرِّيَّتِه فنبَّه عليها[1].

(٤٦) ـ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ قابلَ استعطافَهُ ولُطفَهُ في الإرشادِ بالفَظاظةِ وغلظةِ العنادِ، فناداه باسمِهِ ولم يقابِل ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ بـ: يا بنيَّ، وأخَّرَه وقدَّمَ الخبرَ على المبتدأِ وصَدَّرَه بالهمزةِ لإنكارِ نفسِ الرَّغبةِ على ضربٍ مِن التَّعجُّبِ كأنَّها ممَّا لا يَرغَبُ عنها عاقلٌ، ثمَّ هدَّدَه فقال:

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن مقالكَ فيها أو الرَّغبةِ عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بلِساني، يعني: الشَّتمَ والذَّمَّ، أو بالحجارةِ حتَّى تَمُوتَ أو تبعدَ مِنِّي.

﴿وَٱهْجُرْنِى ﴾ عطفٌ على ما دلَّ عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؛ أي: فاحـذَرْني واهجُرْني ﴿مَلِيًّا﴾: زمانًا طَويلًا، مِن الملاوةِ، أو: مَلِيًّا بالذَّهابِ عني.

(٤٧) ـ ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾: تَوديعٌ ومُتاركَةٌ، ومقابلَةٌ للسَّيِّئَةِ بالحَسنةِ؛ أي: لا أُصيبُكَ بمَكروهٍ ولا أقولُ لك بعدُ ما يؤذيكَ، ولكنْ ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ لعلَّه

---

(١) قوله: «لارتقاء همته»؛ أي: همةِ إبراهيم عليه السلام «في الرَّبانية»؛ أي: فلم يذكُرْ من جنايات الشيطان إلا ما يختصُّ بربِّ العزَّة من معاداته بعصيانه له ـ دونَ معاداته لآدمَ وذرِّيَّته ـ لأن ذلك أعظمُ ما ارتكبَه «أو لأنه»؛ أي: العصيانَ «ملاكها»؛ أي: الجناياتِ، وملاكُ الشيء: ما يقومُ به؛ كما يقال: القلبُ مِلاكُ الجسدِ، «فنبه عليها»؛ أي: على نتيجة معاداتِه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٦٢١ ـ ٦٢٢). ووقع في نسخة الفاروقي: «مُنبِّهٌ»، وفي نسخة التفتازاني: «مبنية».

يوفِّقُكَ للتَّوبةِ والإيمانِ، فإنَّ حقيقةَ الاستغفارِ للكافرِ استدعاءُ التَّوفيقِ لِمَا يُوجِبُ مَغفِرتَهُ، وقد مرَّ تَقريرُهُ في (سُورةِ التَّوبةِ).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾: بليغًا في البرِّ والإلطافِ.

(٤٨) - ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بالمُهاجرةِ بدِيني ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّى﴾: وأعبدُهُ وَحدَه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾: خائبًا ضائعَ السَّعيِ مِثلَكُم في دُعاءِ آلِهَتِهِم.

وفي تَصديرِ الكلامِ بـ(عسى): التَّواضُعُ، وهضمُ النَّفسِ، والتَّنبيهُ على أنَّ الإجابةَ والإثابَةَ تفضُّلٌ غيرُ واجبٍ، وأنَّ مِلاكَ الأَمرِ خاتِمَتُه وهو غَيْبٌ.

(٤٩) - ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بالهجرةِ إلى الشَّامِ ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ بدلَ مَن فارقَهُم مِن الكفَرةِ.

قيل: إنَّه لَمَّا قصدَ الشَّامَ أتى أوَّلًا حَرَّانَ وتَزوَّجَ بسارةَ وولدَتْ له إسحاقَ ووُلِدَ منه يعقوبُ.

ولعلَّ تَخصيصَهُما بالذِّكرِ لأنَّهما شَجَرتا الأَنبياءِ، أو لأنَّه أرادَ أن يذكرَ إسماعيلَ بفضلِه على الانفرادِ.

﴿وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا﴾: وكُلًّا مِنْهُما أو مِنْهُم.

(٥٠) - ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ النبوَّةَ والأَموالَ والأَولادَ ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيًّا﴾ يَفتخرُ بهم النَّاسُ ويُثنونَ عليهم استجابةً لدَعوَتِه: ﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، والمرادُ باللسانِ: ما يوجَدُ به، ولسانُ العَرَبِ: لُغَتُهُم، وإضافَتُه إلى الصِّدقِ وتَوصيفُهُ بالعُلُوِّ للدَّلالةِ على أنَّهُم أَحِقَّاءُ بما يُثنونَ عليهِم، وأنَّ مَحامِدَهُم لا تَخْفَى على تَباعُدِ الأَعصارِ وتحوُّلِ الدُّوَلِ وتَبدُّلِ المِلَلِ.

(٥١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾: مُوَحِّدًا، أخلص عِبادَتَهُ عَن الشِّركِ والرِّياءِ، أو أسلمَ وجهَهُ للهِ، وأخلَصَ نفسَهُ عمَّا سِواه.

وقرأ الكُوفِيُّونَ بالفتحِ[1] على أنَّ اللهَ أخلَصَه.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ أرسلَهُ اللهُ إلى الخلقِ فأنبأَهُم عنه، ولذلك قَدَّمَ ﴿رَسُولًا﴾ مع أنَّه أخصُّ وأعلى.

(٥٢) ـ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: مِن ناحِيَتِه اليُمنَى، مِن اليَمينِ وهي التي تَلِي يمينَ مُوسَى عليهِ السَّلامُ، أو: مِن جانبِهِ المَيمونِ، مِن اليُمن بأَنْ تمثَّلَ له الكَلامُ مِن تلكَ الجِهَةِ.

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ تقريبَ تَشريفٍ، شَبَّهَهُ بمَن قَرَّبَهُ الملِكُ لِمُناجاتِه.

﴿نَجِيًّا﴾ مُنَاجِيًا، حالٌ مِن أَحدِ الضَّمِيرينِ.

وقيل: مُرتَفِعًا، مِن النَّجوَةِ وهو الارتفاعُ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّه رُفِعَ فوقَ السَّماواتِ حتى سَمِعَ صَريرَ القلمِ[2].

(٥٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ﴾: مِن أَجلِ رَحْمَتِنَا، أو بعضَ رَحْمَتِنَا ﴿أَخَاهُ﴾: مُعاضدةَ أخيهِ ومُوازرَتِه إجابةً لدَعوَتِه: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٩] فإنَّه كانَ أَسَنَّ مِن موسى، وهو مفعولٌ أو بدلٌ.

﴿هَٰرُونَ﴾ عطفُ بيانٍ له ﴿نَبِيًّا﴾ حالٌ مِنه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ـ تكملة التفسير (١٣٩٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٦) عن سعيد بن جبير، ورواه هناد بن السري في «الزهد» (١٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٤) عن ميسرة، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٥) عن مجاهد.

(٥٤) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ ذكَرَهُ بذلك لأنَّه المَشهورُ به، والمَوصوفُ بأشياءَ في هذا البابِ لم تُعهَدْ مِن غيرِه، وناهيكَ أنَّه وَعَدَ الصَّبرَ على الذبحِ فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فوَفَّى.

﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ يَدُلُّ على أنَّ الرَّسُولَ لا يلزَمُ أَنْ يكونَ صاحِبَ شَريعَةٍ، فإنَّ أولادَ إبراهيمَ كانُوا على شَرِيعَتِه.

(٥٥) ـ ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ اشتغالًا بالأَهَمِّ، وهو أَنْ يُقبِلَ الرَّجلُ على نفسِه ومَن هو أَقربُ النَّاسِ إليه بالتَّكميلِ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

وقيل: أهلُهُ: أمَّتُه، فإنَّ الأَنبياءَ آباءُ الأُمَمِ.

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ لاستقامَةِ أَقوالِه وأَفعالِه.

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَ﴾ هو سِبطُ شِيث وجَدُّ أبي نُوحٍ، واسمُهُ أَخْنُوخُ، واشتِقاقُ إدريسَ مِن الدرسِ يردُّهُ مَنْعُ صَرفِه، نَعَمْ لا يَبعدُ أَنْ يكونَ معناه في تلك اللغَةِ قَريبًا مِن ذلك فلُقِّبَ به لكثرةِ دَرسِهِ، إذ رُوِيَ أَنَّه تعالَى أنزلَ عليهِ ثَلاثينَ صَحيفَةً، وأَنَّه أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلَمِ ونَظَرَ في علمِ النُّجومِ والحِسابِ[1].

---

(١) روى ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه من حديث طويل، وفيه: «أخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم»، ثم قال: «وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة»، وقال ابن كثير في «تفسيره»: روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابن حبان في كتابه ووسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

أما قوله: (إنه أول من نظر في النجوم) فذكره الكرماني في «لباب التفسير» عند تفسير هذه الآية.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ يعني: شرفَ النُّبوَّةِ والزُّلفَى عندَ الله، وقيل: الجنَّةُ.

وقيل: السَّماءُ السَّادسَةُ[1] أو الرَّابعَةُ[2].

(٥٨) ـ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورينَ في السُّورةِ مِن زكريَّا إلى إدريسَ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بأنواعِ النِّعَمِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيانٌ للمَوصولِ ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ بدلٌ مِنه بإعادةِ الجارِّ، ويَجوزُ أَنْ تكونَ (مِن) فيه للتَّبعيضِ لأنَّ المُنعَمَ عليهم أعَمُّ مِن الأَنبياءِ وأَخصُّ مِن الذُّرِّيَّةِ.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: ومِن ذُرِّيَّةِ مَن حملنَا خُصوصًا، وهُم مَن عدا إدريسَ فإنَّ إبراهيمَ كانَ مِن ذُرِّيَّةِ سامِ بنِ نوحٍ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الباقونَ ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: ومِن ذُرِّيَّةِ إِسرائيلَ وكان مِنْهُم مُوسى وهارونُ وزَكريَّا ويحيَى وعِيسى، وفيه دَليلٌ على أنَّ أَولادَ البَناتِ من الذُّرِّيَّةِ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾: ومن جُملةِ مَن هَدَيْنَا إلى الحقِّ ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ للنُّبوَّةِ والكرامَةِ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ خبرٌ لـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إنْ جَعلْتَ الموصولَ صِفتَهُ، واستئنافٌ إن جعلتَهُ خبرَهُ لبيانِ خَشيَتِهِم مِن اللهِ وإخباتِهِم لَهُ مع ما لَهُم مِن عُلُوِّ الطَّبَقَةِ في شَرفِ النَّسبِ وكَمالِ النَّفسِ والزُّلفى مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، وعَن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «اتلُوا القرآنَ وابْكُوا، فإنْ لم تَبْكُوا فتَباكَوا»[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤) عن ابن عباس والضحاك، وخبر ابن عباس إسناده ضعيف.

(٢) ورد هذا في حديث الإسراء الطويل عن أنس في «صحيح مسلم» (١٦٢).

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٣٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٨٩)، مِن حَديثِ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ. وفي إسنادهما: أبو رافع، واسمه إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري، قال عنه الحافظ في «الكافي» =

والبُكِيُّ: جمعُ باكٍ؛ كالسُّجُودِ في جمعِ ساجِدٍ.

وقُرِئَ: (يتلى)[١] بالياءِ؛ لأنَّ التَّأنيثَ غيرُ حَقيقيٍّ.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿بِكِيًّا﴾ بكسر الباء[٢].

(٥٩) ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾: فعقبَهُم وجاءَ بَعدَهُم عَقِبُ سوءٍ؛ يقال: (خَلَفُ صدقٍ) بالفتحِ، و: (خَلْفُ سوءٍ) بالسُّكونِ.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تركوها، أو أَخَّروها عَن وَقتِها.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ كشُربِ[٣] الخمرِ، واستحلالِ نكاحِ الأُختِ مِن الأَبِ، والانهماكِ في المعاصي.

وعَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: مَن بَنى الشَّديدَ، وركبَ المنظورَ، ولبسَ المَشهورَ[٤].

﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾: شَرًّا؛ كقولِه:

= الشاف» (ص: ١٠٦): (لين). لكن جوَّد إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٦).

(١) نسبت لشبل بن عباد المكي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) في نسخة الخيالي والفاروقي: «بشرب».

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه» تكملة التفسير (١٣٩٥)، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٨) بلفظ: (هذا إذا بُني المشيد...).

وروي مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: (من أشراط الساعة أن يركب المنظور، ويلبس المشهور، ويبني المشذور، ويصبح الناس إخوان العلانية، أعداء السريرة). رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠٧) من طريق سعيد بن سنان الحمصي، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٨٩) وقال: فيه كذابان.

فمَن يَلْقَ خيْراً يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ ومَن يَغْوِ لَا يَعْدَمْ عَلى الغَيِّ لائِما[١]

أو: جزاءَ غَيٍّ؛ كقولِه: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، أو: غَيًّا عَن طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: هو وادٍ في جَهنَّمَ تَستعيذُ منه أَودِيَتُها.

(٦٠) ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يَدُلُّ على أنَّ الآيةَ في الكَفَرَةِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وأبو بكرٍ ويَعقوبُ على البناءِ للمَفعولِ مِن أدخلَ[٢].

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: ولا يُنْقَصونَ شيئًا مِن جزاءِ أَعمَالِهِم، ويَجوزُ أَنْ يَنتَصِبَ ﴿شَيْـًٔا﴾ على المصدَرِ، وفيه تَنبيهٌ بأَنَّ كُفرَهُم السَّابقَ لا يَضرُّهُم ولا ينقصُ أُجورَهُم.

(٦١) ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بَدَلٌ مِن ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ بَدَلَ البَعضِ لاشتِمالِها علَيْها، أو مَنصوبٌ على المدحِ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[٣] على أنَّه خبرُ مبتدأ مَحذوفٍ.

و﴿عَدْنٍ﴾ علَمٌ لأنَّه المضافُ إليه في العَلَمِ، أو عَلَمٌ للعَدْنِ بمَعْنَى الإقامةِ كبَرَّةَ، ولذلك صَحَّ وصفُ ما أُضيفَ إليه بقولِه: ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[٤]؛ أي:

---

(١) البيت من قصيدة للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٤ ـ ٢٤٧)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٥١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: «السبعة» (٢٣٧)، و«التيسير» (ص: ٩٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٨) عن الحسن البصري.

(٤) قوله: «و﴿عَدْنٍ﴾ عَلَم»؛ أي: علمُ شخصٍ لأرضٍ في الجنة «لأنه المضاف إليه في العلَم»؛ أي: في بابه «أو علم»؛ أي: عَلَمُ جنسٍ «للعَدْن»؛ أي: لمعنى العَدْن المفسَّرِ بقوله: «بمعنى الإقامة»؛ أي: في الجنةِ «كبَرَّة»؛ أي: فإنها علمُ جنسٍ للمَبرَّة بمعنى البِرِّ «ولذلك»؛ أي: ولكون ﴿عَدْنٍ﴾ علمَ جنسٍ «صح وصف ما أضيف إليه» وهو ﴿جَنَّٰتِ﴾ «بقوله: ﴿ٱلَّتِى﴾..»؛ لدلالته على عموم المعنى =

وَعدَها إيَّاهُم وهي غائبةٌ عَنْهُم، أو هم غائبونَ عنها، أو: وعدَهُم بإيمانِهِم بالغيبِ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ اللهَ ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ الذي هو الجنَّةُ ﴿مَأْتِيًّا﴾ يَأتيها أهلُها الموعودُ لهم لا مَحالةَ.

وقيل: هو مِن أَتَى إليه إحسانًا؛ أي: مَفعولًا مُنجَزًا.

(٦٢) ـ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فُضولَ الكَلامِ ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾: ولكنْ يَسمَعُونَ قَوْلًا يسلَمونَ فيه من العَيبِ والنَّقِيصَةِ، أو: إلا تَسليمَ المَلائكةِ عليهِمْ وتَسليمَ بَعضِهِم على بَعضٍ، على الاستثناءِ المُنقَطِعِ، أو على مَعنى: أنَّ التَّسليمَ إن كانَ لغوًا فلا يسمعونَ لَغْوًا سِواهُ كقولِه:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[1]

أَوْ: عَلَى أَنَّ مَعناهُ: الدُّعاءُ بالسَّلامةِ، وأهلُهَا أَغنياءُ عنه، فهو مِن بابِ اللَّغوِ ظاهِرًا وإنَّما فائِدَتُه الإكرامُ.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على عادةِ المُتنعِّمِينَ، والتَّوسُّطِ بينَ الزَّهادَةِ والرَّغابَةِ.

وقيل: المرادُ: دوامُ الرِّزقِ ودُرُورُه.

(٦٣) ـ ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾: نُبقِيهَا عَلَيهِمْ مِن ثَمرةِ تَقْواهُم كما نُبْقِي على الوَارِثِ مالَ مُورِّثِهِ، والوراثةُ أَقْوَى لَفظٍ يُستَعمَلُ في التَّمليكِ والاستحقاقِ مِن حيثُ إنَّها لا تُعْقَبُ بفسخٍ ولا استرجاعٍ، ولا تَبْطُلُ بردٍّ ولا إسقاطٍ.

= المعروف في عَلَم الجنسِ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٣/ ٦٢٩).

(١) البيت للنَّابغَةِ الذُّبْيانِيِّ يمدَحُ بها النُّعْمَانَ بنَ الحارثِ. انظر: «ديوانه» (ص: ١٣ ـ ١٥)، ط دار المعرفة، بيروت.

وقيل: يُورَّثُ المتقونَ من الجنَّةِ المَساكنَ التي كانَتْ لأَهلِ النَّارِ لَوْ أَطاعُوا؛ زيادةً في كَرَامَتِهِم.

وعَن يَعقوبَ: ﴿نُوَرِّثُ﴾ بالتَّشديدِ[1].

(٦٤) ـ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكايةُ قولِ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ حينَ استَبْطَأَه رَسولُ اللهِ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَن قصَّةِ أَصحابِ الكَهفِ وذي القَرْنَينِ والرُّوحِ ولَمْ يَدْرِ ما يُجيبُ، ورَجَا أَنْ يُوحَى إليه فيه، فأبطأَ عليهِ خمسَةَ عشَرَ يومًا ـ وقيلَ: أربعينَ ـ حتَّى قال المُشركونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وقَلَاهُ، ثمَّ نزلَ ببيانِ ذلك[2].

والتَّنَزُّلُ: النُّزولُ على مهلٍ لأنَّه مُطاوِعُ نزلَ، وقد يُطلَقُ بمَعنى النُّزولِ مُطلقًا كما يُطلَقُ نَزَلَ بمَعنى أَنْزَلَ، والمَعْنَى: وما ننزلُ وقتًا غِبَّ وَقتٍ إلَّا بأمرِ اللهِ على ما تَقتضيهِ حِكمَتُه.

وقُرِئَ: (وما يَتَنَزَّلُ) بالياءِ[3] والضَّميرُ للوَحيِ.

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وهو ما نحنُ فيه مِن الأماكنِ والأحايينِ، لا ننتقِلُ مِن مَكانٍ إلى مكانٍ، ولا ننزلُ في زَمانٍ دونَ زَمانٍ، إلَّا بأَمرِهِ ومَشيئَتِه.

---

(١) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣١٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١)، عن عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي.

ورواه بنحوه دون ذكر الآية ابن إسحاق في «السيرة» (٢٥٧) ـ ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠) ـ قال: حَدَّثَني رجلٌ من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه رجل مبهم.

وروى البخاري (٣٢١٨) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: «ألا تَزورُنا أكثرَ ممَّا تَزورُنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآيَةَ.

(٣) نسبت للأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٨).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركًا لكَ؛ أي: ما كان عَدمُ النُّزولِ إلا لعدمِ الأَمرِ بهِ، ولم يَكُن ذلك عن تَركِ اللهِ لكَ وتوديعِهِ إيَّاكَ كما زَعمتِ الكَفَرَةُ، وإنَّما كان لحكمةٍ رآها فيه.

وقيل: أوَّلُ الآيةِ حكايةُ قولِ المُتَّقينَ حينَ يَدخلونَ الجنَّةَ، والمَعنى: وما ننزلُ الجنَّةَ إلا بأمرِ اللهِ ولطفِه، وهو مالكُ الأُمورِ كلِّها السَّالِفَة والمترقَّبَةِ والحاضرةِ، فما وَجدناهُ وما نَجدُه مِن لطفِه وفضلِه، وقولُه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ تقريرٌ مِن اللهِ لقَولِهم؛ أي: وما كان ناسِيًا لأعمالِ العاملينَ وما وَعَدَ لَهُم مِن الثَّوابِ علَيْها.

وقوله: (٦٥) - ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بيانٌ لامتناعِ النِّسيانِ عليهِ وهو خبرُ مَحذوفٍ، أو بدلٌ مِن ﴿رَبُّكَ﴾.

﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ خطابٌ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ مُرَتَّبٌ عليه؛ أي: لمَّا عرفتَ ربَّكَ بأنَّه لا ينبغي لَهُ أن ينساكَ، أو أعمالَ العُمَّالِ، فأقبِلْ على عبادتِه واصطَبِر علَيْها ولا تتَشَوَّش بإبطاءِ الوَحيِ وهزءِ الكَفَرةِ، وإنَّما عُدِّيَ باللامِ لتَضمُّنِه مَعنى الثَّباتِ للعبادةِ فيما يُورَدُ عليه مِن الشَّدائدِ والمشاقِّ؛ كقولِكَ للمُحاربِ: اصطَبِر لقَرنِكَ.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: مِثْلًا يَستَحِقُّ أَنْ يُسمَّى إلهًا، أو: أحدًا يُسمَّى اللهَ، فإنَّ المُشركينَ وإنْ سَمَّوا الصَّنَمَ إلهًا لم يُسَمُّوهُ اللهَ قَطُّ، وذلك لظهورِ أَحَدِيَّتِه وتَعالي ذاتِه عَن المُماثَلَةِ بحيثُ لم يَقبل اللبسَ والمُكابرةَ، وهو تَقريرٌ للأمرِ؛ أي: إذا صَحَّ أَنْ لا أحدَ مِثلُه، ولا يَستَحِقُّ العِبادةَ غيرُه، لم يَكُن بُدٌّ مِن التَّسليمِ لأَمرِهِ والاشتغالِ بعِبادَتِه والاصطبارِ على مَشاقِّهَا.

(٦٦) - ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المرادُ بهِ: الجنسُ بأَسرِهِ، فإنَّ المَقولَ مقولٌ فيمَا بَينَهُم وإنْ لَمْ يَقُلْ كُلُّهم، كقولِكَ: (بنو فلانٍ قَتَلوا فُلانًا) والقاتِلُ واحِدٌ مِنْهُم.

أو: بَعضُهم المعهودُ وهم الكفرةُ.

أو: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ فإنَّه أَخَذَ عِظامًا باليَةً ففتَّها وقال: يَزعُمُ مُحمَّدٌ أَنَّا نُبْعَثُ بعدَما نَموتُ[١].

﴿أَءِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مِن الأَرضِ، أو مِن حالِ الموتِ، وتَقديمُ الظَّرفِ وإيلاؤُه حرفَ الإنكارِ لأنَّ المنكرَ كونُ ما بعدَ الموتِ وقتَ الحياةِ، وانتصابُهُ بفعلٍ دَلَّ عليه ﴿أُخْرَجُ﴾ لا بهِ؛ فإنَّ ما بعدَ اللامِ لا يعملُ فيما قبلَها، وهي هاهنا مُخلَصةٌ للتَّوكيدِ مُجرَّدَةٌ عَن مَعنى الحالِ كما خلصتْ الهمزةُ واللامُ في (يا أللهُ) للتَّعويضِ فساغَ اقترانُها بحرفِ الاستقبالِ.

ورُوي عن ابن ذَكْوان: ﴿إذا ما مِتُّ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ مكسورةٍ على الخبر[٢].

(٦٧) ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطفٌ على (يقول)، وتَوسيطُ همزَةِ الإنكارِ بينَهُ وبينَ العاطفِ ـ مع أنَّ الأصلَ أن تَتقدَّمَهُما ـ للدَّلالةِ على أنَّ المنكرَ بالذَّاتِ هو المعطوفُ، وأنَّ المعطوفَ عليه إنَّما نَشأَ مِنه؛ فإنَّه لو تَذكَّرَ وتأمَّلَ ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ ـ بَلْ كانَ عَدَمًا صِرْفًا ـ لم يَقُل ذلك، فإنَّه أعجَبُ مِن جمعِ الموادِّ بعد التَّفريقِ وإيجادِ مثلِ ما كانَ فيها مِن الأعراضِ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وقالونُ عَن يعقوبَ: ﴿يَذْكُرُ﴾[٣] مِن الذِّكرِ الذي يُرادُ به التَّفكُّرُ. وقُرِئَ: (يَتَذَكَّر) على الأصلِ[٤].

---

(١) ذكره في سبب نزول هذه الآية: الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١) عن الكلبي، ومقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٢/ ٦٣٤)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٢٣٤). وسيأتي في نهاية سورة (يس).

(٢) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣١٨)، ولم أقف عليها من طريق قالون عن يعقوب.

(٤) نسبت لأبي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٨).

(٦٨) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ إقسامٌ باسمِهِ مُضافًا إلى نبيِّهِ تَحقيقًا للأمرِ وتَفخِيمًا لشأنِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطفٌ[١]، أو مَفعولٌ مَعَهُ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّ الكَفرَةَ يُحشَرُونَ مع قُرنائِهِم مِن الشَّياطينِ الذينَ أَغْوَوْهُم كلٌّ مَع شَيطانِه في سِلسِلَةٍ[٢].

وهذا وإن كانَ مَخصوصًا بِهِم ساغَ نِسبَتُه إِلَى الجنسِ بأَسْرِه[٣]، فإِنَّهُم إذا حُشِرُوا وفِيهِم الكَفَرَةُ مَقرونينَ بالشَّياطينَ فقَدْ حُشِرُوا جَمِيعًا مَعَهُم.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ ليَرى السُّعَداءُ ما نَجَّاهُم اللهُ مِنْه فيزدادوا غبطةً وسُرورًا، وينالَ الأشقياءُ ما ادَّخَرُوا لِمَعادِهِم عُدَّةً، ويَزدادُوا غَيْظًا مِن رُجوعِ السُّعداءِ عَنْهُم إلى دارِ الثَّوابِ وشَمَاتَتِهِم عليهِم.

﴿جِثِيًّا﴾ على رُكَبِهِم لِمَا يدهَمُهُم مِن هَوْلِ المَطلعِ، أو لأَنَّهُ مِن تَوابعِ التَّواقُفِ للحِسابِ قبلَ التَّواصُلِ إلى الثَّوابِ والعِقابِ، وأهلُ الموقفِ جاثونَ؛ لقولِه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] على المعتادِ في مَواقِفِ التَّقَاوُلِ.

وَإِنْ كانَ المُرَادُ بالإنسانِ الكَفَرَةَ فلَعَلَّهُم يُسَاقُونَ جُثَاةً مِن المَوْقِفِ إلى شَاطئِ جَهنَّمَ إهانةً بِهِم، أو لعَجزِهِم عَن القِيامِ لِمَا عَرَاهُم مِن الشدَّةِ، وإِنْ فسِّر الإنسانُ بالعموم فالمعنى: أنهم يتجاثَوْن عند موافاةِ شاطئ جهنَّمَ على أنَّ ﴿جِثِيًّا﴾ حالٌ مقدَّرة[٤].

---

(١) قوله: «﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف»؛ أي: على ضمير ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾.

(٢) ذكر بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٢١)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٢٨٦)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٦٠٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

(٣) قوله: «وهذا»؛ أي: حشرُ الكفرة مقرونينَ معَ الشياطينِ «وإن كان مخصوصاً بهم»؛ أي: بالكفرةِ «ساغ نسبته»؛ أي: الحشرِ «إلى الجنس بأسره»؛ أي: جنسِ الإنسانِ.

(٤) قوله: «وإن فسر الإنسان بالعموم...» إلى هنا من نسخة الخيالي فقط.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: ﴿جِثِيًّا﴾ بكسرِ الجيم[1].

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: مِن كلِّ أُمَّةٍ شاعَتْ دينًا ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: مَن كانَ أَعْصَى وأَعْتَى مِنْهُم فنَطْرَحُهم فيها.

وفي ذِكْرِ الأَشَدِّ تَنْبِيهٌ على أَنَّهُ تعالَى يَعْفُو كَثِيرًا[2] مِن أَهْلِ العِصْيَانِ، وَلَوْ خُصَّ ذلكَ بالكَفَرَةِ فالمُرَادُ أَنَّهُ يميزُ طوائِفَهُم: أَعتاهُمْ فَأَعْتَاهُمْ، وَيطْرَحُهُم في النَّار على التَّرتيبِ، أو يُدخلُ كُلًّا طَبقَتَها التي تَلِيقُ بِهِم.

و﴿أَيُّهُمْ﴾ مَبْنِيٌّ على الضَّمِّ عندَ سِيبويهِ؛ لأنَّ حَقَّه أن يُبْنَى كسائرِ الموصولاتِ، لكنَّه أُعرِبَ حَمْلًا على (كلٍّ) و(بعضٍ) للُزُومِ الإضافةِ، فإذا حُذِفَ صدرُ صِلَتِه زادَ نَقصُهُ فعادَ إلى حَقِّهِ مَنصوبَ المحلِّ بـ(ننزعنَّ)[3]، ولذلكَ قُرِئَ مَنصوبًا[4].

ومَرفوعٌ عندَ غيرِه: إمَّا بالابتداءِ على أنَّه استِفهامِيٌّ وخبرُهُ ﴿أَشَدُّ﴾ والجملَةُ مَحكِيَّةٌ، وتقديرُ الكَلامِ: لَنَنزِعَنَّ مِن كلِّ شِيعةٍ الذينَ يُقالُ فيهِم: أَيُّهُم أَشَدُّ[5]؟ أو

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) قوله: «كثيراً» منصوب بنزع الخافض، وهو (عن). انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) وملخص هذا الكلام الذي هو مذهب سيبويه: أنَّه مبنيٌّ على الضَّم لسقوط صدرِ الجملة التي هي صلتُه، حتى لو جيءَ به لَأُعرِبَ وقيل: أيُّهُم هو أشَدُّ، هذه عبارة الزمخشري، قال ابن الحاجب: فهي على هذا موصولة بمعنى الذي في موضع نصب مفعولاً لـ(ننزعن). انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٩ـ ٤٠٠)، و«الكشاف» (٥/ ٢٩٥)، و«أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٤٨).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٨ـ٨٩)، عن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء، وطلحة بن مصرف.

(٥) وهذا مذهب الخليل، ولكونها استفهامية قدَّر القول ليصح وقوع الاستفهام بعده كما ذكر ابن الحاجب. انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٤٧). وقول الخليل في «الكتاب» (٢/ ٣٩٩ـ ٤٠٠)، و«الكشاف» (٥/ ٢٩٥).

مُعلَّقٌ عنها[١] ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ لتَضَمُّنِه مَعنى التَّمييزِ اللازمِ للعلمِ، أو مُستأنفَةٌ والفعلُ واقِعٌ على ﴿كُلِّ شِيعَةٍ﴾ على زيادةِ ﴿مِن﴾، أو على مَعنى: لنَنزِعَنَّ بعضَ كلِّ شيعةٍ.

وإمَّا بـ﴿شِيعَةٍ﴾[٢] لأنَّها بمَعنى: تَشيعُ.

و﴿عَلَى﴾ للبيانِ أو مُتعلِّقٌ بـ(أفعل)[٣] وكذا الباءُ في قولِه:

(٧٠) - ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾؛ أي: لنَحْنُ أعلَمُ بالذين هُمْ أَوْلَى بالصُّليِّ - أو: صُلِيُّهُم أَوْلَى - بالنَّارِ، وهُمْ المُنتَزَعُونَ.

ويجوزُ أَنْ يُرادَ بِهِم وبِأشدِّهِم عِتيًّا رؤساءُ الشِّيَعِ، فإنَّ عَذابَهُم مُضاعَفٌ لضَلالِهِم وإضلالِهِم.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: ﴿صِلِيًّا﴾ بكسرِ الصاد[٤].

(٧١) - ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾: وما مِنْكُم، التِفاتٌ إلى الإنسانِ، ويُؤيِّدُه أنَّهُ قُرِئَ: (وإنْ منهم)[٥].

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾: إلا واصِلُها وحاضِرٌ[٦] دونَها، يَمُرُّ بها المُؤمِنونَ وهيَ خامِدَةٌ وتَنهارُ بغَيْرِهِم.

وعَن جابرٍ: أنَّه عليهِ السَّلامُ سُئِلَ عنه فقال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ قالَ بعضُهُم لبَعضٍ: أليسَ قَد وعدَنَا ربُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فيقالُ لهم: قَدْ وَرَدْتُموهَا وهِيَ خامِدَةٌ»[٧].

---

(١) قوله: «أو معلق عنها» عطف على «محكيَّةٌ».

(٢) قوله: «وإما بـ﴿شِيعَةٍ﴾» عطف على «إما بالابتداء».

(٣) قوله: «أو متعلق بأفعل»؛ أي: وهو ﴿أَشَدُّ﴾.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧).

(٥) نسبت لابن عباس وعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

(٦) في نسخة التفتازاني: «وجائز».

(٧) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٧ ـ زوائد نعيم)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٣٨٢)، وابن =

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فالمرادُ: عَن عذابِها.

وقيل: (وُرودُهَا): الجَوازُ على الصِّراطِ فإنَّه مَمدودٌ عَلَيها.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾: كانَ وُرودُهُم واجِبًا أوجبَهُ اللهُ على نَفسِهِ وقَضَى بأَنْ وَعَدَ به وعدًا لا يمكنُ خُلفُهُ. وقيل: أَقسَمَ عليه.

(٧٢) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فيُساقونَ إلى الجنَّةِ. وقرَأَ الكِسائيُّ ويَعقوبُ: ﴿نُنْجِي﴾ بالتَّخفيفِ[1].

وقُرِئَ: (ثَمَّ) بفَتحِ الثَّاءِ[2]؛ أي: هُناكَ.

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾: مُنهارَةً بهم كما كانُوا، وهـو دَليلٌ على أنَّ المُرادَ بالوُرودِ الجُثُوُّ حَوالَيْهَا، وأنَّ المُؤمنينَ يُفارِقُونَ الفَجَرَةَ إلى الجنَّةِ بعدَ تَجاثِيهِم، وتَبْقَى الفَجَرَةُ فيها مُنْهارًا بِهِم على هَيْئَاتِهِم.

(٧٣) ـ ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾: مُرَتَّلَاتِ الأَلْفَاظِ مُبَيَّنَاتِ المَعاني بنَفسِها أو ببيانِ الرَّسولِ، أو: واضحاتِ الإعجازِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: لأَجلِهِم أو مَعَهُم: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: المؤمنينَ والكافِرينَ ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾: مَوضِعَ قِيامٍ، أو: مَكانًا.

= أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٢٩)، وهناد في «الزهد» (٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٥٧٥)، جميعهم من قول خالد بن معدان التابعي. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٣٢).

ووقع في بعض المصادر: «جامدة» بالجيم، وهو من اختلاف الرواة كما أفاد أبو عبيد والطبري في روايتيهما.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٩).

(٢) نسبت لابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

وقرأ ابنُ كَثيرٍ بالضمِّ[١]؛ أي: مَوضِعَ إقَامَةٍ ومَنزِلٍ.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: مَجلِسًا ومُجتمَعًا، والمَعنى: أَنَّهُم لَمَّا سَمِعُوا الآياتِ الواضِحاتِ، وعَجَزُوا عَن مُعارَضَتِها والدَّخَلِ عليها، أَخذُوا في الافتخارِ بما لهم مِن حُظوظِ الدُّنيَا، والاستدلالِ بزيادَةِ حَظِّهم فيها على فَضلِهِم وحسنِ حالِهم عندَ اللهِ تَعالى؛ لقُصورِ نَظَرِهم على الحالِ، وعِلْمِهِم بظاهِرٍ مِن الحياةِ الدُّنيَا، فردَّ عَلَيهم ذلك أيضًا مع التَّهديدِ نقضًا بقولِه:

(٧٤) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ (كم) مفعولُ ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِّن قَرْنٍ﴾ بيانُه، وإنَّما سُمِّيَ أَهلُ كُلِّ عصرٍ قَرْنًا لأنَّه يَتقدَّمُ مَن بَعدَهُم، و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ صِفةٌ لِـ(كم)، و﴿أَثَاثًا﴾ تَمييزٌ عَن النِّسبَةِ، وهو مَتاعُ البَيتِ، وقيل: هو ما جدَّ مِنْهُ، والخُرْثِيُّ ما رَثَّ.

والرِّئْيُ: المنظَرُ، فِعْلٌ مِن الرُّؤيَةِ لِمَا يُرَى كالطِّحْنِ[٢] والخِبْزِ[٣].

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿ورِيًّا﴾[٤] على قلبِ الهمزةِ وإدغامِها، أو على أنَّه مِن الرِّيِّ الذي هو النِّعمَةُ.

وأبو بكرٍ: (ورِيئاً) على القلبِ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) الحبّ المطحون.

(٣) كذا وقعت في النسخ التي عندنا وسقطت من نسخة الفاروقي، وضبطها الخفاجي في «حاشيته» براء مهملة في آخرها؛ أي: (الخِبْر) من خبر الأرض: إذا زرعها.

(٤) هي رواية قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩). في نسخة الخيالي: «قرأ قالون وابن ذكوان».

(٥) ذكرها أبو علي الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» (٥/ ٢٠٩) فقال: وذكر غير أحمد بن موسى (وهو ابن مجاهد صاحب كتاب «السبعة») أن الأعشى روى عن أبي بكر عن عاصم: (وريئاً) مثل: وريعاً.

وقُرِئَ: (ورِيًا) بحذفِ الهَمزَةِ[1].

و: (زِيًّا) مِن الزِّيِّ[2] وهو الجمعُ، فإنَّه محاسنُ مَجموعةٌ.

ثمَّ بيَّنَ أنَّ تَمتيعَهُم استدراجٌ وليسَ بإكرامٍ ـ وإنَّما العيارُ على الفضلِ والنَّقصِ ما يكونُ في الآخرةِ ـ بقولِه:

(٧٥) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: فيُمِدُّهُ ويُمهِلُهُ بطولِ العمرِ والتَّمتُّعِ به، وإنَّما أخرجَهُ على لفظِ الأمرِ إيذانًا بأنَّ إمهالَهُ ممَّا يَنبَغِي أن يفعلَهُ استِدراجًا وقطعًا لِمَعاذيرِه؛ كقولِه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وكقولِه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ غايـةُ المـدِّ، وقيل: غايةُ قولِ الذينَ كَفَـرُوا للَّذينَ آمَنُوا: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ... حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾.

﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ تفصيلٌ للمَوعودِ فإنَّه: إمَّا العذابُ في الدُّنيا وهو غَلَبَةُ المُسلمينَ علَيْهِم وتَعذيبِهُم إيَّاهُم قتلًا وأَسْرًا، وإمَّا يومَ القيامةِ وما ينالُهُم فيه مِن الخزيِ والنَّكالِ.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مِـن الفَريقيـنِ بـأَنْ عايَنُوا الأمـرَ على عكسِ ما قـدَّروهُ، وعـادَ مـا مُتِّعُوا به خذلانًـا ووبـالًا عليهِمْ، وهو جـوابُ الشَّـرطِ، والجملةُ مَحكِيَّةٌ بعـدَ (حتى).

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؛ أي: فئةً وأَنصارًا، قابلَ به ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مِن حيثُ إنَّ حُسنَ النَّادي باجتماعِ وُجوهِ القَومِ وأَعيانهم وظُهورِ شَوكَتِهم واستِظهارِهِم.

---

(١) بالقصر والتخفيف عن طلحة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

(٢) نسبت لسعيد بن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

(٧٦) ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ عَطفٌ على الشَّرطيَّةِ المَحكيَّةِ بعدَ القولِ؛ كأنَّه لَمَّا بيَّنَ أنَّ إمهالَ الكافرِ وتمتيعَهُ بالحياةِ الدُّنيا ليسَ لفَضلِه، أرادَ أَنْ يُبيِّنَ أَنَّ قُصورَ حَظِّ المُؤمنِ مِنْها ليسَ لنَقصِه، بَلْ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أرادَ بِهِ ما هو خيرٌ وعوَّضَهُ مِنه.

وقيل: عطفٌ على ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ لأنَّه في مَعنى الخبرِ؛ كأنَّه قيل: مَن كانَ في الضَّلالةِ يزيدُ اللهُ في ضَلالِه ويزيدُ المقابلَ لَهُ هِدايةً.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: الطَّاعاتُ التي تبقى عائدَتُها أبدَ الآبادِ، ويدخُلُ فيها ما قيلَ مِن الصَّلواتِ الخَمسِ، وقولِ: سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولَا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ[١].

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: عائدةً ممَّا مُتِّعَ بِهِ الكَفَرةُ مِن النِّعَمِ المخدَجةِ[٢] الفانيَةِ التي يَفتخرونَ بها، سِيَّمَا ومآلُها[٣] النَّعيمُ المُقيمُ ومآلُ هذه الحسرَةُ والعَذابُ الدَّائمُ كما أشارَ إليه بقولِه:

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ والخيرُ هاهنا: إمَّا لِمُجرَّدِ الزِّيادَةِ، أو على طَرِيقَةِ قَولِهِم: (الصَّيفُ أَحَرُّ مِن الشِّتاءِ)؛ أي: أبلَغُ في حَرِّهِ مِنه في بَردِه.

(٧٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ نزلَتْ في العاصِ بنِ وائلٍ، كانَ لخَبَّابِ بنِ الأرتِّ عليهِ مالٌ فتَقاضاهُ، فقالَ له: لا، حتَّى تَكفُرَ بمُحمَّدٍ، قال: لا واللهِ لا أكفرُ بمُحمَّدٍ حَيًّا ولا ميتًا ولا حينَ تُبعَثُ، قال: فإني إذا متُّ بُعِثْتُ؟ قال: نعم، قال: فإذا بُعِثْت جِئتَنِي فيكونُ لي ثَمَّ مالٌ ووَلَدٌ فأُعطيكَ[٤].

---

(١) تقدم الكلام على الباقيات الصالحات في (سورة الكهف).

(٢) أي: النَّاقصة.

(٣) في نسخة الفاروقي: «ومآلهما» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

(٤) رواه البخاري (٢٤٢٥)، ومسلم (٢٧٩٥)، من حديث خباب رضي الله عنه.

ولَمَّا كانَتِ الرُّؤيَةُ أقوى سَنَدِ الإخبارِ استعملَ (أرأيت) بمعنى الإخبارِ، والفاءُ على أصلِها، والمعنى: أَخبِرْ بقِصَّةِ هذا الكافرِ عقيبَ حَديثِ أُولئك.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿وُلْدًا﴾[1] وهـو جمعُ وَلدٍ كأُسْدٍ في أَسَدٍ، أو لغةٌ فيه كالعُرْبِ والعَرَبِ.

(٧٨) ـ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أَقَدْ بلغَ من عِظَمِ شَأنِه إلى أَنِ ارتَقى إلى علمِ الغَيبِ الذي توحَّدَ به الواحدُ القَهَّارُ حتَّى ادَّعى أَنْ يؤتَى في الآخرةِ مالًا وولدًا وتَأَلَّى عليه ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أَو اتَّخذَ مِن عالِمِ الغُيوبِ عهدًا بذلك، فإنَّه لا يتوصَّلُ إلى العلمِ به إلا بأحدِ هذينِ الطَّريقينِ.

وقيـل: العَهـدُ كلمَةُ الشَّـهادةِ والعمـلُ الصَّالحِ، فإنَّ وعْـدَ اللهِ بالثَّـوابِ عليهِمَا كالعَهـدِ عليه.

(٧٩) ـ ﴿كَلَّا﴾: رَدعٌ وتَنبيهٌ على أَنَّه مُخطِئٌ فيما تَصوَّرَه لنَفسِه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: سنُظهِرُ له أَنَّا كَتَبْنَا قولَه، على طريقَةِ قولِه:

إِذَا مَـا انْتَسَـبْنَا لَـمْ تَلِدْنِـي لَئِيمَـةٌ[2]

أي: تَبيَّنَ أَنِّي لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٢) أورده الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٦١)، والطبري في «التفسير» (٢/ ٥٧)، ولم ينسباه، ونسبه البغدادي في «شرح أبيات المغني» (١/ ١٢٥) لزائد بن صعصعة الفقعسي، وعجزه:

ولـم تَجِـدي مـن أن تُقِـرِّي بـه بـدّا

«لم تلدني» جواب «إذا»، وهو ليس في معنى الاستقبال؛ لأن الولادة كانت قبلُ. يقول: إذا انتسبتُ علمتِ يا فلانةُ أني لست بابن لئيمة، وظهر لك ما تضطرين به إلى الإقرار بذلك. قال: «لم تلدني لئيمةٌ»؛ لأن الأم إذا كانت من الكرام فالأب أولى. قاله الطيبي.

أو: سَنَنْتَقِمُ مِنه انتقامَ مَن كتبَ جريمةَ العَدُوِّ وحَفِظَها عليه، فإنَّ نفسَ الكِتْبَةِ[١] لا تتأخَّرُ عَنِ القَولِ لقولِه تَعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: ونطوِّلُ لَه مِن العَذابِ ما يَستأهِلُه، أو نزيدُ عَذابَه ونُضاعَفُ له لكُفرِهِ وافتِرائِه واستهزائِه على اللهِ، ولذلك أكَّدَه بالمَصدَرِ دلالةً على فَرْطِ غَضبِه عليه.

(٨٠) ـ ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ بموتِه ﴿مَا يَقُولُ﴾ يعني: المالَ والولدَ ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يومَ القِيامةِ ﴿فَرْدًا﴾ لا يصحَبُه مالٌ ولا ولدٌ كانَ له في الدُّنيا فَضْلًا أَنْ يُؤتَى ثَمَّ زائدًا.

وقيل: ﴿فَرْدًا﴾: رافِضًا لهذا القولِ مُنفرِدًا عنه.

(٨١) ـ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: ليَتعزَّزُوا بهم حيثُ يَكونُونَ لَهُم وُصلَةً إلى اللهِ تعالى وشُفعاءَ عِندَه.

(٨٢) ـ ﴿كَلَّا﴾ رَدعٌ وإنكارٌ لتعزُّزِهم بها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾: ستجحدُ الآلهةُ عِبادَتَهُم ويَقولون: ما عَبَدْتُمونا، كقولِه تَعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] أو سَيُنْكِرُ الكفرَةُ لسوءِ العاقبَةِ أَنَّهُم عَبَدُوها كقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ يُؤَيِّدُ الأوَّلَ إذا فُسِّرَ[٢] الضِّدُّ بضِدِّ العزِّ؛ أي: ويكونونَ

---

(١) بكسرِ الكاف: الكتابة.

(٢) في نسخة الفاروقي: «إلا إذا فسر»، وعليها شرح الشهاب في «الحاشية»، وينظر كلامه ثمة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الأقرب، وعليه شرح ابن التمجيد في «الحاشية» (١٢/ ٢٩٠) فقال: قوله: «يُؤَيِّدُ الأوَّلَ إذا فُسِّرَ الضِّدُّ بضِدِّ العزِّ» فيكون المعنى: وتكون الآلهة ذلًّا لعابديها، وجه التأييد: أن هذا المعنى لا يناسب الثاني؛ لأنه لا معنى لأن يقال: ويكون الكفرة ذلًّا لآلهتهم؛ لأن الذل بمعنى إيصال الهوان وإلحاق العار لا يتصور في الجماد. =

عليهِم ذلًّا، أو بضِدِّهِم على مَعنى: أنَّها تكونُ معونةً في عَذابِهم بأَنْ تُوقَدَ بها نِيرانُهُم، أو جُعِلَ الواوُ للكفرةِ؛ أي: يكونونَ كافرينَ بِهِم بعدَ أَنْ كانُوا يَعبدونَها، وتَوحيدُه لوحدةِ المعنى الذي بِهِ مُضادَّتُهم، فإنَّهُم بذلك كالشَّيءِ الواحِدِ، ونَظيرُهُ قولُه عليهِ السَّلامُ: «وهُمْ يَدٌ على مَن سِواهُم»[1].

وقُرِئَ: (كَلًّا) بالتَّنوينِ[2] على قلبِ الأَلِفِ نونًا في الوقفِ قلبَ ألفِ الإطلاقِ في قولِه:

أَقِلِّـي اللَّـومَ عَـاذِلُ وَالعِتَابَـنْ[3]

= قلت: ويؤيد هذا كلام الآلوسي في تفسير الآية: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ على الأول ـ على ما قيل ـ: تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزًّا ضدًّا للعز؛ أي: ذلا وهوانا.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٧٩٧)، وأبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، بلفظ: «المسلمون تَتكافأ دِمَاؤُهُم: يَسعَى بذمَّتهم أدناهم، ويُجيرُ عليهم أقْصاهُم، وهم يَدٌ...».
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٥٩)، وأبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٧٣٥)، ولفظه: «المؤمِنونَ تتكافأُ دِماؤُهُم، وهم يد...». والنسائي (٤٧٣٥)، من حديث علي رضي الله عنه.
ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٩٩٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(٢٦٨٤) من حديث معقل بن يسار.

(٢) نسبت لأبي نهيك. انظر: «المحتسب» (٢/ ٤٥)، ويوهم صنيع المؤلف أنها بضم الكاف، حيث أتبعها المشهورة التي بضم الكاف ولم يضبط الكاف فيها. والصواب أنها بفتح الكاف لما سيأتي في تفسيرها من قوله: «أو على مَعنى: كَلَّ هذا الرَّأيُ كَلًّا»، وبه صرح في «الكشاف» (٥/ ٣١١) فقال: وفي «مُحْتَسَب» ابن جنِّي: (كَلًّا) بفتح الكافِ والتنوين، وزعم أنَّ مَعناه: كَلَّ هذا الرأيُ والاعتِقادُ كَلًّا.

(٣) صدر بيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري، وهو في «ديوانه» (٢/ ٨١٣)، و«الكتاب» (٤/ ٢٠٥)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٨٧)، و«المقتضب» (١/ ٢٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٨)، وعجزه:

وقولـي إن أصبـت لقـد أصابـا

أو على مَعنى: كَلَّ هذا الرَّأيُ كَلًّا.

و: (كُلًّا)[١] على إضمارِ فعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَهُ؛ أي: سيَجحدونَ كُلًّا سيكفرونَ بعِبادَتِهم.

(٨٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ بأَنْ سَلَّطْناهُم عَلَيهِم، أو قَيَّضْنا لَهُم قُرَناءَ ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تَهُزُّهُم وتُغريهِم على المعاصي بالتَّسويلاتِ وتَحبيبِ الشَّهواتِ، والمرادُ: تَعجيبُ رَسولِ اللهِ ﷺ مِن أَقاويلِ الكفرةِ وتمادِيهِم في الغَيِّ وتَصميمِهِم على الكفرِ بعدَ وُضوحِ الحقِّ على ما نطقَتْ به الآياتُ المُتقدِّمَةُ.

(٨٤) ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأَنْ يَهْلِكُوا حتى تستريحَ أنتَ والمؤمنونَ مِن شُرورِهِمْ، وتطهرَ الأرضُ مِن فَسادِهِم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ أيامَ آجالِهِم ﴿عَدًّا﴾ والمعنى: لا تَعجَلْ بهَلاكِهِم فإنَّه لم يبق لَهُم إلا أيامٌ مَحصورةٌ وأَنفاسٌ مَعدودةٌ.

(٨٥) ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: نَجمَعُهُم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: إلى رَبِّهِم الذي غَمَرَهُم برَحمَتِه.

ولاختيارِ هذا الاسمِ في هذه السُّورةِ شأنٌ، ولعلَّهُ لأنَّ مَساقَ الكلامِ فيها لتعدادِ نِعَمِه الجسامِ وشرحِ حالِ الشَّاكرينَ لها والكافرينَ بها.

﴿وَفْدًا﴾: وافدينَ عليهِ كما يَفِدُ[٢] الوُفَّادُ على الملوكِ مُنتظرينَ لكَرامَتِهم وإنعامِهِم.

(٨٦) ـ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما تُساقُ البَهائِمُ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: عِطاشًا، فإنَّ مَن يَرِدُ الماءَ لا يَرِدُه إلا لِعَطَشٍ، أو كالدَّوابِّ التي تَرِدُ الماءَ.

---

(١) نسبت لأبي نهيك. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩)، و«الكشاف» (٥/ ٣١١).

(٢) في نسخة التفتازاني: «يقدم».

(٨٧) ـ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ الضَّميرُ فيه للعبادِ المدلولِ عليه بذكرِ القِسمينِ وهو النَّاصبُ لليومِ.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾: إلَّا مَن تَحلَّى بما يَستَعِدُّ به ويَستَأهِلُ أنَّ يشفعَ للعُصاةِ مِن الإيمانِ والعَملِ الصَّالحِ على ما وعدَ اللهُ.

أو: إلَّا مَن اتَّخذَ مِن اللهِ إذنًا فيها؛ كقولِه: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩] مِن قَولِهم: عَهِدَ الأَميرُ إلى فُلانٍ بكَذَا: إذَا أَمَرَهُ بِهِ.

وَمَحلُّهُ الرَّفعُ على البَدلِ مِن الضَّميرِ، أو النَّصبُ على تَقديرِ مُضافٍ؛ أي: إلا شَفاعةَ مَن اتَّخذَ، أو على الاستثناءِ.

وقيل: الضَّميرُ للمُجرمينَ، والمعنى: لا يَملِكُونَ الشَّفاعةَ فيهِم إلَّا مَن اتَّخذَ عندَ الرَّحمنِ عَهْدًا يَستَعِدُّ بِهِ أن يشفعَ له بالإسلامِ.

(٨٨) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ الضَّميرُ يَحتَمِلُ الوَجهينِ؛ لأنَّ هذا لَمَّا كانَ مَقُولًا فيما بينَ النَّاسِ جازَ أَنْ يُنسبَ إليهِم.

(٨٩) ـ ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ على الالتفاتِ للمُبالغَةِ في الذَّمِّ، والتَّسجيلِ عَلَيهِم بالجَراءةِ عَلى اللهِ، والإِدُّ بالفَتحِ والكَسرِ: العَظيمُ المُنكَرُ، والإِدَّةُ: الشِّدَّةُ، وأَدَّنِي الأَمرُ وآدَنِي: أثقَلَنِي وعَظُمَ عَلَيَّ.

(٩٠) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقرأَ نافِعٌ والكِسائيُّ بالياءِ[1] ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾: يَتشقَّقْنَ مَرَّةً بعدَ أُخرى.

وقرأَ أبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ وحمزَةُ وأبو بكرٍ ويَعقوبُ: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾[2]، والأَوَّلُ أبلَغُ لأنَّ التَّفعُّلَ مُطاوِعُ فَعَّلَ والانفِعالَ مُطاوِعُ فَعَلَ، ولأنَّ أصلَ التَّفعُّلَ للتَّكلُّفِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾: تُهَدُّ هَدًّا، أو: مَهدودةً، أو: لأنَّها تُهَدُّ[1]؛ أي: تُكسَرُ، وهو تقريرٌ لكونِه إدًّا.

والمعنى: أنَّ هولَ هذه الكلمةِ وعِظَمَها بحيثُ لو تُصوِّرَ بصُورَةٍ مَحسوسَةٍ لم تَتحمَّلْهَا هذه الأجرامُ العِظامُ وتَفتَّتَتْ مِن شِدَّتِها، أو أنَّ فَظاعَتَها مُجلِبَةٌ لغَضبِ اللهِ بحيثُ لولا حِلمُهُ لخَرَّبَ العالَمَ وبدَّدَ قوائِمَهُ غضبًا على مَن تَفوَّهَ بها.

(٩١) - ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ يحتمِلُ النَّصبَ على العِلَّةِ لـ﴿تَكَادُ﴾ أو لـ﴿هَدًّا﴾ على حَذفِ اللامِ وإفضاءِ الفعلِ إليه، والجَرَّ بإضمارِ اللامِ أو بالإبدالِ مِن الهاءِ في ﴿مِنْهُ﴾، والرَّفعَ على أنَّه خبرُ مَحذوفٍ تقديرُهُ: الموجبُ لذلك أَنْ دَعَوْا، أو فاعلُ ﴿هَدًّا﴾؛ أي: هَدَّها دعاءُ الوَلدِ للرَّحمنِ.

وهو مِن (دعا) بمعنى سمَّى المُتعدِّي إلى مَفعُولَيْنِ، وإنَّما اقتصرَ على المفعولِ الثَّاني ليُحيطَ بكلِّ ما دُعِي له وَلدًا، أو مِن (دعا) بمعنى: نَسَبَ، الذي مُطاوعُه: ادَّعَى إلى فلانٍ: إذا انتسبَ إليه.

(٩٢ - ٩٣) - ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: ولا يليقُ به اتِّخاذُ الولدِ، ولا يَنطلِبُ[2] له لو طُلِبَ مثلًا لأنَّه مُستحيلٌ، ولعلَّ تَرتيبَ الحكمِ بصِفَةِ الرَّحمانيَّةِ للإشعارِ بأنَّ كلَّ ما عداه نِعمَةٌ ومُنعَمٌ عليهِ، فلا يجانسُ مَن هو مبدأُ النِّعَمِ كُلِّها ومُوْلي أُصولِها وفُروعِهَا، فكيفَ يُمكِنُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلدًا؟

ثمَّ صَرَّحَ به في قولِه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما مِنهُم ﴿إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: إلَّا وهُوَ مملوكٌ له يَأوِي إليه بالعُبوديَّةِ والانقيادِ.

---

(١) قوله: «أو لأنها تهد»؛ أي: على أن ﴿هَدًّا﴾ مفعولٌ له.

(٢) انفعال من الطَّلب؛ أي: لا يحصل.

وقُرِئَ: (آتِ الرَّحمنَ) على الأصلِ[١].

(٩٤) ـ ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾: حَصَرَهُم وأحاطَ بهـم بحيثُ لا يخرجونَ عَن حَوْزَةِ علمِهِ وقَبضَةِ قُدرَتِه.

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: عَدَّ أَشخاصَهُم وأَنفاسَهُم وأَفْعالَهُم فإنَّ كلَّ شيءٍ عندَه بمِقدارٍ.

(٩٥) ـ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾: مُنفرِدًا عـن الأتـباعِ والأنصارِ، فلا يُجانِسُه شيءٌ مِن ذلك ليَتَّخِذَه ولدًا ولا يناسبهُ ليشركَ به.

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ سيُحدِثُ لَهُـم في القُلـوبِ مَوَدَّةً مِـن غَيرِ تَعرُّضٍ مِنْهُم لأَسبابِها، وعـن النبيِّ ﷺ: «إذا أحـبَّ اللهُ عَبْـدًا يقولُ لجبريـلَ: أحبَبْـتُ فُلانًا فَأَحِبَّـهُ، فيُحِبُّهُ جِبريلُ، ثـمَّ يُنادِي فـي أهـلِ السَّـماءِ: إنَّ اللهَ قَـدْ أَحَـبَّ فُلانًـا فَأَحِبُّـوهُ، فيُحِبُّهُ أَهلُ السَّـماءِ، ثـمَّ تُوضَعُ لـه المَحبَّةُ فـي الأرضِ»[٢].

والسِّينُ إما لأنَّ السُّورةَ مَكِّيَّةٌ وكانوا مَمقوتينَ حينئذٍ بينَ الكفرَةِ فوعَدَه ذلك إذا دجا[٣] الإِسلامُ، أو لأنَّ الموعودَ في القيامَةِ حينَ تُعْرَضُ حَسناتُهُم على رُؤوسِ الأَشهادِ فيُنزعُ ما في صُدورِهِم مِن الغلِّ.

(٩٧) ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: بأَنْ أَنْزَلناهُ بلُغَتِكَ، والباءُ بمَعنى (على)، أو على أَصلِهِ لتَضمُّنِ (يَسَّرْنَا) مَعنى (أنزلنا)؛ أي: أنزلناهُ بلُغَتِك.

---

(١) نسبت لابن مسعود ويعقوب وأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: عمَّ وكثر.

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الصَّائرينَ[1] إلى[2] التَّقوى ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: أشدَّاءَ الخُصومةِ آخذينَ في كُلِّ لَديدٍ؛ أي: كلِّ شقٍّ مِن المراءِ والجدالِ لِفرطِ لَجَاجِهِم، فبَشِّرْ بهِ وأَنْذِرْ.

(٩٨) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ تَخويفٌ للكَفَرةِ وتَجسيرٌ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ على إنذارِهِم ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هل تشعرُ بأَحدٍ مِنْهُم وتَراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وقُرِئَ: (تُسْمَعُ)[3] مِن أُسْمِعْتَ.

والرِّكزُ: الصَّوتُ الخَفِيُّ، وأَصلُ التَّركيبِ هو الخفاءُ، ومِنهُ: رَكَزَ الرُّمْحَ: إذا غَيَّبَ طَرْفَهُ في الأرضِ، والرِّكَازُ: المالُ المَدفونُ.

عَن رَسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرَأَ سُورةَ مَريمَ أُعطِيَ عشرَ حَسَناتٍ بعَددِ مَن كذَّبَ زَكريَّا وصَدَّقَ بهِ ويحيى ومَريمَ وعِيسى وسائرَ الأنبياءِ المذكورينَ فيها، وبعَددِ مَن دعَا اللهَ في الدُّنيا ومَن لَمْ يَدْعُ اللهَ»[4].

* * *

(١) أي: الراجعين.

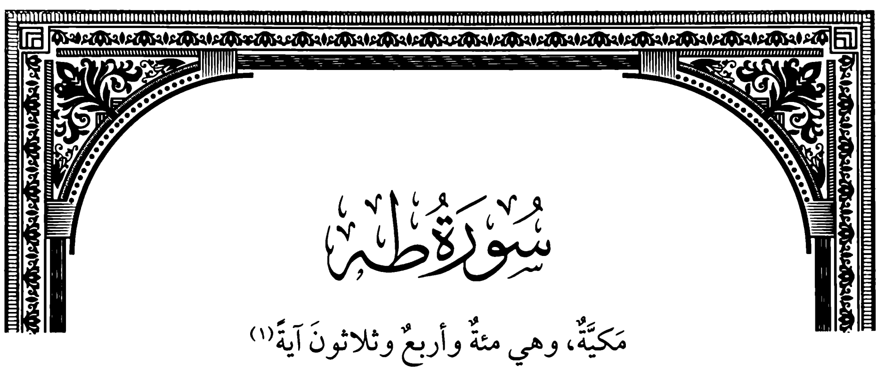
(٢) في نسخة الخيالي والتفتازاني: «الصابرين على».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن حنظلة.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥) من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٨٢٠)، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ طه



سُورَةُ طه

مَكيَّةٌ، وهي مئةٌ وأربعٌ وثلاثونَ آيةً[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿طه﴾ فخَّمَهما قالونُ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وحَفصٌ ويَعقوبُ على الأصلِ، وفخَّمَ الطَّاءَ وحدَهُ أبو عَمرٍو وورشٌ لاستعلائِه، وأمالَهُما الباقونَ[2].

وهُمَا مِن أَسماءِ الحُروفِ.

وقيل: مَعناه: يا رجلُ على لُغَةِ عَكٍّ[3]، فإِنْ صَحَّ فلعلَّ أصلَه: يا هذا! فتصرَّفُوا فيه بالقلبِ والاختصارِ، والاستشهادُ بقولِه:

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٣)، وفيه: (مئة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيان ومكي، وخمس كوفي، وأربعون شامي، اختلافها إحدى وعشرون آية...) ثم عدَّدها.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٠)، و«النشر» (٢/ ٦٨ و٧٠).

(٣) القول بأن المعنى: (يا رجل) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥ ـ ٧) عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن. وجاء في خبر سعيد بن جبير وقتادة: بالسريانية، وفي خبر ابن عباس وعكرمة والضحاك: بالنبطية، والقول بأن ذلك في لغة عكٍّ ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩١) عن الكلبي، وقاله أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧)، ورجح بالاستناد إليه قول من قال: المعنى: (يا رجل)، فقال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل. ثم استدل عليه بالبيت الآتي.

قال الطيبي في «فتوح الغيب» (١٠/ ١١٩): والزمخشري ما رضي بهذا القول حيث قال: والله أعلمُ بصحة ما يقال.

إِنَّ السَّـــفَاهَةَ طَاهَـــا فـــي خَلَائِقِكُـــمْ لَا قَـــدَّسَ اللهُ أَخْـــلَاقَ المَلَاعِيـــنِ[١]

= ضَعيفٌ؛ لجَوازِ أَنْ يكونَ قَسَمًا كقوله: «حم لا يُنصَرُون»[٢].

وقُرِئَ: (طَهْ)[٣] على أنَّه أمرٌ للرَّسولِ بأَنْ يطَأَ الأرضَ بقدميهِ، فإنَّه كان يقومُ في تَهجُّدِه على إحدى رِجلَيْهِ[٤]، وأنَّ أَصلَهُ: طَأْ، فقُلِبَت همزَتُه هاءً، أَوْ قُلِبَت في (يطأ) ألفًا كقولِه:

لا هَـنَـــاكِ المَرْتَـــعُ[٥]

---

(١) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٩١)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٢)، و«البسيط» (١٤/ ٣٤٨). وعزاه الماوردي ليزيد بن مهلهل. ورواية عجزه عند الطبري:

لا بـــارِكَ اللهُ فـــي القـــومِ المَلاعِيـــنِ

قال الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٢٩): وأَثَرُ الصَّنعة ظَاهِرٌ لا يَخفى في البَيت.

وعزاه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ١١٤) إلى عقيل في قصة بينه وبين معاوية، والرواية فيه: «إن السفاهة قدماً...».

(٢) «حم لا ينصرون» كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق. كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٦)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ٦٩)، وأخرجه أبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢)، عن عن المهلب بن أبي صفرة، قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: «إن بيتم فليكن شعاركم: حم لا ينصرون».

(٣) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٧).

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «الكاف الشاف» (ص: ١٠٨) عن الربيع بن أنس مرسلًا، ورواه البزار في «مسنده» (٩٢٦) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦): رواه البزار وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر. وكيسان أبو عمر، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) قطعة من بيت للفرزدق وهو من جملة أبيات أنشدها لما عُزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق، وهو =

ثمَّ بُنِيَ عليه الأمرُ وضُمَّ إليه هاءُ السَّكتِ، وعلى هـذا يحتمِلُ أن يكونَ أَصلُ ﴿طه﴾: (طَأْهَا) والألِفُ مُبدلَةٌ مِن الهمزةِ والهاءُ كِنايةٌ عن الأرضِ، لكنْ يردُّ ذلك كِتْبَتُهُما[1] على صورةِ الحرفِ، وكذا التَّفسيرُ بـ: يا رجلُ، أو اكتفى بشَطْرَي الكَلِمتينِ وعبَّرَ عَنهُما باسمِهِما.

(٢) ـ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ خبرُ ﴿طه﴾ إنْ جعلتَهُ مُبتدأً على أنَّه مُؤوَّلٌ بالسُّورةِ أو القرآنِ، والقرآنُ فيه واقِعٌ موقِعَ العائدِ، وجوابٌ إنْ جعلتَهُ مُقسَمًا به، ومُنادًى له إنْ جعلتَهُ نِداءً، واستئنافٌ إنْ كانَتْ جملةً فِعليَّةً أو اسميَّةً بإضمارِ مُبتدأٍ، أو طائفةً من الحروفِ محكيَّةً.

والمعنى: ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لتَتْعَبَ بفَرْطِ تأسُّفِكَ على كُفرِ قُرَيشٍ إذ ما عليكَ إلَّا أَنْ تبلِّغَ، أو بكثرةِ الرِّياضةِ وكثرةِ التَّهجدِ والقيامِ على سَاقٍ، والشَّقاءُ شائِعٌ بمَعنى التَّعَبِ ومنه: (أَشْقَى مِن رائضِ المُهرِ)[2]،..........................

= في «ديوانه» (١/ ٤٠٨)، و«العين» (٤/ ٩٤)، و«الكتاب» (٣/ ٥٥٤)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ٧٥) و(٣/ ٦٢)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٠٩)، وتمامه في «العين» و«الديوان»:

ومَضَتْ لمسلمةَ الرِّكابُ مُوَدَّعاً ... فارْعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وصدره في غيرهما:

راحتْ بمَسْلَمةَ البغالُ عَشِيَّةً

الرواحُ: نقيضُ الغدو، لا هناكِ: دعاءٌ على الناقة؛ أي: لا هناك رعيُ هذا المرتع، فزارةُ حي من غطفان، يخاطب ناقته وقد رحل مسلمة بالبغال عشية، أي: ما مقامك هاهنا، فاقصدي بني فزارة ارعي مرعاها. قاله الطيبي.

(١) في نسخة الطبلاوي: «كتبتها».

(٢) أي: أتعبُ. وهو بهذا اللفظ في «الكشاف» (٥/ ٣٣٠)، وبلفظ: «أتعب من...» في «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٢٨١)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٤٨)، و«المستقصى =

و: (سيِّدُ القَومِ أَشقاهُم)[١]، ولعلَّهُ عدَلَ إليه للإشعارِ بأنَّه أُنزلَ عليه ليَسْعدَ.

وقيل: رَدٌّ وتَكذيبٌ للكَفرةِ، فإنَّهُم لَمَّا رَأَوا كثرةَ عِبادَتِه قالوا: إنَّكَ لَتشقَى بتركِ دينِنَا، وإنَّ القُرآنَ أُنزِلَ عليكَ لِتَشقَى به.

(٣) ـ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾: لكنْ تذكيرًا، وانتصابُها على الاستثناءِ المُنقطعِ، ولا يَجوزُ أَنْ يكونَ بَدلًا مِن محلِّ ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لاختلافِ الجِنسَيْنِ، ولا مفعولًا له لـ﴿أَنزَلْنَا﴾، فإنَّ الفعلَ الواحدَ لا يَتعدَّى إلى عِلَّتينِ.

وقيل: هو مَصدرٌ في مَوضِعِ الحالِ مِن الكافِ أو ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، أو مفعولٌ له على أنَّ ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ مُتعَلِّقٌ بمَحذوفٍ هو صِفَةُ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: ما أنزلنا عليكَ القُرآنَ المُنزَلَ لتتعبَ[٢] بتَبليغِهِ إلا تذكرةً.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: لِمَن في قلبِه خشيةٌ ورِقَّةٌ يتأثَّر بالإنذار، أو: لِمَن عَلِم اللهُ منه أنه يَخشى بالتخويفِ منه فإنه المنتفِعُ به.

(٤) ـ ﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ بإضمارِ فعلِه، أو بـ﴿يَخْشَىٰ﴾، أو على المدحِ، أو البدلِ مِن ﴿تَذْكِرَةً﴾ إن جُعِلَ حالًا، وإنْ جُعِلَ مَفعولًا له لفظًا أو معنًى فلا؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يُعلَّلُ بنَفسِه ولا بنوعِه.

﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ مع ما بعدَه إلى قولِه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾

= في الأمثال» (١/ ٣٥)، و«الكشاف» (٥/ ٣٣٠). قال الميداني: هذا كقولهم (لا يَعْدَمُ شَقِيٌّ مُهْراً) يعني: أن معالجة المِهارة شَقَاوة لما فيها من التعب.

(١) كذا أورده العسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٥٢١)، وقال: لأنه يمارس الشدائد دون عشيرته فيقاتل عن العاجز ويتكلم عن العي ويحمل عن الغارم ويتجافى عن الواجب له ويتبرع بما لا يلزمه.

(٢) بعدها في نسخة الخيالي: «أي باحتمال متاعب تبليغه ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام وغير ذلك».

تفخيـمٌ لشـأنِ المنزَلِ بغَـرَضِ[1] تَعظيـمِ المنـزِلِ بذكرِ أَفعالِـهِ وصفاتِه علـى التَّرتيبِ الـذي هـو عنـدَ العقـلِ، فبـدأ بخلـقِ الأرضِ والسَّـماواتِ التي هـي أصـولُ العالمِ، وقَـدَّمَ الأرضَ لأنَّهـا أقـربُ إلـى الحـسِّ وأظهَـرُ عندَه مِـن السَّـماواتِ العُلَـى، وهو جمـعُ العُلْيَا تأنيـثِ الأعلى.

ثمَّ أشارَ إلى وجهِ إحداثِ الكائناتِ وتدبيرِ أَمرِها بأَنْ قَصَدَ العَـرشَ فأَجْرَى منه الأحكامَ والتَّقاديرَ، وأنزلَ منه الأسبابَ على ترتيبٍ ومقاديرَ حَسْبَ ما اقتضَتْه حكمَتُه وتعلَّقَتْ به مَشيئَتُه، فقال:

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ليدلَّ بذلك على كمالِ قُدرتِه وإرادتِهِ.

ولَمَّا كانَت القدرةُ تابعةً للإرادةِ وهي لا تنفَكُّ عـن العلمِ عقَّبَ ذلك بإحاطةِ علمِهِ تَعالى بجليَّاتِ الأمورِ وخَفِيَّاتِها على سـواءٍ[2]، فـقال:

(٧) ـ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾؛ أي: وإِنْ تَجْهَر بذكرِ اللهِ ودُعائِه فاعلَمْ أَنَّهُ غَنِيٌّ عن جهرِكَ فإنَّه يعلَمُ السرَّ وأَخْفَى منه، وهو ضَميرُ النَّفسِ.

---

(١) في الخيالي: «يعرّض»، وفي نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «لغرض». وجاء في مطبوع البيضاوي مع كل من «حاشية شيخ زاده» (٥/ ٢٩٦)، و«حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١٢/ ٣١٣): «بعرض»، وعليه شرحوا، فقال شيخ زاده: «بعرض تعظيم المنزل»؛ أي: بإظهار ما يدل على تعظيمه، الجوهري: عرضت الشيء فأعرض؛ أي: أظهرته فظهر، وهو من النوادر.
وقال الشهاب: قوله: «بعرض» الظاهر أنه بضم فسكون بمعنى التعريض به على طريق الكناية كما في بعض الحواشي، والباء فيه للمصاحبة أو السببية، ومَن فسره بإظهار تعظيمه جعله بفتح العين وسكون الراء، والظاهر الأول.
ونحوه كلام القونوي لكنه قال: ولا يخفى أن الكناية هنا ليس بمناسب.

(٢) في نسخة الخيالي: «السواء».

وفيـه تنبيـهٌ على أنَّ شَـرْعَ الذِّكـرِ والدُّعاءِ والجهـرِ فيهما[١] ليسَ لإعـلامِ اللهِ، بل لتَصويـرِ النَّفـسِ بالذِّكـرِ[٢] ورُسـوخِهِ فيهـا، ومنعِهـا عن الاشـتغالِ بغَيـرِه، وهَضمِها بالتَّضـرُّعِ والجُؤارِ.

ثمَّ إنَّه لَمَّا ظهرَ بذلك أنَّه المستجمِعُ لصفاتِ الأُلوهيَّةِ بيَّـنَ أنَّه المتفرِّدُ بها والمتوحِّدُ بمُقتضاهَا فقال:

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

و(مِن) في ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ صِلَةٌ لـ﴿تَنزِيلٗا﴾ أو صِفَةٌ له، والانتقالُ مِن التَّكلُّمِ إلى الغَيبةِ للتَّفنُّنِ في الكلامِ، وتَفخيمِ المُنزَّلِ من وَجهينِ:

إسنادِ إنزالِه إلى ضَميرِ الواحدِ العَظيمِ الشَّأنِ.

ونسبتِه إلى المختصِّ بصفاتِ الجلالِ والإكرامِ.

والتَّنبيهِ[٣] على أنَّه واجِبٌ الإيمانُ به والانقيادُ له مِن حيثُ إنَّه كَلامُ مَن هذا شأنُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَنزَلۡنَا﴾ حكايةَ كلامِ جِبريلَ والملائكةِ النَّازلينَ معه.

وقُرِئَ: (الرحمنِ) بالجرِّ[٤] صِفَةً لِـ(مَن خلقَ) فيكونُ ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ خبرَ مَحذوفٍ، وكذا إن رفعَ (الرَّحمن) على المدحِ دونَ الابتداءِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ خبرًا ثانيًا.

و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: الطَّبقةُ التُّرابيَّةُ مِن الأرضِ وهي آخرُ طَبقاتِها.

---

(١) في نسخة الفاروقي والطبلاوي: «فيها».

(٢) قوله: «لتصوير النفس بالذكر»؛ أي: لإثبات صورته في النفس. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) قوله: «والتنبيه» عطف على «التفنُّن». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٩).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن جناح بن حبيش.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: تَأنيثُ الأحسنِ، وفضلُ أَسماءِ اللهِ تَعالى على سائرِ الأسماءِ في الحُسنِ لدلالَتِها على معانٍ هيَ أشرَفُ المعاني وأَفضَلُها.

(٩) ـ ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ قَفَّى تمهيدَ نُبوَّتِه بقصَّة موسى عليهِمَا السَّلامُ ليَأتمَّ به في تحمُّلِ أعباءِ النبوَّةِ وتبليغِ الرِّسالةِ، والصَّبرِ على مُقاساةِ الشَّدائِدِ، فإنَّ هذه السُّورةَ مِن أوائلِ ما نَزَل.

(١٠) ـ ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ ظرفٌ للحَديثِ لأنه حَدَثٌ، أو مَفعولٌ لـ: اذكر.

قيل: إنَّه استأذنَ شُعيبًا عليهِمَا السَّلامُ في الخُروجِ إلى أمِّه، وخرجَ بأهلِهِ، فلَمَّا وافى واديَ طُوًى وفيه الطُّورُ وُلِدَ له ابنٌ في ليلةٍ شاتيَةٍ مظلمَةٍ مُثلِجَةٍ، وكانَتْ ليلَةَ الجمعةِ، وقد أضَلَّ الطَّريقَ وتفرَّقَت ماشِيَتُه؛ إذ رأى مِن جانبِ الطُّورِ نارًا[١].

﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾: أَقيموا مَكانَكُم.

وقـرأ حمزةُ: ﴿لأهْلِـهُ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ هنا وفي القصـص [٢٩] بضمِّ الهـاءِ في الوَصل، والباقون بكسرِها[٢].

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾: أبصَرْتُهـا إبصـارًا لا شـبهةَ فيـه، وقيل: الإينـاسُ: إِبصارُ ما يؤنَـسُ به.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾: بشُعلَةٍ مِن النَّارِ، وقيل: جمرةٍ.

﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾: هاديًا يَدُلُّني على الطَّريقِ، أو يَهدِيْني أبوابَ الدِّينِ، فإنَّ أفكارَ الأبرارِ مائلةٌ إليها في كلِّ ما يَعِنُّ لهم، ولَمَّا كان حُصولُهُما مُترقَّبًا بنَى الأمرَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٢) عن مجاهد.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

فيهِمَا على الرَّجاءِ، بخلافِ الإيناسِ فإنَّهُ كانَ مُتحقِّقًا[١]، ولذلك حقَّقَهُ لهم بـ(إنَّ) ليوطِّنوا أنفُسَهُم عليه.

ومَعنى الاستعلاءِ في ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أنَّ أهلَها مُشرِفُونَ عليها، أو مُستَعْلُونَ المكانَ القريبَ مِنْها، كما قالَ سيبويه في (مررتُ بزَيْدٍ): إنَّه لُصوقٌ بمكانٍ يقربُ مِنه[٢].

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: أتى النَّارَ وجدَ نارًا بيضاءَ تتَّقِدُ في شجرةٍ خضراءَ.

﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ فتحَهُ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو[٣]؛ أي: بأنِّي، وكسرَهُ الباقونَ بإضمارِ القولِ، أو إجراءِ النِّداءِ مُجراه، وتكريرُ الضَّميرِ للتَّوكيدِ والتَّحقيقِ.

قيل: إنَّه لَمَّا نُودِيَ قال: مَن المُتكلِّمُ؟ قال: إنِّي أنا اللهُ، فوَسْوَسَ إليه إبليسُ: لعلَّكَ تسمَعُ كلامَ شَيطانٍ، فقال: أنا عَرفْتُ أنَّه كلامُ اللهِ فإنِّي أسمَعُهُ مِن جميعِ الجهاتِ وبجَميعِ الأَعضاءِ[٤].

وهو إشارةٌ إلى أنَّه عليهِ السَّلامُ تلقَّى مِن ربِّهِ كلامَه تَلَقِّيًا روحانيًّا، ثمَّ تمثَّلَ ذلك الكلامُ لبَدَنِه[٥] وانتقلَ إلى الحسِّ المُشترَكِ فانتقَشَ بهِ مِن غيرِ اختِصاصٍ بعُضوٍ وجِهَةٍ.

﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمرَهُ بذلك لأنَّ الحِفوةَ[٦] تَواضعٌ وأَدَبٌ، ولذلك طافَ السَّلفُ حافينَ[٧].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «محققًا».

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ٣٣٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٦/ ٢٥٤): في صحة الخبر خفاء، ولم أر له سنداً يعول عليه.

(٥) في نسخة التفتازاني: «ببدنه».

(٦) بكسر الحاء، وجوِّز ضمها. انظر: «حاشية الشهاب».

(٧) وهذا استحباب؛ قال النووي في «روضة الطالبين» (٣/ ١١٨): «يستحب للحاج دخول البيت حافيًا =

وقيل: لنَجاسةِ نَعْلَيه، فإنَّهما كانَتَا مِن جلدِ حِمارٍ غيرِ مَدبوغٍ[١].

وقيل: مَعناهُ: فَرِّغْ قلبَكَ مِن الأَهلِ والمالِ[٢].

﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ تعليلٌ للأمرِ باحترامِ البُقعةِ، و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ يَحتَمِلُ المَعنيين[٣].

﴿طُوًى﴾ عطفُ بيانٍ للوادي، ونوَّنَه ابنُ عامرٍ والكُوفيُّونَ[٤] بتأويلِ المكانِ.

وقيل: هو[٥] كـ(ثُنًى) مِن الطَّيِّ مَصدرٌ لـ﴿نُودِىَ﴾ أو ﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾؛ أي: نُودِيَ نِداءَينِ، أو: قُدِّسَ مَرَّتينِ.

= ما لم يؤذ أو يتأذ بزحام أو غيره»، وقد ثبت أن النبي ﷺ طاف راكباً، كما رواه البخاري (1612) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى على الركن أشار إليه).

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي (١٧٣٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «.. وكانت نعلاه من جلد حمار ميت»، وفي إسناده حميد بن علي الأعرج، قال عنه البخاري كما ذكر الترمذي: منكر الحديث.

ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩١٦) عن كعب الأحبار: أن رجلاً نزع نعليه، فقال: «لم خلعت نعليك؟ لعلك تأولت هذه الآية: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾»، قال: ثم قال كعب للرجل: (أتدري ما كانت نعلا موسى؟) ـ قال مالك: لا أدري ما أجابه الرجل ـ فقال كعب: (كانتا من جلد حمار ميت).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥١٠) عن أهل الإشارة.

(٣) قوله: «والمقدس يحتمل المعنيين»: هما الاحترامُ، والتخلِّي من النجاسة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

قال الجوهري في «الصحاح» (مادة: طوى): ((طوى) اسم موضع بالشام، تكسر طاؤه وتضم، يصرف ولا يصرف. فمَن صرفه جعله اسم وادٍ ومكانٍ وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله اسم بلدة وبقعة وجعله معرفة).

(٥) قوله: «هو»؛ أي: ﴿طُوًى﴾ بمعنى مرتين. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢).

(١٣) ـ ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: اصطفَيْتُكَ للنُّبوَّةِ، وقرأ حمزةُ: ﴿وإنَّا اخْتَرْناكَ﴾[1].

﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: للَّذي يُوحَى إليكَ، أو: للوَحيِ، واللامُ تحتَمِلُ التَّعلُّقَ بكُلٍّ مِن الفِعْلَينِ.

(١٤) ـ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ بدلٌ من (ما يُوحى) دالٌّ على أنَّه مقصورٌ على تَقريرِ التَّوحيدِ الذي هو مُنتهَى العلمِ، والأمرِ بالعبادةِ التي هي كمالُ العَمَلِ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ خصَّهَا بالذِّكرِ وأَفْرَدَها بالأَمرِ للعِلَّةِ التي أناطَ بها إقامَتَها، وهو تذكُّرُ المَعبودِ وشَغلُ القلبِ واللِّسانِ بذكرِه.

وقيل: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾: لأنِّي ذكَرْتُها في الكتبِ وأمرتُ بها، أو: لأنْ أَذكرَكَ[2] بالثَّناءِ، أو: لذِكْرِي خاصةً لا تُرائي بها ولا تَشوبُها بذكرِ غيرِي.

وقيل: لأوقاتِ ذكرِي، وهي مَواقيتُ الصَّلاةِ.

أو: لذكرِ صَلاتِي، لِمَا رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ قال: «مَن نامَ عَن صلاةٍ أو نَسِيَها فليقضِها إذا ذكرَهَا، إنَّ اللهَ تَعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾»[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) في نسخة الخيالي: «أُذْكَر».

(٣) رواه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤)، من حديث أنس، ومسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما.

ولم يرتض الزمخشري هذا القول؛ لأنه كما قال: كان حقَّ العبَارة أن يُقالَ: لِذِكْرها؛ كما قال رَسُول الله ﷺ: «إذا ذكرها». يريد: أن حمل ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ على ذكر الصلاة بعد نسيانها غير صحيح؛ لأنه لو أريد ذلك لقيل: أقم الصلاة لذكرها.

ثم قال: ومَن يَتمحَّلْ له يقول: إذا ذَكر الصلاةَ فقَد ذكَر الله، أو بتقدير حَذفِ المضاف؛ أي: لِذكر صَلاتي، أو لأنَّ الذِّكر والنسيَان من الله عزَّ وجلَّ في الحقيقة.

وتعقبه الجاربردي بأن ما رده هو الصواب، قال: والحق أن هذا التفسير تفسير صحيح لا يجوز رده =

(١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: كائنةٌ لا محالةَ ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: أريدُ إخفاءَ وَقتِها، أو: أقرُبُ أَنْ أُخفِيَها فلا أقولَ: إنَّها آتِيَةٌ، ولَوْلا ما في الإخبارِ بإتيانِها مِن اللُّطفِ وقطعِ الأَعذارِ لَمَا أخبرتُ بهِ.

أو: أكادُ أظهرُهـا، مِـن أَخفـاهُ: إذا سـلبَ خفاءَهُ، ويُؤيِّـدُه القـراءةُ بالفَتحِ[١] مِن خَفـاهُ: إذا أظهرَهُ.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، أو بـ﴿أُخْفِيهَا﴾ على المَعنى الأَخيرِ[٢].

(١٦) ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: عَن تَصديقِ السَّاعةِ، أو عن الصَّلاةِ ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نَهى الكافرَ أن يصدَّ مُوسى عَنْها والمرادُ نَهيُهُ أن ينصدَّ عَنْها؛ كقولِه: (لا أَرَيَنَّكَ هاهنا) تنبيهًا على أنَّ فِطرتَهُ السَّليمةَ لو خُلِّيت بحالِها اختارَها ولم يُعرِضْ عنها، وأنَّه يَنبَغِي أن يكونَ راسخًا في دينِهِ، فإنَّ صدَّ الكافرِ إنَّما يكونُ بسببِ ضعفِهِ فيه.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: ميلَ نفسِهِ إلى اللَّذاتِ المحسوسةِ المُخْدَجةِ، فقصَرَ نظرَهُ عَن غيرِها. ﴿فَتَرْدَىٰ﴾: فتَهْلِكَ بالانصدادِ بصدِّهِ.

= ولا الطعن فيه ولا استبعاده، فإنه ثبت وصح نقل هذا التفسير عن رسول الله ﷺ.

قلت: يشير إلى حديث أنس وأبي هريرة المتقدمين.

ثم قال: إذا ثبت بالحديث الصحيح هذا التفسير فكيف يجوز رده بمجرد الاحتياج إلى الحذف أو غير ذلك مما ذكره، فإن الوجوه الثلاثة التي ذكرها في غاية الحسن، والعجب منه أنه جعلها من التمحل. انظر: «حاشية الجاربردي» (ج٢/ و١٢٠ب).

(١) أي: (أَخفِيها)، نسبت لأبي الدرداء وسعيد بن جبير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٠٢)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، و«المحتسب» (٢/ ٤٧).

(٢) قال الشهاب الخفاجي: قوله: على المعنى الأخير لأنه يصير المعنى أظهرها لأجل الجزاء، وهو صحيح بخلاف أخفيها وأسترها لأجل الجزاء فإنه لا وجه له. انظر: «حاشية الشهاب».

(١٧) ـ ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ استفهامٌ يَتضمَّنَ استيقاظًا لِمَا يُريهِ فيها مِن العَجائبِ.

﴿بِيَمِينِكَ﴾ حالٌ مِن مَعنى الإشارةِ، وقيل: صِلَةُ ﴿تِلْكَ﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ تكريرٌ لزيادةِ الاستئناسِ والتَّنبيهِ.

(١٨) ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وقُرِئَ: (عَصَيَّ)[١] على لغةِ هُذَيلٍ.

﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾: أعتمدُ عليها إذا أعييتُ، أو وقفتُ على رأسِ القَطيعِ.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾: وأخبطُ الورقَ بها على رؤوسِ غنمِي.

وقُرِئَ: (أَهِشُّ)[٢]، وكلاهُما مِن هشَّ الخبزُ يَهِشُّ: إذا انكسرَ لهشاشتِه.

وقُرِئَ بالسِّينِ من الهسِّ[٣]، وهو زجرُ الغنمِ؛ أي: أُنْحِي عليهَا زاجِرًا لها.

﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾: حاجاتٌ أُخَرُ، مثل: أن كان إذا سارَ ألقاها على عاتقِهِ فعلَّقَ بها أدواتِه، وعرضَ الزَّندَيْنِ[٤] على شُعْبَتَيْها، وألقى عليها الكساءَ

---

(١) نسبت لابن أبي إسحاق. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠).

(٢) نسبت للنخعي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، و«المحتسب» (٢/ ٥٠)، و«الكشاف» (٥/ ٣٤٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤١)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣٥).
وقد قيدها ابن خالويه بضم الهمزة وكسر الهاء، ونقل ذلك عنه أبو حيان، ونقله عن الزمخشري أيضاً، وكذا ضبطت في نسخ «الكشاف»، وضبطناها: (أَهِش) بفتح الهمزة وكسر الهاء، لأنه هو المراد هاهنا على ما سيأتي من شرح المؤلف، وعليه شرح الطيبي والجاربردي، وكذا نقل أبو حيان عن أبي الفضل الرازي وابن عطية، وهو الظاهر من كلام ابن جني في شرحه للقراءة. وقد فصلنا القول فيها في تحقيق «الكشاف»، وانظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ١٥٢)، و«حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و١٢١ب).

(٣) نسبت لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، و«المحتسب» (٢/ ٥٠).

(٤) الزَّنْد والزِّناد: هو الذي يُقْدَح منه النّارُ، وهو العُودُ الأعْلى، فأما العُودُ الأسْفَل الذي فيه الفَرْضُ فالزَّنْدَةُ، فإذا اجتمعا قيل: زَنْدانِ، ولم يُقل زَنْدتانِ. انظر: «المنجد في اللغة» (ص: ٤٦)، و«الصحاح» (مادة: زند).

واستَظلَّ به، وإذا قَصُرَ الرِّشاءُ[1] وصلَه بها، وإذا تعرَّضَت السِّباعُ لغنمِه قاتلَ بها.

وكأنَّه عليهِ السَّلامُ فهم أنَّ المقصودَ مِن السُّؤالِ أن يتذكَّرَ حقيقتَها أو ما[2] يرى من مَنافِعِها، حتَّى إذا رآها بعدَ ذلك على خلافِ تلكَ الحَقيقةِ، ووجدَ مِنْها خصائصَ أُخْرَى خارقةً للعادةِ مثل: أن تشتعلَ شُعبتاها بالليلِ كالشَّمعِ، وتَصِيرانِ دلواً عند الاستقاءِ، وتطولَ بطولِ البئرِ، وتحاربَ عنه إذا ظهرَ عدوٌّ، وينبعَ الماءُ بركزِهَا ويَنْضَبَ بنزعِها، وتُورقَ وتُثمِرَ إذا اشتَهى ثمرةً فركزَهَا= عَلِمَ أنَّ ذلكَ آياتٌ باهِرَةٌ ومُعجِزاتٌ قاهرةٌ أحدثَها اللهُ فيها لأجلِهِ وليسَتْ مِن خواصِّها، فذكرَ حقيقتَها ومنافِعَها مُفصَّلًا ومُجمَلًا على معنى أنَّها مِن جنسِ العَصا تنفعُ مَنافِعَ أمثالِها؛ ليطابقَ جوابُهُ الغرضُ الذي فَهِمَه.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قيل: لَمَّا أَلقاهَا انقلبَتْ حيَّةً صفراءَ بغلظِ العصا، ثم تورَّمت وعَظُمَت، فلذلكَ سمَّاها جانًّا تارةً نظرًا إلى المبدأِ[3]، وثُعبانًا مَرَّةً باعتبارِ المنتهى، وحيَّةً أُخرى بالاسمِ الذي يعمُّ الحالينِ.

وقيل: كانَت في ضَخامةِ الثُّعبانِ وجلادة الجانِّ، ولذلك قال: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠].

(٢١) ـ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فإنَّه لمَّا رآها حيَّةً تُسرِعُ وتَبتَلِعُ الحجرَ والشَّجرَ خافَ وهربَ مِنْها.

---

(١) الرشاء: حبل الدلو. والجمع: أرشية. انظر: «المغرب» (مادة: رشو).

(٢) في نسخة الفاروقي: «وما».

(٣) الجان: الصغير من الحيات، جمعه: جنان. انظر: «الغريبين» (مادة: جنن)، و«المحكم» (٢/ ٩٦)، و«التيسير في التفسير» (١٠/ ٢٧٣).

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: هيئتَها وحالتَها المتقدِّمَةَ، وهي فِعْلةٌ مِن السَّيرِ تُجوِّزُ بها للطريقَةِ والهيئَةِ، وانتِصَابُها على نزعِ الخافضِ، أو على أنَّ (أعادَ) مَنقولٌ مِن (عادَهُ) بمَعنى: عادَ إليه، أو على الظَّرفِ؛ أي: سنُعِيدُها في طريقَتِها، أو على تَقديرِ فعلِها؛ أي: سنعيدُ العَصَا بعدَ ذَهابِها تسيرُ سيرَتَها الأولى فتَنتَفِعُ بها ما كنتَ تَنتَفِعُه قبلُ.

قيل: لَمَّا قال له ربُّهُ ذلك اطمأنَّت نفسُهُ حتَّى أدخلَ يدَهُ في فَمِها وأخذَ بلَحيِها[1].

(٢٢) ـ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: إلى جنبِكَ تحتَ العَضُدِ، يقال: لكلِّ ناحِيتَينِ جناحانِ كجَناحَي العسكرِ استعارةً مِن جناحَي الطَّائرِ، سُمِّيَا بذلك لأنَّه يُجْنِحُهما عندَ الطَّيرانِ.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ كأنَّها مُشِعَّةٌ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: مِن غيرِ عابةٍ وقبحٍ، كُنيَ به عن البَرَصِ كما كُنيَ بالسَّوأةِ عَن العورةِ لأنَّ الطِّباعَ تَعافُه وتنفِرُ عنه.

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾: مُعجِزَةً ثانيةً، وهي حالٌ مِن ضَميرِ ﴿تَخْرُجْ﴾ كـ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو مِن ضَميرِهَا، أو مَفعولٌ بإضمارِ (خُذ) أو (دونَك).

(٢٣) ـ ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ مُتعلِّقٌ بهذا المضمرِ، أو بما دلَّ عليه ﴿ءَايَةً﴾، أو القصَّة؛ أي: دلَلْنا بها ـ أو: فعَلْنَا ذلك ـ لنُرِيكَ.

و﴿ٱلْكُبْرَى﴾ صِفَةُ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾، أو مفعولُ ﴿نريك﴾ و﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ حالٌ مِنْها.

(٢٤) ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بهاتينِ الآيتينِ وادعُه إلى العِبادةِ ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: عَصَى وتكبَّرَ.

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ لمَّا أمرَهُ اللهُ بخَطْبٍ عَظيمٍ وأمرٍ جسيمٍ سألَهُ أن يشرحَ صدرَهُ ويَفسحَ قلبَه لتحمُّلِ أعبائِهِ والصَّبرِ

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «لحيها».

علـى مشـاقِّهِ والتَّلَقِّـي لِمَـا ينـزلُ عليـه، ويسـهِّلَ الأمـرَ عليـه، بإحـداثِ الأَسـبابِ ورفـعِ الموانعِ.

وفائدةُ ﴿لِيٓ﴾ إبهامُ المشروحِ والميسَّرِ أَوَّلًا ثمَّ رفعُهُ بذكرِ الصَّدرِ والأمرِ تأكيدًا ومُبالغةً.

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ فإنَّمـا يحسُـنُ التَّبليـغُ مِـن البليـغِ، وكانَ فـي لسـانِه رُتَّـةٌ مِن جمـرةٍ أدخلَهَا فـاهُ، وذلـك أنَّ فِرعونَ حملَـهُ يومًا فأخـذَ لِحيتَـهُ ونتفَها، فغَضِـبَ فرعونُ وأمـرَ بقتلِه، فقالَت آسـيةُ: إنَّه صَبِـيٌّ لا يفرِّقُ بيـن الجمـرِ والياقـوتِ، فأُحضِـرَا بيـنَ يديـه فأخـذَ الجمـرةَ ووضَعَهـا فـي فيـه[1]، ولعـلَّ تبييـضَ يـدِهِ كانَ لذلك.

وقيل: احترقَتْ يدُهُ واجتهدَ فرعونُ في عِلاجِها فلَمْ تَبْرَأ، ثمَّ لَمَّا دعاهُ قال: إلى أيِّ رَبٍّ تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرَأَ يَدِي وقد عَجَزْتَ عنه[2].

واختُلفَ في زوالِ العقدةِ بكَمالِها:

فمَن قالَ به تمسَّكَ بقولِه: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ [طه: ٣٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، وروى نحو هذه القصة الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣ ـ ٥٤) عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج والسدي، وورد معناها فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أنها قالت: اجعلْ بيني وبينك أمرًا يُعْرَفُ فيه الحقُّ، ائْتِ بجمرتين ولؤلؤتين فقَرِّبْهنَّ إليه، فإنْ بَطَش باللُّؤلؤ واجْتَنَب الجمرتين عَرَفْتَ أنه يَعْقِلُ، وإنْ تناول الجمرتين ولمْ يُرِدِ اللُّؤلؤتين عَلمتَ أنَّ أحدًا لا يُؤْثِرُ الجمرتين على اللُّؤلؤتين وهو يَعقلُ، فقَرَّب ذلك إليه فأخذ الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩): وهذا يدل على أنه لم يرفعهما إلى فيه. وهو أصح ما ورد في ذلك.

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٥٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ١٩٢) دون نسبة.

ومَن لم يَقُل احتجَّ بقولِه: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] وقولِه: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وأجابَ عن الأوَّلِ بأنه لم يَسأَلْ حلَّ عقدةِ لِسانِه مطلقًا، بل عقدةً تمنعُ الإفهامَ، ولذلك نكَّرَها وجعلَ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ جوابَ الأمرِ.

و﴿مِّن لِّسَانِي﴾ يحتمِلُ أن يكونَ صِفَةَ ﴿عُقْدَةً﴾ وأن يكونَ صِلَةَ (احْلُلْ).

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي﴾ يُعينُني على ما كلَّفْتَني به.

واشتقاقُ الوَزيرِ إمَّا من الوِزرِ لأنَّه يحملُ الثِّقْلَ عَن أميرِه، أو مِن الوَزَر وهو الملجأُ لأنَّ الأميرَ يَعتَصِمُ برَأيِهِ ويَلجَأُ[1] إليه في أُمورِه، ومنه: المُؤازرةُ.

وقيل: أصلُه: أَزِيرٌ، مِن الأزرِ بمَعنى القُوَّةِ، فَعِيلٌ بمَعنى مُفاعلٍ كالعَشيرِ والجَلِيسِ، قُلِبَت همزَتُها كقَلبِها في مُوَازِرٍ.

ومَفعولا (اجعل): ﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَارُونَ﴾ قُدِّمَ ثانيهِمَا للعنايةِ به، و﴿لِّي﴾ صِلَةٌ أو حالٌ.

أو: ﴿لِّي وَزِيرًا﴾ و﴿هَارُونَ﴾ عطفُ بيانٍ للوزيرِ.

أو: ﴿وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ و﴿لِّي﴾ تبيينٌ كقولِه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

و﴿أَخِي﴾ على الوجوهِ بدلٌ مِن ﴿هَارُونَ﴾، أو مبتدأٌ خبرُه:

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ على لفظِ الأمرِ. وقرأَهُما ابنُ عامرٍ بلفظِ الخبرِ على أنَّهما جوابُ الأمرِ[2].

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فإنَّ التَّعاوُنَ يُهيِّجُ الرَّغباتِ، ويؤدِّي إلى تكاثُرِ الخيرِ وتزايُدِه.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «ويلتجئ».

(٢) أي: ﴿أَشْدُدْ﴾ و﴿أُشْرِكْه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣٥) ـ ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالِمًا بأحوالِنا، وأنَّ التَّعاوُنَ ممَّا يُصلِحُنا، وأنَّ هارونَ نِعْمَ المعينُ لي فيما أمرتَنِي به.

(٣٦) ـ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: مَسؤولَكَ، فُعْلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كالخُبْزِ والأُكْلِ بمَعنى المَخبوز والمأكولِ.

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾: أنعَمْنا عليكَ في وقتٍ آخَرَ.

(٣٨) ـ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ بإلهامٍ أو في منامٍ، أو على لسانِ نبيٍّ في وَقتِها، أو ملَكٍ، لا على وجهِ النبوَّةِ، كما أُوحي إلى مريمَ.

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ما لا يُعلمُ إلا بالوحيِ، أو: ممَّا ينبَغِي أَنْ يُوحَى ولا يُخَلَّ به؛ لعظمِ شأنِه وفرطِ الاهتمامِ به.

(٣٩) ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾: بأنِ اقذفِيه، أو: أي اقذفيهِ؛ لأنَّ الوحيَ بمَعنى القولِ ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ والقذفُ يقال للإلقاءِ وللوضعِ؛ كقولِه تَعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وكذلك الرَّميُ كقولِه:

غُلامٌ رماهُ الله بالحُسن يَافِعاً[١]

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ لَمَّا كانَ إلقاءُ البَحرِ إيَّاه إلى السَّاحلِ[٢] أمرًا واجبَ الحُصولِ

---

(١) صدر بيت لأسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة الفزاري حين قاسمه ماله. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ٢٢)، و«المقصور والممدود» لابن ولَّاد (ص: ٦٢)، و«الصحاح» (مادة: سوم)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٤/ ١٠٢٨)، و«اللسان» (مادة: سوم). وهو دون نسبة في «عيون الأخبار» (٤/ ٢٧)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٣٧)، و«ديوان المعاني» (١/ ٢٣). وعجزه:

لَـهُ سِـيمِياءٌ لا تَشُـقُّ علـى البَصَـرْ

السيمياء: العلامة. قاله الطيبي.

(٢) في نسخة الخيالي: «على الساحل».

لتَعلُّقِ الإرادةِ به، جُعِلَ البَحرُ كأنَّه ذو تَمييزٍ مُطيعٌ أمرَهُ بذلك، وأُخرجَ الجوابُ مُخرجَ الأمرِ، والأَوْلَى أن تُجْعَلَ الضَّمائرُ كلُّها لِمُوسى مراعاةً للنَّظمِ، والمَقذوفُ في البحرِ والمُلقيُّ إلى السَّاحلِ وإن كانَ التَّابوتَ بالذَّاتِ فموسى بالعَرَضِ.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ جوابُ ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾، وتكريرُ ﴿عَدُوٌّ﴾ للمُبالغَةِ، ولأنَّ الأوَّلَ باعتبارِ الواقعِ والثَّاني باعتبارِ المتوقَّعِ.

قيل: إنَّها جَعَلَت في التَّابوتِ قُطنًا ووَضَعَتْهُ فيه، ثمَّ قَيَّرَتْهُ وأَلْقَتْهُ في اليَمِّ، وكانَ يَشْرَعُ منه إلى بُستانِ فِرعونَ نهرٌ، فدفعَهُ الماءُ إليه فأدَّاهُ إلى بِركةٍ في البستانِ، وكان فرعونُ جالسًا على رأسِها مع امرأتِه آسيةَ بنتِ مُزاحمٍ، فأَمَرَ بِهِ فأُخرِجَ ففُتِحَ، فإذا[1] صبيٌّ أصبَحُ النَّاسِ وَجْهًا، فأحبَّهُ حُبًّا شَديدًا كما قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]؛ أي: محبَّةً كائنةً مني قَدْ زَرَعْتُها في القُلوبِ بحيثُ لا يكادُ يصبرُ عنكَ مَن رآكَ فلذلك أحبَّكَ فِرعونُ.

ويجوزُ أَنْ يتعلَّقَ ﴿مِّنِّى﴾ بـ﴿ألقيتُ﴾؛ أي: أحبَبْتُكَ، ومَن أحبَّهُ اللهُ أحبَّتْهُ القُلوبُ.

وظاهرُ اللفظِ: أنَّ اليَمَّ ألقاهُ بساحلِه ـ وهو شاطِئُه لأنَّ الماءَ يسحلُه ـ فالتُقِطَ منه، لكنْ لا يَبعُدُ أَنْ يؤوَّلَ السَّاحلُ بجنبِ[2] فوَّهةِ نَهرِه.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: ولتُربَّى ويُحسَنَ إليك وأنا راعيكَ وراقِبُكَ، والعطفُ على عِلَّةٍ مُضمَرَةٍ مثل: ليُتعطَّفَ عليك، أو على الجملةِ السَّابقَةِ بإضمارِ فعلٍ مُعلَّلٍ مثل: فعلتُ ذلك[3].

---

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «فإذا هو».

(٢) في نسخة الخيالي والفاروقي: «بحيث». وكتب فوقها في نسخة الفاروقي: «مكان» وضبطت الكلمة التي بعدها ـ وهي «فوهة» ـ فيها بالرفع.

(٣) أي: «ولتصنع فعلت ذلك».

وقُرِئَ: ﴿ولتُصْنَعْ﴾ بكسرِ اللامِ وسُكونِها والجزمِ على أنَّه أمرٌ[1].

و: (ولِتَصْنَعَ) بالنَّصبِ وفتحِ التَّاءِ[2]؛ أي: وليكونَ عَملُكَ على عينٍ مِنِّي لئلَّا تُخالِفَ بهِ عَن أَمْرِي.

(٤٠) ـ ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ ظرفٌ لـ(ألقيتُ) أو لـ(تُصْنَعَ)، أو بدلٌ مِن ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ على أنَّ المرادَ بها وقتٌ مُتَّسعٌ.

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وذلك أنَّه كان لا يَقبلُ ثديَ المراضعِ، فجاءَتْ أختُه مَريمُ مُتفحِّصةً خبرَهُ، فصادَفَتْهُم يطلبونَ له مُرضِعَةً يقبلُ ثديَها، فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ فجاءَتْ بأمِّه فقَبِلَ ثديَها.

﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ وفاءً بقَوْلِنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائِكَ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ هي بفراقِكَ، أو أنتَ[3] على فراقِها وفَقْدِ إشفاقِها.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: نفسَ القِبْطيِّ الذي استغاثَهُ عليه الإسرائيليُّ.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: غَمِّ قتلِهِ خوفًا مِن عقابِ اللهِ أو قصاصِ[4] فِرعونَ، بالمغفرةِ والأمنِ مِنْه بالهجرةِ إلى مدينَ.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: وابتليناكَ ابتلاءً، أو: أنواعًا مِن الابتلاءِ، على أنَّه جمعُ فَتْنٍ،

---

(١) قرأ بسكون اللام والجزم أبو جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٠). والقراءة بكسر اللام والجزم ذكرها أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٥٢) عن أبي جعفر أيضاً. والزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٥٩) دون نسبة.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٥١) عن أبي نهيك.

(٣) في نسخة الخيالي: «وأنت».

(٤) في نسخة الخيالي والفاروق: «واقتصاص». وفي نسخة الطبلاوي: «وقصاص».

أو فِتْنـةٍ علـى تـركِ الاعتدادِ بالتَّـاءِ كحُجُـوزٍ وبُدُورٍ فـي حُجـزَةٍ وبَـدْرَةٍ، فخلَّصْناكَ مرَّةً بعـدَ أخرى.

وهـو إجمـالٌ لِمَـا نالَهُ في سـفرِه: مِن الهجـرةِ عَن الوطـنِ، ومفارقـةِ الأُلَّافِ، والمشـيِ راجِـلًا علـى حـذرٍ، وفقدِ الـزَّادِ، وأجرِ نفسِـهِ، إلى غيـرِ ذلكَ، أو لـه ولِمَا سـبقَ ذكرُه[١].

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: لبثتَ فيهِمْ عشرَ سِنينَ قضاءً لأَوْفَى الأَجَلينِ.

ومَدينُ على ثماني مَراحِلَ مِن مصرَ.

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ قدَّرْتُه لأَنْ أُكَلِّمَكَ وأَستَنْبِئَكَ، غيرَ مُستقدِمٍ وقتَه المُعيَّنَ ولا مُستأخِرٍ، أو: على مِقدارٍ مِن السنِّ[٢] يوحَى فيه إلى الأَنبياءِ.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ كرَّره عقيبَ ما هو غايةُ الحكايةِ للتَّنبيهِ على ذلك.

(٤١) ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾: واصطفيتُكَ لِمَحبَّتي، مَثَّله فيما خوَّلَه مِن الكرامةِ بمَنْ قرَّبَه المَلِكُ واستخلَصَه لنَفسِه.

(٤٢) ـ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾: بمُعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: ولا تَفْتُرا ولا تُقصِّرا، وقُرِئَ: (تِنِيَا) بكسرِ التَّاءِ[٣].

﴿فِى ذِكْرِى﴾: لا تَنْسيَاني حيثُمَا تَقَلَّبتُمَا.

---

(١) قولـه: «لـه...» معطـوف علـى «لمـا نالـه»؛ أي: هـو إجمـال لما ناله فـي سـفره، أو له ولغيـره مما سـبق ذكره.

(٢) بعدها في نسخة التفتازاني: «فيما».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، وسقط اسم القارئ من مطبوعه، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (١٥/ ٦٠) إلى ابن وثاب، وهي في «الكشاف» (٥/ ٣٦٢) بلا نسبة.

وقيل: في تَبليغِ ذِكرِي[1] والدُّعاءِ إليَّ.

(٤٣) ـ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أَمَرَ بـه أوَّلًا مُوسى وحـدَهُ، وهاهنا إيَّاه وأخاه، فلا تكرير، قيل: أوحى إلى هارونَ أَنْ يتلقَّى مُوسَى، وقيل: سمعَ بمُقْبَلِه فاستقبلَه.

(٤٤) ـ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ مثل: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨] فإنَّه دعوةٌ في صورةِ عَرْضٍ ومَشورةٍ؛ حذرًا أنْ تحملَهُ الحماقةُ على أنْ يَسطُوَ عليكُما، أو احترامًا لِمَا له مِنْ حقِّ التَّربيَةِ عليك[2].

وقيل: كَنِّيَاهُ[3]، وكان له ثلاثُ كُنًى: أبو العبَّاسِ، وأبو الوليدِ، وأبو مرَّة[4].

وقيل: عِدَاه شبابًا لا يَهْرَمُ بعدَه، وملكًا لا يزولُ إلَّا بالمَوتِ[5].

---

(١) بعدها في نسخة التفتازاني: «ودعائي».

(٢) قوله: «حذراً... أو احتراماً» الأولى من هاتين العلتين أن يقال: إن القول اللين هو الأجدر بقبول كلام الداعي كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. أما التعليل بالحذر من حماقته فهو منقوض بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ الآية [طه: ٤٦]، وأما التعليل بالاحترام لحق التربية فمنقوض بقول موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] جواباً لقول فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٤) عن السدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣) عن علي وسفيان.

(٤) هي أقوال في كنيته ذكرها الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٠٩)، وزاد ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٦٠) نقلاً عن أبي سليمان الدمشقي كنية رابعة، وهي: أبو مصعب.

(٥) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٠٠) عن السدي، وكذا رواه عنه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٧). وفيه نظر إذ هو مخالف لسنة الخلق وقواعد الإيمان والدعوة، فكيف يتصور أن يدعو موسى فرعون إلى الإيمان بالله على أساس هذه المرغبات، فمن ذا الذي يعطى الشباب بلا هرم والصحة بلا سقم؟! وأي إيمان هذا الذي بني على زهرة الحياة الدنيا التي هي فتنة للكفار =

﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿ٱذْهَبَآ﴾ أو ﴿قولا﴾؛ أي: باشِرَا الأمرَ على رَجائِكُما وطَمعِكُمَا أنه يُثمِرُ ولا يخيبُ سعيُكُما، فإنَّ الرَّاجيَ مُجتَهِدٌ والآيسَ مُتكلِّفٌ.

والفائدةُ في إرسالِهما والمبالغةِ عليهما في الاجتهادِ مع علمِهِ بأنَّه لا يؤمنُ: إلزامُ الحُجَّةِ، وقَطعُ المعذرةِ، وإظهارُ ما حدثَ في تَضاعيفِ ذلك مِن الآياتِ.

والتَّذكُّرُ للمُتحقِّقِ والخشيةُ للمُتوهَّمِ، ولذلك قدَّمَ الأوَّلَ؛ أي: إن لَمْ يَتحقَّقْ صِدقَكُما ولم يَتذكَّرْ فلا أَقلَّ أَنْ يَتوهَّمَه فيَخشَى.

(٤٥) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: أن يعجلَ علينا بالعُقوبةِ ولا يصبرَ إلى تمامِ[1] الدَّعوةِ وإظهارِ المعجزةِ، مِن فَرَطَ: إذا تقدَّمَ، ومِنه: الفارِطُ، وفرسٌ فُرُطٌ: يسبِقُ الخيلَ.

وقُرِئَ: (يُفْرَطَ)[2] مِن أَفْرَطْتُه: إذا حمَلْتَه على العجلةِ؛ أي: نخافُ أن يحملَهُ حامِلٌ من استكبارٍ أو خوفٍ على الملكِ أو شيطانٍ إنسيٍّ أو جِنيٍّ على المعاجلةِ بالعقابِ.

و: (يُفْرِطَ)[3] من الإفراطِ في الأَذِيَّةِ.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: أن يزدادَ طُغيانًا فيَتخطَّى إلى أَنْ يقولَ فيك ما لا يَنبَغِي لجُرأَتِه وقَساوَتِه، وإطلاقُه مِن حُسنِ الأَدبِ[4].

= وليست طريقاً للإيمان بالله سبحانه؟ كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فأي ميزة لفرعون حتى يكون ما جعل لغيره فتنة سبيلاً له للإيمان؟

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «إتمام».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن ابن مسعود وأناس من أصحاب النبي ﷺ ويحيى والأعمش وسلام وأبي نوفل، و«المحتسب» (٢/ ٥٢) عن ابن محيصن.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن ابن محيصن.

(٤) حيث لم يقيد بقوله: «عليك» كما قيد بقوله: ﴿عَلَيْنَآ﴾. انظر: «حاشية القونوي» (١٢/ ٣٥٥).

(٤٦) ـ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي﴾ في كلِّ حالٍ ﴿مَعَكُمَا﴾ بالحفظِ والنُّصرةِ ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ما يجري بينكُما وبينَه مِن قَولٍ وفعلٍ، فأُحدِثُ في كلِّ حالٍ ما يَصرِفُ شرَّهُ عنكما ويُوجِبُ نُصرَتِي لكما.

ويجوزُ أَنْ لا يُقدَّرَ شَيءٌ على معنى: إنَّني حافِظُكُما سامِعًا مُبصِرًا، والحافظُ إذا كانَ قادرًا سميعًا بصيرًا تمَّ الحِفظُ.

(٤٧) ـ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أطلِقْهُم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالتَّكاليفِ الصَّعبةِ وقتلِ الولدانِ، فإنَّهُم كانوا في أَيدِي القِبْطِ يَستخدِمونَهُم ويُتعبونَهُم في العَملِ، ويقتلونَ ذكورَ أولادِهم في عامٍ دونَ عامٍ.

وتَعقيبُ الإتيانِ بذلك دليلٌ على أنَّ تخليصَ المؤمنينَ مِن الكفرةِ أهمُّ مِن دَعوتِهِم إلى الإيمانِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ للتَّدريجِ في الدَّعوةِ.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جملةٌ مُقرِّرةٌ لِمَا تَضمَّنَه الكلامُ السَّابقُ مِن دَعوى الرِّسالةِ، وإنَّما وحَّدَ الآيةَ ـ وكان معَه آيتانِ ـ لأنَّ المرادَ إثباتُ الدَّعوى ببُرهانِها، لا الإشارةُ إلى وحدةِ الحُجَّةِ وتَعدُّدِها، وكذلك قولُه: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠].

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾: وسلامُ الملائكةِ وخَزنةِ الجنَّةِ على المُهتدِينَ، أو: السَّلامةُ في الدَّارينِ لهم.

(٤٨) ـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أنَّ عذابَ

المـشركـينَ على المكذِّبينَ(1) للرُّسلِ، ولعلَّ تغييرَ النَّظمِ والتَّصريحَ بالوَعيدِ والتَّوكيدَ فيه لأنَّ التَّهديدَ في أوَّلِ الأمرِ أهمُّ وأنجَعُ وبالواقعِ أليَقُ.

(٤٩) ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: بعدَمَا أَتَيَاه وقالا لَه ما أُمِرَا به، ولعلَّه حُذِفَ لدَلالَةِ الحالِ، فإنَّ المُطيعَ إذا أُمرَ بشَيءٍ فعلَهُ لا محالةَ.

وإنَّما خاطبَ الاثنينِ وخَصَّ مُوسَى بالنداء لأنَّه الأصلُ وهارونُ وزيرُه وتابعُه، أو لأنَّه عَرَفَ أنَّ له رُتَّةً ولأخيهِ فَصاحَةً فأرادَ أن يُفحِمَهُ، ويَدُلُّ عليهِ قولُه: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

(٥٠) ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ مِـن الأنـواعِ ﴿خَلۡقَهُۥ﴾: صورتَـهُ وشـكلَهُ الـذي يُطابـِقُ كمالَه المُمكِـنَ له.

أو: أَعْطَى خليقتَهُ كلَّ شيءٍ يحتاجون إليه ويَرتفِقونَ به، فقُدِّمَ المفعولُ الثَّاني لأنَّه المَقصودُ بيانُه.

وقيل: أَعطَى كلَّ حيوانٍ نظيرَهُ في الخَلْقِ والصُّورةِ زوجًا.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «عذاب المنزلين على المكذبين»، وفي نسخة التفتازاني: «أن العذاب المنزلين للمكذبين». قال الشهاب في «الحاشية»: قوله: «أن عذاب المشركين..» في عبارته قلق وركاكة، وقد اختلفت النسخ في ضبطها، والمشهور فيها: «المشركين» بشينٍ معجمة وراءٍ مهملة وكافٍ جمع مشركٍ، والمراد به هنا: مطلق الكافر فإنه أحد معنييه، ومراده دفع ما يتوهم من حصر العذاب فيهم ـ مع أن غيرهم معذب ـ بأنه إنما يفيده إذا كان التعريف للجنس أو الاستغراق أما إذا كان للعهد والمراد به العذاب المعد للكفرة وهو المخلد فلا يفيده، ولو سلم فلا محذور فيه... ووقع في بعض النسخ: «المنزلين» بالنون والزاي المعجمة واللام، ففي بعض الحواشي: بالتثنية وفتح الميم تثنية مَنْزِل، والمراد بهما: الدنيا والآخرة... وظاهر كلام بعضهم أنه حينئذ: «مُنْزِل» بضم الميم؛ أي: مُنزِلي العذاب وهم خزنة النار لوقوعه في مقابلة خزنة الجنة وهو بعيد جدًّا، والمعوَّل على النسخة الأولى عندهم.

وقُرِئَ: (خَلَقَه)[1] صِفةً للمُضافِ إليه، أو المضافِ على شُذوذٍ، فيكونُ المفعولُ الثَّاني مَحذوفًا؛ أي: أعطى كُلَّ مَخلوقٍ ما يُصلِحُه.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: ثمَّ عرَّفَه كيفَ يرتَفِقُ بما أُعطِيَ، وكيفَ يتوصَّلُ به إلى بقائِهِ وكمالِه اختيارًا أو طبعًا.

وهو جوابٌ في غايةِ البَلاغةِ؛ لاختصارِه وإعرابِه عَن الموجوداتِ بأَسرِها على مَراتِبِها، ودَلالَتِه على أنَّ الغنيَّ القادرَ بالذَّاتِ المنعِمَ على الإطلاقِ هو اللهُ تَعالى، وأنَّ جميعَ ما عَداه مُفتقِرٌ إليه منعَمٌ عليه في حدِّ ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، ولذلك بُهتَ الذي كفرَ وأُفحِمَ عَن الدَّخَلِ عليه، فلم يرَ إلا صرفَ الكَلامِ عَنه:

(٥١) ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: فما حالُهُم بعدَ مَوتِهِم مِن السَّعادةِ والشَّقاوةِ؟

(٥٢) ـ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾؛ أي: إنَّـه غيبٌ لا يَعلَمُه إلَّا اللهُ، وإنَّما أنا عبدٌ مثلُكَ لا أعلَمُ منه إلَّا ما أخبرَنِي به.

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: مثبَتٌ في اللَّوحِ المَحفوظِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تَمثيلًا لتَمكُّنِه في عِلمِهِ بما استحفَظَه العالِمُ وقيَّدَه بالكِتْبَةِ، ويؤيِّدُه:

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ والضَّلالُ: أَنْ تُخطِئَ الشَّيءَ في مَكانِه فلَمْ تَهتَدِ إليه، والنِّسيانُ: أَنْ تذهبَ عنه بحيثُ لا يخطرُ ببالِكَ، وهما محالانِ على العالمِ بالذَّاتِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ سُؤالُه دَخَلًا على إحاطةِ قُدرةِ اللهِ بالأشياءِ كلِّها، وتخصيصِه أبعاضَها بالصُّوَرِ والخواصِّ المُختَلِفَةِ، بأَنَّ ذلك يَستَدعِي عِلمَهُ بتَفاصيلِ الأَشياءِ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن أبي نهيك ونصير عن الكسائي، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٠٧) عن الأعمش ونصير.

وجُزئِيَّاتِها، والقُرونِ الخاليةِ مع كثرتِهِم وتَمادِي مُدَّتِهم وتباعُدِ أَطرافِهِم كيفَ أحاطَ عِلمُه بهم وبأَجزائِهِم وأحوالِهِم، فيكونُ مَعنى الجوابِ: أنَّ علمَهُ تَعالى محيطٌ بذلكَ كلِّه وأنَّه مُثبَتٌ عندَهُ[1] لا يَضِلُّ ولا يَنسى.

(٥٣) ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا﴾ مَرفوعٌ صِفةٌ لـ﴿رَبِّى﴾ أو خبرٌ لمَحذوفٍ، أو منصوبٌ على المدحِ.

وقرأ الكوفِيُّونَ هنا وفي الزخرف: ﴿مَهْدًا﴾؛ أي: كالمهدِ تَتمهَّدونَها، وهو مَصدرٌ سُمِّيَ به، والباقونَ: ﴿مِهَادًا﴾[2]، وهو اسمُ ما يُمهَدُ كالفِراشِ، أو جمعُ مَهْدٍ، ولم يختلفوا في الذي في (النَّبأ)[3].

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: وجعلَ[4] لكم فيها سبلًا بينَ الجبالِ والأودِيَةِ والبَراري تَسلكونَها مِن أرضٍ إلى أرضٍ لتَبلُغوا مَنافِعَها.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ عدلَ به مِـن لفظِ الغيبةِ إلى صيغةِ التَّكلُّمِ على الحكايةِ لكَلامِ اللهِ عزَّ وجلَّ تنبيهًا على ظهورِ ما فيه مِن الدَّلالةِ على كمالِ القُدرةِ والحِكمةِ، وإيذانًا بأنَّه مُطاعٌ تَنقادُ الأشياءُ المُختَلفَةُ لِمَشيئَتِه، وعلى هذا نظائرُهُ كقولِه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا، سُمِّيَت بذلك لازدواجِها واقترانِ بَعضِها ببعضٍ.

---

(١) بعدها في نسخة الخيالي: «وأنه».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣) «ولم يختلفوا في الذي في النبأ» من نسخة الطبلاوي والتفتازاني.

(٤) في نسخة الفاروقي: «وحصَّلَ».

﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ بيانٌ وصِفَةٌ لـ﴿أَزْوَاجًا﴾، وكذلك ﴿شَتَّىٰ﴾، ويحتمِلُ أن يكونَ صفةً لـ﴿نَّبَاتٍ﴾ فإنَّه مِن حيثُ إنَّه مَصدرٌ في الأصلِ يَستَوِي فيه الواحِدُ والجَمعُ، وهو جمعُ شَتيتٍ كمَريضٍ ومَرْضَى؛ أي: مُتفرقاتٍ في الصُّوَرِ والأعراضِ والمنافعِ يصلحُ بعضُهَا للنَّاسِ وبعضُها للبهائمِ، فلذلك قال:

(٥٤) ـ ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ وهو حالٌ مِن ضَميرِ ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على إرادةِ القَولِ؛ أي: أخرَجْنَا أصنافَ النَّباتِ قائلينَ: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟﴾، والمعنى: مُعِدِّينها[1] لانتِفاعِكُم[2] بالأكلِ والعلفِ آذنينَ فيه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لذَوِي العقولِ النَّاهيَةِ عن اتِّباعِ الباطلِ وارتكابِ القَبائحِ، جمعُ: نُهْيَةٍ.

(٥٥) ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فإنَّ التُّرابَ أصلُ خلقةِ أولِ آبائِكُم، وأوَّلُ موادِّ أبدانِكُم.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموتِ وتَفكيكِ الأَجزاءِ.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتأليفِ أَجزائِكُم المتفتِّتةِ المختلطةِ بالتُّرابِ على الصُّورةِ السَّابقَةِ وردِّ الأرواحِ إليها.

(٥٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: بصَّرْناه إيَّاها أو عرَّفناه صِحَّتَها.

﴿كُلَّهَا﴾ تأكيدٌ لشُمولِ الأنواعِ، أو لشُمولِ الأَفرادِ، على أنَّ المُرادَ بـ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: آياتٌ مَعهودَةٌ هي الآياتُ التسعُ المُختَصَّةُ بمُوسى، أو أنَّه عليهِ السَّلامُ أراه آياتِه وعدَّ عليه ما أُوتي غيرُهُ مِن المُعجِزَات.

﴿فَكَذَّبَ﴾ موسى مِن فَرْطِ عنادِه ﴿وَأَبَىٰ﴾ الإيمانَ والطَّاعةَ لعُتُوِّهِ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «ما نغذيها».

(٢) في هامش نسخة التفتازاني: «والمعنى ما هو إلا لانتفاعكم».

(٥٧) ـ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: أرضِ مِصرَ ﴿بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ هذا تَعلُّلٌ وتحيُّرٌ، ودليلٌ على أنَّهُ عَلِمَ كونَهُ مُحِقًّا حتَّى خافَ منه على مُلكِه؛ فإنَّ ساحرًا لا يقدِرُ أن يُخرِجَ مِلكًا مِثلَه من أرضِه.

(٥٨ـ٥٩)ـ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: مثلِ سحرِك ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: وعدًا؛ لقوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ فإنَّ الإخلافَ لا يلائمُ الزَّمانَ والمكانَ.

وانتصابُ ﴿مَكَانًا سِوًى﴾ بفعلٍ دلَّ عليه المصدَرُ، لا به فإنَّه مَوصوفٌ، أو بأنَّه بدلٌ مِن ﴿مَوْعِدًا﴾ على تقديرِ (مَكانَ) مُضافٍ إليه، وعلى هذا يكونُ طِباقُ الجَوابِ في قولِه:

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ مِن حيثُ المعنى؛ فإنَّ يومَ الزِّينةِ يدلُّ على مَكانٍ مُشتهِرٍ باجتماعِ النَّاسِ فيه في ذلك اليومِ، أو بإضمارٍ مثلَ: مَكانُ مَوعِدِكُم مكانُ[1] يومِ الزِّينةِ، كما هو على الأوَّلِ، أو: وعدُكُم وعدُ يومِ الزِّينةِ.

وقُرِئَ: (يومَ) بالنَّصبِ[2]، وهو ظاهرٌ في أنَّ المرادَ بهما المصدَرُ.

ومعنى ﴿سِوًى﴾: مُنتصِفًا[3] يَستوِي مسافتُه إلينا وإليك، وهو في النَّعتِ كقولِهم: (قومٌ عِدًى) في الشُّذوذِ.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «نادي» وكتب تحتها: «مجلس»، وفي نسخة التفتازاني زيادة: «وكان في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم نيروز ويوم عيد كان».

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٥٣) عن الحسن والأعمش والثقفي ورواية عن أبي عمرو، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٠٨) عن الحسن والأعمش، وهي رواية غير مشهورة عن حفص من طريق هبيرة. انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٩٥)، و«جامع البيان في القراءات السبع» (٣/ ١٣٥٦).

(٣) في نسخة الخيالي: «منصفاً».

وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ ويَعقوبُ بالضمِّ[1].

وقيل: يومُ الزِّينةِ: يومُ عاشوراءَ ويومُ النَّيروزِ ويومُ عيدٍ كان لهم في كلِّ عامٍ، وإنَّما عيَّنَه ليظهرَ الحقُّ ويزهقَ الباطلُ على رؤوسِ الأَشهادِ ويشيعَ ذلك في الأَقطارِ.

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ عطفٌ على اليومِ أو الزِّينةِ.

وقُرِئَ على بناءِ الفاعلِ بالتَّاءِ على خطابِ فِرعونَ، والياءِ[2] على أنَّ فيه ضميرَ اليَومِ، أو ضميرَ فرعونَ على كونِ[3] الخطابِ لقَومِه.

(٦٠) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: ما يُكادُ به، يعني: السَّحرةَ وآلاتِهم ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بالموعدِ.

(٦١) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأَنْ تدَّعوا آياتِه سحرًا ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: فيُهلِكَكُم ويَستأصِلَكُم به.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ ويعقوبُ بالضمِّ[4] من الإسحاتِ، وهو لغةُ نَجدٍ وتميمٍ، والسَّحْتُ لغةُ الحجازِ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ كما خابَ فِرعونُ، فإنَّه افترى واحتالَ ليَبْقَى الملكُ عليه فلَمْ يَنفَعْه.

---

(١) أي: بضم السين من: (سوى)، وقرأ باقي العشرة بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠).

(٢) أي: قرئ: (تَحْشُرَ)، و(يَحْشُرَ)، نسبت القراءتان لأبي عمران الجوني وأبي نهيك والجحدري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٨)، و«المحتسب» (٢/ ٥٤).

(٣) في نسخة الطبلاوي والفاروقي: «أن».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠)، وذكر أنها رواية رويس عن يعقوب.

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: تَنازَعتِ السَّحَرةُ في أمرِ مُوسى حينَ سَمِعُوا كلامَه، فقالَ بعضُهُم: ليسَ هذا مِن كلامِ السَّحَرةِ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ بأنَّ موسى إنْ غَلَبَنا اتَّبعناه.

أو: تَنازَعُوا واختَلَفُوا فيما يعارضونَ به مُوسى وتشاوَرُوا في السرِّ.

وقيل: الضَّميرُ لفرعونَ وقومِه، وقولُه: ﴿قالوا إنَّ هذانِ لسَاحرانِ﴾ تفسيرٌ لـ(أسرُّوا النَّجوى)، كأنَّهم تَشاوَرُوا في تلفيقِه حذرًا أن يَغلِبا فيتَّبعَهما النَّاسُ.

و﴿هَٰذَٰنِ﴾ اسمُ ﴿إنَّ﴾ على لغةِ بَلْحارثِ بن كعبٍ[1]، فإنَّهُم جعَلُوا الألفَ للتَّثنيةَ وأعربوا المثنَّى تَقديرًا[2].

وقيل: اسمُها ضميرُ الشَّأنِ المحذوفُ، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبرُها.

وقيل: ﴿إنَّ﴾ بمعنى: نَعَم، وما بعدَها مُبتدأٌ وخبرٌ.

وفيهما: أنَّ اللامَ لا تدخلُ خبرَ المبتدأِ.

وقيل: أصلُه: (إنَّه[3] هذانِ لهما ساحرانِ) فحُذِفَ الضَّميرُ، وفيه أنَّ المؤكَّد باللامِ لا يليقُ به الحذفُ.

---

(١) انظر: «معجم ديوان العرب» (٣/ ٢٦٠)، و«الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ص: ٢٤٢)، و«الصحاح» (مادة: ذا) (٦/ ٢٥٥٠).

(٢) قوله: «فإنهم جعلوا الألف...»، يعني: أن هذه اللام عندهم علامة التثنية، لا علامة إعراب حتى تتغيرَ كغيرها، فأعربوه بحركات مقدرة كالمقصور. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «إن»، وهو الموافق لما في «حاشية القونوي» و«حاشية ابن التمجيد» (١٢/ ٣٧٩)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «حاشية شيخ زاده» (٥/ ٦٣٤) وكلٌّ شرح على حسب ما وقع عنده، فعلى اعتبار أن اللفظ «إنه» جعله شيخ زاده جواباً عما أورد على الوجهين الأخيرين؛ أي: الوجه الثاني والثالث، وجه الجواب: أن اللام ليست داخلة على الخبر =

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿إنَّ هذينِ﴾ وهو ظاهرٌ.

وابنُ كثيرٍ وحفصٌ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ على أنَّها هي المخفَّفَةُ واللامُ هي الفارقةُ أو النَّافيةُ، واللامُ بمَعنى (إلا)، وشدَّد ابنُ كثيرٍ نونَ ﴿هَٰذَانِ﴾[1].

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ بالاستيلاءِ عليـها ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾: بمَذهَبِكُم الذي هو أفضَلُ المذاهبِ، بإظهارِ مَذهبِه وإعلاءِ دينِه؛ لقولِه: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦].

وقيل: أرادوا: أهلَ طَريقَتِكُم، وهم بنو إسرائيلَ فإنَّهُم كانوا أربابَ علمٍ فيما بينَهُم؛ لقولِ موسى عليهِ السَّلامُ: ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧].

وقيل: الطَّريقَةُ اسمٌ لوُجوهِ القومِ وأَشرافِهِم مِن حيثُ إنَّهم قدوةٌ لغَيرِهِم.

(٦٤) ـ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: فأزمِعُـوه واجعَلُـوه مُجمَعًـا عليـه لا يتخلَّفُ عنه واحـدٌ مِنكم.

وقرأَ أبو عمرٍو: ﴿فاجمعُوا﴾[2]، ويعضُدُه قولُه: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه: ٦٠].

= وإنما على المبتدأ المقدر، وتقدير الكلام على الوجه الثاني: إن الشأن هذان لهما ساحران، وعلى الثالث: نعم هذان لهما ساحران.

أما على اعتبار ما وقع في نسخة الطبلاوي والخيالي: «إن» فقال ابن التمجيد: قوله: «وقيل: أصلُه: إنَّ هذانِ لهما ساحرانِ» فيكون ﴿هَٰذَانِ﴾ اسم (إنَّ)، و(هما) مبتدأ دخل عليه لام الابتداء و﴿ساحران﴾ خبره، وهذا المبتدأ مع خبره خبر (إنَّ).

قلت: وعلى هذا فهو ليس جواباً عما اعترض به على القولين المذكورين، بل هو قول جديد، والله أعلم.

(١) فقرأ: ﴿هَذَانِّ﴾، والباقون يخففونها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

والضَّميرُ في ﴿قَالُوٓاْ﴾ إن كانَ للسَّحرَةِ فهو قولُ بعضِهم لبَعضٍ.

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾: مُصطَفِّينَ؛ لأنَّه أهيَبُ في صدورِ[1] الرَّائينَ؛ قيل: كانوا سبعينَ ألفًا مع كلٍّ منهم حبلٌ وعَصًا، وأقبَلُوا عليه إقبالَةً واحدَةً.

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾: فازَ بالمطلوبِ مَن غلبَ. وهو اعتراضٌ.

(٦٥) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾؛ أي: بعدما أَتَوْا مُراعاةً للأدبِ، و﴿أَن﴾ بما بعدَهُ مَنصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، أو مرفوعٌ بخبريَّةِ مَحذوفٍ؛ أي: اختَرْ إلقاءَكَ أَوَّلًا أو إلقاءَنا، أو: الأمرُ إلقاؤُكَ أو إلقاؤُنَا.

(٦٦) ـ ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ مُقابلَةَ أدبٍ بأَدَبٍ، وعدمَ مُبالاةٍ بسِحرِهِم، وإسعافًا إلى ما أَوْهَموا مِن الميلِ إلى البدءِ بذكرِ الأوَّلِ في شقِّهِم وتغييرِ النَّظمِ إلى وجهٍ أبلغَ[2].

ولأَنْ يُبرِزُوا ما مَعَهُم ويَستنفِدُوا أقصَى وسعِهِم، ثمَّ يُظهِرُ اللهُ سُلطانَه فيقذفُ بالحقِّ على الباطلِ فيَدمَغُه.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾؛ أي: فأَلقَوا فإذا حِبالُهُم، وهي للمُفاجأةِ، والتَّحقيقُ: أنَّها أيضًا ظَرفِيَّةٌ تَستَدْعِي مُتعلَّقًا ينصبُها وجملةً تضافُ إليها، لكنَّها خُصَّتْ بأَنْ يكونَ المتعلَّقُ فعلَ المفاجأةِ، والجملةُ ابتدائيةً.

والمعنى: فألقَوْا ففاجأَ موسى وقتَ تخييلِ سَعيِ حِبالِهم وعصيِّهم مِن

---

(١) بعدها في نسخة التفتازاني: «الناس».

(٢) قوله: «تغيير» عطف على «بذكر الأول...»، يعني: أمران يدلان على رغبتهم في البدء: ذكرُ الأول في شقهم، وتغييرُ النظم إلى وجه أبلغ من أصل النظم، فإن الأصل أن يقولوا: وإما أن نلقي. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٢/ ٣٧٩).

سحرِهِم، وذلكَ أَنَّهُم[1] لَطخُوها بالزِّئبقِ، فلَمَّا ضُرِبَت عليها الشَّمسُ اضطربَتْ فخُيِّلَ إليه أَنَّها تتحرَّك[2].

وقرأ ابنُ عامرٍ ورَوْحٌ: ﴿تُخَيَّلُ﴾ بالتَّاءِ[3] على إسنادِهِ إلى ضَميرِ الحبالِ والعِصيِّ، وإبدالِ ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ منه بدلَ الاشتمالِ.

وقُرِئَ: (نُخَيِّلُ)[4] على إسنادِه إلى اللهِ تعالى، و: (تَخَيَّلُ)[5] بمعنى تَتَخَيَّلُ.

(٦٧) ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾: فأضمرَ فيها خوفًا مِن مُفاجأتِه على ما هو مُقتَضى الجبلَّةِ البشريَّةِ، أو من أن يخالجَ النَّاسَ شكٌّ فلا يتَّبعوهُ.

(٦٨) ـ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ ما توهَّمْتَ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ تعليلٌ للنَّهيِ وتقريرٌ لغَلَبتِهِ مُؤكَّدًا[6] بالاستئنافِ، وحرفِ التَّحقيقِ، وتكريرِ الضَّميرِ، وتَعريفِ الخبرِ، ولفظِ العُلُوِّ الدَّالِّ على الغلبةِ الظَّاهرةِ، وصيغةِ التَّفضيلِ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «بأنهم».

(٢) كذا جاء في هذه الرواية، وفيه نظر؛ فإنه لا يتصور أن تنطلي مثل هذه الحيلة على الناس الحاضرين جميعاً، وخصوصاً موسى عليه السلام وهو النبي الفطن الذي لا يتصور خداعه بالزئبق وأمثاله، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وليس الطلي بالزئبق سحراً عظيماً، ولا يؤدي ذلك إلى تغيير الحبل بحيث يأخذ شكل الحية فالبون شاسع بين حبل مطلي بالزئبق وحية لها رأس وعينان وفم تتلوى وتتحرك.

(٣) وهي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر وروح عن يعقوب. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١).

(٤) نسبت لأبي حنيفة في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٠٩)، ونسبت لأبي حيوة في: «البحر المحيط» (١٥/ ٩١).

(٥) نسبت لأبي السمال. انظر: «البحر المحيط» (ص: ٩١)، وذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٧٩) وزاد قراءة أخرى وهي: (تُخَيِّلُ) على كون الحبال والعِصيِّ مُخيِّلةً سعيَها، ونسبت لأبي السمال أيضاً كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

(٦) في نسخة الفاروقي: «مؤكد».

(٦٩) ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أبهمَهُ ولم يقُل: (عصاكَ) تَحقيرًا لها؛ أي: لا تُبالِ بكَثرةِ حِبالِهم وعصيِّهم وألقِ العُوَيدةَ التي في يَدِكَ، أو تَعظيمًا لها؛ أي: لا تحتَفِل بكَثرةِ هذه الأَجرامِ وعِظَمِها فإنَّ في يمينِكَ ما هو أعظَمُ منها أثرًا فألقِه.

﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا﴾: تَبتَلِعْه بقدرةِ اللهِ تَعالى، وأصلُه: تتلقَّفْ، فحُذِفَت إحدى التَّاءينِ، وتاءُ المضارعةِ تحتملُ التَّأنيثَ، والخطابَ على إسنادِ الفعلِ إلى المسبِّبِ[1].

وقرأَ ابنُ عامرٍ بروايةِ ابنِ ذَكوان بالرَّفعِ على الحالِ أو الاستئنافِ، وحفصٌ بالجزمِ والتَّخفيفِ[2] على أنَّه من لَقِفْتُهُ بمعنى: تَلقَّفْتُه.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾: إنَّ[3] الذي زوَّرُوا وافتَعَلوا.

﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾، وقُـرِئَ بالنَّصبِ[4] على أنَّ (ما) كافَّةٌ وهو مفعولُ ﴿صَنَعُوٓا﴾.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ ﴿سِحْرٍ﴾[5] بمعنى: ذي سِحرٍ، أو بتَسمِيَةِ السَّاحرِ سِحْرًا على المُبالغةِ، أو بإضافةِ الكَيدِ إلى السِّحرِ للبَيانِ كقولِهم: علمُ فقهٍ.

وإنَّما وُحِّدَ السَّاحرُ لأنَّ المرادَ بـه الجـنسُ المُطلقُ، وكذلك قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: هذا الجنسُ، وتنكيرُ الأوَّلِ لتَنكيرِ المُضافِ كقولِ العَجَّاج:

---

(١) في هامش نسخة الفاروقي: في نسخة: «إلى السبب».

(٢) وقرأ الباقون بالجزم وتشديد القاف، والبَزِّيُّ على أصله في تشديد التاء وصلاً. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢).

(٣) في نسخة التفتازاني: «أي».

(٤) الرفع قراءة الجمهور، والنصب ذكرها الهذلي في «الكامل» (ص: ٥٩٨) عن مجاهد وحميد، والكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٣٠٩) عن مجاهد.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

يومَ تَرى النُّفوسُ ما أَعَدَّتِ   في سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتِ[1]

كأنه قيل: إنَّما صَنعوا كيدُ سِحرِيٌّ.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾: حيثُ كانَ وأينَ أقبَلَ.

(٧٠) ـ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي: فألْقَى فتَلَقَّفَتْ، فتَحقَّقَ عندَ السَّحرَةِ أنَّه ليسَ بسِحرٍ، وإنَّما هو آيةٌ مِن آياتِ اللهِ، ومُعجِزَةٌ مِن مُعجِزاتِه، فألقاهُم ذلك على وُجوهِهِم سُجَّدًا للهِ توبةً عمَّا صَنَعوا، وإعتابًا وتَعظيمًا لِمَا رَأَوا.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قُدِّمَ هارونُ لكِبَرِ سنِّه، أو لـرَوِيِّ[2] الآيةِ، أو لأنَّ فِرعونَ ربَّى مُوسَى في صِغَرِه، فلو اقتُصرَ على مُوسى أو قُدِّمَ ذكرُه فربَّما تُوهِّمَ أنَّ المرادَ فرعونُ[3]، وذكرُ هارونَ على الاستتباعِ.

رُوِيَ أنَّهُم رَأَوا في سُجودِهِم الجنَّةَ ومَنازِلَهُم فيها[4].

(٧١) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ أي: لِمُوسى ـ واللامُ لتَضمينِ[5] الفعلِ مَعنى الاتِّباعِ[6] ـ ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في الإيمانِ له[7].

---

(١) انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٢٦٢)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٥)، و«الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٠١)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ٢٩٦).

(٢) في نسخة التفتازاني: «برؤوس».

(٣) أي: أن المراد بـ(رب موسى): مَن رباه وهو فرعون.

(٤) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٦٥).

(٥) في نسخة الخيالي: «لتضمُّن».

(٦) كتب فوقها في نسخة الفاروقي: «الأولى بمعنى التسليم لأن الاتباع متعد بنفسه فلا يحتاج إلى الصلة. سعدي».

(٧) في هامش نسخة الطنطاوي: «وقرأ قنبل وحفص: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ على الخبر، والباقون على الاستفهام». انظر: «التيسير» (ص: ١٥٢).

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: لَعَظيمُكُم في فَنِّكُم وأعلمُكُم به، أو: لأُستاذُكُم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتُم تَواطَأْتُم على ما فعَلْتُم.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: اليَدُ اليُمْنَى والرِّجلُ اليُسرَى، و﴿مِنْ﴾ ابتدائيَّةٌ كأنَّ القطعَ ابتدأَ مِن مُخالفةِ العُضوِ العُضْوَ، وهي مع المجرورِ بها في حيِّزِ النَّصبِ على الحالِ؛ أي: لأُقطِّعَنَّها مُختَلِفاتٍ.

وقُرِئَ: (لَأَقْطَعنَّ... ولأَصْلِبَنَّ) بالتَّخفيفِ[1].

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ شبَّهَ تمكُّنَ المَصلوبِ بالجذعِ بتَمكُّنِ المَظروفِ بالظَّرفِ، وهو أوَّلُ مَن صَلَبَ.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يريدُ نفسَهُ وموسى؛ لقولِه: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، واللامُ مع الإيمانِ في كتابِ اللهِ لغيرِ اللهِ، أرادَ بهِ تَوضيعَ مُوسى والهزءَ بِهِ؛ فإنَّه لم يَكُن مِن التَّعذيبِ في شَيءٍ.

وقيل: ربَّ موسى الذي آمَنُوا به[2].

﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾: وأدوَمُ عِقابًا.

(٧٢) - ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: لَنْ نَختارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ موسى به، ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ فيه لِـ﴿مَا﴾.

﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزَاتِ الواضِحَاتِ ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطفٌ على ﴿مَا جَآءَنَا﴾ أو قَسمٌ ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: ما أنتَ قاضيهِ؛ أي: صانِعُه أو[3] حاكمٌ بِهِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١) عن ابن محيصن.

(٢) قوله: «وقيل: رب موسى» معطوف على «موسى» بحسب المعنى؛ أي: المراد من الضمير نفسُه وربُّ موسى، وقد أشار لتضعيفه، ووجه ضعفه ما مر من أن التعدية باللام تكون لغير الله. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) في نسخة الفاروقي: «أي»، وفي الهامش كالمثبت نسخة.

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: إنَّما تَصنَعُ ما تَهواهُ، أو تَحكُمُ بما تَراهُ في هذه الدُّنيا، والآخرةُ[1] خيرٌ وأَبْقَى، فهو كالتَّعليلِ لِمَا قبلَهُ والتَّمهيدِ لِمَا بعدَه.

وقُرِئَ: (تُقْضَى هذه الحياةُ الدنيا)[2] كقولك: صِيمَ يَوْمُ الجُمعةِ.

(٧٣) - ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الكفرِ والمَعاصي ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ مِن مُعارضةِ المُعجِزَةِ.

رُوِيَ أَنَّهُم قالوا لِفرعونَ: أَرِنَا مُوسَى نائمًا، فوَجدوهُ تَحرُسُه العَصَا، فقالوا: ما هذا بِسِحْرٍ فإنَّ السَّاحِرَ إذا نامَ بطلَ سِحرُهُ، فأبى إلا أَنْ يُعارِضُوه[3].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ جزاءً، أو: خَيرٌ ثوابًا وأبقى عِقابًا.

(٧٤) - ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ بأَنْ يموتَ على كُفرِهِ وعِصيانِه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً مهنَّأةً.

(٧٥) - ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الدُّنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: المنازلُ الرَّفيعةُ.

(٧٦) - ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ، والعامِلُ فيها مَعنى الإشارةِ، أو الاستقرارُ.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّرَ مِن أدناسِ الكُفرِ والمَعاصِي.

والآياتُ الثَّلاثُ يحتملُ أن تكونَ مِن[4] كَلامِ السَّحرةِ، وأن تكونَ ابتداءَ كَلامٍ مِن اللهِ.

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفازاني: «وللآخرة».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١) عن أبي حيوة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٢) عن عبد العزيز بن أبان.

(٤) في نسخة الخيالي: «معنى».

(٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: مِن مِصرَ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجعَلْ لهم؛ مِن قَولِهِم: ضربَ له في مالِه سَهْمًا، أو[١]: فاتَّخِذْ؛ مِن ضَرَبَ اللَّبِنَ: إذا عَمِلَهُ.

﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾: يابسًا، مَصدَرٌ وُصِفَ به؛ يقال: يَبِسَ يُبْسًا ويَبَسًا؛ كسَقِمَ سُقْمًا وسَقَمًا، ولذلك وُصِفَ به المؤنَّثُ، يقال[٢]: (شاةٌ يَبَسٌ) لِلَّتي جفَّ لبنُها.

وقُرِئَ: (يَبْسًا)[٣]، وهو: إما مخفَّفٌ منه، أو وصفٌ على فَعْلٍ كصَعْبٍ، أو جمعُ يابسٍ كصَحْبٍ؛ وُصِفَ به الواحدُ مُبالغةً كقولِه:

كَأَنَّ قُتُودَ رَحْلِي حِينَ ضَمَّتْ ... حَوَالِبَ غُرَّزًا ومِعًى جِيَاعَا[٤]

أو لتَعدُّدِه مَعنًى، فإنَّه جَعَلَ لكلِّ سِبْطٍ مِنْهُم طريقًا.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ حالٌ مِن المأمورِ؛ أي: آمنًا مِن أن يُدرِكَكُم العدوُّ، أو صِفةٌ ثانيةٌ والعائدُ مَحذوفٌ.

وقَرأَ حمزةُ ﴿لا تَخَفْ﴾[٥] على أنَّه جوابُ الأَمرِ، و﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ استئنافٌ؛ أي: وأنتَ لا تخشى، أو عطفٌ عليه والأَلِفُ فيه للإطلاقِ كقولِه:

---

(١) في نسخة الخيالي: «أي».

(٢) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «فقيل».

(٣) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

(٤) البيت للقطامي، وهو في «ديوانه» (ص: ٤١)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ٣٩٧)، و«المقصور والممدود» للقالي (ص: ١٨٩)، و«تهذيب اللغة» (٣/ ١٥٩)، وفي بعض المصادر بدل (قتود): (نسوع)، وهو جمع نِسْعٍ، وهو سَيرٌ يضفر على هيئة النعال تشد به الرحال، ويجمع على أنساعٍ ونِسَعٍ. والقطعة منه: نِسْعَةٌ.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، أو حالٌ بالواوِ، والمعنى: ولا تخشى الغرقَ[١].

(٧٨) ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وذلك أنَّ مُوسى عليهِ السَّلامُ خرجَ بهم أوَّلَ الليلِ، فأُخبِرَ فرعونُ بذلك فقصَّ أثرَهُم، والمعنى: فأتبَعَهُم فرعونُ نفسَهُ ومعه جُنودُهُ، فحُذِفَ المَفعولُ الثَّاني.

وقيل: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ بمَعنى: (فاتَّبَعهم)، ويؤيِّدُه القراءةُ به[٢].

والباءُ للتَّعدِيَةِ، وقيل: الباءُ مَزيدةٌ والمعنى: فأتبَعَهُم جنودَهُ وذادَهُم[٣] خَلفَهُم.

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ الضَّميرُ لـ﴿جُنودَه﴾ أو له ولَهُم، وفيه مُبالغةٌ ووجازةٌ؛ أي: غَشِيَهُم ما سمعتَ قصَّتَه ولا يَعرفُ كُنْهَه إلا الله.

وقُرِئَ: (فغَشَّاهم... ما غشَّاهُم)[٤]؛ أي: غطَّاهُم ما غطَّاهُم، والفاعلُ هو اللهُ تعالى، أو (ما غشَّاهُم)، أو فرعونُ لأنَّه الذي وَرَّطَهُم للهَلاكِ.

(٧٩) ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: أضلَّهُم في الدِّينِ وما هداهُم، وهو تَهكُّمٌ به في قولِه: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، أو: أضلَّهُم في البَحرِ وما نَجا[٥].

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد إنجائِهم مِن البَحرِ وإهلاكِ فرعونَ، على إضمارِ: قلنا، أو للَّذينَ مِنْهُم في عهدِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ بما فُعلَ بآبائِهم.

---

(١) هذه الوجوه الثلاثة في ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ هي على قراءة حمزة، تعليلًا لإثبات الألف، أما على قراءة الجمهور فالأمر فيه سهل لا يحتاج لتأويل.

(٢) هي رواية عن أبي عمرو، كما في «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٤٠).

(٣) أي: ساقهم.

(٤) نسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

(٥) في نسخة التفتازاني زيادة: «بهم»، وفي نسخة الطبلاوي: «نجاهم».

﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعونَ وقومِه.

﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لِمُناجاةِ موسى وإنزالِ التَّوراةِ عليه، وإنَّما عدَّى المواعَدةَ إليهِم ـ وهي لِمُوسى، أو لهُ وللسَّبعينَ المُختارينَ ـ للمُلابسَةِ.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ يعني: في التِّيهِ.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: لذائذِه، أو: حلالاتِه.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿أَنْجَيتُكُم... وواعَدْتُكم... ما رزقتُكُمْ﴾ على التَّاءِ[1].

وقُرِئَ: (ووعدْتُكم)[2]، ﴿ووعَدْنَاكم﴾[3]، و(الأَيمنِ) بالجرِّ[4] على الجوارِ مثل: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾: فيما رَزَقناكُم بالإخلالِ بشُكرِهِ والتَّعدِّي لِمَا حدَّ اللهُ لَكُم فيه؛ كالسَّرَفِ والبَطَرِ والمنعِ عَن المُستَحِقِّ.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ فيلزَمَكُم عَذابِي ويَجِبَ لَكُم، مِن حلَّ الدَّينُ: إذا وجبَ أَداؤُه.

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: فقَدْ تَردَّى وهلكَ، وقيل: وقعَ في الهاويَةِ.

وقرأَ الكِسائيُّ: ﴿يَحُلَّ﴾ و﴿يَحْلُلْ﴾ بالضَّمِّ[5] مِن حَلَّ يَحُلُّ: إذا نزلَ.

---

(١) وقرأ أبو عمرو: ﴿أَنجَيْناكُمْ... ووَعَدْناكُمْ... ما رَزَقْناكُمْ﴾، والباقون: ﴿أَنجَيْناكُمْ... وَواعَدْناكُمْ... ما رَزَقْناكُمْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ٧٣ و١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١).

(٢) بغير ألف من وعد، هي رواية غير مشهورة عن أبي عمرو. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٠).

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وتقدم ذكرها.

(٤) رويت عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٨٢) ـ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ عَن الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ ﴾ بما يجبُ الإيمانُ به ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾: ثمَّ استقامَ على الهُدَى المَذكورِ.

(٨٣) ـ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ سؤالٌ عَن سببِ العَجَلةِ يَتضمَّنُ إِنكارَهَا مِن حَيثُ إنَّها نقيصةٌ في نفسِها انضَمَّ إليها إغفالُ القومِ وإيهامُ التَّعظُّمِ عليهِم، فلذلك أجابَ مُوسى عَن الأَمرَينِ وقَدَّمَ جوابَ الإنكارِ لأنَّه أهَمُّ:

(٨٤) ـ ﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾: ما تَقدَّمْتُهُم إلا بخُطًى يَسيرَةٍ لا يُعتَدُّ بها عادةً، وليسَ بيني وبينَهُم إلا مسافةٌ قَريبةٌ يتقدَّمُ بها الرُّفقَةُ بَعضُهُم بعضًا.

﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ فإنَّ المُسارعةَ إلى امتثالِ أمرِكَ والوَفاءِ بعَهدِكَ تُوجِبُ مرضاتَكَ.

(٨٥) ـ ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾: ابتَلَيْنَاهُم بعبادةِ العجلِ بعدَ خُروجِكَ مِن بَينِهِم، وهُم الذين خلَّفَهم مع هارونَ وكانوا ستَّ مئةِ ألفٍ، ما نجا مِن عبادةِ العجلِ مِنْهُم إلا اثنا عشرَ أَلْفًا.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ باتِّخاذِ العجلِ والدُّعاءِ إلى عبادتِه.

وقُرِئَ: (وأضلُّهُم)[١]؛ أي: أشدُّهُم ضلالَةً؛ لأنَّه كانَ ضَالًّا مُضِلًّا.

وإن صَحَّ أنَّهُم أَقامُوا على الدِّينِ بعدَ ذَهابِه عشرينَ ليلَةً وحسَبوها بأيَّامِها أربعينَ، وقالوا: قد أكمَلْنَا العِدَّةَ، ثمَّ كانَ أَمرُ العجلِ، وأن هذا الخطابَ كان له عند مقدَمِه إذ ليسَ في الآيةِ ما يدلُّ عليه= كان ذلك إخبارًا مِن اللهِ لهُ عَن المترقَّبِ بلفظِ الواقعِ على عادَتِه، فإنَّ أَصلَ وُقوعِ الشَّيءِ أن يكونَ في علمِه ومُقتضى مَشيئَتِه.

والسَّامريُّ مَنسوبٌ إلى قبيلةٍ مِن بَنِي إسرائيلَ يقالُ لها: السَّامرةُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١) عن أبي معاذ.

وقيل: كانَ عِلْجًا[١] مِن كَرْمَانَ[٢].

وقيل: مِن أهلِ باجَرْمَا[٣]، واسمُه: مُوسَى بنُ ظَفَر، وكان مُنافِقًا.

(٨٦) ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بعدَما استَوْفَى الأَربعينَ وأخذَ التَّوراةَ ﴿غَضْبَٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾: حزينًا بما فَعَلوا.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بأنْ يُعطِيَكُم التَّوراةَ فيها هُدًى ونُورٌ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾؛ أي: الزَّمانُ، يعني: زمانَ مُفارقتِه لَهُم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يَجِبَ عليكُم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادةِ ما هو مَثَلٌ في الغباوةِ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: وعدَكُم إيَّايَ بالثَّباتِ على الإيمانِ باللهِ والقيامِ على ما أَمَرْتُكُم بهِ.

وقيل: هو مِن أَخْلَفْتُ وعدَهُ: إذا وجدتَ الخُلفَ فيه؛ أي: فوجَدْتُم الخلفَ في وَعدِي لَكُم بالعَودِ بعدَ الأربعينَ، وهو لا يُناسِبُ التَّرتيبَ على التَّرديدِ، ولا على الشِّقِّ الذي يليه، ولا جوابَهُم له[٤].

---

(١) العِلْجُ: القَوِيُّ الضَّخمُ، والعِلْجُ: الرَّجلُ مِن كُفَّارِ العَجَمِ وغيرهم. انظر: «النهاية» لابن الاثير (٣/ ٢٨٦) مادة: (علج).

(٢) كرمان: بفتح الكاف أو كسرها، وسكون الراء. ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٥٤).

(٣) بفتح الجيم وسكون الراء: قرية من أعمال البليخ قرب الرَّقّة من أرض الجزيرة. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣١٣).

(٤) قوله: «وهو لا يناسب الترتيب»؛ أي: بالفاء «على الترديد»؛ أي: على كلا شقَّي الترديد بالهمزة و﴿أَمْ﴾، ولا على الأخير؛ لأنه إما عليهما أو على الأخير منهما، وأما ترتبه على الأول وإن احتمل فلا يحسن مع الفاصل بينهما لأن طول العهد ومباشرة ما يقتضي غضب الله لا يترتب عليه وجدان خلفه للعهد، وكذا الأخير، وكذا قولهم في الجواب: ﴿بِمَلْكِنَا﴾. فتأمل. انظر: «حاشية الشهاب».

(٨٧) ـ ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمِلۡكِنَا﴾: بأَنْ مَلَكْنا أمرَنا، إذ لو خُلِّينا وأَمْرَنا ولم يُسوِّلْ لنا السَّامريُّ لَمَا أخلفناهُ.

وقرأَ نافعٌ وعاصِمٌ: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ بالفتحِ، وحمزةُ والكِسائيُّ بالضَّمِّ[1]، وثلاثتُها في الأصلِ لغاتٌ في مصدرِ مَلَكْتُ الشَّيءَ.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾: أحمالًا مِن حُليِّ القبطِ التي استعَرْنَاها مِنْهُم حينَ هَمَمْنَا بالخُروجِ مِن مصرَ باسمِ العُرسِ[2].

وقيل: استعاروا لعيدٍ كانَ لَهُم ثمَّ لم يردُّوا عند الخروجِ مخافةَ أن يعلَمُوا به.

وقيل: هي ما ألقاه البحرُ على الساحلِ بعد إغراقِهم فأخذوه.

ولعلهم سمَّوها أوزاراً لأنها آثام، فإنَّ الغنائمَ لم تكن تحُلُّ بعدُ، ولأنهم كانوا مُستأمِنين وليس للمُستأمِن أن يأخذَ مالَ الحربي.

﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ في النَّارِ ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾؛ أي: ما كانَ معَهُ منها.

رُوِيَ أَنَّهُم لَمَّا حَسِبُوا أنَّ العِدَّةَ قد كَمَلَتْ قال لهم السَّامريُّ: إنَّما أَخلفَ مُوسى ميعادَكُم لِمَا معكَم مِن حليِّ القَومِ وهو حرامٌ عليكُم، فالرَّأْيُ أن نحفرَ حُفَيرةً ونُسجِّرَ فيها نارًا ونَقْذِفَ كلَّ ما معنا فيها، ففَعَلُوا.

وقرأَ أبو عَمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ ورَوْحٌ: ﴿حَمَلۡنَا﴾ بالفتحِ والتَّخفيفِ[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) قوله: «باسم العرس» الباء للسببية و«اسم» إمّا مقحم، أو المراد: بتسمية العرس، بأن قالوا لهم: إن لنا عرساً فأعيروها لنا لنتزين بها فيه. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٨٨) ـ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ مِن تلك الحليِّ المُذابةِ ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: صوتُ العجلِ.

﴿فَقَالُوا۟﴾ يعني: السَّامريَّ ومَن افتتنَ به أوَّلَ ما رآه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾؛ أي: فنَسِيَهُ موسى وذهبَ يطلبُه عندَ الطُّورِ، أو: فنَسِيَ السَّامريُّ؛ أي: ترك ما كانَ عليه مِن إظهارِ الإيمانِ.

(٨٩) ـ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾: أفلا يَعلمونَ ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: أنَّه لا يرجعُ إليهِمْ كلامًا ولا يردُّ عليهِم جوابًا.

وقُرِئَ: (يَرْجِعَ) بالنَّصبِ[1]، وفيه ضعفٌ لأنَّ (أنْ) النَّاصبةَ لا تقعُ بعدَ أفعالِ اليقينِ.

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: ولا يقدرُ على إنفاعِهِم وإضرارِهِم[2].

(٩٠) ـ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ رجوعِ مُوسى عليهِ السَّلامُ، أو قولِ السامريِّ، كأنَّه أولَ ما وقعَ عليه بصرُهُ حين طلعَ مِن الحفرةِ توهَّمَ ذلك وبادرَ تَحذيرَهُم[3]: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾: بالعجلِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا غير ﴿فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ في الثَّباتِ على الدِّينِ.

---

(١) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١ ـ ٩٢).

(٢) قوله: «على إنفاعهم وإضرارهم» قال الشهاب: لم يوجد في كتب اللغة (أنفع) وقد خطئ فيه المصنف رحمه الله، وكأنه لمشاكلة الإضرار هنا. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) قوله: «أو قول السامري» هو قوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ وقوله: «توهم»؛ أي: تفرَّس ولو بالظن؛ للقرائن المشاهَدة منهم، وإنما يكون هذا قبل قوله، وقوله: «وبادر تحذيرهم»؛ أي: إلى تحذيرهم. انظر: «حاشية الشهاب».

(٩١) ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾: على العجلِ وعِبادَتِه ﴿عَٰكِفِينَ﴾: مقيمينَ ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ وهذا الجوابُ يؤيِّدُ الوجهَ الأوَّلَ[١].

(٩٢) ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾؛ أي: قالَ له موسى لَمَّا رجعَ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادةِ العجلِ.

(٩٣) ـ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[٢]: أَنْ تَتَّبعني في الغضبِ للهِ والمقاتلةِ مع مَن كفرَ بـهِ، أو أن تأتـيَ عَقِبـي وتَلحَقَنِي، و﴿لا﴾ مزيـدةٌ كما في قولـه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بالصَّلابةِ في الدِّينِ والمحاماةِ عليه.

(٩٤) ـ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ خصَّ الأمَّ استعطافًا وترقيقًا، وقيل: لأنَّه كان أخاهُ مِـن الأمِّ، والجمهورُ على أنَّهما كانا مِن أبٍ وأُمٍّ.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾؛ أي: بشعرِ رَأسي، قبضَ عليهِمَا يجرُّهُ إليه مِن شدَّةِ غيظِهِ وفَرْطِ غَضبهِ للهِ، وكانَ عليهِ السَّلامُ حَديدًا خَشِنًا مُتصلِّبًا في كلِّ شَيءٍ، فلَمْ يَتمالَك حينَ رآهُم يعبدونَ العِجلَ.

﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لو قاتلتُ، أو: فـارَقْتَ بعضَهُم ببَعضٍ[٣].

---

(١) قوله: «وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول» وهو تفسير قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ بقوله: من قبل رجوع موسى. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) كتبت في نسخة الطبلاوي: «تتبعني» بالياء، وهذه الياء أثبتها في الوصل دون الوقف نافع وأبو عمرو، وأثبتها في الحالين ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب، إلا أن أبا جعفر فتحها وصلاً. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٣).

(٣) عبارة «الكشاف» (٥/ ٣٩٧): «لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا».

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلتُ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فإنَّ الإصلاحَ كانَ في حفظِ الدَّهْماءِ والمداراةِ بهم إلى أَنْ ترجعَ إِلَيْهِم فتُدارِكَ الأَمرِ برَأيِكَ.

(٩٥) - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؛ أي: ثمَّ أقبَلَ إليه[1] فقالَ لهُ مُنكِرًا: ما خطبُكَ؟ أي: ما طلبُكَ له، وما الذي حملكَ عليه؟ وهو مصدرُ خَطَبَ الشَّيءَ: إذا طَلَبَه.

(٩٦) - ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾ وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ بالتَّاءِ على الخطابِ[2]؛ أي: عَلِمتُ ما لم تعلموهُ وفَطِنْتُ لِمَا لم تفطَنُوا له، وهو أنَّ الرَّسولَ الذي جاءكَ روحانيٌّ محضٌ لا يُمَسُّ أثرُه شيئًا إلَّا أحياه، أو: رأيتُ ما لم ترَوْهُ، وهو أنَّ جبريلَ جاءكَ على فرسِ الحياةِ.

قيل: إنَّما عرفَهُ لأنَّ أُمَّهُ ألقَتْهُ حينَ ولدَتْهُ خوفًا مِن فِرعونَ، وكانَ جِبريلُ يَغذوهُ حتَّى استَقلَّ[3].

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ مِن تربةِ مَوْطِئِه[4]، والقبضَةُ: المرَّةُ من القَبضِ، وأُطلِقَ على المقبوضِ كـ: ضَرْبِ الأميرِ.

وقُرِئَ بالصَّادِ[5]، والأوَّلُ للأخذِ بجميعِ الكفِّ والثَّاني للأخذِ بأطرافِ الأصابعِ، ونحوُهما: الخَضْمُ والقَضْمُ[6].

---

(١) في نسخة الطبلاوي والفاروقي: «عليه».

(٢) أي: ﴿تبصروا﴾ انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥) عن السدي.

(٤) في نسخة التفتازاني: «من تربته التي وطئه فرسه».

(٥) أي: (فقَبَصْتُ قبْصَةً)، وفي قاف (قبصة) قراءتان: الضم والفتح، فقرأ بالضم الحسن بخلف، وبالفتح قرأ ابن مسعود وعبد الله بن الزبير وأبي بن كعب ونصر بن عاصم والحسن وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و«المحتسب» (٢/ ٥٥).

(٦) قال في «الكشاف» (٥/ ٣٩٨): «الخاء بجميع الفم والقافُ بمُقَدَّمه».

والرَّسولُ: جبريلُ عليهِ السَّلامُ، ولعلَّه لم يُسمِّهِ لأنَّه لم يعرِفْ أنَّه جبريلُ، أو أرادَ أنْ ينبِّهَ على الوقتِ، وهو حينَ أرسلَ إليه ليذهبَ به إلى الطُّورِ.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في الحليِّ المذابةِ[1]، أو في جوفِ العجلِ حتى حَيِيَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾: زيَّنَتْهُ وحَسَّنَتْه إليَّ.

(٩٧) - ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ عقوبةً على ما فعلتَ ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ خوفًا من أن يمسَّكَ أحدٌ فتأْخُذَكَ[2] الحُمَّى ومَن مسَّكَ، فتُحامي النَّاسَ ويُحاموكَ، وتكونُ طريدًا وحيدًا كالوحشيِّ النَّافرِ.

وقُرِئَ: (لا مَسَاسِ) كفَجَارِ[3]، وهو علمٌ للمسَّةِ.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ في الآخرةِ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: لن يُخْلِفَكَه اللهُ، ويُنجزُهُ لك في الآخرةِ بعدما عاقبَكَ في الدُّنيا.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ والبصريَّانِ بكسرِ اللامِ[4]؛ أي: لَنْ تُخلِفَ الواعدَ إيَّاه وستأتيهِ لا محالةَ، فحُذِفَ المفعولُ الأوَّلُ لأنَّ المَقصودَ هو الموعدُ.

ويجوزُ أن يكونَ مِن أَخْلَفْتُ الوعدَ: إذا وجدتَه خُلْفًا.

وقُرِئَ بالنُّونِ[5] على حكايةِ قولِ اللهِ تعالى.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: ظَلِلْتَ على عِبادَتِه مُقيمًا، فحذفَ اللامَ الأولى تخفيفًا. وقُرِئَ بكَسرِ الظَّاءِ[6] على نقلِ حركةِ اللامِ إليْها.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «المذاب».

(٢) في نسخة الطبلاوي: «فتأخذ».

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ٥٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٢) عن أبي حيوة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٥) انظر: «المحتسب» (٢/ ٥٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٢)، عن الحسن.

(٦) نسبت لابن مسعود وقتادة والأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢).

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾؛ أي: بالنَّارِ، ويُؤيِّدُه قِراءةُ: ﴿لنُحْرِقَنَّه﴾[1]، أو بالمِبْرَدِ على أنه مبالغةٌ في حَرَقَ: إذا بردَ بالمبردِ، ويعضدُهُ قراءةُ: ﴿لنَحْرُقَنَّه﴾[2].

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: ثم لنُذَرِّيَنَّهُ رمادًا أو مبرودًا، وقُرِئَ بضمِّ السِّينِ[3].

﴿فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ فلا يُصادَفُ منه شيءٌ، والمقصودُ من ذلك: زِيادةُ عُقوبَتِه، وإظهارُ غَباوَةِ المُفتَتنينَ بهِ لِمَن لَهُ أَدْنَى نَظرٍ.

(٩٨) ـ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ المستحِقُّ لِعبادَتِكُم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا أحدَ يُماثِلُه أو يُدانيهِ في كمالِ العلمِ والقُدرةِ ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: وسعَ علمُه كلَّ ما يَصِحُّ أن يُعلَمَ، لا العجلُ الذي يُصاغُ ويُحرقُ، وإن كانَ حَيًّا في نفسِهِ كانَ مَثلًا في الغباوةِ.

وقُرِئَ: (وَسَّعَ)[4]، فيكونُ انتصابُ ﴿عِلْمًا﴾ على المَفعوليَّةِ؛ لأنَّه وإن انتصبَ على التَّمييزِ في المَشهورةِ لكنَّه فاعِلٌ في المعنى، فلَمَّا عُدِّيَ الفعلُ بالتَّضعيفِ إلى مفعولينِ صارَ مَفعولًا.

(٩٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الاقتصاصِ ـ يَعني: اقتصاصَ قصَّةِ مُوسى عليهِ السَّلامُ ـ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: مِن أخبارِ الأُمورِ الماضيةِ والأُمَمِ الدَّارجةِ؛ تبصرةً لك، وزيادةً في علمكَ، وتَكثيرًا لِمُعجزاتِكَ، وتَنبيهًا وتذكيرًا للمُستبصِرينَ مِن أُمَّتِك.

---

(١) قرأ بها أبو جعفر من رواية ابن جمَّاز، وقرأ من رواية ابن وردان: ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٢) تقدم أنها قراءة أبي جعفر في إحدى الروايتين عنه. وذكرها في «المحتسب» (٢/ ٥٨) عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وعمرو بن فائد.

(٣) نسبت لعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢).

(٤) نسبت لمجاهد وقتادة. انظر: «المحتسب» (٢/ ٥٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢).

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: كتابًا مُشتَمِلًا على هـذهِ الأقاصيصِ والأخبارِ، حَقيقًا بالتَّفكُّرِ والاعتبارِ.

والتَّنكيرُ فيه للتَّعظيمِ.

وقيل: ذكرًا جميلًا وصيتًا عظيمًا بينَ النَّاسِ.

(١٠٠) ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عَن الذِّكرِ الذي هو القُرآنُ الجامعُ لوُجوهِ السَّعادةِ والنَّجاةِ، وقيل: عـن اللهِ تعالى.

﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: عقوبةً ثقيلةً فادحةً على كُفرِهِ وذُنوبِه. سَمَّاهَا وزرًا تَشبيهًا لثِقَلِها على المعاقَبِ وصعوبةِ احتمالِها بالحَمْلِ الذي يَفْدحُ الحاملَ[٥] ويَنقُضُ ظهرَهُ وزرًا.

أو: إثمًا عظيمًا.

(١٠١) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾: فـي الوزرِ، أو في حَملِه، والجمعُ فيه والتَّوحيدُ في ﴿أَعْرَضَ﴾ للحملِ على المَعنَى واللفظِ.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾؛ أي: بئسَ لَهُم، ففيه ضَميرٌ مُبهَمٌ يُفسِّرُه ﴿حِمْلًا﴾، والمخصوصُ بالذمِّ مَحذوفٌ؛ أي: ساءَ حملًا وزرُهُم، واللامُ فـي ﴿لَهُمْ﴾ للبَيانِ كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولو جُعلَ (ساءَ) بمَعنى: أحزنَ، والضَّميرُ الذي فيه لِلْوِزرِ = أشكلَ أمرُ اللامِ ونَصْبُ ﴿حِمْلًا﴾، ولم يُفِد مَزيدَ مَعْنًى.

---

(٥) فـي نسـخة الطبلاوي: «يقدح الحامـل»، ويفدح: يثقل، يقـال: فدحه الدين أي أثقلـه. انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٤٨).

(١٠٢) ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وقرأ أبـو عَمرٍو بالنُّونِ[١] على إسنادِ النَّفخِ إلى الآمرِ بهِ تَعظيمًا له، أو للنَّافخ.

وقُرِئَ بالياءِ المفتوحةِ[٢] على أنَّ فيهِ ضميرَ اللهِ، أو ضميرَ إسرافيلَ ـ وإنْ لم يجرِ ذِكرُهُ ـ لأنَّه المَشهورُ بذلك.

وقُرِئَ: (في الصُّوَرِ)[٣] وهو جمعُ صورةٍ، وقد سبقَ بَيانُ ذلك.

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ وقُرِئَ: (يُحْشَرُ المجرمونَ)[٤].

﴿زُرْقًا﴾: زرقَ العيونِ، وُصِفُوا بذلك لأنَّ الزُّرقةَ أسوَأُ ألوانِ العينِ[٥] وأبغَضُها إلى العربِ؛ لأنَّ الرُّومَ كانوا أعدى أَعدائِهم وهم زُرْقٌ[٦]، ولذلك قالوا في صفَةِ العَدُوِّ: أسوَدُ الكبدِ، أصهبُ السِّبالِ[٧]، أزرقُ العَينِ.

أو: عُميًا، فإنَّ حدقةَ الأعمى تَزْراقُّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) القراءة بلا نسبة في «الكشاف» (٥/ ٤٠٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٢)، وفي «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٣): وعن الأعرج ويعقوب والحسن: (يوم ينفخ) بفتح وضم.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و«المحتسب» (٢/ ٥٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٣)، و«البحر المحيط» (١٥/ ١٣٧)، عن الحسن.

(٤) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٩٩ ـ ٦٠٠) عن الحسن، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٢) دون نسبة. قال ابن عطية: وهي قراءة مخالفة لخط المصحف.

(٥) في نسخة التفتازاني: «الألوان للعين».

(٦) أي: زرق العيون، كما يفهم من السياق.

(٧) الصَّهَبُ والصُّهْبة: لوَن حمرة في شَعَر الرأسِ واللِّحية إذا كان في الظاهر حُمرة وفي الباطن سواد. انظر: «العين» (٣/ ٤١٣).والسبال: جمع سَبَلَة، وهي الشارب. انظر: «الصحاح» (مادة: سبل). أو مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر. انظر: «النهاية» (مادة: سبل).

(١٠٣) - ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يَخفِضُونَ أَصواتَهُم لِمَا يَملأُ صُدورَهُم مِن الرُّعبِ والهولِ، والخَفْتُ: خَفْضُ الصَّوتِ وإخفاؤُه.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: في الدُّنيا، يَستَقصِرُونَ مُدَّةَ لُبثِهِم فيها لزوالِها، أو لاستطالَتِهِم مدَّةَ الآخرةِ، أو لتأسُّفِهِم عليها لمَّا عايَنُوا الشَّدائدَ وعَلِمُوا أَنَّهُم استَحقُّوهَا على إضاعَتِهَا في قضاءِ الأوطارِ واتِّباعِ الشَّهواتِ.

أو: في القبرِ؛ لقولِه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم: ١٢] إلى آخرِ الآياتِ.

(١٠٤) - ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مُدَّةُ لُبثِهِم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعدَلُهُم رأيًا أو عملًا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ استرجاحٌ لقولِ مَن يكونُ أشدَّ تَقالًّا[1] مِنهُم.

(١٠٥) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: عَن مآلِ أمرِهَا، وقد سأَلَ عنه رجلٌ مِن ثقيف[2] ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾: يجعَلُها كالرَّملِ ثمَّ يرسلُ عليها الرِّياح فتُفرِّقُها.

(١٠٦) - ﴿فَيَذَرُهَا﴾: فيذَرُ مقارَّها، أو الأرضَ وإضمارُها مِن غيرِ ذكرٍ لدلالةِ الجبالِ علَيها؛ كقولِه: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

﴿قَاعًا﴾: خاليًا ﴿صَفْصَفًا﴾: مُستَوِيًا كأنَّ أجزاءها على صَفٍّ واحِدٍ.

(١٠٧) - ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾: اعوجاجًا ولا نُتوءًا إِنْ تأمَّلْتَ فيها بالقياسِ الهَندَسِي.

وثلاثتُها أحوالٌ مُترتِّبَةٌ، فالأَولانِ باعتبارِ الإحساسِ، والثَّالثُ باعتبارِ القِياسِ، ولذلك ذَكَرَ العِوَجَ بالكَسرِ وهو يُخصُّ بالمعاني، والأَمْتَ وهو النُّتوءُ اليَسيرُ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «ثقَالًا».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤١)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٢١) لابن عباس على أن السائل رجال من ثقيف.

وقيل: ﴿لَّا تَرَىٰ﴾ استئنافٌ مُبيِّنٌ للحالَين.

(١٠٨) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ إذ نُسِفَت، على إضافةِ اليَومِ إلى وقتِ النَّسفِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ بدلًا ثانيًا مِن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [طه: ١٠١].

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾: داعيَ اللهِ إلى المحشرِ، قيل: هو إسرافيلُ يَدْعُو النَّاسَ قائمًا على صَخرةِ بيتِ المقدسِ، فيُقبلونَ مِن كلِّ أَوْبٍ إلى صَوْبِه.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا يعوجُّ له مَدعُوٌّ ولا يَعدلُ عنه.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾: خُفِضَت لِمَهابَتِه ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: صوتًا خَفِيًّا، ومنه: الهَمِيسُ لصوت أَخفافِ الإبلِ، وقد فُسِّرَ الهمسُ بخفقِ أقدامِهم ونقلِها إلى المحشرِ.

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ الاستثناءُ مِن الشَّفاعةِ؛ أي: إلَّا شَفاعةُ مَن أذنَ، أو مِن أَعَمِّ المفاعيلِ؛ أي: إلَّا مَن أذنَ في أن يشفعَ له فإنَّ الشَّفاعةَ تنفعُهُ، فـ﴿مَنْ﴾ على الأوَّلِ مَرفوعٌ على البَدليَّةِ[١]، وعلى الثَّاني مَنصوبٌ على المَفعوليَّةِ.

و﴿أَذِنَ﴾ يحتمِلُ أن يكونَ مِن الإِذْنِ[٢] أو مِن الأَذَنِ[٣].

﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: ورضيَ لِمَكانِه عندَ اللهِ قولَه في الشَّفاعةِ، أو: رضيَ لأَجلِهِ قولَ الشَّافعِ في شأنِه، أو قولَهُ لأجلِه وفي شأنِه.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «بالبدلية».

(٢) في نسخة الطبلاوي: «الآذان».

(٣) الأذن بفتحتين: الاستماع، والإذن بكسر الهمزة وسكون الذال: الإباحة والإطلاق. وقد نحو هذا الخلاف في حديث: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن يجهر به». انظر: «فتح الباري» (٩/ ٦٩)، و«عمدة القاري» (٢٠/ ٤٠).

(١١٠) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدَّمَهم مِن الأحوالِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما بعدَهُم ممَّا يَستقبلونَه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: ولا يحيطُ عِلمُهُم بمَعلوماتِه، وقيل: بذاتِه.

وقيل: الضَّميرُ لأَحدِ المَوْصولَيْنِ، أو لِمَجموعِهما، فإنَّهم لم يَعلَمُوا[1] جميعَ ذلك ولا تَفصيلَ ما عَلِموا مِنه.

(١١١) ـ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾: ذلَّتْ وخَضَعت له خُضوعَ العُناةِ، وهم الأُسارى في يدِ المَلِكِ القهَّارِ، وظاهِرُها يَقتَضِي العُمومَ.

ويَجوزُ أَن يُرادَ بها وجوهُ المُجرمينَ، فتكُونُ اللامُ بدلَ الإضافةِ، ويؤيِّدُه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وهو يحتمِلُ الحالَ، والاستئنافَ لبيَانِ ما لأجلِهِ عَنَتْ وُجوهُهُم.

(١١٢) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعضَ الطَّاعاتِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ الإيمانُ شرطٌ في صِحَّةِ الطَّاعاتِ وقَبولِ الخَيراتِ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: مَنْعَ ثوابٍ مُستحَقٍّ بالوَعدِ ﴿وَلَا هَضْمًا﴾: ولا كَسرًا مِنه بنُقصانٍ.

أو: جزاءَ ظلمٍ وهَضمٍ؛ لأنَّه لم يَظلِمْ غيرَه ولم يَهضِم حقَّه.

وقُرِئَ: ﴿فلا يَخَفْ﴾ على النَّهيِ[2].

(١١٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطفٌ على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ [طه: ٩٩]؛ أي: مثلَ ذلك الإنزالِ، أو: مثلَ إنزالِ هذه الآياتِ المُتضمِّنَةِ للوَعيدِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ كلَّه على هذه الوَتيرةِ ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾: مُكَرِّرينَ فيه آياتِ الوَعيدِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصيَ فتصيرَ التَّقوى لَهُم مَلَكةً ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: عِظةً واعتِبارًا حينَ يَسمَعونَها فتُثبِّطَهُم عنها، ولهذه النُّكتةِ أسندَ التَّقوى إليهم والإحداثَ إلى القُرآنِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «لا يعلمون»، وفي نسخة الطبلاوي: «لا يعلموا».

(٢) هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(١١٤) ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ في ذاتِه وصِفاتِه عن مُماثلَةِ المَخلوقينَ لا يُماثل كلامُه كلامَهُم كما لا تُماثِلُ ذاتُه ذاتَهم.

﴿ٱلْمَلِكُ﴾: النافِذُ أمرُه ونهيُه، الحقيقُ بأَنْ يُرجَى وعدُهُ ويُخشَى وَعيدُه.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ في مَلَكوتِه يَستحقُّه لذاتِه، أو الثابتُ في ذاتِه وصفاته.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ نهيٌ عن الاستعجالِ في تَلَقِّي الوحيِ مِن جبريلَ ومُساوقَتِهِ في القراءة[1] حتى يَتمَّ وحيُهُ ـ بعدَ ذكرِ الإنزالِ ـ على سَبيلِ الاستِطرادِ.

وقيل: نهيٌ عن تبليغِ ما كانَ مُجمَلًا قبلَ أَنْ يأتيَ بيانُه.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾؛ أي: سَلِ اللهَ زيادةَ العلمِ بدلَ الاستعجالِ، فإنَّ ما أُوحي إليك تنالُه لا محالةَ.

(١١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: ولقَدْ أَمَرْناه، يقال: تقدَّمَ المَلِكُ إليه، وأوعزَ إليه، وعزَمَ عليه، وعَهِدَ إليه: إذا أمرَهُ، واللامُ جوابُ قسمٍ مَحذوفٍ، وإنَّما عَطَفَ قصَّةَ آدمَ على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ أساسَ بني آدمَ على العصيانِ، وعِرقَهُم راسخٌ في النِّسيانِ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: مِن قبلِ هذا الزَّمانِ ﴿فَنَسِيَ﴾ العهدَ ولم يُعْنَ بـهِ حتَّى غَفَلَ عنه، أو: تَرَكَ ما وُصِّيَ به مِن الاحترازِ عن الشَّجرةِ.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: تصميمَ رأيٍ وثباتاً على الأمرِ؛ إذ لو كان ذا عزيمةٍ وتَصلُّبٍ لم يُزِلَّهُ الشَّيطانُ ولم يَستَطِع تغريرَه، ولعلَّ ذلك كان في بدءِ أمرِهِ قبلَ أَنْ

---

(١) في نسخة التفتازاني: «القرآن».

يُجرِّبَ الأمورَ ويذوقَ شَرْيَها وأرْيَها، وعن النبيِّ ﷺ: «لو وُزِنَتْ أحلامُ بني آدمَ بحِلْمِ آدمَ لرجحَ حِلمُهُ» وقد قالَ الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1].

وقيل: عزمًا على الذَّنبِ؛ لأنَّه أخطأَ ولم يَتعمَّد.

و﴿لـم نَجِـد﴾ إن كانَ مِن الوجودِ الذي بمَعنى العلـمِ فـ﴿لَهُۥ عَزْمًا﴾ مفعولاهُ، وإن كانَ مِـن الوجـودِ المناقِـضِ للعـدمِ فــ﴿لَهُۥ﴾ حـالٌ مِـن ﴿عَزْمًا﴾ أو مُتعلِّـقٌ بـ﴿نَجِدْ﴾.

(١١٦) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ مقدَّرٌ بـ: اذكُرْ؛ أي: اذكُرْ حالَه في ذلك الوقتِ ليتبيَّنَ لك أنَّه نَسِيَ ولم يَكُن مِن أُولي العَزيمةِ والثَّباتِ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ قد سبقَ القولُ فيه.

﴿أَبَىٰ﴾ جملةٌ مُستأنفةٌ لبيانِ ما منعَهُ مِن السُّجودِ وهو الاستكبارُ، وعلى هذا لا يقدَّرُ له مَفعولٌ مثلَ (السُّجودَ) المدلولِ عليه بقولِه: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ لأنَّ المعنى: أظهَرَ الإباءَ عَن المطاوعةِ.

(١١٧) ـ ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: فلا يكونَنَّ سَبَبًا لإخراجِكُما، والمرادُ: نهيُهُما مِن أن يكونا بحيثُ يَتسبَّبُ الشَّيطانُ إلى إخراجِهِما.

﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أفردَهُ بإسنادِ الشَّقاءِ[2] إليه بعدَ إشراكِهِما فـي الخُروجِ اكتفاءً باستلزامِ شَقائِه شقاءَها مِن حيثُ إنَّه قيِّمٌ عليها، ومحافظةً على الفواصلِ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» تكملة التفسير (٦/ ٢٧٥) (١٤٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٨٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ٢٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥١٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٤٤)، عن أبي أمامة موقوفاً.

(٢) في نسخة التفتازاني: «الشقاوة».

أو لأنَّ المرادَ بالشَّقاءِ: التَّعبُ في طلبِ المعاشِ وذلك وظيفةُ الرِّجالِ، ويؤيِّدُه قـولـه:

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ فـإنَّه بيانٌ وتَذكيرٌ لِمَا له في الجنَّةِ مِن أَسبابِ الكِفايةِ وأقطابِ الكَفَافِ ـ التي هي: الشِّبَعُ والرِّيُّ والكِسوةُ والكِنُّ، مُستغنيًا عن اكتسابِها والسَّعي في تحصيلِ أعواضِ ما عَسى ينقطِعُ ويَزولُ منها ـ بذكرِ نَقائِضِها ليَطْرُقَ سمعَهُ بأصنافِ الشَّقوةِ المحذَّرِ منها.

والعاطفُ وإن نابَ عن (إنَّ) لكنَّه نابَ مِن حيثُ إنَّه حرفٌ عاملٌ لا مِن حيثُ إنَّه حَرفُ تحقيقٍ، فلا يمتنعُ دخولُهُ على (أنَّ) امتناعَ دُخولِ (إنَّ) عليه.

وقرأ نافعٌ وأبو بكر: ﴿وإِنَّكَ لا تَظْمَؤُا﴾ بكسر الهمزة، والباقون بفتحها[١].

(١٢٠) ـ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فأنهى إليه وَسْوستَه ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: الشَّجرةِ التي مَن أكلَ مِنْها خَلَدَ ولَمْ يَمُت أصلًا، فأضافَها إلى الخُلدِ ـ وهو الخلودُ ـ لأنَّها سببُهُ بزعمِه.

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزولُ ولا يَضعُفُ.

(١٢١) ـ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: أخذا يُلْزِقانِ الورقَ على سَوآتِهما للتَّستُّرِ، وهو ورقُ التِّينِ.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ بـأكلِ الشَّـجرةِ ﴿فَغَوَىٰ﴾: فضَـلَّ عَـن المَطلـوبِ، وخـابَ حيـثُ طلـبَ الخُلـدَ بـأكلِ الشَّـجرةِ، أو: عَـن المأمـورِ بـهِ، أو: عـن الرُّشـدِ حيـثُ اغتـرَّ بقـولِ العَدُوِّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقُرِئَ: (فغَوِيَ)[1] مِن غَوِيَ الفَصِيلُ: إذا أُتخمَ مِن اللَّبنِ.

وفي النَّعيِ عليه بالعِصيانِ والغوايةِ مع صِغَرِ زَلَّتِه تَعظيمٌ للزلَّةِ وزجرٌ بليغٌ لأولادِه عَنْها.

(١٢٢) ـ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اصطفاهُ وقرَّبه بالحملِ على التَّوبةِ والتَّوفيقِ لها، مِن جُبِيَ إليَّ كذَا فاجتبَيْتُه، مثل: جُلِيَتْ علَيَّ العروسُ فاجتَلَيْتُها[2]، وأصلُ الكَلِمَةِ: الجمعُ.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فقبِلَ توبتَهُ لَمَّا تابَ ﴿وَهَدَىٰ﴾ إلى الثَّباتِ على التَّوبةِ والتَّشبُّثِ بأسبابِ العِصمَةِ.

(١٢٣) ـ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الخطابُ لآدمَ وحوَّاءَ، أوله ولإبليسَ، ولَمَّا كانا أصلَ الذُّرِّيَّةِ خاطَبَهُما مُخاطبَتَهُم فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأمرِ المَعاشِ[3] كما عليه النَّاسُ مِن التَّجاذُبِ والتَّحارُبِ، أو لاختلالِ حالِ كلٍّ مِن النَّوعينِ بواسطَةِ الآخرِ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قولُه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: كتابٌ ورسولٌ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرةِ.

(١٢٤) ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾: عَن الهدى الذَّاكرِ لي والدَّاعي إلى عِبادَتي ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: ضيِّقًا، مَصدرٌ وُصِفَ به، ولذلكَ يَستَوِي فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ.

---

(١) انظر: «التبيان» للعكبري (٢/ ٩٠٦)، وفيه: وقرئ شاذًّا بالياء وكسر الواو، وهو من غوي الفصيل: إذا بشم على اللبن، وليست بشيء.

(٢) قوله: «جُليت عليَّ العروسُ فاجتليتُها»؛ أي: نظرتُ إليها مجلوةً. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٢٦٣).

(٣) أي: متعادين في أمر المعاش.

وقُرِئَ: (ضَنْكَى)[١] كسَكْرَى، وذلك لأنَّ مجامِعَ همِّهِ ومَطامِحَ نَظرِهِ تكونُ إلى أعراضِ الدُّنيا مُتهالكًا على ازديادِها خائفًا على انتقاصِها، بخلافِ المؤمنِ الطَّالبِ للآخرةِ، مع أنَّه تَعالى قد يُضيِّقُ بشُؤمِ الكُفرِ ويوسِّعُ ببركةِ الإيمانِ، كما قال:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟﴾ [الأعراف: ٩٦] الآيات.

وقيل: هو الضَّريعُ والزَّقُّومُ في النَّارِ.

وقيل: عذابُ القبرِ.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ قُرِئَ بسُكونِ الهاءِ على لَفظِ الوقفِ[٢]، وبالجزمِ[٣] عَطفًا على محلِّ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً﴾ لأنَّه جوابُ الشَّرطِ.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: أعمَى البَصرِ، أو القَلبِ.

ويـؤيِّدُ الأوَّلَ:

(١٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ وقد أمالَهُما حمزَةُ والكِسائيُّ لأنَّ الألِفَ منقلبةٌ مِن الياءِ[٤]، وفرَّقَ أبو عَمرٍو[٥] بأنَّ الأوَّلَ رأسُ الآيةِ ومحلُّ الوَقفِ فهو جديرٌ بالتَّغييرِ.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٤)، وقيدها بالإمالة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ٤٢٠) دون نسبة، وذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣) عن أبان بن تغلب مقيدةً بجزم الراء والهاء.

(٣) أي: (ونَحْشُرْه). انظر: «المحتسب» (٢/ ٦٠)، عن أبان بن تغلب. وهي في «الكشاف» (٥/ ٤٢٠) دون نسبة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٥)، و«التيسير» (ص: ٤٦).

(٥) يعني: فرق بينهما بأن أمال الأولى، ولم يُمل الثانية. انظر: «التيسير» (ص: ٦٤)، و«النشر» (٢/ ٤٣).

(١٢٦) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ ذلكَ فعلْتَ، ثم فسَّرَه فقال: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ واضحَةً نيِّرَةً، ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فعَمِيْتَ عَنْها وترَكْتَها غيرَ مَنظورٍ إليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ تركِكَ إيَّاها ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تُترَكُ في العَمَى والعَذابِ.

(١٢٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ بالانهماكِ في الشَّهواتِ والإعراضِ عَن الآياتِ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بل كذَّبَها وخالَفَها.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو الحشرُ على العَمى، وقيل: عذابُ النَّارِ؛ أي: ولَلنَّارُ بعدَ ذلك ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ مِن ضنكِ العَيشِ، أو: منهُ ومِن العَمى، ولعلَّه إذا دخلَ النَّارَ زال عمَاهُ ليرَى محلَّهُ وحالَهُ.

أو: ممَّا فعلَهُ مِن تركِ الآياتِ والكُفرِ بها.

(١٢٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ مسندٌ إلى اللهِ، أو الرَّسولِ، أو ما دلَّ عليه: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾؛ أي: إهلاكُنا إيَّاهُم، أو الجملةِ بمَضمونِها، والفِعلُ على الأوَّلَيْنِ معلقٌ يَجرِي مجرى (أَعْلَمَ)، ويدلُّ عليه القِراءةُ بالنُّونِ[1].

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ويشاهدونَ آثارَ هَلاكِهِم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لذَوِي العقولِ النَّاهيَةِ عن التَّغافُلِ والتَّعامي[2].

(١٢٩) ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي العِدَةُ بتأخيرِ عذابِ هذه الأمَّةِ إلى الآخرةِ ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾: لكانَ مثلُ ما نزلَ بعادٍ وثَمودَ لازمًا لهؤلاءِ الكَفرةِ، وهو مصدرٌ وُصِفَ به، أو اسمُ آلةٍ سُمِّيَ به اللازمُ لفَرْطِ لُزومِه؛ كقَولِهم: لِزَازُ خَصْمٍ.

---

(١) أي: (نهدِ). انظر: «الكشاف» (٥/ ٤٢١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٩)، دون نسبة، و«البحر المحيط» (١٥/ ١٦٣) عن ابن عباس والسلمي.

(٢) في نسخة التفتازاني: «والمعاصي»، وفي نسخة الطبلاوي: «التغافل والمعاصي والتعامي».

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عطفٌ على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: ولولا العِدَةُ بتأخيرِ العذابِ وأجلٌ مُسمًّى لأعمارِهِم، أو لعَذابِهم وهو يومُ القيامَةِ أو يومُ بدرٍ = لكانَ العذابُ لِزامًا، والفصلُ للدَّلالةِ على استِقلالِ كلٍّ مِنْهُما بنفيِ لزومِ العَذابِ.

ويجوزُ عَطفُه على المُستكنِّ في (كان)؛ أي: لكانَ الأخذُ العاجِلُ وأجلٌ مُسمًّى لازِمَينِ له.

(١٣٠) ـ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: وصَلِّ وأنتَ حامِدٌ لرَبِّكَ على هِدايَتِه وتَوفيقِه، أو: نزِّهْهُ عن الشِّركِ وسائرِ ما يضيفونَ إليه من النقائصِ حامدًا له على ما ميَّزكَ بالهُدى مُعترفًا بأنَّه المُوْلي للنِّعَمِ كلِّها.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني: الفجرَ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: الظُّهرَ والعصرَ لأنَّهما في آخرِ النَّهارِ، أو العَصرَ وحدَه.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾: ومِن ساعاتِه، جمع إِنًى بالكسرِ والقصرِ، وأناءٍ بالفتحِ والمدِّ.

﴿فَسَبِّحْ﴾ يعني: المغربَ والعِشاءَ، وإنَّما قُدِّمَ الزَّمانُ فيه لاختصاصِه بمَزيدِ الفَضلِ، فإنَّ القلبَ فيه أجمَعُ والنَّفسَ أميَلُ إلى الاستراحةِ فكانَتِ العبادةُ فيه أحمَزَ[1]، ولذلك قالَ تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ تكريرٌ لصَلاتَي الصُّبحِ والمَغربِ إرادةَ الاختصاصِ، ومجيئُهُ بلَفظِ الجمعِ لأمنِ الإلباسِ كقوله:

ظهراهمـا مثـلُ ظهـورِ التُّرسَـيْنِ[2]

---

(١) أي: أشد وأشق، والحَمازَةُ: الشِّدَّةُ، وأحْمَزُ الأعْمالِ: أمْتَنُها. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: حمز).

(٢) الرجز لخطام المجاشعي، كما في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٤٨)، و«خزانة الأدب» (٢/ ٣١٤). ولهميان بن قحافة، كما في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٦٢٢)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٩٦).

أو: أمرٌ بصَلاةِ الظُّهرِ؛ فإنَّه نِهايةُ النِّصفِ الأوَّلِ مِن النَّهارِ وبِدايَةُ النِّصفِ الأَخيرِ، وجمعُه باعتبارِ النِّصفَيْنِ، أو لأنَّ النَّهارَ جِنسٌ. أو بالتَّطوُّعِ في أَجزاءِ النَّهارِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(سبِّحْ)؛ أي: سَبِّحْ في هذه الأوقاتِ طَمَعًا أن تنالَ عندَ اللهِ ما بهِ ترضَى نفسُكَ.

وقرأَ الكِسائيُّ وأبو بكرٍ بالبناءِ للمَفعولِ[1]؛ أي: يرضيكَ رَبُّكَ.

(١٣١) ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾؛ أي: نظرَ عينيكَ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ استحسانًا لهُ وتَمنِّيًا أن يكونَ لكَ مِثلُه.

﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافًا مِن الكَفرةِ، ويجوزُ أن يكونَ حالًا مِن الضَّميرِ، والمَفعولُ ﴿مِّنْهُمْ﴾؛ أي: إلى الذي مَتَّعنا بهِ ـ وهو أصنافٌ ـ بعضَهُم وناسًا مِنهم.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ منصوبٌ بمَحذوفٍ دَلَّ عليه ﴿مَتَّعْنَا﴾، أو ﴿بِهِۦٓ﴾ على تضمينِه مَعنى: أعطينَا، أو بالبدلِ مِن مَحلِّ ﴿بِهِۦٓ﴾، أو مِن ﴿أَزْوَٰجًا﴾ بتقديرِ مُضافٍ ودونَه، أو بالذمِّ.

وهي الزِّينَةُ والبهجةُ.

وقرأَ يَعقوبُ بالفَتحِ[2]، وهي لغَةٌ كالجَهَرَةِ في الجَهْرَةِ، أو جمعُ زاهرٍ وصفٌ لهم بأنَّهُم زاهِرُو الدُّنيا لتنعُّمِهِم وبهاءِ زِيِّهِم، بخلافِ ما عليه المؤمنونَ الزُّهَّادُ.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنبْلُوَهم ونَختبِرَهُم فيه، أو: لنُعَذِّبَهُم في الآخرةِ بسببِه.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: وما ادَّخرَ لكَ في الآخرةِ، أو: ما رزقكَ مِن الهُدَى والنُّبوَّةِ ﴿خَيْرٌ﴾ مما مَنَحهم في الدُّنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ فإنَّه لا يَنقَطِعُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(١٣٢) ـ ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أمرَهُ بأَنْ يَأمُـرَ أهلَ بيتِه أو التَّابعينَ له مِن أُمَّتِه بالصَّلاةِ بعدما أمرَهُ بها؛ ليَتعاونوا على الاستعانةِ بها على خصاصَتِهِم، ولا يَهتَمُّوا بأَمرِ المعيشَةِ، ولا يلتَفِتُوا لفتَ أربابِ الثَّروَةِ.

﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾: وداوِمْ عليها ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗا﴾ أن تـرزُقَ نفسَـكَ ولا أهلَـكَ ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ﴾ وإيَّاهُـم، ففرِّغْ بالَـكَ لأمرِ الآخـرةِ ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودةُ ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾: لذَوِي التَّقوى.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ كان إذا أصابَ أهلَهُ ضرٌّ[١] أمرَهُم بالصَّلاةِ، وتلا هذه الآيةَ[٢].

(١٣٣) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: بآيةٍ تدلُّ على صِدقِه في ادِّعاءِ[٣] النُّبوَّةِ، أو: بآيةٍ مُقترَحةٍ إنكارًا لِمَا جاءَ به مِن الآياتِ أو للاعتدادِ به تعنُّتًا وعنادًا، فألزَمَهُم بإتيانِه بالقُرآنِ الذي هو أمُّ المُعجِزاتِ وأعظَمُها وأبقاها؛ لأنَّ حَقيقةَ المُعجزَةِ: اختصاصُ مُدَّعي النُّبوَّةِ بنَوعٍ مِن العلمِ أو العملِ على وجهٍ خارقٍ للعادةِ، ولا شَكَّ أنَّ العلمَ أَصلُ العَملِ وأعلى منه قَدْرًا وأبقى أثرًا، فكذا ما كانَ مِن هذا القَبيلِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «شر».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٤٤٥)، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١١)، من طريق سعيد بن منصور، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٦) من طريق سعيد بن سليمان.

وبعضهم جعله من حديث عبد الله بن سلام، وبعضهم جعله من حديث محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام. قال الطبراني: تفرد به معمر. وقال أبو نعيم: غريب من حديث معمر وابن المبارك لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

وصحح السيوطي إسناده في «حاشيته على البيضاوي» عند هذه الآية.

(٣) في نسخة الخيالي: «في دعوى»، وفي نسخة الطبلاوي: «بادعاء».

ونَبَّهَهُم أيضًا على وجهٍ أَبينَ مِن وُجوهِ إعجازِه المختصَّةِ بهذا البابِ فقال:

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ مِن التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ الكُتبِ السَّماويَّةِ؛ فإنَّ اشتمالَها على زبدةِ ما فيها من العَقائدِ والأحكامِ الكُلِّيَّةِ ـ مع أنَّ الآتيَ بها أُمِّيٌّ لم يَرَها ولم يَتعلَّم ممَّنْ عَلِمَها ـ إعجازٌ بيِّنٌ، وفيه إشعارٌ بأنَّه كمَا يدلُّ على نُبوَّتِه برهانٌ لِمَا تَقدَّمَه مِن الكتبِ مِن حيثُ إنَّه مُعجِزٌ، وتلك ليسَتْ كذلك بل هيَ مُفتقِرَةٌ إلى ما يَشهدُ على صِحَّتِها.

وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ بالتاء، والباقون بالياء[1].

وقُرِئَ: (الصُّحْفَ) بالتَّخفيفِ[2].

(١٣٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: مِن قبلِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، أو البيِّنةِ، والتَّذكيرُ لأنَّها في مَعنى البرهانِ، أو المرادُ بها القُرآنُ.

﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالقتلِ والسَّبيِ في الدُّنيا ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بدخولِ النَّارِ يومَ القيامةِ، وقد قُرِئَا بالبناءِ للمَفعولِ[3].

(١٣٥) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: كلُّ واحدٍ مِنَّا ومِنْكُم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: مُنتَظِرٌ لِمَا يَؤُولُ إليهِ أمرُنا وأَمرُكُم ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ وقُرِئَ: (فتمتَّعُوا)[4].

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: المستقيمِ، وقُرِئَ: (السَّواءِ)؛

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣) عن ابن عباس وجماعة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣) عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية.

(٤) نسبت لأبي رافع. انظر: «الكشاف» (٥/ ٤٣٠)، وضبطت في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣): (فَيُمتَّعوا).

أي: الوسطِ الجيِّدِ، و: (السُّوأى)، و: (السَّوءِ)؛ أي: الشرِّ، و: (السُّوَيِّ) وهو تَصغيرُه[١].

﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِن الضَّلالةِ.

و﴿مَن﴾ في الموضعينِ للاستفهامِ، ومحلُّها[٢] الرَّفعُ بالابتداءِ، ويجوزُ أن تكونَ الثَّانيةُ موصولةً، بخلافِ الأولى لعدمِ العائدِ، فتكونُ مَعطوفةً على محلِّ الجُملةِ الاستفهاميَّةِ المعلَّقِ عنها الفعلُ على أنَّ العلمَ بمعنى المعرفَةِ، أو على ﴿أَصْحَٰبُ﴾، أو على ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ على أنَّ المُرادَ بِهِ النَّبيُّ.

وعنه ﷺ: «مَن قرأَ طه أُعطِيَ يومَ القِيامَةِ ثوابَ المُهاجرينَ والأنصارِ»[٣].

***

---

(١) القراءات الأربع في «الكشاف» (٥/ ٤٢٩)، ونسبها في «البحر» (١٥/ ١٧٢ ـ ٧٣) الأولى لأبي مجلز وعمران بن حدير، والثانية للجحدري وابن يعمر، والثالثة لابن عباس، أما الرابعة فقد أوردها دون نسبة، ثم تعقب الزمخشري في قوله عنها: «تصغير السوء» بقوله: وليس بجيد؛ إذ لو كان تصغير (سَوْء) لثبتت همزته في التصغير، فكنت تقول: (سُوَيْء)، والأجودُ أن يكون تصغيرَ (سواء) كما قالوا في عطاء: عُطَيٌّ.

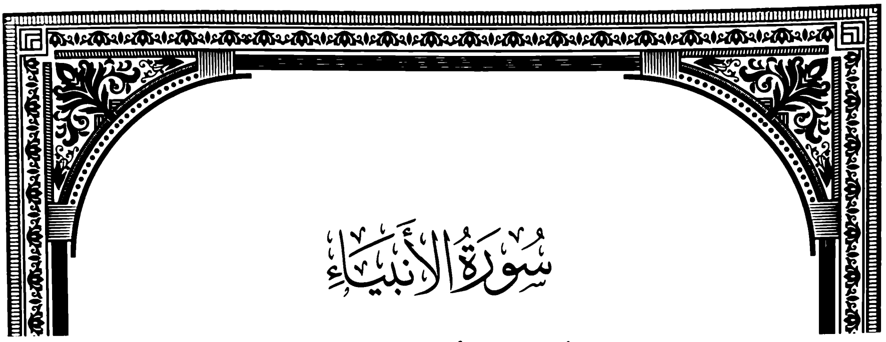
قلت: وعلى رسم (السويء) وردت في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣) عن يحيى بن يعمر.

(٢) في نسخة التفتازاني: «ومحلهما».

(٣) قطعة من حديث أبي بن كعب الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٨٢٥).



سُورَةُ الأَنبِيَاءِ



سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مَكيَّةٌ، وهي مئةٌ واثنَتا عشرَةَ آيةً[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ بالإضافةِ إلى ما مَضى، أو: عندَ اللهِ؛ كقولِه[2]: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧]، وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

أو لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قَريبٌ، وإنَّما البعيدَ ما انقرضَ ومَضى.

واللّامُ صِلَةٌ لـ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ أو تأكيدُ الإضافةِ، وأصلُه: اقتربَ حِسابُ النَّاسِ، ثمَّ: اقتربَ للنَّاسِ الحِسابُ، ثمَّ: اقتربَ للنَّاسِ حِسابُهُم.

وخُصَّ الناسُ بالكُفَّارِ لتَقييدِهِم بقولِه:

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: في غفلةٍ مِن الحسابِ مُعرِضونَ عَن التَّفكُّرِ فيهِ، وهمَا خبرانِ للضَّميرِ، ويجوزُ أن يكونَ الظَّرفُ حالًا مِن المستكنِّ في ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٨٧)، وفيه: وهي مئة واثنتا عشرة آية في الكوفي، وإحدَى عشرةَ في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦] عَدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون.

(٢) في نسخة الخيالي: «لقوله».

(٢) - ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ يُنبِّهُهُم عَـن سِنَةِ الغفلةِ والجَهالةِ ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ صفةٌ لـ﴿ذِكْرٍ﴾ أو صلةٌ لـ﴿يَأْتِيهِم﴾.

﴿مُّحْدَثٍ﴾ تنزيلُـهُ ليكـرِّرَ على أسـماعِهِم التَّنبيهَ كـي يَتَّعِظُوا، وقُـرِئَ بالرَّفعِ[1] حملًا علـى المحلِّ.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يَسـتهزِئونَ بـه ويَستَسـخِرُونَ منـه؛ لتَناهـي غَفْلَتِهم وفَـرْطِ إعراضِهِـم عـن النَّظـرِ فـي الأمـورِ والتَّفكُّرِ فـي العواقبِ.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ حالٌ مِن الواوِ. وكذلكَ:

(٣) - ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: اسـتمَعُوهُ جامِعيـنَ بيـنَ الاسـتهزاءِ بـه والتَّلهِّي والذُّهـولِ عَـن التَّفكُّـرِ فيه. ويجـوزُ أن يكـونَ الحال مِـن واو ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

وقُرِئَتْ بالرَّفعِ[2] على أنَّه خبرٌ آخرُ للضَّميرِ.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾: بالَغُوا في إخفائِها، أو جعَلُوها بحيثُ خَفِيَ تَناجيهِم بها.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بدلٌ مِن واوِ (أسرُّوا) للإيماءِ بأنَّهُم ظالمونَ فيما أَسرُّوا به.

أو فاعلٌ له، والواوُ لعلامةِ الجمعِ.

أو مبتدأٌ، والجملةُ المتقدِّمَةُ خبرُه، وأصلُه: وهؤلاءِ أسرُّوا النَّجوى، فوضعَ المَوصولُ موضِعَهُ تَسجيلًا على فعلِهِم بأنَّه ظلمٌ.

أو منصوبٌ على الذمِّ.

---

(١) نسبت لابن أبي عبلة. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٠)، و«الكشاف» (٥/ ٤٣٥)، و«البحر» (١٥/ ١٧٩).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣) عن عيسى، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٠) عن ابن أبي عبلة، و«البحر المحيط» (١٥/ ١٧٩) عنهما.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ بأسرِهِ في مَوضِعِ النَّصبِ بدلًا مِن ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ أو مفعولًا لقولٍ مُقدَّرٍ؛ كأنَّهُم استدَلُّوا بكونِه بَشرًا على كَذبِهِ في ادِّعاءِ الرِّسالَةِ لاعتقادِهِم أَنَّ الرَّسولَ لا يَكونُ إلَّا مَلَكًا، واستلزَمُوا منه أنَّ ما جاءَ بِهِ مِن الخَوارِقِ كالقرآنِ سحرٌ فأنكَرُوا حضورَهُ، وإنَّما أَسرُّوا به تشاورًا في استنباطِ ما يهدمُ أمرَهُ ويُظهرُ فسادَهُ للنَّاسِ عامةً.

(٤) ـ ﴿قُلْ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ جهرًا كانَ أو سِرًّا فضلًا عمَّا أسرُّوا به، وهو آكدُ مِن قولِه: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]، ولذلك اختيرَ هاهنا، وليطابقَ قولَه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿قَالَ﴾[١] بالإخبارِ عن الرَّسولِ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يَخفَى عليه ما يُسِرُّونَ[٢] ولا ما يُضمِرُونَ.

(٥) ـ ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ إضرابٌ لهم عَن قَولِهِم: هو سِحرٌ، إلى أنَّه تخاليطُ الأحلامِ، ثمَّ إلى أنَّه كلامٌ افتراهُ، ثمَّ إلى أنه قولُ شاعرٍ.

والظَّاهرُ أنَّ (بل) الأولى لتَمامِ حكايةٍ والابتداءِ بأخرى، أو للإضرابِ عَن تَجاوُزِهِم في شأنِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ وما ظهرَ عليهِ مِن الآياتِ إلى تَقاوُلِهِم في أمرِ القُرآنِ، والثَّانيةُ والثالثةُ لإضرابِهم عن كونِه أباطيلَ خُيِّلَت إليه وخلَّطَتْ عليه إلى كونِه مُفتَرياتٍ اختلقَها مِن تِلقاءِ نَفسِه، ثمَّ إلى أنَّه كلامٌ شِعريٌّ يُخَيِّلُ إلى السَّامعِ معانيَ لا حقيقةَ لها ويرغِّبُه فيها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٢) في نسخة الفاروقي: «ما يبرزون».

ويجوزُ أَنْ يكونَ الكلُّ مِن اللهِ[١] تنزيلًا لأقوالِهم في دَرجِ الفَسادِ؛ لأنَّ كونَه شِعرًا أبعدُ مِن كونِه مُفترًى؛ لأنَّه مَشحونٌ بالحَقائقِ والحِكَمِ ليسَ فيه[٢] ما يناسبُ قولَ الشُّعراءِ، وهو مِن كونِه[٣] أحلامًا؛ لأنَّه مُشتَمِلٌ على مغيباتٍ كَثيرةٍ طابقَتِ الواقعَ، والمُفترَى لا يكونُ كذلك بخلافِ الأحلامِ، ولأنَّهُم جرَّبُوا رسولَ اللهِ ﷺ نَيِّفًا وأربعينَ سنةً وما سَمِعُوا منه كذبًا قطُّ، وهو مِن كونِه سحرًا لأنَّه يُجانِسُه[٤] مِن حيثُ إنَّهُما مِن الخَوارقِ.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: كما أرسلَ به الأوَّلونَ مثلَ اليدِ البَيضاءِ والعَصَا وإبراءِ الأكمَهِ وإحياءِ المَوْتَى، وصِحَّةُ التَّشبيهِ مِن حيثُ إنَّ الإرسالَ يَتضمَّنُ الإتيانَ بالآيةِ.

(٦) ـ ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾: مِن أهلِ قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ باقتراحِ الآياتِ لَمَّا جاءَتْهُم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لو جِئْتَهُم بها وهم أَعْتَى مِنْهُم.

وفيه تنبيهٌ على أنَّ عدمَ الإتيانِ بالمقترحِ للإبقاءِ عليهِم؛ إذ لو أَتَى به ولم يُؤمِنُوا استوجبوا عذابَ الاستئصالِ كمَنْ قبلَهُم.

---

(١) أي يجوز أن يكون الإضراب كله في المحال الثلاثة من الله على طريق الترقي من الفاسد إلى الأفسد ثم الأفسد. «حاشية الشهاب».

(٢) في نسخة التفتازاني الطبلاوي: «فيها».

(٣) في نسخة الطبلاوي: «وهو أبعد»، والمثبت من باقي النسخ، وعليه شرح الشهاب (٣/ ٧٩) فقال: وضمير (وهو) راجع لكونه مفترى، و(من كونه) متعلق بـ(أبعد) مقدر، ولأنه تعليل له.

(٤) قوله: (لأنه يجانسه) أما كون القرآن من الخوارق فباعتبار إعجازه وأخباره عن المغيبات وصدوره من الأميِّ، وأمَّا كون السحر خارقاً فباعتبار الظاهر فلا ينافي كونه تمويهاً أو لأسباب خفية كما قيل. «حاشية الشهاب».

(٧) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فأمرَهُم أن يسألُوا أهلَ الكتابِ عَن حالِ الرُّسُلِ المُتقدِّمَةِ لتزولَ عَنْهُم الشُّبهَةُ، والإحالةُ إليهِم: إمَّا للإلزامِ فإنَّ المُشركينَ كانوا يُشاوِرُونَهُم في أمرِ النَّبيِّ ويَثِقونَ بقَولِهم، أو لأنَّ إخبارَ الجَمِّ الغَفيرِ يوجِبُ العلمَ وإن كانوا كفارًا.

وقرأ حفصٌ: ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنُّونِ[١].

(٨) ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ نفيٌ لِمَا اعتَقدُوا أنَّها مِن خواصِّ الملَكِ عَن الرُّسلِ؛ تَحقيقًا لأنَّهُم كانوا أبشارًا[٢] مِثلَهُم.

وقيل: جوابٌ لقَولِهِم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ توكيدٌ وتقريرٌ له، فإنَّ التَّعيُّشَ بالطَّعامِ مِن تَوابعِ التَّحليلِ المؤدِّي إلى الفناءِ.

وتوحيدُ الجَسدِ لإرادةِ الجنسِ، أو لأنَّه مصدرٌ فـي الأصـلِ، أو عـلى حذفِ المضافِ[٣]، أو تأويلِ الضَّميرِ بكلِّ واحدٍ، وهو جسمٌ ذو لونٍ، ولذلكَ لا يطلقُ على الماءِ والهواءِ، ومنه الجِسَادُ للزَّعفرانِ.

وقيل: جسمٌ ذو تركيبٍ؛ لأنَّ أصلَهُ لجمعِ[٤] الشَّيءِ واشتِدادِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٢) البشـر: الإنسـانُ، والواحـدُ والجميعُ والمذكَّـرُ والمؤنَّثُ في ذلك سـواء وقد يُثَنَّى فيقال: بشـرين، وجمـعُ الجمع: أَبْشَـارٌ. انظر: «المحكـم» (٨/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) أي: ذوو جسد.

(٤) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «تجمع».

(٩) ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾؛ أي: في الوعدِ ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ يعني: المؤمنينَ بهم، ومَن في إبقائِه حكمةٌ كمَن سيُؤمِنُ هو أو أحَدٌ من ذرِّيتِه، ولذلك حُمِيَت العربُ من عذابِ الاستئصالِ.

﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ في الكفرِ والمَعاصِي.

(١٠) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قُرَيش ﴿كِتَابًا﴾ يعني: القرآنَ ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتُكُم؛ كقَولِه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو: مَوعِظَتُكم، أو: ما تَطلبونَ بهِ حُسْنَ الذِّكرِ مِن مَكارِمِ الأَخلاقِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتُؤمِنُونَ.

(١١) ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ واردةٌ عَن غَضبٍ عَظيمٍ؛ لأنَّ القصمَ كسرٌ يُبِينُ تلاؤمَ الأجزاءِ، بخلافِ الفَصْمِ.

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صِفَةٌ لأَهلِها، وُصِفَت بها لَمَّا أُقِيمَت مقامَه.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: بعد إهلاكِ أَهلِها ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ مكانَهُم.

(١٢) ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾: فلَمَّا أدرَكُوا شِدَّةَ عَذابِنَا إدراكَ المُشاهَدِ المحسوسِ، والضَّميرُ للأهلِ المحذوفِ.

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يَهربونَ مُسرعينَ راكِضين دَوابَّهُم، أو مشبَّهِينَ بهم من فرطِ إسراعِهِم.

(١٣) ـ ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ على إرادةِ القَولِ؛ أي: قيلَ لَهُم استهزاءً: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ إمَّا بلِسانِ الحالِ أو المقالِ، والقائلُ مَلَكٌ، أو مَن ثَمَّ مِن المؤمنينَ.

﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ مِن التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ، والإترافُ: إبطارُ النِّعمَةِ.

﴿وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ التي كانَتْ لَكُم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ غدًا عَن أعمالِكُم، أو:

تعذَّبـونَ، فإنَّ السُّـؤالَ مِـن مقدِّماتِ العَـذابِ، أو: تُقصَدونَ للسُّـؤالِ والتَّشـاوُرِ في المهامِّ والنَّـوازلِ[١].

(١٤) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لَمَّا رَأَوا العَذابَ ولم يرَوا وجهَ النَّجاةِ فلذلك لم يَنفَعْهُم.

وقيل: إنَّ أهلَ حَضُورَ[٢] مِن قرى اليمنِ بُعثَ إليهِم نبيٌّ فقتلوهُ، فسلَّطَ اللهُ عليهِم بُخْتُنَصَّرَ فوضعَ السَّيفَ فيهم، فنَادَى مُنادٍ مِن السَّماءِ: يا لثاراتِ الأنبياءِ، فنَدِمُوا وقالوا ذلك[٣].

(١٥) ـ ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: فما زالوا يُردِّدُونَ ذلك، وإنَّما سَمَّاه دَعْوَى لأنَّ المُوَلوِلَ كأنَّه يدعو الوَيْلَ ويقول: يا ويلُ تعالَ فهذا أوانُكَ.

وكـلٌّ مِن ﴿تِّلْكَ﴾ و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ يحتمِلُ الاسميَّةَ والخَبريَّةَ[٤].

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾: مثـلَ الحَصيـدِ، وهـو النَّبتُ المحصـودُ، ولذلك لم يُجمَع.

﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميتينَ، مِن خَمَدَت النَّارُ، وهو مع ﴿حَصِيدًا﴾ بمنزلةِ المفعولِ الثَّاني كقَولِك: جعلتُه حلوًا حامضًا، إذ المعنى: وجَعَلْنَاهُم جامعينَ لِمُماثلةِ الحَصيدِ والخُمودِ، أو صفةٌ له[٥]، أو حالٌ مِن ضَميرِه.

---

(١) جاء على هامش نسخة الفاروقي: «وهذا المعنى الأخير للتهكم والاستهزاء».

(٢) حضور: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وراء، بلدة باليمن من أعمال زبيد. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٧٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧) عن وهب.

(٤) قوله: «يحتمل الاسمية والخبرية»؛ أي: يحتملُ أن يكونَ اسم ﴿زَالَت﴾ أو خبرَها.

(٥) قوله: «أو صفة له»؛ أي: أو ﴿خَٰمِدِينَ﴾ صفة لـ ﴿حَصِيدًا﴾.

(١٦) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ وإنَّما خلَقْناها مَشحونةً بضُروبِ البَدائعِ تبصرةً للنُّظَّارِ، وتذكرةً لذَوِي الاعتبارِ، وتسبيبًا لِمَا ينتظِمُ به أمورُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ، فيَنبَغِي أن يَتسلَّقُوا بها إلى تحصيلِ الكَمال، ولا يغترُّوا بزخارِفِها فإنَّها سريعةُ الزَّوالِ.

(١٧) ـ ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يُتلهَّى به ويُلعبُ ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: مِن جِهةِ قُدرَتِنا، أو: مِن عندِنا ممَّا يَليقُ بحَضرَتِنَا مِن المُجرَّداتِ، لا مِن الأجسامِ المَرفوعةِ والأجرامِ المبسوطةِ كعادَتِكُم في رفعِ السُّقوفِ وتَزويقِهَا وتَسوِيَةِ الفُرُشِ وتَزيينِها.

وقيل: اللَّهوُ: الولدُ بلغةِ اليَمنِ[١]، وقيل: الزَّوجةُ. والمرادُ الرَّدُّ على النَّصارَى.

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلكَ، ويدلُّ على جوابِه الجوابُ المُتقدِّمُ.

وقيل: ﴿إِن﴾ نافيةٌ، والجملةُ كالنَّتيجةِ للشَّرطيَّةِ.

(١٨) ـ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ إضرابٌ عَن اتِّخاذِ اللَّهوِ[٢]، وتَنزيهٌ لذَاتِه عَن اللَّعبِ؛ أي: بل مِن شَأنِنا أَنْ نُغلِّبَ الحَقَّ الذي مِن جُملَتِه الجِدُّ[٣] على الباطلِ الذي مِن عدادِه اللَّهوُ.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾: فيمحقُهُ، وإنَّما استعارَ لذلك القذفَ وهو الرَّميُ البَعيدُ المُستلزمُ لصَلابةِ المَرميِّ، والدَّمغُ الذي هو كسرُ الدِّماغِ بحيثُ يشقُّ غشاءَه المؤدِّي إلى زهوقِ الرُّوحِ = تَصويرًا لإبطالِه ومُبالغَةً فيه.

---

(١) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في نسخة الخيالي: «الولد».

(٣) الجد بكسر الجيم: ضد الهزل. من هامش نسخة الفاروقي.

وقُرِئَ: (فيَدْمَغَهُ) بالنَّصبِ[1] كقولِه:

سَـأَتْرُكُ مَنْزِلِـي لِبَـنِي تَـمِيـمٍ وَأَلْـحَقَ بِالحِجَـازِ وَأَسْـتَرِيحَا[2]

ووجهُهُ معَ بُعدِه: الحَملُ على المعنى، والعَطفُ[3] على الحقِّ.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: هالِكٌ، والزُّهوقُ: ذَهابُ الرُّوحِ، وذكرُه لتَرشيحِ المَجازِ[4].

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾: ممَّا تَصِفُونَه به ممَّا لا يَجوزُ عليه، وهو في مَوضعِ الحالِ، و(ما) مصدريَّةٌ أو مَوصولَةٌ أو مَوصوفَةٌ.

---

(١) نسبت لعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤).

(٢) البيت دون نسبة في «الكتاب» (٣/ ٣٩ و٩٢)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٧٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٦)، و«المحتسب» (١/ ١٩٧)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ٥٢٢).
قال البغدادي: (والبيت لم يعزه أحدٌ من خَدَمَة كتاب سيبويه إلى قائلٍ معين، ونسبه العينيُّ [في «المقاصد» (٤/ ١٨٧٢)] وتَبعهُ السيوطيّ في «أبيات المغني» [١/ ٤٩٧] إلى المغيرة بن حَبْناءَ بن عمرو بن ربيعة الحَنظلي التَّميمي، وقد رجعت إلى ديوانه وهو صغير فلم أجده فيه).
قال الطيبي في «فتوح الغيب» (١٠/ ٣١٢): قال النحاة: لا ينتصِب بإضمار (أن) بعد الكلام الموجَب، لا يقال: (يقومُ زيدٌ فيغضبَ) إلا في الضرورة كما في هذا البيت؛ لأن إضمار (أنْ) إنما يجبُ إذا لم يتَّسق الكلامُ بإدخال الثاني تحت حُكم الأول، فينصب الثاني إظهاراً لإرادة المخالفة، وفي الموجَب هما متحِدا الحكم، فكأن الشاعر توهَّم معنًى غيرَ الموجَب في الأول إما بالتمني أو بالشرط فنصب بعد الفاء.
قال: ووجه ضعفه: أنه ليس في جواب الستة، والعذر: أن فعل المضارع كالتمني والترجي في كونهما مترقَّبين.

(٣) قوله: «ووجهه مع ما بعده الحمل على المعنى، والعطف على الحق»؛ أي: أنْ يقال: بل نقذفُ بأنْ نُحِقَّ الحقَّ فيدمغَ الباطلَ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٩).

(٤) قوله: «لترشيح المجاز»؛ أي: في إطلاقِ القذفِ على دحضِ الحقِّ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٩).

(١٩) ـ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَلقًا ومُلكًا ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يَعني: الملائكةَ المُنزَّلِينَ مِنهُ ـ لكَرامَتِهِم عليه ـ مَنزِلَةَ المُقرَّبينَ عندَ الملوكِ، وهو مَعطوفٌ على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وإفرادُه للتَّعظيمِ، أو لأنَّه أعَمُّ منه مِن وَجهٍ، أو المرادُ به نَوعٌ مِن الملائكةِ مُتعالٍ عَن التَّبوُّؤِ في السَّماءِ والأَرضِ، أو مُبتدأٌ خبرُه:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: لا يَتعظَّمونَ عنها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ولا يَعْيَوْنَ مِنها.

وإنَّما جِيءَ بالاستحسارِ الذي هو أبلَغُ مِن الحُسورِ تنبيهًا على أنَّ عِبادَتَهُم بثِقَلِها ودَوامِهَا حقيقةٌ بأَنْ يُستَحْسَرَ مِنْهَا ولا يَستحسِرونَ.

(٢٠) ـ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: يُنزِّهونَهُ ويُعظِّمونَهُ دائمًا ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ حالٌ مِن الواوِ في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ وهو استئنافٌ أو حالٌ مِن ضميرِ قبلَهُ[1].

(٢١) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾: بل أتَّخذُوا، والهمزةُ لإنكارِ اتِّخاذِهِم.

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفةٌ للآلهةِ، أو متعلقةٌ بالفعلِ على مَعنى الابتداءِ، وفائِدَتُها: التَّحقيرُ دونَ التَّخصيصِ.

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ المَوْتَى، وهم وإنْ لم يُصَرِّحُوا به لكِنْ لزِمَ ادِّعاؤهُم لها الإلهيةَ، فإنَّ مِن لوازِمِها الاقتدارُ على جميعِ المُمكِنَاتِ، والمرادُ به: تَجهيلُهُم والتَّهكُّمُ بهم، وللمُبالغةِ في ذلك زِيدَ الضَّميرُ الموهِمُ لاختصاصِ الإنشارِ بِهِم.

(٢٢) ـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: غيرُ اللهِ، وُصِفَ بـ﴿إِلَّا﴾ لَمَّا تَعذَّرَ الاستثناءُ؛ لعدمِ شُمولِ ما قبلَها لِمَا بعدَها، ودلالتِه على مُلازمةِ الفَسادِ لكونِ الآلهةِ فيهِمَا دونَهُ،

---

(١) قوله: «أو حال من ضمير قبله»؛ أي: من ضمير ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أو ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٧٠).

والمرادُ: مُلازَمَتُه لكونِها مُطلقًا أو معَهُ، حملًا لها على (غيرٍ)[1] كما استَثْنَى بـ(غير) حملًا عليهَا.

ولا يجوزُ الرَّفعُ على البَدلِ لأنَّه مُتفرِّعٌ على الاستثناءِ، ومَشروطٌ بأَنْ يكونَ في كلامٍ غيرِ مُوجَبٍ.

﴿لَفَسَدَتَا﴾: لبطلتَا؛ لِمَا يكونُ بينَهُما مِن الاختلافِ والتَّمانعِ، فإنَّها إنْ توافَقَت في المرادِ تطاردَتْ عليه القُدَرُ، وإن تَخالَفَت فيه تَعاوَقَتْ عنهُ.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ المحيطِ بجَميعِ الأَجسامِ الذي هو محلُّ التَّدابيرِ ومَنشأُ المَقاديرِ.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن اتِّخاذِ الشَّريكِ والصَّاحِبَةِ والولدِ.

(٢٣) - ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لعَظمتِهِ وقوَّةِ سُلطانِهِ وتَفرُّدِه بالأُلوهيَّةِ والسَّلطنَةِ الذَّاتيَّةِ ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لأنَّهُم مَملوكونَ مُستَعْبدونَ، والضَّميرُ للآلهة أو للعِبادِ.

(٢٤) - ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ كرَّرَه استعظامًا لكُفرِهِم واستِفظاعًا لأَمرِهِم، وتَبكيتًا وإظهارًا لجَهْلِهِم، أو ضَمًّا لإنكارِ ما يكونُ لَهُم سندًا مِن النَّقلِ

---

(١) قوله: «لعدم شمول ما قبلها لما بعدها»؛ أي: لكونه نكرةً في مقام الإيجاب «ودلالتِه»؛ أي: الاستثناءِ، وهو بالجرِّ عطف على (شمولِ). «على ملازمة الفساد» متعلق بـ(دلالتِه)؛ «لكون الآلهة» متعلق بـ(ملازمة) «فيهما»؛ أي: في السماوات والأرض «دونه»؛ أي: دون اللهِ؛ أي: وصف بـ﴿إِلَّا﴾ عند تعذُّرِ الاستثناء؛ لعدم الشمولِ المذكورِ، وهو ظاهرٌ، ولعدم دلالة الاستثناء على ملازمة الفساد لوجود آلهةٍ فيهما غيرِ اللهِ؛ إذ الاستثناءُ إنما يدلُّ على ضدِّ ذلك؛ إذ المعنى عليه: لو كان فيهما اللهُ لفسَدَتا، وهو فاسدٌ وإليه أشار بقوله: «والمراد»؛ أي: من الآيةِ شيئان: أحدهما: «ملازمته»؛ أي: الفسادِ «لكونها»؛ أي: الآلهةِ؛ أي: لوجودِها «مطلقاً»؛ أي: عن التقييدِ بكونِها معَ اللهِ، «أو معه»، وثانيهما: انتفاؤه؛ لوجودِه تعالى وحدَه «حملاً لها» تعليلٌ لقوله: «وصف بـ﴿إِلَّا﴾». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٧٠).

إلى إنكارِ ما يكونُ لهم دليلًا مِن العَقلِ، على مَعنى: أَوَجَدُوا آلهةً يُنشِرونَ الموتى فاتَّخذوهُمْ آلهةً لِمَا وجدُوا فيهِمْ مِن خواصِّ الأُلوهيَّةِ، أو وجدُوا في الكتبِ الإلهيَّةِ الأمرَ بإِشراكِهِم فاتَّخذوهُمْ مُتابعةً للأمرِ؟!! ويعضُدُ ذلك أنَّه رتَّبَ على الأوَّلِ ما يدلُّ على فسادِهِ عَقْلًا، وعلى الثَّاني ما يَدُلُّ على فسادِهِ نَقْلًا.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك إمَّا مِن العَقلِ أو مِـن النَّقلِ، فإنَّه لا يَصِحُّ القَولُ بما لا دَليلَ عليه، كيفَ وقد تَطابَقَتِ الحُجَجُ على بطلانِه عقلًا ونقلًا.

﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ مِن الكتبِ السَّماويَّةِ، فانظرُوا هل تجدونَ فيها إلَّا الأمرَ بالتَّوحيدِ والنَّهيَ عَن الإشراكِ؟

والتَّوحيدُ لمَّا لم يتوقَّف[1] على صِحَّتِه بعثةُ الرُّسلِ وإنزالُ الكتبِ = صحَّ الاستدلالُ فيه بالنَّقلِ.

و﴿مَنْ مَعِيَ﴾: أمَّتُه، و﴿مَنْ قَبْلِي﴾: الأممُ المتقدِّمَةُ، وإضافةُ الذِّكرِ إليهم لأنَّه عِظَتُهُم.

وقُرِئَ بالتَّنوينِ والإعمالِ[2]، وبه وبـ(مِن) الجارَّةِ[3] على أنَّ (مع) اسمٌ هو ظرفٌ كـ: قَبلُ وبَعدُ وشِبْهِهما، وبِعَدَمِها[4].

---

(١) في نسخة الفاروقي: «لما لم يكن متوقفاً»، وفي هامشها: «لما لم يتوقف»، وكتب عندها: «أصح».

(٢) أي: (ذكرٌ مَن معي وذكرٌ مَن قبلي) و(مَن) مفعُولٌ مَنصُوبٌ بالذِّكر كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥] وهو الأصل، والإضافةُ من إضافةِ المَصدر إلى المفعول. انظر: «الكشاف» (٥/ ٤٥٣) ولم ينسبها، وذكرها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٠٠) عن الأويسي عن أبي جعفر.

(٣) أي: (ذكرٌ مِن معي وذكرٌ مِن قبلي)، نسبت ليحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦١)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٠)، ودون نسبة في «الكشاف» (٥/ ٤٥٣).

قال الزمخشري: وإدخالُ الجارِّ على (مع) غريبٌ، والعُذرُ فيه: أنَّه اسمٌ هو ظرفٌ نحو: قبلُ وبعدُ وعندَ ولَدُنْ وما أشبَه ذلك، فدَخل عليه (مِن) كما يَدخل على أخواته.

(٤) أي: (ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن طلحة، ودون =

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ ولا يُميِّزونَ بينَهُ وبينَ الباطلِ.

وقُرِئَ: (الحقُّ) بالرَّفعِ[1] علـى أنَّه خبرُ مَحذوفٍ وُسِّطَ للتَّوكيدِ بينَ السَّببِ والمُسبَّبِ.

﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ مِن التَّوحيدِ واتِّباعِ الرَّسولِ مِن أَجلِ ذلك.

(٢٥) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ تَعميمٌ بعدَ تَخصيصٍ، فإنَّ ﴿ذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ مِن حيثُ إنَّه خبرٌ لاسمِ الإشارةِ مخصوصٌ بالمَوجودِ بينَ أَظهُرِهم وهو الكتبُ الثَّلاثةُ.

وقرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ بالنُّونِ وكسرِ الحاءِ[2].

(٢٦) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ نزلَتْ في خُزاعةَ حيثُ قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ[3].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ لَه عَن ذلك ﴿بَلۡ عِبَادٞ﴾: بل هُم عبادٌ مِن حَيثُ إنَّهم مَخلوقونَ وليسوا بأَولادٍ ﴿مُّكۡرَمُونَ﴾: مُقرَّبونَ، وفيه تَنبيهٌ على مَدْحَضِ[4] القومِ.

وقُرِئَ بالتَّشديدِ[5].

= نسبة في «الكشاف» (٥/ ٤٥٤).

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٦١)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٠)، عن الحسن وابن محيصن.

(٢) زاد في نسخة الطبلاوي: «والباقون بالياء وفتح الحاء». انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١١٥).

(٤) «مدحض: مزالق». من هامش نسخة الفاروقي.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن عكرمة.

(٢٧) ـ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا يَقولونَ شيئًا حتى يقولَه كمَا هو دَيدَنُ العَبيدِ المُؤدَّبين، وأصلُه: لا يسبقُ قولُهُم قولَهُ، فنُسبَ السَّبْقُ إليهم[1] وجُعلَ القولُ محلَّهُ وأداتَهُ تَنبيهًا على استهجانِ السَّبقِ المعرَّضِ به للقائلينَ على اللهِ ما لم يَقُلْهُ، وأُنِيبَ اللامُ عن الإضافةِ[2] اختصارًا وتَجافيًا عَن تَكريرِ الضَّميرِ.

وقُرِئَ: (لا يَسبقُونَه) بالضمِّ[3] مِن سابَقْتُه[4] فسبَقْتُه أَسْبُقُه.

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾: لا يعملونَ قَطُّ ما لم يَأمُرْهُم به.

(٢٨) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: لا تَخْفَى عليه خافِيَةٌ ممَّا قَدَّمُوا وأَخَّرُوا، وهو كالعِلَّةِ لِمَا قبلَهُ والتَّمهيدِ لِمَا بعدَهُ، فإنَّهُم لإحاطَتِهِم بذلك يَضبِطُونَ أنفُسَهُم ويراقبونَ أحوالَهُم.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أنْ يُشفعَ له مَهابةً منه ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: عَظَمتِهِ ومَهابَتِه ﴿مُشْفِقُونَ﴾: مُرتَعِدُونَ.

وأصلُ الخَشيةِ: خوفٌ مَع تَعظيمٍ، ولذلك خُصَّ بها العُلماءُ، والإشفاقُ: خوفٌ مع اعتناءٍ، فإنْ عُدِّيَ بـ(مِن) فمَعنى الخوفِ فيه أظهَرُ، وإن عُدِّيَ بـ(على) فبالعكسِ.

(٢٩) ـ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: مِن الملائكةِ، أو: مِن الخَلائقِ ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ

---

(١) في نسخة التفتازاني: «فنسب السبق إليه وإليهم»، وفي نسخة الفاروقي: «فنسب السبق إليه إليهم».

(٢) قوله: «وأنيبت اللام»؛ أي: في ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ «عن الإضافة»؛ أي: بأن يقال: بقولهم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٧٣).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن بعضهم.

(٤) كتب تحتها في نسخة التفتازاني: «غالبته».

﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يريدُ به نَفْيَ البُنوَّةِ[1] وادِّعاءِ ذلك عَن الملائكةِ، وتهديدَ المشركينَ بتَهديدِ مُدَّعي الرُّبوبيَّةِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: مَن ظَلَمَ بالإشراكِ وادِّعاءِ الرُّبوبيَّةِ.

(٣٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أَوَلَمْ يَعْلَمُوا. وقرأ ابنُ كثيرٍ بغيرِ واوٍ[2].

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: ذاتَ رتقٍ، أو: مَرْتُوقَتَيْنِ، وهو الضمُّ والالتحامُ؛ أي: كانتا شيئًا واحدًا وحقيقةً مُتَّحدَّةً ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ بالتَّنويعِ والتَّمييزِ.

أو كانت السَّماواتُ واحدةً ففُتِقَتْ بالتَّحريكاتِ المُختَلِفَةِ حتى صارَتْ أَفلاكًا، وكانت الأرضونَ واحدةً فجُعِلَت باختلافِ كَيفيَّاتِها وأَحوالِها طَبقاتٍ وأَقاليمَ[3].

وقيل: كانتا بحيثُ لا فُرجَةَ بينَهُمَا ففُرِجَ.

وقيل: كانتَا رتقًا لا تمطِرُ ولا تنبتُ، ففَتَقْنَاهما بالمطرِ والنَّباتِ، فيكونُ المرادُ بالسَّماواتِ سَماءَ الدُّنيَا وجمعُها باعتبارِ الآفاقِ، أو السَّماواتِ بأَسرِهَا على أنَّ لَها مَدخلًا ما في الأمطارِ.

والكفرةُ وإنْ لَمْ يَعلَمُوا ذلك فهُمْ مُتمَكِّنُونَ مِن العلمِ بِهِ نَظرًا ـ فإنَّ الفتقَ عارِضٌ مُفتَقِرٌ إلى مُؤثِّرٍ واجبٍ ابتداءً ـ، أو بوسطٍ، أو استفسارًا مِن العُلَماءِ ومُطالعَةَ الكُتبِ.

وإنَّما قال: ﴿كَانَتَا﴾ ولم يَقُل[4]: (كُنَّ) لأنَّ المُرادَ جماعةُ السَّماواتِ وجماعةُ الأَرضِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «الربوبية»، وفي نسخة الطبلاوي: «التفوه».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «أو أقاليم».

(٤) في نسخة الفاروقي: «كانتا دون».

وقُـرِئَ: (رَتَقًـا) بالفتـحِ[١] على تقديرِ: شـيئًا رَتَقًا؛ أي: مَرتوقًـا؛ كالرَّفَضِ بمَعنى المرفوضِ.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾: وخَلَقنا مِن الماءِ كُـلَّ حيـوانٍ، كقولِه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وذلك لأنَّه مِن أَعظَمِ موادِّهِ[٢]، ولفَرْطِ[٣] احتياجِهِ إليه وانتِفَاعِه به بعينِه، أو: صَيَّرْنَا كلَّ شَيءٍ حيٍّ بسببٍ مِن الماءِ لا يَحْيَا دُونَه.

وقُرِئَ: (حَيًّا)[٤] على أنَّه صِفَةُ ﴿كُلَّ﴾، أو مفعولٌ ثانٍ والظَّرفُ لَغْوٌ.

والشَّيءُ مَخصوصٌ بالحَيوانِ.

﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ مع ظهورِ الآياتِ.

(٣١) ـ ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: ثابتاتٍ، مِن رَسَا: إذا ثبتَ.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾: كراهةَ أَنْ تَميلَ[٥] بهم وتَضطَرِبَ.

وقيل: لأَنْ لا تميدَ، فحُذِفَ (لا) لأَمْنِ الإلباسِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٢)، عن أبي حيوة، زاد ابن جني: الحسن وعيسى الثقفي.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «مواده في التركيب».

(٣) في نسخة الفاروقي: «أو لفرط». والمثبت من باقي النسخ، وهو ما رجحه الشهاب في «الحاشية» (٦/ ٢٥٢) حيث قال: قوله: «ولفرط احتياجه إليه» يشير به وبعدم عطفه بـ(أو) ليظهر التخصيص؛ لأن التراب كذلك ولذا ورد: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وذكرُه في مقام آخر يقتضيه، فلا وجه لما قيل: إنّ الأولى أن يقول: (أو) مع أنه وقع «أو» في بعض النسخ أيضاً.

(٤) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٨٩) عن معاذ القارئ وابن أبي عبلة وحميد بن قيس، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٧) عن ابن أبي عبلة، و«البحر» (/ ١٥٥) عن حميد.

(٥) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «تميد».

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ أو الرَّواسي ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾: مسالكَ واسِعةً، وإنَّما قَدَّمَ ﴿فِجَاجًا﴾ وهو وصفٌ له ليصيرَ حالًا فيدلَّ على أنَّه حينَ خَلَقَها خَلَقَها كذلك، أو ليُبدَلَ منها ﴿سُبُلًا﴾ فيدلَّ ضِمنًا على أنَّه خلقَها ووَسَّعَها للسَّابلَةِ، مع ما يكونُ فيه مِن التَّوكيدِ[1].

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مَصالِحِهم.

(٣٢) - ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ عَن الوقوعِ بقُدرَتِه، أو: الفسادِ والانحلالِ إلى الوَقتِ المَعلومِ بمَشيئَتِه، أو: استراقِ السَّمعِ بالشُّهُبِ.

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾: أحوالِهـا الدَّالَّةِ على وُجودِ الصَّانـعِ ووحدَتِه وكمالِ قُدرَتِه وتَناهـي حِكمَتِـه التي يُحَسُّ ببعضِها ويُبحَـثُ عَن بعضِها في عِلمَـي الطَّبيعَةِ والهيئةِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غيرُ مُتفكِّرينَ.

(٣٣) - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بيانٌ لبَعضِ تلك الآياتِ.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾؛ أي: كـلُّ واحدٍ مِنهُما، والتَّنوينُ بَدلُ المُضافِ إليه، والمرادُ بالفَلَكِ الجنسُ؛ كقولِهم: كسَاهُم الأَميرُ حُلَّةً.

﴿يَسْبَحُونَ﴾: يُسرِعُونَ على سَطحِ الفَلَكِ إسراعَ السَّابحِ على سَطحِ الماءِ، وهـو خبـرُ ﴿كُلٌّ﴾، والجملـةُ حـالٌ مِـن (الشَّـمس والقَمـر)، وجـازَ انفِرادُهُمـا بها لعـدمِ اللَّبْسِ، والضَّميـرُ لَهُما، وإنَّمـا جمعَ باعتبـارِ المطالـعِ، وجَعْـلُ واو العُقلاءِ لأنَّ السِّـباحةَ فِعْلُهُم.

(٣٤) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ نزلَتْ حينَ قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، وفي مَعناه قوله:

---

(١) علق عليه في هامش نسخة الفاروقي: «وهو الإيهام قبل التوضيح».

فَقُـلْ لِلشَّـامِتِينَ بِنَـا أَفِـيـقُـوا   سَيَلْقَى الشَّـامِتُونَ كَمَـا لَقِينَـا[١]

والفاءُ لتَعلُّقِ الشَّرطِ بما قبلَهُ والهمزةُ لإنكارِهِ بعدَما تقرَّر ذلك.

(٣٥) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: ذائقةٌ مرارةَ مُفارَقَتِها جسدَهَا، وهو برهانٌ على ما أنْكَرُوهُ.

﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونُعامِلُكُـم مُعاملَـةَ المختبرِ ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾: بالبَلايَـا والنِّعَـمِ ﴿فِتْنَةً﴾: ابتلاءً، مصدرٌ من غيرِ لَفظِه.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنُجازيكُمْ حسبَ ما يوجَدُ مِنْكُم مِن الصَّبرِ والشُّكرِ.

وفيه إيماءٌ بأنَّ المقصودَ مِن هذهِ الحياةِ: الابتلاءُ والتَّعريضُ للثَّوابِ والعقابِ تقريرًا لِمَا سبقَ.

(٣٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مـا يَتَّخذونكَ. ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾:

مَهـزوءًا بـه، ويقولـون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: بسُـوءٍ، وإنَّما أطلقَـهُ لدَلالـةِ الحـالِ، فـإنَّ ذكرَ العَـدُوِّ لا يكونُ إلا بسـوءٍ.

---

(١) نسب للفرزدق في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٣/ ١٣١)، و«الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ٨٤٨)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٥٢٠)، و«التذكرة الحمدونية» (٤/ ٣٠٣).

وهو في «أمالي المرتضى» (١/ ٢٥١) منسوب لذي الإصبع العدواني.

ونسبه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ٤٦٨) لخال الفرزدق وهو العلاء بن قرظة الضَّبِّيُّ، وكان شاعراً، قال: وكان الفرزدق يقول: إنما أتاني الشعر من قبل خالي، وخالي الذي يقول:

إذا مـا الدَّهـر جرَّ علـى أناس   حـوادثـه أنـاخَ بـآخـريـنا

فـقـل للشـامتين..........

﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ بالتَّوحيدِ، أو بإرشادِه الخلقَ ببعثِ الرسلِ وإنزالِ الكُتبِ رحمةً عليهِم، أو بالقرآنِ ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾: مُنكرونَ، فهُمْ أحقُّ أن يُهزأَ بهم.

وتكريرُ الضَّميرِ للتَّأكيدِ والتَّخصيصِ، ولحَيْلولَةِ الصِّلَةِ بينَهُ وبينَ الخبرِ.

(٣٧) ـ ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ كأنَّه خُلِقَ منه؛ لفَرْطِ استِعجالِه وقِلَّةِ ثَباتِه[1]؛ كقولِك: خُلِقَ زَيدٌ مِن الكرمِ، جُعل ما طُبِعَ عليه بمنزلةِ المطبوعِ هو منه مبالغةً في لُزومِه له، ولذلك قيل: إنَّه على القلبِ.

ومِن عَجَلتِه: مبادرتُهُ إلى الكُفرِ، واستعجالُ الوعدِ؛ رُوِيَ أنَّها نَزَلَت في النَّضرِ بن الحارثِ حينَ استعجلَ[2].

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾: نقماتي في الدُّنيا كوقعةِ بَدرٍ، وفي الآخرةِ عذابَ النَّارِ.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالإتيانِ بها، والنَّهيُ عمَّا جُبِلَت عليه نُفوسُهُم ليُقعِدُوهَا عَن مُرادِها[3].

(٣٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: وقتُ وعدِ العَذابِ أو القيامةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يَعنونَ النَّبيَّ وأَصحابَه.

(٣٩) ـ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ محذوفُ الجَوابِ، و﴿حِينَ﴾ مفعولٌ به لـ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: لو يعلمون

---

(١) في نسخة الطبلاوي والفاروقي: «تأنيه».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٨) من رواية عطاء عن ابن عباس، وهذا الإسناد الذي يكثر عند الواحدي إسناد تالف وقد استوفينا الكلام عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧].

(٣) إقعادُ النفوس عن مرادها كنايةٌ زجرها وقمعها عنه. انظر: «حاشية ابن التمجيد على البيضاوي» (١٢/ ٥٢٢).

الوقتَ الذي يَستعجلونَ منه بقَوْلِهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، وهو حينَ تُحيطُ بهم النَّارُ مِن كلِّ جانبٍ بحيثُ لا يقدرونَ على دَفعِها، ولا يجدونَ ناصرًا يمنعُها= لَمَا استَعْجَلُوا.

ويجوزُ أن يُتركَ مَفعولُ ﴿يَعْلَمُ﴾ ويضمَرَ لـ﴿حِينَ﴾ فعلٌ بمعنى: لَوْ كانَ لَهُم علمٌ لَمَا استَعْجَلُوا، يعلمونَ بطلانَ ما هم عليه حين لا يكفُّون[1]، وإنَّما وُضِعَ الظَّاهرُ فيه موضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على ما أوجبَ لَهُم ذلك.

(٤٠) ـ ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾ العِدَةُ، أو: النَّارُ، أو: السَّاعةُ ﴿بَغْتَةً ﴾: فجأةً، مَصدرٌ أو حالٌ.

وقُرِئَ بفتحِ الغينِ[2].

﴿فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: فتغلبُهُم، أو: تحيرُهُم.

وقُـرِئَ الفِعـلانِ باليـاءِ[3]، والضَّميـرُ للوَعـدِ أو الحيـنِ، وكذا فـي قولِه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ لأنَّ الوعـدَ بمَعنـى النَّـارِ، أو العِـدَةِ، والحيـنَ بمَعنـى السَّـاعةِ، ويجـوزُ أَنْ يكـونَ للنَّـارِ أو للبَغتَةِ.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: يُمْهَلونَ، وفيه تذكيرٌ بإِمْهالِهِم في الدُّنيَا.

(٤١) ـ ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسليةٌ لرَسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وعدٌ له بأَنَّ ما يَفعلونَه بـه يَحـيقُ بـهم كما حاقَ بالمستهزئينَ بالأنبياءِ ما فعلوا، يعني: جزاءَه.

---

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني والخيالي والفاروقي: «يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون». والمثبت من نسخة خطية وقفنا عليها في مكتبة (أمجا زاده) برقم (٢٠)، ولم يقف الشهاب على هذه النسخة فلذلك قال: قوله: «يعلمون بطلان ما عليهم» بيان للمقدر، كذا في النسخ، والظاهر: ما هم عليه، ولذا قيل: إنه قلبٌ. انظر: «حاشية الشهاب».

(٢) نسبت للأعمش. انظر «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤).

(٣) نسبت للأعمش. انظر «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤).

(٤٢) ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ للمُستهزئينَ: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾: يحفظُكُم ﴿بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾: مِن بَأسِهِ إنْ أرادَ بِكُم، وفي لفظِ ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ تنبيهٌ على أنْ لا كالئَ غيرُ رَحمَتِه العامَّةِ، وأنَّ اندِفاعَهُ بمُهلَتِه[1].

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ لا يُخطرونَهُ ببالِهِم فضلًا أَنْ يخافوا بأسَهُ، حتى إذا كُلِئوا منه عَرفُوا الكالِئَ وصَلَحوا للسُّؤالِ عنه[2].

(٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: بَلْ أَلَهُم آلهةٌ تَمنعُهُم مِن العَذابِ تتجاوزُ مَنْعَنا، أو: مِن عذابٍ يكونُ مِن عَندِنَا، والإضرابانِ عَن الأمرِ بالسُّؤالِ على التَّرتيبِ، فإنَّه عَن المُعرِضِ الغافلِ عَن الشَّيءِ بَعيدٌ وعَن المعتقِدِ لنقيضِهِ أبعَدُ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ استئنافٌ بإبطالِ ما اعتقَدوه، فإنَّ ما لا يقدِرُ على نصرِ نفسِه ولا يَصحَبُه نَصرٌ مِن اللهِ كيفَ ينصرُ غيرَه؟

(٤٤) ـ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إضرابٌ عمَّا توهَّمُوا ببيانِ ما هو الدَّاعِي إلى حفظِهِم، وهو الاستدراجُ والتَّمتيعُ بما قدَّرَ لَهُم مِن الأعمارِ، أو عَن الدَّلالةِ على بطلانِه ببيانِ ما أوهمَهُم ذلكَ، وهو أنَّه تعالى مَتَّعَهم بالحياةِ الدُّنيا وأَمهَلَهُم حتى طالَتْ أَعمارُهُم فحَسِبُوا أنْ لا يَزالوا كذلكَ، وأنَّه بسببِ ما هم عليه، ولذلك عقَّبَه بما يدلُّ على أنَّه أمَلٌ كاذِبٌ فقال:

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: أرضَ الكَفرةِ ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بتَسليطِ المُسلمينَ علَيْها، وهو تَصويرٌ لِمَا يُجريهِ اللهُ تَعالى على أَيدِي المسلمين.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «بها»، وفي نسخة التفتازاني: «بها مهلة».

(٢) «حاصل الكلام: أنهم لا يصلحوا لأن يسألوا من الله تعالى الحفظ، لإعراضهم عن ذكر من يحفظهم. كشاف» من هامش نسخة الفاروقي.

﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ رسولَ اللهِ والمُؤمنينَ.

(٤٥) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾: بما أُوحِيَ إليَّ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾، وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾[1] على خطابِ النبيِّ، وقُرِئَ بالياءِ على أنَّ فيه ضَميرَه[2].

وإنَّما سمَّاهُم الصُّمَّ ووضعَهُ موضعَ ضميرِهِم للدَّلالةِ على تَصامِّهِم وعدمِ انتِفاعِهِم بما يَسمَعونَ.

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ منصوبٌ بـ﴿يَسْمَعُ﴾ أو بالدُّعاءِ، والتقييدُ به لأنَّ الكلامَ في الإنذارِ، أو للمُبالغَةِ في تَصامِّهِم وتَجاسُرِهِم.

(٤٦) ـ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: أَدْنى شَيءٍ، وفيه مُبالغاتٌ: ذكرُ المسِّ، وما في النَّفحةِ مِن مَعنى القِلَّةِ فإنَّ أصلَ النَّفحِ: هبوبُ رائحةِ الشَّيءِ، والبناءُ الدالُّ على المَرَّةِ.

﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: مِن الذي ينذرونَ به ﴿لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾: لدَعَوْا على أنفُسِهِم بالويلِ واعترَفُوا عليهَا بالظُّلمِ.

(٤٧) ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾: العدلَ، توزَنُ بها صحائفُ الأعمالِ.

وقيل: وضعُ الميزانِ تَمثيلٌ لإرصادِ الحسابِ السَّوِيِّ، والجزاءِ على حسبِ الأَعمالِ بالعَدلِ.

وإفرادُ (القسطِ) لأنَّه مَصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالغةِ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: لجزاءِ يَومِ القِيامَةِ، أو لأَهلِهِ، أو فيه كقولِكَ: جئتُ لخَمْسٍ خَلَوْنَ مِن الشَّهرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) هي قراءة الجماعة عدا ابن عامر.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ مِن حَقِّهِ أو مِن الظُّلْمِ.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: وإن كانَ العَمَلُ أو الظُّلْمُ مِقدارَ حَبَّةٍ.

ورفعَ نافعٌ: ﴿مثقالُ﴾[1] على (كان) التَّامَّةِ.

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها. وقُرِئَ: (آتينا)[2] بمَعنى: جازَيْنَا بها، مِن الإيتاءِ فإنَّه قَريبٌ مِن أَعْطينَا، أو مِن المؤاتاةِ فإنَّهُم أَتَوْهُ بالأعمالِ وأَتَاهُم بالجزاءِ.

و: (أَثَبْنَا) مِن الثَّوابِ، و: (جِئْنَا)[3].

والضَّميرُ للمِثقالِ، وتأنيثُه لإضافَتِه إلى الجنَّةِ.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ إذ لا مزيدَ على عِلْمِنَا وعَدْلِنَا.

(٤٨) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: الكِتابَ الجامعَ لكونِه فارقًا بينَ الحَقِّ والباطلِ، وضياءً يُستضاءُ به في ظَلْماءِ[4] الحيرةِ والجهالةِ، وذِكرًا يتَّعِظُ به المتَّقونَ، أو ذِكْرَ ما يحتاجونَ إليه مِن الشَّرائعِ.

وقيل: (الفرقانُ): النَّصرُ، وقيل: فَلْقُ البَحرِ.

وقُرِئَ: (ضياءً) بغيرِ واوٍ[5] على أنَّه حالٌ من الفرقانِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٣) عن ابن عباس ومجاهد، وزاد ابن جني نسبتها لسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد.

(٣) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤).

(٤) في نسخة الفاروقي: «ظلمات».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد ابن جني نسبتها لعكرمة والضحاك.

(٤٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾ صفةٌ لـ(المُتَّقين)، أو مدحٌ لَهُم منصوبٌ أو مرفوعٌ.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حالٌ مِن الفاعلِ أو المفعولِ ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾: خائفونَ. وفي تَصديرِ الضَّميرِ وبناءِ الحكمِ عليه مُبالغةٌ وتَعريضٌ.

(٥٠) ـ ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ يعني القُرآنَ ﴿مُّبَارَكٌ﴾: كثيرٌ خَيرُه ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على محمَّدٍ ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهامُ تَوبيخٍ.

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾: الاهتداءَ لوُجوهِ الصَّلاحِ، وإضافتُه ليدلَّ على أنَّه رشدُ مثلِه وأنَّ لَهُ شأنًا[١]. وقُرِئَ: (رَشَدَه)[٢]، وهو لغةٌ.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: مِن قبلِ مُوسَى وهارونَ، أو محمَّد.

وقيل: مِن قبلِ استِنْبائِه أو بلوغِه حيثُ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ عَلِمْنَا أنَّه أهلٌ لِمَا آتَيْناهُ، أو: جامعٌ لِمَحاسنِ الأَوصافِ ومكارمِ الخِصالِ.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ فعلَهُ تَعالى باختيارٍ وحِكمَةٍ، وأنَّه عالمٌ بالجُزئيَّاتِ.

(٥٢) ـ ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿ءَاتَيۡنَآ﴾ أو بـ﴿رُشۡدَهُۥ﴾ أو بمَحذوفٍ؛ أي: اذكُرْ مِن أوقاتِ رشدِهِ وقتَ قولِه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، تحقيرٌ لشَأنِها وتوبيخٌ على إِجلالِها؛ فإنَّ التِّمثالَ صُورَةٌ لا روحَ فيها لا تضرُّ ولا تَنفعُ، واللامُ

---

(١) مَعنى الإضافةِ فيه بمَعنى اللامِ والاختصاصِ، المعنى والله أعلَمُ: والله لقد آتينا بجلالَتِنا وعظمِ شَأنِنا إبراهيمَ رُشدًا يليقُ بمثلِه وبحالِ مَن انتصبَ للرِّسالةِ وخُلةِ الرَّحمنِ ولإرادةِ هذه الوَصفيَّةِ قال: (رشدُ مثلِه) على الكِنايَةِ. «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٦٠).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن عيسى.

للاختصاصِ لا للتَّعدِيَةِ، فإنَّ تَعديةَ العكوفِ بـ(على)، والمعنى: وأنتُمْ فاعلونَ العُكوفَ لها، ويجوزُ أَنْ يؤوَّلَ بـ(عَلى) أو يُضمَّنُ العكوفُ مَعنى العبادةِ.

(٥٣) ـ ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فقلَّدْناهُم، وهو جوابٌ عمَّا لزمَ الاستفهامَ مِن السُّؤالِ عمَّا اقتَضى عبادَتَها وحملَهُم عليها.

(٥٤) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: مُنخَرِطونَ[١] في سلكِ ضلالٍ لا يَخْفَى على عاقلٍ؛ لعدمِ استنادِ الفريقينِ إلى دليلٍ، والتَّقليدُ إِنْ جازَ فإنَّما يجوزُ لِمَن عُلِمَ في الجملةِ أنَّه على حَقٍّ.

(٥٥) ـ ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ كأنَّهُم لاستبعادِهِم تضليلَ آبائِهِم ظنُّوا أنَّ ما قالَه إنَّما قالَه على وجهِ المُلاعبَةِ، فقالوا: أَبِجِدٍّ تقولُه أم تلعبُ به[٢].

(٥٦) ـ ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ إضرابٌ عَن كونِه لاعبًا بإقامةِ البُرهانِ على ما ادَّعاه، و(هنَّ) لـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أو لـ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾، وهو أدخَلُ في تَضليلِهِم وإلزامِ الحجَّةِ عليهِم.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكورِ مِن التَّوحيدِ ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: مِن المُتحقِّقينَ له والمُبرهنينَ عليه، فإنَّ الشَّاهدَ مَن تَحقَّقَ الشَّيءَ وحَقَّقَه.

(٥٧) ـ ﴿ وَتَٱللَّهِ ﴾ وقُرِئَ بالباءِ[٣] وهي الأصلُ، والتَّاءُ بدلٌ مِن الواوِ المبدلةِ منها، وفيها تَعجُّبٌ[٤].

---

(١) في نسخة الفاروقي: «منخرطين».

(٢) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «أم بلعب تقوله»، وفي الفاروقي: «فقالوا أَتَجِدُّ بقولك أم تلعبُ به».

(٣) انظر: «الكشاف» (٥/ ٤٧٥) عن معاذ بن جبل، و«البحر» (١٥/ ٢٣٩) وزاد نسبتها للإمام أحمد بن حنبل.

(٤) علق عليه على هامش نسخة الفاروقي: «كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمروذ».

﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: لأجتَهِدَنَّ في كَسرِها، ولفظُ الكَيدِ وما في التَّاءِ مِن التَّعجُّبِ لِصُعوبةِ الأمرِ وتَوقُّفِه على نوعٍ مِن الحِيَلِ.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا﴾ عَنْها ﴿مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدِكُم، ولعلَّه قالَ ذلكَ سِرًّا.

(٥٨) - ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾: قُطَاعًا، فُعَالٌ بمَعْنَى مَفعولٍ كالحُطامِ، من الجَذِّ وهو القطعُ.

وقرأَ الكِسائيُّ بالكسرِ[1] وهو لغَةٌ، أو جمعُ جَذيذٍ كخِفَافٍ وخَفيفٍ.

وقُرِئَ بالفَتحِ[2]، و: (جُذْذًا) جمعُ جَذِيذٍ، و: (جُذَذًا) جمعُ جُذَّةٍ[3].

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: للأصنامِ، كسرَ غيرَهُ واستبقاهُ وجعلَ الفأسَ على عُنُقِه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لأنَّه غلَبَ على ظَنِّه أنَّهم لا يرجعونَ إلا إليه؛ لتفرُّدِه واشتِهارِه بعَداوَةِ آلِهَتِهم، فيحاجُّهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ فيَحجُّهم، أو لأنَّهم يَرجِعونَ إلى الكبيرِ فيَسألونَهُ عن كاسِرِها؛ إذ مِن شأنِ المعبودِ أن يُرجَعَ إليه في حلِّ العُقَدِ فيبكتُهُم بذلك، أو إلى اللهِ؛ أي يرجعونَ إلى توحيدِه عندَ تحقُّقِهم عجزَ آلِهَتِهم.

(٥٩) - ﴿قَالُوا﴾ حينَ رَجعُوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بجُرأَتِه على الآلهةِ الحقيقةِ بالإعظامِ، أو بإفراطِهِ في حَطْمِها، أو بتوريطِ نفسِهِ للهَلاكِ.

(٦٠) - ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يَعيبُهُم، فلعلَّهُ فَعَلَه، و(يذكرُ) ثاني مَفْعُولَيْ (سَمِعَ)، أو صفةٌ لِـ﴿فَتًى﴾ يُصحِّحُه لأنْ يَتعلَّقَ به السَّمعُ، وهو أبلَغُ في نِسبةِ الذِّكرِ إليه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن أبي نهيك وأبي السمال.

(٣) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«البحر» (١٥/ ٢٤٢)، عن يحيى بن وثاب.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾: هو إبراهيمُ، ويجوز رفعُه بالفعلِ لأنَّ المرادَ به الاسمُ.

(٦١) ـ ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ بمَرْأى مِنهُم بحيثُ تتمكَّنُ صُورَتُه في أَعيُنِهم تَمكُّنَ الرَّاكبِ على المركوبِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بفعلِه أو قولِه، أو: يَحْضُرونَ عُقوبَتَنا له.

(٦٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ حينَ أحضروه.

(٦٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ أسندَ الفعلَ إليه تَجوُّزًا؛ لأنَّ غيظَهُ ـ لِما رَأى مِن زيادةِ تَعظيمِهم له ـ تسبَّبَ لِمُباشرَتِه إيَّاه، أو تقريرًا لنَفيِه مع الاستهزاءِ والتَّبكيتِ على أسلوبٍ تَعريضِيٍّ؛ كما لو قالَ لك مَن لا يُحسِنُ الخطَّ فيما كتَبْتَه بخطٍّ رَشيقٍ: أأنتَ كتَبْتَ هذا؟ فقلتَ: بَلْ كتبتَهُ أنتَ، أو حكايةً لِمَا يلزمُ مِن مَذهَبِهم جوازُه.

وقيل: إنَّه في المَعنَى مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾، وما بينَهُما اعتراضٌ.

أو إلى ضميرِ ﴿فَتًى﴾[1]، أو ﴿إبراهيمَ﴾، وقولُه: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ مُبتدأٌ وخبرٌ، ولذلك وُقفَ على ﴿فَعَلَهُۥ﴾.

وما رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ قال: «لإبراهيمَ ثلاثُ كَذَباتٍ»[2] تسميةٌ للمَعاريضِ كَذِبًا لمَّا شابَهَت صُورَتُها صورَتَه.

(٦٤) ـ ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وراجَعُوا عقولَهُم ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ فقالَ بعضُهم لبَعضٍ:

---

(١) قوله: «أو إلى ضمير فتى» عطف على (إليه) في قوله: «أسند الفعل إليه».

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. و«كَذَبات» بفتح الكاف والذال: جمعُ كَذْبةٍ بإسكان الذال، وهي المرةُ الواحدةُ من كَذَبَ، فلمَّا جُمِعت فُتِحت الذالُ إتباعًا للكاف.

﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بهذا السُّؤالِ، أو بعبادةِ ما لا ينطقُ ولا يضرُّ ولا ينفعُ، لا من ظَلَمْتُموهُ بقولِكُم: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٦٥) - ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: انقلَبُوا إلى المُجادلَةِ بعدما استقامُوا بالمراجعَةِ، شبَّه عَودَهُم إلى الباطلِ بصَيرورةِ أسفلِ الشَّيءِ مُستعلِيًا على أعلاه.

وقُرِئَ: (نكِّسُوا) بالتَّشديدِ[1]، و: (نكَسُوا)[2]؛ أي: نكَسوا أنفسَهُم.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيفَ تأمرُ بسُؤالِها؟! وهو على إرادةِ القَولِ.

(٦٦) - ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إنكارٌ لعِبادَتِهِم لها بعدَ اعترافِهِم بأنَّها جماداتٌ لا تنفعُ ولا تضرُّ فإنَّه يُنافي الأُلوهيَّةَ.

(٦٧) - ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تضجُّرٌ منه على إصرارِهِم بالباطلِ البيِّنِ، و(أفٍّ): صوتُ المُتضجِّرِ، ومعناه: قُبحًا ونَتْنًا، واللامُ لبيانِ المُتأفَّفِ له.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قُبحَ صَنيعِكُم.

(٦٨) - ﴿قَالُواْ﴾ أخذُوا[3] في المضارَّةِ لَمَّا عَجَزُوا عن المحاجَّةِ: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فإنَّ النَّارَ أهوَلُ ما يعاقَبُ به ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقامِ لها ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: إِنْ كُنْتُم ناصرينَ لها[4] نصرًا مُؤزَّرًا، والقائلُ فيهم رجلٌ مِن أكرادِ فارس اسمُه: هَيُونُ، خُسفَ به الأرض[5]، وقيل: نُمروذُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن أبي حيوة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«الكشاف» (٥/ ٤٨١)، و«البحر» (١٥/ ٢٤٩)، عن رضوان بن عبد المعبود، ولم أقف لرضوان هذا على ترجمة.

(٣) في نسخة الخيالي: «أخذاً».

(٤) في نسخة الفاروقي: «ناصريها».

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٥)، وفيه: «هيزن»، وفي «تاريخه» (١/ ٢٤١)، وفيه: «هينون». عن شعيب الجبائي.

(٦٩) ـ ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾: ذاتَ بردٍ وسلامٍ؛ أي: ابْرُدي بردًا غيرَ ضارٍّ.

وفيه مبالغاتٌ: جَعْلُ النَّارِ المُسخَّرةِ لقدرتِه مَأمورةً مُطيعةً[1]، وإقامةُ (كوني ذاتَ بردٍ) مقامَ (ابرُدي)، ثمَّ حذفُ المضافِ وإقامةُ المُضافِ إليه مقامَه.

وقيل: نصبَ ﴿سلامًا﴾ بفعلِه؛ أي: وسلَّمْنَا سَلامًا عليه.

رُوِيَ أنَّهُم بَنَوا حَظيرَةً بكُوثَى[2]، وأجَّجوا[3] فيها نارًا عظيمَةً ثمَّ وَضعوهُ في المنجنيقِ مَغلولًا فرَمَوْا بهِ فيها، فقالَ له جبريلُ: هَلْ لك حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا، قال: فسَلْ ربَّكَ، فقال: حَسْبِي مِن سُؤالي عِلمُهُ بحَالي[4]، فجعلَ اللهُ ببركةِ قولِهِ الحَظيرةَ روضةً، ولم يحتَرِقْ مِنه إلا وِثاقُه، فاطَّلَعَ عليه نُمروذُ مِن الصَّرحِ فقال: إنِّي مقرِّبٌ إلى إلهكَ، فذبحَ أربعةَ آلافِ بقرةٍ وكفَّ عَن إبراهيمَ[5].

وكان إذ ذاكَ ابنَ ستَّةَ عشرَ سنةً.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «مأمورًا مطيعًا».

(٢) كُوثى: بلدة بالعراق إلى جانب بابل، وأخرى بمكة، والمقصود هنا التي بالعراق. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٨٧)، و«الروض المعطار» (ص: ٥٠٣).

(٣) في نسخة الطبلاوي والخيالي: «وجمعوا».

(٤) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: (علمه بحالي يغني عن سؤالي) ونقل عن ابن تيمية قوله: موضوع.

قلت: جاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣) قوله: ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت أنه قال: (حسبي الله ونعم الوكيل). رواه البخاري (٤٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (حسبي الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٥٦).

وانقلابُ النَّارِ هواءً طيِّباً[١] ليس ببِدْعٍ، غيرَ أنَّه هكذا على خلافِ المُعتادِ، فهو إذَنْ مِن مُعجِزاتِه.

وقيل: كانَتِ النَّارُ بحالِها، لكنَّه تَعالى دفعَ عَنْهُ أَذِيَّتَها كما ترى في السَّمَنْدَرِ[٢]، ويُشعِرُ بهِ قولُه: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

(٧٠) - ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: مَكرًا في إضرارِه ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: أخسَرَ مِن كلِّ خاسرٍ، عادَ سَعيُهُم بُرهانًا قاطِعًا على أنَّهُم على الباطلِ وإبراهيمَ على الحقِّ، وموجِبًا لِمَزيدِ درجتِهِ واستحقاقِهِم أشدَّ العَذابِ.

(٧١) - ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: مِن العراقِ إلى الشَّامِ، وبركاتُهُ[٣] العامَّةُ: أنَّ أكثرَ الأنبياءِ بُعثوا فيهِ، فانتشرَتْ في العالَمينَ شَرائِعُهم التي هي مَبادئُ الكمالاتِ والخَيراتِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ.

وقيل: كثرَةُ النِّعَمِ والخِصبِ الغالبِ.

رُوِيَ أنَّه نزلَ بِفِلَسطينَ، ولوطٌ بالمؤتفكَةِ، وبينَهُمَا مَسيرَةُ يومٍ وليلَةٍ[٤].

(٧٢) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: عطيَّةً، وهو حالٌ مِنْهُما، أو: ولدَ ولدٍ، أو: زيادةً على ما سألَ وهو إسحاقُ، فتختَصُّ بيعقوبَ ولا بأس للقرينَةِ.

﴿وَكُلًّا﴾ يعني: الأربعةَ ﴿جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾ بأَنْ وَفَّقْناهُم للصَّلاحِ وحملناهُم عليه فصارُوا كامِلينَ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني والخيالي: «طيبة».

(٢) السمندر بالراء أو اللام وبعضهم فرق بينهما: طائر أو دويبة كالفأرة لا تحرقها النار. انظر: «حاشية الشهاب».

(٣) جاء على هامش نسخة الفاروقي: «إرجاع الضمير باعتبار المكان».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦١) عن ابن إسحاق.

(٧٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يُقتَدَى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ إلى الحقِّ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلكَ، وأرسَلْنَا إيَّاهُم حتى صارُوا مُكمَّلِينَ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ليَحُثُّوهُم عليها فيَتِمَّ كمالُهُم بانضمامِ العَملِ إلى العلمِ، وأصلُهُ: أن تُفعلَ الخيراتُ، ثمَّ: فِعْلاً الخيراتِ، ثمَّ: فِعْلَ الخيراتِ، وكذلك قولُه: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهو مِن عطفِ الخاصِّ على العامِّ للتَّفضيلِ، وحذفُ تاءِ الإقامَةِ المعوَّضَةِ مِن إحدى الألِفَيْنِ لقيامِ المُضافِ إليه مَقامَهَا.

﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾: مُوَحِّدينَ مُخلصينَ في العبادةِ، ولذلك قدَّمَ الصِّلَةَ.

(٧٤) ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمةً، أو نبوَّةً، أو فصلًا بين الخُصومِ ﴿وَعِلْمًا﴾ بما يَنبَغِي عِلمُه للأَنبياءِ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مِن قريةِ سَذُوم[1] ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يعني: اللواطَ، وَصَفها بصِفَةِ أَهلِهَا وأسندَها إليها على حَذفِ المُضافِ وإقامَتِهَا مُقامَه، ويدلُّ عليه:

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ فإنَّه كالتَّعليلِ له.

(٧٥) ـ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: في أهلِ رَحْمَتِنا، أو في جَنَّتِنَا ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الحُسْنَى.

(٧٦) ـ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾: إذ دعا اللهَ سُبحانَهُ على قومِه بالهلاكِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ المذكورينَ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءَهُ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: مِن الطُّوفانِ، أو أذى قومِهِ.

---

(١) بالذال المعجمة، وإهمالها، كما تقدم.

والكربُ: الغَمُّ الشَّديدُ.

(٧٧) ـ ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ مُطاوعُ انتصَرَ؛ أي: جَعلناهُ مُنتَصِرًا ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لاجتماعِ الأمرَيْنِ: تكذيبِ الحقِّ، والانهماكِ في الشَّرِّ، فإنَّهما لم يجتَمِعَا في قومٍ إلَّا وأهلكَهُم اللهُ.

(٧٨) ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾: في الزَّرعِ، وقيل: في كَرْمٍ تَدلَّتْ عَناقِيدُه.

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾: رعَتْهُ لَيْلًا ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾: لحكمِ الحاكِمَيْنِ والمُتَحاكِمَيْنِ عالِمِينَ.

(٧٩) ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ الضَّميرُ للحُكومَةِ أو الفَتوى، وقُرِئَ: (فَأَفْهَمْنَاها)[1].

رُوِيَ أنَّ داودَ عليهِ السَّلامُ حكمَ بالغنمِ لصَاحبِ الحرثِ[2]، فقال سُليمانُ وهو ابنُ إحدَى عشرةَ سنةً: غيرُ هذا أرفقُ بهما، يُدفَعُ[3] الغنمُ إلى أهلِ الحَرْثِ فيَنتفعونَ بألبانِها وأولادِهَا وشعرِها[4]، والحرثُ إلى أربابِ الغَنمِ يَقومونَ عليه حتى يعودَ إلى ما كانَ، ثمَّ يَترادَّانِ[5].

ولعلَّهُما قالا اجتهادًا، والأوَّلُ نَظيرُ قولِ أبي حنيفةَ في العبدِ الجاني، والثَّاني مثلُ قولِ الشَّافعيِّ بغرمِ الحيلولَةِ للعَبدِ المغصوبِ إذا أَبَقَ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤) عن عكرمة.

(٢) في نسخة الخيالي: «الزرع».

(٣) في نسخة التفتازاني والخيالي: «أمر بدفع».

(٤) في نسخة الخيالي: «وأشعارها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٢) عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم.

وحكمُهُ في شَرعِنَا عندَ الشَّافعيِّ: وجوبُ ضمانِ المُتلَفِ باللَّيلِ، إذ المعتادُ ضَبطُ الدَّوابِّ لَيْلًا، ولذلك قضى النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ لَمَّا دخلَت ناقةُ البراءِ حائطًا وأفسدَتْهُ فقال: «على أَهلِ الأموالِ حِفظُهَا بالنَّهارِ وعلى أهلِ الماشِيَةِ حِفظُهَا باللَّيلِ»[1].

وعندَ أبي حنيفةَ: لا ضمانَ إلَّا أَنْ يكونَ مَعَها حافظٌ؛ لقولِه عليهِ السَّلامُ: «جرحُ العَجْماءِ جُبارٌ»[2].

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دليلٌ على أنَّ خطأَ المُجتهدِ لا يَقدحُ فيه.

وقيل: على أنَّ كلَّ مُجتهدٍ مصيبٌ، وهو مُخالفٌ مفهومَ قولِه تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ ولولا النَّقلُ لاحتملَ تَوافُقَهُما على أنَّ قولَهُ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ لإظهارِ ما تفضَّلَ عليه في صِغَرِه.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: يُقدِّسْنَ اللهَ معَهُ: إمَّا بلِسانِ الحالِ، أو بصَوتٍ يتمثَّلُ له، أو بخلقِ اللهِ فيها. وقيل: يَسِرْنَ مَعَه[3]، مِن السِّباحَةِ.

وهو حالٌ، أو استئنافٌ لِبَيانِ وجهِ التَّسخيرِ، و﴿مَعَ﴾ مُتعلِّقَةٌ به أو بـ﴿سخرنا﴾[4].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٤٧)، ومن طريقه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٦٩١)، عن حرام بن سعد بن محيصة، ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٣٣٢)، وأبو داود (٣٥٧٠)، وهو مرسل، ورواه بعضهم موصولاً، لكن لم يتابع عليه، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ٨٢): هذا الحديث وإن كان مرسلاً، فهو حديث مشهور، أرسله الأئمة، وحدّث به الثقات، واستعمله فقهاء الحجاز، وتلقّوه بالقبول، وجرى في المدينة به العملُ.

(٢) رواه البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هذا مشكل، لقولِه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] وتَسييرُ الجبالِ ليسَ في القرآنِ، ولا ضرورةَ في حملِ التَّسبيحِ على السَّيرِ. قاله صاحب «الفوائد». انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٨٥).

(٤) في نسخة الطبلاوي والخيالي والتفتازاني: «و﴿مَعَ﴾ مُتعلِّقَةٌ بـ﴿سخرنا﴾ أو بـ﴿يُسَبِّحْنَ﴾»، والمثبت من نسخة الفاروقي والمعنى واحد.

﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾، أو مفعولٌ معَه.

وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ، أو العطفِ على الضَّميرِ على ضعفٍ(١).

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ لأمثالِه، فليسَ ببِدْعٍ مِنَّا وإن كانَ عَجِيبًا عِندَكُم.

(٨٠) ـ ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ﴾: عملَ الدِّرعِ، وهو في الأصلِ: اللِّباسُ، قال:

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا ... إمَّا نعيمَها وإمَّا بوسَها(٢)

قيل: كانَتْ صفائحَ فحلَّقَها وسرَدَها(٣).

﴿لَكُمۡ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(علَّم) أو صِفَةٌ لـ﴿لَبُوسٖ﴾.

﴿لِيُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾ بدلٌ منه بدلَ الاشتمالِ بإعادةِ الجارِّ، والضَّميرُ لـ﴿دَاوُۥدَ﴾ أو لـ﴿لَبُوسٖ﴾.

وفي قراءةِ ابنِ عامرٍ وحَفصٍ بالتَّاءِ للصَّنعةِ أو للَّبوسِ على تأويلِ الدِّرعِ، وفي قراءةِ أبي بَكرٍ ورُوَيسٍ بالنُّونِ للهِ عزَّ وجلَّ(٤).

﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ ذلك، أمرٌ أخرجَهُ في صورةِ الاستفهامِ للمُبالغَةِ والتَّقريعِ(٥).

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ٩٢٣)، وفيه: ويقرأ شاذًّا بالرفع عطفاً على الضمير في ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾. وأجازها الزجاج في «معاني القرآن» (3 /400) لغة، لكنه قال: ولا أعلم أحداً قرأ بها.

(٢) الرجز لبيهس الفزاري؛ كما في «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١١١)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٦٣)، ودون نسبة في «العين» (٧/ ٢٦٢)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٣٦)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ١٤٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٩) عن قتادة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٥) في نسخة الخيالي: «أو التقريع».

(٨١) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: وسَخَّرنا لَهُ، ولعلَّ اللامَ فيه دونَ الأَوَّلِ؛ لأنَّ الخارقَ فيه عائدٌ إلى سُلَيمانَ نافعٌ له، وفي الأَوَّلِ أمرٌ يظهَرُ في الجبالِ والطيرِ مع داودَ بالإضافةِ[1] إليه[2].

﴿عَاصِفَةً﴾: شديدةَ الهبوبِ مِن حيثُ إنَّها تبعدُ بكُرسيِّهِ في مدَّةٍ يَسيرَةٍ كما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] وكانَتْ رُخاءً في نفسِهَا طَيِّبَةً.

وقيل: كانَتْ رخاءً تارةً وعاصفةً أخرى حسبَ إرادَتِه.

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بمَشيئَتِه، حالٌ ثانيةٌ، أو بدلٌ مِن الأولى، أو حالٌ مِن ضَميرِها.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: إلى الشَّامِ رَواحًا بعدما سارَت بهِ منه بكرةً.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ فنُجريهِ على ما تَقتضيهِ الحكمَةُ.

(٨٢) ـ ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحارِ ويُخرجونَ نفائِسَه، و﴿مَن﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾ أو مبتدأٌ خبرُه ما قبلَهُ، وهي نكرةٌ موصوفةٌ.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ويتجاوزونَ ذلك إلى أعمالٍ أُخرَ كبناءِ المدنِ والقُصورِ واختراعِ الصَّنائعِ الغريبةِ كقولِه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أنْ يزيغوا عن أمرِهِ أو يُفسدُوا على ما هو مُقتَضَى جِبلَّتِهم.

(٨٣) ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: بأنِّي مَسَّني الضُّرُّ.

---

(١) في نسخة الطبلاوي والتفتازاني: «وبالإضافة».

(٢) في هامش نسخة الفاروقي: «أي بالنسبة إليه لا يتعدى إلى غيره، بخلاف معجزة سليمان».

وقُرِئَ بالكسرِ[١] على إضمارِ القَوْلِ، أو تضمينِ النِّداءِ معناه.

والضَّرُّ بالفتحِ شائعٌ في كلِّ ضَررٍ، وبالضمِّ خاصٌّ بما في النَّفسِ كمَرَضٍ وهُزَالٍ.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وصفَ ربَّهُ بغايَةِ الرَّحمَةِ بعدما ذكرَ نفسَهُ بما يوجِبُها، واكتفى بذلكَ عن عرضِ المطلوبِ لطفًا في السُّؤالِ.

وكان رُومِيًّا مِن أَولادِ[٢] عيصِ بنِ إسحاقَ، استنبأَهُ اللهُ، وكَثُرَ أهلُهُ ومالُه، فابتلاهُ اللهُ بهلاكِ أَولادِهِ بهدمِ بيتٍ عليهِمْ وذَهابِ أَموالِه والمرضِ في بدَنِه ثَماني عشرةَ سنةً[٣]، أو ثلاثَ عشرةَ سنةً[٤]، أو سبعًا وسبعةَ أشهُرٍ وسبعَ ساعاتٍ[٥].

رُوِيَ أنَّ امرأَتَهُ ماخيرَ بنتَ مَيْشَا بن يوسفَ ـ أو رحمةَ بنتِ إفرائيمَ بنِ يوسفَ

---

(١) نسبت لأبي عمران الجوني في «زاد المسير» (٣/ ٢٠٥)، وللكسائي عن أبي بكر وعن عيسى الكوفة في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣١٩)، ولعيسى بن عمر في «البحر المحيط» (١٥/ ٢٦٨).

(٢) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «من ولد».

(٣) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٣٤ وما بعدها) عن وهب بن منبه. واختلف في مقدار لبثه في محنته، والذي رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، ورواه أيضاً البزار (٢٣٥٧ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ الله أيوبَ لَبِثَ به بلاؤهُ ثماني عشرة سنة، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلانِ مِن إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨): رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح.

(٤) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٢١) من حديث أنس رضي الله عنه، وعزاه لابن أبي حاتم والطبري وابن حبان والحاكم.

(٥) هذا قول مقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٨).

ـ قالَتْ له يومًا: لَوْ دعوتَ اللهَ، فقال: كم كانَتْ مُدَّةُ الرَّخاءِ؟ فقالت: ثمانينَ سنةً، فقال: أَستَحْيِي مِن اللهِ أَنْ أَدعُوَهُ وما بلغَتْ مُدَّةُ بلائِي مُدَّةَ رخائِي[1].

(٨٤) ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ بالشِّفاءِ مِن مَرَضِه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ بأن ولدَ له ضعفُ ما كان، أو أُحيِيَ وُلْدُه ووُلِدَ له منهم نوافِلُ.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾: رحمةً على أيوبَ، وتَذكِرَةً لغيرِهِ مِن العابدينَ؛ ليصبرُوا كما صبرَ فيثابُوا كما أُثيبَ، أو: لرَحمَتِنَا العابدينَ فإنَّا نَذكُرُهم بالإحسانِ ولا نَنساهُم[2].

(٨٥) ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ يعني: إلياسَ، وقيل: يوشَعُ، وقيل: زكريَّا، سُمِّيَ به لأنَّه كانَ ذا حظٍّ مِن اللهِ، أو تكفُّلٍ منه، أو ضِعْفِ[3] عملِ

---

(١) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦٣) عن الحسن.

(٢) قوله: «أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم...» إشارة إلى أن ﴿رَحْمَةً﴾ و﴿ذكرى﴾ تنازعا قوله: ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ لا أنه متعلق بـ﴿ذكرى﴾ وحده كما في الوجه السابق، لكن قوله: «فإنا» بالفاء في أكثر النسخ، وهو في «الكشاف» وبعض النسخ بالواو، وهو الظاهر إذ لا وجه للتعليل كما قيل، ووجهه: أنّ مَن ذكره الله عنده بالخير علم أنه يجريه على عوائد برِّه ورحمته. انظر: «حاشية الشهاب».

قلت: وعبارة «الكشاف» (٥/ ٤٩٤): أي: لرحمتِنا العابدينَ وأَنَّا نَذكُرُهم بالإحسان لا نَنسَاهُمْ.

وقال ابن التمجيد في «الحاشية» (١٢/ ٥٧٠): قوله: «أو لرحمتنا للعابدين» هذا على تقدير جعل ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ صلة للرحمة، فيكون متعلق ﴿ذكرى﴾ محذوفا تقديره: رحمة للعابدين وذكرى لهم، ففسر (وذكرى لهم) بقوله: «وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم»، واللام في قوله: «لرحمتنا» إشارة إلى أن ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له لـ(آتينا)... إلى آخر ما قال.

قلت: وفي كلامه ما يدل على أن في نسخه (وأنا) بالواو كما في عبارة الزمخشري وكما رجحه الشهاب.

(٣) قوله: «أو ضعف» هكذا جاءت في النسخ، وفي بعض الطبعات: «أو له ضعف». انظر: «حاشية =

أنبيـاءِ زَمانِـه وثَوابِهـم، والكِفْـلُ يجـيءُ بمعنـى النَّصيـبِ والكَفالـةِ والضِّعـفِ.

﴿كُلٌّ﴾: كلُّ هؤلاءِ ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على مشاقِّ التَّكاليفِ وشَدائدِ النُّوَبِ.

(٨٦) ـ ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ يعنـي: النُّبـوَّةَ، أو نِعمـةَ الآخـرةِ ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملِيـنَ فـي الصَّـلاحِ، وهم الأنبيـاءُ، فإنَّ صَلاحَهُـم مَعصومٌ عَن كـدرِ الفسادِ.

(٨٧) ـ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: وصاحبَ الحُوتِ يونسَ بنَ متَّى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لقومِه لَمَّا بَرِمَ لطولِ دعوَتِهم وشِدَّةِ شَكِيمَتِهم مُهاجرًا عنهم قبلَ أَنْ يُؤمَرَ.

وقيل: وعدَهُم بالعذابِ فلَمْ يَأتِهم لِمِيعادِهِم[١] بتَوْبَتِهِم، ولم يَعرفِ الحالَ، فظنَّ أنَّه كذَبَهُم، وغَضِبَ مِن ذلكَ، وهو مِن بناءِ المغالبَةِ للمُبالغَةِ.

أو لأنَّه أَغضَبَهُم بالمُهاجرَةِ لخَوْفِهِم لُحوقَ العَذابِ عندَها.

وقُرِئَ: (مُغْضَبًا)[٢].

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾: لَـنْ نُضَيِّـقَ عليهِ، أو: لـن نقضِيَ عليـه بالعُقوبَةِ، مِن القَـدْرِ، ويعضُـدُه أنَّه قُـرِئَ مُثقَّلًا[٣].

أو: لَنْ نُعمِلَ فيه قُدرتَنا.

= القونوي» (١٢/ ٥٧٠). وهكذا عبارة «الكشاف»: وقيل: كان له ضِعْفُ عمل الأنبياء في زمانه وضِعْفُ ثوابهم.

(١) أي: للوقتِ الذي وعدَهم بإتيانه فيه إن لم يتوبوا. وفي نسخة الفاروقي: «لميعاده».

(٢) نسبت لأبي شرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

(٣) نسبت لابن أبي ليلى وأبي شرف والكلبي ويعقوب في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

وقيل: هو تَمثيلٌ لحالِهِ بحالِ مَن ظنَّ أن لَنْ نَقدِرَ[١] عليه في مُراغمَتِهِ قومَهُ مِن غيرِ انتظارٍ لأَمرِنَا، أو خَطْرةٌ شَيطانِيَّةٌ سبقَتْ إلى وهمِهِ فسُمِّيَ ظَنًّا للمُبالغَةِ.

وقُرِئَ بالياءِ، وقرأ يعقوبُ على البناءِ للمَفعولِ، وقُرِئَ به مُثقَّلًا[٢].

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: في الظُّلمَةِ الشَّديدةِ المُتكاثِفَةِ، أو ظلماتِ بطنِ الحُوتِ والبَحرِ والليلِ: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾: بأَنَّهُ لا إلهَ إلَّا أنتَ ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أن يُعجِزَكَ شيءٌ ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنَفسِي بالمبادرةِ إلى المهاجرةِ، وعن النبيِّ ﷺ: «ما مِن مَكروبٍ يَدْعُو بهذا الدُّعاءِ إلا استُجيبَ له»[٣].

(٨٨) - ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ بأَنْ قَذفَهُ الحوتُ إلى السَّاحلِ بعدَ أربعِ ساعاتٍ كان في بَطنِه، وقيل: ثلاثةَ أيَّامٍ.

والغمُّ: غَمُّ الالتقام، وقيل: غمُّ الخَطيئَةِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مِن غُمومٍ دَعَوا اللهَ فيها بالإخلاصِ.

وفي الإمامِ: ﴿نُجِّي﴾ فلذلك أخفى الجماعةُ النُّونَ الثَّانيةَ فإنَّها تَخْفَى مع حروفِ الفَمِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ بتَشديدِ الجيمِ[٤] على أنَّ أصلَهُ: نُنَجِّي، فحُذِفَت النُّونُ

---

(١) في نسخة الفاروقي: «أن لا يقدر».

(٢) قرأ الجمهور: ﴿نَّقۡدِرَ﴾، ويعقوب: ﴿يُقْدَرَ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٤). وقرأ عيسى: (يَقْدِرَ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥). وقرأ عبيد بن عمير وقتادة: (يُقَدَّرَ). انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٣٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٢)، والترمذي في (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٥).

(٤) أي: ﴿نجِّي﴾ بنون واحدة مشدَّدًا، والباقون بنونين مخففًا. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

الثَّانيـةُ كمـا حُذِفَت التَّاءُ فـي ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ [البقـرة: ٨٥]، وهـي وإن كانَتْ فـاءً فحَذفُهَا أوقَـعُ مِـن حَـرفِ المُضارعَةِ التـي لِمَعنًى، ولا يقـدحُ فيه اختـلافُ حَرَكتـي النُّونَيْنِ، فـإنَّ الدَّاعِـيَ إلـى الحـذفِ اجتمـاعُ المِثلَينِ مَع تَعـذُّرِ الإدغـامِ، وامتنـاعُ الحذفِ في ﴿نَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦] لخوفِ اللَّبسِ.

وقيل: هو ماضٍ مَجهولٌ أُسنِدَ إلى ضَميرِ المَصدَرِ وسَكَنَ آخِرُه تَخفيفًا.

ورُدَّ: بأنَّه لا يُسنَدُ إلى المصدرِ والمفعولُ مَذكورٌ، والماضي لا يُسَكَّنُ آخرُه.

(٨٩) ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: وحيدًا بلا وَلَدٍ يَرِثُني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ فإنْ لَمْ تَرزُقني مَن يرثُني فلا أُبالي به.

(٩٠) ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾؛ أي: أصلَحْناهَا للوِلادَةِ بعدَ عُقرِهَا، أو لِزكريَّا بتَحسينِ خُلقِها وكانَتْ حَرِدَةً[1].

﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: المُتوالدينَ، أو المذكورينَ مِن الأنبياءِ ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يُبادِرُونَ إلى أبوابِ الخيرِ ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: ذَوِي رَغَبٍ، أو: راغِبينَ في الثَّوابِ راجينَ الإجابَةَ، أو: في الطَّاعةِ وخائفينَ العقابَ أو المَعصِيَةَ.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: مُخبِتينَ، أو: دَائِبينَ[2] الوجلَ.

والمعنى: أنَّهُم نالوا مِن اللهِ ما نَالوا بهذهِ الخصالِ.

---

(١) «حَرِدة» بمهملة وراء مكسورة؛ أي: سريعةَ الغضبِ. وقال الطبري في «التفسير» (١٦/ ٣٨٨): والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكرُه بأن جعلها ولوداً حسنة الخلق؛ لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضاً دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم، ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

(٢) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «دائمين».

(٩١) ـ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ مِن الحَلالِ والحرامِ، يعني: مريم ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾: في عيسى فيها؛ أي: أحيَيْناهُ في جَوفِها، وقيل: وفَعَلْنَا النَّفخَ فيها.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: مِن الرُّوحِ الذي هو بأَمْرِنا وحدَهُ، أو مِن جهةِ روحِنا، يعني: جبريلَ.

﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ﴾؛ أي قِصَّتَهما، أو: حالَهُما، ولذلك وحَّدَ قولَه: ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإنَّ مَن تأمَّلَ حالَهُما تحقَّقَ كمالَ قُدرَةِ الصَّانعِ تعالى.

(٩٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾: إنَّ مِلَّةَ التَّوحيدِ أو الإسلامِ ملَّتُكُم التي يجبُ عليكم أَنْ تكونُوا عَلَيْها فكونوا عَلَيْها.

﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: غيرَ مُختَلِفةٍ فيما بين الأنبياءِ؛ إذ لا مُشاركَةَ لغيرِها[1] في صِحَّةِ الاتِّباعِ.

وقُرِئَ: (أُمَّتكُم) بالنَّصبِ على البدلِ و: (أمةٌ) بالرَّفعِ على الخبرِ[2]، وقُرِئَا بالرَّفعِ على أنَّهما خَبرانِ[3].

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ لا إله لَكُم غيري ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ لا غير.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «الأنبياء ولا مشاركة بغيرها».

(٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«الكشاف» (٥/ ٥٠١)، و«البحر» (١٥/ ٢٧٦).

وكأن ابن جني لم تصله هذه القراءة كما يشير إليه قوله في «المحتسب» (٢/ ٦٥): ولو قرئ (أُمَّتَكُمْ) بالنصب بدلاً وتوضيحاً لـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ ورفع (أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾ لكان وجهاً جميلاً حسناً.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٦٥)، و«البحر» (١٥/ ٢٧٦)، عن ابن أبي إسحاق والأشهب العقيلي وأبي حيوة وغيرهم.

(٩٣) - ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ صرفَهُ إلى الغَيبةِ التفاتًا ليَنْعَى على الذين تفرَّقُوا في الدِّينِ وجعلُوا أمرَهُ قطعًا مُوزَّعةً بقبيحِ فعلِهِم إلى غَيرِهِم.

﴿كُلٌّ﴾ مِن الفرقِ المُتحزِّبَةِ ﴿إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ فنُجازِيهِمْ.

(٩٤) - ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ باللهِ ورُسُلهِ ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾: فلا تَضييعَ لسَعْيِه، استُعيرَ لِمَنعِ الثَّوابِ كمَا استُعِيرَ الشُّكرُ لإعطائِه، ونُفِيَ نَفْيَ الجنسِ للمُبالغةِ.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾: لسَعْيِه ﴿كَٰتِبُونَ﴾: مُثبِتُونَ في صَحيفَةِ عَملِهِ لا نُضيِّعُ[1] بوَجهٍ ما.

(٩٥) - ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ وممتنعٌ على أهلِهَا غيرُ مُتصوَّرٍ مِنْهُم.

وقرأَ أبو بكرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿وحِرْمٌ﴾ بكسرِ الحاءِ وإسكانِ الرَّاءِ[2]. وقُرِئَ: (وحَرْمٌ)[3].

﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾: حَكَمْنَا بإهلاكِهَا، أو: وَجَدْنَاها هالِكَةً.

﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾: رُجوعُهُم إلى التَّوبَةِ أو الحياةِ، و﴿لَا﴾ صِلَةٌ، أو: عدمُ رجوعِهِم للجَزاءِ.

وهو مُبتدَأٌ خبرُهُ: (حرامٌ)، أو فاعلٌ له سادٌّ مَسَدَّ خبرِهِ، أو دليلٌ عليه وتقديرُه: تَوْبَتُهُم أو حَيَاتُهُم أو عَدَمُ بَعثِهِم.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «لا يضيع».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما بخلاف، ونسب إليه أيضاً: (وحَرُمَ)، وعنه أيضاً: (وحَرِمَ)، وعن عكرمة: (وحَرِمٌ)، وعن قتادة: (وحَرَمَ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٦٥).

أو: لأنَّهُم لا يَرجِعُونَ ولا يُنيبونَ[١]، و(حرامُ) خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: وحرامٌ عليها ذاك وهو المذكورُ في الآيةِ المتقدِّمَةِ، ويؤيِّدُه القِراءةُ بالكَسرِ[٢].

وقيل: (حرامٌ): عزمٌ ومُوجَبٌ عليهم أَنَّهُم لا يرجعونَ.

(٩٦) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(حرام)، أو بمحذوفٍ دَلَّ الكَلامُ عليهِ، أو بـ﴿لَا يَرۡجِعُونَ﴾؛ أي: يَستَمِرُّ الامتناعُ أو الهلاكُ أو عدمُ الرُّجوعِ إلى قيامِ السَّاعةِ وظُهورِ أَماراتِها، وهو فَتحُ سدِّ يأجوجَ ومأجوجَ، وهي (حتَّى) التي يُحكَى الكلامُ بعدَها، والمَحكيُّ هي الجملَةُ الشَّرطيَّةُ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿فُتِّحَتْ﴾ بالتَّشديدِ[٣].

﴿وَهُم﴾ يعني: يأجوجَ ومأجوجَ، أو الناسَ كلَّهُم ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾: نَشَزٍ من الأرضِ، وقُرِئَ: (جَدَثٍ)[٤] وهو القبرُ ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسرِعونَ، مِن نَسَلانِ الذِّئبِ. وقُرِئَ بضمِّ السِّينِ[٥].

---

(١) قوله: «أو لأنهم لا يرجعون» عطف في المعنى على «رجوعهم إلى التوبة»، والحاصلُ: أن جملةَ ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ إما مبتدأٌ، أو سادٌّ مسدَّ الخبرِ، أو دالٌّ عليه، أو تعليلٌ لما قدَّرَه بعدُ من قوله: «وحرام عليها ذاك». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٩٨).

(٢) أي: (إنهم) بكسر الهمزة، وهي بلا نسبة في «الكشاف» (٥/ ٥٠٣)، و«البحر» (١٥/ ٢٧٦). وأجازها الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٨٥) لغة دون التصريح بكونها قراءة، فقال: ويجوز: (إنهم لا يرجعون) بكسر (إن) ومعنى ذلك الاستئناف، المعنى: هم إليهم لا يرجعون.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥) عن ابن عباس والكلبي والضحاك، و«المحتسب» (٢/ ٦٥) عن ابن مسعود.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥) عن الضحاك، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢١) عن ابن أبي إسحاق وأبي السمال.

(٩٧) ـ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو القيامةُ ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جوابُ الشَّرطِ، و﴿إذا﴾ للمفاجأةِ تَسُدُّ[1] مَسدَّ الفاءِ الجَزائيَّةِ كقَوْلِه: ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، فإذا جاءَت مَعَها تَظاهَرَتْ على وَصلِ الجَزاءِ بالشَّرطِ فيتأكَّدُ، والضَّميرُ للقصَّةِ، أو مُبهَمٌ يُفسِّرُه الأَبصارُ.

﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ مُقدَّرٌ بالقولِ واقِعٌ موقِعَ الحالِ مِن المَوصولِ.

﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ لم نَعْلَم أنَّه حَقٌّ ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأَنْفُسِنا بالإخلالِ بالنَّظَرِ والاعتدادِ بالنُّذرِ.

(٩٨) ـ ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يحتَمِلُ الأَوثانَ، وإبليسَ وأَعْوانَه، لأنَّهم بطاعتِهِم لهم في حُكمِ عبدَتِهم؛ لِمَا رُوِيَ: أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا تلا الآيَةَ على المشركينَ قال له ابنُ الزِّبَعْرَى: قَدْ خَصَمْتُكَ وربِّ الكعبَةِ، أليسَ اليَهودُ عَبدُوا عُزَيرًا، والنَّصارَى عبدُوا المسيحَ، وبنو مليحٍ عبدُوا الملائكةَ، فقال عليهِ السَّلامُ: «بل هُمْ عَبَدُوا الشَّياطينَ التي أمرَتْهُم بذلكَ» فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١][2].

وعلى هذا يعمُّ الخِطابُ، ويكونُ ﴿ما﴾ مؤوَّلًا بـ(مَن) أو بما يعمُّهُ، ويدلُّ عليه

---

(١) في نسخة الخيالي: «وتسد».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) عن ابن إسحاق، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، ورواه مختصراً الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٩): فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة. ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨).

ما رُوِي: أنَّ ابنَ الزِّبَعْرَى قال: هذا شيءٌ لآلهتِنَا خاصَّةً أو لكلِّ مَن عُبِدَ مِن دونِ اللهِ؟ فقال عليهِ السَّلامُ: «بل لكلِّ مَن عُبِدَ مِن دونِ اللهِ»[1].

ويكون قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ بيانًا للتَّجوُّزِ أو التَّخصيصِ تأخَّرَ عَن الخطابِ.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما يُرمَى به إليها وتَهيجُ به، مِن حَصَبَه يَحْصِبُهُ: إذا رماهُ بالحَصباءِ.

وقُرِئَ بسُكونِ الصَّادِ[2] وَصفًا بالمَصدَرِ.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ استئنافٌ، أو بَدلٌ مِن ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ واللامُ مُعوَّضةٌ مِن (على) للاختصاصِ والدَّلالةِ على أنَّ وُرودَهُم لأَجلِها.

(٩٩) ـ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ لأنَّ المؤاخَذَ المُعذَّبَ لا يكونُ إلهًا ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا خلاصَ لَهُم عنها.

(١٠٠) ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أَنِينٌ وتَنفُّسٌ شَديدٌ، وهو من إضافَةِ فعلِ البَعضِ إلى الكلِّ للتَّغليبِ إنْ أُريدَ بما تعبدونَ الأصنامُ.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ مِن الهولِ وشِدَّةِ العَذابِ، وقيل: لا يسمَعونَ ما يَسُرُّهُم.

(١٠١ ـ ١٠٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: الخَصْلَةُ الحُسنى، وهي السَّعادَةُ، أو التَّوفِيقُ للطَّاعَةِ، أو البُشرَى بالجنَّةِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لأنَّهم يُرفَعُونَ إلى أعلى عِلِّيِّينَ.

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ١٦٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتتمته كما في الخبر المتقدم.

(٢) نسبت لابن السميفع. انظر: «المحتسب» (٢/ ٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠١).

رُوِيَ: أنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عنه خطَبَ وقرَأَ هذهِ الآيَةَ ثمَّ قال: أنا مِنْهُم وأبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وسَعْدٌ وسَعِيدٌ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ وابنُ الجرَّاحِ، ثمَّ أُقيمَتِ الصَّلاةُ فقامَ يجرُّ رِداءَهُ ويقولُ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[1].

وهو بدلٌ مِن ﴿مُبْعَدُونَ﴾، أو حالٌ مِن ضَميرِه سيقَ للمُبالغَةِ في إبعادِهِم عَنْها.

والحسيسُ: صَوْتٌ يُحَسُّ به.

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: دائمونَ في غايةِ التَّنعُّمِ، وتقديمُ الظَّرفِ للاختصاصِ والاهتمامِ به.

(١٠٣) - ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: النَّفخَةُ الأَخيرَةُ لقولِه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، أو الانصرافُ إلى النَّارِ، أو حينَ يُطْبَقُ على النَّارِ، أو يُذبَحُ الموتُ.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تَستَقبِلُهُم مُهنِّئينَ: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ﴾: يومُ ثوابِكُم وهو مُقدَّرٌ بالقَولِ.

﴿الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنْيَا.

(١٠٤) - ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ مُقَدَّرٌ بـ: اذكُرْ، أو ظرفُ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾، أو ﴿تتلقَّاهم﴾، أو حالٌ مُقدَّرةٌ مِن العائدِ المَحذوفِ مِن ﴿تُوعَدُونَ﴾.

والطيُّ: ضِدُّ النَّشرِ، أو المحوُ مِن قولِك: (اطوِ عنِّي هذا الحديثَ)، وذلك لأنَّها نُشِرَت مُظِلَّةً لبني آدمَ، فإذا انتَقَلُوا قُوِّضَت عَنْهُم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٩) (١٣٧٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٤)، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٨٥) لابن مردويه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وقُرِئَ بالياءِ[١]، والتَّاءِ والبناءِ للمَفعولِ[٢].

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ للكِتَابِ﴾: طَيًّا كطَيِّ الطُّومارِ[٣] لأجلِ الكتابةِ، أو لِمَا يُكتَبُ أو كُتبَ فيه.

ويدلُّ عليهِ قراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ وحفصٍ على الجمعِ[٤]، أي: للمَعاني الكثيرةِ المكتوبةِ فيه.

وقيل: السِّجلُّ: مَلَكٌ يطوِي كتبَ الأَعمالِ إذا رُفِعَت إليه[٥]، أو كاتبٌ كانَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ[٦].

---

(١) أي: (يطوِي السماءَ)، نسبت لمجاهد وشيبة. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٢). وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٣) لغة، وقال الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٦): ولم يُقرأ بها.

(٢) أي: ﴿تُطْوَى السماءُ﴾، قرأ بها أبو جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٤).

(٣) الطامور والطومار: الصحيفة. انظر: «المخصص» (٤/ ٨).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿للكتاب﴾ على الواحد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٥) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٣) عن السدي.

(٦) رواه أبو داود (٢٩٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي سنده يزيد بن كعب العوذي، مجهول. وقد أنكر هذا الحديث أبو العباس ابن تيمية والمزي، نقل ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤٠).

وهذا القول ضعفه بعض العلماء، قال ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٦٨): وذلك مدفوع؛ لأن كتابه معروفون.

ثم قال ابن جني عن هذا القول والذي قبله: ويشبه أن يكون هذان القولان إنما قاد إليهما توهُّمُ مَن ظن أن السجلَّ هنا فاعلٌ في المعنى، وإنما هو مفعولٌ في المعنى. وهو كقولك: كطي الكتاب للكتابة؛ أي: كطي الكتاب لأن يكتب فيه. =

وقُرِئَ: (السَّجْل) كالدَّلْوِ[(١)]، و: (السُّجُلّ) كالعُتُلِّ[(٢)]، وهما لُغتانِ فيه.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾؛ أي: نُعيدُ ما خَلَقْناهُ مُبتدأً إعادةً مثلَ بَدْئِنَا إيَّاه في كونِهما إيجادًا عن العَدمِ، أو جمعًا من الأجزاءِ المُتبدِّدَةِ.

والمقصودُ: بَيانُ صِحَّةِ الإعادةِ بالقِياسِ على الإبداءِ؛ لشُمُولِ الإمكانِ الذَّاتيِّ المصحِّحِ للمَقْدُورِيَّةِ، وتناوُلِ القدرَةِ القَديمَةِ لَهُما على السَّواءِ.

و(ما) كافَّةٌ أو مَصْدرِيَّةٌ، و﴿أَوَّلَ﴾ مفعولٌ لِـ﴿بَدَأْنَآ﴾، أو لفعلٍ[(٣)] يُفسِّرُه ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، أو موصولةٌ والكافُ مُتعلِّقَةٌ بمَحذوفٍ يُفسِّرُه ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾؛ أي: نعيدُ مثلَ الذي بدَأْنَاهُ، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرفٌ لـ﴿بَدَأْنَآ﴾، أو حالٌ مِن ضَميرِ المَوصولِ المحذوفِ.

= وقال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٤): وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٧): وقد أنكر الثعلبي والسهيلي أن السجل اسم الكاتب بأنه لا يعرف في كتاب النبي ﷺ ولا في أصحابه من اسمه السجل، قال السهيلي: ولا وجد إلا في هذا الخبر، وهو حصر مردود فقد ذكره في الصحابة ابن منده وأبو نعيم [(٣٦٨٤)] وأوردا من طريق بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: كان للنبي ﷺ كاتب يقال له: سجل، وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه.

وحديث ابن عمر هذا قال فيه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤١): وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر كما هو منكر عن ابن عباس، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك.

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٦٧) عن أبي السمال.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥) عن أبي هريرة، و«المحتسب» (٢/ ٦٧) عن أبي زرعة. قال ابن جني: وهذا أبو زرعة بن عمرو بن جرير، وكان قد قرأ على أبي هريرة.

(٣) في نسخة الخيالي زيادة: «أو مفعول فعل».

﴿وَعۡدًا﴾ مُقدَّرٌ بفعلِه تأكيدًا لـ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، أو منتصِبٌ به لأنَّه عِدَةٌ بالإعادةِ.

﴿عَلَيۡنَآ﴾؛ أي: عَلَيْنا إنجازُه ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلكَ لا محالةَ.

(١٠٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾: في كتابِ داودَ ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾؛ أي: التَّوراةِ.

وقيل: المرادُ بالزَّبورِ: جِنسُ الكُتُبِ المُنزلةِ، وبالذِّكرِ: اللَّوحُ المحفوظُ.

﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾: أرضَ الجنَّةِ، أو الأرضَ المقدَّسةَ ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ يعني: عامَّةَ المُؤمنينَ، أو الذين كانوا يُستضعفونَ مَشارِقَ الأَرضِ ومغارِبَها، أو أُمَّةَ مُحمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ السَّلامُ.

(١٠٦) ـ ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾؛ أي: فيما ذكرَ مِن الأخبارِ والمواعظِ والمواعيدِ ﴿لَبَلَٰغًا﴾: لكفايةً، أو: لسببُ بلوغٍ إلى البُغيَةِ ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾ همُّهُم العبادةُ دونَ العادةِ.

(١٠٧) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنَّ ما بُعثتَ به سَبَبٌ لإسعادِهم، ومُوجِبٌ لصَلاحِ مَعاشِهم ومَعادِهم.

وقيل: كونُه رحمةً للكُفَّارِ: أَمْنُهُم به من الخسفِ والمَسْخِ وعذابِ الاستئصالِ.

(١٠٨) ـ ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾؛ أي: ما يُوحَى إليَّ إِلَّا أنَّه لا إلهَ لَكُم إلا إلهٌ واحدٌ، وذلك لأنَّ المَقصودَ الأَصليَّ مِن بعثَتِه[1] مَقصورٌ على التَّوحيدِ، فالأُولَى لقَصْرِ الحُكمِ على الشَّيءِ، والثَّانيَةُ على العكسِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «البعثة».

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلِصُونَ العبادةَ للهِ على مُقتَضى الوحيِ المُصدَّقِ بالحُجَّةِ، وقد عرفتَ أنَّ التَّوحيدَ ممَّا يَصِحُّ إثباتُهُ بالسَّمعِ.

(١٠٩) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عَنِ التَّوحيدِ ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: أعلَمْتُكُم ما أُمِرْتُ به، أو حَرْبِي لَكُم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: مُسْتَوِينَ في الإعلامِ به، أو مُسْتَوِينَ أنا وأَنْتُم في العلمِ بما أعلَمْتُكُم بهِ أو في المعاداةِ. أو: إيذانًا على سواءٍ.

وقيل: أَعلَمْتُكُم أنِّي عَلى سواءٍ؛ أي: عدلٍ واستِقامَةِ رأيٍ بالبُرهانِ النَّيِّرِ.

﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ﴾: وما أدرِي ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِن غلبَةِ المُسلمينَ[1]، أو الحشرِ، لكنَّه كائِنٌ لا مَحالةَ.

(١١٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما تُجاهِرُونَ بِه مِن الطَّعنِ في الإسلامِ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ مِن الإِحَنِ والأَحقادِ للمُسلمينَ فيُجازِيكُم عليه.

(١١١) ـ ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: وما أدري لَعَلَّ تَأخيرَ جَزائِكُم استدراجٌ لَكُم وزيادةٌ في افتتانِكُم، أو امتحانٌ لينظرَ كيفَ تَعمَلُون.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: وتمتيعٌ إلى أجلٍ مُقدَّرٍ تَقتضيهِ مَشيئَتُه.

(١١٢) ـ ﴿قُل رَّبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾: اقضِ بينَنَا وبينَ أَهلِ مَكَّةَ بالعَدلِ المُقتَضِي لاستعجالِ العَذابِ والتَّشديدِ عَلَيهِم.

وقرأَ حَفْصٌ: ﴿قَٰلَ﴾[2] على حكايةِ قولِ رَسولِ اللهِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «من غلبة الإسلام».

(٢) قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾ خبراً عن النبي ﷺ أنه قال هذا الدعاء، وقرأ الباقون: ﴿قل﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

وقُـرِئَ: ﴿رَبُّ﴾ بالضـمِّ[1] و: (رَبِّي أَحْكَمُ)[2] على بنـاءِ التَّفضيلِ، و: (أَحْكَمَ) مِن الإحكامِ[3].

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: كثيرُ الرَّحمةِ على خلقِه ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوبُ مِنه المَعونَةُ.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ مِن الحالِ بأَنَّ الشَّوكةَ تكونُ لَهُم، وأنَّ رايةَ الإسلامِ تَخْفِقُ أيامًا ثمَّ تسكُنُ، وأنَّ المُوْعَدَ به لو كانَ حَقًّا لنزلَ بِهِم، فأجابَ اللهُ دعوةَ رَسُولِه عليهِ السَّلامُ فخيَّبَ أَمانِيَّهم ونصرَ رسولَه عليهِم.

وقُرِئَ بالياءِ[4].

وعن النبيِّ ﷺ: «مَـن قرأَ ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ حاسبَهُ اللهُ حِسابًا يَسيرًا، وصافَحَهُ وسَلَّمَ عليه كلُّ نبيٍّ ذُكِرَ اسمُهُ في القُرآنِ»[5].

* * *

---

(١) هي قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧)، و«البحر» (١٥/ ٢٩٥)، عن ابن عباس والجحدري وعكرمة والضحاك وابن محيصن.

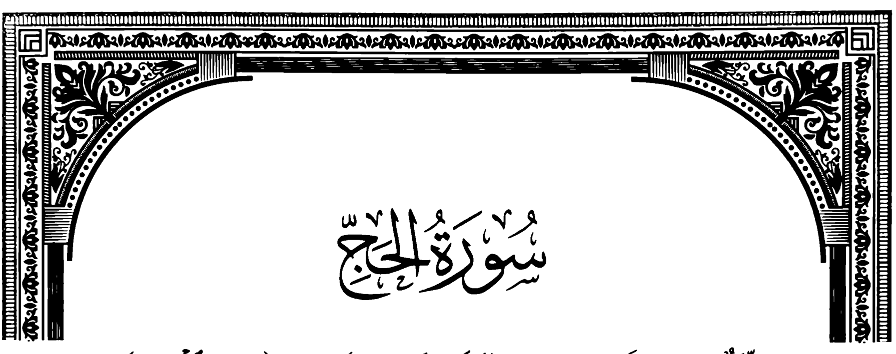
(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٠٥) عن الجحدري، و«البحر» (١٥/ ٢٩٥) دون نسبة.

(٤) بالياء رواية ابن ذكوان عن ابن عامر بخلف عنه، ورواية المفضل عن عاصم، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥).

(٥) قطعة مـن حديث أبي بن كعـب في فضائل السـور. رواه الثعلبي فـي «تفسـيره» (١٨/ ٩٤)، وابن مردويـه كمـا في «الكافي الشـاف» لابـن حجر (ص: ١١٢). وقـال المناوي في «الفتح السـماوي» (٢١/ ٨٣٢): أخرجـه الثَّعلبـيّ وابـن مردويـه من حديـث أبي بن كعـب، وهو موضوع.



سُورَةُ الحَجِّ



سُورَةُ الحَجّ

مَكِّيَّةٌ، إلا ستَّ آياتٍ مِن ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى ﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾

وهـي ثمانٍ وسبعونَ آيةً[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾: تَحريكَها للأشياءِ، علـى الإسنادِ المَجازِيِّ، أو: تحريكَ الأشياءِ فيها، فأُضِيفَت إلَيْها إضافةً مَعنويَّةً بتقديرِ (في)، أو إضافةِ المصدَرِ إلى الظَّرفِ على إجرائِه مُجرى المَفعولِ به.

وقيـل: هـي زلزلَـةٌ تَكـونُ قُبيـلَ طُلـوعِ الشَّـمسِ مِـن مَغرِبِهـا، وإضافَتُهـا إلى السَّـاعةِ لأنَّهـا من أشـراطِها.

﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: هائلٌ، علَّلَ أمرَهُم بالتَّقوى بفظاعةِ السَّاعةِ ليَتصوَّرُوها بعُقولِهم

---

(١) في «البيان في عد أي القرآن» للداني (ص: ١٨٩): (وهي سبعون وأربع آيات في الشَّامي، وخمس في البَصري، وست في المدنيين، وسبع في المكِّي، وثمان في الكوفي، اختلافها خمس آيات...) ثم عددها.

أما ما جاء من استثناء المدني فذكره الداني غير أنه قال: (إلا أربع آيات وهن قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾) قال: (هذا قول ابن عباس وعطاء بن يسَار إلَّا أن ابن عباس لم يذكر إلى أين ينتهين وذكره عَطاء)، وأورد فيها أقوالاً أخر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة تنظر ثمة.

ويعلَمُوا أنَّه[1] لا يؤمِّنُهم منها سِوى التَّدرُّعِ بلباسِ التَّقوَى، فيُبْقُوا على أَنفُسِهم ويتَّقُوها بملازمَةِ التَّقوَى.

(٢) - ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تصويرٌ لهَوْلِها، والضَّميرُ للزَّلزلَةِ.

و﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بـ﴿تَذْهَلُ﴾.

وقُرِئَ: (تُذهَل) و: (تُذهِل) مجهولًا ومَعروفًا[2]؛ أي: تُذْهِلُها الزَّلزلةُ.

والذُّهولُ: الذَّهابُ عَن الأمرِ بدَهشةٍ، والمقصودُ: الدَّلالةُ على أنَّ هَوْلَها بحيثُ إذا دهشَتِ التي ألقمَتِ الرَّضيعَ ثديَها نزعَتْهُ عَن فيه وذهلَتْ عنه.

و(ما) موصولةٌ أو مصدريَّةٌ.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: جنينَها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾: كأَنَّهم سُكارَى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ على الحقيقةِ.

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأرهقَهُم هولُه بحيثُ طيَّرَ عُقولَهُم وأذهبَ تَمييزَهُم.

وقُرِئَ: (تُرَى) مِن (أُرِيتُكَ قائِمًا) أو: (رَأَيْتُكَ قائمًا) بنصبِ (النَّاس) ورفعِه[3]

---

(١) في نسخة الخيالي: «أنهم».

(٢) القراءتان لابن أبي عبلة كما في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٤)، والثانية نسبت أيضاً لليماني. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٦)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣٠٦). واليماني هو محمد بن السميفع.

(٣) نسبت لأبي هريرة وأبي زرعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، وزاد في «البحر» (١٥/ ٣٠٦) نسبتها لأبي نهيك، وللزعفراني وعباس في اختياره. على أن الأخيرين قرأا: (الناسُ) بالرفع، والأولين: (الناسَ) بالنصب. =

على أنَّه منابُ الفاعلِ، وتأنيثُه على تأويلِ الجَماعةِ، وإفرادُهُ بعدَ جَمعِهِ لأنَّ الزَّلزلةَ يراها الجميعُ[١]، وأثرُ السُّكرِ إنَّما يراهُ كلُّ أحدٍ على غيرِه.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿سَكْرَى﴾[٢] كعَطْشَى؛ إجراءً للسُّكرِ مُجرَى العِلَلِ.

(٣) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ وكان جَدِلًا يقولُ: الملائكةُ بناتُ اللهِ، والقرآنُ أساطيرُ الأولينَ، ولا بعثَ بعدَ المَوتِ[٣]. وهي تعمُّهُ وأضرابَهُ.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في المجادلَةِ أو في عامَّةِ أحوالِه ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ مُتجرِّدٍ للفَسادِ، وأصلُه العُرْي[٤].

= قوله: «من: أُريتك قائماً» على أن الفعلَ متعدٍّ إلى ثلاث، «أو: رأيتك قائماً» على أن الفعلَ متعدٍّ إلى اثنين، قيل: والرؤية فيهما بمعنى الظنِّ «بنصب الناس» راجعٌ إلى الأول، «ورفعه» راجعٌ إلى الثاني، والفعل في قراءة ضم التاء وكسر الراء مسندٌ إلى الزلزلة، أو الساعة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٠٦).

وقال الطيبي في «فتوح الغيب» (١٠/ ٤٣١): إن كان (تُرى) مِن: أريتُك قائماً، فمعناهُ: تظنُّ أنت الناس سُكارى، أقيم الضميرُ مقام الفاعل، ونصب (النَّاسَ) و(سُكَارَى) على أنهما مفعولان؛ لأن أُريت مُتعدٍّ إلى ثلاثةٍ، وإن كان من: «رأيتُك قائماً»، فالمعنى: تُظَنُّ الناسُ سُكارى، أقيم (النَّاسُ) مُقام الفاعل، ونُصبَ (سُكَارَى) على المفعولية؛ لأن (رأيتُ) متعدٍّ إلى اثنين.

(١) قوله: «وتأنيثه»؛ أي: (تُرَى النَّاسُ) في قراءة الرفع، «وإفراده»؛ أي: في (تُرى النَّاسُ) (بعد جمعه)؛ أي: في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٠٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٧٧) عن الكلبي.

(٤) رملة مرداء: لا نبت فيها. وغصن أمرد: لا ورق عليه. وفرس أمرد: لا شعر على ثنته. وغلام أمرد بين المرد. انظر: «الصحاح» (مادة: مرد).

(٤) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: على الشَّيطانِ ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعَهُ، والضَّميرُ للشَّأنِ[١].

﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ خبرٌ لـ﴿مَن﴾ أو جوابٌ له، والمعنى: كُتبَ عليه إضلالُ مَن تَولَّاهُ لأنَّه جُبِلَ عليه.

وقُرِئَ بالفَتحِ على تقديرِ: فشَأنُه أَنْ يُضِلَّهُ، لا على العطفِ، فإنَّه يكونُ بعدَ تمامِ الكَلامِ.

وقُرِئَ بالكسرِ في الموضعَيْنِ[٢] على حكايةِ المكتوبِ، أو إضمارِ القَوْلِ، أو تضمينِ الكَتْبِ معناه.

﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ بالحملِ على ما يؤدِّي إليه.

(٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: مِن إمكانِه وكونِه مَقدورًا. وقُرِئَ: (مِن البَعَثِ) بالتَّحريكِ كالجَلَبِ[٣].

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾؛ أي: فانظرُوا في بدءِ خَلقِكُم فإنَّه يزيحُ رَيْبَكُم، فإنَّا خَلَقْناكُم ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ إذ خُلقَ آدمُ منه، أو الأغذيةِ[٤] التي يتكوَّنُ منها المنيُّ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «للشيطان».

(٢) بالفتح قراءة الجمهور، وبالكسر رويت عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٠).

(٣) نسبت للحسن. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧)، و«شواذ القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«الكشاف» (٥/ ٥٢٦)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١١). وجاء في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦) عن الحسن: «يوم البعث بفتح الميم»، ولعلها مصحفة، والصواب: «من البعث بفتح العين».

(٤) قوله: «أو الأغذية» قال الأنصاري: عطف على ضمير «منه»، والتقدير: بخلق آدمَ من الترابِ، وبخلقِ ذريَّتِه من الأغذية. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٠٧).

وجعله ابن التمجيد والقونوي في «حاشيتيهما» (١٣/ ١٢) معطوفاً على «آدم»، قال ابن التمجيد: =

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: منيٍّ، مِن النَّطْفِ وهو الصَّبُّ.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: قطعةٍ مِن الدَّمِ جامدةٍ.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: قطعةٍ مِن اللَّحمِ، وهي في الأصلِ[1] قَدْرَ ما يُمضَغُ.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: مُسَوَّاةٍ لا نقصَ فيها ولا عيبَ، وغيرِ مُسوَّاةٍ، أو: تامَّةٍ وساقطَةٍ، أو: مصوَّرةٍ وغيرِ مُصوَّرةٍ.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التَّدريجِ قُدرَتَنا وحِكمتَنَا، وأنَّ ما قَبِلَ التَّغيُّرَ والفَسادَ والتَّكوُّنَ مرَّةً قَبلَها أخرى، وأنَّ مَنْ قَدَرَ على تَغييرِهِ وتَصويرِهِ أوَّلًا قَدَرَ على ذلكَ ثانيًا.

وحُذِفَ المفعولُ إيماءً إلى أنَّ أفعالَهُ هذه يتبيَّنُ بها من قُدرتِهِ وحكمَتِهِ ما لا يحيطُ به الذِّكرُ.

﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أن نُقِرَّهُ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقتُ الوَضعِ، وأدناهُ بعدَ سِتَّةِ أَشهُرٍ، وأقصاهُ آخرُ أربعِ سِنينَ.

وقُرِئَ: (ونُقِرَّ) بالنَّصبِ[2]، وكذا قولُه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[3] عطفًا على (نبيِّنَ)

= «الأغذية» عطف على «آدم» فمعناه: أو خلق منه الأغذية التي يتكون منها المني الذي خلق منه الإنسان غير آدم.

(١) «وهي في الأصل» من نسخة التفتازاني والطبلاوي.

(٢) رواية المفضل عن عاصم، وهي خلاف المشهور عنه. انظر: «الوقف والابتداء» لابن الأنباري (٢/ ٧٨٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦١)، و«جامع البيان في القراءات» (٣/ ١٣٧٦)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٣). ونقل النحاس عن أبي إسحاق أنه بالرفع لا غير؛ لأنه كما قال: ليس المعنى: فعلنا ذلك لنقرّ في الأرحام ما نشاء؛ لأن الله جل وعز لم يخلق الأنام ليقرّ في الأرحام ما يشاء، وإنّما خلقهم ليدلّهم على الرشد والصلاح.

(٣) أي قرئ (ثمّ نخرجَكم) بالنصب، وهي شاذة. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٣)، عن المفضل عن عاصم.

كأنَّ خلقَهُم مدرَّجًا لغَرَضينِ: تبيينِ القُدرَةِ، وتقريرِهِم في الأرحامِ حتَّى يولَدُوا ويُنشَؤوا ويبلغُوا حدَّ التَّكليفِ.

وقُرِئَا باليَاءِ رفعًا ونصبًا، و(يَقِرُّ) بالياءِ و(نَقُرُّ)[1] مِن قَرَرْتُ الماءَ: إذا صَبَبْتَه.

و﴿طِفۡلٗا﴾ حالٌ أُجرِيَت على تأويلِ كلِّ واحدٍ، أو الدلالةِ على الجنسِ، أو لأنَّهُ في الأصلِ مصدرٌ.

﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾: كمالَكُم في القوَّةِ والعقلِ، جمع شِدَّةٍ كالأَنْعُمِ جمعُ نِعمَةٍ، كأنَّها شِدَّةٌ في الأمورِ.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عندَ بُلوغِ الأَشُدِّ أو قبلَه. وقُرِئَ: (يَتوَفَّى)[2] أي: يَتوفَّاهُ اللهُ.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾: الهرمِ والخرفِ. وقُرِئَ بسكونِ الميمِ[3].

﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾: ليعودَ كهَيئتِه الأُولى في أوانِ الطُّفوليَّةِ مِن سَخافةِ العقلِ وقِلَّةِ الفهمِ، فيَنْسَى ما عَلِمَه وينكرُ ما عرفَهُ.

والآيةُ استدلالٌ ثانٍ على إمكانِ البَعثِ بما يَعتَرِي الإنسانَ في أَسنانِه مِن الأمورِ المختلفةِ والأحوالِ المتضادَّةِ، فإنَّ مَن قَدَرَ على ذلك قَدَرَ على نَظائرِه.

---

(١) قرأ: (ويُقِرَّ) أبو حاتم، (ويُقِرُّ) ابن أبي عبلة، و(يُقَرَّ) ابن مسعود وأبو رجاء، و(نَقُرُّ) يعقوب في رواية. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٣)، و«الكشاف» (٥/ ٥٢٧)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٠٧)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٣)، و«الدر المصون» (١٠/ ٣٥٥).

(٢) حكاه أبو حاتم عن بعضهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٨٠)، وقال: ومعناه يستوفي أجله.

(٣) نسبت لأبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و«الكشاف» (٥/ ٥٢٩)، ولنافع في غير المشهور عنه. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٥).

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾: ميتةً يابسَةً، من هَمَدَتِ النَّارُ: إذا صارَتْ رَمادًا.

﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾: تحرَّكَت بالنَّباتِ ﴿وَرَبَتۡ﴾: وانتفَخَتْ.

وقُرِئَ: ﴿وَرَبَأَتْ﴾[1]؛ أي: ارتفعَتْ.

﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾: مِن كلِّ صنفٍ ﴿بَهِيجٖ﴾: حَسَنٍ رائقٍ[2]، وهذه دلالةٌ ثالثةٌ كرَّرَها الله تعالى في كتابِه لظُهورِهَا وكونِها مُشاهدَةً.

(٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذكرَ مِن خلقِ الإنسانِ في أطوارٍ مُختَلِفَةٍ، وتحويلِه على أحوالٍ مُتضادَّةٍ، وإحياءِ الأرضِ بعدَ مَوْتِها، وهو مُبتدأٌ خبرُه:

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: بسببِ أنَّه الثَّابتُ في نفسِه الذي به تتحقَّقُ[3] الأشياءُ.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وإلَّا لَمَا أحيَا النُّطفةَ والأرضَ الميتةَ.

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لأنَّ قُدرتَهُ لذاتِه[4] الذي نسبتُه إلى الكلِّ على سَواءٍ، فلمَّا دَلَّتِ المشاهدةُ على قُدرَتِه على إحياءِ بعضِ الأمواتِ لزمَ اقتدارُهُ على إحياءِ كلِّها.

(٧) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ فإنَّ التَّغيُّرَ من مُقدِّماتِ الانصرامِ وطَلائِعِه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ بمُقتضَى وَعدِهِ الذي لا يقبلُ الخُلْفَ.

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ تكريرٌ للتَّأكيدِ، ولِمَا نِيطَ به مِن الدَّلالةِ بقولِه: ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ على أنَّه لا سندَ لَهُ مِن استدلالٍ أو وَحْيٍ،

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٥).

(٢) في نسخة التفتازاني: «أنيق».

(٣) في نسخة التفتازاني: «تحقيق».

(٤) قوله: (لأنَّ قدرته لذاته) يعني أنها صفة ذاتية ثابتة بمقتضى الذات، وجميع الممكنات لتجانسها بالذات بالإمكان مستوية لديه. «حاشية الشهاب».

أو الأوَّلُ فـي المقلِّديـنَ وهـذا في المقلَّدينَ، والمـرادُ بالعلمِ: العِلمُ الفِطـريُّ؛ ليَصِحَّ عَطـفُ الهُدى والكِتـابِ عليه.

(٩) ـ ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾: مُتكبِّرًا، وثَنْيُ العِطْفِ كِنايةٌ عَن التَّكبُّرِ؛ كلَيِّ الجِيدِ، أو: مُعْرِضًا عن الحقِّ استخفافًا به. وقُرِئَ بفَتحِ العينِ[١]، أي: مانعَ تعطُّفِه.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ عِلَّةٌ للجِدالِ.

وقـرأ ابـنُ كثيـرٍ وأبو عمـرٍو ورُوَيسٌ بفتـحِ الياءِ[٢] علـى أنَّ إعراضَه عـن الهُدى المتمكِّـنِ مِنـه بالإقبـالِ على الجـدالِ الباطلِ خـروجٌ مِن الهُـدَى إلى الضـلالِ، وأنَّه مِن حيـثُ هو مـؤدَّاه كالغَـرضِ له.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ وهو ما أصابَهُ يومَ بَدرٍ ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾: المحرِقُ، وهو النَّارُ.

(١٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ على الالتفاتِ، أو إرادةِ القولِ؛ أي: يقالُ له يومَ القيامةِ: ذلكَ الخزيُ والتَّعذيبُ بسببِ ما اقترفْتَهُ من الكفرِ والمعاصِي.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ وإنَّما هو مُجازٍ لهم على أعمالِهِم، والمبالغةُ لكثرةِ العَبيدِ.

(١١) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾: على طرفٍ مِن الدِّينِ لا ثباتَ لَهُ فيه، كالذي يكونُ على طرفِ الجيشِ فإنْ أحسَّ بظَفَرٍ قرَّ وإلَّا فرَّ.

﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ رُوِيَ أنَّها نزلَتْ فـي أعاريبَ قَدِمُوا إلى المدينةِ، فكان أحدُهُم إذا صحَّ بدنُه ونتجَتْ فرسُهُ مُهْرًا سَرِيًّا

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤)، و«النشر» (٢/ ٢٩٩).

وولدَت امرأَتُه غلامًا سَوِيًّا وكَثُرَ مالُه وماشيتُهُ قال: ما أصبْتُ منذُ دخلْتُ في ديني هذا إلا خيرًا، واطمأنَّ، وإن كان الأمرُ بخلافِه قال: ما أصبْتُ إلا شرًّا، وانقلبَ[1].

وعن أبي سعيدٍ: أنَّ يَهودِيًّا أسلمَ فأصابَتْه مصائبُ، فتَشاءَمَ بالإسلامِ فأتى النَّبِيَّ ﷺ فقال: أَقِلْنِي، فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقالُ» فنزَلَتْ[2].

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ﴾ بذهابِ عِصمَتِه وحبوطِ عَمَلِه بالارتدادِ.

وقُرِئَ: (خاسِرَ) بالنَّصبِ[3] على الحالِ، والرَّفعِ على الفاعليَّةِ[4] ووَضْعِ الظَّاهرِ مَوضِعَ الضَّميرِ تَنصيصًا على خُسرانِه، أو على أنه خبرُ مَحذوفٍ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ إذ لا خُسرانَ مِثلَه.

(١٢) - ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: يعبدُ جَمادًا لا يَضرُّ بنَفسِه ولا يَنفَعُ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عَن المقصدِ، مُستعارٌ مِنْ ضَلالِ مَنْ أبعدَ في التِّيهِ ضَلالًا.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٧٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة.

(٢) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧) لكن بغير إسناد. وأخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن أبي سعيد بنحوه، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١١٢): وإسناده ضعيف. وأخرج العقيلي نحوه في «الضعفاء» (٣/ ٣٦٨) من رواية عنبسة بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر ولم يذكر فيه نزول الآية. قال الحافظ: وعنبسة ضعيف جدًّا.

(٣) رواه الإمام أحمد في «العلل» (١/ ٣٩٨) عن حميد الأعرج عن مجاهد أنه قرأ بها. وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٧)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦ ـ ٩٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٧٥).
وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٦) رواية عن يعقوب.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٣٣)، وأبو حيان في «البحر» (١٥/ ٣٢٠) دون نسبة.

(١٣) ـ ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ بكونِه مَعبودًا؛ لأنَّه يوجبُ القتلَ في الدُّنيا والعذابَ في الآخرةِ.

﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ الذي يَتَوقَّعُ بعبادَتِه، وهو الشَّفاعةُ والتَّوسُّلُ بها إلى اللهِ تعالى.

واللامُ مُعَلِّقةٌ لـ﴿يدعو﴾ مِن حيثُ إنه بمَعنى: يزعُمُ، والزَّعمُ قولٌ مع اعتقادٍ، أو داخلةٌ على الجملةِ الواقعةِ مَقولًا إجراءً له مُجرى (يقول)؛ أي: يقولُ الكافرُ ذلكَ بدُعاءٍ وصُراخٍ حين يرى استضرارَهُ به، أو مُستأنفةٌ على أنَّ (يدعو) تكريرٌ للأوَّلِ، و(مَن) مبتدأٌ خبرُه:

﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: النَّاصرُ ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصَّاحِبُ.

(١٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن إثابةِ المُوحِّدِ الصَّالحِ وعقابِ المشركِ، لا دافعَ له ولا مانعَ.

(١٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ كلامٌ فيه اختصارٌ، والمعنى: أنَّ اللهَ ناصرٌ رسولَهُ في الدُّنيا والآخرةِ، فمَنْ كانَ يَظُنُّ خلافَ ذلكَ ويَتوقَّعُه مِنْ غَيظِهِ، وقيل: المرادُ بالنَّصرِ الرِّزقُ، والضَّميرُ لـ﴿مَن﴾.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: فلْيَستَقْصِ في إزالَةِ غيظِه أو جَزَعِه بأَنْ يفعلَ كُلَّ ما يفعلُهُ المُمتَلِئُ غَضَبًا، أو المبالِغُ جَزَعًا، حتى يمدَّ حبلًا إلى سماءِ بيتِه فيَختنقَ، مِنْ قَطَعَ: إذا اختنقَ، فإنَّ المختنِقَ يقطعُ نَفَسَهُ بحبسِ مجاريهِ.

أو: فليَمدُدْ حَبْلًا إلى سماءِ الدُّنيا، ثمَّ ليَقْطعْ بهِ المسافةَ حتى يبلغَ عَنانَهُ فيجتهدَ في دفعِ نَصرِهِ أو تحصيلِ رزقِه.

وقرأ ورشٌ وأبو عَمرو وابنُ عامر: ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام[1].

﴿فَلْيَنظُرْ﴾: فليُصوِّر في نفسِه ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾: فعلُه ذلكَ، وسمَّاه على الأوَّلِ كيدًا لأنَّه مُنتهَى ما يقدرُ عليه ﴿مَا يَغِيظُ﴾: غيظَه، أو الذي يغيظُه من نصرِ اللهِ.

وقيل: نزلَتْ في قومٍ مُسلمينَ استَبطَؤوا نصرَ اللهَ لاستِعجالِهم وشِدَّةِ غيظِهِم على المُشركينَ[2].

(١٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلكَ الإنزالِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أنزلْنا القُرآنَ كُلَّه ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتٍ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾: ولأنَّ الله يهدي بِهِ، أو: يثبِّتُ على الهُدَى ﴿مَن يُرِيدُ﴾ هِدايتَهُ، أو ثباتَهُ، أنزلَه كذلكَ مبيَّنًا.

(١٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالحكومَةِ بينَهُم، وإظهارِ المحقِّ منهم عن المُبطلِ، أو: الجَزاءِ فيُجازِي كُلًّا ما يليقُ به، ويُدخلُه المحلَّ المُعدَّ له، وإنَّما دخلَتْ ﴿إِنَّ﴾ على كلِّ واحدٍ مِن طَرَفي الجملةِ لِمَزيدِ التَّأكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به مُراقِبٌ لأَحوالِه.

(١٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَتسخَّرُ لقُدرَتِه ولا يتأتَّى عَن تَدبيرِهِ، أو يدلُّ بذلِّه على عظمَةِ مُدبِّرِهِ، و(مَن) يجوزُ أن يَعُمَّ أولي العقلِ وغيرَهُم على التَّغليبِ، فيكونُ قولُه: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ إفرادًا لها بالذِّكرِ لشُهرَتِها واستبعادِ ذلكَ منها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٧ و٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢١١)، وعنه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٠).

وقُرِئَ: (والدَّوابُ) بالتَّخفيفِ[1] كراهةَ التَّضعيفِ، أو الجمعِ بين السَّاكِنَينِ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عطفٌ عليها إن جُوِّزَ إعمالُ اللَّفظِ الواحدِ في كلِّ واحدٍ مِن مَفهومَيْهِ، وإسنادُه باعتبارِ أحدِهما إلى أمرٍ وباعتبارِ الآخرِ إلى آخرَ، فإنَّ تخصيصَ الكثيرِ يدلُّ على خُصوصِ المعنى المسنَدِ إليهِمْ.

أو مُبتدأٌ خبرُهُ مَحذوفٌ دلَّ عليه خبرُ قَسِيمِهِ، نحو: حقَّ لهُ الثَّوابُ.

أو فاعلُ فعلٍ مُضمَرٍ، أي: ويسجُدُ له كثيرٌ من النَّاسِ سجودَ طاعةٍ.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بكُفرِهِ وإبائِه عن الطَّاعةِ.

ويجوزُ أن يُجْعَلَ ﴿وَكَثِيرٌ﴾ تكريرًا للأوَّلِ مبالغةً في تكثيرِ المَحقوقينَ بالعذابِ، وأن يعطفَ به على السَّاجدينَ بالمعنى العامِّ موصوفًا بما بعدَه.

وقُرِئَ: (حُقَّ) بالضمِّ[2]، و: (حَقًّا) بإضمارِ فعلِه[3].

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشَّقاوةِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يُكرِمُهُ بالسَّعادةِ، وقُرِئَ بالفَتحِ بمعنى الإكرامِ[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن الإكرامِ والإهانَةِ.

(١٩) ـ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾؛ أي: فوجانِ مُختَصِمانِ، ولذلك قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا﴾ حملًا على المَعنى، ولو عكسَ جازَ، والمرادُ بهما: المؤمنونَ والكافِرونَ.

﴿فِى رَبِّهِمْ﴾: في دينِه، أو في ذاتِه وصِفاتِه.

---

(١) نسبت للزهري. انظر: «المحتسب» (٢/ ٧٢)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ٥٣٨)، و«البحر» (١٥/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن ابن جبير، و«الكشاف» (٥/ ٥٣٨)، و«البحر» (١٥/ ٣٣٠) دون نسبة. وذكر ابن خالويه أيضًا: (وكثير حقٌّ) بالتنوين والرفع عن جناح بن حبيش.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن أبي معاذ.

وقيل: تخاصَمَت اليَهودُ والمُؤمنونَ فقالت[١] اليَهودُ: نحنُ أحقُّ باللهِ وأقدَمُ مِنكُم كتابًا، ونَبِيُّنا قبلَ نَبيِّكُم، وقالَ المؤمنونَ: نحنُ أحَقُّ باللهِ آمنَّا بمُحمَّدٍ وبنبيِّكُم وبما أنزلَ اللهُ مِن كتابٍ، وأنتُم تَعرِفُونَ كتابنَا ونبيَّنَا، ثمَّ كَفَرْتُم بهِ حسَدًا، فنزلَتْ[٢].

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فصلٌ لخصومَتِهم، وهو المعنيُّ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧] ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ﴾: قُدِّرَتْ على مَقاديرِ جُثَثِهم. وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[٣].

﴿ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾: نيرانٌ تحيطُ بهم إحاطةَ الثِّيابِ ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿لَهُمۡ﴾ أو خبرٌ ثانٍ، والحميمُ: الماءُ الحارُّ.

(٢٠) - ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾؛ أي: يؤثِّرُ مِن فَرْطِ حَرارَتِه في باطِنِهم تأثيرَهُ في ظاهرِهم، فيذابُ به أحشاؤُهم كما يُذابُ به جلودُهُم، والجملَةُ حالٌ مِن ﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾ أو ضَميرِهم.

وقُرِئَ بالتَّشديدِ للتَّكثيرِ[٤].

(٢١) - ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾: سياطٌ مِنه يجلدونَ بها، جمعُ مِقْمَعَةٍ، وحقيقتُها: ما يُقمَعُ به؛ أي: يُكَفُّ بعُنفٍ.

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «فقال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس بإسناد ضعيف. وروى البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣) عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر، يقسم قسمًا: إن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة، ابني ربيعة، والوليد بن عتبة.

(٣) انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦٠٣) عن الزعفراني.

(٤) أي: (يصهَّرُ) بتشديد الهاء. نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

(٢٢) - ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾: مِن النَّارِ ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ مِن غُمومِها، بدلٌ من الهاءِ بإعادةِ الجَارِّ ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾؛ أي: فخرَجُوا أُعِيدُوا؛ لأنَّ الإعادةَ لا تكونُ إلا بعدَ الخُروجِ.

وقيل: يَضرِبُهُم لَهيبُ النَّارِ فيَرمِيهِم[1] إلى أعلاها فيُضرَبُونَ بالمقامعِ فيَهوُونَ فيها[2].

﴿وَذُوقُواْ﴾؛ أي: وقيلَ لهم: ذُوقُوا ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾: النَّارِ البالغةِ في الإحراقِ.

(٢٣) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ غيَّرَ الأسلوبَ فيه، وأسندَ الإدخالَ إلى اللهِ تعالى، وأكَّدَه بـ﴿إِنَّ﴾؛ إحمادًا لحالِ المؤمنينَ وتعظيمًا لشَأنِهم.

﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ مِن حُلِّيَتِ المَرأةُ: إذا لَبِسَتِ الحليَ. وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[3]، والمَعنى واحدٌ.

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ صفةُ مَفعولٍ مَحذوفٍ، و﴿أَسَاوِرَ﴾ جمعُ أَسْوِرَةٍ، وهي جمعُ سِوَارٍ ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ بيانٌ له ﴿ولؤلؤٍ﴾ عطفٌ عليها، لا على ﴿ذَهَبٖ﴾؛ لأنَّه لم يُعهَد السِّوارُ مِنهُ، إلا أن يرادَ المُرصَّعةُ به.

ونصبَهُ نافعٌ وعاصِمٌ عطفًا على محلِّها، أو إضمارًا لناصبٍ مثلَ: ويؤتَونَ.

وروى حفصٌ بهمزتينِ، وترك أبو بكرٍ والسوسيُّ عن أبي عمرو الهمزةَ

---

(١) وفي نسخة الفاروقي: «فترفعهم»، وفي نسخة التفتازاني: «فيدفعهم».

(٢) رواه نعيم في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٩) من طريق رجل عن الحسن. وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٨) من قول أبي ظبيان.

(٣) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، و«المحتسب» (٢/ ٧٧).

الأولـى(١)، وقُـرِئَ: (لُؤْلُـوًا) فقُلِبَـت الثَّانيـةُ واوًا(٢)، و: (لُولِيًّـا) بقلبِهِمـا واويـنِ ثمَّ قُلِبَـت الثَّانيَـةُ يـاءً(٣)، و(لِيلِيًّـا) بقلبِهِمَا ياءَيـنِ(٤) و(لـولٍ) كأدلٍ(٥).

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غيَّرَ أسلوبَ الكلامِ فيه للدَّلالةِ على أنَّ الحريرَ ثيابُهم المعتادةُ، أو للمحافظةِ على هيئةِ الفَواصِلِ.

(٢٤) ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو قولُهُم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، أو: كلمةُ التَّوحيدِ.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: المحمودِ نفسُه أو عاقبَتُه، وهو الجنَّةُ أو الحقُّ، أو: المستحِقِّ لذاتِه الحمدَ(٦)، وهو اللهُ تَعالى، وصراطُه الإسلامُ.

---

(١) نافع وعاصم: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب والباقون بالخفض، وترك أبو بكر وأبو عمرو إذا خفَّف الهمزة الأولى، وحمزة إذا وقف سهَّل الهمزتين على أصله، وهشام يسهل الثانية في غير النصب على أصله، والباقون يحققونهما. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) هي رواية المعلى بن منصور عن أبي بكر عن عاصم كما في «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، وقال ابن مجاهد: وهذا غلط.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن الفياض.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، و«الكشاف» (٥/ ٥٤٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) نسبت لطلحة في «البحر» (١٥/ ٣٣٦)، ودون نسبة في «الكشاف» (٥/ ٥٤٢)، ووقع في مطبوع «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن طلحة: (ولوليَ).

(٦) قوله: «وهو الجنة» ناظر إلى «المحمود نفسه»، وقوله: «أو الحق» ـ وهو الإسلام ـ ناظرٌ إلى «المحمود عاقبته»، ففي الكلام لفٌّ ونشر مرتب، كأنه قيل: وهدوا إلى صراط الجنة المحمودة نفسها، أو إلى صراط الحق المحمود عاقبته، أو إلى صراط الله تعالى المستحِق لذاته الحمد. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٠٠)، و«حاشية القونوي» (١٣/ ٤٠).

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يريدُ بهِ حالًا ولا استقبالًا، وإنَّما يريدُ استمرارَ الصَّدِّ مِنْهُم[١] كقولِهِم: فلانٌ يُعطِي ويمنَعُ، ولذلك حَسُن عطفُه على الماضي.

وقيل: هو حالٌ مِن فاعلِ ﴿كَفَرُوا۟﴾.

وخبرُ ﴿إِنَّ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه آخِرُ الآيةِ؛ أي: مُعذَّبُون.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطفٌ على اسمِ اللهِ، وأوَّلَه الحنفيَّةُ بمكَّةَ، واستشهَدُوا بقولِه: ﴿الذي جَعَلْناه للناسِ سَواءٌ العاكفُ فيهِ والبادِ﴾؛ أي: المقيمُ والطَّارئُ، على عدمِ جوازِ بيعِ دُورِها وإجارتِها، وهو مَع ضعفِه مُعارَضٌ بقولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠]، وشراءِ عُمرَ دارَ السجنِ فيها مِن غيرِ نكيرٍ[٢].

و﴿سواءٌ﴾ خبرٌ مُقدَّمٌ، والجملةُ مَفعولٌ ثانٍ لـ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ إنْ جُعِل ﴿لِلنَّاسِ﴾ حالاً[٣] من الهاء، وإلَّا فحالٌ مِن المستكِنِّ فيه، ونصَبَهُ حفصٌ[٤] على أنَّه المفعولُ أو الحالُ، و﴿ٱلْعَـٰكِفُ﴾ مرتفعٌ به.

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «استمرار الصدود»، وفي نسخة الفاروقي والتفتازاني: «استمرار الصد». والصد والصدود كلاهما مصدر: صدَّ، لكن الأول متعد والثاني لازم. ولعل المراد هنا المتعدي كما أثبتناه؛ لتمثيله بالإعطاء والمنع وكلاهما متعدٍّ.

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٢٤٢٣)، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٢١٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٢٠١) عن ابن جريج، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١١١٨٠) عن عبد الرحمن بن فروخ.

(٣) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «والجملة مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ ويكونُ ﴿لِلنَّاسِ﴾ حالاً».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

وقُرِئَ: (العاكفِ) بالجرِّ[1] على أنَّه بدلٌ مِن (النَّاس).

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ ممَّا تُرِكَ مفعولُه ليتناولَ كلَّ مُتناوَلٍ.

وقُرِئَ بالفَتحِ مِن الورودِ[2].

﴿بِإِلْحَادٍ﴾: عُدُولٌ عن القَصْدِ ﴿بِظُلْمٍ﴾: بغيرِ حَقٍّ، وهما حَالانِ مُترادِفانِ، أو الثَّاني بدلٌ مِن الأوَّلِ بإعادةِ الجارِّ، أو صِلَةٌ لَه؛ أي: مُلحدًا بسببِ الظُّلمِ؛ كالإشراكِ واقترافِ الآثامِ.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جوابٌ لِـ(مَن).

(٢٦) ـ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾؛ أي: واذكُر إذ عينَّاه وجعلْناهُ لـه مَباءةً.

وقيل: اللامُ زائدةٌ و﴿مَكَانَ﴾ ظرفٌ؛ أي: وإذ أَنزَلْنَا فيه.

قيل: رُفِعَ البيتَ إلى السَّماءِ أو انطمسَ أيَّامَ الطُّوفانِ، فأعلَمَ اللهُ مكانَهُ بريحٍ أرسلَها فكنسَتْ ما حولَهُ، فبناهُ على أُسِّه[3] القَديمِ[4].

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: ﴿أَن﴾ مُفسِّرَةٌ لـ﴿بَوَّأْنَا﴾ مِن حَيثُ إنَّه تَضمَّنَ مَعنى: تَعبَّدنا؛ لأنَّ التَّبوِئَةَ مِن أجلِ

---

(١) انظر: «الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (٢/ ٧٨٣) عن بعض القراء. ونسبت للأعمش. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٢) حكاها الكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، ونسبت لطاوس في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٣) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «بنائه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٢) عن السدي. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٢).

العبادةِ، أو مَصدريَّةٌ مَوصولةٌ بالنَّهيِ؛ أي: فعَلْنَا ذلك لئلَّا تُشرِكَ بعِبادَتِي وتُطهِّرَ بيتي مِن الأَوثانِ والأقذارِ لِمَن يَطوفُ بِهِ ويُصلِّي فيه.

ولعلَّه عبَّرَ عَن الصَّلاةِ بأركانِها للدَّلالةِ على أنَّ كُلَّ واحدٍ مِنْهَا مُستقلٌّ باقتضاءِ ذلك، كيفَ وقد اجتمعَتْ.

وقُرِئَ: (يُشْرِك) بالياءِ[١].

(٢٧) ـ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾: نادِ فيهم، وقُرِئَ: (وآذِنْ)[٢] ﴿بِٱلْحَجِّ﴾: بدعوةِ الحجِّ والأمرِ بــه.

رُوِيَ: أنَّه صَعِدَ أبا قُبيسٍ[٣] فقال: يا أيُّها النَّاسُ! حُجُّوا بيتَ رَبِّكُم، فأسمعَهُ اللهُ مَن في أصلابِ الرِّجالِ وأرحامِ النِّساءِ فيما بينَ المشرقِ والمغربِ ممَّنْ سبقَ في علمِه أنْ يَحُجَّ[٤].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن أبي نهيك وعكرمة.

(٢) نسبت لابن محيصن. انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٢٧)، و«الكشاف» (٥/ ٥٤٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١١٧)، و«البحر» (١٥/ ٣٤٣).

(٣) أبو قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٨٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٤) وصححه، من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٢٦) وصححه، من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٩) عن علي رضي الله عنه.
وليس فيها «صعد أبا قبيس»، وجاءت تسمية جبل أبي قبيس فيما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: الخِطابُ لرَسولِ اللهِ ﷺ أُمر بذلك في حجةِ الوداعِ[1].

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاةً، جمعُ راجلٍ كقائمٍ وقِيَامٍ.

وقُرِئَ بضمِّ الرَّاءِ مُخفَّفَ الجيمِ ومُثقَّلَه[2]، و: (رُجَالَى) كعُجَالَى[3].

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي: وركبانًا على كلِّ بعيرٍ مَهزولٍ أتعبَهُ بُعْدُ السَّفرِ فهَزَلَه.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفةٌ لـ﴿ضَامِرٍ﴾ محمولةٌ على معناهُ، وقُرِئَ: (يأتونَ)[4] صفةً للرِّجالِ والرُّكبانِ، أو استئنافٌ فيكونُ الضَّميرُ لـ﴿النَّاسِ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣٥٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٧٩)، عن الحسن، وقد أشاروا إلى تفرد الحسن بهذا القول المخالف لظاهر الآيات، لكن ذكره النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن مقاتل.

وقال محمد علي السايس في «تفسير آيات الأحكام» (ص: ٤٩٥) في تعقب هذا القول: ولكنك ترى أنّ في الآية الأولى أوامر ونواهيَ كلها متوجهة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنّ الأمر بالتأذين أيضاً لإبراهيم، إذ الغرض من تطهير البيت إعدادُه للطائفين والقائمين والركع السجود، فيكون دعاؤه الناس بعد ذلك للحج متناسباً غاية التناسب مع إعداد البيت وتطهيره.

قال: وبعض العلماء ردّ احتمال توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ بأن سورة الحج مكية، فنزولها قبل حجة الوداع بالضرورة، فلا يستقيم أن يكون المأمور بالدعاء هو النبي ﷺ.

(٢) بتخفيف الجيم نسبها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٧٩) لعكرمة وابن أبي إسحاق وأبي مجلز والحسن والزهري. وبتشديد الجيم نسبها ابن جني لابن عباس وعكرمة وأبي مجلز والحسن ومجاهد وجعفر بن محمد، واقتصر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) على عكرمة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن ابن عباس وعطاء وابن جبير، و«المحتسب» (٢/ ٧٩) عن عكرمة.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾: طريقٍ ﴿عَمِيقٍ﴾: بعيدٍ، وقُرِئَ: (مَعِيق)[١]؛ يقال: بئرٌ بعيدةُ العَمْقِ والمَعْقِ بمَعنًى.

(٢٨) ـ ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾: ليَحْضُرُوا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ دينيَّةً ودُنيويَّةً، وتنكيرُها لأنَّ المُرادَ بها نوعٌ مِن المنافعِ مَخصوصٌ بهذهِ العِبادَةِ.

﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ عندَ إعدادِ الهدايا والضَّحايا وذبحِها.

وقيل: كنَى بالذِّكْرِ عن النَّحرِ؛ لأنَّ ذبحَ المسلمينَ لا ينفكُّ عنه؛ تنبيهًا على أنَّه المقصودُ ممَّا يُتقرَّبُ بهِ إلى اللهِ تعالى.

﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ هي عشرُ ذي الحجَّةِ، وقيل: أيَّامُ النَّحرِ.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ علَّقَ الفِعلَ بالمرزوقِ وبيَّنَهُ بالبهيمةِ؛ تحريضًا على التَّقرُّبِ، وتنبيهًا على مُقتضى الذِّكرِ.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾: مِن لُحومِها، أَمَر[٢] بذلك إباحةً وإزاحةً لِمَا عليه أهلُ الجاهليَّةِ مِن التَّحرُّجِ فيه، أو ندبًا إلى مُواساةِ الفُقَراءِ ومُساواتهم[٣]، وهذا في المتطوَّعِ به دونَ الواجبِ[٤].

﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ﴾: الذي أصابَهُ بؤسٌ؛ أي: شِدَّةٌ ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾: المحتاجَ.

والأمرُ فيه للوجوبِ، وقد قيلَ بهِ في الأوَّلِ.

---

(١) انظر: «البحر» (١٥/ ٣٤٣). ونقل الأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ١٩١) عن الفراء قوله: لغة أهل الحجاز عميق، وبنو تميم يقولون: معيق.

(٢) في نسخة الفاروقي: «والأمر».

(٣) في نسخة الطبلاوي: «ومواساتهم».

(٤) جاء على هامش نسخة الفاروقي: «ومن ثم استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث. كشاف».

(٢٩) ـ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: ثمَّ ليُزِيلوا وَسَخَهُم بقصِّ الشَّاربِ والأظفارِ ونتفِ الإبطِ والاستحدادِ عندَ الإحلالِ.

﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾: ما ينذرونَ مِن البِرِّ في حَجِّهِم، وقيل: مَواجبَ الحجِّ.

وقرأ أبو بكرٍ بفتحِ الواو وتشديدِ الفاء[1].

﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طوافَ الرُّكنِ الذي به تمامُ التَّحليلِ[2]، فإنَّه قرينةُ قضاءِ التَّفَثِ.

وقيل: طوافَ الوداعِ.

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: القديمِ؛ لأنَّه أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ، أو المعتَقُ مِن تَسلُّطِ الجَبَابِرَةِ[3]، فكَمْ مِن جَبَّارٍ سارَ إليه ليهدِمَهُ فمنعَهُ الله، وأمَّا الحَجَّاج فإنما قصدَ إخراجَ ابنِ الزُّبَيرِ منه دونَ التَّسلُّطِ عليه.

(٣٠) ـ ﴿ذَلِكَ﴾ خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: الأمرُ ذلكَ، وهو وأمثالُه يطلَقُ للفصلِ بينَ كلامَينِ.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: أحكامَه وسائرَ ما لا يَحِلُّ هَتكُه، أو: الحرَمَ وما

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦).

(٢) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «التحلل».

(٣) في هامش نسخة الفاروقي: «عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار» هذا حديث حسن غريب، وعن الزهري مرسل ومتصل. من جامع الترمذي». قلت: رواه الترمذي (٣١٧٠) وفي سند المتصل: عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث؛ سيء الحفظ.

وهناك أقوال أخرى في سبب تسمية البيت بالعتيق، فقيل: لأن الله أعتقه من الغرق زمن الطوفان، وقيل: لكرمه، من قول العرب: حسب عتيق: إذا كان كريماً، وكذلك: فرس عتيق. انظر: «الزاهر» (٢/ ١٧٨).

يَتعلَّقُ بالحجِّ مِن التَّكاليفِ، وقيل: الكعبةُ والمسجِدُ الحرامُ والبلدُ الحرامُ والشَّهرُ الحرامُ والمُحرَّمُ.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: فالتَّعظيمُ خيرٌ له ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ثوابًا.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلا المتلوَّ عليكُم تحريمُه، وهو ما حرِّمَ منها لعارضٍ كالميتةِ، وما أُهِلَّ بِهِ لغيرِ اللهِ، فلا تحرِّموا منها غيرَ ما حرَّمَهُ اللهُ كالبَحِيرةِ والسَّائبةِ.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: فاجتَنِبُوا الرِّجسَ الذي هو الأوثانُ كما تُجتنَبُ الأنجاسُ، وهو غايةُ المُبالغةِ في النَّهيِ عَن تَعظيمِها والتَّنفيرِ عَن عبادَتِها.

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ تعميمٌ بعدَ تَخصيصٍ؛ فإنَّ عبادةَ الأوثانِ رأسُ الزُّورِ، كأنَّه لَمَّا حثَّ على تعظيمِ الحُرماتِ أتبعَهُ ذلكَ ردًّا لِمَا كانت الكَفرةُ عليه مِنْ تحريمِ البَحائرِ والسَّوائبِ وتَعظيمِ الأوثانِ، والافتراءِ على اللهِ بأنَّه حكَمَ بذلكَ.

وقيل: شهادةَ الزُّورِ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ قال: «عَدَلَتْ شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ باللهِ» ثلاثًا، وتلا هذه الآيَةَ[1].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢)، من طريق محمد بن عُبيد، عن سفيان بن زياد العُصْفُرِيِّ، عن أبيه، عن حبيب بن النُّعمان الأسدي عن خُريم بنِ فاتكٍ، عن النبي ﷺ. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): إسناده مجهول.

قلت: زيادٌ أبو سفيان العصفري وحبيب بن النعمان مجهولان.

ورواه الترمذي (٢٢٩٩) من طريق مروان بن معاوية الفزاري، عن سفيان العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خُريم مرفوعاً. وقال: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ». قلنا: وفاتِكُ بنُ فضالة مجهول.

وفي الباب ما يغني عنه عن أبي بكرة عند البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، ولفظه: «ألا أنبئكم =

والزُّورُ مِن الزَّوْرِ، وهو الانحرافُ؛ كما أنَّ الإفكَ مِن الأَفْكِ، وهو الصَّرْفُ، فإن الكذبَ مُنحرفٌ مَصروفٌ عن الواقعِ.

(٣١) ـ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: مخلصينَ له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ وهما حالان من الواو.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنَّه سقطَ من أَوْجِ الإيمانِ إلى حضيضِ الكُفْرِ ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ فإنَّ الأهواءَ المُرْدِيَةَ توزِّعُ أفكارَهُ.

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيدٍ؛ فإنَّ الشَّيطانَ قد طوَّحَ به في الضَّلالةِ.

و﴿أَوْ﴾ للتَّخييرِ كما في قَولِه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، أو للتَّنويعِ؛ فإنَّ مِن المشركينَ مَن لا خلاصَ لهُ أَصلًا، ومِنْهُم مَن يمكنُ خلاصُه بالتَّوبةِ ولكنْ على بُعْدٍ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ[١] مِن التَّشبيهاتِ المركَّبَةِ فيكونُ المَعنى: ومَن يُشرِكْ باللهِ فقدْ هَلكَتْ نَفسُهُ هَلاكًا يُشبِهُ أَحَدَ الهَلاكَيْنِ[٢].

وقرأ نافع: ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء[٣].

(٣٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: دينَ اللهِ، أو فرائضَ الحَجِّ ومواضعَ نُسُكِهِ، أو الهدايا؛ لأنَّها مِن مَعالِمِ الحَجِّ، وهو أوفَقُ لظاهرِ ما بعدَهُ، وتعظيمُهَا أن تُختارَ جِساماً سِمانًا غاليةَ الأثمانِ.

رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ أهدى مئةَ بدنةٍ فيها جملٌ لأبي جَهلٍ في أنفهِ بُرَةٌ مِن ذهبٍ[٤].

= بأكبر الكبائر؟ ـ ثلاثاً ـ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور».

وعن أنس بن مالك عند البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

(١) في نسخة الفاروقي: «يكونا».

(٢) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «الهالكين».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٨١)، والبزار في «مسنده» (٦١٧)، من حديث علي =

وأنَّ عُمرَ أهدى نَجيبةً طُلِبَت مِنه بثَلاثِ مئةِ دينارٍ[1].

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: فإنَّ تعظيمَهَا مِـن أَفعالِ ذَوِي تَقوَى القُلوبِ، فحُذِفَت هذه المُضافاتُ والعائدُ إلى ﴿مَن﴾.

وذكَر القلوبَ لأنَّها مَنشأُ التَّقوَى والفُجورِ والآمرةُ بهما.

(٣٣) ـ ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾؛ أي: لَكُم فيها مَنافِعُ: دَرُّها ونَسلُها وصوفُها وظَهرُها إلى أن تُنحَر، ثمَّ وقتَ نَحرِها مُنتهيَةً إلى البيتِ؛ أي: ما يليهِ مِن الحرمِ.

= رضي الله عنه. ولم يسق أحمد لفظه. وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٨٥): ورواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» وقال: «برة من فضَّة».

وكذلك رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» بسند ابن راهويه ومتنه ونقل عن الأصمعي أنه قال: البرة: الحَلْقة تُجعَل فِي أنف البعير.

وله شاهد من حديث ابن عباس رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٢٨)، وأبو داود (١٧٤٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٩٨). وعندهم أيضا: «برة من فضة»، إلا في رواية ثانية للحديث عند أبي داود جاء فيها: «بُرَةٌ مِن ذهب».

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٣٢٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٣٠)، وأبو داود (١٧٥٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٩١١)، من طريق جَهمِ بن الجارود عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: «أهدَى عمَرُ...» الحديث. وإسناده ضعيف؛ جهم بن الجارود قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٣٠): لا يُعرف لجهم سماع من سالم. وقال الذهبي في «الميزان»: فيه جهالة.

وتتمة الخبر: أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أهديت نجيباً فأعطيت بها ثلاث مئة دينار، أفأبيعها وأشتري بثمنها بُدنا، قال: «لا انحرها إياها». قال أبو داود: هذا لأنه كان أشعرها.

النجيبة: تأنيث النجيب، وهو الفاضل من كل حيوان. وجاء في بعض الروايات: «بختية» وهي الأنثى من الجمال البخت، والذكر: بختي، وهي جمال طوال الأعناق. انظر: «النهاية» (مادة: نجب وبخت).

و﴿ثُمَّ﴾ تحتمِلُ التَّراخِيَ في الوقتِ والتَّراخِيَ في الرُّتبةِ؛ أي: لَكُم فيها منافعُ دُنيويَّةٌ إلى وقتِ النَّحرِ، وبعدَهُ مَنافعُ دينيَّةٌ أعظَمُ منها.

وهو على الأوَّلَينِ: إمَّا مُتَّصِلٌ بحديثِ الأنعامِ والضَّميرُ فيه لها.

أو المرادُ على الأوَّلِ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعُ﴾ دينيَّةٌ تنتفِعونَ بها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموتُ ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ منتهيةً ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ الذي تُرفَعُ إليه الأعمالُ، أو يكونُ فيه ثَوابُها، وهو البيتُ المعمورُ أو الجنَّةُ.

وعلى الثَّاني: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعُ﴾: التِّجاراتُ في الأسواقِ إلى وقتِ المراجعَةِ، ثمَّ وقتَ الخروجِ منها منتهيةً إلى الكعبةِ بالإحلالِ بطوافِ الزِّيارَةِ.

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: ولكُلِّ أهلِ دينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ مُتعبَّدًا، أو قُربانًا يتقرَّبونَ بهِ إلى اللهِ تَعالى. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بالكَسرِ[1]؛ أي: مَوضِعَ نُسُكٍ.

﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دونَ غيرِه ويجعَلُوا نسكَهُم[2] لوَجهِهِ، علَّلَ الجعلَ به تنبيهًا على أنَّ المقصودَ مِن المَناسكِ تذكُّرُ المَعبودِ.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ عندَ ذَبحِها، وفيه تَنبيهٌ على أنَّ القُربانَ يجبُ أنْ يكونَ نعَمًا.

﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: أخلِصُوا التَّقرُّبَ أو الذِّكرَ ولا تَشُوبوه بالإشراكِ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: المُتواضِعينَ، أو المُخلِصينَ؛ فإنَّ الإخباتَ صِفَتُهُم.

(٣٥) - ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبةً مِنه لإشراقِ أشعَّةِ جلالِه علَيْها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) في نسخة الفاروقي: «نسيكتهم»، وفي نسخة الطبلاوي: «نسيكهم».

﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ مِن المَصائبِ والكُلَفِ.

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتِها. وقُرِئَ: (والمقيمينَ الصَّلاةَ) على الأصلِ[١].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوهِ الخَيرِ.

(٣٦) - ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جمعُ بَدَنَةٍ، كخُشْبٍ وخَشَبَةٍ، وأصلهُ الضمُّ وقَد قُرِئَ به[٢]، وإنَّما سُمِّيَت بها الإبلُ لعِظَمِ بَدَنِها، مأخوذةٌ مِن بَدُنَ بَدَانَةً، ولا يلزَمُ مِن مُشاركَةِ البَقرِ لها في إجزائِها عَن سبعةٍ بقولِه عليه السَّلامُ: «البَدَنَةُ عَن سبعةٍ والبَقَرَةُ عَن سبعةٍ»[٣] تناولُ اسمِ البَدَنةِ لها شرعًا، بل الحديثُ يمنَعُ ذلكَ[٤].

وانتصابُهُ بفعلٍ يُفَسِّرُه: ﴿جَعَلْنَـٰهَا لَكُم﴾ ومَن رَفعَهُ[٥] جعَلَه مُبتدأً.

﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: مِن أعلامِ دينِه التي شرعَهَا الله.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: مَنافِعُ دِينيَّةٌ ودُنيَوِيَّةٌ.

---

(١) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

(٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

(٣) رواه مسلم (١٣١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة».

(٤) في هامش نسخة الفاروقي: «قوله: (ولا يلزم...) رد لصاحب الكشاف حيث قال: لما جعَل البقرة في حُكم الإبل صارت البَدَنةُ في الشَّريعة متناوِلةً للجِنْسين عند أبي حنيفة وأصحابِه رحمهم الله، وإلَّا فَالبُدْنُ هي الإبلُ وعليه تَدُلُّ الآية، وقرأ الحَسَن: (والبُدُنَ) بضمَّتين كثُمُر في جَمع ثَمرَةٍ، وابنُ أبي إسحاق بضمَّتين وتشديدِ النونِ على لفظِ الوقف. وقرئ بالنَّصب والرفع؛ كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ﴾ [يس: ٣٩]».

(٥) قراءة الرفع في «الكشاف» (٥/ ٥٦١)، و«البحر» (١٥/ ٣٥٩) بلا نسبة.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ بأَنْ تَقُولُوا عندَ ذَبحِها: اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ، والله أكبرُ، اللهمَّ منكَ وإليك.

﴿صَوَآفَّ﴾: قائماتٍ قَدْ صَفَفْنَ أيديَهُنَّ وأَرجُلَهُنَّ.

وقُرِئَ: (صَوَافِنَ)[1] مِن صَفَنَ الفرسُ: إذا قامَ على ثلاثٍ وطرفِ سُنْبُكِ[2] الرَّابعةِ؛ لأنَّ البدنةَ تُعقَلُ إحدى يَدَيْهَا فتقومُ على ثلاثٍ.

و: (صَوافِنًا)[3] بإبدالِ التَّنوينِ حرفَ الإطلاقِ عندَ الوَقفِ.

و: (صَوَافِيَ)[4]؛ أي: خوالِصَ لوجهِ اللهِ.

و: (صَوَافِيْ)[5] على لغةِ مَن يُسكِّنُ الياء مطلقًا كقولِهِم: (أَعطِ القَوْسَ بَارِيْهَا)[6].

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾: سقطَتْ على الأرضِ، وهو كنايةٌ عَن الموتِ.

﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾: الرَّاضي بمَا عِندَهُ وبما يعطَى من غيرِ مَسألةٍ،

---

(١) نسبت لابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧ ـ ٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٦٠).

(٢) السنبك: طرف حافر الدابة. انظر: «مقاييس اللغة» (مادة: سبك).

(٣) كذا بالنون نسبها في «الكشاف» (٥/ ٥٦٢) لعمرو بن عبيد، والذي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٢٩)، و«البحر» (١٥/ ٣٥٩)، عن عمرو بن عبيد: (صوافياً) بتنوين الياء.

(٤) نسبت لأبي موسى الأشعري والحسن وزيد بن أسلم وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٥٩).

(٥) نسبت للحسن أيضاً. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«البحر» (١٥/ ٣٦٠).

(٦) قطعة من بيت كما في «جمهرة الأمثال» (١/ ٧٦)، وتمامه:

يـا بـاريَ القـوسِ بريًـا لسْـتَ تُحْكِمُـه ... لا تظلـمِ القـوسَ أعـطِ القـوسَ باريهـا

ويؤيِّدُه أنه قُرِئَ: (القَنِعَ)[1]، أو: السائلَ، مِن قَنِعْتُ إليه قنوعًا: إذا خَضَعتُ له في السُّؤالِ.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ والمتعرِّضَ بالسُّؤالِ[2].

وقُرِئَ: (والمُعْتَرِي)[3]، يقال: عرَّهُ وعَرَاهُ واعْتَرَّهُ واعْتَرَاهُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ما وصَفْنا مِن نَحرِها قِيامًا ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ مع عِظَمِها وقُوَّتها، حتى تأخذوهَا مُنقادةً فتعْقِلوهَا وتحبِسُوها صافَّةً قوائِمَها ثمَّ تطعُنونَ في لَبَّاتِها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامَنا عليكُم بالتَّقرُّبِ والإخلاصِ.

(٣٧) ـ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾: لن يُصيبَ رضاه ولن يقَعَ مِنه موقِعَ القَبولِ ﴿لُحُومُهَا﴾ المتصدَّقُ بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المُهراقةُ بالنَّحرِ، من حيثُ إنَّها لحومٌ ودِماءٌ.

﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: ولكنْ يُصيبُه ما يَصحَبُه مِن تَقوى قُلوبِكُم التي تَدْعُوكُم إلى تعظيمِ أَمرِ اللهِ والتَّقرُّبِ إليه والإخلاصِ له.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٨٢) عن أبي رجاء.

(٢) في نسخة التفتازاني والخيالي والطبلاوي: «والمعترض بالسؤال»، والمثبت من نسخة الفاروقي، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٥/ ٥٦٣).

وثمة إيراد هنا على المؤلف رحمه الله، وهو أنه فسر القانع بوجهين والمعتر بوجه واحد، والثاني من معنيي القانع ـ وهو أنه بمعنى: السائل ـ موافق لما فسر به المعتر، فيكون في اعتباره تكرارٌ ينزه عنه القرآن، أما «الكشاف» فقد سلم من هذا الإشكال، حيث فسر كل واحد منهما بوجهين:

الأول: أن (القانع): السَّائل، من قَنَعْتُ إليه: إذا خَضعْتَ له وسَألتَه، و(المعترّ): المُتعرِّض بغير سؤالٍ. والثاني: (القانعُ): الراضي بما عنده وبما يُعطَى من غير سؤالٍ من قَنِعْتُ قَنَعاً وقَنَاعةً، و(المعترُّ): المتعرِّضُ بالسؤال.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن الحسن، و«المحتسب» (٢/ ٨٢) عن أبي رجاء وعمرو بن عبيد.

وقيل: كان أَهلُ الجاهليَّةِ إذا ذبحوا القرابينَ لَطَخُوا الكعبةَ بدِمائِها قربةً إلى اللهِ فهَمَّ به المسلمونَ فنزلَتْ[1].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كرَّرَه تذكيرًا للنِّعمةِ، وتَعليلًا له بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لتَعرِفُوا عظمَتَه باقتدارِه على ما لا يقدرُ عليه غيرُه فتُوَحِّدُوهُ بالكبرياءِ.

وقيل: هو التَّكبيرُ عندَ الإحلالِ أو الذَّبحِ.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أرشدَكُم إلى طريقِ تَسخيرِهَا وكيفيَّةِ التَّقرُّبِ بها.

و﴿مَا﴾ تحتملُ المَصدريَّةَ والخبريَّةَ و﴿عَلَىٰ﴾ مُتعلِّقَةٌ بـ(تُكبِّرُوا) لتَضمُّنِه معنى الشُّكرِ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المُخلِصينَ فيمَا يأتونَهُ ويَذَرُونَه.

(٣٨) ـ ﴿إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الذينَ آمَنُوا﴾ غائلةَ المُشركينَ، وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ والكوفيونَ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾[2]؛ أي: يُبالِغُ في الدَّفعِ مُبالغةَ مَن يُغالِبُ فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانةِ اللهِ ﴿كَفُورٍ﴾ لنِعمَتِه، كمَن يَتقرَّبُ إلى الأصنامِ بذَبِيحَتِه، فلا يَرتَضِي فعلَهُم ولا ينصرُهُم.

---

(١) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥) عن ابن جريج. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٩)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٦١)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٦٩).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ.. ولولا دَفْعُ الله الناسَ﴾، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ.. ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ﴾، وقرأ نافع: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ.. ولولا دفاعُ اللهِ الناسَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢).

(٣٩) ـ ﴿أُذِنَ﴾: رُخِّصَ، وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ على البناءِ للفاعلِ[١]، وهو اللهُ.

﴿للذين يُقاتِلونَ﴾ المشركينَ، والمأذونُ فيه مَحذوفٌ لدلالتِه عليه[٢].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ بفتحِ التَّاءِ[٣]؛ أي: للَّذين يُقاتِلُهم المُشركون.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾: بسببِ أنَّهم ظُلِمُوا، وهُم أَصحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ، كانَ المُشرِكُونَ يُؤذونَهُم، وكانوا يأتونَهُ مِن بينِ مَضروبٍ ومَشجوجٍ يَتظلَّمُونَ إليه، فيقولُ لهم: «اصبِرُوا فإنِّي لم أؤمَرْ بالقتالِ» حتى هاجرَ، فأُنزِلَت[٤].

وهي أوَّلُ آيةٍ نَزَلَتْ في القتالِ[٥] بعدما نُهِيَ عنه في نَيِّفٍ وسبعينَ آيةً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وَعَدَ لهم بالنَّصرِ كما وَعَدَ بدفعِ أَذَى الكُفَّارِ عنهم.

(٤٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني: مكَّةَ ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بغيرِ موجبٍ استَحقُّوا به ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ على طريقةِ قولِ النَّابغَةِ:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) قوله: «والمأذون فيه محذوف»؛ أي: في القتالِ؛ «لدلالته»؛ أي: لدلالةِ ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٠٩)، وعزاه للمفسرين، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٨٨): غريب جدًّا.

وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٩١٨) عن قتادة ومقاتل.

(٥) قطعة من خبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٠٨)، والإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٥)، والترمذي (٣١٧١) وحسنه، والنسائي (٣٠٨٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم ترد هذه القطعة في رواية الترمذي.

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم   بهنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ[١]

وقيل: مُنقَطِعٌ.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بتَسليطِ المؤمنينَ مِنْهُم على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لخُرِّبَتْ باستيلاءِ المُشركينَ على أهلِ المِلَلِ.

وقرأ نافِعٌ: ﴿دِفَاع﴾[٢]، وقرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ: ﴿لَهُدِمَت﴾ بالتَّخفيفِ[٣].

﴿صَوَامِعُ﴾: صوامِعُ الرَّهبانيَّةِ ﴿وَبِيَعٌ﴾: وبِيَعُ النَّصارَى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: وكنائسُ اليهودِ، وسُمِّيَتْ بها لأنَّها يُصَلَّى فيها، وقيل: أَصْلُها: (صَلُوتا) بالعبريَّةِ فعُرِّبَت.

﴿وَمَسَاجِدُ﴾: ومساجدُ المسلمينَ.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ صفةٌ للأربعِ، أو لـ﴿مَساجدُ﴾ خُصَّتْ بها تَفضيلًا.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾: مَن يَنصُرُ دينَهُ، وقد أنجزَ وعدَهُ بأَنْ سلَّطَ المهاجرينَ والأنصارَ على صناديدِ العَربِ وأكاسِرَةِ العَجمِ وقياصِرَتِهم، وأورثَهُم أرضَهُم ودِيارَهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نَصرِهِم ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُمانِعُه شَيءٌ.

(٤١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وصفٌ للَّذينَ أُخرِجُوا، وهو ثناءٌ قبلَ بلاءٍ[٤].

---

(١) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ١٥)، وتقدم مراراً.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٤) «وهو ثناء قبل بلاء» رواه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص: ١٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٤٧)، عن عثمانَ رضي الله عنه؛ يريدُ: أنَّ اللهَ قد أثنى عليهم قبلَ أن يُحدِثُوا من الخيرِ ما أحدَثُوا. انظر: «الكشاف» (٥/ ٥٦٧).

وفيه دَليلٌ على صِحَّةِ أَمرِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ؛ إِذْ لم يَستجمِعْ ذلك[١] غيرُهم مِن المهاجرينَ.

وقيل: بدلٌ مِن ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ فإنَّ مَرجِعَها إلى حُكمِه، وفيه تأكيدٌ لِمَا وعدَهُ.

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ تسليَةٌ له بأنَّ قومَهُ إن كذَّبوه فهو ليسَ بأَوْحَدِيٍّ في التَّكذيبِ، فإنَّ هؤلاء قد كذَّبوا رُسلَهُم قبلَ قومِه.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ غيرَ فيه النَّظْمَ وبَنى الفعلَ للمفعولِ لأنَّ قومَهُ بنو إسرائيلَ ولم يُكَذِّبوهُ، وإنَّما كَذَّبَه القِبطُ، ولأنَّ[٢] تكذيبَهُ كانَ أشنعَ، وآياتِه كانَتْ أعظمَ وأَشيَعَ.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: فأَمْهَلْتُهم حتى انصرمَتْ آجالُهُم المُقدَّرةُ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهِم: بتَغييرِ النِّعمةِ محنةً، والحياةِ هلاكًا، والعَمارَةِ خَرابًا.

(٤٥) ـ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ بإهلاكِ أَهلِها. وقرأ البَصريَّانِ بغير لفظِ التَّعظيمِ[٣].

﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: أهلُها ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقطَةٌ حيطانُها على سُقوفِها، بأَنْ تَعطَّلَ بنيانُها فخَرَّت سُقوفُها، ثُمَّ تهدَّمَت حِيطانُها فسقطَتْ فوقَ السُّقوفِ.

---

(١) بعدها في نسخة الخيالي: «في».

(٢) في نسخة الخيالي: «أو لأن».

(٣) أي: ﴿أهلَكتُها﴾. انظر: «التيسير» (ص: ٤٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢٧).

أو: خاليةٌ مَع بقاءِ عُروشِها وسَلامَتِها. فيكونُ الجارُّ مُتعلِّقًا بـ﴿خَاوِيَةٌ﴾[١].

ويجوزُ أن يكونَ خبرًا بعدَ خَبرٍ؛ أي: هي خاليةٌ وهي على عُروشِها؛ أي: مُظِلَّةٌ[٢] عليها بأن سقطَتْ وبقيَتِ الحيطانُ مائلةً[٣] مشرِفةً عليها.

والجملةُ مَعطوفةٌ على ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، لا على ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ فإنَّها حالٌ، والإهلاكُ ليسَ حالَ خَوائها[٤]، فلا محلَّ لها إن نَصَبْتَ ﴿كأين﴾ بمُقدَّرٍ يفسِّرُه ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، وإنْ رفَعْتَه بالابتداءِ فمَحَلُّها الرَّفعُ[٥].

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطفٌ على ﴿قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكَمْ بئرٍ عامِرَةٍ في البَوادِي تُرِكَت لا يُستقَى مِنْها لهلاكِ أهلِها. وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[٦] مِن أعطلَهُ بمَعنى: عَطَّلَه.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: مرفوعٍ أو مُجصَّصٍ أَخْلَيْناهُ عَن ساكنيهِ، وذلك يُقَوِّي أنَّ مَعنى ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: خاليةٌ مع بقاءِ عُروشِها.

وقيل: المرادُ بـ(بئرٍ): بئرٌ في سفحِ جبلٍ بحَضرموتَ، وبـ(قصرٍ): قصرٌ مشرفٌ على قُلَّتِه، كانا لقومِ حنظلةَ بنِ صفوانَ مِن بقايَا قومِ صالحٍ، فلمَّا قَتلوهُ أهلَكَهُم اللهُ وعَطَّلَهُما[٧].

---

(١) قوله: «فيكون الجار متعلقاً بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾» تفريع على القولين قبلَه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢٨).

(٢) في هامش نسخة الفاروقي: «في نسخة: مطلة».

(٣) في هامش نسخة الفاروقي: «في نسخة: ماثلة».

(٤) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «خرابها».

(٥) قوله: «وفي ﴿تَعْمَى﴾»؛ أي: والضميرُ فيه (راجع إليه)؛ أي: إلى المُبهَمِ، «أو الظاهر»؛ أي: وهو ﴿الْأَبْصَارُ﴾ «أقيم مقامه»؛ أي: مقام الضمير في ﴿تَعْمَى﴾ وإن كان الظاهرُ مفسِّراً للمُبهَم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢٩).

(٦) أي: (مُعْطَلَةٍ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن الجحدري.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٤) عن سعيد بن جبير والكلبي والخليل.

(٤٦) - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ حثٌّ لَهُم على أَنْ يُسافِرُوا ليَرَوْا مَصارِعَ المُهْلَكِينَ فيَعتَبِرُوا، وهُم وإنْ كانُوا قد سافروا لم يُسافِرُوا لذلك.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾: ما يجبُ أن يُعقَلَ مِن التَّوحيدِ بما حصلَ لَهُم مِن الاستبصارِ والاستدلالِ.

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾: ما يجبُ أَنْ يُسمعَ مِن الوَحيِ، والتَّذكيرِ بحالِ مَن شاهدَ آثارَهُم.

﴿فَإِنَّهَا﴾ الضَّميرُ للقِصَّةِ، أو مُبهَمٌ يُفَسِّرُه ﴿الْأَبْصَارُ﴾، وفي ﴿تَعْمَى﴾ راجعٌ إليه، أو الظَّاهرُ أقيمَ مُقامَه[١].

﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ عن الاعتبارِ؛ أي: ليسَ الخَلَلُ في مشاعِرِهم، وإنَّما إيفَتْ[٢] عُقُولُهُم[٣] باتِّباعِ الهَوَى والانهماكِ في التَّقليدِ.

وذكرُ الصُّدورِ للتَّأكيدِ ونَفيِ التَّجوُّزِ، وفضلِ[٤] التَّنبيهِ على أنَّ العَمَى الحَقيقيَّ ليسَ المتعارفَ الذي يخصُّ البصرَ.

قيل: لَمَّا نزلَ ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ قال ابنُ أمِّ مَكتومٍ: يا رسولَ اللهِ! أنا في الدُّنيا أَعمَى أفأَكونُ في الآخرةِ أَعْمَى؟ فنزلت[٥].

---

(١) قوله: «فلا محل لها»؛ أي: لجملة ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ «إن نصبت كأيِّن»؛ لأنها تكون حينئذ معطوفةً على جملة ﴿أَهْلَكْنَاهَا ﴾، وهي مفسِّرةٌ لا محلَّ لها «وإن رفعته»؛ أي: (كأيِّن) «فمحلها الرفع» خبراً ثانياً لـ (كأيِّن)، والخبرُ الأولُ ﴿أَهْلَكْنَاهَا ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٢٦).

(٢) بالبناء للمجهول، أي أصابتها آفة.

(٣) في هامش نسخة الفاروقي: «في نسخة: قلوبهم».

(٤) في نسخة الطبلاوي: «وقصد».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٣) عن ابن عباس ومقاتل. وصدره المصنف بقوله: (قيل) =

(٤٧) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المتوعَّـدِ بـه ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لامتناعِ الخُلـفِ فـي خبـرِه، فيصيبُهم مـا أوعدَهُم به ولـو بعدَ حيـنٍ، لكنَّه صَبـورٌ لا يُعجِّلُ بالعقوبَةِ.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بيانٌ لتَناهي صَبرِهِ وتَأنِّيه حتى استقصَرَ المُدَدَ الطِّوالَ، أو لتَمادِي عذابِهِ وطولِ أيَّامِه حقيقةً، أو مِن حيثُ إنَّ أيَّامَ الشَّدائدِ مُستطالَةٌ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بالياء[1].

(٤٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: وكم مِن أَهلِ قريةٍ، فحُذِفَ المضافُ وأقيمَ المُضافُ إليه مُقامَهُ في الإعرابِ ورَجْعِ الضَّمائرِ والأحكامِ مبالغةً في التَّعميمِ والتَّهويلِ.

وإنَّما عَطَفَ الأولى بالفاءِ وهذه بالواوِ لأنَّ الأولى بدلٌ عَن قولِه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، وهذه في حُكمِ ما تَقدَّمَها مِن الجُملتَينِ لبَيانِ أنَّ المتوعَّدَ به يَحيقُ بهم لا مَحالةَ وأنَّ تأخيرَه[2] لعادَتِه تعالى.

﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كمـا أمهَلْتُكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلَكـم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعَذابِ ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: وإلـى حكمِي مرجـعُ الجميعِ.

(٤٩) ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أُوَضِّحُ لكم ما أُنذِرُكُم به.

والاقتصارُ على الإنذارِ مع عمومِ الخطابِ وذِكْرِ الفريقَيْنِ لأنَّ صدرَ الكلامِ ومساقَه للمُشركين، وإنَّما ذُكِرَ المؤمنونَ وثوابُهم زيادةً في غيظِهِم.

= علامة على تضعيفه، فقال الشهاب في «الحاشية»: لعل تمريضه لعدم ثبوته عنده؛ لأنَّ ابن أم مكتوم رضي الله عنه لا يخفى عليه مثله.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «وإنْ تأخَّر».

(٥٠) ـ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لِمَا نَدَرَ مِنهم[1] ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ هي الجنَّةُ، والكريمُ مِن كلِّ نوعٍ: ما يجمَعُ فضائِلَه.

(٥١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالرَّدِّ والإبطالِ ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسابقينَ مُشاقِّينَ للسَّاعينَ فيها بالقَبولِ والتَّحقيقِ، مِن عَاجَزَهُ فأعجزَهُ وعَجَّزَهُ: إذا سابقَهُ فسبقَهُ؛ لأنَّ كُلًّا مِن المتسابقَينِ يطلبُ إعجازَ الآخرِ عَنِ اللَّحاقِ به.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿مُعجِّزينَ﴾[2] على أنَّه حالٌ مُقدَّرةٌ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّارِ الموقدةِ، وقيل: اسمُ دركةٍ.

(٥٢) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الرَّسولُ: مَن بعثَهُ اللهُ بشَريعةٍ مُجدَّدةٍ يدعو النَّاسَ إليها، والنَّبيُّ يَعمُّهُ ومَن بعثَهُ[3] لتقريرِ شرعٍ سابقٍ، كأنبياءِ بني إسرائيلَ الذين كانوا بينَ مُوسى وعيسى عليهِم السَّلام، ولذلك شبَّهَ النَّبيُّ ﷺ عُلماءَ أُمَّتِه بهم[4].

فالنبيُّ أعمُّ مِن الرَّسولِ، ويدلُّ عليه أنَّه عليه السَّلامُ سُئِلَ عَن الأنبياءِ فقال: «مئةُ

---

(١) في نسخة الطبلاوي: «لما يندر منهم»، وفي نسخة التفتازاني: «لما بدر منهم أي من الصالحات»، وفي نسخة الخيالي والفاروقي: «لما ندر منهم»، وعلق عليه على هامش نسخة الفاروقي: «ندر: نادر، منهم: من الذنوب»، وعليه شرح في «حاشية الشهاب» فقال: «وقوله: (ندر) بالنون ودال مهملة؛ أي: ظهر وصدر منهم، من قولهم: ندر فلان من بلده إذا خرج، أو المراد: صدر على طريق الندور؛ بيان لأغلب حال المؤمنين، وهو غلبة حسناتهم على سيئاتهم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) في نسخة الفاروقي: «بعثه الله».

(٤) يشير إلى حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»، قال الزركشي في «التذكرة» (ص: ١٦٦): لا يعرف له أصل، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٥٩): قال شيخنا ـ أي ابن حجر ـ ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر، ولأبي نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد».

ألفٍ وأربعةٌ وعِشرونَ ألفًا»، قيل: فكَم الرُّسلُ مِنهُم؟ قال: «ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ جَمًّا غَفِيرًا»[١].

وقيل: الرَّسولُ: مَن جمعَ إلى المُعجِزَةِ كتابًا منزلًا عليه، والنَّبيُّ غيرُ الرَّسولِ: مَن لا كتابَ له.

وقيل: الرَّسولُ: مَن يأتيهِ الملكُ بالوَحي، والنَّبيُّ يقالُ له ولِمَن يوحَى إليه في المَنامِ.

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: إذا زوَّرَ في نفسِهِ ما يَهواه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في تَشَهِّيهِ ما يوجِبُ اشتغالَهُ بالدُّنيا، كما قالَ عليهِ السَّلامُ «وإنَّه لَيُغانُ على قلبي فأستغفرُ اللهَ في اليومِ سَبعينَ مَرَّةً»[٢].

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فيُبْطِلُه ويذهَبُ به بعِصمَتِه عن الركونِ إليه، والإرشادِ إلى ما يزيحُه، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ثم يُثبت آياتِه الدَّاعيةَ إلى الاستغراقِ في أمرِ الآخرة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالِ النَّاسِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يَفعَلُه بهم.

قيل: حَدَّثَ نفسَهُ بزوالِ المسكنَةِ فنزلَتْ[٣].

---

(١) قطعة من حديث رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ١٥٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وجاء فيه عندهما عدد الأنبياء: «مئة ألف وعشرون ألفًا»، والحديث ضعيف جدًّا بسبب إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جدًّا أيضاً من أجل علي بن يزيد الألهاني.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، ولفظ مسلم: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة».

(٣) قال الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٦/ ٣٠٥): ضعفه لأنه لا يلائم قوله: ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

وقيل: تَمنَّى لحرصِه على إيمانِ قومِه أنْ ينزلَ عليه ما يقرِّبُهم إليه، واستمرَّ به ذلكَ حتى كانَ في ناديهِمْ فنزلَتْ عليهِ سُورةُ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ فأخذَ يقرَؤُها فلَمَّا بلغَ: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] وسوسَ إليه الشَّيطانُ حتَّى سبقَ لِسانُه سهوًا إلى أَنْ قال: (تلكَ الغرانيقُ العُلَى وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرتَجَى) ففرِحَ به المشركونَ حتَّى شايَعُوه بالسُّجودِ لَمَّا سجدَ في آخرِها بحيثُ لم يبقَ في المسجدِ مُؤمِنٌ ولا مُشرِكٌ إلا سجدَ، ثمَّ نَبَّهَه جبريلُ فاغتمَّ به، فعزَّاهُ اللهُ بهذه الآيةِ[١].

وهو مردودٌ عند المحقِّقينَ، وإن صَحَّ فابتلاءٌ يتميَّزُ به الثَّابتُ على الإيمانِ عَن المُتزلزلِ فيه.

وقيل: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: قرأَ، كقولِه:

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيلِهِ تَمَنِّيَ دَاودَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ[٢]

---

(١) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي العالية وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جدًّا. وتنظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢).
وقد تكلم العلماء المحققون في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً.
وممن تكلم في توهين هذه القصة الإمام أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، فذكر ثلاثة وجوه في إبطالها بحيث لا يبقى شكٌّ في ذلك لمن طالع كلامه. ثم ختم ذلك بقوله: فبَطَلَت الوجوه كلُّها، ولم يبق إلا وجهٌ واحد، وهو أن النبي ﷺ سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ والشيطانُ حاضرٌ، فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات متَّصلاً بقراءة النبيِّ ﷺ، فوقع عند بعضهم أن النبيَّ ﷺ هو الذي تكلَّم بها، ويكون هذا إلقاءً في قراءة النبي ﷺ، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبي ﷺ ويُسمَع كلامه؛ كما ذُكر عنه في اليوم الذي مكَروا بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، وإبليس ظهر يوم أحدٍ على صورة شيخ نجديٍّ... إلى آخر ما قال.

(٢) البيت برواية المؤلف دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» =

وأُمنيَّتُه: قِراءَتُه، وإلقاءُ الشَّيطانِ فيها: أن تكلَّمَ بذلك رافعًا صوتَهُ بحيثُ ظنَّ السَّامعونَ أنَّه مِن قراءةِ النَّبيِّ.

وقد رُدَّ بأنَّه أيضًا يُخلُّ بالوثوقِ على القرآنِ، ولا يَندَفِعُ بقولِه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] لأنَّه أيضًا يَحتَمِلُه.

والآيةُ تدلُّ على جوازِ السَّهوِ على الأنبياءِ وتطرُّقِ الوَسوَسَةِ إليهِم.

(٥٣) ـ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ عِلَّةٌ لتَمكينِ الشَّيطانِ مِنْه، وذلك يَدُلُّ على أنَّ المَلقِيَّ أمرٌ ظاهِرٌ عرفَهُ المحِقُّ والمُبطِلُ.

﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ ونِفاقٌ ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركينَ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني: الفريقينِ، فوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوضِعَ ضَميرِهِم قضاءً عليهِمْ بالظُّلمِ.

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ عَن الحقِّ، أو عَن الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ والمؤمنينَ[1].

= لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)، و«تفسير القرآن» لابن أبي زمنين (٣/ ١٨٩)، و«الغريبين» للهروي (مادة: منا)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان، وليس في ديوانه. و«رِسْل» بكسر فسكون بمعنى: تؤدة وهينة.

وذكروا بيتاً آخر بهذا الصدر والعجزُ مختلف، كما في «العين» (٨/ ٣٩٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٥)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥٠)، و«أمالي الزجاجي» (ص: ٢٠)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٦٤)، و«الوجوه والنظائر» لأبي هلال العسكري (ص: ١٥٠)، و«الغريبين» للهروي (مادة: منا)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٢٢)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨). وعجزه:

وآخِــرَه لاقَــى حِمَــامَ المَقَــادِرِ

وذكر بعضهم كابن الأنباري والهروي والثعلبي أنه في رثاء عثمان رضي الله عنه.

(١) في نسخة الخيالي: «وعن المؤمنين».

(٥٤) ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أنَّ القرآنَ هو الحقُّ النَّازلُ مِن عندِ اللهِ، أو: تمكينُ الشَّيطانِ مِن الإلقاءِ هو الحَقُّ الصَّادرُ مِن اللهِ؛ لأنَّه ممَّا جرَتْ به عادَتُه في جنسِ الإنسِ مِن لَدُن آدمَ.

﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾: بالقُرآنِ، أو: باللهِ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ بالانقيادِ والخَشيَةِ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فيما أَشْكَلَ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو نظرٌ صَحيحٌ يُوصِلُهُم إلى ما هوَ الحَقُّ فيه.

(٥٥) ـ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾: مِن القُرآنِ، أو الرَّسُولِ، أو: ممَّا أَلْقَى الشَّيطانُ في أُمنيَّتِه، يقولون: ما بالُه ذكرَهَا بخيرٍ ثمَّ ارتدَّ عنه؟!

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامَةُ، أو أشراطُها، أو الموتُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومِ حربٍ يُقْتَلونَ فيه كيومِ بَدْرٍ، سُمِّيَ به لأنَّ أولادَ النِّساءِ يُقتَلُونَ فيه فيَصِرْنَ كالعُقُمِ، أو لأنَّ المقاتلينَ أبناءُ الحربِ فإذا قُتِلُوا صارَتْ عَقِيمًا، فوُصِفَ اليومَ بوَصْفِهَا اتِّساعًا[1]، أو لأنَّهُ لا خيرَ لَهُم فيه، ومنه: الرِّيحُ العقيمُ، لِمَا لم تُنْشِئ مَطَرًا ولم تُلقِحْ شَجَرًا، أو لأنَّه لا مثلَ له لقتالِ الملائكةِ فيه.

أو: يومِ القيامةِ على أنَّ المُرادَ بالسَّاعةِ غيرُه، أو على وَضعِهِ مَوضِعَ ضَميرِهَا للتَّهويلِ.

---

(١) من باب الاستعارة المكنية، فالمستعارُ له اليومُ، والمستعارُ منه المرأة، والجامعُ: فقدانُ النتيجة، وكما أن المرأة إذا فقدتِ الولدَ وُصفت بالعقم، أي: الثكل، كذلك اليوم إذا فُقِدَ فيه المحاربونَ يوصفُ بالعُقْم كأنهُ أمُّهم، ومثلُه قولهم: ابنُ اليوم، وأبناءُ الزمان، وأبناءُ الحرب، والاستعارةُ واقعةٌ في اليوم بأن شبه اليوم بالمرأة في فقدان، مشتملةً تشبيهاً بليغاً، ثم توهم أن اليوم هي المرأة على سبيل التخييل، ثم أطلق اليوم الذي هو اسم المشبه، وأريد به اليوم المتخيل، والقرينة نسبةٌ العقيم إليه. «فتوح الغيب» (١٠/ ٥١٤-٥١٥).

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ التَّنوينُ فيه مَنوبٌ عَـن الجُملَةِ التي دلَّتْ عليه الغايةُ؛ أي: يـومَ تَزُولُ مِرْيَتُهم ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بالمجازاةِ، والضَّميرُ يَعُمُّ المُؤمنينَ والكافرينَ لتفصيلِه بقولِه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

وإدخالُ الفاءِ فـي خـبرِ الثَّاني دونَ الأوَّلِ تَنبيهٌ على أنَّ إثابةَ المؤمنينَ بالجَنَّاتِ تفضُّلٌ مِن اللهِ تَعالى، وأنَّ عِقابَ الكافرِين مُسَبَّبٌ مِن أَعمالِهِم، ولذلك قالَ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ ولم يَقُل: هم في عذابٍ.

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ فـي الجِهادِ ﴿أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: الجنَّةَ ونَعيمَها، وإنَّما سَوَّى بينَ مَن قُتِلَ في الجِهادِ ومَن ماتَ حتفَ أَنفِهِ في الوَعدِ؛ لاستِوائِهما في القَصْدِ وأَصْلِ العَمَلِ.

رُوِيَ أنَّ بعـضَ الصَّحابـةِ قالـوا: يـا نَبِـيَّ اللهِ، هـؤلاءِ الذيـن قُتِلُوا قـد عَلِمْنَا ما أعطاهُـم اللهُ مِن الخيـرِ، ونحنُ نجاهِدُ معكَ كما جاهَدُوا، فما لنا إنْ مُتنا؟ فنزَلَتْ[1].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فإنَّه يرزُقُ بغيرِ حِسابٍ.

(٥٩) ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ هو الجنَّةُ فيها ما يحبُّونَه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالِهِم وأحوالِ مَعادِهِم[2] ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجِلُ في العقوبَةِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٥/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، ولم أجده في كتب المتقدمين، وإنما ذكره تُبَّاع الزمخشري في تفاسيرهم؛ كالفخر الرازي والنسفي وأبي حيان وأبي السعود والآلوسي. وذكر نحوه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ١٣٤) ولفظه: وذلك أن نفراً من المسلمين قالوا للنبي ﷺ: نحن نقاتل المشركين فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة فأشركهم الله عز وجل جميعًا في الجنة، فنزلت فيهم. وانظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦١٩)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٧/ ٤٩٢٢).

(٢) في نسخة الفاروقي: «معاديهم».

(٦٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمرُ ذلكَ ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ولم يَزِدْ في الاقتصاصِ، وإنَّما سُمِّيَ الابتداءُ بالعقابِ الذي هو الجَزاءُ للازدواجِ، أو لأنَّه سببُه.

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودةِ إلى العُقوبَةِ ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ لا محالةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمُنتَصِرِ حيثُ اتَّبعَ هواه في الانتقامِ وأعرضَ عمَّا نَدَبَ اللهُ إليه بقولِه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وفيه تعريضٌ بالحثِّ على العفوِ والمَغفِرَةِ، فإنَّه تَعالى مع كمالِ قُدرَتِه[1] وتعالي شأنِه لَمَّا كانَ يعفو ويَغفِرُ فغيرُهُ بذلك أَوْلَى، وتنبيهٌ على أنه قادِرٌ على العقوبَةِ إذ لا يُوصَفُ بالعفوِ إلا القادِرُ على ضِدِّه.

(٦١) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلكَ النَّصرُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾: بسببِ أنَّ اللهَ قادِرٌ على تغليبِ بعضِ الأمورِ على بعضٍ، جارٍ عادتُه على المداولةِ بينَ الأشياءِ المُتعانِدَةِ، ومن ذلك إيلاجُ أحدِ المَلَوينِ[2] في الآخرِ بأَنْ يزيدَ فيه ما يَنقصُ منه، أو بتَحصيلِ ظُلْمَةِ الليلِ في مكانِ ضوءِ النَّهارِ بتَغييبِ الشَّمسِ وعكسِ ذلك باطلاعِها.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمَعُ قولَ المعاقِبِ والمعاقَبِ ﴿بَصِيرٌ﴾ يَرَى أفعالَهُما فلا يُهمِلُهُما.

(٦٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصفُ بكمالِ القُدرَةِ والعلمِ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثَّابِتُ في نفسِهِ الواجبُ لذاتِه وحدَه، فإنَّ وُجوبَ وُجودِه ووحدتَهُ يَقتضِيَانِ أن يكونَ مبدأً لكلِّ ما يوجَدُ سواهُ، عالِمًا بذاتِه وبما عداهُ.

أو: الثَّابتُ الإلهيَّةِ، ولا يصلحُ لها إلَّا مَن كانَ قادِرًا عالِمًا.

---

(١) في نسخة الخيالي: «مع كماله».

(٢) المَلَوَانِ: اللَّيلُ والنَّهارُ، الواحدُ مَلا مَقصورٌ. انظر: «الصحاح» مادة: (ملا).

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلهًا، وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ بالتَّاءِ[١] على مخاطبةِ المشركينَ.

وقُرِئَ بالبناءِ للمَفعولِ[٢] فتكونُ الواوُ لـ﴿مَا﴾ فإنَّه في مَعنى الآلهةِ[٣].

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: المعدومُ في حَدِّ ذاتِه، أو باطلُ الأُلوهيَّةِ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على الأشياءِ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ عَن أَنْ يكونَ له شريكٌ، لا شيءَ أَعْلَى منه شأنًا وأكبرَ سُلطانًا.

(٦٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ استفهامُ تَقريرٍ، ولذلك رُفعَ ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطفًا على ﴿أَنزَلَ﴾؛ إذ لو نُصبَ جوابًا لَدَلَّ على نفيِ الاخضرارِ كما في قولِك: (أَلَمْ تَرَ أَنِّي جِئتُكَ فتكْرِمَني)، والمقصودُ إثباتُه، وإنَّما عُدلَ بهِ عَن صيغَةِ الماضي للدَّلالةِ على بقاءِ أثرِ المَطرِ زمانًا بعدَ زمانٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصلُ عِلمُهُ ولطفُه إلى كلِّ ما جَلَّ ودَقَّ ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتَّدابيرِ الظَّاهرةِ والباطِنَةِ.

(٦٤) ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقًا ومُلكًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ في ذاتِه عَن كُلِّ شَيءٍ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المستوجِبُ للحَمدِ بصِفاتِه وأَفعالِه.

(٦٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جعلَها مُذلَّلَةً لَكُم معدَّةً لِمَنافِعكُم.

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطفٌ على ﴿ما﴾ أو على اسمِ ﴿أَنَّ﴾، وقُرِئَ بالرَّفعِ[٤] على الابتداءِ.

﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ حالٌ مِنْها أو خبرٌ.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: مِن أَنْ تقعَ، أو: كراهةَ أَنْ تقعَ، بأَنْ خَلَقَها على صُورةٍ مُتداعيَةٍ إلى الاستمساكِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن أبي حيوة.

(٣) في نسخة الطبلاوي: «الإلهية».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن الأعرج والسلمي.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: إلا بمَشيئَتِه، وذلكَ يومَ القِيامَةِ، وفيه رَدٌّ لاستِمساكِهَا بذاتِها فإنَّها مُساوِيَةٌ لسائرِ الأجسامِ في الجِسمِيَّةِ، فتكونُ قابلةً للمَيْلِ الهابطِ قَبولَ غيرِها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ هَيَّأَ لَهُم أسبابَ الاستدلالِ، وفتحَ لَهُم[1] أبوابَ المنافعِ، ودفعَ عَنْهُم أنواعَ[2] المَضارِّ.

(٦٦) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعدَ أَنْ كُنتُم جمادًا عناصرَ ونُطَفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاءَ أَجَلُكُم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: لجَحُودٍ للنِّعَمِ مع ظُهورِها.

(٦٧) - ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهلِ دينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: متعبَّدًا أو شَريعةً تُعُبِّدُوا بها، وقيل: عيدًا ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: ينسكونَه ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ سائرُ أربابِ المِلَلِ ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾: في أمرِ الدِّينِ أو النَّسائكِ؛ لأنَّهُم بين جُهَّالٍ وأهلِ عِنادٍ، أو لأنَّ أمرَ دينِكَ أظهرُ مِن أَنْ يقبلَ النِّزاعَ.

وقيل: المرادُ نَهْيُ الرَّسولِ عليه السَّلامُ عَنِ الالتفاتِ إلى قولِهِم وتمكينِهِم مِن المناظرةِ المُؤدِّيَةِ إلى نزاعِهِم، فإنَّها إنَّما تنفعُ طالِبَ الحقِّ وهؤلاءِ أهلُ مِراءٍ، أو عَن مُنازَعَتِهِم كقولِكَ: (لا يضاربنَّكَ زيدٌ)، وهذا إنَّما يَجوزُ في أَفعالِ المُغالبةِ للتَّلازُمِ.

وقيل: نزلَتْ في كُفَّارِ خزاعةَ قالوا للمُسلمينَ: ما لكم تأكلونَ ما قتلتُمْ، ولا تأكلونَ ما قتلَهُ اللهُ[3]؟!

---

(١) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «عليهم».

(٢) في نسخة التفتازاني: «أبواب».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٤٠٣) ولم يذكر له سنداً ولا رواياً. وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

وقُرِئَ: (فَلَا يَنْزِعُنَّكَ)[1] على تهييجِ الرَّسولِ والمبالغةِ في تَثبيتِه على دينِه، على أنَّه مِن نازَعْتُه فنزَعْتُه: إذا غَلَبْتَه.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى توحيدِه وعِبادَتِه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: طريقٍ إلى الحَقِّ سَوِيٍّ.

(٦٨) ـ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقد ظهرَ الحَقُّ ولَزِمَتِ الحُجَّةُ ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن المُجادلَةِ الباطِلَةِ وغيرِها فيجازِيكُم عليها، وهو وَعيدٌ فيه رِفقٌ.

(٦٩) ـ ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: يفصِلُ بين المؤمنينَ مِنْكُم والكافرينَ بالثَّوابِ والعقابِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كما فصَلَ في الدُّنيَا بالحُجَجِ والآياتِ ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أَمْرِ الدِّينِ.

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يَخفَى عليهِ شَيءٌ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللَّوحُ كتبَهُ فيه قبلَ حُدوثِه[2]، فلا يُهِمَّنَّكَ أمرُهُم مع عِلمِنَا بهِ وحِفظِنا له.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إنَّ الإحاطةَ بهِ وإثباتَهُ في اللَّوحِ، أو: الحكمَ بينكُم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأنَّ عِلمَهُ مُقتضَى ذاتِه المتعلِّقِ بكلِّ المعلوماتِ على سَواءٍ.

(٧١) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حجَّةً تَدُلُّ على جوازِ عِبادَتِه ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ حصلَ لَهُم مِن ضَرورَةِ العَقلِ أو استدلالِه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: وما للَّذينَ ارتَكَبُوا مثلَ هذا الظُّلمِ ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يقرِّرُ مذهبَهُم، أو يدفَعُ العذابَ عَنْهُم.

(٧٢) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ مِن القُرآنِ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتِ الدَّلالةِ على العقائدِ الحقَّةِ والأحكامِ الإلهيَّةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن لاحق بن حميد، و«المحتسب» (٢/ ٨٥) عن أبي مجلز، وهي كنية لاحق بن حميد. وهي في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٧) دون نسبة.

(٢) في نسخة التفتازاني: «وجوده».

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَ﴾: الإنكارَ لفَرطِ نكيرِهم للحَقِّ وغيظِهِم لأَباطيلَ أَخَذُوهَا تقليدًا، وهذا منتهَى الجَهالَةِ، وللإشعارِ بذلك وضعَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مَوضِعَ الضَّميرِ، أو: ما يقصدونَه مِن الشَّرِّ[1].

﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾: يَثِبُونَ ويَبطشونَ بهم.

﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾: مِن غَيظِكُم على التَّالينَ وسَطْوَتِكُم عليهِمْ، أو مِمَّا أصابَكُم مِن الضَّجرِ بسببِ ما تَلَوْا عَلَيكُم:

﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: هو النَّارُ، كأنَّه جوابُ سائلٍ قال: ما هو؟ ويجوزُ أن يكونَ مُبتدَأً خبرُه: ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقُرِئَ بالنَّصبِ على الاختصاصِ، وبالجرِّ[2] بدلًا مِن (شرٍّ) فتكونُ الجملَةُ استئنافًا كما إذا رُفِعَتَ خبرًا أو حالًا مِنْها[3].

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النارُ.

(٧٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾: بُيِّنَ لكُمْ حالٌ مُستغرَبةٌ أو قصَّةٌ رائعةٌ، ولذلك سمَّاها مَثلًا، أو: جُعِلَ للهِ مثلٌ؛ أي: مثلٌ في استحقاقِ العبادةِ.

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾: للمثلِ، أو: لبيانِه، استماعَ تدبُّرٍ وتفكُّرٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنامَ، وقرأ يعقوبُ بالياءِ[4]، وقُرِئَ بِهِ مَبنِيًّا للمَفعولِ[5]، والراجعُ إلى الموصولِ مَحذوفٌ على الأوَّلَينِ.

---

(١) قوله: «أو ما يقصدونه من الشر» عطف على «الإنكارَ». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٤٠).

(٢) قرأ بالنصب الضحاك وابن أبي عبلة، وبالجر إبراهيم بن نوح عن قتيبة. انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٣٢). وزاد نسبتها في «البحر» (١٥/ ٤٠٤) بالنصب للأعشى وزيد بن علي، وبالجر لابن أبي إسحاق.

(٣) قوله: «فتكون الجملة»؛ أي: جملةُ ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾، «أو حالًا منها» عطف على «استئنافاً». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٤٠).

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٧).

(٥) نسبت لليماني وموسى الأسواري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩).

﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾: لا يقدرونَ على خَلقِهِ مع صِغَرِه؛ لأنَّ (لن) بما فيها مِن تأكيدِ النَّفي دالَّةٌ على منافاةِ ما بين المنفيِّ والمنفيِّ عنه.

والذُّبابُ مِن الذَّبِّ لأنَّه يُذَبُّ، وجمعُهُ: أَذِبَّةٌ وذُبَّانٌ.

﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ بجوابِه المقدَّرِ في مَوضعِ حالٍ جيءَ بها للمُبالغَةِ؛ أي: لا يقدرونَ على خلقِهِ مُجتَمِعِينَ له مُتعاوِنينَ عليه، فكيفَ إذا كانوا مُنفَرِدينَ؟!

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ جهَّلَهُم غايةَ التَّجهيلِ بأَنْ أشرَكُوا إلهًا قَدِرَ على المقدوراتِ كلِّها، وتفرَّدَ بإيجادِ الموجوداتِ بأَسرِهَا تماثيلَ هي أعجَزُ الأشياءِ، وبيَّنَ ذلك بأنَّها لا تَقدِرُ على خلقِ أقلِّ الأحياءِ وأذلِّها ولو اجتمَعُوا له، بل لا تَقْوَى على مُقاومَةِ هذا الأقلِّ الأذَلِّ، وتَعْجَزُ عن ذبِّه عَن نفسِهَا واستنقاذِ ما يختَطِفُه مِن عندِها.

قيل: كانوا يَطلونَها بالطِّيبِ والعَسَلِ ويُغلقونَ عليها الأبوابَ، فيدخلُ الذُّبابُ مِن الكُوَى فيأكلُه[1].

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: عابِدُ الصَّنَمِ ومَعبودُه، أو: الذُّبابُ بطلبِ ما يَسْلُبُ عَن الصَّنمِ مِن الطِّيبِ والصَّنمُ بطلبِ الذُّبابِ منه السَّلْبَ، أو الصَّنمُ والذُّبابُ كأنَّه يطلبُه ليستنقذَ منه ما يسلبُه، فلو حقَّقْتَ وجَدْتَ الصَّنمَ أضعفَ بدَرجاتٍ.

(٧٤) ـ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: ما عَرَفُوه حقَّ مَعرِفَتِه حيثُ أَشرَكُوا به وسَمَّوْا باسمِه ما هو أبعَدُ الأشياءِ عنه مُناسبَةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقِ الممكناتِ بأَسرِها ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلبُه شيءٌ، وآلهتُهُم التي يَدْعونَها عَجَزةٌ عن أقلِّها مَقهورَةٌ مِن أَذلِّها.

(٧٥) ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسَّطونَ بينَه وبينَ الأنبياءِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٦ - ٤٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد: «فإذا رأوا ذلك قالوا: أكلت آلهتُنا العسل».

بالـوحي ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يَدْعونَ سائرَهُم إلى الحقِّ ويبلِّغونَ إليهم ما نزلَ عليهم، كأنَّه لَمَّا قرَّرَ وَحدانيَّتَه في الألوهيَّةِ ونَفى أَنْ يُشارِكَه غيرُهُ في صِفَاتِها؛ بيَّنَ أنَّ لَهُ عِبادًا مُصطَفَيْنَ للرِّسالَةِ يُتوسَّلُ بإجابَتِهِم والاقتداءِ بهم إلى عبادةِ الله سُبحانَه، وهو أعلى المَراتبِ ومُنتَهَى الدَّرجاتِ لِمَن عداه مِن الموجوداتِ؛ تقريرًا للنُّبوَّةِ وتَزييفًا لقولِهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، و: (الملائكةُ بناتُ اللهِ) ونحو ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾: مُدرِكٌ للأشياءِ كُلِّها.

(٧٦) ـ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ﴾: عالمٌ بواقِعِها ومُترقَّبِها.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: وإليه مَرجِعُ الأمورِ كُلِّها لأنَّه مالِكُها بالذَّاتِ، لا يُسأَلُ عمَّا يفعَلُ مِن الاصطفاءِ وغيرِهِ وهُم يُسأَلُون.

(٧٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ في صَلاتِكم، أمرَهُم بهما لأنَّهُم ما كانوا يَفعَلُونَهُما أوَّلَ الإسلامِ، أو: صَلُّوا، وعَبَّرَ عن الصَّلاةِ بهما لأنَّهما أعظَمُ أركانِها، أو: اخضَعُوا للهِ وخُرُّوا له سُجَّدًا.

﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ بسائرِ ما تَعبَّدَكُم به.

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: وتحرَّوْا ما هُوَ خيرٌ وأصلَحُ فيما تأتونَ وتَذَرونَ؛ كنَوافلِ الطَّاعاتِ، وصِلَةِ الأرحامِ، ومَكارمِ الأخلاقِ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: افعَلُوا هذه كلَّها وأَنتُم راجونَ الفلاحَ غيرُ مُتيقِّنينَ له واثقينَ على أعمالِكُم.

والآيةُ آيةُ سَجدَةٍ عندَنا؛ لظاهرِ ما فيها من الأمرِ بالسُّجودِ، ولقولِه عليه السَّلامُ «فُضِّلَتْ سورةُ الحجِّ بسَجدَتَينِ مَن لَمْ يَسجُدْهُمَا فلا يَقْرَأْهَا»[1].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وفيهما: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: أفي سورة الحج سجدتان؟ قال: «نعم، ومَن لم يسجدهما فلا يقرأهما»، قال الترمذي: إسناده ليس بذاك القوي، واختلف أهل العلم في هذا، فروي عن عمر بن الخطاب، وابن =

(٧٨) ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾: للهِ ومن أَجلِهِ أعداءَ دينِه: الظَّاهرةَ كأهلِ الزَّيغ، والباطنَةَ كالهوى والنَّفسِ، وعنه عليه السَّلامُ: أنه رَجَعَ عَن غزوةِ تبوكَ فقال: «رَجَعْنَا مِن الجهادِ الأصغَرِ إلى الجهادِ الأكبَرِ»[1].

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾؛ أي: جِهادًا فيه حَقًّا خالِصًا لوَجهِهِ، فعكسَ، وأُضيفَ الحَقُّ إلى الجهادِ مُبالغَةً كقولِك: هو حقُّ عالمٍ، وأضيفَ الجهادُ إلى الضَّميرِ اتِّساعًا، أو لأَنَّهُ مُختَصٌّ باللهِ مِن حيثُ إنَّه مَفعولٌ لوجهِ اللهِ ومِن أَجلِه.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختارَكُم لدينِه ولنُصرَتِه، وفيه تَنبيهٌ على المُقتضي للجِهادِ والدَّاعي إليه.

وفي قولِه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ضِيقٍ بتكليفِ ما يشتَدُّ القيامُ به عليكُمْ؛ إشارةٌ إلى أنَّه لا مانِعَ لَهُم عنه ولا عُذرَ لَهُم في تركِه، أو إلى الرُّخصَةِ في إغفالِ بعضِ ما أمرَهُم بهِ مِن حَيثُ شَقَّ عليهِم؛ لقولِه عليهِ السَّلامُ «إذا أَمَرْتُكُم بشَيءٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطعْتُم»[2].

وقيل: ذلك بأَنْ جعلَ لهم مِن كُلِّ ذَنبٍ مخرجًا، بأَنْ رَخَّصَ لهم في المضايقِ وفتحَ عليهِمْ بابَ التَّوبَةِ، وشرعَ لَهُم الكَفَّاراتِ في حقوقِه، والأُروشَ والدِّياتِ في حقوقِ العِبادِ.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مُنتصبةٌ على المصدرِ لفعلٍ دَلَّ عليهِ مَضمونُ ما قبلَها بحذفِ المُضافِ؛ أي: وسَّعَ دينكُم تَوسِعَةَ مِلَّةِ أبيكُمْ، أو على الإغراءِ، أو الاختصاصِ. وإنَّما جعلَهُ أباهم لأنَّه أبو رسولِ اللهِ ﷺ، وهو كالأَبِ لأُمَّتِه مِن حيثُ إنَّه سببٌ

= عمر، أنهما قالا: «فُضِّلَتْ سورة الحج بأن فيها سجدتين».

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٢٣)، والبيهقي في «الزهد» (٣٧٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال: إسناده ضعيف.

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لحَيَاتِهم الأبديَّةِ ووُجودِهِم على الوَجهِ المُعتَدِّ به في الآخرَةِ، أو لأنَّ أكثرَ العرَبِ كانُوا مِن ذُرِّيَّتِه فغُلِّبُوا على غيرِهِم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾: مِن قبلِ القرآنِ في الكتبِ المُتَقدِّمَةِ ﴿وَفِي هَٰذَا﴾: وفي القرآنِ، والضَّميرُ للهِ، ويَدُلُّ عليه أنَّه قُرِئَ: (اللهُ سَمَّاكُم)[١]، أو: لإبراهيمَ، وتَسمِيَتُهُم مسلمينَ في القرآنِ وإنْ لَمْ تكُن منه كانَتْ بسببِ تَسمِيَتِه مِن قَبلُ في قولِه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقيل: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ تقديرُه: وفي هذا بيانُ تَسمِيَتِه إيَّاكُم مُسلمينَ.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ يومَ القيامَةِ، مُتعلِّقٌ بـ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾.

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأنَّه بَلَّغَكُم، فيدلُّ على قَبولِ شَهادَتِه لنَفسِه اعتمادًا على عِصمَتِه، أو: بطاعةِ مَن أطاعَ وعِصيانِ مَن عَصى.

﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتَبليغِ الرُّسُلِ إليهِم.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فتَقرَّبُوا إلى اللهِ بأنواعِ الطَّاعاتِ لِمَا خَصَّكُم بهذا الفَضلِ والشَّرفِ.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾: وثِقُوا به في مجامِعِ أُمورِكُم، ولا تَطلُبُوا الإعانَةَ والنُّصرَةَ إلَّا مِنهُ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصِرُكُم ومُتَولِّي أُمورِكُم.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ هو، إذْ لا مِثْلَ لَهُ في الوِلايَةِ والنُّصرَةِ، بَلْ لا مَوْلَى ولا نَصيرَ سِواهُ في الحقيقَةِ.

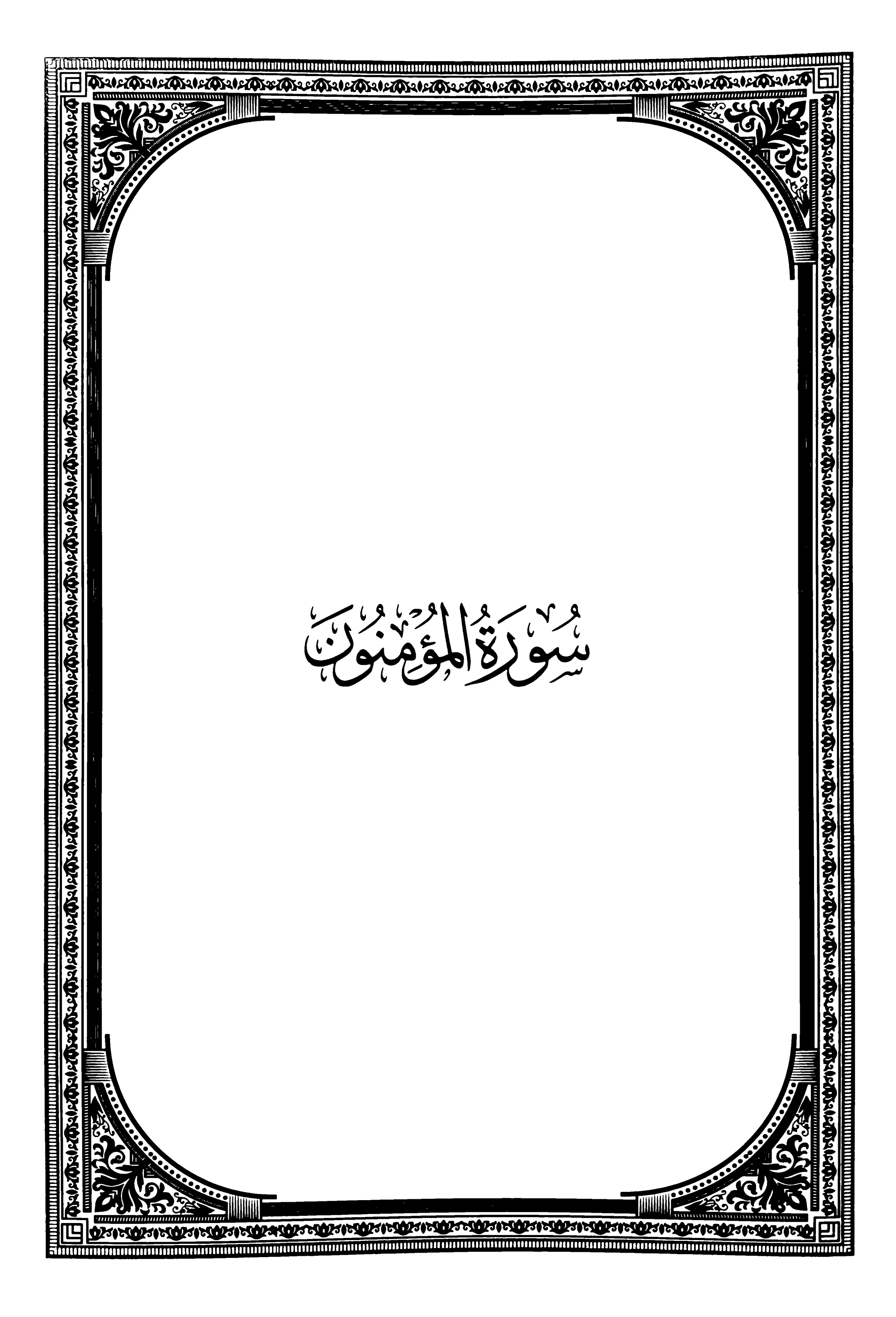
عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سورَةَ الحَجِّ أُعطِيَ من الأجر كحَجَّةٍ حجَّها وعُمرةٍ[٢] اعتمرَهَا بعددِ مَن حَجَّ واعتمرَ فيما مَضَى وفيمَا بَقِيَ»[٣].

---

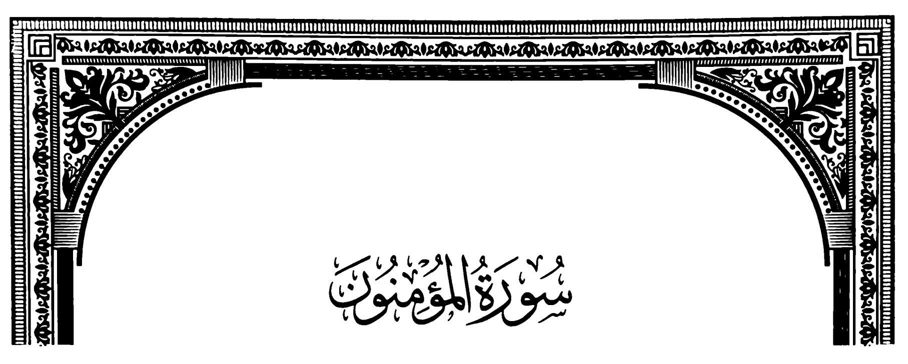
(١) نسبت لأبي بن كعب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩).

(٢) في نسخة التفتازاني: «أو عمرة».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).



سُورَةُ المُؤمِنُونَ



سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

مَكِّيَّةٌ، وهي مئةٌ وتسعَ عشرةَ آيةً عندَ البَصريِّينَ، وثماني عشرَةَ عندَ الكوفيِّينَ[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: قد فازوا بأَمانيهِم، و«قـد» تُثبِتُ المُتوقَّعَ كما أنَّ «لَمَّا» تَنفيهِ[2]، وتدلُّ على ثباتِه إذا دخلَت على[3] الماضي، ولذلك تقرِّبُه من الحالِ، ولَمَّا كانَ المؤمنونَ مُتوقِّعينَ ذلك مِن فضلِ اللهِ صُدِّرَت بها بِشارَتُهم.

وقرأَ وَرشٌ عَن نافعٍ: ﴿قَدَ افْلَحَ﴾ بإلقاءِ حركةِ الهمزَةِ على الدَّالِ وحَذفِها[4].

وقُـرِئَ: «أَفْلَحُـوا» علـى: «أَكَلُونـي البَراغِيـثُ»، أو على الإبهامِ والتَّفسـيرِ، و: «أفلَـحُ» اجتـزاءً بالضمَّةِ عَـن الـواوِ، و: «أُفْلِحَ» علـى البنـاءِ للمَفعولِ[5].

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩١)، وفيه: هي مئة وثماني عشرة آية في الكوفي، وتسع عشرة آية في عدد الباقين، اختلافُها آية ﴿وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥] لم يعدَّها الكوفي وعدَّها الباقون.

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/ ٥٩٧).

(٣) «على»: ليس في نسخة الفاروقي والتفتازاني والطبلاوي.

(٤) هذا من أصول رواية ورش ينقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي قبلها، فيحركه بحركتها ويسقط الهمزة وصلًا إلَّا أن يكون الساكن الذي قبل الهمزة أحد حروف المد واللين أو هاء السكت فإنه لا ينقل إليها حركة الهمزة. انظر: «العنوان في القراءات السبع» للسرقسطي (ص: ١٤٨).

(٥) القراءات الثلاث عن طلحة بن مصرف في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩).

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾: خائفونَ مِن اللهِ، مُتذلِّلونَ له، مُلزِمُون أبصارَهُم مَساجِدَهُم، رُوِيَ: أنَّه عليه السَّلامُ كانَ يُصلِّي رافعًا بصرَهُ إلى السَّماءِ، فلَمَّا نَزَلَتْ رمَى ببصرِهِ نحوَ مَسجدِهِ[1].

وأنَّه رأى رَجُلًا يعبثُ بلحيتِه فقالَ: «لو خَشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُه»[2].

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾: عمَّا لا يَعنيهِمْ مِن قَوْلٍ وفِعْلٍ ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ لِمَا بهم مِن الجِدِّ ما شَغَلَهُم عنه.

وهو أبلَغُ من: «الَّذينَ لا يلهونَ» مِن وجوهٍ: جَعلُ الجملةِ اسميَّةً، وبناءُ الحكمِ على الضَّميرِ، والتَّعبيرُ عنه بالاسمِ، وتَقديمُ الصِّلَةِ عليه[3]، وإقامَةُ الإعراضِ مُقامَ التَّركِ ليَدُلَّ على بُعدِهِم عنه رأسًا؛ مُباشَرَةً وتَسبُّبًا، وميلًا وحُضورًا، فإنَّ أصلَهُ أن يكونَ في عُرْضٍ غيرِ عُرْضِه، وكذلك قولُه:

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ وَصَفَهُم بذلك بعدَ وَصفِهِم بالخُشوعِ في الصَّلاةِ ليَدُلَّ على أنَّهُم بلَغُوا الغايةَ في القيامِ على الطَّاعاتِ البَدنيَّةِ والماليَّةِ، والتَّجنُّبِ عَن المُحرَّماتِ وسائرِ ما تُوجِبُ المُروءةُ اجتنابَه.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣)، من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلاً ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «التلخيص»: الصحيح مرسل.

(٢) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢٤)، وضعفه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٧٨)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» من كلام سعيد بن المسيب (٦٧٨٧).

(٣) قوله: «والتعبير عنه»؛ أي: عن الحكم «بالاسم» وهو ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾، «وتقديم الصلة»؛ أي: وهو ﴿عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾ (عليه)؛ أي: على الاسم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٤٦).

والزَّكاةُ تقَعُ على المعنى[1] والعينِ[2]، والمرادُ الأوَّلُ؛ لأنَّ الفاعلَ فاعلُ الحَدثِ، لا المحلِّ الَّذي هو موقِعُه، أو الثَّاني على تقديرِ مُضافٍ[3].

(٥ ـ ٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ لا يَبذُلُونَها[4] ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾: زَوجاتِهم أو سُرِّيَّاتِهم[5].

و﴿عَلَىٰٓ﴾ صِلَةٌ لـ﴿حَٰفِظُونَ﴾[6]، مِن قَولِك: «احفَظْ عليَّ عِنَانَ فَرَسِي»[7]، أو حالٌ؛ أي: حَفِظُوها في كافَّةِ الأحوالِ إلَّا في حال التَّزوُّجِ أو التَّسرِّي.

وإنَّما قالَ: ﴿مَا﴾ إجراءً للمَماليكِ مُجرى غيرِ العُقَلاءِ، إذ المِلْكُ أصلٌ شائعٌ فيه[8].

وإفرادُ ذلك بعدَ تَعميمِ قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ لأنَّ المُباشرةَ أشهى الملاهِي إلى النَّفسِ وأعظَمُها خطَرًا.

﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ الضَّميرُ لـ﴿حَٰفِظُونَ﴾، أو لِمَن دلَّ عليه الاستثناءُ؛ أي: فَإِنْ بَذَلُوها لأزواجِهِم أو إمائِهِم فإنَّهُم غيرُ مَلُومينَ على ذلك.

---

(١) وهو فعلُ المُزَكِّي الذي هو التَّزكِيَةُ. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٥/ ٦٠١).

(٢) وهو القَدرُ المخرجُ. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٥/ ٦٠٠).

(٣) والتقدير عليه: والذين هم لأداء الزكاة فاعلون. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٥/ ٦٠١).

(٤) قال المطرزي: الحفظُ خِلافُ النِّسيانِ، وقَد يُجعَلُ عِبارةً عَن الصَّونِ وتَركِ الابتذالِ، يقال: فلانٌ يحفَظُ نفسَه ولِسانَه؛ أي: لا يَبتذِلُ له فيمَا لا يعنيه. انظر: «المغرب» (١/ ١٢٢).

(٥) جمع سُرِّيَّة، وهي جارية يطؤها المولى للتناسل. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٤٧).

(٦) في نسخة التفتازاني: «الحافظين».

(٧) وهذا ـ كما قال الزمخشري ـ على تضمينه معنى النَّفي؛ كأنه قال: والذين هم لفروجهم غيرُ حافظين إلا على أزواجهم. انظر: «الكشاف» (٥/ ٦٠٢).

(٨) وافق في هذا الرازي، وخالف الزمخشري الذي حمله على الإناث. انظر: «الكشاف» (٥/ ٦٠٢)، و«تفسير الرازي» (٩/ ٤٨٦) و(٢٣/ ٢٦٢).

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ المستثنى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: الكاملونَ في العُدوانِ.

(٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾: لِمَا يُؤتَمنونَ عليه ويُعاهَدونَ مِن جهَةِ الحَقِّ أو الخلقِ ﴿رَٰعُونَ﴾: قائمونَ بحِفْظِها وإصلاحِها.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ هنا وفي المعارجِ: ﴿لأمانَتِهم﴾ على الإفرادِ[١] لأمنِ الإلباسِ، أو لأنَّها في الأصلِ مَصدَرٌ.

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يُواظِبُونَ عليها ويُؤدُّونَها في أوقاتِها، ولفظُ الفعلِ فيه لِمَا للصَّلاةِ مِن التَّجدُّدِ والتَّكرُّرِ[٢]، ولذلك جمعَهُ غيرُ حمزةَ والكِسائيِّ[٣].

وليس ذلك تكريرًا لِمَا وَصَفَهُم به أوَّلًا، فإنَّ الخشوعَ في الصَّلاةِ غيرُ المُحافظةِ عليها.

وفي تَصديرِ الأوصافِ وختمِها بأمرِ الصَّلاةِ تعظيمٌ لشَأنِها[٤].

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعونَ لهذه الصِّفاتِ[٥] ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: الأحقَّاءُ بأَنْ يُسَمَّوْا وُرَّاثًا دونَ غيرِهم ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ بيانٌ لِمَا يَرِثونَهُ، وتقييدٌ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) يعني: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ جاء بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار التجدُّدي خلافًا لفواصل الآيات السابقة التي جاءت بصيغة الاسم ﴿خَٰشِعُونَ﴾ و﴿مُعْرِضُونَ﴾ و﴿فَٰعِلُونَ﴾... انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٤٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٤) فأول صفة المؤمنين في هذه السورة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، وآخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

(٥) يعني: أن ذكر اسم الإشارة كإعادة الموصوفين بصفاتهم المذكورة أوَّلاً، ولا يخفى أن ترتيب الحكم على وصف مؤذن بأن الوصف هو موجب الحكم. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٤٣).

للوِراثةِ بعد إطلاقِها؛ تفخيمًا لها وتأكيدًا، وهي مستعارةٌ لاستِحقاقِهم الفردوسَ مِن أَعمالِهم وإن كانَ بمُقتَضى وَعدِه مبالغةً فيه[١].

وقيلَ: إنَّهُم يَرِثونَ من الكفَّارِ مَنازِلَهُم فيها حيثُ فوَّتُوهَا على أنفُسِهِم؛ لأَنَّه تعالى خلقَ لكُلِّ إنسانٍ مَنزِلًا في الجنَّةِ ومَنزِلًا في النَّارِ[٢].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أنَّثَ الضَّميرَ[٣] لأَنَّه اسمٌ للجنَّةِ أو لطَبَقتِها الأعلى.

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾: مِن خُلاصَةٍ سُلَّتْ مِن بينِ الكَدَرِ ﴿مِّن طِينٍ﴾ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ لأَنَّه صِفَةٌ لـ﴿سُلَٰلَةٍ﴾، أو ﴿مِن﴾ بيانيةٌ[٤]، أو: بمَعنى ﴿سُلَٰلَةٍ﴾[٥] لأَنَّها في مَعنى: مَسلولةٍ، فتكونُ ابتدائيَّةً كالأولى.

---

(١) الضمير يعود على الاستحقاق، ووجه المبالغة أنَّ الوراثة أقوى أسباب الملك. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٤٤).

(٢) وقد روي هذا مرفوعًا، روى ابن ماجه (٤٣٤١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلاَّ له مَنزلانِ: منزلٌ في الجنَّةِ، ومنزلٌ في النَّارِ، فإذا ماتَ فدخلَ النَّارَ ورثَ أهلُ الجنَّةِ منزلَه، فذلك قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾». وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٤٢).

(٣) مع أنه يعود على ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ ولفظه مذكَّر. وقيل: التأنيث في «الفردوس» أجودُ، والتذكير يُذهب به إلى البستان. انظر: «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٢٢٠).

(٤) قوله: «متعلق بمحذوف...» فـ﴿مِن﴾ تبعيضية ـ لأن ما أخرج من الشيء يكون بعضًا منه لا محالة ـ أو ابتدائية، ولم يصرّح به لظهوره ولمقابلته بقوله: «أو ﴿مِّن﴾ بيانية»، وكونها بيانية يعني: أن المراد بالطين هو نفس السلالة، لا ما أخرجت عنه السلالة. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٤٢٧)، و«حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١٣/ ١٤٥).

(٥) قوله: «أو بمعنى سلالة» معطوف على قوله: «بمحذوف» أي: أو متعلقٌ بمعنى ﴿سُلَٰلَةٍ﴾، وهو ما بيَّنه بقوله: «لأنها في معنى: مسلولة» فهو متعلق به بلا تقدير، «فتكون»؛ أي: ﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن طِينٍ﴾ «ابتدائيةً كالأولى»؛ أي: كـ﴿مِّن﴾ الأولى في قوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ١٤٨).

والإنسانُ: آدَمُ، خُلِقَ مِن صفوَةٍ سُلَّتْ مِـن الطِّينِ، أو الجنسُ فإنَّهُم خُلِقُوا مِن سُلالاتٍ جُعِلَت نُطفًا بعدَ أدوارٍ.

وقيلَ: المرادُ بالطِّينِ: آدمُ؛ لأنَّه خُلِقَ مِنْه، والسُّلالةُ: نُطفَتُه[1].

(١٣) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾: ثمَّ جَعَلنا نسلَهُ ـ فحُذِفَ المُضافُ ـ ﴿نُطْفَةً﴾ بأَنْ خلَقْناه منها، أو: ثمَّ جَعَلْنَا السُّلالةَ نُطفَةً، وتذكيرُ الضَّميرِ على تأويلِ الجَوْهَرِ أو المسلولِ أو الماءِ.

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ مُستَقِرٌّ حَصِينٍ؛ يعـني: الرَّحِمَ، وهو في الأصلِ صِفَةٌ للمستقِرِّ وُصِفَ به المحلُّ مُبالغةً[2]؛ كما عبَّر عنه بالقرارِ[3].

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بأَنْ أَحَلْنَا[4] النُّطفةَ البَيضاءَ علَقَةً حمراءَ.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: فصَيَّرْناها قِطعةَ لَحْمٍ.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ بأَنْ صلَّبْناهَا.

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ ممَّا بَقِيَ مِن المُضغَةِ، أو ممَّا أَنْبَتْنا عليها ممَّا يَصِلُ إليها[5].

---

(١) ذكره الكرماني في «لباب التفاسير»، وهو معدود عنده في الغرائب، انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٢).

(٢) قال الطِّيبِيُّ: يريدُ أنَّ قوله: ﴿مَّكِينٍ﴾ صِفَةٌ للنُّطفةِ في الأصلِ، وقد أُجرِيَ على مَكانِها ومُستَقرِّها ـ وهو الرَّحِمُ ـ على الإسنادِ المجازيِّ نحو: «طريقٌ سائرٌ» للمُبالغَةِ. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٥٧).

(٣) أصل «القرار»: مصدر قرَّ يقرُّ؛ بمعنى: ثبت يثبت، ثمَّ أُطلق على المستقَرِّ، وهو محلُّه مبالغة. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٤٧).

(٤) في نسخة التفتازاني: «بأن خلقنا».

(٥) استظهر القونوي أن يكون لحم المضغة كلُّه استحال عظامًا، وأن يكون اللحم من الأغذية التي تصل إليها. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٤٧).

واختـلافُ العواطـفِ لتَفاوُتِ الاسـتحالاتِ[١]، والجمعُ لاختلافِهـا في الهيئةِ والصَّلابةِ[٢].

وقرأَ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ على التَّوحيدِ[٣] فيهما اكتفاءً باسمِ الجنسِ عن الجَمعِ، وقُرِئَ بإفرادِ أحدِهما وجَمعِ الآخرِ[٤].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هو صُورَةُ البَدَنِ، أو الرُّوحُ، أو القُوَى بنَفخِه فيه، أو المَجموعُ، و﴿ثُمَّ﴾ لِمَا بينَ الخَلقَيْنِ مِن التَّفاوُتِ، واحتجَّ به أبو حنيفةَ على أنَّ مَن غصبَ بيضَةً فأفرخَتْ عِندَهُ لَزِمَه ضمانُ البيضَةِ لا الفرخِ؛ لأنَّه خلقٌ آخرُ[٥].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: فتعالى شأنُهُ فـي قُدرَتِه وحِكمَتِه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: المُقدِّرينَ تقديرًا[٦]، فحُذِفَ المميِّزُ لدلالةِ ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ عليه.

---

(١) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: يعني: عُطف بعضُها بـ«ثمَّ» الدَّالَّة على التراخي، وبعضها بالفاء الدَّالّة على التعقيب، مع أنَّ الوارد في الحديث من أن مدة كل استحالة أربعين. ثم قال: «لتفاوت الاستحالات» يعني: أنَّ بعضها مستبعد حصوله ممَّا قبله وهو المعطوف بـ«ثم»، فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسيّ.

(٢) أي: جمع العظام دون غيرها من العلقة والمضغة؛ لأن العظام متغايرة هيئة وصلابة بخلاف غيرها. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٤٨).

(٣) أي: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عَظْمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعَظْمَ لَحْمًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٤) انظر: «المحتسب» (٢/ ٨٧) عن مجاهد بجمع الأول وإفراد الثاني، وعن السلمي وقتادة والأعرج والأعمش بعكسها.

(٥) انظر: «الأصل» للشيباني (٨/ ١٧). وهذه مسألة تغيير العين المغصوبة بفعل الغاصب، وقد أفرد الإمام القدوري في كتابه «التجريد» (٧/ ٣٣٦٦) فصلاً مطولاً في مناقشتها فراجعه هناك.

(٦) قولُـه: «المقدريـنَ» تفسـير لـ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، وقولـه: «تَقديـرًا» تمييـز؛ لأنه جـاء بعد اسـم التفضيل ﴿أَحْسَنُ﴾. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٥٩).

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾: لَصائِرونَ إلى الموتِ لا محالةَ، ولذلك ذُكِرَ النَّعتُ الَّذي للثُّبوتِ دونَ اسمِ الفاعلِ[١]، وقد قُرِئَ به[٢].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ للمُحاسبَةِ والمجازاةِ.

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾: سماواتٍ؛ لأنَّها طُورِقَ بَعضُها فوقَ بعضٍ مُطارقَةَ النَّعلِ[٣]، وكلُّ ما فوقَهُ مثلُه فهو طريقةٌ[٤]، أو لأنَّها طرقُ الملائكةِ أو الكواكبِ فيها مَسيرُها.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾: عن ذلك المَخلوقِ الَّذي هو السَّماواتُ، أو عن جميعِ المَخلوقاتِ.

﴿غَافِلِينَ﴾: مُهمِلينَ أَمْرَها، بل نحفَظُها عن الزَّوالِ والاختلالِ، ونُدبِّرُ أمرها حتَّى تَبلُغَ مُنتهَى ما قُدِّرَ لها من الكمالِ حَسْبَما اقتضَتْهُ الحِكمَةُ وتعلَّقَتْ به المَشيئَةُ.

(١٨) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بتقديرٍ يكثُرُ نفعُهُ ويُقِلُّ ضرَّهُ، أو: بمقدارِ ما عَلِمْنا مِن صَلاحِهِم.

---

(١) قوله: «ولذلك»؛ أي: لكون المصير إلى الموت أمراً ثابتًا لا محالة «ذُكِرَ النَّعتُ الَّذي للثُّبوتِ» وهو الصفة المشبهة «ميِّت»، ولم يذكر اسم الفاعل «مائت» الذي يفيد الحدوث. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٥٢).

(٢) أي: «لمَائتُون»، عن عيسى بن عمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩)، ونسب لابن أبي عبلة وابن محيصن في «الكامل في القراءات» (ص: ٦٠٥)، و«الكشاف» (٥/ ٦٠٨).

(٣) هذا لبيان سبب تسمية السماوات سبع طرائق؛ أي: سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض، يقال: طارَقَ النَّعلَ: صيَّرَها طاقًا فوقَ طاقٍ، ورَكَّبَ بعضَها فوقَ بعضٍ. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٢٢)، و«حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٥٢).

(٤) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: لبيان أنّ مدار إطلاق «الطريقة» على السماء فوقيَّةُ مثلها عليها، لا فوقيتها على مثلها، فهو لتعيين أحد محتملي ما قبله، وهو قوله: «طورق بعضها».

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾: فجعلناه ثابتًا مُستقِرًّا ﴿فِي ٱلْأَرْضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ﴾: على إزالَتِه بالإفسادِ، أو التَّصعيدِ، أو التَّعميقِ بحيثُ يتعذَّرُ استِنباطُه ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ كما كُنَّا قادرينَ على إنزالِه.

وفي تنكيرِ ﴿ذَهَابِۭ﴾ إيماءٌ إلى كثرةِ طُرقِه، ومُبالغةٌ في الإيعادِ به[1]، فلذلك جُعِلَ أبلغَ مِن قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

(١٩) - ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾: في الجنَّاتِ ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكَّهُون بها ﴿وَمِنْهَا﴾: مِن الجنَّاتِ ثمارَها وزُروعَها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ تَغذِّيًا، أو تَرتزِقونَ فتحصِّلُونَ[2] مَعايِشَكُم، مِن قَولِهم: فلانٌ يأكُلُ مِن حِرفَتِه.

ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرانِ للنَّخيلِ والأعنابِ؛ أي: لَكُم في ثَمرتِهمَا أنواعٌ مِن الفَواكِه: الرُّطَبُ والعنبُ والتَّمرُ والزَّبيبُ والعصيرُ والدِّبسُ[3] وغيرُ ذلك، وطعامٌ[4] تأكلونَه.

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني والطبلاوي: «في الإبعاد به» وفي هامش نسخة الفاروقي كالمثبت نسخة. ومثله في «تفسير البيضاوي» مع حواشي كل من شيخ زاده والشهاب الخفاجي والقونوي: (في الإبعاد به) بالباء، وعليه شرحوا، وكذا جاء في «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٨)، و«محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٨٥). والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف»، و«البحر» (١٥/ ٤٣٣). قلت: وكلا اللفظين يحتملهما السياق، ولعلنا لو جمعنا بينهما لم نُبعد، لأن في المبالغة بالإبعاد إيعاد لهم شديد، وقد يكون الآلوسي في «روح المعاني» (١٨/ ٤٧) أشار لهذا في درج كلامه معددًا وجوه أبلغية هذه الآية على آية الملك، فذكر من هذه الوجوه: تضمين الإيعاد هنا إيعادَهم بالإبعاد عن رحمة الله تعالى؛ لأن «ذهب به» يستلزم مصاحبة الفاعل المفعولَ، وذهاب الله تعالى عنهم مع الماء بمعنى ذهاب رحمته سبحانه عنهم ولعنهم وطردهم عنها.

(٢) في نسخة التفتازاني والخيالي: «ترزقون وتحصلون»، وفي نسخة الطبلاوي: «ترتزقون وتحصلون».

(٣) هو عسل التَّمر وعُصارته. انظر: «تاج العروس» (١٦/ ٤٧).

(٤) معطوف على «أنواعٌ».

(٢٠) ـ ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وقُرِئَ بالرَّفعِ[١] على الابتداءِ؛ أي: وممَّا أنشأَ لَكُم به شجرةٌ.

﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سِيْنَاءَ﴾ جبلِ مُوسى بينَ مِصرَ وأَيْلةَ، وقيلَ: بِفِلَسْطينَ، وقد يُقالُ لهُ: طُورُ سِيْنِينَ، ولا يخلو من أن يكونَ الطُّورُ للجَبلِ و﴿سِيْنَاءَ﴾ اسمُ بُقعَةٍ أُضيفَ إليها، أو المركَّبُ منهما عَلَمٌ له كـ«امرئِ القيسِ»، ومُنِعَ صرفُه للتَّعريفِ والعُجمَةِ، أو التَّأنيثِ على تأويلِ البُقعَةِ، لا للألفِ لأنَّه فِيعَالٌ كـ«دِيمَاسٍ»، مِن «السَّناءِ» بالمدِّ وهو الرِّفعَةِ، أو بالقَصرِ وهو النُّورُ، أو ملحَقٌ بِفِعْلَالٍ كـ«عِلْبَاءَ» مِن السِّينِ؛ إذ لا فِعْلاءَ بألفِ التَّأنيثِ، بخلافِ ﴿سَيْنَآءَ﴾ على قراءةِ الكوفِيِّينَ والشَّاميِّ ويعقوبَ[٢] فإنَّه فَيْعَالٌ كـ«كَيْسَانَ»، أو فَعلاءُ كـ«صَحراء»، لا فَعْلالٌ؛ إذ ليس في كلامِهِم، وقُرِئَ بالكسرِ والقَصرِ[٣].

﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾؛ أي: تنبتُ ملتبِسًا[٤] بالدُّهنِ ومُستصحِبًا له، ويجوزُ أن تكونَ الباءُ صِلةً مُعدِّيَةً[٥] لـ﴿تَنبُتُ﴾؛ كما في قولِك: ذهبتُ بزَيْدٍ.

---

(١) نسبت لعاصم ونافع في رواية، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩). والمشهور عنهما النصب كالجماعة.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤، ٤٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٨).

(٣) أي: «سينا». انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩)، وقد نسبه الكرماني لإسماعيل عن أهل المدينة. انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٣٣). وانظر الكلام في الاختلاف في وزن «سيناء» في «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٤٩٨)، و«الدر المصون» للحلبي (٨/ ٣٢٦ـ ٣٢٨).

(٤) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: الظاهر أن يقدره: ملتبسة، لكنه في النسخة التي عندنا «ملتبساً» فكأنه أوَّل بـ: ملتبسًا ثمرها؛ لأنه الملابس للدهن في الحقيقة.

(٥) قوله: «معدِّية» تفسير لقوله: «صلة»؛ لأنَّ الصلة تكون بمعنى: الزائدة، وليس هذا مرادًا هنا، وتكون بمعنى المعين على وصول الفعل إلى ما حقه أن يكون مفعوله لو كان متعديًا، وقيل: الأولى الاكتفاء بكونها معدِّية. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٥٥).

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ويعقوبُ في روايةٍ: ﴿تُنْبِتُ﴾[1]، وهو إمَّا مِن «أنبتَ» بمعنى: نَبَتَ؛ كقولِ زهيرٍ:

رأيتُ ذَوِي الحاجاتِ عندَ بُيوتِهم قَطِينًا لَهُم حَتَّى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ[2]

أو على تقدير: تُنْبِتُ زَيتونَها مُلتبِسًا بالدُّهنِ.

وقُرِئَ على البناءِ للمَفعولِ[3] وهو كالأوَّلِ، و: «تُثْمِرُ بالدُّهْنِ»[4]، و: «تَخْرُجُ بالدُّهْنِ»[5]، و: «تُخرِجُ الدُّهنَ»[6]، و«تَنبُتُ بالدِّهَانِ»[7].

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ معطوفٌ على «الدُّهنِ» جارٍ على إعرابِه، عَطْفَ أحدِ وَصفَي

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩)، و«النشر» (٢/ ٣٢٨).

(٢) انظر: «ديوان زهير بن أبي سلمى» تحقيق: حمدو طماس (ص: ٥٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٥٣٩)، و«أشعار الشعراء الستة الجاهليين» للأعلم الشنتمري (ص: ٤٨ ـ ٤٩). وقبله:

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ المَالِ فِي الجَحْرَةِ الأَكْلُ

و«رأيت» بتاء المتكلم أو المخاطب، وهو جواب «إذا» في البيت الذي قبله، والمعنى: إذا الناس لزموا بيوتهم لشدة البرد، وأكلوا ما فيها من طعام، رأيت الناس المحتاجين مقيمين حول بيوتهم يخدمونهم لينالوا من فضلهم، ولا ينصرفون حتى يأتي الربيع ويعمَّ الخير.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩) عن عامر بن قيس، و«المحتسب» (٢/ ٨٨) عن الزهري والحسن والأعرج.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩) عن أبي بن كعب.

(٥) انظر: «المحتسب» (٢/ ٨٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٠)، عن ابن مسعود.

(٦) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٣٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩). وفي المصدر الأخير: (يخرج بالدهن) بالياء.

(٧) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٠)، عن سليمان بن عبد الملك والأشهب.

الشَّيءِ على الآخرِ؛ أي: تَنْبُتُ بالشَّيءِ الجامعِ بينَ كونِه دُهنًا يُدهَنُ به ويُسرَجُ منه، وكونِه إدامًا يُصبغُ فيه الخبزُ؛ أي: يُغمَسُ فيه للائتدامِ.

وقُرِئَ: «وصِبَاغٍ»[1]؛ كـ«دِبَاغٍ» في «دِبْغَ»[2].

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ تَعْتَبرونَ بحالِها وتَستَدِلُّون بها ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ مِن الألبانِ، أو مِن العلفِ فإنَّ اللَّبنَ يَتكوَّنُ منه، فـ«مِن» للتَّبعيضِ أو الابتداءِ.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ ويعقوبُ: ﴿نَسْقِيكُم﴾ بفتحِ النُّونِ[3].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: في ظُهورِها وأصوافِها وشُعورِها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فتَنْتَفِعُونَ بأَعيانِها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾: وعلى الأنعامِ، فإنَّ مِنْها ما يُحمَلُ عليه كالإبلِ والبَقرِ.

وقيلَ: المرادُ الإبلُ؛ لأنَّها هي المحمولُ عليها عِندَهُم، والمناسبُ للفُلْكِ؛ فإنَّها سَفائِنُ البَرِّ، قالَ ذو الرُّمَّةِ:

سَفِينَةُ بَرٍّ تَحتَ خَدِّي زِمَامُهَا[4]

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩) عن عامر بن عبد الله.

(٢) في نسخة التفتازاني: «كالدباغ في الدبغ».

(٣) بفتح النون من السَّقي، والباقون بضم النون من الإسقاء، وقرأ أبو جعفر: ﴿تَسْقِيكُم﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٤) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٠٠٤)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٤٢٠). وصدره:

طُروقًا وجِلْبُ الرَّحْلِ مشدودةٌ به

قال البغدادي: الطروق: مصدر طرق؛ أي: أَتَى لَيْلًا. «وجلب الرحل»: بكسر الجيم وضمِّها: عيدانه وخشبه، وهو مبتدأ و«مشدودةٌ» خبرُه، و«سفينة» نائب فاعل الخبر، و«به»؛ أي: بالجلب. وأراد =

فيكونُ الضَّميرُ فيه كالضَّميرِ في ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨][(١)].

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البرِّ والبَحرِ.

(٢٣) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إلى آخرِ القصصِ، مَسوقٌ لبيانِ كُفرانِ النَّاسِ ما[(٢)] عدَّدَ عليهِمْ مِن النِّعَمِ المتلاحقةِ، وما حاقَهُم[(٣)] مِن زَوالِها.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ استئنافٌ لتعليلِ الأمرِ بالعبادةِ[(٤)]، وقُرِئَ: ﴿غيرِهِ﴾ بالجرِّ على اللَّفظِ[(٥)].

= بسفينة البرّ: النَّاقة، و«زمامها» مبتدأ، و«تحت خدّي» خبره. والجملة: صفة «سفينة»، يُريد: أنه كان نزل عن ناقته آخِرَ اللَّيلِ، وجعلَ زمامَها تحت خدِّه ونام.

(١) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: أي هو مما رجع الضمير فيه إلى بعض أفراد عام مذكور قبله باعتبار بعضه؛ فانَّ المذكور في هذه الآية أوَّلاً مطلق المطلقات، والضمير من ﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾ راجع إلى بعضهن وهي المطلقات الرجعية، لكنه هنا أظهر؛ لأنَّ الأنعام بحسب الأصل مخصوص بالإبل، فالاستخدام فيه ظاهر.

قلت: الاستخدام معدود في المحسنات البديعية، وهو: أن يذكر لفظٌ بمعنى، ويعاد عليه ضمير بمعنى آخر سواء كان حقيقيًّا أو مجازيًّا. وانظر: «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٤٥)، و«الأطول» لابن عربشاه (١/ ١٠١).

(٢) «ما» اسم موصول في محل نصب مفعول به للمصدر «كفران».

(٣) أي: أصابهم، ولذلك عدَّه بنفسه مع أن الأصل فيه أن يُعدَّى بالباء. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٥٩).

(٤) قال الطِّيبيُّ: وذلك أنَّه لَمَّا قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: خُصُّوه بالعبادةِ، قالوا: لمَ يأمُرُ بعبادَتِه وحدَه؟ قال: لأنَّه قال: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، فدَلَّ اختصاصُ الجَوابِ على اختصاصِ ما بُنِيَ له الكَلامُ، وأنَّ مقامَ الخِطابِ مع المُشركينَ استَدْعَى الاختِصاصَ. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٧٠).

(٥) قرأ بها الكسائي، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١١٠).

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافونَ أن يزيلَ عَنكُم نِعمَهُ فيُهلِكَكُم ويُعذِّبَكُم برفضِكُم عِبادَتَهُ إلى عبادةِ غيرِه، وكفرانِكُم نِعمَهُ الَّتي لا تُحصونَها.

(٢٤) - ﴿فَقَالَ الْمَلَؤُا﴾: الأشرافُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ لعوامِّهِم: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أن يطلبَ الفضلَ عَلَيكُم ويَسُودَكُم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يُرسِلَ رَسولًا ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ رُسُلًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ يعنون[1]: نوحًا؛ أي: ما سَمِعْنا به أنَّه نَبِيٌّ، أو ما كلَّمَهُم بِهِ مِن الحثِّ على عبادةِ اللهِ ونفيِ إلهٍ غيرِه، أو مِن دَعوَى النُّبوَّةِ، وذلك إمَّا مِن فَرطِ عِنادِهِم، أو لأنَّهم كانُوا في فترةٍ مُتطاوِلَةٍ.

(٢٥) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾؛ أي: جنونٌ؛ ولأجلِه يقولُ ذلك، ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾: فاحتَمِلُوه وانتَظِروا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ لعلَّه يُفيقُ مِن جُنونِه.

(٢٦) - ﴿قَالَ﴾ بعدَما أَيِسَ مِن إيمانِهِم: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإهلاكِهِم، أو بإنجازِ ما وعدتُهُم من العَذابِ[2] ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بدلَ تكذيبِهِم إيَّايَ، أو: بسببِه.

(٢٧) - ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظِنا، نحفظُه أن تُخطِئَ فيه، أو يُفسِدَ عليك مفسِدٌ ﴿وَوَحْيِنَا﴾: وأمرِنا وتعليمِنا كيفَ تُصنَعُ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالرُّكوبِ، أو نزولِ العَذابِ ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ رُوِيَ: أنَّه قيلَ لنُوحٍ عليهِ السَّلامُ: إذا فارَ الماءُ مِن التَّنُّورِ اركَبْ أنتَ ومَن معكَ، فلَمَّا نبعَ الماءُ منه أخبرَتْه امرأتُه فرَكِبَ[3].

---

(١) أي: يعنون بكلمة ﴿هَٰذَا﴾.

(٢) فمتعلق ﴿انصُرْنِي﴾ محذوف، وقد قدره بأحد هذين الأمرين. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٧٢).

(٣) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد.

ومحلُّهُ في مَسجدِ الكُوفَةِ عَن يمينِ الدَّاخلِ ممَّا يَلِي بابَ كِنْدَةَ[١].

وقيلَ: عَيْنُ وردَةَ مِن الشَّامِ[٢].

وفيه وجوهٌ أُخَرُ ذكرتُها في «هود».

﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾: فأدخِلْ فيها، يُقالُ: «سلكَ فيه» و«سلكَ غيرَهُ»[٣]، قالَ تعالى: ﴿مَاسَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿مِن كلِّ زَوْجَينِ اثنَينِ﴾ مِن كلِّ أُمَّتَي الذَّكرِ والأُنثى واحدَينِ مُزدوجَينِ.

وقرأَ حفصٌ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتَّنوينِ[٤]؛ أي: مِن كلِّ نوعٍ زَوْجَينِ، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: وأهلَ بيتِكَ، أو: مَن آمنَ مَعَك.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: القولُ مِن اللهِ بإهلاكِه لكفرِه[٥]، وإنَّما

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٠) عن الشعبي.
ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٥): أنه كان يحلف بالله ما فار التَّنُّور إلَّا من ناحية الكوفة.
ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨) عن محمد بن علي بلفظ: فار التَّنُّورُ مِن مسجدِ الكوفة مِن قِبَلِ أبوابِ كِنْدَةَ. وقال: وروي عن حذيفة والشعبي ومجاهد نحو ذلك، وقد روي عن علي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنه العين التي بالجزيرة عين الوردة. ورواه أيضًا عن قتادة. قلت: وعين الوردة هو رأس العين المدينة المشهورة بالجزيرة من أرض الشام. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٧ و١٨٠).

(٣) «سلك فيه»؛ أي: دخله بنفسه، وهو لازم، ومصدره: سُلُوك، و«سلكَ غيرَه» متعدٍّ، ومصدره: سَلْك، وهو الذي في الآية. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٥٨).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٥) في نسخة الفاروقي: «بهلاكه لكفره».

جيءَ بـ«عَلى» لأنَّ السَّابِقَ ضارٌّ؛ كما جيءَ باللَّامِ حيثُ كانَ نافعًا في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١][(١)].

﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالدُّعاءِ لهم بالإنجاءِ ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالةَ؛ لظُلمِهم بالإشراكِ والمَعاصي، ومَن هذا شَأنُه لا يُشفَعُ له ولا يُشفَّعُ فيه، كيفَ وقَدْ أمرَهُ بالحمدِ على النَّجاةِ مِنْهُم بهلاكِهِمْ بقولِه:

(٢٨) ـ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ كقولِه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥][(٢)].

(٢٩) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ في السَّفينةِ أو في الأرضِ ﴿مَنْزِلًا مُبارَكًا﴾ يتسبَّبُ لِمَزيدِ الخيرِ في الدَّارينِ.

وقرأَ غيرُ أبي بكرٍ: ﴿مُنزَلًا﴾[(٣)] بمعنى: إنزالًا، أو: موضعَ إنزالٍ.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ثناءٌ مُطابِقٌ لدُعائِه أمرَهُ بأَنْ يَشفَعَهُ به مبالغةً فيه وتَوسُّلًا به إلى الإجابةِ.

---

(١) يستعمل «على» في المضار في بعض مواضع استعمالاته؛ كما يقال: دعا عليه، وشهد عليه، وادَّعى عليه، وكقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، كما يجيء اللام في المنافع مثل: دعا له، وشهد له. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٦٤).

(٢) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: وههنا نكتة، وهي: أنَّ في هذه الآية إشارةً إلى أنه لا ينبغي المسرّة بمصيبة أحد ـ ولو عدواً ـ من حيث كونُها مصيبة له، بل لما تضمَّنته من السلامة من ضرره، أو تطهير الأرض من وسخ شركه وإضلاله، ولذا قال: «نجانا» دون «أهلكهم»؛ لأمره بالحمد هنا، وصرَّح بقطع دابرهم ثمة، فافهم.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

وإنَّما أفردَه بالأمرِ[١] ـ والمعلَّق به أن يستويَ هو ومَن معَهُ ـ إظهارًا لفَضلِه، وإشعارًا بأنَّ في دُعائِه مندوحةً عَن دُعائِهم؛ فإنَّه يُحيطُ بِهِم.

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فُعلَ بنُوحٍ وقومِه ﴿لَآيَٰتٍ﴾ يَستدِلُّ بها ويَعتبِرُ أولو الاستبصارِ[٢] والاعتبارِ ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ﴾: لمصيبينَ قومَ نُوحٍ ببلاءٍ عَظيمٍ، أو: ممتحنينَ عبادَنا بهذه الآياتِ.

و«إنْ» هي المُخفَّفَةُ، واللَّامُ هي الفارقَةُ[٣].

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم عادٌ أو ثَمودُ[٤] ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ هو هودٌ أو صالحٌ[٥].

وإنَّما جعلَ القَرنَ مَوضِعَ الإرسالِ[٦] ليَدُلَّ على أنَّه[٧] لم يَأتِهم مِن مَكانٍ غيرِ مَكانِهم، وإنَّما أُوحِيَ إليه وهو بينَ أَظهُرِهم.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ تفسيرٌ لـ﴿أرسلْنا﴾؛ أي: قُلْنا لهم على لسانِ الرَّسولِ: اعبدوا اللهَ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ اللهِ؟!

---

(١) في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «الأبصار».

(٣) هذا على قول أهل البصرة، وعند أهل الكوفة «إنْ» نافية بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلا»؛ أي: ما كنا إلا مبتلين. انظر: «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للهمذاني (٤/ ٥٩٤).

(٤) في نسخة الطبلاوي والخيالي والتفتازاني: «وثمود».

(٥) في نسخة التفتازاني: «وصالح».

(٦) حيث قيل: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ﴾، و«في» تدلُّ على الظرفية، وكان الظاهر أن يقال: أرسلنا إليهم، ولكنه يكون بمعنى: أرسل إليهم من مكان آخر، فعُدل عنه ليُعلم أن الرسول بُعث من بينهم. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٦٨).

(٧) في نسخة الخيالي: «أنهم».

(٣٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لعلَّهُ ذُكرَ بالواوِ لأنَّ كلامَهُم لم يَتَّصِل بكَلامِ الرَّسولِ، بخلافِ كلامِ[1] قومِ نوحٍ، وحيثُ استُؤنِفَ به فعلى تَقديرِ سُؤالٍ[2].

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: بلقاءِ ما فيها مِن الثَّوابِ والعقابِ، أو بمَعادِهم إلى الحياةِ الثَّانيَةِ بالبعثِ ﴿وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ﴾: ونَعَّمْناهُم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرةِ الأموالِ والأولادِ.

﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الصِّفَةِ والحالِ ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ تقريرٌ للمُماثلَةِ، و«ما» خبريَّةٌ، والعائدُ إلى الثَّاني مَنصوبٌ مَحذوفٌ، أو مَجرورٌ حُذِفَ مع الجارِّ لدَلالةِ ما قبلَهُ عليه[3].

(٣٤) ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يَـأمُرُكُم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ حيثُ أَذْلَلْتُم أَنفُسَكُم، و﴿إِذًا﴾ جزاءٌ للشَّرطِ[4] وجَوابٌ للَّذينَ قاوَلُوهُم مِن قَومِهم[5].

---

(١) في نسخة الفاروقي: «قول».

(٢) في نسخة الطبلاوي: «سؤالهم». وفي كلام المصنف إشارة إلى نكتة ذكر الفاء في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والواو في قصة هود عليه الصلاة والسلام هنا، وترك الفاء والواو في محل آخر؛ فقوله: «لعلَّهُ ذُكرَ بالواوِ لأنَّ كلامَهُم لم يَتَّصِل بكَلامِ الرَّسولِ» والواو لا تفيد التعقيب مثل الفاء، «بخلافِ كلامِ قومِ نوحٍ» فقد اتَّصل كلامهم بكلامه فعطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]، «وحيثُ استُؤنِفَ به فعلى تَقديرِ سُؤالٍ» يعني: لم يُعطف بواو ولا فاء؛ كما في قوله في قصة نوح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقوله في قصة هود: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦].

(٣) والتقدير على الأوَّل: مما تشربونه، وعلى الثاني: مما تشربون منه.

(٤) لم يرتضِ هذا أبو حيَّان، وقال: ليسَ ﴿إِذًا﴾ واقِعًا في جزاءِ الشَّرطِ، بل واقعًا بين ﴿إِنَّكُمْ﴾ والخبرِ، و﴿إِنَّكُمْ﴾ والخبرُ ليسَ جزاءً للشَّرطِ، بل هو جوابٌ للقَسَمِ المَحذوفِ قبلَ «إنْ» الشَّرطيَّةِ، ولو كانَت ﴿إِنَّكُمْ﴾ والخبرُ جوابًا لَزِمَت الفاءُ في ﴿إِنَّكُمْ﴾. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٤٤٣). وذلك لأنَّ القسمَ سبق الشرطَ، فحقُّ الجواب أن يكون له. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٣٣٣).

(٥) في نسخة الخيالي والفاروقي: «قومه».

(٣٥) ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ مجردةً عَن اللُّحومِ والأَعصابِ ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ مِن الأَجداثِ، أو مِن العَدمِ تارةً أخرى إلـى الوُجودِ، و﴿أَنَّكُمْ﴾ تكريرٌ للأَوَّلِ أُكِّدَ به لَمَّا طالَ الفَصلُ بينَهُ وبينَ خبرِهِ.

أو: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ مُبتدأٌ خبرُه الظَّرفُ المُقدَّمُ، أو فاعلٌ للفعلِ المقدَّرِ جَـوابًا للشَّرطِ، والجملةُ خبرُ الأوَّلِ؛ أي: أَنَّكُم إخراجُكُم إذا مُتُّم، أو: أَنَّكُم إذا مُتُّم وقعَ إِخراجُكُم.

ويجـوزَ أن يكـونَ خـبرُ الأوَّلِ مَحذوفًا لدلالةِ خبرِ الثَّاني عـليه، لا أَنْ يكونَ الظَّرفَ لأنَّ اسمَهُ جثَّةٌ[١].

(٣٦) ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: بَعُدَ التَّصديقُ، أو الصِّحَّةُ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أو: بَعُدَ ما توعدونَ، واللَّامُ للبيانِ؛ كما في: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، كأَنَّهُم لَمَّا صوَّتُوا بكَلِمَةِ الاستبعادِ قيلَ: فمَا له هذا الاستبعادُ؟ قالُوا: لِمَا توعدونَ.

وقيلَ: ﴿هَيْهَاتَ﴾ بمَعنى: البعدُ، وهو مُبتدَأٌ خبرُهُ: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

وقُرِئَ بالفَتحِ مُنوَّنًا للتَّنكيرِ[٢]، وبالضَّمِّ مُنوَّنًا على أنَّه جمعُ هَيْهَةٍ، وغيرَ مُنوَّنٍ تَشبيهًا بـ«قَبْلُ»، وبالكسرِ على الوجهينِ، وبالسُّكونِ على لفظِ الوقفِ، وبإبدالِ التَّاءِ هاءً[٣].

---

(١) والتقدير على الوجه المجوَّز: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون، فالظرف «إذا» متعلق بالخبر المقدر، و«أنَّ» الثانية وما في حيِّزها بدل من الأولى، ولا يجوز أن يكون الظرف «إذا» خبرًا لـ«أنَّ» الأولى؛ لأن اسمها ـ وهو الضمير ـ يدلُّ على جثة، والظرف يصلح خبرًا عن الحدث؛ لذلك أُجيز أن يكون خبرًا مقدمًا في الوجه الثاني لأن المبتدأ مؤول بـ: إخراجُكم، وهو مصدر. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٦١).

(٢) أنكر الزجاج هذه القراءة في «معاني القرآن» (٤/ ١٢)، ونقلها غيره في الشواذ.

(٣) قـرأ بالفتـح بـلا تنويـن جمهـور العشـرة، وبالكسـر بلا تنويـن أبو جعفـر المدنـي. انظر: «النشـر» (٢/ ٣٢٨). ووقـف الكسـائي والبـزي عليهـا بالهـاء. انظـر: «التيسـير» (ص: ٦٠). =

(٣٧) - ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أصلُه: إنِ الحَياةُ إلَّا حَياتُنا الدُّنـيـا، فأُقيمَ الضَّميرُ مُقامَ الأولى لدَلالةِ الثَّانيَةِ عليها؛ حذرًا عن التَّكريرِ، وإشعارًا بأنَّ تعيُّنَها مُغنٍ عَن التَّصريحِ بها[1]؛ كقولِه:

هـي النَّفسُ مـا حَمَّلْتَهَـا تَتَحَمَّلُ ... ولـلـدَّهْرِ أيَّامٌ تجـورُ وتعدِلُ[2]

ومعنـاه: لا حيـاةَ إلَّا هـذه الحَيـاةُ؛ لأنَّ ﴿إِنْ﴾ نافيـةٌ دخلَتْ علـى ﴿هِيَ﴾ الَّتي فـي مَعنـى الحيـاةِ الدَّالَّـةِ على الجنـسِ، فكانَتْ مثـلَ «لا» الَّـتي تَنْفِي مـا بعدَهَا نفيَ الجنسِ[3].

= وقرأ بالضم بلا تنوين أبو حيوة، وأبو المتوكل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة.
وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو مجلز، وهارون عن أبي عمرو، والأعرج: «هيهاتًا هيهاتًا» بالنصب والتنوين.
وقرأ ابن مسعود، وعاصمٌ الجحدري، وأبو حيوة الحضرمي، وابن السميفع: «هيهاتٌ هيهاتٌ» بالرفع والتنوين.
وقرأ أبو العالية وقتادة وعيسى بن عمر وخالد بن إلياس: «هيهاتٍ هيهاتٍ» بالخفض والتنوين.
وبالسكون قرأ معاذ القارئ وابن يعمر وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو، وأبو حيوة والأحمر.
انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩)، و«المحتسب» (٢/ ٩٠)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٣٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١٤٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٢٦١)، و«البحر» لأبي حيان (١٥/ ٤٤٥).

(١) قيل: مراد المصنف أنَّ الضمير في البيت والآية ضمير الشأن والقصة، ونوقش في ذلك. انظر: «حاشية السيوطي» (٩/ ٢٨٠). ولعلَّه أراد ما يسميه بعض النحويين الإضمار على شريطة التفسير، وعبر عنه في «الكشاف» (٥/ ٦٢٦) بقوله: هذا ضَميرٌ لا يُعلم ما يُعنَى بِهِ إلَّا بما يَتلُوه من بيَانه. انظر: «شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٢/ ٣٤١).

(٢) البيت لعلي بن الجهم في «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص: ٣٢١)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٢٧٢)، و«روضة العقلاء» ابن حبان (ص: ١٤٥).

(٣) قوله: «فكانت مثل (لا)...» جاء بدلاً منه في نسخة التفتازاني: «فهي مثل (لا) التي لنفي الجنس».

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموتُ بَعضُنَا ويولدُ بعضٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعدَ المَوتِ.

(٣٨) ـ ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما يدَّعيهِ مِن إرسالِه له[١]، وفيما يَعِدُنا من البعثِ ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصَدِّقينَ.

(٣٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهِم وانتَقِمْ لي مِنْهُم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسببِ تكذيبِهِم إيَّاي.

(٤٠) ـ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾: عَن زَمانٍ قليلٍ، و«ما» صِلَةٌ لتَوكيدِ معنى القِلَّةِ، أو نَكِرَةٌ مَوصوفَةٌ.

﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على التَّكذيبِ إذا عاينوا العَذابَ.

(٤١) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صَيحَةُ جِبريلَ، صاحَ علَيهِم صيحةً هائلةً تَصدَّعَتْ مِنها قُلوبُهُم فمَاتُوا، واستُدلَّ بِهِ على أنَّ القرنَ قومُ صالحٍ[٢].

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوجهِ الثَّابتِ الَّذي لا دافِعَ له، أو: بالعدلِ مِن اللهِ؛ كقولِك: فلانٌ يَقْضِي بالحقِّ، أو: بالوعدِ الصِّدقِ.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ شبَّهَهُم في دَمارِهِم بغثاءِ السَّيلِ، وهو حَمِيلُه؛ كقولِ العربِ: «سالَ به الوادِي» لِمَن هلَكَ.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمِلُ الإخبارَ والدُّعاءَ.

و«بُعْدًا» مصدَرُ «بَعِدَ»: إذا هلكَ، وهو مِن المصادرِ الَّتي تُنصَبُ بأَفعالٍ لا يُستعمَلُ إظهارُهَا، واللَّامُ لبيَانِ مَن دُعِيَ عليه بالبُعدِ[٣].

---

(١) «له»: ليس في نسخة الخيالي والتفتازاني.

(٢) ولم يلتفت إليه المصنف، فقد تقدم أنه ذكر أنهم قوم هود أو صالح؛ لاحتمال أن يكون من باب الاكتفاء بذكر عقوبة قوم صالح عن عقوبة قوم هود، وغيره من الاحتمالات. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٧٥).

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٣١١ ـ ٣١٢). وأفاد سيبويه: أنَّهم ربَّما تركوا اللام استغناءً، إذا عَرَفَ الدَّاعِي =

ووُضِعَ الظَّاهِرُ موضِعَ ضَميرِهِم للتَّعليلِ[١].

(٤٢) ـ ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: قومَ صَالحٍ ولوطٍ وشُعَيبٍ وغيرِهِم.

(٤٣) ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: الوقتَ الَّذي حُدَّ لهَلاكِها، و﴿مِنْ﴾ مزيدةٌ للاستغراقِ.

﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ الأجلَ.

(٤٤) ـ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾: مُتواترينَ واحدًا بعد واحدٍ، من «الوِترِ» وهو الفردُ، والتَّاءُ بدلٌ مِن الواوِ كـ«تَوْلَجٍ» و«تَيْقُورٍ»[٢]، والألفُ للتَّأنيثِ لأنَّ الرُّسُلَ جَماعَةٌ.

وقرأ أبو عَمرٍو وابنُ كثيرٍ بالتَّنوينِ[٣] على أنَّه مَصدَرٌ بمعنى «المواترَةِ» وقعَ حالًا.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أضافَ الرَّسولَ مع الإرسالِ إلى المرسِلِ ومعَ المجيءِ إلى المرسَلِ إليهم؛ لأنَّ الإرسالَ الَّذي هو مبدأُ الأمرِ منه والمجيءَ هو الَّذي هو منتهاهُ إليهم[٤].

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاكِ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لم نُبْقِ مِنْهُم إلَّا

= أنَّه قد عُلم مَنْ يَعني؛ كما تقول: «مرحبًا» إذل عُرف أنَّك تريد: مرحبًا بك.

(١) أي: لم يقل: فبعدًا لهم؛ لإظهار سبب استحقاقهم للإبعاد، وهو كونهم قومًا ظالمين.

(٢) التَوْلَجُ: كِناسُ الوحِش الذي يَلِجُ فيه. قال سيبويه: التاء مبدلة من الواو، وهو فوعل؛ لأنَّك لا تكاد تجد في الكلام «تفعل» اسمًا، و«فوعل» كثير. والتَّيقور: هو الوقارُ، وأصلُه: وَيْقُور، قُلِبَت الواوُ تاءً. انظر: «الصحاح» مادة: (ولج) (١/ ٣٤٨)، ومادة (وقر) (٢/ ٨٤٩)، وانظر: «الكتاب» لسيبويه (٤/ ٣٣٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٤) وقال الزمخشري: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم؛ لأنّ الإضافة تكون بالملابسة، والرسول ملابس المرسِل والمرسَل إليه جميعًا. انظر: «الكشاف» (٥/ ٦٢٨).

حِكايـاتٍ يُسـمَرُ بها، وهو اسـمُ جمـعٍ لـ«الحَديـثِ»[١]، أو جمعُ «أُحدوثَـةٍ»، وهي مـا يُتحدَّثُ بـه تَلَهِّيـا ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٤٥) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا﴾ بـالآيـاتِ التِّسعِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: وحُجَّةٍ واضِحَةٍ ملزمَةٍ للخَصمِ، ويجوزُ أَنْ يرادَ به العصا، وإفرادُها لأَنَّها أوَّلُ المعجزاتِ وأمُّها؛ تَعلَّقَت بها مُعجِزاتٌ شتَّى؛ كانقلابِها حيَّةً، وتلقُّفِها ما أفكَتْه السَّحرَةُ[٢]، وانفلاقِ البَحرِ، وانفجارِ العُيونِ من الحجرِ بضربِهما بها، وحراسَتِها، ومَصيرِها شمعَةً وشجرةً خَضراءَ مُثمِرَةً ورشاءً ودلوًا[٣].

وأن يُرادَ به المعجزاتُ وبالآياتِ الحُجَجُ، وأن يُرادَ بهما المُعجِزَاتُ فإنَّها آياتٌ للنُّبوَّةِ وحُجَّةٌ بيِّنَةٌ على ما يدَّعيهِ النَّبِيُّ.

(٤٦) ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عـن الإيمـانِ والمتابعَـةِ ﴿وكانـوا قومًـا عالِيـنَ﴾: مُتكبِّرينَ.

(٤٧) ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ثـنَّى البشرَ لأَنَّه يُطلقُ للواحدِ كقولِه: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] كما يُطلَقُ للجمعِ كقولِه: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، ولم يثنِّ المِثلَ لأَنَّه في حكمِ المَصدَرِ[٤].

---

(١) تبع فيه الزمخشريَّ، وقال أبو حيان: «أفاعيل» ليس من أبنية اسم الجمع، وإنما ذكره أصحابنا فيما شذَّ من الجموع كـ«قطيع» و«أقاطيع»... فالصحيح أنه جمع تكسير، لا اسم جمع لما ذكرناه. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٧٦). وقال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: وقد مرّ أنّ اصطلاحه ـ أي: الزمخشري ـ أن يُطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسيّ كاسم المصدر للمصدر غير القياسي، لا على ما اصطلح عليه النحاة، فلا يرد عليه ما قاله أبو حيان.

(٢) أي: صَرَفَتْهُ عن وجهِه وقلبَتْه. انظر: «النهاية» لابن الأثير (أفك).

(٣) الأربعة الأولى ثابتة، وما بعدها مستند لروايات من الإسرائيليات، وقد تقدم الكلام عليها.

(٤) ذكر الآلوسي كلام المصنف هذا ثم قال: ولو أفرد البشر لصح؛ لأنه اسم جنس يطلق على =

وهذه القصصُ كما ترى تشهدُ بأنَّ قُصارَى شبهةِ[1] المنكِرينَ للنُّبوَّةِ: قياسُ حالِ الأنبياءِ على أَحْوالِهِم لِمَا بينَهُم مِن المماثلَةِ في الحقيقَةِ، وفسادُهُ يظهَرُ للمُستبْصِرِ بأَدْنَى تَأمُّلٍ؛ فإنَّ النُّفوسَ البَشريَّةَ وإن تشارَكَت في أصلِ القُوَى والإدراكِ لكنَّها مُتباينَةُ الأقدامِ فيهما، وكما ترى في جانبِ النُّقصانِ أغبياءَ لا يعودُ عليهم التَّفكُّرُ برادَّةٍ، يمكنُ أن يكونَ في طرفِ الزِّيادَةِ أغنياءُ عن التَّعلُّمِ والتَّفكُّرِ في أكثرِ الأشياءِ وأغلبِ الأحوالِ، فيُدركونَ ما لا يدرِكُ غيرُهُم، ويعلمونَ ما لا يَنتَهِي إليه عِلْمُهُم، وإليه أشارَ بقولِه تَعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ خادمونَ مُنقادونَ كالعبادِ.

(٤٨) - ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرقِ في بحرِ قُلْزُم.

(٤٩) - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التَّوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلَّ بَنِي إسـرائيلَ، ولا يجوزُ عودُ الضَّميرِ إلى فرعونَ وقومِه؛ لأنَّ التَّوراةَ نَزَلَتْ بعدَ إغراقِهِم.

﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى المعارفِ والأحكامِ.

(٥٠) - ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ بولادَتِها[2] إيَّاه مِـن غيرِ مَسيسٍ، فالآيةُ أمرٌ واحِدٌ مُضافٌ إليهما، أو جعلْنَا ابنَ مريمَ آيةً بأن تكلَّمَ في المهدِ وظهرَ منه مُعجِزاتٌ أُخرُ، وأمَّهُ آيةً بأَنْ وَلدَتْ مِن غيرِ مسيسٍ، فحُذِفَت الأُولى لدَلالَةِ الثَّانيةِ علَيْها.

= الواحد وغيره، وكذا لو ثنَّى المثل؛ فإنه جاء مثنى في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ ومجموعا في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ نظرًا إلى أنه في تأويل الوصف، إلا أن المرجع لتثنيته الأول وإفراده الثاني الإشارة بالأول إلى قلتهما وانفرادهما عن قومهما مع كثرة الملأ واجتماعهم، وبالثاني إلى شدة تماثلهم حتى كأنهم مع البشرين شيء واحد، وهو أدلُّ على ما عنوه. انظر: «تفسير الآلوسي» (٩/ ٢٣٧).

(١) في نسخة التفتازاني: «شبه».

(٢) في نسخة الفاروقي: «لولادتها».

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رُبْوَةٍ﴾: أرضِ بيتِ المقدسِ[1] فإنَّها مُرتَفِعَةٌ، أو: دمشقَ[2]، أو: رملةِ فِلَسْطينَ[3]، أو: مِصرَ؛ فإنَّ قُراها على الرُّبى[4].

وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ بفَتحِ الرَّاءِ[5]، وقُرِئَ: «رباوَةٍ» بالضَّمِّ والكسرِ[6].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مُستَقَرٍّ مِن أرضٍ مُنبسطَةٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥)، من طريق معمر عن قتادة. ورواه ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٦٦) من طريق عطاء بن معبد عن قتادة عن الحسن.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤)، عن سعيد بن المسيب.

وروى ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عنه قال: هي أرض ذات أشجار وأنهار، يعني: أرض دمشق.

ومن طريق سعيد بن بشير عن قتادة عنه قال: ذات ثمار وكثرة ماء، هي دمشق

ومن طريق شيبان بن عبد الرحمن التميمي عَن قتادة عنه قال: ذات عيشة تقوتهم وتحملهم وماء جار، قال: هي الربوة، هي دمشق.

ومن طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن عمرو عنه: أنها دمشق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: الزمُوا هذه الرَّملةَ التي بفِلَسطينَ فإنها الرَّبوةُ التي قال اللهُ: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤)، مختصرًا بلفظ: هي الرَّملة من فلسطين.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥) عن ابن زيد قال: إلى ربوة من رُبا مصر، قال: وليس الرُّبَا إلاَّ في مصر، والماء حين يُرسَل تكون الربا عليها القرى، لولا الربَا لغرقت تلك القرى.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ٨٣).

(٦) بالضم عن القورسي، وميمونة عن أبي جعفر انظر: «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٠٩).
وبالكسر عن ابن أبي إسحاق انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠).

وقيلَ: ذاتِ ثمارٍ وزروعٍ، فإنَّ ساكنيها يَستَقِرُّونَ فيها لأجلِها.

﴿وَمَعِينٍ﴾: وماءٍ مَعينٍ ظاهرٍ جارٍ، فَعيلٌ مِن «مَعَنَ الماءُ»: إذا جرى، وأصلُه: الإبعادُ في الشَّيءِ، أو من «الماعونِ» ـ وهو المَنفعَةُ ـ لأنَّه نفَّاعٌ، أو مفعولٌ مِن «عانَهُ»: إذا أدركَهُ بعينِه؛ لأنَّه لظُهورِهِ مُدرَكٌ بالعُيونِ.

وُصِفَ ماؤُهما بذلك لأنَّه الجامعُ لأَسبابِ التَّنزُّهِ[1] وطيبِ المكانِ.

(٥١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ نداءٌ وخِطابٌ لجَميعِ الأَنبيَاءِ، لا على أنَّهُم خوطِبُوا بذلك دفعَةً؛ لأنَّهم أُرسِلُوا في أَزمِنَةٍ مُختَلِفَةٍ، بل على معنى أنَّ كُلًّا مِنْهُم خوطِبَ به في زمانِه[2]، فيدخلُ تحتَه عيسى دخولًا أوَّلِيًّا.

أو: يكونُ[3] ابتداءَ كَلامٍ ذُكِرَ تنبيهًا على أنَّ تَهيِئَةَ أسبابِ التَّنعُّمِ لَمْ تكُن له

---

(١) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: التنزه: المسرّة وانشراح الصدر، من النزهة، وأصل معناه: التباعد، ثم استُعمل في العرف للخروج للبساتين ونحوها.

(٢) تبع في ذلك الزمخشري، وقيل: إنها نزغة اعتزالية؛ لأنَّه تعالى في الأزل متكلم آمرٌ وناهٍ، ولا يُشترط في الأمر وجود المأمورين، بل الخطاب أزلًا على تقدير وجود المخاطبين، والمعتزلة أنكروا قدم الكلام فحملوا الآية على خلاف ظاهرها. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٥/ ٦٣٣)، و«الانتصاف» لابن المنير بهامش «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٩٠)، و«فتوح الغيب» للطيبي (١٠/ ٥٩١).
وقال الخطيب الشربيني: وأنت خبير بأن عدم اشتراط ذلك إنما هو في التعلق المعنوي لا التنجيزي الذي الكلام فيه، فإنه مشروط فيه ذلك. انظر: «السراج المنير» (٢/ ٥٨٢).

(٣) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «وحكاية»، والمثبت من نسخة الخيالي والفاروقي، وهو الذي بدأ به الشهاب في «الحاشية»، فقال: قوله: «أو يكون ابتداء كلام...» بالعطف بـ«أو» الفاصلة؛ أي: من غير تقدير، فهو استئناف نحويٌّ أو بيانيٌّ بتقدير: هل هذه التهيئة مخصوصةٌ بعيسى عليه الصلاة والسلام أو لا؟... وفي نسخة: «ويكون» بالواو على أنه ابتداء كلام مع النبي ﷺ؛ أي: وقلنا: يا محمد إنا قلنا للرسل... إلخ، فهو معطوف على ما قبله، وهو مع ما قبله كلام واحد، أو هو جواب سؤال مقدر كما مرَّ، قيل: وهو الوجه.

خاصَّـةً، وأنَّ إباحـةَ الطَّيِّبـاتِ للأنبيـاءِ شَـرعٌ قَديـمٌ، واحتجاجًـا علـى الرَّهابنَـةِ في رفـضِ الطَّيِّباتِ.

أو: حكايةً[1] لِمَا ذُكرَ لعيسى وأمِّهِ عندَ إيوائِهما إلى الرَّبوةِ ليَقتَدِيَا[2] بالرُّسُلِ في تناوُلِ ما رُزِقا.

وقيلَ: النِّداءُ لَه[3]، ولفظُ الجمعِ للتَّعظيمِ[4].

و«الطَّيِّباتُ»: ما يُستلَذُّ من المباحاتِ.

وقيلَ: الحلالُ الصَّافِي القِوام؛ فالحلالُ: ما لا يُعصَى اللهُ فيه، والصَّافِي: ما لا يُنسَى اللهُ فيه، والقِوامُ: ما يُمسكُ النَّفسَ ويحفظُ العقلَ.

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ فإنَّه المَقصودُ مِنْكُم والنَّافعُ عندَ رَبِّكُم ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ فأُجازِيكُم عليه.

(٥٢) ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾؛ أي: ولأنَّ هـذه، والمُعلَّـلُ به ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، أو: واعلَمُوا أنَّ هذه.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «حكاية» دون «أو». والمثبت من نسخة الخيالي والفاروقي والطبلاوي، وهو الذي رجحه الشهاب فقال في «الحاشية»: قوله: «أو حكاية...» معطوف على قوله: «ابتداء كلام»، وقيل: على قوله: «نداء»، وفي نسخة بدون «أو» فهو تتميم لقوله: «احتجاجًا على الرهبانية» التي ابتدعتها النصارى، والصحيح في النسخ الأولى، وهو متصل حينئذ بما قبله لا ابتداءُ كلام، والتقدير: آويناهما وقلنا لهما هذا؛ أي: أعلمناهما أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام كلَّهم خوطبوا بهذا فكلا واعملا اقتداء بهم، هذا على تقدير وجود العاطف، ويحتمل أن يكون حالًا؛ أي: نوحي إليهما أو قائلين لهما.

(٢) في نسخة الفاروقي: «ليقيد»، وفي الهامش: في نسخة: «ليقتديا».

(٣) أي: لعيسى خاصة. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٨٧).

(٤) أورد عليه ابن التمجيد في «حاشيته» (١٣/ ١٨٧) أنَّ الجمع للتعظيم في الخطاب والغيبة لا يعدُّ من البلاغة، فلا يليق أن يُحمل عليه ما وقع في كلامٍ أعجز البلغاء ببلاغته. وقد عدَّ الخفاجي والقونوي حصر قصد التعظيم بصيغة المتكلم خطأ.

وقيلَ: إنَّه معطوف على «ما تعملونَ».

وقرأَ ابنُ عامرٍ بالتَّخفيفِ، والكوفِيُّونَ بالكسرِ على الاستئنافِ[(١)].

﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مِلَّتُكُم مِلَّةً واحِدَةً؛ أي: مُتَّحِدَةً في العقائدِ وأُصولِ الشَّرائعِ، أو: جماعتُكُم جماعةً واحِدَةً مُتَّفِقَةً على الإيمانِ والتَّوحيدِ في العبادةِ، ونصبُ ﴿أُمَّةً﴾ على الحالِ.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في شَقِّ العَصا ومخالفَةِ الكلمةِ.

(٥٣) ـ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: فتقطَّعُوا أمرَ دينِهِم وجَعلوهُ أَديانًا مُختَلِفةً، أو: فتَفرَّقُوا وتحزَّبُوا. و﴿أَمْرَهُم﴾ منصوبٌ بنَزعِ الخافضِ أو التَّمييزِ[(٢)]، والضَّميرُ لِمَا دَلَّ عليه الأمَّةُ مِن أَربابِها أو لها.

﴿زُبُرًا﴾: قِطَعًا، جمعُ زَبورٍ الَّذي بمَعنى الفِرقَةِ، ويؤيِّدُه القراءةُ بفَتحِ الباءِ[(٣)] فإنَّه جمعُ زُبْرةٍ، وهو حالٌ مِن ﴿أَمْرَهُم﴾ أو مِن الواوِ، أو مَفعولٌ ثانٍ لـ﴿تَقَطَّعُوا﴾، فإنَّه يَتضمَّنُ[(٤)] مَعنى «جَعَلَ».

---

(١) قرأ الكوفيُّونَ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافعٌ بفتحها، وخفف ابن عامر النُّون مع فتح الهمزة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) فهو تمييز محول عن فاعل؛ أي: تقطع أمرُهم، وهذا على مذهب الكوفيين لا على مذهب البصريين؛ لأنهم يشترطون تنكيره، و﴿أَمْرَهُم﴾ معرفة، وجوَّز فيه وجه ثالث: أن يكون مفعولًا به بجَعْلِ «تقطعوا» بمعنى: قطعوا. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ٩٢٦)، و«الدر المصون» للحلبي (٨/ ١٩٦).

(٣) نسبها الداني في «جامع البيان» لابن عامر (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٤) في نسخة التفتازاني: «مضمن».

وقيلَ: كُتُبًا، مِن «زَبَرْتُ الكتابَ»[1]، فيكونُ مَفعولًا ثانيًا، أو حالٌ مِن ﴿أَمْرَهُم﴾ على تقديرِ: مِثْلَ كتبٍ[2].

وقُرِئَ بتَخفيفِ البَاءِ[3] كـ«رُسْلٍ» و«رُسُلٍ»[4].

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مِن المتحزِّبينَ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ مِن الدِّينِ ﴿فَرِحُونَ﴾: مُعجَبونَ مُعتقِدونَ أنَّهُم على الحَقِّ.

(٥٤) ـ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في جهالَتِهِم، شَبَّهَها بالماءِ الَّذي يغمُرُ القامةَ لأنَّهُم مَغمورونَ فيها أو لاعبونَ بها[5]. وقُرِئَ: «في غَمَراتِهِم»[6] ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى أن يُقتَلُوا أو يَموتُوا.

---

(١) يقال: «زبرت الكتاب»: إذا كتبته. انظر: «الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٥٨).

(٢) قوله: «وقيل: كتبًا» جمع زَبور بمعنى الكتاب، و«زبرت» بمعنى: كتبت، وزَبورٌ فعولٌ بمعنى مفعولٍ كرسولٍ، وقوله: «مفعولًا ثانيًا»؛ أي: لـ(تَقَطَّعوا) المتعدِّي بمعنى الجعل؛ «أو حال» على لزومه، والمعنى على الأول: جعلوا أمر دينهم كتبا مختلفة، والمراد بالكتب: ما كتبوه بأيديهم، فمآله: جعلوه أديانًا مختلفة، وكونه على تقدير مضاف؛ أي: جعلوا أمر دينهم مثلَ كتب سماوية، فيه تكلف. انظر: «حاشية الشهاب»، و«حاشية القونوي» (١٣/ ١٩٠).

(٣) نسبت لأبي عمرو أيضًا. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٤) في نسخة الفاروقي والطبلاوي: «في رسل».

(٥) أي: شبَّهَ جَهلَهُم بغَمرَةِ الماءِ إذا وقعَ فيها الشَّخصِ فلا يَدري كيفَ يَتخلَّص منها، والجامعُ: الوُقوعُ في ورطَةِ الهَلاكِ، ثمَّ كثُرَ استِعمَالُها في هذا المعنى حتَّى صارَ كالمَثَلِ السَّائرِ في الشُّهرَةِ أو قوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ تمثيلٌ، شبَّه حالَ هؤلاءِ مع ما هُم عليه مِن مَحاولَةِ الباطلِ والانغماسِ فيه بحالِ مَن يَدخلُ الماءَ الغامرَ للَّعبِ، والجامعُ: تَضييعُ السَّعيِ بعدَ الكَدحِ في العَمَلِ، وهذا الوجهُ مُوافِقٌ لِمَا قبلَهُ، وهو قولُهُ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٦) نسبت لأبي حيوة في «الكامل في القراءات» (ص: ٦٠٦)، ونسبت للسلمي وأبي البرهسم في «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٣٣٥).

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾: أنَّ ما نعطيهم ونجعَلُه مددًا لهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ بيانٌ لِـ«ما»، وليسَ خبرًا له، فإنَّه غيرُ مُعابٍ عليه، وإنَّما المُعابُ عليه اعتقادُهُم أنَّ ذلك خيرٌ لَهُم، فخبرُه: ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾، والرَّاجعُ مَحذوفٌ، والمعنى: أيَحْسَبونَ أنَّ الَّذي نَمُدُّهُم به نُسارِعُ بِهِ لهم فيما فيه خَيرُهُم وإكرامُهُم.

﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾: بَلْ هُم كالبَهائمِ لا فطنةَ لَهُم [١] ولا شعورَ لِيَتَأَمَّلُوا فيَعْلَمُوا أنَّ ذلك الإمدادَ استِدراجٌ لا مُسارعةٌ في الخيرِ.

وقُرِئَ: «يُمِدُّهُم» على الغيبةِ [٢].

وكذلك: «يُسارِعُ» و: «يُسرِعُ» [٣]، ويحتمِلُ أَنْ يكونَ فيهِمَا ضَميرُ المُمَدِّ به، و: «يُسارَعُ» مبنيًا للمفعولِ [٤].

(٥٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾: مِن خَوفِ عَذابِه ﴿ مُّشْفِقُونَ ﴾: حَذِرُونَ.

(٥٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ المنصوبةِ والمنزلةِ [٥] ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ بتصديقِ مَدلُولِها.

(٥٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ شركًا جَلِيًّا ولا خَفِيًّا.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «بهم».

(٢) هي رواية عن ابن كثير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠).

(٣) انظر: في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٩٤)، الأولى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، والثانية عن الحر النحوي.

(٤) انظر: «المحتسب» (٢/ ٩٤) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أيضًا.

(٥) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: أي: بعلامات ربوبيته، وإليه أشار بقوله: «المنصوبة»، أو بكلامه، وإليه أشار بقوله: «المنزلة».

(٦٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: يُعْطُونَ ما أعطَوه[1] مِن الصَّدقاتِ، وقُرِئَ: «يَأْتُونَ ما أَتَوْا»[2]؛ أي: يفعلونَ ما فَعَلُوا مِن الطَّاعاتِ.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفةٌ أَنْ لا يُقبلَ مِنْهُم، ولا[3] يقعَ على الوجهِ اللَّائقِ فيُؤاخَذَ[4] بهِ.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾: لأنَّ مَرجِعَهُم إليه، أو: مِن أنَّ مَرجِعَهُم إليه، وهو يَعلمُ ما يَخْفى عليهم.

(٦١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يرغبونَ في الطَّاعاتِ أشَدَّ الرَّغبةِ فيُبادِرُونها، أو: يُسارِعُونَ في نيلِ الخَيراتِ الدُّنيَوِيَّةِ الموعودةِ على صالحِ الأعمالِ بالمُبادرَةِ إليها؛ لقولِه: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤٨]، فيكونُ إثباتًا لهم ما نُفِيَ عن أضدادِهم[5].

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: لأجلِها فاعلونَ السَّبقَ، أو: سابقونَ النَّاسَ إلى الطَّاعَةِ أو

---

(١) في نسخة التفتازاني: «أعطوا».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٩٥) عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم وقتادة والأعمش. وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٦٤١) عنها: أنها قراءة النبي ﷺ.

(٣) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «وأن لا».

(٤) في نسخة الطبلاوي: «فيؤاخذوا». وقال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: «فيؤاخذ به» بصيغة المجهول، و«به» قائم مقام الفاعل، أو المعلوم والضميرُ لله، فليس الأظهر أن يقال: «فيؤاخذوا» بالجمع كما قيل.

(٥) قال في «الكشاف» (٥/ ٦٣٧): وهذا الوجهُ أَحسنُ طِبَاقاً للآية المتقدِّمة؛ لأن فيه إثباتَ ما نُفِيَ عن الكفَّار للمؤمِنينَ.

الثَّوابِ أو الجَنَّةِ[١]، أو: سابِقُونَها[٢]؛ أي: يَنالُونَها قبلَ الآخرةِ حيثُ عُجِّلَت لهم في الدُّنيَا؛ كقولِه تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

(٦٢) - ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: قَدْرَ طاقَتِها، يريدُ به التَّحريضَ على ما وصفَ به الصَّالحينَ وتسهيلَهُ على النُّفوسِ.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: اللَّوحَ أو صحيفةَ الأعمالِ ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، لا يوجَدُ فيه ما يخالِفُ الواقِعَ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادةِ عِقابٍ أو نقصانِ ثَوابٍ.

(٦٣) - ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوبُ الكَفَرةِ ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في غَفلَةٍ غامرَةٍ لها ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ مِن الَّذي وُصِفَ به هؤلاءِ، أو مِن كتابِ الحَفظَةِ.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾ خبيثَةٌ ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: مُتجاوزَةٌ لِمَا وُصفُوا به[٣]، أو مُتخطِّيَةٌ عمَّا هم عليهِ من الشِّركِ ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾: مُعتادونَ فِعلَها[٤].

(٦٤ - ٦٥) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: مُتنعِّميهِم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ يعني: القتلَ يومَ

---

(١) مرادُه بالتَّقديرِ الأوَّلِ: أن لا يقدر للسَّبقِ مفعولٌ ألبتَّةَ، وإنَّما الغرضُ الإعلامُ بوقوعِ السَّبقِ مِنهم مِن غيرِ نَظرٍ إلى مَن سَبقوهُ؛ كقولِه: يحيي ويُميتُ ويُعطي ويَمنَعُ. وغرضُه في الثَّاني تَقديرُ مَفعولٍ حُذِفَ للدَّلالةِ. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٠/ ٥٩٨ - ٥٩٩)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٣٥٤).

(٢) أنكر صحة هذا الوجه أبو حيان، وقيل: بل هو صحيح، فالفعل ضُمِّن معنى المبادرة، واللام في ﴿لَهَا﴾ للتقوية، والضمير مفعول مقدَّم. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٣٦٣)، و«حاشية السيوطي» (٩/ ٢٩٤).

(٣) أي: وصف به المؤمنون. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ١٩٧).

(٤) الاعتياد مستفاد من الجملة الاسمية. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ١٩٧).

بَـدرٍ، أو الجـوعَ حيـنَ دَعـا عليهِم الرَّسـولُ ﷺ فقـالَ: «اللَّهـمَّ اشـدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَـرَ، واجعَلْهـا عليهـم سِـنينَ كسِـنِي يوسُـفَ»[1]، فقُحطُوا حتَّـى أكَلُـوا الكلابَ والجِيَـفَ والعِظـامَ المُحترِقَةَ[2].

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: فاجؤوا الصُّراخَ بالاستغاثةِ، وهو جوابُ الشَّرطِ، والجملَةُ مُبتدأَةٌ بعدَ «حتَّى»، ويجوزُ أَنْ يكونَ الجَوابُ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ فإنَّه مُقدَّرٌ بالقولِ[3]؛ أي: قيلَ لَهُم: لا تَجْأَرُوا ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ تَعليلٌ للنَّهيِ؛ أي: لا تجأَرُوا فإنَّه لا يَنفَعُكُم؛ إذ لا تُمْنَعُونَ مِنَّا، أو لا يلحَقُكُم نَصرٌ ومَعونَةٌ مِن جِهَتِنا[4].

(٦٦) - ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعنـي: القرآنَ ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تُعرِضـونَ مُدْبِرينَ عَن سَـماعِها وتَصديقِها والعمـلِ[5] بها، و«النُّكوصُ»: الرُّجوعُ قَهْقَـرَى[6].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٣٢)، ومسلم في «صحيحه» (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) روى البخاري (١٠٠٧) من حديث ابن مسعود: «اللَّهُمَّ سَبْعٌ كسَبعِ يوسفَ»، فأَخذتْهم سَنةٌ حَصَّتْ كلَّ شيءٍ، حتى أَكلوا الجلودَ والمَيْتَةَ والجِيَفَ... الحديث. وانظر: «تفسير السمعاني» (٦/ ٢٣).

(٣) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: قدره بالقول لأن النهي لا يكون جوابًا بدون الفاء، وحينئذ يكون ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ قيداً للشرط أو بدلاً من ﴿إِذَآ﴾ الأولى.

(٤) فالمعنى على الأول: لا يستطيع أحد أن ينصركم علينا، وعلى الثاني: نحن لا ننصركم. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٦٠٢).

(٥) في نسخة الخيالي: «أو العمل».

(٦) أي: الرجوع إلى الوراء، وهذا منقول عن ابن أبي الحديد، وقال ابن دريد: النكوص: الرجوع عن الخير، والمعروف عن الجمهور أن النكوص كالرجوع وزنًا ومعنى. انظر: «تاج العروس» (١٨/ ١٩٠ - ١٩١).

(٦٧) ـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ الضَّميرُ للبيتِ، وشُهرَةُ استكبارِهم وافتخارِهم بأنَّهُم قُوَّامُه[1] أغنَتْ عَن سبقِ ذكرِه، أو لـ﴿ءَايَتِى﴾ فإنَّها بمعنى: كتابي، والباءُ مُتعلِّقَةٌ بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ لأنَّه بمَعنى: مُكَذِّبينَ، أو لأنَّ استكبارَهُم على المسلمينَ حدثَ بسببِ استِماعِهِ، أو بقولِه: ﴿سَٰمِرًا﴾؛ أي: يسمُرونَ بذكرِ القُرآنِ والطَّعنِ فيه، وهو[2] في الأصلِ مَصدرٌ جارٍ[3] على لفظِ الفاعلِ كـ«العافِيَةِ».

وقُرِئَ: «سُمَّرًا»[4] جمعُ سامِرٍ.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ من «الهَجْرِ» بالفتحِ: إمَّا بمعنى القَطيعَةِ، أو الهذيانِ؛ أي: تُعرضونَ عَن القُرآنِ، أو تَهذونَ في شَأنِه، أو: «الهُجْرِ» بالضَّمِّ: الفُحْشُ، ويُؤيِّدُ الثَّاني قراءةُ نافعٍ: ﴿تُهْجِرُون﴾[5] مِن «أَهْجَرَ».

وقُرِئَ: «تُهَجِّرُون»[6] على المبالغةِ.

(٦٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: القرآنَ ليَعلَمُوا أنَّه الحَقُّ مِن رَبِّهم بإعجازِ لَفظِه ووُضوحِ مَدلولِه[7] ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مِن الرَّسولِ والكِتابِ،

---

(١) أي: معتنون بخدمته وسدانته.

(٢) أي: لفظ ﴿سَٰمِرًا﴾.

(٣) في نسخة التفتازاني: «جاء».

(٤) نسبت لابن مسعود وابن عباس وعكرمة وابن محيصن وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٩٦).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٦) نسبت لابن مسعود وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وأبي نهيك وابن محيصن وأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، وجاءت في «المحتسب» (٢/ ٩٦): (يُهَجِّرون) بالياء.

(٧) والاستفهام خرج هنا إلى معنى الإنكار. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٧٥). و«أم» التي بعدها =

أو مِن الأمنِ مِن عَذابِ الله، فلَمْ يَخافُوا كما خافَ آباؤُهُم الأقدمونَ ـ كإسماعيلَ وأعقابِه ـ فآمَنُوا به وبكُتبِهِ ورُسلِهِ وأطاعوه.

(٦٩) ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانةِ والصِّدقِ وحُسنِ الخُلقِ وكمالِ العِلْمِ مع عدمِ التَّعلُّمِ إلى غيرِ ذلك ممَّا هو صِفَةُ الأَنبياءِ ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ دَعواه لأَحدِ هذه الوُجوهِ؛ إذ لا وجهَ لهُ غيرُها، فإنَّ إنكارَ الشَّيءِ قطعًا أو ظنًّا إنَّما يَتَّجِهُ إذا ظهرَ امتِناعُهُ بحسبِ النَّوعِ أو الشَّخصِ، أو بُحِثَ عمَّا يَدُلُّ عليه أقصَى ما يُمكنُ فلَمْ يوجَد.

(٧٠) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ فلا يُبالونَ بقولِه، وكانُوا يعلمونَ بأنَّه أرجَحُهُم عقلًا وأثقبُهم نَظرًا.

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لأنَّـه يُخـالِـفُ شَـهواتِهِم وأهواءَهُم فلذلك أَنكرُوهُ، وإنَّما قيَّدَ الحُكمَ بالأكثرِ لأنَّه كانَ مِنْهُم مَن تركَ الإيمانَ استنكافًا مِن تَوبيخِ قَومِه، أو لقِلَّةِ فِطنَتِه وعَدمِ فكرَتِه، لا كراهةً للحَقِّ[1].

(٧١) ـ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأنْ كانَ في الواقعِ آلهةٌ شَتَّى ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾؛ كما سبقَ تقريرُهُ في قولِه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢١][2].

= أفادت الإضراب عن هذا الإنكار إلى إنكار آخر، فهي منقطعة بمعنى: بل أجاءهم. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ٢٠٢).

(١) في نسخة التفتازاني والفاروقي: «لا لكراهة الحق». قال صاحبُ «الانتصاف»: أحسَنُ من هذا أن يعودَ ضَميرُ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ على الجنسِ بجُملَتِه؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ويحتملُ أن يرادَ بالأكثر الكلُّ كما حُمِلَ القَليلُ على النَّفي. انظر: «الانتصاف» لابن المنير بهامش «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٩٥). قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: وحملُ الأكثرِ على الكلِّ بعيدٌ.

(٢) وهو قوله: لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه الآخر؛ فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما، =

وقيلَ: لو اتَّبَعَ الحقُّ أهواءَهُم وانقلبَ باطِلًا، لذهبَ ما قامَ به العالمُ فلا يبقى.

أو: لو اتَّبعَ الحقُّ الَّذي جاءَ به مُحمَّدٌ أهواءَهُم وانقلبَ شِركًا، لجاءَ اللهُ بالقيامَةِ وأهلكَ العالمَ مِن فَرْطِ غَضبِه[1].

أو: لو اتَّبعَ اللهُ أهواءَهُم بأَنْ أنزلَ ما يشتهونَه مِن الشِّركِ والمعاصي، لخرجَ عَن الألوهيَّةِ ولم يقدر أن يمسِكَ السَّماواتِ والأرضِ، وهو على أصلِ المُعتزِلَةِ[2].

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾: بالكتابِ الَّذي هو ذِكْرُهُم؛ أي: وَعظُهُم أو صِيتُهم[3].

أو: الذِّكرِ الَّذي تَمنَّوْهُ بقَوْلِهم: ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨].

وقُرِئَ: «بذِكراهُم»[4].

﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾[5] لا يلتفتونَ إليه.

(٧٢) ـ ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ قيلَ: إنَّه قَسِيمُ قولِه: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [سبأ: ٨].

﴿خَرۡجٗا﴾: أجرًا على أداءِ الرِّسالَةِ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: رزقُه في الدُّنيا، أو ثوابُهُ في العُقْبَى ﴿خَيۡرٞ﴾ لسَعَتِهِ ودَوامِهِ، ففيهِ مَندوحَةٌ لك عَن عَطائِهِم.

= لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد، وإن كان لأحدهما، لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح، وإن اختلفت: لزم التمانع والتطارد.

(١) و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ على الأقوال الثلاثة السابقة يراد به خلاف الباطل، لكن أُريد به على القولين الأولين جنس الحق، وعلى الثالث الحق المعهود الذي دعا إليه النبي ﷺ، وعلى القول الذي سيأتي يراد به الربُّ سبحانه وتعالى. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٣/ ٢٠٣)، و«حاشية الشهاب».

(٢) لأن المتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافي الألوهية على زعمهم. انظر: «حاشية شيخ زاده» (٦/ ١٧٥).

(٣) في نسخة الطبلاوي: «أو وصيتهم». قال الشهاب في «الحاشية»: والصِّيت: هو الذِّكر الجميل والفخر، وفي نسخة: «ووصيتهم»، والأُولى أَولى وأصحُّ.

(٤) نسبت لعيسى بن عمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«البحر» (١٥/ ٤٧٢).

(٥) في نسخة الخيالي: «فهم عن ذكر ربهم معرضون».

و«الخَرْجُ» بإزاءِ الدَّخْلِ، يقالُ لكلِّ ما تُخرِجُه إلى غيرِكَ، و«الخَراجُ» غالبٌ في الضَّريبَةِ على الأرضِ، ففيه إشعارٌ بالكَثرةِ واللُّزومِ، فيكونُ أبلغَ، ولذلكَ عبَّرَ به عَن عطاءِ اللهِ إيَّاه[١].

وقرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿خَرْجًا فخَرْجُ﴾، وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿خَرَاجًا فخَرَاجُ﴾[٢] للمزاوجَةِ[٣].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تقريرٌ لخيريَّةِ خراجِه.

(٧٣) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تشهدُ العقولُ السَّليمةُ على استقامتِه، لا عِوَجَ فيه يُوجبُ اتِّهامَهم له.

واعلَمْ أنَّه سُبحانَه ألزمهم الحجَّةَ وأزاحَ العلَّةَ[٤] في هذه الآياتِ بأنْ حصَرَ أقسامَ ما يُؤدِّي إلى الإنكارِ والاتِّهامِ وبيَّنَ انتفاءَها، ما عدا كراهةَ الحقِّ وقلَّةَ الفِطْنةِ.

(٧٤) ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: عَن الصِّراطِ السَّويِّ ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: لَعادِلونَ عنه، فإنَّ خوفَ الآخرةِ أقوى البَواعثِ على طلبِ الحقِّ وسُلوكِ طريقِه.

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٦٤٦): يعني: أمْ تَسألُهم على هِدَايتِكَ لهم قليلًا من عَطاء الخَلْق، فالكثيرُ من عطاء الخالقِ خَيرٌ.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: «المزاوجة» بمعنى: المشاكلة، لا ما ذُكر في البديع.
قلت: هي متحققة في القراءتين الأخيرتين؛ قراءة ابن عامر، وقراءة حمزة والكسائي، والمزاوجة في البديع هي: أن يُزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء؛ كقول الشاعر:

إذا ما نَهى النّاهي فلَجَّ بيَ الهوى ... أصاخَت إلى الواشي فلجَّ بها الهجرُ

انظر: «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٤٠).

(٤) أي: أزال ما يتعللون به في عدم القبول له.

(٧٥) ـ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ يعني: القحطَ ﴿لَّلَجُّواْ﴾: لثبَتُوا، و«اللَّجاجُ»: التَّمادِي في الشَّيءِ[1] ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: إفراطِهم في الكُفرِ والاستكبارِ عن الحقِّ وعَداوَةِ الرَّسولِ والمؤمنينَ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عَن الهُدَى[2].

رُوِيَ: أنَّهم قُحِطُوا حتَّى أكَلُوا العِلْهِزَ[3]، فجاءَ أبو سفيانَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: أَنْشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ، ألستَ تَزعُمُ أنَّكَ بُعِثْتَ رحمَةً للعالمينَ؟ قتلْتَ الآباءَ بالسَّيفِ والأبناءَ بالجُوعِ، فنَزَلَتْ[4].

(٧٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: القتلَ يومَ بَدرٍ ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ بَلْ أَقامُوا على عُتُوِّهِم واستِكبارِهِم ـ و«استكانَ»: استَفْعَلَ مِن الكَونِ؛ لأنَّ المفتقِرَ انتقَلَ مِن كَونٍ إلى كَوْنٍ، أو: افتَعَلَ مِن السُّكونِ، أُشبِعَتْ فَتحَتُه[5] ـ وليسَ مِن عادَتِهِم التَّضرُّعُ، وهو استشهادٌ على ما قبلَهُ[6].

(٧٧) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني: الجوعَ؛ فإنَّه أشدُّ مِن

---

(١) في نسخة الفاروقي: «في الغي».

(٢) في هامش نسخة الطبلاوي: «﴿يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: يتحيَّرون ويتردَّدون في الطغيان».

(٣) العِلْهِزُ: شَيْءٌ يَتَّخِذُونَه في المَجاعةِ، يَخلِطونَ الدَّمَ بأَوبارِ الإبلِ ثمَّ يَشوُونَه بالنَّارِ ويَأكُلونَه، وقيل: هو شَيْءٌ يَنبُتُ ببلادِ بني سُلَيمٍ. انظر: «النهاية» لابن الأثير مادة: (علهز) (٣/ ٢٩٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عنه بنحوه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٢٩)، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٥) رجَّح الأول ابن المنيِّر، ونقل عن ابن فارس أنه من قول العرب: «كِنتُ لك» إذا خضعت، وعدَّ العلم العراقي الثاني غير فصيح أو ضرورة شعر. انظر: «الإنصاف» لعلم الدين العراقي (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٦) وهو قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾.

الأسرِ والقَتلِ ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: مُتَحَيِّرُونَ آيِسُونَ مِن كُلِّ خَيرٍ، حتَّى جاءَكَ أَعْتَاهُم يَستَعْطِفُك.

(٧٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لتحسُّوا بها ما نُصبَ مِن الآياتِ ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتَتفكَّرُوا فيها وتَستدلُّوا بها[1]، إلى غيرِ ذلك مِن المَنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: تَشكُرونَها شُكرًا قَلِيلًا؛ لأنَّ العُمدَةَ في شُكرِهَا استِعْمَالُها فيما خُلِقَت لأجلِه، والإذعانُ لِمَانِحها[2] مِن غَيرِ إشراكٍ، و﴿ما﴾ صِلَةٌ للتَّأكيدِ.

(٧٩) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقَكُم وبثَّكُم فيها بالتَّناسُلِ ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمَعُونَ يومَ القِيامَةِ بعدَ تَفرُّقِكُم.

(٨٠) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ومُختَصٌّ[3] به تَعاقُبُهما لا يقدرُ عليه غيرُه، فيكونُ رَدًّا لِنسبَتِه إلى الشَّمسِ حقيقةً.

أو[4]: ولأمرِه وقضائِهِ تَعاقُبُهُما، أو انتقاصُ أحدِهِما وازديادُ الآخرِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ أنَّ الكُلَّ مِنَّا، وأنَّ قُدرَتَنا تعمُّ المُمكِنَاتِ كلَّها، وأنَّ البعثَ مِن جُملَتِها. وقُرِئَ بالياءِ[5] على أنَّ الخِطابَ السَّابقَ لتَغليبِ المُؤمنينَ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «ليُتفكر فيها ويُستدل بها»، وفي نسخة الفاروقي: «لتتفكر فيها وتستدل بها».

(٢) أي: الانقياد لمُعطيها سبحانه وتعالى.

(٣) في نسخة الطبلاوي: «ويختصُّ».

(٤) وُضعت هنا إشارة إلحاق، وأُلحقت في الهامش كلمة: «مجازًا»، وأُسقطت الواو من «ولأمره». وكلمة «مجازًا» أثبتت في المطبوع من البيضاوي على هامش حاشيتي شيخ زاده والقونوي، والظاهر أن الصواب حذفها، لا سيما وقد قال القونوي: وإنما قال: «حقيقة» إذ النسبة إليها مجازًا صحيحة. انظر: «حاشية القونوي» (١٣/ ٢١٢).

(٥) رواية غير المشهورة عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

(٨١) ـ ﴿ بَلْ قَالُوا۟ ﴾؛ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: آباؤهُم ومَن دانَ بدِينِهِم.

(٨٢) ـ ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ استبعادًا، ولم يَتأمَّلُوا أنَّهم كانُوا قبلَ ذلكَ أيضًا ترابًا فخُلِقُوا.

(٨٣) ـ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: إلَّا أكاذيبَهُم الَّتي كَتَبُوها، جمعُ أُسطورَةٍ؛ لأنَّه يُستعمَلُ فيما يُتلهَّى بِه؛ كـ«الأعاجيبِ» و«الأَضاحيكِ»[١].

وقيلَ: جمعُ «أَسْطَارٍ» جمعِ «سَطْرٍ».

(٨٤) ـ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: إنْ كُنتُم مِن أَهلِ العلمِ، أو مِن العالِمِينَ بذلك، فيكونُ استهانَةً بهم وتقريرًا لفَرْطِ جهالَتِهِم حتَّى جَهِلُوا مثلَ هذا الجليِّ الواضحِ، وإلزامًا بما لا يُمكِنُ لِمَن له مُسْكَةٌ[٢] مِن العلمِ إنكارُه، ولذلك أخبرَ عَن جوابِهِم قبلَ أَنْ يُجيبُوا فقالَ:

(٨٥) ـ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لأنَّ العقلَ الصَّريحَ قَد اضطرَّهُم بأدنى نظرٍ إلى الإقرارِ بأنَّه خالِقُها.

﴿قُلْ﴾؛ أي: بعدَما قالوه: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلَمُوا أنَّ مَن فطرَ الأرضَ ومَن فيها ابتداءً قَدَرَ على إيجادِها ثانيًا، فإنَّ بدءَ الخلقِ ليسَ أهوَنَ مِن إعادَتِه.

وقُرِئَ: «تَتَذكرونَ» على الأصلِ[٣].

---

(١) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: وزن أُفْعُولة ـ لا جمعُه ـ يختصُّ بما يُتلهَّى ويلعب به قولًا كان أو فعلاً، ولذا لم يُجوَّز في أحاديث النبيِّ ﷺ أن يكون جمع «أُحدوثة».

(٢) يقال: «فيه مُسكة من خير» بالضمِّ؛ أي: بقيَّة. انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٦٠٨).

(٣) لم أجدها، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، والباقون: ﴿تَذَّكَّرون﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٨).

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ فإنَّها أعظَمُ مِن ذلك ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ قرأ أبو عمرٍو ويعقوبُ بغيرِ لامٍ فيه وفيما بعدَهُ[١] على ما يقتضيهِ لفظُ السُّؤالِ.

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابَهُ؛ فلا تُشرِكُوا به بعضَ مَخلوقَاتِه، ولا تُنكِرُوا قُدرَتَهُ على بعضِ مَقدورَاتِه.

(٨٨) ـ ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾: مُلكُه غايةُ ما يُمكِنُ، وقيلَ: خزائِنُه[٢] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ ﴾: يغيثُ مَن يَشاءُ ويَحرُسُه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾: ولا يُغاثُ أَحَدٌ ولا يُمنَعُ منه، وتَعدِيَتُه بـ«على» لتَضمينِ مَعنى النُّصرَةِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

(٨٩) ـ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾: فمِنْ أينَ تُخْدَعونَ فتُصرفونَ عَن الرُّشدِ مع ظُهورِ الأَمرِ وتَظاهُرِ الأَدلَّةِ؟

(٩٠) ـ ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ مِن التَّوحيدِ والوَعدِ بالنُّشورِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ حيثُ أنكَرُوا ذلك.

(٩١) ـ ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ لتَقدُّسِه عَن مُماثلَةِ أَحدٍ ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ﴾ يُساهِمُه في الأُلوهيَّةِ.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ جوابُ محاجَّتِهم وجزاءُ شرطٍ حُذِفَ لدلالةِ ما قبلَه عليه؛ أي: لو كانَ معَهُ آلهةٌ كما تقولونَ لَذهَبَ كلُّ واحدٍ مِنْهُم بما خلقَهُ واستبَدَّ بهِ وامتازَ ملكُهُ عَن ملكِ الآخرينَ، ولَظهرَ ووقعَ[٣] بينَهُم التَّحاربُ[٤]

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٩).

(٢) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: يعني: أنَّ صيغة «الملكوت» للمبالغة في الملك، فهي ملك أقصى ما يمكن ملكه، أو «الملكوت» بمعنى: الخزينة.

(٣) «ووقع» ليس في نسخة الخيالي.

(٤) في نسخة التفتازاني والخيالي: «التحازب».

والتَّغالُبُ كما هو حالُ مُلوكِ الدُّنيا، فلَمْ يَكُن بيدِهِ وحدَهُ مَلَكوتُ كلِّ شَيءٍ، واللَّازمُ باطِلٌ بالإجماعِ[1] والاستقراءِ، وقيامِ البُرهانِ على استنادِ جميعِ المُمكِنَاتِ إلى واجبٍ واحدٍ[2].

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن الوَلدِ والشَّريكِ؛ لِمَا سبقَ مِن الدَّليلِ على فَسادِه.

(٩٢) ـ ﴿عالِـمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ خبرُ مُبتدأٍ مَحذوفٍ، وقد جرَّهُ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وأبو عمرٍو ويعقوبُ وحَفصٌ على الصِّفَةِ[3]، وهو دليلٌ آخرُ على نفيِ الشَّريكِ بناءً على تَوافُقِهم في أنَّه المُتفرِّدُ بذلك، ولهذا رتَّبَ عليه: ﴿فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالفاءِ[4].

(٩٣) ـ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى﴾ إنْ كانَ لا بُدَّ مِن أَنْ تُرِيَني؛ لأنَّ «ما» والنُّونَ للتَّأكيدِ، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِن العَذابِ في الدُّنيا والآخرةِ.

(٩٤) ـ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: قرينًا لَهُم في العَذابِ، وهو: إمَّا لهَضمِ النَّفسِ، أو لأنَّ شؤمَ الظَّلَمَةِ قد يَحيقُ بمَنْ وراءَهُم؛ كقولِه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: المراد بالإجماع إجماع المسلمين ومشركي العرب؛ لأنَّ المراد إلزامهم.

(٢) في نسخة الطبلاوي: «إلى واجب الوجود».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٩).

(٤) وهذه الفاء هي التي يسميها علماء المعاني فاء فصيحة؛ لإفصاحها عن المحذوف الذي هو الشرط؛ أي: فإذا كان الله تعالى عالمًا بالغيب والشهادة تعالى عمَّا يشركون. انظر: «حاشية ابن تمجيد» (١٣/ ٢٢٠).

عن الحَسَنِ: أنَّه تعالى أخبرَ نَبيَّهُ: أنَّ له في أُمَّتِه نقمَةً، ولم يُطلِعْه على وقتِهَا، فأمرَهُ بهذا الدُّعاءِ[(١)].

وتَكريرُ النِّداءِ وتَصديرُ كُلِّ واحدٍ مِن الشَّرطِ والجزاءِ بِهِ فَضْلُ تَضرُّعٍ وجُؤارٍ[(٢)].

(٩٥) ـ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ﴾ لكنَّا نُؤَخِّرُه عِلمًا بأَنَّ بَعضَهُم أو بعضَ أَعْقابِهِم يُؤمنونَ، أو لأنَّا لا نُعَذِّبُهم وأنتَ فيهم، ولعلَّه رَدٌّ لإنكارِهِم الموعودَ واستِعجالِهِم له استهزاءً به.

وقيلَ: قد أراهُ، وهو قتلُ بدرٍ، أو فَتحُ مَكَّةَ.

(٩٦) ـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وهو الصَّفحُ عنها والإحسانُ في مُقابَلَتِها، لكنْ بحيثُ لم يُؤدِّ إلى وهنٍ في الدِّينِ.

وقيلَ: هيَ كَلِمةُ التَّوحيدِ، والسَّيِّئةُ: الشِّركُ.

وقيلَ: هو الأمرُ بالمعروفِ، والسَّيِّئَةُ: المُنكَرُ.

وهو أبلَغُ مِن: ادفَعْ بالحُسنةِ[(٣)] السَّيِّئَةَ؛ لِمَا فيه مِن التَّنصيصِ على التَّفضيلِ[(٤)].

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، وتاج القراء الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٦٥٣).

(٢) قوله: «وتكرير النداء...» لعل في العبارة نقصًا، ففي «الكشاف» (٥/ ٦٤٥): (وقولهُ: ﴿رَبِّ﴾ مَرَّتَيْن قَبْل الشرط وقَبْل الجزاء حَثٌّ على فَضلِ تَضرُّعٍ وجُؤارٍ). فسقط عند المصنف ذكر الحث، ولم أجد من نبَّه عليه من أصحاب الحواشي.

(٣) في نسخة التفتازاني والخيالي: «بالحسنى».

(٤) فالمرادُ أنَّ السيِّئةَ قد تُدفَعُ بصفْحٍ وإغضاءٍ، وقد تُدفَعُ بإحسانٍ، وهذه أنواعٌ كلُّها يدفَعُ السيِّئة، وبعضُها أَحسَنُ من بعض، فأُمِرْنَا بالأخذِ بالأحسنِ منها في دَفعِ السَّيِّئةِ، فالمفاضلةُ بينَ هذه الحَسَناتِ تَجري على حَقيقَتِها. انظر: «الانتصاف» لابن المنير بهامش «الكشاف» (٣/ ٢٠١).

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يَصِفونكَ به، أو بوَصْفِهِم إيَّاكَ على خلافِ حالِكَ، وأقدَرُ على جَزائِهِم فكِلْ إلينا أمْرَهُم.

(٩٧) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: وَسَاوِسِهم، وأَصلُ «الهَمزِ»: النَّخسُ، ومنهُ: مِهْمَازُ الرَّائضِ[1]، شبَّهَ حثَّهُم النَّاسَ على المعاصي بهَمْزِ الرَّاضَةِ الدَّوابَّ على المشيِ، والجمعُ[2] للمرَّاتِ، أو لتَنوُّعِ الوَساوِسِ، أو لتَعدُّدِ المُضافِ إليه.

(٩٨) ـ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ فيَحومُوا حَوْلِي في شَيءٍ مِن الأَحوالِ، وتَخصيصُ حالِ الصَّلاةِ وقراءةِ القرآنِ وحُلولِ الأَجَلِ لأنَّها أَحْرَى الأحوالِ بأَنْ يُخافَ عليه[3].

(٩٩) ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ مُتَعلِّقٌ بـ﴿يَصِفُونَ﴾، وما بينَهُما اعتراضٌ لتأكيدِ الإغضاءِ بالاستعاذةِ باللهِ مِن الشَّيطانِ أن يزلَّهُ عَن الحلمِ ويُغرِيَه على الانتقامِ، أو بقولِه: ﴿إِنَّهم لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠].

﴿قَالَ﴾ تَحسُّرًا على ما فرَّطَ فيه مِن الإيمانِ والطَّاعةِ لَمَّا اطَّلَعَ على الأمرِ: ﴿رَبِّ

---

(١) هو حَدِيدَةٌ تكونُ في مُؤخَّرِ خُفِّ الرائض، ويقال له: مِهْمَز. انظر: «الصحاح» مادة: (همز) (٣/ ٩٠٢).

(٢) أي: جمع ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

(٣) هذا توجيه لما روي من تخصيص الآية؛ فعن ابن عباس والكلبي: عندَ تِلاوة القرآن، وعن عكرمة: عِند النَّزع، وروى الإمام أحمد (٢٢١٧٩) عن أبي أمامة الباهلي قال: كان نبيُّ الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبَّر ثلاث مرَّات، ثم قال: «لا إله إلا الله» ثلاث مرات، و«سبحان الله وبحمده» ثلاث مرات، ثم قال: «أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ من همزِه ونفخِه ونفثِه»، وغيره أحاديث بمعناه. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٦٦) عن الكلبي، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٥٨) عكرمة، و«الكشاف» للزمخشري (٥/ ٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ٱرْجِعُونِ﴾: رُدُّوني إلى الدُّنيَا، والواوُ لتَعظيمِ المُخاطَبِ، وقيلَ: لتكريرِ قولِه: «ارجعنِي»؛ كمَا قيل في: قِفَا وأَطرِقَا[1].

(١٠٠) ـ ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الإيمانِ الَّذي تَرَكْتُه؛ أي: لعلِّي آتي الإيمانَ وأعمَلُ فيه، وقيلَ: في المالِ أو في الدُّنْيَا. وعنه عليه السَّلامُ: «إذا عاينَ المُؤمِنُ المَلائكَةَ قالُوا: أَنُرْجِعكَ إلى الدُّنيا؟ فيقول: إلى دارِ الهمومِ والأَحزانِ؟ بل قدومًا إلى اللهِ تعالى، وأمَّا الكافِرُ فيقولُ: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾»[2].

﴿كَلَّآۚ﴾ ردعٌ عَن طلبِ الرَّجعَةِ واستبعادٌ لها.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: قولَه: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ إلى آخرِه، والكَلِمَةُ: الطَّائفَةُ مِن الكلامِ المُنتظِمِ بعضُها مَع بعضٍ.

﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا محالةَ لتَسلُّطِ الحسرةِ عليه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامَهُم[3]، والضَّميرُ للجَماعةِ ﴿بَرۡزَخٌ﴾: حائلٌ بينَهُم وبينَ الرَّجعَةِ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: يومِ القِيامَةِ.

وهو إقناطٌ كُلِّيٌّ عَن الرُّجوعِ إلى الدُّنيا لِمَا عُلِمَ أنَّه لا رجعةَ يومَ البَعثِ إلى الدُّنيا، وإنَّما الرُّجوعُ فيه[4] إلى حياةٍ تَكونُ في الآخرةِ.

---

(١) فقد قيل أصله: قف قف، و: أطرق أطرق. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٠٧).

(٣) «وَراءٌ» من الأضداد. يقال للرَّجل: وَراءَك؛ أي: خلْفَكَ، ووَراءَك؛ أي: أمامك، قال الله عزَ وجلّ: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ فمعناه: من أمامهم... انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٦٨).

(٤) «فيه»: ليس في نسخة الخيالي.

(١٠١) ـ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ لقِيامِ السَّاعةِ، والقراءةُ بفتحِ الواوِ ـ وبه وبكسرِ الصَّادِ[1] ـ تُؤيِّدُ أنَّ ﴿ٱلصُّورِ ﴾ أيضًا جمعُ الصُّورَةِ[2].

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ تنفعُهُم؛ لزَوالِ التَّعاطُفِ والتَّراحُمِ مِن فرطِ الحيرَةِ واستيلاءِ الدَّهشَةِ بحيثُ يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخيهِ وأُمِّه وأَبيهِ وصاحِبَتِه وبنيه، أو: يَفتَخِرُونَ بها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما يفعلونَ اليومَ ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾: ولا يَسأَلُ بَعضُهم بَعضًا لاشتغالِهِ بنَفسِهِ.

وهو لا يُناقِضُ قولَه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٧] لأنَّه عندَ النَّفخَةِ، وذلك بعدَ المُحاسبَةِ أو دخولِ أهلِ الجنَّةِ الجنَّةَ والنَّارِ النَّارَ.

(١٠٢) ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: مَوزوناتُ عَقائدِهِ وأعمالِه[3]؛ أي: ومَن كانَتْ لَهُ عَقائِدُ وأَعمالٌ صالحةٌ يكونُ لها وزنٌ عندَ اللهِ وقَدْرٌ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الفائزونَ بالنَّجاةِ والدَّرجاتِ.

---

(١) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠) الأولى عن ابن عياض والحسن، والثانية عن أبي رزين.

(٢) أي: مثل: الصُّوَر، وقد تبع في هذا التأييد الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٦٥٨)، وسكت عن القول الأشهر أنّه القَرْنُ، ويشهد له ما روى الترمذي (٢٤٣١) وابن حبان (٨٢٣) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يُؤمر أن ينفخ؟» قال: قلنا: يا رسول الله، فما نقول يومئذ؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) ذكر معناه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٠١)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٣ و٢٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢١٥)، جميعهم عن ابن عباس عند تفسير قوله: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ من سورة الأعراف، وقد تقدم الكلام عنه ثمَّة. وجزم الطيبي هنا بأنَّ المَوازينَ: ما تُوزنُ بِهِ حسناتهم، وقال: هذا هو الحَقُّ الذي لا محيدَ لأهلِ الحَقِّ عنهُ. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٦٢٩).

(١٠٣) ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: ومَن لَمْ يَكُن له ما يكونُ له وزنٌ ـ وهُم الكُفَّارُ لقولِه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ـ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: غَبنوهَا حيثُ ضَيَّعُوا زمانَ استِكْمَالِها وأبطَلُوا استعدادَها لنيلِ كَمالِها.

﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ بَدَلٌ مِن الصِّلَةِ[1]، أو خبرٌ ثانٍ لـ﴿أولئك﴾.

(١٠٤) ـ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقُها، و«اللَّفحُ» كـ«النَّفحِ» إلَّا أنَّه أشَدُّ تأثيرًا[2].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ مِن شِدَّةِ الاحتراقِ. والكُلُوحُ: تَقلُّصُ الشَّفتينِ عَن الأسنانِ[3].

وقُرِئَ: «كَلِحُون»[4].

(١٠٥) ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على إضمارِ القَولِ؛ أي: يقالُ لَهُم: ألم تَكُن ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ تأنيبٌ وتَذكيرٌ لهم بما استَحقُّوا هذا العذابَ لأَجْلِه.

(١٠٦) ـ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: مَلَكَتْنا بحيثُ صَارَتْ أحوالُنا مُؤدِّيَةً إلى سوءِ العاقِبَةِ.

---

(١) قال أبو حيَّان: هذا بَدلٌ غَريبٌ، وحَقيقَتُه أن يكونَ البَدلُ الفعلَ الذي يتعلَّقُ به ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾؛ أي: استقرُّوا في جهنَّمَ، وكأنَّه مِن بَدلِ الشَّيءِ مِن الشَّيءِ، وهما لِمُسَمًّى واحدٍ على سَبيلِ المَجازِ؛ لأنَّ مَن خَسِرَ نفسَهُ استقرَّ في جَهنَّمَ. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٤٨٨).

(٢) هذا قول الزجاج، وقال ابن الأعرابي: اللفح لكل حار، والنفح لكل بارد. انظر: «تهذيب اللغة» (٥/٤٨).

(٣) روى الإمام أحمد (١١٨٣٦) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، قال: «تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ»، ورواه الترمذي (٢٥٨٧) والحاكم (٢٩٧١). قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١) عن أبي حيوة.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿شَقاوَتُنا﴾ بالفتحِ كالسَّعادَةِ[1]، وقُرِئَ بالكسرِ كالكِتابَةِ[2].

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الحقِّ.

(١٠٧) ـ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: مِن النَّارِ ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى التَّكذيبِ ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفُسِنا.

(١٠٨) ـ ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾: اسكُتوا سُكوتَ هَوانٍ، فإنَّها ليسَتْ مقامَ سُؤالٍ، مِن «خَسَأْتُ الكلبَ ـ إذا زَجَرْتُه ـ فخَسَأَ».

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفعِ العَذابِ، أو: لا تُكلِّمونِ رأسًا.

قيلَ: إنَّ أهلَ النَّارِ يقولونَ ألفَ سنَةٍ: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]، فيُجابونَ: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]، فيقولونَ ألفًا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فيُجابونَ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ ...﴾ [غافر: ١٢]، فيقولونَ ألفًا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيجابونَ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيقولونَ ألفًا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيُجابونَ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، فيقولونَ ألفًا: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [فاطر: ٣٧]، فيُجابونَ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧]، فيقولونَ ألفًا: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، فيُجابونَ: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾، ثمَّ لا يكونُ لهم فيها إلَّا زَفيرٌ وشَهيقٌ وعواءٌ[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) نسبت لقتادة ورواية عن الحسن. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٠٧)، و«البحر» (١٥/ ٤٨٩).

(٣) رواه بنحوه سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١٩)، ومن طريقه البيهقي في «البعث» (٦٠١)، عن محمد بن كعب القرظي.

ورواه عنه أيضًا ابن المبارك في الزهد (٣١٩ ـ زوائد نعيم)، ومن طريقه ابن أبي الدُّنيا في «صفة النار» (٢٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٩)، وقد سقط من مطبوع «الزهد» بعضه لسقط في المخطوط نبه إليه المحقق. وجاء في آخره: «فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم، وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض، فأطبقت عليهم».

(١٠٩ ـ ١١٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الشَّأنَ، وقُرِئَ بالفَتحِ[1]؛ أي: لأنَّه ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ يعني: المؤمنينَ، وقيلَ: الصَّحابةَ، وقيلَ: أهلَ الصُّفَّةِ.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزؤًا، وقرأ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ هاهنا وفي ﴿ص﴾ بالضَّمِّ[2]، وهما مَصدرًا: سَخِرَ، زِيدَت فيهِمَا ياءُ النَّسَبِ للمُبالغَةِ، وعندَ الكوفيِّينَ المَكسورُ بمعنى: الهُزْءِ، والمضمومُ مِن «السُّخرَةِ» بمعنى: الانقيادِ والعُبودِيَّةِ[3].

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ من فرطِ تَشاغُلِكُم بالاستهزاءِ بهِ، فلَمْ تَخافوني في أَوْلِيائِي ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

(١١١) ـ ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ على أذاكُم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: فوزَهُم بمَجامِعِ مُراداتِهِم مَخصوصينَ بهِ، وهو[4] ثاني مَفعولَيْ ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾.

---

(١) نسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، و«المحتسب» (٢/ ٩٨).

(٢) أي: بضم السين، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) نقل هذا التفريق الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٣)، لكن لا يفهم من كلامه أنه مذهبه أو مذهب الكسائي، وهما رأس الكوفيين، وقال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٨٧): فرَّق أبو عمرو بينهما؛ فجعل المكسورة من جهة التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة، ولا يَعرف هذا التفريقَ الخليلُ وسيبويه رحمهما الله، ولا الكسائي ولا الفراء. ووقع هذا التفريق منسوبًا إلى أبي زيد ويونس في «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٧٨)، وأبو عمرو وأبو زيد ويونس من أئمة البصريين، لكن نقله عن الكسائي والفراء الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٨) والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٤) وغيرهما، فنُسب للكوفيين بعد ذلك.

(٤) في نسخة الفاروقي: «وهذا». والمراد: المصدر المؤول من «أنَّ» واسمها وخبرها، فاختار المصنف أنه مفعول ثان، واستظهر أبو حيان أن المراد: جزيتهم لأنَّهم هم الفائزون، فهو منصوب بنزع الخافض، وسبق إلى ذكر الوجهين مكي. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٥٠٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٥/ ٤٩٢).

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بالكَسرِ استِئنافًا[١].

(١١٢) ـ ﴿قَٰلَ﴾؛ أي: اللهُ، أو المَلَكُ المأمورُ بسُؤالِهم.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ على الأمرِ[٢] للمَلَكِ، أو لبعضِ رُؤساءِ أهلِ النَّارِ.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أحياءً، أو أمواتًا في القُبورِ ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ تمييزٌ لـ﴿كَمْ﴾.

(١١٣) ـ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استِقصارًا لِمُدة لبثِهم فيها بالنِّسبَةِ إلى خُلودِهِم في النَّارِ، أو لأنَّها كانَتْ أيَّامَ سُرورِهِم وأيَّامُ السُّرورِ قِصارٌ، أو لأنَّها مُنقَضِيَةٌ والمُنقَضِي في حُكمِ المَعدُومِ.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الَّذينَ يَتمكَّنُونَ مِن عَدِّ أيَّامِها إن أردتَ تَحقيقَها، فإنَّا لِمَا نحنُ فيه من العَذابِ مَشغولونَ عَن تَذكُّرِها وإحصائِها، أو: الملائكةَ الَّذينَ يعدُّونَ أعمارَ النَّاسِ ويحصونَ أعمالَهُم.

وقُرِئَ: «العَادِينَ» بالتَّخفيفِ[٣]؛ أي: الظَّلَمَةَ فإنَّهُم يقولونَ ما نقولُ، و: «العَادِيِّينَ»[٤]؛ أي: القُدَماءَ المُعَمَّرينَ فإنَّهُم أيضًا يَستَقصِرُونَ.

(١١٤) ـ ﴿قَٰلَ﴾ وفي قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ: ﴿قل﴾[٥]: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تَصديقٌ لهم في مَقالِهم[٦].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) نسبت للحسن ورواية عن الكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٤) انظر: «الكشاف» (٥/ ٦٦٦) دون نسبة، وذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، عقب القراءة السابقة على أنها لغة فقال: (ولغةٌ أخرى: العاديِّين؛ أي: القدماء).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٦) في نسخة الفاروقي: «تقالّهم».

(١١٥) ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ توبيخٌ علـى تغافُلِهم، و﴿عَبَثًا﴾ حالٌ بمعنى: عابثينَ، أو مَفعولٌ لَـهُ؛ أي: لـم نَخْلُقكُم تَلَهِّيًا بكم، وإنَّما خلقناكُم لنتعبَّدَكُم ونُجازِيَكُم على أعمالِكُم، وهو كالدَّليلِ على البَعثِ.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ مَعطوفٌ على ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أو ﴿عَبَثًا﴾.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ ويَعقوبُ بفَتحِ التَّاءِ وكسرِ الجِيمِ[1].

(١١٦ ـ ١١٨) ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ الَّذي يحقُّ له الملكُ مُطلقًا، فإنَّ مَن عَداهُ مَملوكٌ بالذَّاتِ مالكٌ بالعَرَضِ، مِن وجهٍ دونَ وَجهٍ، وفي حالٍ دونَ حالٍ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنَّ ما عَداهُ عَبيدٌ.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ الَّذي يُحيطُ بالأَجرامِ، وينزلُ منه محكَماتِ الأقضِيَةِ والأحكامِ، ولذلك وصفَهُ بالكرمِ، أو لنِسبتِه إلى أكرَمِ الأكرَمِينَ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على أنَّه صِفَةُ الرَّبِّ.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: يعبدْهُ إفرادًا أو إشـراكًا ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صِـفَةٌ أُخرَى لـ﴿إِلَٰهًا﴾ لازمةٌ لَهُ؛ فإنَّ الباطِلَ لا بُرهانَ به، جيءَ بها للتَّأكيدِ وبناءِ الحُكمِ عليه؛ تنبيهًا على أنَّ التَّديُّنَ بما لا دليلَ عليه ممنوعٌ فضلًا عمَّا دلَّ الدَّليلُ على خلافِه، أو اعتراضٌ بينَ الشَّرطِ والجَزاءِ لذلك[3].

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ فهو مُجازٍ له مقدارَ ما يَستَحِقُّه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٠)، و«النشر» (٢/ ٢٠٩).

(٢) نسبت لأبان بن تغلب وابن محيصن وأبي جعفر المدني وإسماعيل عن ابن كثير. انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠١).

(٣) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته»: «اعتراضٌ» معطوف على قوله: «صفة»، وقوله: «لذلك»؛ أي: للتأكيد؛ لأن الاعتراض لا يفيد غير التأكيد.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: إنَّ الشَّأنَ. وقُرِئَ بالفَتحِ[1] على التَّعليلِ، أو الخبرِ؛ أي: حسابُهُ عدمُ الفلاحِ.

بدأَ السُّورَةَ بتقريرِ فَلاحِ المؤمنينَ وختَمَها بنَفيِ الفَلاحِ عَن الكافِرينَ، ثمَّ أمرَ رَسُولَهُ بأَنْ يَستَغفِرَهُ ويَستَرْحِمَه فقالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سورةَ المؤمنينَ بشَّرتْهُ الملائكةُ بالرَّوْحِ والرَّيحانِ وما تَقَرُّ به عينُهُ عندَ نُزولِ ملكِ المَوتِ»[2].

وعنه عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «لقد أُنزِلَتْ عليَّ عَشرُ آياتٍ مَن أَقامَهُنَّ دخلَ الجنَّةَ»، ثمَّ قرأَ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حتَّى ختمَ العشرَ[3].

ورُوِيَ: أنَّ أوَّلَها وآخرَهَا مِن كُنوزِ الجنَّةِ، مَن عَمِلَ بثلاثِ آياتٍ مِن أوَّلِها، واتَّعَظَ بأربعٍ مِن آخرِهَا، فقَدْ نَجا وأَفْلَحَ[4].

***

---

(١) نسبت لقتادة وعيسى والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٩٨).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٤٤٣)، وقال: حديث منكر، وصححه الحاكم في «المستدرك» (١٩٦١) و(٣٤٧٩) وتعقبه الذهبي بأن عبد الرزاق قدح في شيخه يونس بن سليم وقال: لا أظنه شيئًا.

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠٩): غريب جداً.